

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الصلات الحضارية بين الجزائر والمغرب الأقصى - مقارنة ثقافية -

(من منتصف القرن 11هـ/17م إلى منتصف القرن 13هـ/19م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ
تخصص: العلاقات الاقتصادية والثقافية للجزائر ودول المغرب الكبير

إشراف الدكتور:
فارس كعوان

إعداد الطالب:
الصالح بن سالم

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
خليفة حماش	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
فارس كعوان	أستاذ محاضراً	جامعة سطيف 02	مشرفا ومقررا
أحميدة عميراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا
علي آجقو	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
محمد السعيد قاصري	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	عضوا مناقشا
محمد أوجرتي	أستاذ محاضراً	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير:

لمن دواعي فخري أن أتقدم بأبلغ عبارات

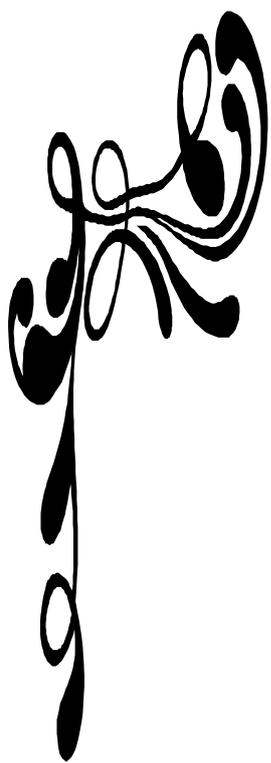
الشكر والتقدير والفخر لصاحب الفضل علي مشرفي
الدكتور **فارس كعوان** الذي استفدت من فيض علمه
الوافر، وجميل عنايته لهذا البحث والعمل المتواضع، فلم
يبخل علينا بقراءته المتأنية، وتوجيهاته الصائبة، فقد كان
بحق المشرف والصديق والموجه والنصوح.

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر إلى السادة أعضاء
لجنة المناقشة على جميل قراءتهم لهذا العمل، وخالص
شكري ومودتي لكل من قدم لي يد العون من قريب وبعيد،
وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور **خليفة حماش** والذي كان
بمثابة المشرف الثاني للعمل، وذلك من خلال المادة العلمية
المقدمة، والنصائح القيمة التي أسداها لنا، وكذلك الشأن
للأستاذ الدكتور **الطاهر بونابي** الذي كان سندنا في مختلف
مراحل البحث من دون أن ننسى شكر كل من سهل لنا
مهمة البحث والوصول للمادة العلمية في كل المكتبات
ومراكز البحث التي زرناها واستفدنا منها.

الإهداء:

أول إهداء بطبيعة الحال سيكون
للوالدين الكريمين اللذين أوصاني الله سبحانه وتعالى بهما
خيـرا فقال (وبالوالدين إحسانا)، وأمرني بالدعاء لهما فقال
(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)، وإهداء موصول أيضا
لشقيقي فاتح وشقيقتي الفضليات والزوجة الكريمة
إلى ريحانتي ونور عيون بنيتي **وصال**
إلى روح الأحبة الذين فقدناهم منذ أشهر وأخص بالذكر جدتي
وعمتي وزوجة عمي والصديقين البشير ربوح ومحمد الصادق بلم
إلى كل الأهل والأحبة والأصدقاء وكل من يعرفني من
قريب أو بعيد أهدي له
هذا العمل المتواضع

مقدمة



تقوم الصلات الحضارية بين البلدان على مبدأ التأثير والتأثر تبعاً لمنطق الحياة القائم على الصراع والحركة لتستفيد البشرية مما ينتجه الإنسان ويبدعه هنا وهناك، فتكثر المعارف وتتلاقح الحضارات والثقافات بعضها من بعض حسب طبيعة الاتصال ومستواه وحدوده بالسيطرة والقهر تارة، وبالحوار الهادئ والتسامح تارة أخرى، وقد تكون هاته الصلات ذا أهمية أكبر إذا كانت بين شعبين يجمع بينهما تاريخ وديانة وعادات وتقاليد ومصير مشترك كالشعبين الجزائري والمغربي.

يأخذ موضوع الصلات الحضارية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث قيمته وأهميته من بعده التاريخي وراهنيته السياسية، ففي البعد التاريخي نجد بأن الصلات بين المغرب الأوسط والأقصى لم تنقطع على مر العصور حيث جمعت بين البلدين روابط تاريخية متينة تعززت أكثر مع وصول الإسلام واللغة العربية التي أذابت كل الحواجز الجغرافية والاثنية، أما الراهن السياسي فنجد بأن العلاقات الجزائرية المغربية تراوحت بين التصالح والتصادم خلال العصر الحديث واستمرت هذه الأزمة إلى وقتنا الراهن، وبما أن الدراسات السابقة لم تعطي للموضوع اهتماماً أكبر كان لابد من دراسة جزئياته وفروعه انطلاقاً من طرح سؤال مركزي مضمونه: ماهي مظاهر وآثار الصلات الحضارية بين البلدين؟ وإلى أي مدى ساهمت هذه الصلات في تشكيل معالم الوحدة الثقافية المغربية خلال القرون الثلاثة التي سبقت دخول الاستعمار الفرنسي والاسباني للمنطقة؟

صحيح أن الصلات الحضارية بين الجزائر والمغرب الأقصى كانت قبل التواجد العثماني بالمنطقة لكن بعد سقوط الدولتين الزيانية والمرينية وظهور قوى سياسية جديدة أعطى لهذه الصلات بعداً سياسياً وحضارياً آخر، فهل نستطيع القول بأن الصلات الحضارية في هذه المرحلة كانت كحتمية وضرورة ملحة بين أعلام البلدين من أجل لعب دور الوساطة بين ساسة وحكام البلدين؟ أم أن تفكير العلماء والطلبة يختلف اختلافاً جذرياً عن تفكير الساسة في تصور الحدود الجغرافية بين الدول؟ فإذا كان حكام البلدين يعتبرون الحدود رقعة جغرافية لا بد منها من أجل بسط النفوذ والهيمنة السياسية والعسكرية داخلها، وفرض السيادة والاحترام على الجيران خارجياً، فكيف كانت نظرة العلماء لهذه القضية؟

إن الطريقة التي وصل بها السعديون والعلويون لحكم المغرب الأقصى، والقائمة على الشرف والجهاد ضد النصارى من أجل كسب ود العامة وتبرير شرعية حكمهم ليس للمغرب فقط بل

ومنافسة الأتراك في التمدد بشمال إفريقيا على حد وصف محمد الشيخ السعدي، فبقدر ما أغرت العامة وساكنة المغرب الأقصى بهذا المشروع بقدر ما استقطبت به أيضاً العشرات من طلبة وأعلام الجزائر بصفة عامة وعلماء تلمسان وأحوازها بالغرب الجزائري بصفة خاصة، فماهي أهم الحواضر المغربية التي

استقبلت هؤلاء الطلبة والعلماء؟ وكيف كان موقف الحكام والرعية والعلماء بالمغرب الأقصى من هذه الهجرات؟

وبقدر ما ساهم الانتماء العربي للعلويين في إغراء علماء الجزائر للهجرة نحو المغرب الأقصى بقدر ما ساهمت قوافل الحج نحو الحجاز في وفود أعلام وطلبة المغرب الأقصى على المدن الجزائرية، فما هي أهم الحواضر الجزائرية التي استضافت أعلام المغرب الأقصى؟ وهل كانت هذه الزيارات مجرد محطات للراحة؟ أم عرفت نوعاً من التلاقح والتفاعل الثقافي مع علماء وطلبة الجزائر؟، وإذا عرفنا بأن السلاطين العلويين قد راهنوا على علماء الجزائر في بسط نفوذهم الروحي بمنطقة المغرب، وذلك من خلال المناصب والمكاسب الممنوحة لهم، فما مدى تفاعل حكام الجزائر الأتراك مع الثقافة المغربية الوافدة والمهاجرة إلى الحواضر الجزائرية؟

إن انتقال وهجرة العلماء والطلبة بين حواضر البلدين لم تكن خالية اليدين بل كانت في غالب الأحيان مرفوقة بمصنفات وإجازات ورسائل، فيلبي أي مستوى كان هذا النوع من التواصل الثقافي والفكري بين هؤلاء العلماء؟ وما هي درجة التجاوب والندية بين الطرفين من خلال المجالس والمناظرات التي كانت تعقد بمختلف الحواضر الجزائرية والمغربية؟، ولعل تغلغل العلماء في المجتمع المغربي من خلال تصدريهم للإمامة والتدريس والخطابة والافتاء والقضاء جعل منهم سلاطين وملوك القلوب والعقول عند العامة، فكيف نظر ساسة وحكام البلدين لهذه القضية التي كانت تهدد عرشهم في كثير من الأحيان؟، وإذا كانت تنقلات العلماء والطلبة بين البلدين تصنف ضمن الأمور العادية والبدئية باعتبار أن طالب العلم همه الوحيد هو البحث عن مصنف أو شيخ جديد ينهل من علمه من أجل العودة لقريته وتبوء مكانة هناك، فكيف كان حال المتصوفة والمرابطين أثناء تنقلاتهم؟ فهل اقتصر الأمر على تنقلات فردية لزيارات أضرحة الأولياء والتبرك بها؟ أم تجاوزوها إلى مراسلات ومناظرات وتبادل للمصنفات الصوفية بين مريدو البلدين؟

2/- دوافع اختيار موضوع البحث:

من الأهمية بما كان أن نثير الانتباه في البدء بأن اختيار موضوع الصلات الحضارية بين الجزائر والمغرب الأقصى - مقارنة ثقافية - من منتصف القرن 17م إلى منتصف القرن 19م لم يتم مصادفة، وإنما فرضته مجموعة من الدواعي والمعطيات، فوجود مخلفات مادية لهؤلاء العلماء الذين كانوا جسورا للصلات الحضارية بين البلدين، وبالخصوص الرسائل والاجازات والمصنفات أغلبها مازال مخطوطا حبيس الخزائن الجزائرية والمغربية ينتظر الدراسة والتحقيق، وبذلك على الأقل سننوه ونحدد البعض من هاته الاسهامات وأماكن تواجدها عليها تجد من يطرق باب دراستها مستقبلا، كما أن أهمية الموضوع باعتباره يسלט الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ الثقافي لبلاد المغرب في العصر الحديث جعل اختيارنا له مبنيا على عوامل موضوعية تتعلق بضرورة البحث في تاريخ العلاقات المغربية البينية خلال العهد العثماني للوصول للنص

والمصدر المحلي الذي يعالج ويتطرق للثقافة الشعبية المهمشة تماما من طرف النص والمصدر الأجنبي، والذي يركز بشكل أكبر على الآداب والثقافة السلطانية.

وبعد تنقلنا للمغرب الأقصى في إطار تحضير رسالة الماجستير سنة 2012م اطلعنا على كم كبير من المخطوطات الجزائرية القيمة، فتولدت لدينا رغبة في طرق هذا الموضوع، ولما لا التفرغ مستقبلا لدراسة هذه المصنفات والمخطوطات، ووضع معجم وفهرس يشمل جميع المصنفات الجزائرية التي خلفها علماء الجزائر بمختلف الحواضر المغربية منذ العهد المريني إلى غاية استقلال الجزائر سنة 1962م.

3/- أهداف البحث:

يهدف موضوعنا هذا بدرجة أكبر للتعرف على أهم الأسباب والعوامل التي ساهمت في توطيد الصلات الحضارية بين الجزائر العثمانية والمغرب العلوي خاصة أن هذا الأخير كان الملجأ الآمن والمريح لأهالي الجزائر وعلمائها بعد دخول الاستعمار الفرنسي سنة 1830م، ومحاولة إحصاء وجرد وفهرسة مختلف المخطوطات التي تركها علماء البلدين أثناء تنقلاتهم بمختلف الخزائن والمكتبات في جل الحواضر التي زاروها ومكثوا بها، ومحاولة إبراز المميزات الشخصية الحضارية للفرد المغربي خلال العصر الحديث بعيدا عن الثقافة الوافدة، وولوج العلاقات الثنائية بين البلدين لما تحمله من عناصر الغموض والندية والتنافس والترابط والتعاون، وذلك من خلال التعمق في النصوص التي عالجت هذه القضية خاصة النصوص الرحلية والتراجمية، واستقراء مختلف المعارف التاريخية لتفكيك رموز ودلالات هذا التقارب والتواصل والتلاقح من منظور فكري ثقافي حضاري، وبأبعاد اجتماعية اقتصادية وسياسية عسكرية.

فإذا كانت العلاقات السياسية تساهم في تمتين عرى الصداقة بين الشعوب والأمم، والعلاقات الاقتصادية تقوم على تبادل المنافع والمصالح المادية، فإن العلاقات الثقافية تخترق تلك الحواجز التي تخلفها العلاقات السياسية والاقتصادية في بعض المراحل من توتر وخلاف بين حكام وساسة البلدين، كما جاء بحثنا هذا كمحاولة لرصد التطور والازدهار الثقافي والحضاري الذي شهدته بعض الحواضر الجزائرية والمغربية التي كانت بعيدة عن الأضواء السياسية وتقارير الرحلات الغربية، والغاية الأساسية والأسى لهذه الدراسة تكمن في إظهار مدى تمسك الشعوب بحبل التواصل والأخوة والاتحاد رغم المشاكل والعراقيل التي يثيرها الساسة والحكام، فتعنت هؤلاء انجر عنه أحقاد وخلافات بل وصل الأمر لصراعات عسكرية، والضحية الأكبر هم سكان المنطقة الذين حرموا من تشكيل كيانا سياسيا واقتصاديا موحدًا يضاهي ذلك الكيان المتواجد في شمال البحر المتوسط.

4/- المناهج المتبعة في البحث:

ولمعالجة مختلف الاشكاليات المطروحة سلفا وتحقيقا لمختلف الأهداف المسطرة، فقد اعتمدنا في بحثنا هذا على عديد المناهج العلمية بداية بالمنهج الوصفي التاريخي، والذي استعملناه في عرض مختلف الوقائع التاريخية ووصف الأحداث حسب تسلسلها الزمني، ودراسة الظروف التي عاشها علماء الجزائر والمغرب الأقصى في تلك الفترة، والمنهج التحليلي والذي اعتمدنا عليه في دراسة الوقائع ومناقشتها وتحليلها تحليلًا معمقًا واستخلاص مختلف الأحكام الجزئية والعمامة للبحث، بالإضافة إلى المنهج المقارن والذي وظفناه في عملية المقارنة بين درجة التأثير والتأثر التي خلفها كل من علماء الجزائر والمغرب الأقصى في حواضر البلدين، كما عملنا بالمنهج البنيوي الذي يعتمد على تفكيك المادة الخبرية المتواجدة بكتب الرحلة والتراجم وإعادة تركيبها وبنائها وفقا لخطة البحث، وأخيرا المنهج الاحصائي في تتبع مظاهر الصلات الحضارية بين البلدين من أعلام ومصنفات ورسائل واجازات وفتاوي ومناظرات.

5/- الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع البحث:

من خلال اشتغالنا على هذا الموضوع منذ سنة 2011م فقد قمنا طوال هذه المدة بعملية جمع واحصاء لمختلف الدراسات والمواضيع التي تقاطعت مع موضوعنا في مختلف الزوايا، وعبر مختلف الصيغ (علاقات، صلات، تفاعل، تواصل)، وفي مختلف العصور (القديم، الوسيط، الحديث، المعاصر)، وبمختلف الدراسات (كتب، مقالات، رسائل ماجستير، أطروحات دكتوراه)، وسنحاول حصر هذه المواضيع عبر الجدول التالي حسب التسلسل الكرونولوجي لصدور هذه الدراسات:

اسم الباحث	عنوان البحث	الإطار الزمني	نوع البحث	تاريخ صدوره
مولاي بلحميسي	الجزائر من خلال رحلات المغاربة	1830-1519م	كتابات	1981م
عمار بن خروف	العلاقات الجزائرية المغربية	القرن 16م	ر. ماجستير	1983م
قدور بوزياني	المغرب وباشوية الجزائر	1727-1650م	ط. دكتوراه	1988م
محمد س قاصري	العلاقات الجزائرية المغربية	1847-1830م	ر. ماجستير	2001م
محمد بن معمر	العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والمغرب والأقصى	القرنين 12-08م	ط. دكتوراه	2002م
زهراء النظام	العلاقات الجزائرية المغربية	القرن 16م	ط. دكتوراه	2003م
محمد أمطاط	الجزائريون في المغرب الأقصى	1962-1830م	ط. دكتوراه	2005م
هوارية بكاي	العلاقات الـزيانية المرينية	العصر الوسيط	ر. ماجستير	2007م
محمد س قاصري	المهاجرون الجزائريون بالمغرب	1930-1830م	ط. دكتوراه	2008م
عبد الله مقلاتي	العلاقات الجزائرية المغربية	1962-1954م	ط. دكتوراه	2008م
	دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار			

رشيد خالدي	الحركة العلمية بالمغرب الأقصى	القرنين 13-14م	ر. ماجيستير	2010م
ليلى غويبي	التفاعل الثقافي بين دول المغرب	1830-1519م	ر. ماجيستير	2011م
محمد يعيش	المهاجرون الجزائريون بالمغرب	1962-1919م	ط. دكتوراه	2011م
مريم سكاكو	مكانة علماء تلمسان بالمغرب الميرني	القرنين 14-15م	ر. ماجيستير	2011م
إدريس بوهليلة	الجزائريون في تطوان	القرن 19م	كتاب	2012م
هوارية بكاي	العلاقات السياسية والثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى	1554-1233م	ط. دكتوراه	2013م
مصطفى لغشيم	هجرة العلماء بين المغربين	القرنين 13-15م	ر. ماجيستير	2013م
البشير عمارة	التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب	القرن 17م	ر. ماجيستير	2014م
مسعود بقادي	علماء تلمسان وغريس بفاس	القرن 16م	ر. ماجيستير	2014م
عمر بن قايد	التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى - مقارنة اجتماعية ثقافية -	1830-1519م	ط. دكتوراه	2017م

من خلال تتبع مختلف المعطيات المعرفية التي تضمنها هذا الجدول الاحصائي لمختلف الدراسات التي تناولت موضوعنا من زوايا مختلفة نستنتج بأن عدد الدراسات التي أشارت لموضوعنا (الصلات بين الجزائر والمغرب الأقصى) تقدر بعشرون دراسة مختلفة وكانت على النحو التالي:

نوع الدراسة	عددتها	جزائرية	مغربية
الكتب	02 دراسات	01	01
رسائل الماجستير	09 دراسات	07	02
أطروحات الدكتوراه	09 دراسات	06	03
المجموع	20 دراسة	14	06

وفيما يخص الإطار الزمني للدراسة

الإطار الزمني للدراسة	عددتها
العصر الوسيط	08 دراسات
القرنين 16-17م	04 دراسات
القرنين 17-18م	دراسة واحدة
1830-1518م	دراسة واحدة
1962-1830م	06 دراسات

من خلال المعطيات المقدمة في هذه الجداول الثلاث نستنتج بأن الدراسات التي تناولت موضوعنا بصفة مباشرة هي ثلاثة دراسات أساسية وتتمثل في: كتاب للدكتور مولاي بلحميسي صدر سنة 1981م وعنوانه بالجزائر من خلال رحلات المغاربة حيث تناول فيه وضع الجزائر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي خلال العهد العثماني من خلال وصف أربعة رحلات مغربية وهي رحلة علي التمجروتي ورحلة ابن زاكور الفاسي ورحلة أبو القاسم الزياني ورحلة أبو سالم العياشي، وتعتبر هذه الدراسة أولى المحاولات التي تناولت موضوع العلاقات الثنائية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث إلا أن الدراسة يغلب عليها الطابع الوصفي لمختلف المحطات الجزائرية التي مر بها هؤلاء الرحالة المغاربة من دون تحليل ولا استنتاج، والدراسة الثانية كانت للباحثة ليلى غويبي أين تطرقت لموضوع التفاعل الثقافي بين دول المغرب خلال العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، والدراسة عبارة عن رسالة ماجستير قدمتها بجامعة الجزائر سنة 2011م. وقد تطرقت في هذه الدراسة للتواصل الثقافي بين بلدان المغرب (المغرب الأقصى، الجزائر، تونس، ليبيا) من خلال نظرة جزائرية خالصة، بينما يتناول بحثنا موضوع التأثير والتأثر بين الجزائر والمغرب الأقصى اعتمادا على مختلف المصادر الجزائرية والمغربية والغربية.

أما الدراسة الثالثة فهي تخص الباحث عمر بن قايد وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه ناقشها سنة 2017م بجامعة غرداية وعنوانها بالتواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني - مقارنة ثقافية اجتماعية - ، وقد حاولنا الحصول على هذا العمل من دون جدوى إلى غاية شهر أكتوبر من سنة 2018م أين تحصلنا على نسخة للأطروحة من خلال الدكتور خليفة حماش والذي كان عضو بلجنة المناقشة، وخلال هذه الفترة كنا قطعنا نسبة 95 بالمائة من البحث، وقد تناول الباحث عمر بن قايد موضوع العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة العثمانية (1519-1830م) بمقاربة ثقافية اجتماعية بينما يتناول بحثنا فترة (1630-1830م) بمقاربة ثقافية، وقد صدر هذا العمل في حدود 478 صفحة أين ركز فيه الباحث بشكل أكبر على التواجد الثقافي الجزائري بالمغرب الأقصى بينما كان الاسهام المغربي بالمدن والحوضر الجزائرية قليل.

6/- بنية البحث ونقد المادة المعتمدة:

لتناول موضوع الصلات الحضارية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث كان من الضروري بمكان أن نعرض في الفصل التمهيدي على الأوضاع السياسية والثقافية للبلدين، أين تطرقنا في العنصر الأول للعلاقة السياسية بين الجزائر العثمانية والمغرب العلوي، فكلما كانت هذه العلاقة قوية تكون معها الصلات الثقافية أقوى، ويتجسد أكثر في تنقلات العلماء والطلبة والمصنفات بحرية مطلقة، والعكس لما تكون العلاقات متوترة ومضطربة بين حكام البلدين أين تخفت حركة الطلبة والعلماء بحكم أن النخب في غالب الأحيان تكون على موقف حكامها وتتخندق معها، وانتقلنا في العنصر الثاني للوضع الثقافي

بالبلدين، وقد ساهمت هذه القضية بشكل كبير في هجرة علماء الجزائر نحو المغرب الأقصى بسبب التحفيزات والامتيازات العديدة التي تحصلوا عليها بمجرد وصولهم للمغرب الأقصى وكانت شبه غائبة في بلدهم.

إن ملامسة البعض من جوانب هذا الفصل تطلب منا البحث والتقصي والانفتاح على مظان مختلفة من المصادر والمراجع، وقد حاولنا قدر المستطاع إعمال نوع من الموازنة بين المصادر والمراجع الجزائرية والمغربية وحتى العربية والأجنبية التي تطرقت لهذه الجزئية، ففي الجانب الجزائري اعتمدنا لرصد التاريخ السياسي والثقافي على كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية لمحمد بن ميمون الجزائري وتاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله، والدخول العثماني للجزائر لمحمد دراج، بالإضافة إلى كشافات الوثائق المرتبطة بتاريخ الجزائر الحديث التي أعدها خليفة حماش والمتمثلة بالخصوص في كشاف وثنائق تاريخ الجزائر بالمغرب - المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط -، وكشاف وثنائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن، هذه الكشافات ساعدتنا بشكل كبير في الاطلاع على كم كبير من الوثائق الغربية والمغربية حول موضوعنا.

وإذا انتقلنا للجانب المغربي فقد وظفنا كتاب البستان الزريف في دولة أولاد مولاي الشريف لأبو القاسم الزباني، والعلائق السياسية للدولة العلوية لعبد الرحمن بن زيدان، والحلل الهية في ملوك الدولة العلوية لمحمد المشرفي، وتاريخ الدولة العلوية السعيدة لمحمد الضعيف الرباطي، والمجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفية لآسيا البلغيثي، وجولات تاريخية لمحمد حجي، وفي عنصر العلاقات السياسية بين البلدين وظفنا كل من دراسة المغرب والباب العالي من منتصف القرن 16م إلى منتصف القرن 18م لعبد الرحيم بنحادة، والعلاقات الجزائرية المغربية خلال القرن 16م لزهراء النظام، والبعد الحدودي في علاقة المغرب بالجزائر لحدود بوزيان، وجذور علاقة المغرب بالجزائر لعمر بوزيان هذا في الجانب المغربي، ومن الجانب الجزائري أعملنا دراسة العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 16م لعمار بن خروف، ومسألة الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى لجلول مكي، ومن الدراسات العربية والأجنبية وظفنا دراسة المغرب العربي قبيل احتلال الجزائر لفلنزي لوسات، والمغرب العربي الحديث من خلال المصادر لدلندة الأرقش وأخران.

وانتقلنا في الفصل الأول للعوامل التي تحكمت في الصلات الحضارية بين البلدين، بداية بالعامل الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي فوحدوية الجغرافيا والمناخ والغطاء النباتي ساهم في خلق فضاء مشترك وجدت الأسر والقبائل ضالتها فيه من خلال التنقل بحرية مطلقة وخصوصا في النقاط الحدودية بين البلدين، وهو ما ساهم في انتقال العلماء والطلبة مع هذه القبائل وخلق جسور ثقافية بين البلدين، كما

تجسد هذا التماثل الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي في القوافل التجارية المتنقلة بين البلدين، ولا يخفى على أحد بأن القوافل التجارية لم تكن تخلوا من العلماء وطلبة العلم حيث يستغلون هذه التنقلات والمحطات في مد جسور التواصل مع علماء وطلبة تلك الحواضر، وفي العنصر الثاني تناولنا فيه العاملين التاريخي والسياسي، فالعادات والتقاليد والهوية والمصير المشترك بين البلدين من تماثل العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي واللسان العربي والبربري والكيانات السياسية المشتركة كالمرابطين والموحدين ساهم بشكل كبير في تسهيل حركة التنقل والهجرة بين البلدين بشكل سلس، فالعالم الجزائري كان يتنقل بحرية مطلقة بين الحواضر المغربية ولا يحس أبدا بأنه في مدينة ووطن غريب عن عاداته وتقاليده وهويته ونفس الشيء بالنسبة للطلبة والعلماء المغاربة.

وختمنا الفصل بالتطرق لدور ركب الحج المغربي في الحركة الثقافية والعلمية بين البلدين، فهذه القوافل المغربية التي كانت تجوب الحواضر الساحلية والداخلية والصحراوية الجزائرية ذهابا وإيابا نحو الحجاز كانت تلقى تجاوبا كبيرا من قبل طلبة وعلماء الجزائر الذين ينتظرون هذا الركب بشوق كبير، وفي جمعيتهم مسائل فقهية وعلمية وبأيديهم مصنفات تنتظر تجاوب من الطرف الآخر، وينتظرون كل جديد علمي من خلال مصنفات ورسائل واجازات تمنح لهم من قبل أعلام المغرب الأقصى، وللإلمام بمختلف جوانب وحيثيات هذا الفصل اعتمدنا على مجموعة من الدراسات الجزائرية والمغربية، ففي الجانب الجزائري عملنا بدراسة مدخل إلى تاريخ المغرب العربي والتجارة الخارجية للشرق الجزائري لمحمد العربي الزبيري، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية بين القرنين 16-19م لناصر الدين سعيدوني، ووحدة المغرب العربي لمحمد الطاهر عزوي، وذلك من أجل تغطية العوامل الاقتصادية والطبيعية المؤثرة في التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى.

وفي الجانب المغربي اعتمدنا على دراسة العناصر الحقيقية لإقليمية المغرب العربي لمحمد أحمد الغربي، وقراءة في تاريخ المغرب العربي لعبد الكريم غلاب، وقبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور، والأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب لمحمد رزوق، ومن حديث الركب المغربي لمحمد المنوني، والرحلة الحجية مصدرا من مصادر التاريخ الاجتماعي المغربي لعبد الرحمن المودن، وذلك من أجل إبراز العوامل الاجتماعية والتاريخية والسياسية في الصلات الحضارية وكذلك الدور الحضاري لركب الحج المغربي، وفي الفصل الثاني تناولنا أبرز الحواضر الجزائرية والمغربية التي كانت شاهدة على مد جسور الصلات الحضارية بين أعلام البلدين، حيث عرجنا في العنصر الأول للأسباب الرئيسية التي كانت وراء تنقلات العلماء والطلبة وموقف حكام البلدين منها بين المشجع والمحفز والمحتوي لها، وبين المنفر والمعادي لها لما يشكله العلماء والشيوخ من سلطة روحية لدى العامة.

وفي العنصر الثاني فصلنا في الحواضر المغربية التي احتضنت علماء وطلبة الجزائر خلال هذه الفترة حيث قسمناها إلى حواضر ساحلية كتطوان وسلا وطنجة وسبتة، وحواضر داخلية كفاس ومكناسة ووجدة، وحواضر صحراوية كمراكش ودرعة وتارودانت وسجلماسة، ولعل المكانة السياسية لهذه الحواضر كان العامل الأبرز في تحديد وجهة أعلام الجزائر، وبالأخص مكناسة وفاس ومراكش وسجلماسة باعتبارها عواصم للدول الوطاسية والسعدية والعلوية، وإذا انتقلنا للحواضر الجزائرية فإننا نجد بأن ركب الحج المغربي ومساره ساهم بشكل كبير في احياء بعض المدن وقبر مدن أخرى، ففي الحواضر الساحلية كانت مدينة الجزائر في طليعة المدن التي استقبلت واستقطبت طلبة وعلماء المغرب الأقصى بحكم أنها مركزا لدار السلطان، وبدرجة أقل عنابة وبجاية وتلمسان والتي كانت مجرد محطات لزيارة مختلف الشواهد التاريخية بالنسبة لأعلام المغرب الأقصى، ولم تظهر مدينة وهران للساحة إلا مع تحريرها من الاحتلال الاسباني سنة 1792م.

وبالنسبة للحواضر الداخلية شكلت قسنطينة تلك المحطة والوجهة المغربية لعلماء المغرب الأقصى لمكانتها السياسية من جهة باعتبارها عاصمة لبايلك الشرق، ومن جهة ثانية الحركية الثقافية التي كانت تدب بالمدينة، والتي ساهمت فيها بشكل أكبر الأسر والعائلات القسنطينية، وبالأخص عائلة الفكون التي كانت تستقبل هؤلاء العلماء بزاوية ومكتبة الأسرة، كما عرفت منطقة زاوية ومعسكر ومليانة زيارات معتبرة لأعلام المغرب الأقصى لاعتبارات سياسية وتاريخية وثقافية، وإذا انتقلنا للحواضر الصحراوية فان مدن بسكرة وواحاتها والأغواط وعين ماضي وبوسمغون وتوات ووادي سوف والساورة عرفت مرور العشرات والمئات من علماء المغرب الأقصى أغلبها في إطار الرحلات الحجازية، وقد قرر العديد من هؤلاء المكوث والاستقرار هناك لما لقوه من ترحاب وكرم وسخاء وسماحة ساكنتها.

وبالنسبة للمادة العلمية التي غطت لنا هذا الفصل، فقد اعتمدنا على بعض الدراسات المتخصصة في الرحلة لتغطية عنصر ماهية وأنواع الرحلة والهجرة بداية بكتاب أدب الرحلات لمحمد حسين فهميم، والرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري لسامية أنساعد، وإذا انتقلنا للمادة التي غطت لنا العنصر المتعلق بالوجود الجزائري بالحواضر المغربية، فقد اعتمدنا فيه على بعض الرحلات وكتب التراجم وكتب التاريخ والمونوغرافيات، بداية برحلة عبد الرزاق بن حمادوش المسماة بلسان المقال، وفتح الاله وعجائب الأسفار لمحمد أبو راس الناصري العسكري، ومقيدات تارودانت لمحمد ابن الوقاد التلمساني، والبستان لابن مريم، وبعض الدراسات الحديثة كهجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني لكمال فيلال، والعلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين 10-20م لعمار هلال، بالإضافة إلى بعض الدراسات المغربية التي غطت لنا بعض من الجوانب الغير موجودة في المادة الجزائرية كجامع القرويين لعبد الهادي التازي أين زدنا بمعلومات وافية حول أعلام الجزائر الذين مروا على هذا المسجد العريق وتولوا به

مناصب مختلفة بين التدريس والامامة والافتاء والقضاء والخطابة، بالإضافة إلى بعض كتب التراجم كطبقات محمد الحضيكي، والفهرس لأحمد المنجور، ونيل الابتهاج لمحمد القادري، وسلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني، وجذوة الاقتباس لأحمد ابن القاضي.

وإذا انتقلنا للعنصر المرتبط بالوجود المغربي بالحواضر الجزائرية فقد اعتمدنا فيه على بعض المصادر الجزائرية كمنشور الهداية لعبد الكريم الفكون، والتعريف ببونة والفتاوى والاجازات والدرة المصونة لأحمد بن قاسم البوني، وتقييدات ابن المفتي، ونزهة الأنظار للحسين الورثيلاني، أما المادة المهمة لتناول انتقال العلماء المغاربة للجزائر فقد حصلنا عليها من كتب الرحلة المغربية بداية بماء الموائد لعبد الله العياشي، وأنس الساري والسارب لمحمد السراج، ونشر أزهير البستان لمحمد بن زاكور، ووصف إفريقيا لحسن الوزان، والترجمانة الكبرى لأبو القاسم الزياني، والرحلة الحجازية لمحمد الحضيكي، ورحلة المعلى والرقيب لمحمد المكناسي، والنفحة المسكية لعلي التمجروتي، وفتح مدينة وهران لعبد الرحمن الجامعي، ورحلة ابن الطيب لمحمد الطيب الفاسي، كما استنجدنا ببعض الدراسات الحديثة التي تطرقت للرحلات المغربية نحو الحجاز وانعكاسها الثقافي على الجزائر خلال العهد العثماني، ونخص بالذكر أدب الرحلة في المغرب لعبد الله المرابط الترغي، والرحلة المغربية والشرق العثماني لمصطفى الغاشي.

وعرجنا في الفصل الثالث لمظاهر الصلات الحضارية بين البلدين بداية بانتقال المصنفات والكتب العلمية، والتي تتنوع بين العلوم العقلية والعلوم الدينية والعلوم الأدبية مروراً بتبادل الرسائل والاجازات وصولاً لإقامة المناظرات والمساجلات العلمية، وإذا كانت الحواضر المغربية عرفت حركة كبيرة وزخم معتبر من هذه المساجلات والمصنفات والرسائل والاجازات الجزائرية بحكم التواجد الكبير والمكثف لعلماء وطلبة الجزائر هناك، فإنه من النادر أن تصل مصنفات ورسائل واجازات مغربية أو تقام مساجلات علمية بالحواضر الجزائرية، وقد طعمنا هذا الفصل بعدد الدراسات المتنوعة بين المصادر والمراجع والدوريات الجزائرية والمغربية.

ففي الدراسات الجزائرية اعتمدنا على كتاب الحلل السندسية في أخبار وهران والجزيرة الأندلسية لمحمد أبي راس الناصري العسكري، والفهرس لعمر بن عبد القادر التواتي، ومعلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث لبشير ضيف، والجزائر من خلال رحلات المغاربة لمولاي بلحميسي، ومن التراث التاريخي والجغرافي لناصر الدين سعيدوني، وإذا انتقلنا للدراسات المغربية فقد اعتمدنا كتاب إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والاسناد لعبد القادر الكوهن، ورحلة الرحلات لعبد الهادي التازي، ومعطيات الحضارة المغربية لعبد العزيز بن عبد الله، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سوادة، وقد أفادتنا هذه الدراسات في تتبع مختلف المصنفات والرسائل والاجازات والمناظرات التي كانت متداولة بين أعلام البلدين.

وفي الفصل الرابع والأخير خصصناه لتنقلات المتصوفة والطريقة وهي المعروفة بالرحلات الروحية، والتي تقوم أساسا على زيارة الأولياء والتبرك بهم أحياء وبأضرحة من توفي منهم، حيث تطرقنا في العنصر الأول من الفصل إلى نشأة التصوف بالجزائر والمغرب الأقصى، وعلاقة السلطة الحاكمة بالبلدين بهؤلاء المرابطين والمتصوفة، والتي تتنوع بين التحالف والموالات تارة، والتخاصم والصراع تارة أخرى، وفي العنصر الثاني تناولنا مظاهر وأشكال التنقل الصوفي الجزائري نحو الحواضر المغربية بداية بتنقلات المرابطين والمتصوفة في شكل فردي وجماعي، وتنقلات الطرق الصوفية سواء ذات النشأة الجزائرية الخالصة كالطريقة التيجانية والرحمانية والمليانية والشيخية أو الدخيلة عن الجزائر كالطريقة الشاذلية والنقشبندية والمولوية والبكداشية، وأخيرا تطرقنا للأدب الصوفي الجزائري الذي وصل للمدن والمراكز المغربية، كالمصنفات والرسائل والإجازات وحتى بعض المناظرات والمساجلات الصوفية التي قادها متصوفة جزائريون هناك.

وإذا انتقلنا للجانب المغربي فقد تناولنا أيضا المحطات التي قام بها متصوفة المغرب الأقصى بالجزائر، وأهم الزوايا والأضرحة والعمران الصوفي المقصود من قبل هؤلاء، كما فصلنا في الطرق الصوفية المغربية التي وفدت على التراب الجزائري، وتمكنت في ظرف وجيز من التمدد والانتشار الكبير داخل التراب الجزائري، كالطريقة الشاذلية والزينانية والطيبية بل وحتى لعب بعض الأدوار السياسية التي كانت قاب قوسين أو أدنى من إسقاط الحكم العثماني بالجزائر ونقصد بها الطريقة الدرقاوية، كما تناولنا أيضا بعض من الأدب الصوفي المغربي الذي انبثق عن هذه الزيارات والسفارات الروحية في شكل مصنفات ورسائل وإجازات، ولتغطية المادة العلمية لهذا الفصل اعتمدنا على عديد الدراسات المتنوعة بداية بالدراسات الأجنبية كالأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الإسلام لشيمل أنا ماري، وكتاب الصلحاء لإدموند دوتي، مروراً بالدراسات الجزائرية التي تناولت نشأة التصوف بالجزائر، والمراحل التي مر بها التصوف خلال العهد العثماني، وعلاقة المتصوفة بالسلطة الحاكمة، وأبرز الطرق الصوفية الجزائرية التي انتقلت للمغرب الأقصى، والطرق الوافدة من المغرب على الجزائر بداية بالحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 14-15م للظاهر بونابي، والطرق الصوفية والزوايا بالجزائر لصالح مؤيد العقبي، وأعلام التصوف في الجزائر لعبد المنعم الحسني القاسمي، والتصوف في بلاد المغرب العربي لبلحيا بوداوية، والأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني لعبد القادر صحراوي.

ومن المصادر اعتمدنا على سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة لمحمود ابن المطماطية، والآداب المرضية لسالك طريق الصوفية لمحمد البوزيدي المستغاني، والمواهب القدوسية في المناقب السنوسية لمحمد الملاي، وإذا انتقلنا للدراسات المغربية فقد عملنا بدراسة معلمة التصوف الإسلامي لعبد العزيز بنعبد الله، والزوايا الدلائية لمحمد حجي، ومؤسسة الزوايا بالمغرب لمحمد ضريف، والحركة

العياشية لعبد اللطيف الشاذلي، ومظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي لحسن جلاب، ومن المصادر اعتمدنا على النصيحة الكافية لأحمد الزروق الفاسي، والمستفاد في مناقب العباد لمحمد التميمي، وذلك من أجل إبراز مراحل نشأة التصوف بالمغرب الأقصى، وعلاقة المرابطين والمتصوفة بالسلطين السعديين والعلويين، وأبرز الطرق الصوفية المغربية التي انتقلت للجزائر، وفي المقابل أهم الطرق الصوفية الجزائرية التي وصلت للتراب المغربي وأبرز مراكز انتشارها هناك.

7/- العراقيل التي واجهتنا في اتمام البحث:

كبقية البحوث الأكاديمية واجهتنا مجموعة من العراقيل في اتمام هذا العمل المتواضع، فظروف العمل الغير مساعدة للباحث بحكم اشتغالنا في قطاع التربية كأستاذ للتعليم المتوسط، وما يتطلبه من تحضير وجدية وتعامل خاص مع التلاميذ في ظل التغييرات العشوائية والمستمرة والغير ممنهجة للبرامج والمناهج والكتب المدرسية، والتي تحتم على الأستاذ التأقلم والتكيف مع هذه المناهج الجديدة دوريا، كما أن موضوع بهذا العنوان الذي يكتسي الطابع الحضاري والفكري بتوابل سياسية لشيء عسير خصوصا أنه يتطلب عدد معتبر من الوثائق والمخطوطات والمصادر الأرشيفية المرتبطة بالعلاقات الثنائية سواء الرسمية أو الشعبية، ويمر هذا حتما بزيارة مختلف المكتبات والخزائن المغربية والجزائرية واقتفاء أثر المصنفات والمخطوطات التي تركها علماء البلدين.

فرغم زيارتنا للمغرب الأقصى وبعض حواضره التي شهدت استقطابا لأعلام الجزائر إلا أنها كانت زيارة قصيرة، كما توجد مسألة تقنية تتعلق بالحدود بين البلدين والتي يشوبها الكثير من التعقيد ويصعب على الباحث التعمق والبت فيما لعدم استقرارها نتيجة للحراك المستمر للقبائل والعلماء والقوافل من جهة، وكذا التشابك الموجود في المادة المعرفية المقدمة من مؤرخي البلدين من جهة ثانية، وهذا ما عمق الهوة أكثر من دون أن ننسى تداخل وتشعب مجالات المعرفة التاريخية بين: المعرفة والمجتمع، المعرفة والسياسة، المعرفة والشريعة، ولا نخفي سرا بالإقرار أن نقص تكويننا في مجال دراسة وتحقيق المخطوطات فوت علينا فرصة كبيرة في استغلال المادة الخبيرة الضخمة المتوفرة في مختلف المكتبات التي اطلعنا عليها بالمغرب الأقصى المخلفة هناك من قبل أعلام الجزائر خلال العهد العثماني، وسنعمل المستحيل لتدارك هذا النقص لاحقا بحول الله.

فصل تمهيدي:

الأوضاع السياسية والثقافية بالجزائر والمغرب الأقصى

- I- العلاقات السياسية بين البلدين وأثرها الثقافي
- II- الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية
- III- الحياة الثقافية بالمغرب العلوي

1- العلاقات السياسية بين البلدين وأثرها الثقافي:

إن انضمام كل من الحجاز والشام والعراق ومصر والجزائر ثم طرابلس الغرب وتونس في وقت لاحق للخلافة العثمانية كان لابد أن يتعزز بضم المغرب الأقصى كي تكتمل السيادة العثمانية على الأقطار العربية من الخليج إلى المحيط¹، فماهي الأسباب التي كانت وراء المساعي الحثيثة للسلطين العثمانيون من أجل عثمنة المغرب الأقصى؟ وهل سارت الأمور كما كان مخطط لها؟ وكيف كان موقف السلطين السعديون والعلويون ومن ورائهم ساكنة المغرب الأقصى من مشروع الخلافة العثمانية؟

أولاً/- البيلربايات والسعديون بين التصعيد والتهدئة:

بعد انتصاب الحكم العثماني بالجزائر سنة 1519م والتحاق كل من طرابلس الغرب سنة 1556م وتونس سنة 1574م بالركب لم يبق في منطقة المغرب سوى المغرب الأقصى، وبذلك فقد سعى السلطين الأتراك عن طريق بيلربايات الجزائر إلى عثمنة المغرب الأقصى لعدة اعتبارات بداية بالموقع الجغرافي والاستراتيجي للمغرب الذي يسمح للدولة العثمانية من الولوج للمحيط الأطلسي، ولما لا الوصول للسواحل الغربية للقارتين الأوروبية والافريقية ومزاحمة الغرب في اكتشاف العالم الجديد²، كما أن وقوع العديد من الثغور المغربية تحت رحمة العدو الاسباني والبرتغالي مقابل ضعف بني مرين ومن بعدهم بني وطاس في استرجاع هذه الثغور حفز الأتراك على المضي في مشروع حمل لواء الجهاد واسترجاع مختلف الثغور الاسلامية من أيدي المسيحيين، ولما لا اعتماد السواحل المغربية نقطة ارتكاز وانطلاق في مشروع استعادة الأندلس من أيدي الاسبان والبرتغاليين³، لكن السؤال الذي ظل يطرح نفسه بقوة هو لماذا رفض المغاربة وعلى رأسهم السلطين السعديون فكرة عثمنة المغرب الأقصى والاقتراء بجيرانهم الجزائريون والتونسيون والليبيون؟

* رياس البحر وفكرة عثمنة المغرب الأقصى:

تضاربت الدراسات المغربية على مر الأجيال والعقود حول أسباب رفض المغرب الأقصى الانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية، فكانت جل هذه الدراسات تنطلق من فكرة النسب الشريف للسعديين يجعلهم الأحق بالخلافة من الأتراك⁴، كما تشير بعض الدراسات الأخرى بأن المشروع العثماني لتوحيد الأقطار العربية تحت

¹ قدور بوزياني: (البعد الحدودي في علاقات المغرب بالجزائر خلال القرنين 10-11هـ)، مجلة مكناسة، ع08، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مكناس، المملكة المغربية، 1994م، ص71.

² عبد الفتاح الغنيبي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج6، مكتبة مدبولي للنشر، مصر، 1994م، ص296-297.

³ زهراء النظام: (العلاقات المغربية التركية وتطورها عبر التاريخ)، مجلة التاريخ العربي، ع48، جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 2009م، ص245.

⁴ عمر بنميرة: الثقافة والفقہ والمجتمع - نماذج من المغرب الوسيط -، ط1، وزارة الثقافة، المملكة المغربية، 2006م، ص118. فهد بن محمد السويكت: (مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية)، مجلة جامعة الملك سعود، ع19، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2006م، ص181-182.

رأية واحدة اصطدم بمشروع السعديون الرامي لتوحيد أقطار المغرب تحت رايهم متخذين من التجربة الموحدية قدوة لهم، وأن الأتراك العجم بعيدين كل البعد عن فهم المنظومة المغاربية المبنية على الهوية الأمازيغية واللغة العربية والمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية¹، ولا يمكن أيضا تجاهل القوى الغربية المسيحية المتمثلة في اسبانيا والبرتغال وفرنسا وإنجلترا، والتي كانت تغذي الصراع والخلاف بين الجزائر والمغرب الأقصى وتمنع مشروع عثمانة هذا الأخير لعديد الاعتبارات أهمها منع تحالف إسلامي في شمال إفريقيا، وبذلك منع إعادة مشروع المرابطين والموحدين وكابوس الأندلس².

وانطلاقا من هذه المعطيات فقد تمسك السعديون ومن بعدهم العلويون بحقهم الشرعي في خلافة المسلمين لما يتوفرون عليه من أحقية الشرف والانتماء للبيت القرشي لكن العديد من ملوك المغرب كانوا يحترمون السلاطين العثمانيين، وبالخصوص بعد ضم كل من مكة والمدينة المنورة وحملهم لقب خادم الحرمين الشريفين، وفي المقابل فان السلاطين العثمانيين تعاملوا بحزم شديد مع السلاطين المغاربة الذين قللوا من احترامهم للسلطنة العثمانية، ونخص بالذكر محمد الشيخ السعدي الذي كان يلقبهم بسلاطين الحوارة أو سلاطين القوارب، وهي إهانة كبيرة حتى الملوك الأوروبيون لم يستعملوها، وهو ما عجل باغتياله وكانت نهايته مأساوية عكس أحمد المنصور الذي استعمل مصطلح الخليفة والسلطان لكن دون التقليل من احترام السلاطين الأتراك³.

إن مساعي وتمنيات السلاطين الأتراك في مشاهدة المغرب الأقصى ضمن دول الخلافة تجسدت في محاولات أتباعهم بالجزائر - البيلربايات -، وكانت البداية مع صالح رايس فبعد وصوله للسلطة سنة 1551م قام باستقبال فلول الوطاسيين الفارين من بطش محمد الشيخ السعدي بل زوج ابنته لأبي بكر بن أحمد الوطاسي⁴، وقرر في سنة 1554م السير برفقة أبو حسون الوطاسي⁵ بجيش قوامه ثمانية آلاف جندي مستعينا ببقايا المرينيين والوطاسيين المضطهدين داخل المغرب الأقصى من طرف السعديون، وتمكن من

¹ محمد رزوق: (التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي)، المجلة التاريخية المغربية، ع63-64، ص18، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1991م، ص365-366.

² الصالح كليل: سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2007م، ص182.

³ محمد حجي: (حملة المنصور وهاجس الخلافة)، ضمن أعمال ملتقى المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص27-30.

⁴ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 16م، دار الأمل، الجزائر، 2008م، ص120-122.

⁵ أبو حسون الوطاسي: هو علي بن محمد الوطاسي ويلقب بأبو حسون ثالث ملوك بني وطات، ولما دخل السعديين لفاس سنة 1549م فر إلى إسبانيا فوقع أسيرا لدى السفن الجزائرية فتوطدت علاقته بصالح رايس ونصبه مالكا على فاس سنة 1554م، وبعد عودة صالح رايس للجزائر أغار محمد الشيخ على فاس وتمكن من قتل أبو حسون، أنظر: (محمد حجي: ألف سنة من الوفيات (جمع وتحقيق ثلاث كتب: شرف الطالب في أسنى المطالب، وفيات الوثنرسي، لقط الفرائد من لفاظة حقي الفوائد)، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1976م، ص304، خير الدين الزركلي: الأعلام، ج5، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ص11-12).

الدخول لمدينة فاس ومكث بها لمدة أربعة أشهر، وبعد تنصيبه لأبو حسون ملكا عليها إثر فرار محمد الشيخ السعدي لمدينة مراكش عاد صالح رايس أدراجه للجزائر¹.

لقد اعتقد محمد الشيخ السعدي بأن ذهاب صالح رايس من على رأس إيالة الجزائر سيفتح له الباب لتجسيد مشروع الخلافة السعدية على منطقة المغرب حيث تجرأ في الزحف على مدينة تلمسان سنة 1557م هذه الخطوة قابلتها الدولة العثمانية بتعيين الرجل القوي حسن باشا بن خير الدين على حكم الجزائر، والذي حرك حامية عسكرية نحو تلمسان وتعقب محمد الشيخ داخل الأراضي المغربية إلى غاية مدينة فاس، ودخل الطرفان في معركة قرب وادي اللبن كانت كفة الانتصار تميل للسعديين فانسحب حسن باشا مع جيشه خوفا من وصول الدعم الاسباني²، كما قام حسن باشا أيضا باستقبال الأمراء الثلاثة الفارين من أخيم عبد الله الغالب سنة 1557م، وقام بتزويج ابنته زهرة بعبد الملك السعدي³، وقد هدأت الأمور بين الطرفين إلى غاية تولى علق علي⁴ السلطة بالجزائر ما بين (1568-1572م)، والذي جاء بمشروع توحيد أقطار المغرب من جهة وفتح الأندلس من جهة ثانية، ولا يكون ذلك إلا بشن حملة عسكرية قوية على المغرب الأقصى وإنهاء السجال بين الطرفين بصفة دائمة لكن مشروعه تلاشى بعد استدعائه من طرف السلطان العثماني سليم الثاني⁵.

فقد كان علق علي من كبار رياس البحر الذين رسموا خطة ومشروع لتوحيد أقطار المغرب حيث وجه أنظاره للمغرب الأقصى وقرر وضع حد لطموح السعديين المتزايد في التمدد على حساب الدولة العثمانية، وهو ما جعلهم يتحالفون في عديد من المرات مع اسبانيا التي تعتبر العدو الرئيس للمسلمين في غربي البحر المتوسط، ورغم أن هذا المشروع يعود لخير الدين بربروس وصالح رايس لكن نظرة علق علي تختلف عنهما،

¹ أوغست كور: دولة بني وطاس 1420-1554م، ترجمة محمد فتحة، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2010م، ص 136-139، عبد الرحيم بنحادة: (الدخول التركي إلى مدينة فاس بين الوثائق الإسبانية والوثائق العثمانية 1554-1576م)، ضمن أعمال ندوة العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2005م، ص 11-34، عزيز سامح أتر: الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 1989م، ص 189-191.

² يوسف بنوجيت: قلعة بني عباس ابان القرن السادس عشر للميلاد، ترجمة سامية سعيد عمار، دار دجلب، الجزائر، 2007م، ص 116، ابن المفتي: التقييدات، جمعها واعتنى بها فارس كعوان، ط1، منشورات بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ص 41-42.

³ كمال النفاع: (أمير سعدي في جزائر النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي عبد الملك بن محمد الشيخ)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص 355-356، عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 120-122.

⁴ علق علي: إسمه الأصلي لوقا قاليبي ولد سنة 1500م بقرية ليكاستيلي بصقلية جنوب إيطاليا أسرع عام 1520م، وأسلم على يد حسن بن خير الدين فأختار اسم علي، وتولى حكم الجزائر ما بين (1568 - 1571م) ثم عين على رأس الأسطول العثماني وتوفي سنة 1587م، أنظر: (سلفاتور بونو: العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي، ترجمة أبو القاسم سعد الله، مجلة الأصاله، س1، ع6، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972م، ص 100-102).

⁵ سليم الثاني: هو السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان القانوني ولد سنة 1533م وتولى الخلافة سنة 1566م، ودام في الحكم إلى غاية وفاته سنة 1574م عرفت الدولة العثمانية في وقته أزهى فترات التوسعية، أنظر: (محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط12، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2012م، ص 253-254).

وذلك من خلال بروز مؤشرات حول استقلاله عن الدولة العثمانية، وقد كان هذا المشروع يخيف السعديون من جهة والقوى المسيحية من جهة ثانية حيث التقى بابا الكنيسة بالكاردينال ألكسندريني واقترحا على فليب الثاني البحث عن إغراء لهذا البايبرباي الطموح من خلال إهداء جزيرة صقلية له لكن خشية السلطان العثماني منه كانت أكبر بسبب طموحاته المتزايدة في غرب البحر المتوسط، وهو ما جعله يستدعيه لشؤون الأبرالية العثمانية بشرق البحر المتوسط¹.

وبعد وفاة السلطان السعدي عبد الله الغالب سنة 1574م وتولي ابنه محمد المتوكل للخلافة قرر أبناء محمد الشيخ الثلاثة المرابطين بالجزائر زيارة الأستانة وملاقاء السلطان مراد الثالث لطلب مساعدة عسكرية واستعادة السلطة من ابن أخيه محمد المتوكل²، وهو ما تم حيث أمر السلطان العثماني حاكم الجزائر رمضان باشا بتجهيز حملة عسكرية والتوجه بها للمغرب الأقصى حيث تحرك الجيش العثماني برفقة أبناء محمد الشيخ، ودخلوا في معركة حامية الوطيس مع محمد المتوكل سنة 1576م انتهت بهزيمة هذا الأخير وتنصيب عبد الملك المعتصم حاكما على المغرب الأقصى مقابل دفع تكاليف الحملة لرمضان باشا³، والتي قدرت بحوالي خمسين ألف أوقية ذهبية⁴، وتجمع المصادر والمراجع المغربية بأن صالح رايس وعلج علي ورمضان باشا من أكبر الرجال الذين شكلوا خطرا على عرش سلاطين المغرب السعديون، فقد وصلوا لمدينة فاس مرتين وتمكنوا من اغتيال أشهر سلاطين الدولة - محمد الشيخ -، وبغزل هؤلاء من عرش الجزائر استراح المغاربة من مشروع العثمنة نهائيا⁵.

من الأسباب التي ساهمت في تأجيج العلاقات الجزائرية المغربية خلال العهد السعدي هو إيواء كل منهما لمعارضتي الطرفين الآخر، فقد دعم السعديون ثورة بوطريق شيخ قبيلة سماتة بالغرب الجزائري وبعد فشل ثورته سنة 1544م فر إلى التراب المغربي⁶، وعلى إثر الثورة التي قام بها المقرانيون سنة 1591م ضد الحكم التركي سارع السعديون لدعم هذه الثورة ومباركتها بل وربطوا علاقات مختلفة مع هذه الإمارة القريبة من دار السلطان مقر حكم الأتراك⁷، وفي المقابل آوى أتراك الجزائر بقايا الوطاسيين في مرحلة أولى ثم أبناء محمد الشيخ السعدي الثلاثة بعد معارضتهم لسياسة أخيه عبد الله الغالب الذي ورث الحكم لولده وأراد اغتيال

¹ Moulay Belhamissi: *Marine et Marins d'Alger 1518-1830*, Tome I, 3^{ème} édition, Dar El Charb, Alger, 2003, p257-258.

² محمد المشرفي: *الحلل الهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية*. تحقيق إدريس بوهليلة، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2005م، ص262-263.

³ صالح عباد: *الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م*، دار هومه، الجزائر، 2007م، ص98.

⁴ أحمد توفيق المدني: *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م*، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص378-379.

⁵ محمد أخريف: (*تجليات معركة وادي المخازن في الصراع الدولي في القرن 16م*)، *مجلة الذاكرة الوطنية*، ع14، دار أبي رقرق، الرباط، المملكة المغربية، 2010م، ص34.

⁶ Mahammed Hadj Sadok: *Miliana*, Office des publications universitaires, Alger, 1964, p28-30.

⁷ توفيق دحماني: *دراسة في عهد الأمان، الدار العثمانية، الجزائر، 2009م*، ص145.

أشقائه¹، وبعد وفاة أحمد المنصور واحتدام الصراع بين أولاده الثلاثة زيدان والمأمون وأبي فارس وخشية من اغتياله قرر مولاي زيدان سنة 1610م الفرار إلى تلمسان وطلب الحماية من الأتراك²، وأمام هذه الحملات العسكرية العثمانية المتتالية على المغرب الأقصى والتدخلات المستمرة في تسيير شؤون الدولة السعدية كيف كان رد السلاطين السعديون؟ وهل نجح هؤلاء في الوقوف بندية أمام البيلبريات والباشوات ومن خلفهم سلاطين بنوعثمان؟

رغم إدراك محمد الشيخ لقوة البيلبريات ومشاريعهم لتوحيد أقطار المغرب والتوسع غربا على حساب المغرب الأقصى إلا أنه لم يعترف يوما بالخلافة والسيادة العثمانية على الأقطار العربية بل وصل به الأمر لفتح باب التحدي والمواجهة معهم، وذلك من خلال جلب الولاء من داخل التراب الجزائري كأتباع الطريقة الشاذلية المناصرين للأشراف ماديًا ومعنويًا³، ودعم الثورات والتمردات الداخلية للحكم العثماني بالجزائر حيث دعم أمراء بني عباس وثورة بوطريق بمليانة سنة 1544م، كما أمن فرار قائد التمرد لمدينة فاس بعد فشل المهمة، واستقبل قائد بني راشد المنصور بن أبي غانم سنة 1550 في مدينة فاس⁴، ولم يكتفي بذلك فقط بل فكر في التوسع شرقا على حساب الجزائر، وقد شجعه على ذلك بعض القبائل والعلماء في أحواز تلمسان الغاضبين على الحكم العثماني، وهو ما جعل محمد الشيخ يقرر في سنة 1550م تحريك حملة عسكرية نحو الجزائر بدأها بضم مدينة وجدة التابعة للأتراك في ذلك الوقت.

وواصل مسيرته إلى تلمسان حيث تمكن من دخولها وقتل أفراد الحامية التركية بها⁵، فكان الرد قاسيا من طرف حسن قورصو الذي انطلق على رأس جيش كبير والتقى الطرفان في معركة وادي المالح سنة 1551م انتهت بهزيمة ساحقة للسعديين وانسحاب محمد الشيخ لفاس مخلفا ورائه جنث جنوده وولديه الحران وعبد القادر⁶، هذه الهزيمة لم تقف حاجزا في وجه محمد الشيخ فبمجرد سماعه خبر وفاة صالح راييس سنة 1556م وبقاء الجزائر من دون حاكم قرر الزحف مرة ثانية على مدينة تلمسان، ونكل بالحامية التركية بها ونصب في المقابل قائد بني راشد المنصور بن أبي غانم واليا عليها⁷، وبمجرد تنصيب حسن باشا بيلربايا على

¹ عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، دار الأمل، الجزائر، 2008م، ص244-245.

² دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003م، ص404.

³ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...، المرجع السابق، ص245.

⁴ توفيق دحماني: المرجع السابق، ص145، أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م، ص23-24.

⁵ محمد بن عبد السلام: تاريخ الضعيف الرباطي - تاريخ الدولة العلوية السعيدة -، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشبيخي، ج1، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، 2007م، ص104، عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، ج3، دار نشر المعرفة، الرباط، المملكة المغربية، 2001م، ص13.

⁶ عبد العزيز السعدي: (حول التواجد العثماني بالمغرب)، المجلة التاريخية المغربية، ع63-64، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1991م، ص320-321.

⁷ أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص344-345.

الجزائر خلفا لصالح راييس قرر وضع حد لحماقات محمد الشيخ وذلك بتحريك حملة عسكرية قوية (ستة آلاف فارس وثلاثة آلاف مجند وأربعين قطعة بحرية مزودة بالمدفعية ثم لحق به بمستغانم ستة عشر ألف بين فرسان ومشاة)¹.

فقام بطرد الحامية السعدية المرابطة بتلمسان وبعد فرار محمد الشيخ لفاس قرر حسن باشا وضع حد لهذا الرجل الطموح فوق اللازم، وهو ماتم أين أعتيل بمدينة تارودانت سنة 1557م² وقطع رأسه وحمل للجزائر ومنها إلى استنبول³، وبمقتل محمد الشيخ السعدي وتولي ابنه عبد الله الغالب مكانه قرر الانتقام من الأتراك سنة 1558م، وذلك من خلال التحالف مع الكونت ألكوديت الاسباني حاكم وهران من أجل احتلال الغرب الجزائري ثم التوجه لمدينة الجزائر وإسقاط الحكم العثماني إلا أن الخبر وصل لحسن باشا الذي انطلق على رأس حامية عسكرية قوية، وتمكن من إفشال المؤامرة وقتل ألكوديت وأسر ابنه الدون مارتان قرب مزهران بمستغانم⁴.

* السفارات المتبادلة ومحاولات ترميم الخلافات:

إن العلاقات الممتازة بين بنو وطاس وأتراك الجزائر ووضع الوطاسيين اسم السلطان العثماني على السكة المغربية والدعوة له في منابر الجمعة، وإلغاء لقب أمير المؤمنين الذي كان يتلقب به بني مرين قبلهم والاكتفاء بلقب السلطان وتبادل الهدايا بين الطرفين⁵ جعل السلطان سليمان القانوني يفكر باتباع نفس المنحى في علاقته مع السعديون الحكام الجدد للمغرب الأقصى، فقد بادر بإرسال سفارة إلى محمد الشيخ سنة 1552م برئاسة العلامة محمد بن علي الخروبي يطلب فيها من محمد الشيخ ذكر اسم السلطان العثماني على منابر المغرب ونقش اسمه على العملة السعدية، كما طالبه فيها بضرورة التعقل بينه وبين حكام الجزائر والتسريع في عملية رسم الحدود بين البلدين، وقد كان السلطان العثماني ذكي في رسائله لمحمد الشيخ حيث وصفه بحامي الدين تارة وبولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تارة أخرى، كما سلمه ثلاث خلع سلطانية واحدة

¹ صالح عباد: المرجع السابق، ص84.

² حبيب وداعة الحسنوي: (الصراع التركي السعدي 1549-1557م وسفارة الشيخ محمد الخروبي للمغرب عام 1552م بشأنه)، ضمن كتاب التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1995م، ص195.

³ يعتبر المؤرخ الاسباني خورخي دي هنين من الشهود في حادثة اغتيال محمد الشيخ بتارودانت سنة 1557م، وقد اندهش لقوة الجنود الأتراك الذي كان عددهم 400 فارس فقط مقابل 8000 فارس برفقة محمد الشيخ بل وكاد الأتراك أن يسقطوا المملكة السعدية بأكملها، أنظر: (خورخي دي هنين: وصف الممالك المغربية 1603-1613م، تحقيق توركاتو بيريس، ترجمة عبد الواحد أكيمر، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط، المملكة المغربية، 1997م، ص189).

⁴ يعي بوعزيز: (ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية)، مجلة الثقافة، ع52، ص9، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979م، ص34-35.

⁵ محمد دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543م، ط1، دار الأضالة، الجزائر، 2012م، ص364-367. إبراهيم حركات: (نظم الحكم في عهد الوطاسيين)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع2، ص8، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1964م، ص64-65.

له واثنين لولديه وهي عبارة عن بذلة الشرف التي تسلم لخدام الدولة العثمانية بمختلف إيالاتها في إشارة ضمنية لمحاولة عثمانة المغرب بطريقة مهذبة وذكية¹.

وبعد السفارة الأولى بخمس سنوات أعاد سليمان القانوني مراسلة محمد الشيخ عبر نفس الوسيط ألا وهو محمد بن علي الخروبي سنة 1557م بعدما رأى تقارب إسباني مغربي يلوح في الأفق مطالباً فيها إياه بالتعقل وترسيم معاهدة هدنة بين المغرب والجزائر لكن الرد السعودي كان قاسياً عن طريق خطاب شديد اللهجة والذي كلف محمد الشيخ حياته أين استهزأ بالسلطان العثماني وفتح باب التحدي بقوله (سلم على أمير القوارب سلطانك وقل له أن سلطان المغرب لا بد له أن ينازحك على عمل مصر والسلام)²، وبمقتل محمد الشيخ وتولي ابنه عبد الله الغالب السلطة بالمغرب الأقصى بين (1557-1574م) عرفت العلاقات بين المغرب الأقصى والجزائر العثمانية شد وجذب، فقد كان عبد الله الغالب يمسك العصا من الوسط فتارة يتحالف مع الإسبان والبرتغاليون عندما يسمع بحملة تركية تلوح في الأفق على التراب المغربي، وتارة أخرى يتقرب من السلطان العثماني بهدايا وسفارات عندما يعلم بقرب حملة إسبانية أو برتغالية على سواحل المغرب³.

لكن أحسن الفترات هدوء بين الطرفين كانت ما بين (1576-1603م)، والتي تمثل فترة حكم كل من عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور الذهبي، فالأول لم ينسى أبداً فضل الأتراك عليه عندما استقبلوه بالجزائر وأنقذوه من الاغتيال على يد شقيقه عبد الله الغالب، ثم ساعده في الوصول للسلطة بعد حملة رمضان باشا على فاس سنة 1576م⁴ أما الثاني - أحمد المنصور - فقد أواه الأتراك في محنته مع شقيقه الغالب وساعده عسكرياً أثناء معركة وادي المخازن سنة 1578م، والتي اعتلى على إثرها المنصور عرش السلطة بالمغرب⁵، فقد عرفت السفارات بين الطرفين خلال هذه المرحلة توهجا كبيراً، فبعد انتهاء معركة وادي المخازن وانتصار الجيش السعودي بعث السلطان العثماني بسفارة للمغرب الأقصى سنة 1579م يرأسها مفتي الجزائر الشيخ أبي الطيب البسكري يهنأ فيها المنصور على الانتصار ضد النصارى أولاً وعلى اعتلائه للعرش ثانياً. وقد توجت هذه السفارة بعقد معاهدة سلام بين الطرفين سنة 1582م حيث اعترفت فيها الدولة العثمانية لأول مرة بشرعية الدولة السعودية بالمغرب ثم معاهدة ثانية سنة 1587م⁶ تم من خلالها إلغاء

¹ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج8، المملكة المغربية، 1988م، ص21، محمد أخريف: المرجع السابق، ص34.

² عبد الرحيم بنحادة: المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1998م، ص78-79، قدور بوزياني: المرجع السابق، ص72 - 73.

³ محمد أخريف: المرجع السابق، ص35.

⁴ المرجع نفسه، ص35.

⁵ عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي...، المرجع السابق، ص23-24.

⁶ عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، المرجع السابق، ص238.

الضريبة الفدرالية التي كان يدفعها عبد الملك للسلطنة العثمانية سنويا¹، وقد توطدت العلاقة أكثر بين الطرفين بعد سفارة محمد التمجروتي سنة 1588م للباب العالي والتي ألف حولها كتابه النفحة المسكية في السفارة التركية ورد السلطان العثماني عليها بسفارة للمنصور سنة 1589م².

إن سياسة التوافق والمهادنة هذه بين الطرفين ترجع لرغبة السلاطين السعديون وعلى رأسهم أحمد المنصور في التفرغ للجهة الداخلية للمغرب، ومحاولة تحرير بقية الثغور المحتلة من البرتغاليون والاسبان، والتوجه جنوبا نحو السودان على حساب الجارة الشرقية الجزائرية خاصة بعد رحيل أهم البيلربايات الذين كانت لهم مشاريع توحيد أقطار المغرب، ونخص بالذكر صالح رايس وحسن باشا وعلج علي³، ومقابل ذلك اتخذت السلطنة العثمانية سياسة التوافق مع المغرب الأقصى بسبب انشغالها بالحروب ضد الصفويون بإيران والدول الأوروبية هذا من جهة، وتخلصها من السلاطين المعروفين بالحقد والعداء اتجاه الباب العالي ونخص بالذكر محمد الشيخ وولده عبد الله الغالب⁴، وقد لام أحمد بابا التنبكتي السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي ترك الأتراك وهاجم السودان، فكان رد المنصور مستعينا بقوله صلى الله عليه وسلم (أتركوا الترك ما تركوكم)، فرد عليه أحمد بابا بقول ابن عباس (لا تتركوا الترك وان تركوكم)، ومن خلال هذا الجدل يتضح موقف أحمد بابا من الأتراك⁵.

هذا التوافق السياسي وتبادل الهدايا والسفارات كان لا بد أن يتجسد في تعاون عسكري بين الطرفين، والذي يعود لفترة متقدمة عن قيام الدولة السعدية، فقد ساعد الأتراك محمد القائم سنة 1529م في تحرير حصن سانتاكروز من القبضة البرتغالية عن طريق أسلحة حديثة ومتطورة⁶، وتعزز أكثر هذا التعاون العسكري بعد المشاركة الفعالة للجيش العثماني في معركة وادي المخازن إلى جانب عبد الملك والمنصور، وتوج بتحقيق انتصار ساحق على القوات البرتغالية⁷، كما تشير إحدى الوثائق المؤرخة سنة 1584م المرسله من طرف السلطان العثماني لحاكم الجزائر يخبره فيها بتفاصيل حملة عسكرية إسبانية محتملة لاحتلال مدينة فاس وضرورة تحضير نفسه لحملة عسكرية مضادة⁸، وقد سجلت لنا المصادر الغربية عديد الأمثلة في التعاون

¹ محمد أخريف: المرجع السابق، ص35-37.

² دلندة الأرقش وأخران: المرجع السابق، ص299، عبد الفتاح الغنيبي: المرجع السابق، ج6، ص309.

³ محمد حجي: (العلاقات المغربية العثمانية في القرن السادس عشر)، المجلة التاريخية المغربية، ع29-30، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1983م، ص155-157.

⁴ قدور بوزياني: المرجع السابق، ص74، محمد أخريف: المرجع السابق، ص34.

⁵ محمد بن الحاج الإفرائي: صفوة من انتشار من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2004م، ص116، ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م، ص320.

⁶ محمد دراج: المرجع السابق، ص367-369.

⁷ أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص378-379.

⁸ Abd Eljelil Temimi: (Aux Origines de L'ottomanisation Administratiue des Province Maghrebines 1565/1591), publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 2000, p109.

العسكري بين رياس البحر الجزائريون والمغاربة، ففي سنة 1635م شن مراد رياس قائد الأسطول الجزائري حملة نحو جزر الكناري بثلاث سفن شراعية ولما وصل للسواحل المغربية دعمه رياسها ببعض السفن الأخرى وكانت حملة كبيرة أين رهن ما يقارب ثلاثمائة شخص من بينهم حاكم جزيرة لانزاروت¹.

وفي ختام هذا العنصر يمكن القول بأن كل من السعديون وأتراك الجزائر فشلا في مسعاها للتوسع على حساب الطرف الآخر، فالأتراك فشلوا في عثمنا المغرب بسبب التقلبات السياسية والتغيرات الكثيرة على رأس سدة الحكم سواء بالجزائر أو الدولة العثمانية هذه الأخيرة التي فتحت على نفسها أكثر من جهة مما صعب من عملية التحكم في كل هذه الأقطار وفتح أقطار جديدة، كما أن الدخلات الخارجية من طرف الاسبان تارة والبرتغاليون تارة أخرى ساهم في تأجيج العلاقات بين الجزائر والمغرب من دون أن ننسى الشخصية القوية لبعض السلاطين السعديون الذي واجهوا مشروع العثمنا بكل شراسة، بينما يرجع فشل السلاطين السعديين في التوسع شرقا على حساب الجارة الجزائر وتوحيد أقطار المغرب تحت رايتهم لعدة اعتبارات بداية بالقبضة الحديدية التي تميز بها البيربايات المدعمن عسكريا من طرف الدولة العثمانية، ووقوع الثغور المغربية تحت رحمة البرتغاليون والاسبان جعل السعديون يفكرون في تحريرها قبل التفكير في التوسع شرقا، كما ساهمت الأوضاع السياسية والاقتصادية الهشة داخل المغرب في تقليص طموح الأشراف السعديون وجمعهم يفكرون في بديل اقتصادي أخروجدوه في بلاد السودان.

ثانيا/- الأشراف العلويون والمنافسة على لقب الخلافة:

من عواقب فشل السعديون والأتراك في مسعاها بقاء بعض المدن الجزائرية (وهران) والمغربية (سبتة ومليلية) تحت القبضة الاسبانية والبرتغالية، وضياع الأندلس نهائيا بعدما كانت هناك فرصة لاستعادته لو توحدت جهود الطرفين، وإذا كانت العلاقات بين البلدين بهذا المنحى خلال الحكم السعدي فكيف أصبحت في ظل حكم الدايات للجزائر والعلويون للمغرب الأقصى؟ وكيف يمكن حصر هذه العلاقات الغنية والمعقدة إلى درجة التناقض، والمتأرجحة بين التوتر تارة والتواصل والتقارب تارة أخرى؟ وهل هذا التوتر والتقارب السياسي بين البلدين خلال هذه الفترة كان له تأثيرات على الروابط الثقافية بين ساكنة المنطقة؟

* الأطماع العلوية في الغرب الجزائري:

بعد مبايعة مولاي محمد الشريف أميرا على سجلماسة بين (1631-1664م)، وبدل من التوغل في وسط وشمال المغرب أين يتواجد السعديون والاسبان ومختلف القوى الدينية والسياسية الحاكمة لمختلف الأقاليم والمدن المغربية بغية توحيد أقطار المغرب الأقصى توجه محمد الشريف نحو الشمال الشرقي وبالضبط نحو

¹ Roland Courtinat: La piraterie barbaresque en Méditerranée 16^e-19^e siècle, éditions à Jacques Gandini, Paris, France, 2003, p34.

مدينة وجدة سنة 1647م حيث سيطر عليها، وتمكن من استمالة مختلف القبائل العربية القاطنة في المنطقة كعرب المعقل المعادية للأتراك، ولم يكتفي بذلك بل شن غارة على أنكاد وبني يزناسن وأولاد زكري وأولاد علي وبني سنوس وبني مطهروبي عامروبي يحي وندرومة وتلمسان ومطغرة وكومية وترارة وولهاصة وحميان، وبعد رجوعه لمدينة وجدة عاود الكرة حيث دخلت في خدمته كل من عرب الجعافرة وحميان ودخيسة ثم قرر التوجه جنوبا نحو الأغواط وعين ماضي والغاسول ونهب أموالهم ومواشيهم وعاد لوجدة مستغلا اشتغال يوسف باشا بثورة ابن الصخري¹، ولما وصل الداوي محمد باشا لحكم الجزائر راسل محمد الشريف عبر الفقيهين عبد الله النفزي والحاج محمد المزغاني من أجل تهدئة الوضع، وهو ما وافق عليه الشريف العلوي من خلال التعهد بعدم تجاوز وادي التافنة مرة أخرى ورسم الحدود بين البلدين.

ورغم تعهده السابق بعدم الإغارة على الجزائر إلا أن السلطان محمد الشريف أعاد الكرة ثانية سنة 1658م بشنه حملة على الغرب الجزائري لكن قائد تلمسان تمكن من صد الحملة ورده إلى وجدة²، وبوصول الرشيد إلى السلطة بالمغرب الأقصى (1664-1672م) بادر إلى الاعتراف بالحدود التي أقامها الأتراك مع المغرب سنة 1649م كما اختار سياسة مغايرة عن شقيقه فبدل من مهاجمة الأراضي الجزائرية تولى مهمة توحيد أقطار المغرب المشتت حيث أسقط الحكم السعودي نهائيا، وقضى على أغلب الكيانات السياسية المستقلة التي ظهرت بعد وفاة أحمد المنصور سنة 1603م، ووضع الأسس الإدارية والسياسية للدولة العلوية³.

لكن هذه العلاقات الودية لم تخلوا من بعض التوترات بين الطرفين خاصة بعد إعلان عبد القادر غيلان - وكان برفقته حوالي ستة وعشرون ألف فارس أغلبهم من رجال العلم والدين - الثورة على مولاي الرشيد بتطوان والقصر الكبير، وبعدما انتهت الثورة لصالح الرشيد الذي أسروقتل الآلاف من معارضيه قرر الشيخ عبد القادر غيلان ومعه خمسة آلاف من الفرسان والعلماء الهجرة نحو الجزائر⁴، كما وجد الرشيد بعد المعركة عديد الجثث لقادة وجند أتراك مما يؤكد فرضية الدعم المادي والمعنوي الذي كان غيلان يتلقاه من أتراك الجزائر هذا التوتر بين الطرفين ارتفعت حدته أكثر لما استضافت الجزائر بقايا الزاوية الدلائية بتلمسان

¹ أبو القاسم الزباني: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص42، عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م، ص140، عبد الرحمن ابن زيدان: العلائق السياسية للدولة العلوية، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1999م، ص37، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م، ص200-201.

² عزيز سامح التز: المرجع السابق، ج1، ص382-383.

³ محمد علي داهش: (العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث)، مجلة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، ع18، جامعة قطر، 1995م، ص161-164.

⁴ كمال فيلاي: (أشكال الهجرة السرية والهجرة القصرية في تاريخ المغرب الحديث - الهجرة بين الجزائر والمغرب الأقصى نموذجا). ضمن أعمال ملتقى الهجرة المغاربية وأبعادها السوسيوثقافية، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، 2014م، ص73.

بعدها خربها الرشيد¹، ولم يكتفي أترك الجزائر باستقبال أتباع الزاوية بمدينة تلمسان سنة 1669م فقط بل دعموا شيخ الزاوية الجديد أحمد بن عبد الله الدلائي في ثورته ضد مولاي اسماعيل سنة 1677م².

وبعد وفاة الرشيد خلفه شقيقه مولاي اسماعيل بين (1672-1727م) وقد تنوعت فترة حكم اسماعيل في علاقاته مع أترك الجزائر بين الصراع تارة والتحالف والهدنة تارة أخرى، فبعدهما دعم الأتراك كل من ثورة عبد القادر غيلان الزعيم القبلي بشمال المغرب سنة 1673م³، وثورتي الحران شقيق المولى اسماعيل بتافيلالت، وأحمد بن محرز في بلاد السوس رد المولى اسماعيل سنة 1676م بهجوم على تلمسان إلا أنه انهزم في واقعة القويعة قرب نهر الشلف أمام جيش بايلك الغرب، وقد عاد اسماعيل أدراجه بعد تدخل الحامية التركية في المنطقة مقابل اعترافه بالحدود القديمة المعتمدة على نهر ملوية كخط فاصل بين الطرفين⁴، لكنه تمكن في المقابل من كسب ود بعض القبائل التلمسانية (ذوي منيع، دخيسة، حميان، المهاية، العمور، أولاد جريز، ستونة، بنو عامر، الحشم) وعادت معه، ومن خلال هذه القبائل شكل جيشه الجديد (جيش عبيد البخاري)، كما فشل في حملته الثانية سنة 1679م أمام قوة المدفعية العثمانية الحديثة، ومن أجل تأمين جبهته الشرقية نصب حامية مغربية بمدينة وجدة كخط دفاع متقدم أمام الجبهة العثمانية بالجزائر⁵.

وقد عرفت سنة 1682م تطورات سياسية وعسكرية بين الجزائر والمغرب الأقصى، فقد قام مولاي اسماعيل بعقد معاهدة سان جرمان بتاريخ 29 جانفي 1682م مع الملك الفرنسي لويس الرابع حول التعاون العسكري بين البلدين، وكان المقصود من هذا التحالف هو الجزائر حيث قامت فرنسا بشن حملة عسكرية بحرية على مدينة الجزائر نتجت عنها مقتل خمسمائة فرد وتدمير العشرات من منازل المدينة، وفي المقابل قاد مولاي اسماعيل حملة برية على تلمسان من أجل السيطرة عليها لكن تولى الداوي بابا حسن مقاليد الحكم بالجزائر (1682-1683م) أقلب الموازين بصد الحملة الفرنسية من جهة وصد الحملة المغربية على تلمسان من جهة ثانية بل أجبر مولاي اسماعيل على توقيع معاهدة هدنة⁶، وفي سنة 1689م وبسبب تأزم العلاقة بين الجزائر والمغرب قام الحاج شعبان داي بإبرام اتفاقية صداقة مع فرنسا، ومن بين بنود هذه الاتفاقية

¹ عزيز سامح التري: المرجع السابق، ج1، ص385-386.

² محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1988م، ص257-263.

³ وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياح البحر، ترجمة عبد القادر زبائدة، دار القصة، الجزائر، 2007م، ص139، 166.

⁴ عزيز سامح التري: المرجع السابق، ج2، ص438-440.

⁵ محمد علي داهش: المرجع السابق، ص164-167.

⁶ حنيفي هلايلي: (محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي)، مجلة الحوار المتوسطي، ع5، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2013م، ص68، حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص62-63.

التعاون العسكري بين الأسطولين الجزائري والفرنسي ضد أي عدوان على أحد البلدين، وهي إشارة واضحة للخلاف بين الجزائر والمغرب الأقصى والحملات المتكررة للسلطين العلويون على التراب الجزائري¹.

هذا الخلاف تطور أكثر لما تجرأ مولاي إسماعيل في الإغارة على الجزائر مجددا سنة 1691م مستغلا فترة الفراغ على هرم السلطة بالجزائر بعد استقالة الحاج حسين داي حيث بعث ولده زيدان زاحفا على مدينة تلمسان تحت ذريعة ردع قبائل بنو عامر المتذبذبة في تحالفها مع الأتراك والاسبان والمغرب الأقصى، وكان معه حوالي أربعة عشر ألف من المشاة وثمانية آلاف من الفرسان، وهذا ما جعل الديوان يعين الحاج شعبان داي مجددا، والذي انطلق نحو الغرب الجزائري ومعه حوالي عشرة آلاف من المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان²، ودخل الطرفان في معركة شديدة الوطيس انتهت بهزيمة مغربية وقتل حوالي خمسة آلاف كاملة مقابل مائة جندي تركي فقط، وقد توقف القتال بعد تدخل العلماء وأتباع الطرق الصوفية، ونخص بالذكر أتباع الطريقة الدرقاوية والقادرية والطيبية والشاذلية بعد التأكيد على استسلام مولاي اسماعيل حيث نصبت خيمة بين الطرفين، وتقدم مولاي اسماعيل مكبل اليدين، ولما وصل لخيمة شعبان داي سجد وقبل الأرض ثلاثة مرات طالبا العفو وقال للداي: أنت الخنجر وأنا اللحم فأقطع ما شئت، وانتهت هذه الواقعة بتوقيع صلح مع فرض بعض الشروط على المغاربة³.

ونصت الاتفاقية على خمسة بنود تمثلت في: تنازل مولاي إسماعيل بشكل نهائي عن الحقوق التي يراها شرعية داخل التراب الجزائري، واعتراف السلطان المغربي بولائه للسلطان العثماني وقدم ولده رهينة يأخذه الأتراك معهم، ويتعهد مولاي إسماعيل بعدم الإغارة على مدينة وهران، فالجزائريين وحدهم من يقرر متى وكيف يتم فتح المدينة وتحريرها من القبضة الاسبانية، وإعفاء التجار الجزائريين الذين يقصدون المغرب الأقصى من الضريبة سواء للشراء أو البيع، والبند الرابع يسمح للبحارة الجزائريين الدخول للموانئ المغربية متى شاءوا لبيع غنائمهم أو استعمال هذه الموانئ كقاعدة للهجوم على السفن الأوروبية دون أخذ الاذن من السلطات المغربية، وتعتبر هذه البنود مهينة للطرف المغربي، وبعد نهاية تحرير هذه البنود سلم السلطان ولده عبد الملك ابن خمس عشر سنة للأتراك كرهينة وفرسه المرصع بالذهب، وصاح ثلاثة مرات يعلن فيها تبعيته للسلطان العثماني⁴.

¹ Albert Devoulx: *Les Archives du consulat général de France à Alger*, Bastide Libraire - éditeur, Alger, 1865, p10-11.

² مولاي بلحميسي: (إرشاد الحيران في أمر الداوي شعبان)، مجلة الدراسات التاريخية، ج2، جامعة الجزائر، 1986م، ص49-50.

³ محمد بن ميمون: النخبة المرصبة في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص23-27.

⁴ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن، ج2، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2018م، ص295-296.

وكرد للاعتبار رفض مولاي اسماعيل دفع الضريبة التي تعهد بها للداي شعبان، وفي المقابل اتصل بمراد باي حاكم تونس واتفق معه على تنظيم هجوم مشترك على الجزائر حيث بادر مولاي إسماعيل سنة 1693م بالإغارة على الجزائر من أجل معاقبة بعض القبائل الجزائرية التي تتعرض باستمرار للمصالح المغربية حيث ادعى بأنها تتعاون مع الاسبان، كما احتجز ثلاث سفن بميناء تطوان لتجار جزائريين لمدة شهر¹، وهو ما جعل الجيش الجزائري ينطلق من جديد نحو الحدود المغربية، وقد كان جيش مصطفى داي يتكون من ستة آلاف من المشاة وألف فارس بينما كان جيش مولاي إسماعيل يتألف من خمسين ألف أكثرهم فرسان، وكانت معركة كبيرة انتهت بانتصار جديد للجيش الجزائري خسرها المغاربة ما يقارب ثلاثة آلاف فارس وغنم فيها الجيش الجزائري حوالي خمسة آلاف حصان ومنها حصان مولاي إسماعيل الذي أهدي فيما بعد للملك الفرنسي لويس الرابع عشر².

وفي سنة 1695م وبعد انهزام محمد بن شاكرباي قسنطينة أمام الجيش التونسي، وخوفا من بطش الأتراك وتأييد داي الجزائر فر إلى مدينة فاس، وقد استقبله مولاي اسماعيل بحفاوة وبقي هناك لغاية وفاته³، هذا العداء الواضح للمولى اسماعيل اتجاه الجزائر كانت تتخلله معاهدات سلام ورسائل تهدئة بل وتبادل سفارات وهدايا مع أترك الجزائر والسلطين العثمانيون، فقد بعث السلطان مصطفى الثاني (1695-1703م) وفد من عشرة أعضاء للمولى إسماعيل بشأن عقد صلح مع الجزائر سنة 1697م تكلل بإلغاء المولى إسماعيل الحضر المطبق على السفن التجارية الجزائرية الراسية بالموانئ المغربية⁴، وفي مقابل ذلك كان دايات الجزائر يستغلون مختلف الثورات والتمردات التي تظهر بالمغرب ويسارعون لدعمها وحتى استقبال زعمائها مثلما حدث مع مولاي أحمد الذي تمرد على والده مولاي إسماعيل ففر إلى الجزائر، كما حاول مولاي محمد التقرب من الأتراك وإقامة صلح معهم لدعمه من أجل إزاحة والده إسماعيل من حكم المغرب الأقصى⁵.

وهو ما جعل مولاي إسماعيل يقرر العودة لممارساته السابقة على الجزائر من خلال اتصالاته بباي تونس مراد بن علي (1696-1703م) وعقده اتفاقية لتنظيم هجوم مشترك على الجزائر في نفس اللحظة بين الشرق والغرب، وهو ما تجسد سنة 1700م حيث قاد مولاي اسماعيل حملة على الجزائر برفقة ولده زيدان الذي أغار على معسكر عاصمة بايلك الغرب⁶، وتمكن خلالها من دخول قصر الباي الذي كان خارج المدينة، وغنم

¹ خليفة حماش: المرجع السابق، ج2، ص298.

² محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص23-27.

³ أحمد ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م، ص81.

⁴ محمد علي داهش: المرجع السابق، ص165-167.

⁵ خليفة حماش: المرجع السابق، ج2، ص311، 315.

⁶ يوجد في ضواحي مدينة معسكر جبل يسمى بجبل مولاي إسماعيل نسبة لهذا السلطان المغربي، والذي رابط به أثناء حملته هذه على مدينة معسكر ومستغانم، أنظر:

البعض من أثاث وخيرات القصر كرسالة إهانة للأتراك¹ لكن الفرقة التركية تدخلت بقوة بعدما أرسل داي الجزائر جيش قوامه أربعين ألف جندي لوضع حد لتجاوزات مولاي إسماعيل، وذلك وفقا لرسالة من القنصل الفرنسي بسلا لحكومة بلده بتاريخ 25 ماي 1700م أين وصلت القوات الجزائرية لمدينة فاس، وأجبر مولاي إسماعيل للفرار نحو طنجة بالشمال بعدما جرح وانظم جزء معتبر من جيشه للأتراك - حوالي ثلاثة آلاف -²، هذه الهزيمة لم تمنعه فيما بعد من تدعيم الثورة التيجانية والدرقاوية بالغرب الجزائري ومدهما بالمال والسلاح.³

وقد كان موقف مولاي إسماعيل من فتح مدينة وهران سنة 1708م متناقضا، فمن جهة وبينما كان مصطفى بوشلاغم يهجم بمحاصرة وهران هاجم مولاي إسماعيل المنطقة وهزم من جديد قرب أرزيو بعد تدخل قبائل بني عامر الذين وقفوا إلى جانب الحامية العثمانية المرابطة بالمنطقة فعاد مولاي إسماعيل أدراجه لفاس⁴، ومن جهة ثانية سارع لتوجيه رسالة تهنئة للسلطان العثماني أحمد الثالث (1703-1730م) بعد نجاح عملية الفتح هذه محافظا على لقب أمير المؤمنين، وهو ما كان يزعج السلاطين العثمانيين⁵، وعاد مولاي إسماعيل سنة 1710م لإرسال ولده عبد الملك في غارة على الجنوب الجزائري حيث وصل لعين ماضي إلا أن الفرقة التركية تمكنت من طرده، ومن جهة أخرى استغل أترك الجزائر حملة فرض الضرائب من طرف مولاي إسماعيل على ساكنة فاس سنة 1715م لتحريض عديد العائلات والأسر الفاسية على الانتقال والترحال نحو مدينة تلمسان لكن إسماعيل قاوم هذا المد والهجرة الاجتماعية الجماعية بالسلاح والقوة⁶.

وقد اعتبر ولیم سبنسر بأن الحرب التي كان يخوضها مولاي إسماعيل ضد أترك الجزائر هي حرب مقدسة من أجل استعادة حق يراه الأشراف العلويون وقبلهم السعديون شرعي من خلال تزعم الخلافة والدولة الإسلامية سواء في المغرب أو الوطن العربي ككل⁷، كما كان يتحجج باستمرار على معاقبة قبائل بنو عامر لأنها تتعامل مع الكفار الأاسبان، وقد استفى في هذه القضية الفقيه محمد بن عبد القادر الفاسي قائلا: (فموجبه إليكم أعزكم الله مسألة بني عامر الذين يأوون النصارى ويفرون من المسلمين وصاروا وإياهم يدا واحدة فما

¹ Archives marocaines : publication de la mission scientifique du Maroc, volum 04, Ernest Leroux éditeur, Paris, France, 1906, p122.

² خليفة حماش: المرجع السابق، ج2، ص312، حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008م، ص63-64، عزيز سامح التز: المرجع السابق، ج2، ص440-441.

³ محمد علي داهش: المرجع السابق، ص164-167.

⁴ Walsin Esterhazy M.: De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Librairie de Charles Gosselin, Paris, France, 1840, p270.

⁵ محمد علي داهش: المرجع السابق، ص165-167.

⁶ عزيز سامح التز: المرجع السابق، ج2، ص444-445.

⁷ ولیم سبنسر: المرجع السابق، ص139.

حكم الله في مالهم ...)¹، وبعد وفاة مولاي إسماعيل سنة 1727م دخل المغرب الأقصى في فوضى سياسية اثر الصراع على السلطة بين أولاده وأحفاده من جهة، وتدخل جيش عبيد البخاري الذي أنشأه في السلطة من جهة ثانية، وهو ما شجع أتراك الجزائر على التدخل في شؤون المغرب من خلال تشجيع القوى الدينية وشيوخ الزوايا للثورة ضد العلويون، ومع حلول سنة 1757م تولى السلطة محمد بن عبد الله بين (1757-1790م) الذي أعاد الهدوء والاستقرار للمغرب الأقصى كما عرفت العلاقات الجزائرية المغربية هدوء كبير، وذلك لانشغال أتراك الجزائر بالثورات والتمردات التي كانت تندلع هنا وهناك وطرد الاسبان من وهران وتوقيف زحف بايات تونس بالجهة الشرقية².

فقد توسط المولى محمد بن عبد الله العلوي في تبادل الأسرى بين الجزائر واسبانيا وسار في ركب الحج المغربي عبر الأراضي الجزائرية، كما كانت بينه وبين السلاطين العثمانيين مراسلات عديدة في عهد مصطفى الثالث (1757-1774م) وعبد الحميد الأول (1774-1789م) وسليم الثالث (1789-1807م) وعلى عكس السلاطين العلويون الذين سبقوه، فقد كان محمد بن عبد الله محبوبا من طرف السلاطين العثمانيين ويبادلونه عبارات التبجيل والاحترام ويمدونه بالأموال والهدايا³، ورغم سياسة المهادنة التي اتبعها مولاي محمد بن عبد الله اتجاه أتراك الجزائر فان الباي محمد الكبير بمدينة معسكر أوى بعض الزعماء المغاربة المعارضين للسلاطين العلويون، وأبرزهم مولاي عبد الرحمن ولد السلطان محمد بن عبد الله الذي لجأ لدى محمد الكبير طالبا الحماية وخوفا من الاغتيال، وكذلك الشأن للقائد ابن خدة المعارض لسياسة العلويون بالمغرب⁴.

وخلال فترة حكم مولاي يزيد بن محمد العلوي (1790-1792م) زحف الباي محمد الكبير على مدينة وجدة وتقدم حتى منطقة الريف وكاد أن يواصل المسير لفاص، وكان من أسباب هذا الهجوم الدعم الذي كان يقدمه المغاربة للشيخ محمد علي الادريسي الذي أعلن الثورة على الأتراك بتلمسان وكان أحد أتباع الطريقة الدرقاوية⁵، وقد مكثت بها الحامية التركية لمدة أربع سنوات، وهو ما ساهم في انتقال عديد العادات والتقاليد التركية لهذه المدينة من حيث اللباس والهندسة المعمارية والألفاظ وغيرها، وذلك بدعم ومساندة من عديد القبائل الوجدية المعارضة للحكم العلوي، ولم يتم الخروج منها إلا بعد مفاوضات تركية علوية⁶.

¹ محمد ماكامان: الرحلات المغربية خلال القرنين 17-18م، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2014م، ص516.

² محمد علي داهش: المرجع السابق، ص168-169.

³ المرجع نفسه، ص168-169.

⁴ صالح عباد: المرجع السابق، ص174.

⁵ حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص28.

⁶ عبد الحميد العلوي: تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، 1985م، ص92.

ولم يمكث مولاي يزيد بحكم المغرب طويلا حتى خلفه شقيقه سليمان بين (1792-1822م) الذي تميز بخصال حميدة أساسها الاحترام مع أتراك الجزائر، فبعد هجوم محمد بن عثمان باشا على مدينة وجدة سنة 1795م طلب المولى سليمان الهدنة وحقق دماء المسلمين، وهو ماتم حيث انسحب الداوي من وجدة، وفي سنة 1804م أعلن سكان تلمسان التبعية للمغرب الأقصى إلا أن المولى سليمان رفض هذه البيعة تجنباً للفتنة، وأوفد أبا السرور عياد الوربي وأصلح بين الطرفين (الأتراك-التلمسانيين)، كما استقبل الفارين من أهالي تلمسان وأكرمهم¹، ومن أكبر حملات مولاي سليمان على التراب الجزائري تلك التي شنّها على الصحراء الجزائرية حين استولى على فجيج سنة 1805م بمساعدة من قبيلة ذوي منيع الجزائرية، كما شن حملة أخرى على قورارة وتوات واستولى عليهما سنة 1808م، وفي نفس السنة قدم مولاي سليمان مساعدات مادية ومعنوية كبيرة لأتباع الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري أين زودهم بالمال والسلاح².

وفي سنة 1813م قدم وفد من ساكنة تلمسان ومستغانم والبليدة ووهران لتقديم الولاء للمولى سليمان العلوي معلنين خلع الطاعة والولاء من حكام الجزائر الأتراك إلا أن المولى سليمان ردهم تجنباً للفتنة مع حكام الجزائر³، كما عرفت سنة 1813م تدخلا من طرف السلطان سليمان العلوي في الشأن الجزائري من خلال دعمه للثورة التي أعلنها بوكابوس باي الغرب وبدعم اسباني أيضا⁴. فمن خلال بعض الوثائق الاسبانية التي نشرها الباحث ميكال دي ايبالزا والمتعلقة بالجزائر نجد أن إحدى هذه الوثائق تتعلق بباي الغرب بوكابوس الذي راسل الاسبان وطلب منهم دعمه بالأسلحة من أجل التعاون مع سلطان المغرب للزحف على الأتراك وانهاء وجودهم بالجزائر، وبذلك يتأكد بصفة رسمية تمرد وخيانة هذا الباي وهو ما جعل نهايته مأساوية برفقة أولاده الصغار⁵، كما راسل مولاي سليمان باي تونس محمود باشا سنة 1813م يطلب منه مهاجمة الجزائر من الناحية الشرقية والسيطرة على مدينة قسنطينة بينما يتولى هو الانقضاض عليها من الجهة الغربية⁶، لكن بعد الحملة الانجليزية على الجزائر - حملة إكسموث - سنة 1816م أبان المولى سليمان عن تعاطفه مع الجزائر وتعهد بإصلاح الأسطول والموانئ المخربة⁷.

¹ المرجع نفسه، ص170.

² حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص64-65، 170.

³ محمد السعيد قاصري: المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى (1830-1930م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009م، ص33.

⁴ مولاي بلحميسي: (الثورة على الأتراك في الجزائر شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر)، مجلة الثقافة، ع48، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1978م، ص40-46، حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص36-37.

⁵ ميكال دي ايبالزا: (بعض الوثائق الاسبانية المتعلقة بتاريخ المغرب العربي في القرنين 18-19 م)، مجلة الأصالة، ع52، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر، 1977م، ص30.

⁶ خليفة حماس: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف التونسي، ج1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م، ص297-298.

⁷ محمد علي داهش: المرجع السابق، ص170-171.

وبعد وفاته انتقل الحكم لابن عمه مولاي عبد الرحمن بن هشام (1822-1859م)، وفي عهده عرف المغرب الأقصى هجرة قياسية لسكان الجزائر بصفة عامة والعلماء بصفة خاصة بعد وصول القوات الفرنسية شهر أوت من سنة 1830م - بقيادة أميدي بورمون ابن المارشال دوبرومون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر - لمدينة وهران وهذا ما جعل أعيان وسكان تلمسان وأحوازها يشكلون وفداً، وينتقلون للمغرب الأقصى لطلب الحماية والبيعة من السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام الذي استقبلهم بمدينة فاس في سبتمبر 1830م، وبعد عرض القضية على أعيان وفقهاء فاس افتوا بعدم جواز هذه البيعة بسبب بيعة سكان تلمسان السابقة للأتراك، ولا يجوز تقديم بيعة على بيعة أخرى، وفي المقابل وافق البعض الآخر كقاضي فاس مولاي عبد الهادي على اعتبار أن مولاي عبد الرحمن هو الأول بحماية هذه الديار من الاحتلال الأجنبي الغير مسلم¹.

بعد صدور هذه الفتوى عاد الوفد لتلمسان ثم سرعان ما عاود الكرة بوفد ضم مائة شخصية من أعيان وعلماء وشيوخ المدينة، وألحوا على السلطان المغربي قبول البيعة، كما قدموا له فتوى بجوازها، وقد قبل السلطان المغربي طلبهم، وعين ابن عمه مولاي علي بن سليمان العلوي خليفة له على الأراضي الجزائرية عامة وأحمد الحجوطي على شؤون معسكر، وقد وصل لتلمسان بتاريخ 07 نوفمبر 1830م برفقة خمسمائة فارس ومائة من المشاة ومجموعة من عناصر الطبجية²، كما أوصاه السلطان خيراً بمختلف القبائل القوية خاصة بني هاشم وبني عامر والدوائر والزماله، وقد أخذ معه مائة كسوة لتكريم مختلف أعيان المدينة من علماء ومشايخ قبائل، كما أوصاه خيراً بالКраغلة رغم أنهم من بقايا الأتراك³.

وفي خاتمة هذا العنصر نلاحظ بأن طيلة فترة حكم العلويون لم نشهد حملة جزائرية على التراب المغربي من أجل التوسع أو إسقاط الحكم العلوي، وكل ما سجلته لنا المصادر والمراجع من حملات عسكرية لدايات الجزائر على الشرق المغربي هو محاولات رد فعل على حملات مولاي محمد والرشيد واسماعيل وسليمان، ومن خلال تفقد الرسائل التي كانت بين سلاطين الدولة العثمانية وسلاطين المغرب ترسخ هذه الملاحظة، فخلال العهد السعودي كان سلاطين آل عثمان يتعالون في خطابهم وكلامهم ومراسلاتهم لحكام المغرب، وذلك راجع لقوة الدولة العثمانية وبيلرباياتها بالجزائر من جهة، وعدم طموح السعوديين في التوسع على الجزائر باستثناء محمد الشيخ من جهة ثانية، وحتى المراسلات كانت تخلو من المدح واحترام النسب الشريف للسعوديين عكس الفترة العلوية أين كانت مراسلات آل عثمان لا تخلو من عبارات المدح والتبجيل والاحترام لسلاطين الدولة العلوية والثناء على نسبهم الشريف، وذلك لضعف السلاطين الأتراك المتأخرين ودايات الجزائر من جهة،

¹ عمر أفا: التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنات والتحولت 1830-1912، دار الأمان، المملكة المغربية، 2006م، ص 128.

² العيد فارس: علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس 1848-1930م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2017م، ص 17-18، العيد فارس: طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس 1830-1847م)، مجلة عصور الجديدة، ع 19-20، جامعة وهران، 2015م، ص 330.

³ إسماعيل حامد: الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، ترجمة زكي مبارك ومحمد لخوجة، دار نالة، الجزائر، 2011م، ص 30-31.

ولقوة وطموح العلويون في التوسع شرقا على حساب الجارة الجزائر من جهة ثانية، وبذلك استباق هذه الخطوة¹.

* السفارات البينية ومحاولات تهدئة الوضع:

أول عمل قام به مولاي محمد العلوي (1631-1664م) هو حملته على غرب الجزائر من أجل استخلاص بعض الأراضي المغربية التي أخذها أتراك الجزائر، وقد لام مولاي محمد الشريف سلفه أحمد المنصور الذي سمح في هذه الأراضي واهتم بأراضي السودان، وكان ذلك سنة 1654م، وهنا بدأت المراسلات بين البلدين حيث بادر أحمد باشا بإرسال سفارة إلى فاس يقودها كل من الفقهاء عبد الله النفزي والحاج محمد المزغناوي واثنين من رجال الديوان من أجل تهدئة الوضع²، مع رسالة للباشا من كتابة الأديب المحجوب الحضري، ومن بين ما تضمنته الرسالة: (الحمد لله الذي وصى ولا رخص في مدافعة اللص الصائل شريفا أو مشروفا، ونص وهو الصمد على فصم أهله المتواصل مجهولا أو معروفا ... حفيد مولانا علي وسيدتنا البتول وولد مولانا الشريف بن مولانا علي، وبعد فقد كاتبناكم من مغنى غنيمة المقيم والظاعن والزائر رباط الجريد مدينة ثغر الجزائر صان الله من البر والبحر عرضها...، وذلك أن الوهاب سبحانه منحكم همة وهيبة الجود والحلم والسماحة، واختار لكم عنوان عنايتها في غاب الصون سجالماسة لكن فاتكم سر الرأي والتدبير...، فخرقت على الإيالة العثمانية جلاباب جيوبها الجديد من وجدة الأبلق إلى حدود الجريد فخيبت عنا أخلاق الأعراب...، وقد بعثنا إليك بأربع صحاب تشرق بمجالستهم الخواطر الرحاب الفقيه الوجيه سيدنا عبد الله بن عبد الغفار النفزي، والسيد الحاج الأبر محمد بن عبد العالي الحضري المزغناوي، واثنين من أركان ديواننا وقواعد إيواننا أتراك سيوط)³.

وقد رد محمد العلوي برسالة يتهمكم فيها على الجزائر والحكم العثماني⁴، كما عاتب السفيرين على هذه الرسالة التهديدية من باشا الجزائر، ورد عليهما برسالة أخرى يقول فيها: (الحمد لله الذي رفع حظوة العرب على العجم في الذوات والأقوال والأفعال، كما نفع بهجة النعمان والجلنار بزهر الخوجم وموه العمائم بالهمم العوالي على النعال...، فقد كاتبناكم من غرة جبين الصحاري وصرة نصر شؤون الشرق والغرب ومغنمهم من غاية الغوالي وتجار ثغر البربر والعرب لقبها قديما كنز البربر حالي السكون والحركة، فنبه المهيمن ناسها وسموها وأسعدها سجالماسة ليست حاضرة البحر فتعاب بجدود العمارة، ولا بجريحة الحمى فتعوزها أمور

¹ عبد العزيز الضعيفي: (العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والدولة العثمانية في عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المملكة المغربية، 2008م، ص 205-207.

² أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 2، ص 200-201.

³ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص 107-110.

⁴ خليفة حماس: وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب - المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط -، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م، ص 225-226.

الامارة صان الله بأسوار السر أبوابها، وأسكن العز والسعد أمصارها... إن آل تلمسان ما أثارهم إلا جوركم في الأموال والبنين، ومكابدتهم للضيم على مر السنين ...، ولئن غرسني الله - كما أشرت - لهذه الإيالة قاعدة وأساسا أول، فعلى الله سبحانه الاعتماد والمعول ...، وما فاتنا من الكرامات يدركها الأخ أو الابن أو الحفيد ...، فالأتراك اغتصبوا دول المغرب خدعا وحيلة ومكرا ورفعا وخفضا ونصبا، ولا عصى لكم في الحلقوم إلا بنو مرين قبج الله العليج عروج المؤسس لكم وحملتكم جهلة الخنزير على الذبح)، وكانت الرسالة من تحرير الأديب محمد بن مبارك الحسيني بحضرة الفقيه أحمد التجموعي والقاضي أبي نعيم رضوان بن عبد الملك¹.

وبمجرد وصول الرسالة لأحمد باشا حتى عاود مراسلة مولاي محمد الشريف عبر فقهاء جزائريين من أجل الوصول لاتفاق بين البلدين وتوقيف الصراع نهائيا، وقد تضمنت الرسالة مايلي: (... نحن جننا إليك لتعمل معنا شريعة جدك وتقف عند حدك ...، وهذان فقهاء من علماء الجزائر قد جاءا إليك حتى يسمعا منك ما تقوله، ويحكم الله بيننا وبينك ورسوله، فقد تعطلت تجارتنا وأجفلت عن وطننا رعيتنا ...)، وكانت نتيجة هذه السفارة تحديد وادي التافنة كحد فاصل بين البلدين مع ارسال تعهد من مولاي محمد الشريف بعدم تجاوز هذا الفاصل، وبعد وصول الرشيد لحكم المغرب الأقصى كانت بينه وبين أتراك الجزائر سفارة حيث بادر باشوات الجزائر بمراسلة الرشيد وتذكيره بالحدود والاتفاقية التي عقدت مع شقيقه مولاي محمد، فرد بسفارة يلتزم فيها بعدم تجاوز وادي التافنة كحد فاصل بين الجزائر والمغرب الأقصى².

ومن خلال تفقد بعض الرسائل الرسمية للدولة الفرنسية نستنتج بأن الدول الأوروبية وعلى رأسها اسبانيا وفرنسا كانتا تحرضان الجزائر تارة، والمغرب الأقصى تارة أخرى من أجل الحرب ونشر الخلاف بينهما، فالصلح والتوافق بين البلدين ستكون عواقبه وخيمة على القارة الأوروبية، فهاجس الفتح الاسلامي والزحف على الأندلس كان ولازال عالقا في ذهنية الاسبان والبرتغاليون، كما أن المصالح الفرنسية المادية ستوقف على إثر هذا الوفاق المغربي، وهو ما تجسد في رسالة بعث بها الدوق بوفور إلى رولان فريجي بتاريخ 20 أفريل 1667م طلب فيه الاتصال بمولاي الرشيد بسجل ماسة وتحريضه للهجوم على الجزائر والسيطرة على مدينة تلمسان³.

وبمجرد وصول مولاي اسماعيل للحكم بالمغرب بادر بتجديد اتفاقية الهدنة والحدود مع أتراك الجزائر، والتي سار عليها شقيقه الرشيد ومحمد، وبعد علمه بدعم الأتراك لابن أخيه الأمير ابن محرز بادر مولاي اسماعيل بمراسلة السلطان العثماني مراد الرابع بالأستانة حتى يعطي أوامره لحكام الجزائر بالتوقف عن زرع الفتنة داخل الأراضي المغربية⁴، ومن خلال تفقد رسالتين فرنسيتين الأولى صادرة من الملك لويس الرابع عشر

¹ محمد الضعيف الريايطي: المصدر السابق، ج1، ص107-114.

² عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ...، ج9، المرجع السابق، ص10-13.

³ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني ...، ج2، المرجع السابق، ص259.

⁴ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ...، ج9، المرجع السابق، ص12-13.

للسلطان مولاي إسماعيل بتاريخ 03 جوان 1682م حول تحريض المغرب من أجل الهجوم على الجزائر مستغلة الحرب الجزائرية الفرنسية، والفضوى التي ستنتج داخل الجزائر، والرسالة الثانية بتاريخ 01 جويلية 1682م بعثت بها الحكومة الفرنسية للسلطان المغربي من أجل تنظيم هجوم مشترك على الجزائر، وكان جواب السلطان مولاي إسماعيل في رسالة لمبعوث فرنسي للمغرب بتاريخ 11 سبتمبر 1682م يرفض فيها الهجوم المشترك على الجزائر، ويعتبر نفسه شريف وخليفة على المسلمين، والجزائر بلد إسلامي بل أن السلطان المغربي بادر بعقد اتفاقية صلح مع الجزائر، وأرسل لحاكمها هدية تتمثل في أربعة خيول وعدد من أكياس الذهب، والسماح للسفن الجزائرية بالرسو في ميناء سلا للهجوم على بقية السفن الأوروبية، وهو ما يتناقض مع الاتفاقية المبرمة مع فرنسا سلفاً¹.

وفي إطار التوافق بين البلدين قام مولاي إسماعيل بالتوسط لدى اسبانيا من خلال تحرير مائتي أسير جزائري هناك مقابل تحرير مائة ضابط إسباني أسرهم المغرب بمدينة العرائش، وقد بعث مولاي إسماعيل بهؤلاء الأسرى لداي الجزائر بتاريخ 14 جانفي 1692م من أجل كسب ود هؤلاء وتجاوز الخلافات التي نجمت جراء محاولة مولاي إسماعيل الزحف على التراب الجزائري²، كما استغلت الدولة العثمانية ثراء وغنى المغرب الأقصى بمادة البارود وملحه الذي كان يصدر نحو إنجلترا، فطلب الباب العالي كميات كبيرة سنويا، وهو ماتم حيث كانت توجه سنويا حمولة لسفينتين من البارود وملحه المصفى في عهد مولاي اسماعيل وحفيده محمد بن عبدالله، وهي رسالة قوية لحكام الجزائر مفادها بأن العلاقة متينة ووطيدة بين البلدين، فلا يمكن تعكيرها بخطوة مجهولة العواقب، وهو ما جعل دايات الجزائر يتوقفون عن التحرش بالمغرب الأقصى عند حدود مدينة وجدة³.

وبعد استشهاد الباي شعبان سنة 1687م والتنكيل بجثته وقطع رأسه من طرف الحامية الاسبانية بوهران قرر السلطان العلوي مولاي اسماعيل الانتقام له سنة 1692م حيث زحف على وهران بجيش كبير، وقام بمحاصرة المدينة لمدة قبل أن يرتحل إلى فاس بسبب التحصين الكبير لمدينة وهران من قبل الاسبان⁴، وفي إطار تبادل السفارات بين البلدين خلال فترة حكم مولاي إسماعيل وصلت سفارة من الجزائر سنة 1688م تحمل هدية للسلطان العلوي حسب المؤرخ محمد بن عبد السلام الرباطي⁵، ورد المغرب بسفارة أخرى سنة 1691م قدم من خلالها معلومات تفيد بتحضير فرنسا لهجوم على الجزائر، وفي المقابل وصلت

Abdeljalil Temimi: (Pour une histoire des relations culturelles entre Istanbul et le Maroc à l'époque moderne), *Revue d'Histoire Maghrebine*, n 43-44, publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 1980, p107.

¹ خليفة حماش: المرجع السابق، ج2، ص264-267.

² المرجع نفسه، ص291-292.

³ زهراء النظام: المرجع السابق، ص250-254.

⁴ مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، تحقيق راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص15

⁵ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص176.

سفارة جزائرية في نفس السنة لمدينة مكناس من أجل التفاوض بين البلدين حول اقتسام الغنائم باعتبار أن الهجومات تتم من الموانئ المغربية تارة والجزائرية تارة أخرى¹، كما بعث مولاي إسماعيل العلوي بسفارة أخرى للجزائر كان على رأسها ولده عبد الملك والعلامة الوزير الطيب بن كيران الفاسي، والكاتب محمد الغساني من أجل عقد الهدنة مع دايات الجزائر²، وقد لقي الأمير عبد الملك استقبال حافل من طرف المرابطين والعلماء³.

وبعد وصول السلطان مصطفى الثاني للحكم راسله مولاي اسماعيل يهنأه وفي نفس الوقت يشكوه الجارة الجزائر، وقبل أن تصله رسالة مولاي اسماعيل سارع دايات الجزائر بمراسلة مصطفى الثاني متهمين المغرب بتهديد الحكم العثماني بشمال إفريقيا، وهذا ما جعل السلطان العثماني يرد بحزم على مولاي اسماعيل بسفارة سنة 1696م مكونة من عشرة أشخاص محملين برسالة لمولاي إسماعيل يحثه على حسن الجوار مع ولاية الجزائر وإقامة صلح مع حكامها⁴ ويقول فيها: (إن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة المسالك...، وإن سكان البلاد وأهلها وحكامها وجندها منقادا من بعد أجدادنا لنا... إنه بقرب سلطان المغرب ما تزال توجد مليلية والبريجة وسبتة وبادس وهي بيد الكفار... وأنتم تمدون يدكم إلى مدينة بعيدة عن دياركم تقع في جوار تلمسان ألا وهي وهران تريدون أن تحوزوها بأعدار واهية على عكس ما تشير به الآية - يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار -)⁵.

وقد أستقبل سفير السلطان العثماني بحفاوة وعاد بهدية معتبرة، وعلى إثر ذلك تم رفع الحضر على السفن الجزائرية بغية الرسو بالموانئ المغربية، ورغم هذا الخلاف الواضح بين البلدين إلا أنه من خلال تفقد تقرير مسؤول في الحكومة الفرنسية حول العلاقات الجزائرية المغربية الصادر بتاريخ 02 جوان 1700م نستنتج قيمة الأخوة والصدقة بين البلدين، وأن الأجانب هم من يحاول تأجيج هذا الخلاف حيث يذكر بأنه في حالة قيام إحدى الدول الأوروبية بالهجوم على الأراضي المغربية فان داي الجزائر سيغير موقفه المعادي للمغاربة، وسيسارع لنجدتهم لأن ذلك من المبادئ التي تقوم عليها عقيدتهم⁶، وفي إطار التعاون الثنائي بين

¹ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني، ج2، المرجع السابق، ص288-289.

² عبد الرحمن بن زيدان: (العلائق السياسية للدولة العلوية)، مجلة أمل، ع5، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1994م، ص19، فوزية لزغم: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 1520-1830م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2014م، ص69.

³ قدور بوجلال: مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2017م، ص187.

⁴ عبد الجليل التميمي: (تاريخ العلاقات الثقافية بين استانبول والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث)، ضمن أعمال ملتقى الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م، ص568.

⁵ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ...، ج9، المرجع السابق، ص12-13.

⁶ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني، ج2، المرجع السابق، ص307-312.

البلدين حاول مولاي إسماعيل سنة 1700م تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني¹ حيث وصل بقوات كبيرة، ويذكر محمد الراشدي بأنه لما أطل على مدينة وهران وعابن أسوارها ومنعتها عول على الرحيل، وقال هذه أفعى تحت صخرة تنظر غيرها ولا يضرها غيرها، وكان يقصد بالصخرة برج مرجاجو حيث خرج له أعراب المنطقة المتحالفين مع الإسبان، وهذا ما جعله يعود أدراجه لعاصمته مكناسة².

وفي السنة الموالية 1701م أرسل السلطان العلوي مولاي إسماعيل بسفارة للجزائر على رأسها ولده الأمير عبد الملك، وقد تلقى ترحاب كبير من طرف حكام الجزائر، كما بعث برسالة تهنئة للسلطان العثماني أحمد الثالث (1703-1730م) بعد فتح وهران سنة 1708م من طرف الباي مصطفى بوشلاغم³، لكن في سنة 1725م عاد مولاي إسماعيل لشكواه من أتراك الجزائر حيث بعث برسالة للسلطان العثماني أحمد الثالث، وقد رد عليه السلطان برسالة يقول فيها: (اعلم أيها السيد الولي قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسى وخطابكم الأنهى، كما لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر، ولا أنهى إلينا فعلكم أحد كما أنهيتموه لنا، ولا عرفنا ما صار عندهم ولا ما هم عليه، وبالجملة أهل الجزائر ما هم على شيء لكونهم أخلاط الناس فيهم الأصلي وفيهم البراني وفيهم من لا خلاق له، ولم تكن عمارتها بذوي الأحساب والأنساب، كل هذا لا يخفانا قبل، نعرفه ونتحققه منهم، وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد بمحلتهم وأرادوا الشر معك وإننا لا نرضى منهم ذلك، وهذه الذخائر والأموال والخزائن التي خبرتنا بها قطعنا خبرنا بها غيرك، وآلآن ان شاء الله نرد لهم الببال، ونشتغل بهم ولا نتركهم في حيز الإهمال، وتلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب من كمال فعلك وحسبك أن تسمح لهم لوجهنا وإن عادوا يراجعونك ولو بكلمة نمحي جرتهم)⁴.

وبوفاة مولاي إسماعيل دخل المغرب الأقصى في صراع على الحكم بين بنيه بحيث توجه مبعوث مغربي للجزائر من أجل التدخل لحل الخلاف بين ورثة العرش بالأسرة المغربية وتسوية الوضعية بطريقة سلمية⁵، وقد عادت الكلمة لعبد الله وقد كانت علاقته بالأتراك جد قوية بل وصلت لحد الخنوع من خلال رسالته التي بعث بها للسلطان محمود الأول سنة 1731م يقول فيها: (... وها نحن إن شاء الله قائمين بخدمتك الشريفة بكل ما توجه إلينا من حضرتك المنيفة إذ أنزلناك منا على رغم من حسدك منزلة التاج من الرأس والجسد، كما كانت بين أسلافنا وزيادة...، وليكن سيدنا أيده الله ونصره... مطمئن الببال من هذه

¹ محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تحقيق محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2008م، ص46.

² محمد بن عبد الرحمن الراشدي: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط1، دراسة وتحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ص69-70.

³ عبد الرحمن المودن: (الحوليات والأزمات السلطانية 1727-1757م)، أعمال ملتقى الإسطوغرافيا والأمة - دراسات في الكتابة التاريخية والثقافة -، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1994م، ص112، 165-167.

⁴ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ...، ج9، المرجع السابق، ص22-23.

⁵ محمد علي داهش: المرجع السابق، ص168-169.

الثغور...، وأنا أخطب بك في مساجد الجمعة والأعياد، كما فعل والدنا مع أسلافكم الجياد¹...، وإن جنودنا وخيراتنا وافرة...، وأنتم حماة الحرمين الشريفين أنتم بين الملوك كالتاج على الرأس، واننا لنترجوا من جنابكم حفظ ما كان بين آبائنا وأجدادنا من عهد...).

وتدل هذه الرسالة الحالة المعنوية والسياسية التي كان عليها المغرب الأقصى من تشتت وتقهقر داخلي مقارنة مع رسائل سلفه اسماعيل والرشيد ومحمد، وبعد الحملة الاسبانية الثانية على وهران واحتلالها سنة 1732م راسل محمود الأول سلطان المغرب مولاي عبد الله يطلب منه مساعدة جيرانه الجزائريين²، ومن بوادر العلاقة الجيدة بين الأتراك والعلويون خلال حكم عبد الله لما أجبرت سفينة جزائرية على الرسو بالموانئ الفاسية بسبب العواصف الشديدة، وكانت محملة بأشياء ثمينة فتعرضت للنهب والسرقة من الأهالي، وهو ما جعل الجزائر تبعث بسفير لمدينة فاس للمطالبة بتعويضات عن هذه السرقة، وقد استقبل السفير الجزائري أحسن استقبال وتم تعويض السفينة التي نهبت³، وتجسدت هذه الودية أكثر بعد إلقاء السلطان العلوي القبض على المعارض أحمد بن علي الريفي الذي قاد ثورة بالمغرب، وقام بقطع رأسه ووضعها على مداخل مدينة مكناسة سنة 1743م مما جعل عائلته تلجأ لحكام الجزائر وأتباع عبد الرحمن الثعالبي الذين تقدموا بطلب شفاعة للسلطان المغربي من أجل انزال رأسه وتسليمه لعائلته بغية دفنه، وهو ماتم احتراماً لخدام هذا الولي الصالح الشهير⁴.

وبحلول سنة 1757م تولى السلطة محمد بن عبد الله الذي أعاد الهدوء والاستقرار للمغرب الأقصى أين عرفت العلاقات الجزائرية المغربية هدوء كبير، فقد تدخل المولى محمد في تبادل الأسرى بين الجزائر واسبانيا، كما ساهم في لعب الوساطة أثناء الخلاف الجزائري الفرنسي، وتمكن من عقد الصلح بينهما، وفي سنة 1761م وصل للجزائر سفير من طرف المغرب محملاً بالهدايا لدايات الجزائر، وفي المقابل طلب إعانة تتمثل في معدات ورجال لتدريب البحارة المغاربة، وفي سنة 1767م وصل سفير مغربي اسمه عبد الكريم للأستانة محملاً بالهدايا مع أربعة خيول مغربية أصيلة، وقد عاد بسفينة مملوءة بالمدفعية والحيوانات، وفي السنة التي تليها 1768م قام مولاي محمد بتزويج أخته لشريف مكة، وبعد مدة توجه مع أولاده حاجاً إلى مكة عبر الأراضي الجزائرية⁵، كما راسل السلطان العثماني عبد الحميد الأول (1774-1789م) بسفارة تتضمن هدايا قيمة وشكوى قدمها كاتبه الخاص العلامة محمد الحافي حول حكام الجزائر، وأن باشا هذه الأخيرة منع

¹ عبد الرحمن المودن: المرجع السابق، ص112.

² عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب...، ج9، المرجع السابق، ص23.

³ عزيز سامح التز: المرجع السابق، ج2، 496-498.

⁴ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص259.

⁵ عزيز سامح التز: المرجع السابق، ج2، 496-498.

ارسال المغرب الأقصى لأربع قطع حربية نحو الباب العالي أثناء الحرب العثمانية الروسية بدعوى أن السلطنة العثمانية لا تحتاج لهذه القطع المتواضعة وأمر بعودتها للمغرب¹.

كما شكاه من سوء الجوار والغارات المتكررة لبايات الغرب على مدينة وجدة، وقد قال بصريح العبارة: (إن لم تدفع ضررهم عن المسلمين فدعني وإياهم ...)، وقد سارع عبد الحميد بمراسلة داي الجزائر يحثه على أن يتأدب مع السلطان - يقصد مولاي محمد -، ويفعل معه من الآداب ما يفعله مع السلطان عبد الحميد، وفي تطورات خطيرة لعلاقة الباب العالي بالجزائر نجد بأن السلطان عبد الحميد يرسل مولاي محمد برسالة يطلب منه التوسط له لدى دايات الجزائر من أجل احترام الصلح الذي أقامته الدولة العثمانية واسبانيا بحكم أن الدايات أصبحوا لا يسمعون كلامه ولا يحترمون القرارات والمعاهدات التي تعقدها الدولة العثمانية، وقد جمع مولاي محمد السلك الدبلوماسي الأجنبي وكلمهم حول الجزائر قائلا: (... إن أهل الجزائر إن فعلوا مع جنس الاسبانيول الصلح الذي أمرهم به السلطان العثماني نصره الله صلحا تاما كيف أمرهم فعلى بركات الله، وإن لم يفعلوا ما أمرهم به فإننا نوجه عشرة فراقيط من فراقيطنا الجهادية لبايات مرسى الجزائر، ونمنع جميع أجناس النصرارى من الدخول للجزائر، وكذلك الاسبانيول يوجهون عشرة من فراقيطهم، وهم يتكلمون مع أهل الجزائر وأنا كلامي مع أجناس النصرارى الذين يريدون الدخول للجزائر وغيرها من مراسي الجزائر ...)².

وفي سنة 1774م عادت المياه إلى مجراها بين البلدين بعدما اتفق محمد بن عثمان باشا والسلطان محمد العلوي على مهاجمة مشتركة لكل من مدينتي وهران ومليبية وتحريرهما معا حتى يصعب على اسبانيا الرد إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل بعد تفضن الاسبان لهذه الخطوة³، كما بعث السلطان محمد سنة 1779م وزيره وكاتبه محمد المكناسي سفيرا لإسبانيا من أجل تجديد معاهدة الصلح بين البلدين، وافتكك الأسرى الجزائريين المتواجدين بالسجون الإسبانية، وقد خلد المكناسي هذه الرحلة في كتاب سماه الإكسير في افتكك الأسير، وهذا ما يؤكد العلاقة القوية بين البلدين مهما كانت الخلافات السياسية⁴، وتدخل السلطان العلوي مرة أخرى سنة 1785م من أجل الوساطة بين الجزائر وإسبانيا لتبادل الأسرى حيث استقبلهم السلطان

¹ عبد الرحيم بنحادة: (سفارة مغربية إلى استانبول خلال القرن الثامن عشر 1783م)، مجلة المصباحية، ع1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1995م، ص77، 84، عبد الرحمن بن زيدان: المصدر السابق، ص22.

² عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ...، ج9، المرجع السابق، ص30-33.

³ محمد جادة: (الملاحه في اتفاقيات المغرب الدولية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر)، ضمن كتاب البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني بالمحمدية، المملكة المغربية، دت، ص254.

⁴ محمد الغساني: رحلة الوزير في افتكك الأسير، تحقيق عبد الرحيم بنحادة، منشورات معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وإفريقيا، طوكيو، اليابان، 2005م، ص14.

المغربي وأكرمهم بأموال وراحلة وأمر العلامة محمد المكناسي بأخذهم وتسليمهم لحاكم مدينة تلمسان التابع لأترك الجزائر، وهو ما تم¹.

وقد وصلت علاقة الود والمهادنة بين الطرفين إلى دعاء محمد العلوي للسلطان العثماني عبد الحميد الأول على المنابر المغربية بعيد الأضحى سنة 1784م²، وفي سنة 1786م توجه الوزير أبو القاسم الزياني نحو استنبول برفقة طالب عباس، والسفير الكاتب محمد بن عثمان، وبرفقتهم هدايا ثمينة للسلطان العثماني يطلبون منه التدخل لدى الجزائر، ووقف العدوان على الحدود الشرقية للمغرب، وقد وافق السلطان عبد الحميد الأول على طلب مولاي محمد وراسل دايات الجزائر بفرمانات يحذرهم فيها من العودة إلى خلافهم مع المغرب³، وفي نفس الوقت بعث السلطان سفير للمغرب وهو اسماعيل أفندي، وطلب منه تحسس أوضاع هذا البلد، وبعد عودة هذا السفير للأستانة وضع تقرير كاملا عن أوضاع المغرب، وتضمن إشارات مهمة عن الجزائر حيث قال فيه: (... وأثناء إقامتي بالمغرب ورد خمسة أشرف من عربان الجزائر يشكون ما انتابهم من ظلم أهل الوجاقات - دايات الجزائر - ... لقد نقلوا حالات من الظلم يندى لها الجبين ...، وقد استخبرت وعلمت من بعض الملاحظين أن باي تونس وباشا طرابلس وما يتبعهما من قبائل وعشائر عربان تلك البلاد يضمرون الحب خفية للمولى محمد نكاية في عسكر الجزائر، وأن لهم معه مكاتبات ومراسلات، ولهذا فإن لم تسع الدولة العلية لدفع ظلمات هؤلاء المغاربة مما التمسه المولى محمد، فانه والعياذ بالله إذا استيأس الناس أخشى أن يزحف مولاي محمد على الجزائر وينهي الأمر ...)⁴.

ومن العلاقات التي جسدت روح المحبة والتعاون بين حكام البلدين تبادل الهدايا بين الباي محمد الكبير باي الغرب من جهة، ومحمد العلوي وولده من بعده سليمان من جهة ثانية حيث يقول أحمد بن سحنون الراشدي عن الباي محمد الكبير: (وقد هادته الأكابر من كل مكان، فكان ملك المغرب الأعظم وطوده الأفخم الخليفة الجليل السيد محمد بن عبد الله بن إسماعيل لا تنقطع عنه هداياه، ولا تنزر منه هو على رسله عطاياه، وكذلك ولده اليوم بعده، ولما كان مولاي يزيد بن عبد الله العلوي مارا بالجزائر قاصدا الحجاز للحج استقبله الباي محمد الكبير بقصره وأكرمه وأحسن إليه)⁵، ونفس الترحاب لقاها الأمير محمد بن عبد الله

¹ محمد المكناسي: رحلة المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785م، ط1، تحقيق محمد بوكبوط، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 2003م، ص333-335.

² عبد الرحمن المودن: المرجع السابق، ص112.

³ عزيز سامح التز: المرجع السابق، ج2، ص501.

⁴ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ...، ج9، المرجع السابق، ص37.

⁵ أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م، ص144-145.

العلوي في رحلته الحجازية، فلما مر على مدينة بسكرة حيث لقي ترحاب كبير من طرف حاكمها بعدما خرج إليه برفقة أعيان وسكان المدينة، وأظهروا له فرح وسعادة غامرة لهذه الزيارة الكريمة لبلدة بسكرة¹.

ولما تولى مولاي يزيد حكم المغرب سنة 1790م دخل في صراع مع شقيقه مولاي سليمان هذا الأخير وخشية من اغتياله فر للجزائر قاصدا الحجاز، ولما علم الباي محمد الكبير بقدم مولاي سليمان لبابك الغرب أرسل ولده عثمان الذي استقبله وأحسن له، وقد طلب مولاي سليمان من الباي محمد الكبير أن يتوسط له مع محمد بن عثمان باشا حتى يمر للحجاز لكن هذا الأخير اعتذر من مولاي سليمان حتى لا يدخل في خلاف وصراع مع مولاي يزيد حاكم وسلطان المغرب²، ومن خلال تفقد الرسائل بين قنصل البرتغال بمدينة طنجة مع حكومة بلاده نستنتج طبيعة التعاون الذي كان بين الجزائر والمغرب الأقصى ضد الاسبان، ففي رسالة مؤرخة بتاريخ 05 سبتمبر 1791م تؤكد بأن السلطان المغربي مولاي يزيد تواصل مع حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب من أجل تحضير جيش موحد وتحرير مدينة وهران من القبضة الاسبانية³.

وكانت السنة التي تولى فيها مولاي سليمان الحكم موافقة لتحرير وهران سنة 1792م حيث بادر الباي محمد الكبير بالاتصال بالسلطان المغربي من أجل المساعدة عن طريق العلامة محمد ابن هطال وقاضي المحلة ابن سحنون محملين بهدايا قيمة للسلطان مولاي سليمان، وأموال كبيرة من أجل شراء الأسلحة من بريطانيا، وهو ماتم حيث عادا من جبل طارق محملين بمختلف الأسلحة والبارود، وقدرت هذه الحمولة بمائتي قنطار ونصف⁴، ويذكر أبو القاسم الزياني بأن أتراك الجزائر كانوا شديدا الظلم والجور اتجاه الرعية وبالخصوص العرب، وهذا ما جعلهم يلجأون للمغرب ويطلبون الحماية من السلطان مولاي سليمان⁵.

وعلى اثر ذلك فرت العشرات من الأسر التلمسانية نحو المغرب من أجل مبايعة السلطان مولاي سليمان، وهو ما جعل الأتراك يراسلونه من أجل حثهم على العودة وعدم قبول بيعتهم، وتجنبنا للفتنة والخلاف مع الجزائر رضخ سليمان العلوي بطلب حكام الجزائر، وطلب من هؤلاء العودة للجزائر برفقة قائده أبا السرور عياد الودي من أجل التوسط لدى الأتراك حتى لا يعاقبوا هؤلاء على بيعتهم وهو ماتم في الأخير⁶، وفي مقابل ذلك تمرد الأمير مسلمة بن عبد الله على شقيقه مولاي سليمان، وفر إلى المشرق ثم قرر العودة للمغرب والاستقرار بوهران، وطلب من الباي محمد الكبير التوسط بينه وبين السلطان سليمان، وهو ما تم لكن السلطان العلوي اشترط عليه أن يعيش بالمغرب، وبالضبط في مدينة سجلماسة كإقامة جبرية له، وخوفا من

¹ رشيد زين العابدين: (الوجه الآخر لركب الحج في القرن 18م الوجه السياسي والقتالي)، مجلة المعارف، ع11، جامعة الوادي، 2017م، ص204.

² أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص250-251.

³ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني، ج1، المرجع السابق، ص204-205.

⁴ قدور بوجلal: المرجع السابق، ص187.

⁵ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 1991م، ص83-84.

⁶ عبد الرحمن بن زيدان: المرجع السابق، ص29.

الغدر به واغتياله عاد الأمير مسلمة أدراجه إلى المشرق، وهذا ما يؤكد العلاقة الحسنة بين الباي محمد الكبير والسلطان سليمان العلوي¹.

وبعد ثورة درقاوة سنة 1805م عرف الغرب الجزائري عامة وتلمسان بالخصوص هجرة جماعية لأعيانه نحو المغرب الأقصى أين استقبلهم مولاي سليمان بعدما قدموا له البيعة، وقد قبلها السلطان العلوي وقدم لهم عطايا معتبرة، وتحت ضغط تركي تراجع مولاي سليمان عن قبول بيعة هؤلاء جهرا لكن كان في السر يعمل على اسقاط الحكم العثماني نهائيا بالجزائر²، حيث تشير كل المصادر المؤرخة لثورة درقاوية بأن سليمان كان يمددها بالمال والسلاح³، وفي سنة 1813م وصل وفد جديد من ساكنة تلمسان ومستغانم والبليدة ووهران لتقديم الولاء للمولى سليمان معلنين خلع الطاعة والولاء من حكام الجزائر إلا أن المولى سليمان ردهم تجنباً للفتنة مع حكام الجزائر⁴، وعلى إثر حملة إكسموث الانجليزية على الجزائر سنة 1816م أرسل الداوي عمر باشا القاضي محمد بن العنابي رسولا إلى السلطان سليمان العلوي من أجل طلب المساعدة لبناء الأسطول الجزائري من جديد، وقد استقبل محمد العنابي من طرف السلطان العلوي أحسن استقبال⁵.

وأبان المولى سليمان عن تعاطفه مع الجزائر وتعهده بإصلاح الأسطول والموانئ المخربة⁶، وراسل باشا الجزائر بسفارة قادها ابنه الأمير ابراهيم، وبرسالة مواساة خطها مستشار السلطان الأديب أبا حامد العربي الدمناطي⁷ ليقدّم عبارات الحزن والتضامن لداي الجزائر، ومعه بعض المساعدات الحربية⁸، وفي هذه النقطة بالخصوص تذكر لوسات فلنزي بأن مولاي سليمان بعدما وصلت سفارة جزائرية للمغرب اثر حملة إكسموث على مدينة الجزائر كان رد فعله متأخرا، وكان بالضبط سنة 1820م لما أرسل سفينة واحدة بالية لداي الجزائر حسين باشا⁹. بينما يذكر عبد الجليل التميمي بأن السفينة والدعم وصل سنة 1817م إلى جانب دعم الدولة العثمانية المتمثل في بارجة حربية وباخرتين صغيرتين، كما وصل دعم آخر من طرابلس الغرب المتمثل في بعض السفن التي لم يقدر عددها¹⁰.

¹ عبد القادر بلغيث: الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م، ص97.

² عمر بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845م، منشورات عكاظ، الرباط، المملكة المغربية، 1988م، ص71.

³ محمد علي داهش: المرجع السابق، ص170.

⁴ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص33.

⁵ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م، تحقيق خير الدين شترة، دار كردادة، قسنطينة، 2015م، ص255، فوزية لزغم: المرجع السابق، ص77.

⁶ محمد علي داهش: المرجع السابق، ص170-171.

⁷ محمد المنوني: قبس من عطاء المخطوط المغربي، ط1، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م، ص1275.

⁸ عبد الهادي التازي: (العلاقات الدولية للمغرب على عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المملكة المغربية، 2008م، ص157.

⁹ لوسات فلنزي: المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790-1830م، ترجمة حمادي الساحلي، سراس للنشر، تونس، 1994م، ص81.

¹⁰ عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871م)، ط2، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية والعهد العثماني، تونس، 1985م، ص62.

أما المؤرخ المغربي محمد المنصور فيذكر بأن مولاي سليمان بعث بثلاث سفن هدية للجزائر، وأضاف لهم الرابعة سنة 1820م رغم أنه يقر بأن هذه السفن تمثل ترسانة المغرب من الأسطول القديم الذي كان يريد التخلص منه من أجل تجديد الأسطول¹، وبتاريخ 03 أبريل 1820م بعث قنصل البرتغال بالمغرب برسالة لحكومة بلاده يخبرهم فيها بوصول هدية كبيرة من باشا الجزائر نحو السلطان مولاي سليمان تمثلت في خيمة كبيرة مع مستلزماتها ومحمولة على أربعين بغلا، ومعها دفتر يبين محتوياتها، ويقدم القنصل البرتغالي احتمال أنها وصلت من السلطان العثماني عبر وساطة جزائرية²، ولما تولى الداوي حسين الحكم (1818-1830م) عرض خدماته على مولاي سليمان لاستتباب الأمن بفاس على إثر ثورة داخلية، وذلك وفقا لرسالة بعث بها للسلطان المغربي سنة 1821م، وعلى إثر ثورة سكان مدينة وجدة على حاكمها فر هذا الأخير نحو مدينة تلمسان، فقام حسين باشا بإرسال حامية تركية لوجدة من أجل فرض الأمن والاستقرار بها³.

وبعد تولي عبد الرحمن بن هشام السلطة بالمغرب سنة 1822م ورغم مراسلاته وسفاراته مع الباب العالي لكن وبعد وقوع خلاف بين المغرب الأقصى والنمسا أمر الداوي حسين بتجهيز ستة سفن جزائرية للتوجه نحو المغرب الأقصى والقتال إلى جانب الجيش المغربي إلا أن السلطان العثماني محمود الثاني في أمر هياميوني صادر عن الباب العالي بتاريخ 14 سبتمبر 1829م أمر الداوي حسين بعدم إعانة المغرب في حربه ضد النمسا، وذلك بحكم المعاهدة والهدنة بين الدولة العثمانية والنمسا⁴، كما أمره بعدم التعرض للسفن النمساوية والسماح لها بالرسو في ميناء وهران⁵، والأمر الذي تتحاشى المصادر المغربية الخوض فيه هو موقف المغرب الأقصى من الاحتلال الفرنسي للجزائر⁶،

فبمجرد وصول القوات الفرنسية للجزائر وفرضها للحصار راسل الداوي حسين السلطان المغربي مولاي عبد الرحمن من أجل مده بالعون والمساعدة لكسر هذا الحصار إلا أن موقف السلطان المغربي كان التجاهل التام، وقبيل دخول القوات الفرنسية لمدينة الجزائر أرادت أن تجس نبض السلطان المغربي من خلال قنصلها في طنجة السيد دو لابورت حيث راسل السلطان المغربي، وطرح عليه الفكرة والمخطط الفرنسي لاحتلال الجزائر، وفي المقابل طلب ثلاثة أشياء من العاهل المغربي أولا مساعدة الأسطول الفرنسي بالتمويل وقت

¹ محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792-1822م، ترجمة محمد حبيدة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2006م، ص198.

² خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني، ج1، المرجع السابق، ص210.

³ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، منشورات كلية الآداب العلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2010م، ص224، فتيحة صحراوي: الجزائر في عهد الداوي حسين 1818-1830م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م، ص149.

⁴ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ...، ج9، المرجع السابق، ص47، فتيحة صحراوي: المرجع السابق، ص149.

⁵ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص98.

⁶ لتفاصيل أكثر في هذه القضية أنظر: (محمد السعيد قاصري: مبايعة سكان الغرب الجزائري للسلطان المغربي عبد الرحمن 1830-1832م، مجلة دراسات أدبية وإنسانية، ع3، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2005م، ص159-180).

الحاجة، واستقبال الرعايا الفرنسيين المقيمين بالجزائر، وثالثا عدم التدخل في الشأن الجزائري، وقد وافق السلطان المغربي على الطلب الأول وهو تمويل السفن الفرنسية بشرط دفع التعويض، والطلب الثالث بعدم التدخل في شؤون الجزائر بعد احتلالها من طرف القوات الفرنسية، بينما لم يبدي موقفه من قضية استقبال الرعايا الفرنسيين لما فيها من حرج داخلي وخارجي للمغرب¹.

ورغم هذا التعهد المغربي بعدم مساعدة الجزائريين لكن من خلال تفقد الرسائل التي كانت بين مولاي عبد الرحمن وعامله في مدينة تطوان محمد أشعاش نجد بأن السلطان كان يتعامل مع الطرف الفرنسي جهرا ومع الجزائريين سرا، فبتاريخ 13 سبتمبر 1828م وصلت رسالة من مولاي عبد الرحمن لعامله بتطوان يوصيه فيها بترك تجار الجزائر يعرضون سلعهم رغم المعارضة الفرنسية لهذه الخطوة باعتبارها سلع غنائم وقرصنة من السفن الأوروبية، ونفس الغرض نجده في رسالة أخرى بتاريخ 05 أكتوبر 1828م، وتضمنت رسالة ثالثة بتاريخ 20 نوفمبر 1828م خبر تحطم سفينة جزائرية بميناء تطوان، والسلطان المغربي يأمر عامله بضرورة نقل حمولة هذه السفينة إلى الجزائر سواء برا أو بحرا²، وبعد توقيع معاهدة الاستسلام بين الجزائر وفرنسا بتاريخ 05 جويلية 1830م توجه الداوي حسين نحو مدينة ليفورن الإيطالية، ومن هناك بعث برسالة في شهر جانفي 1831م للسلطان مولاي عبد الرحمن يخبره فيها برغبته بالهجرة والانتقال للاستقرار بمدينة تطوان المغربية، وقد وافق مولاي عبد الرحمن على طلبه ورحب به في بلده الثاني³.

كما رحب مولاي عبد الرحمن بجميع الجزائريين الذين اختاروا المغرب الأقصى مستقرا لهم بعد دخول القوات الفرنسية للأراضي الجزائرية حيث أمر عامله بتطوان بحسن معاملتهم واستقبالهم بكرم وجود، ويوصيه باختيار من يحسن فيهم استعمال الأسلحة النارية والمدفعية والبحرية من أجل ضمه للجيش المغربي⁴، ويطرح موسى شرف عديد التساؤلات الغامضة حول العلاقة الحقيقية بين الدولة العثمانية والمغرب الأقصى، فرغم العلاقات الحسنة في أغلب أوقات الدولة العلوية إلا أن هذه العلاقة لم تتجاوز حدود السفارات وتبادل الهدايا إلى المشاركة في المعارك سوية ضد الدول الأوروبية بل كان المغرب الأقصى في عديد المرات يتحالف سرا مع بعض الدول الأوروبية من أجل ضرب استقرار الجزائر، وهذا ما يؤكد فرضية رغبة المغرب الأقصى في إزاحة الخلافة العثمانية على الأقل من منطقة المغرب إلا أنه لم يصرح بها علانية، كما فعل محمد الشيخ السعودي سلفا والتي عجلت باغتياله⁵.

¹ أرزقي شويتام: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1830-1519م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م، ص 129.

² خليفة حماش: وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب - المكتبة الوطنية والخزانة... المرجع السابق، ص 48، 161، 165.

³ خليفة حماش: كشف ووثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني ج 1، المرجع السابق، ص 145.

⁴ خليفة حماش: وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب - المكتبة الوطنية والخزانة... -، المرجع السابق، ص 51-52، 145.

⁵ موسى شرف: العلاقات المغربية العثمانية 1757-1848م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2016م، ص 5-6.

ثالثا/- مشكلتي الحدود والمجال ومحاولات الاختراق البيئية:

من الناحية التاريخية فإن أول ملامح لتشكيل الهيكلة الجغرافية لمنطقة المغرب بحدودها الحالية تعود للعصر الوسيط مع الزيريين بالمغرب الأدنى الذين وصلوا إلى مدينة بونة واعتبروها آخر معاقلهم الغربية، وفي المغرب الأوسط الدولة الحمادية التي امتد نفوذها من بونة شرقا إلى تلمسان غربا وإلى ورجلان جنوبا، والمرابطين في المغرب الأقصى الذي يمتد نفوذهم الجغرافي من تلمسان شرقا للمحيط الأطلسي غربا، كما ظهرت تسميات المغرب الأقصى والأوسط والأدنى في هذه المرحلة من خلال كتب الجغرافيا والرحلات¹.

ويمكن القول بأن أبا الحسن المريني هو أول من حاول توحيد أقطار المغرب والعودة لنفس الرقعة الجغرافية التي كانت تحت سيطرة الموحيدين حيث قاد حملة عسكرية على المناطق الشرقية شملت المغرب الأوسط ووصلت للمغرب الأدنى، وذلك خلال القرن الرابع عشر ميلادي إلا أن الصراع القبلي بين العرب والبربر ساهم في افشال هذه الخطوة، لكن مشكل الحدود الجزائرية المغربية ظهر أساسا خلال القرن الثالث عشر ميلادي، فبعد انهيار دولة الموحيدين ظهرت في الساحة كل من الدولتين الزيانية بالمغرب الأوسط والمرينية بالمغرب الأقصى، وكل منهما كان يريد التوسع على حساب الطرف الآخر، ويعتبر نفسه الأحق بخلافة الموحيدين هذا من جهة، والتنافس على رئاسة وزعامة قبيلة زناتة من جهة ثانية، ما جعل الطرفين يدخلان في صراعات عسكرية كانت أغلبها تصطدم بالقرب من نهر ملوية²، وقد استمر هذا الصراع لسنوات طويلة قبل أن ينتهي بسقوط الدولتين، وقد حاول سلاطين الدولتين الزيانية والمرينية عقد معاهدات هدنة واتفق لرسم الحدود بين المغربين الأوسط والأقصى في أكثر من مرة وأبرز هذه المعاهدات هي³:

الرقم	اسم المعاهدة	تاريخ توقيعها	الطرف الجزائري والمغربي الموقع للمعاهدة
01	معاهدة تلمسان	1257م	يغمراسن الزياني وأبي بكر المريني
02	معاهدة قرية براجر	1260م	يغمراسن الزياني وأبي بكر المريني
03	معاهدة فاس الأولى	1275م	يغمراسن الزياني وأبي يوسف يعقوب المريني
04	معاهدة فاس الثانية	1308م	أبي حمو الأول الزياني وأبي الربيع إبراهيم المريني
05	معاهدة فاس الثالثة	1322م	عبد الرحمن الزياني وأبي سعيد عثمان المريني
06	معاهدة فاس الرابعة	1359م	أبي حمو الآخر الزياني وأبي سالم إبراهيم المريني

¹ الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017م، ص8.

² محمد مكوي: العلاقات السياسية والفكرية المغربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول 1236-1337م، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2008م، ص73-75.

³ جلول مكي: مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب بين 1234 - 1847م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993م، ص78.

وبعد تغير الخارطة السياسية لمنطقة المغرب بنهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي بعد سقوط المرينيين وقيام دولة الوطاسيين وبعدهم السعديين، وفي المقابل سقوط الدولة الزيانية وانتصاب الحكم العثماني بالجزائر هذا التغير في القيادة السياسية للبلدين ساهم بشكل كبير في دفع قضية المجال والحدود للبروز مجددا على الساحة لكن بشكل أقوى حيث تعتبر الأستغرافية المغربية بأن أول من دعى لترسيم الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى بشكل رسمي هو السلطان سليمان القانوني (1520-1566م)¹، وهو ما جعل محمد الشيخ السعدي يتبنى الفكرة ويحاول التوسع على حساب الأراضي الغربية للجزائر ويعتبرها من التخوم المغربية سنة 1553م بعد سفارة محمد الخروبي من طرف السلطان العثماني²، ولعل من أبرز نقاط الاختلاف بين البيلبايات من جهة والسلطين السعديين والعلويين من جهة ثانية هي قضية النقاط والمدن الحدودية، فكل طرف يدعي تبعية هذه المناطق لتخومه.

والبداية مع مدينة وجدة التي كانت خاضعة للحكم العثماني لمدة طويلة إلى غاية سنة 1795م أين تنازل عليها حسن باشا مولاي سليمان بشكل نهائي، ومنذ ذلك الوقت ومدينة وجدة خاضعة للحكم المغربي³، ومدينة فكيك التي تمتلك موقع استراتيجي ومكانة اقتصادية، فهي غنية بالنخيل والأقمشة الصوفية، وهي ملتقى القوافل التجارية ومحطة مهمة حيث تربط وهران وتلمسان بواحات توات وتيكورارين وسجلماسة، وقد حاول الأتراك السيطرة عليها سنة 1564م في عهد عبد الله الغالب وتكرر الأمر مع رمضان باشا سنة 1577م أين فرض على سكانها ضرائب كبيرة استجابة لأوامر السلطان العثماني مراد الثالث في رسالة له لباشا الجزائر حيث أمره بجلب الضرائب من واحة فكيك باعتبارها مقاطعة جزائرية بحت⁴، وبقيت هذه الواحة جزائرية إلى غاية 1805م أين زحف عليها مولاي سليمان العلوي وتمكن من ضمها للتراب المغربي بشكل نهائي⁵.

وإلى جانب فكيك هناك الواحات الصحراوية والتي تشكل خطا للمسار التجاري بين تلمسان وسجلماسة بداية بواحة تيكورارين وصولا لإقليم توات، والذي يضم ثلاثة واحات وهي أدرار وعين صالح وتيميمون، وقد خضعت كل هذه المناطق تاريخيا لحكم الموحدين وبعدهم المرينيين، وكانت مجبرة على دفع الضرائب للخزينة الموحدية والمرينية، وفي نهاية عهد بنو مرين أصبحت هذه الواحات تابعة لقبائل عرب المعقل⁶، وقد حاول محمد الشيخ الوصول لهذه الواحات باعتبارها تشكل مرتكزا تجاريا للولوج في عمق الصحراء الافريقية كما

¹ أحمد العماري: (خلفيات الحدود الجيوسياسية للأتراك والفرنسيين تجاه وحدة المغرب الكبير)، مجلة كلية الآداب، عدد خاص، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1985م، ص164.

² عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج3، ص86-87.

³ أحمد توفيق المدني: مذكرة الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص92.

⁴ محمد نبيل ملين: السلطان الشريف - الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب -، ترجمة عبد الحق الزموري، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 2013م، ص352-353.

⁵ حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص65.

⁶ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية - مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 16م -، ط1، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2015م، ص316-316.

كانت محطة مهمة للقوافل التجارية والحجازية المغربية، وكرد فعل على ذلك وفي إطار توسيع الرقعة الجغرافية لإيالة الجزائر قام رمضان باشا سنة 1577م ببعث حملات عسكرية لجلب ولاء سكان هذه الواحات إلا أنها كانت سيطرة مؤقتة دامت بين (1579-1582م)، فبفضل سياسة أحمد المنصور الذهبي وعلاقته الودية مع السلاطين العثمانيين قام بحملة عسكرية سنة 1583م على كل من تيكورارين وتوات، وبسبب ولاء أعيان وعلماء هذه الواحات للمغاربة جعلها تقبل الانضواء تحت لواء الدولة السعودية وبعدها العلوية¹.

وبعد رسم الحدود بين الجزائر وتونس سنة 1614م وتعزز الاتفاق سنة 1628م بعد معركة سطاره حيث التزم الطرفين بنص المعاهدة التي تقوم على احترام الخط المار من الرأس الأشقر مروراً بوادي سراط إلى وادي ملاق جنوباً كحد فاصل بين الجزائر وتونس بشكل نهائي²، فكان لا بد على باشوات الجزائر أن يعززوا ذلك بعقد هدنة وتوافق مع المغرب الأقصى لضبط الحدود المتنازع عليها منذ العهد الزياني، وتم ذلك سنة 1699م من خلال الخط المار على مسافة 25 كلم غربي الغزوات مروراً بمدينة وجدة إلى واحة فكيك جنوباً كخط فاصل بين البلدين³، ويكون فيها كل من مرسى عجرود وهو مرسى بحري يقع غرب مدينة تلمسان كخط فاصل بحري، ومن الناحية البرية يكون الحد الفاصل هو وادي ملوية - عبارة عن واد ينبع من جبل العياشي بسلسلة جبال الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى، ويتجه نحو الشمال الغربي حيث يلتقي بوادي أمليلو القادم من الأطلس الكبير، فيتجه نحو البحر المتوسط، ويصب بين جراوة بن قيس ومليلية⁴.

ويرى الباحث المغربي قدور بوزياني بأن الأتراك أول من أدخل فكرة الحدود السياسية لمنطقة المغرب خشية من طموحات الأشراف السعديين والعلويين في التمدد والتوسع على حساب إيالة الجزائر، وفي المقابل فقد سارع الحكام الأوائل للدولة العلوية في رسم الحدود من أجل ضمان استقلالية المغرب من التوغل العثماني في مختلف الأقطار العربية من جهة، والتفرغ لتحرير بقية الحواضر المغربية الواقعة تحت نير الاحتلال الإسباني والبرتغالي من جهة ثانية⁵، وقد كانت أولى معاهدات الهدنة بين البلدين خلال العصر الحديث معاهدة التافنة سنة 1654م، فبعد مبايعة مولاي محمد الشريف أميراً على سجلماسة توجه نحو الشمال الشرقي وبالضبط نحو مدينة وجدة حيث سيطر عليها سنة 1650م، وتمكن من استمالة مختلف القبائل العربية القاطنة في المنطقة كعرب المعقل المعادية للأتراك، ولم يكتفي بذلك بل شن غارة على

¹ محمد نبيل ملين: المرجع السابق، ص 140-148، عبد الرحمن قدوري: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 15-16م دراسة في الدوافع والنتائج، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، ص 55-62، الحواس غربي: السيادة السعودية بالبلاد السودانية 1591-1660م دراسة سياسية وعسكرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009م، ص 34-36.

² حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص 46.

³ محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار...، ج 2، المصدر السابق، ص 09.

⁴ جلول مكي: المرجع السابق، ص 44-45.

⁵ قدور بوزياني: المرجع السابق، ص 70-72.

تلمسان ووصل للأغواط، وبعد تدخل الحامية العثمانية بقوة تم عقد هذه المعاهدة التي تقوم على نهر التافنة كحد فاصل بين البلدين¹.

ومما جاء في نص المعاهدة: (والله ما أوقعنا في هذا المحذور إلا شياطين الغرب، انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعونا في معصية الله، وأبلغناهم غرضهم فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعييتكم بسوء، وأني أعطيتكم ذمة الله ورسوله لا قطعت وادي تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله)، ويمكن القول بأن مسارعة أترك الجزائر لعقد اتفاق مع محمد الشريف العلوي كان من أجل توقيف طموح هذا الشاب في استرجاع المدن التي يراها بأنها مغربية تاريخيا حيث تمكن من ربط مدن الجنوب كدرعة وتوات وسجلماسة بمدن الشمال كفكيك وبني يزناسن، والتي كانت خاضعة للأتراك بل وأراد التوغل في مدن أخرى كالأغواط والغاسول وتلمسان والشلف، ورغم تحمس الحكام العلويين المتلاحقين في تجاوز هذا الحد إلا أن أترك الجزائر كانوا يراسلونهم ويذكرونهم بهذا التعهد، وإذا كانت هذه الحدود مضبوطة بوادي التافنة شمالا فان الحدود الجنوبية لم يتطرق إليها تماما، وذلك بسبب عدم اهتمام الأتراك بهذه المنطقة التي لم تكن ضمن حساباتهم التوسعية عكس المغرب الذي توغل فيها منذ أزمنة بعيدة من خلال التجارة عبر مدينة سجلماسة وطريق القوافل الحجازية، ولم تضبط الحدود بين البلدين بشكل دقيق إلا مع وصول المستعمر الفرنسي للمنطقة من خلال معاهدة لالة مغنية².

ومن أجل السيطرة على هذه المناطق الحدودية لعب العلويون على ورقتين من أجل استمالة تلك القبائل التي تسكن المنطقة لصفها، وبذلك ممارسة نوع من الضغط على الأتراك بالجزائر وخلق جدار للصد والدفاع، وتمثل الورقتين في ظاهرة الشرف بحكم أن العديد من القبائل الحدودية بين الجزائر والمغرب الأقصى قبائل عربية تميل بقوة للأشراف أينما كانوا ووجدوا، والورقة الثانية هي الطرق الصوفية المغربية التي وجدت لها قدم بالجزائر خاصة في المنطقة الغربية، وقد كانت لهذه الطرق ولاء مطلق للسلطة العلوية بفاس³، ومن خلال المعطيات السابقة في الصراع على الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى يمكن أن نلخص في الجدول التالي مختلف الأحداث التاريخية التي وقعت بين القرنين (13 - 19م)⁴:

معطيات عامة	المجموع العام	الطرف الجزائري	الطرف المغربي
الحكام المتصارعين	37 ملك	19	18
الحملات العسكرية	36 حملة	10	26

¹ Auguste Cour: L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalite avec les Turcs de la Régence d'Alger 1509-1830, éditions Bouchène, France, 2004, p140.

² قدور بوزياني: المرجع السابق، ص76-77.

³ حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص55-56.

⁴ جلول مكي: المرجع السابق، ص157.

10	08	18 سفارة	السفارات السياسية
06	05	11 معاهدة	المعاهدات الثنائية
07	03	10 تدخلات	السيطرة العسكرية
/	/	17 معركة	المعارك المباشرة

وبعد دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م عرفت مسألة الحدود بين البلدين اهتماما خاصة عند المؤرخون والجغرافيون الفرنسيون من أجل ربح بعض الكيلومترات على الأراضي المغربية على اعتبار أن الجزائر ستبقى ولاية فرنسية للأبد¹، وبعد معركة إيسلي 14 أوت 1844م بين الجيش الفرنسي والمغربي وانتهز هذا الأخير دخل الطرفان في صلح ومعاهدة الأولى كانت بتاريخ 10 سبتمبر 1844م، وتسمى بمعاهدة طنجة لأنها عقدت في هذه المدينة، وتضمنت ثمانية بنود ترسم خلالها الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى وفقا لوادي ملوية، والمعاهدة الثانية كانت بتاريخ 18 مارس 1845م وهي معاهدة لالا مغنية الشهيرة، وتضمنت سبعة بنود، والتي أكدت على أن وادي ملوية يبقى هو الحد الفاصل بين البلدين، وتمتد هذه الحدود حسبها من قلعة عجرود بالساحل شمالا إلى ثنية السامي جنوبا².

* الأستغرافية المغربية وتأزيم قضية المجال:

من خلال تصفح مختلف المصادر التاريخية التي تكلمت عن الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى نجدها تجمع على أن وادي ملوية هو الحد الفاصل بينهما، فعبد الرحمن ابن خلدون يعتبر بأن حدود المغرب الأقصى تمتد من وادي الملوية شرقا إلى وادي أسفي غربا بالمحيط الأطلسي، وهو الطرح الذي سار عليه الحسن الوزان الذي أقرب بأن وادي الملوية هو الحد الشرقي لمملكة فاس بينما نهر أم الربيع هو الحد الغربي للمملكة، وتؤكد الأستغرافية الجزائرية هذه الفرضية بأن وادي الملوية هو الحد الفاصل بين البلدين منذ أقدم العصور كابن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني، والمؤرخ أبي راس الناصري الذي اعتبر بأن مدينة وجدة كانت ولا زالت هي الحد الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى³.

وإذا انتقلنا للمادة الخيرية الغربية فنجد المؤرخ الفرنسي أدريان باربروجر يذكر بأن الرومان قسموا المغرب القديم إلى مقاطعتين حيث أطلقوا على المنطقة الواقعة بين طرابلس شرقا وبجاية غربا مقاطعة إفريقية، والمنطقة الممتدة من بجاية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا بمقاطعة موريطانيا، وقسمت هذه الأخيرة إلى قسمين موريطانيا القيصرية وتمتد من بجاية إلى نهر ملوية وموريطانيا الطنجية وتمتد من نهر

¹ المرجع نفسه، ص 09.

² خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب ...، ج 1، المرجع السابق، ص 294-295، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب - المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط -، المرجع السابق، ص 305، 371.

³ محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار...، ج 2، المصدر السابق، ص 49.

ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وبذلك فنهز ملوية كان فاصلا بين الجزائر والمغرب الأقصى في العصور القديمة، ويعزز هذه الفرضية كل من الجغرافي مرمول كرفخال في العصر الحديث¹.

وفي مقابل ذلك فقد حرصت المصادر المغربية منذ القرن السادس عشر ميلادي على إبراز وإظهار الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى، وذلك حتى تكون وثيقة مرجعية فيما بعد يرتكز عليها في اثبات الشرعية لهذه الحدود، فكل من اليفرني والزياني والقادري والضعيف والناصر يصفون في كتاباتهم الأتراك وتواجههم بمنطقة المغرب بالغة والمحتلين أما الحدود الشرقية للمغرب الأقصى من منظورهم فتصل لبسكرة والأغواط، وكانت البداية مع كتب الرحلة الحجازية المغربية التي أشار أصحابها كالحسن اليوسي وأحمد الهشتوكي وأحمد بن ناصر الدرعي إلى أن سلطة حكام الدولة العلوية كانت تمتد إلى واحات الأغواط وعين ماضي والغاسول وبوسمغون وتوات وبشار لكن الأشكال هو هل هذه السلطة مادية أي تبعية مباشرة من خلال حاكم أو أمير علوي يحكم المنطقة هناك؟ أم هي سلطة معنوية تنحصر في الدعاء والولاء لآل البيت؟ وتواجد العملة المغربية بأسواق هذه المدن وغيرها هي مجرد مؤشرات وهمية².

وبينما أكدت الأستغرافية الجزائرية والغربية وحتى الإسلامية على أن وادي ملوية هو الحد الفاصل بين البلدين منذ أقدم الأزمنة فإن المصادر المغربية تعتبر وادي التافنة هو الحد الفاصل بين البلدين معتمدين على المعاهدة الموقعة بين الأتراك ومحمد الشريف العلوي، والتي تجددت مع أخويه الرشيد واسماعيل³، هذه الإشارات من طرف المصادر المغربية ساهمت في تغذية مشكلي المجال والحدود بين البلدين، فالأطروحات التي حملتها بين صفحاتها كانت تنبعث منها رائحة التعصب والتحيز الفاضح للطرف المغربي، ولما نتعمق في شخصية هؤلاء المؤرخين وسيرهم الذاتية نستنتج سبب هذا التحامل على الطرف الجزائري، فقد كان أغلبهم سفراء ووزراء وكتاب في البلاط السعودي والعلوي، كالتمجروتي والزياني والسلاوي واليفرني، وبذلك فالمصلحة الشخصية أولى لهم من أي شيء آخر.

وقد تصل الحدود المغربية حسب تصوراتهم إلى غاية بسكرة والأغواط وبلاد الزاب، فأبو العباس الناصري يبرر حملة محمد الشيخ على مدينة تلمسان سنة 1550م بأن السلطان السعودي كان يعز عليه أن تسقط مدينة مغربية تاريخية كتلمسان بيد الأجانب والدخلاء الأتراك⁴، كما يصرح التمجروتي بأن الأتراك دافع الله بهم عن المسلمين، وحملوا الإمارة نيابة وأمانة يؤدونها لمن هو أحق وأجدر بها، وهم موالينا الشرفاء

¹ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية - مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 16م -...، المرجع السابق، ص 192-193.

² محمد ماكامان: المرجع السابق، ص 476-477.

³ زهراء النظام: المرجع السابق، ص 192-193.

⁴ عمر بنميرة: المرجع السابق، ص 118.

ملوك بلاد المغرب ويقصد السعديين¹، ورغم أن الرحالة المغربي أبو القاسم الزياني جاهر بإعجابه بمدينة استنبول والحضارة التي بها إلا أنه أنشد فيهم نظم غير لائق حيث قال:

لا تركن لتري وإن عظمت ... منه العبادة حتى طارفي السحب
إن جاد يوما فذاك الجود في غلظ ... وإن تمرد عن أم له وأب²

ولم يقتصر الأمر على المصادر المغربية خلال القرن التاسع عشر والعشرون بل تعداه إلى الباحثين المغاربة في الوقت الراهن، فالباحث أحمد العماري يرى بأن الحدود المغربية تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مدينة تلمسان شرقا وتصل إلى غاية بسكرة والأغواط في بعض المراحل التاريخية، وكانت هذه المناطق تابعة بالولاء لسلطين المغرب الأقصى حتى عندما كانت خاضعة إداريا للأتراك³، ويرجع العماري سبب سكوت المصادر عن مصطلح الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى قبيل القرن السادس عشر ميلادي يعود لعدة عوامل بداية بالعامل الديني، فالمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية المتبعان في المغرب تمنعان الفرد من الخوض في هذا الموضوع، فالحدود موجودة في بلاد الكفر وليس في بلاد الاسلام والخوض فيها يعتبر ارتدادا عن الدين.

والعامل الثاني هو التركيبة الاجتماعية لبلاد المغرب، فالقبائل الحدودية بين الجزائر والمغرب الأقصى واحدة وتتحرك باستمرار بسبب التجارة والرعي والمصاهرة هذا من جهة، وخروج هذه القبائل عن السيطرة السياسية يجعلها سيادة في قراراتها بالتنقل والترحال بين البلدين بحرية مطلقة، ولا تأتمر بأوامر أي جهة سياسية مهما كانت من جهة ثانية، والعامل الثالث هو تقني بامتياز فانعدام الخرائط والوسائل الحديثة للقياس وتقسيم الحدود والمعروف بالطبوغرافيا كان حاجزا للخوض في هذا الموضوع سابقا، أما العامل الأخير هو العناصر الدخيلة والوافدة على المنطقة فرغم أن المنطقة عرفت تدخلات أجنبية عديدة بداية بالفينيقيين والرومان مروراً بالوندال والبيزنط وصولاً للعرب الفاتحين إلا أن هذا الموضوع لم يطرح بتاتا عكس العنصر التركي والاسباني والفرنسي الذين أثاروا هذه القضية بحثاً عن النفوذ والسيطرة⁴.

¹ علي التمجروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتعليق سليمان الصيد، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1988م، ص94.

² علال معكول: (التواصل الفكري والثقافي بين المشرق والمغرب من خلال الترجمان المعرب لأبي القاسم الزياني الوزير المؤرخ الأديب)، مجلة مكتاسة، ع06، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مكناس، المملكة المغربية، 1992م، ص203.

³ أحمد العماري: المرجع السابق، ص179.

⁴ أحمد العماري: المرجع السابق، ص142-148، أحمد العماري: (المؤثرات الحقيقية وراء موقف المؤرخين الأجانب من التدخل المغربي في تلمسان سنة 1830م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، ع2-3، فاس، المملكة المغربية، 1979-1980م، ص89.

لقد حاولت المصادر الغربية رسم صورة سوداوية عن الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني، وقد ركزت في مواضيعها على القرصنة والإتاوات البحرية والتجارة الخارجية والأسطول والأسرى والعلاقات الدبلوماسية للجزائر والحملات العسكرية مقابل إهمال واضح ومتعمد لحالة المجتمع الجزائري العميق وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية¹، وحتى تلك التي سلطت الأضواء على العنصر الثقافي فقد كان وصفها جد قاس، فالبير دوفال يرى بأن الفرد الجزائري لم يكن بحاجة ماسة للتعليم ما دام أن الوظائف السامية والجيش لا يتطلبان معرفة وثقافة عالية، فرياس البحر وحنود الانكشارية أغلهم جهلة لا يعرفون القراءة والكتابة إلا أنهم وصلوا إلى مراتب عليا تصل للباشوية في كثير من الأحيان². أما القنصل كاتشارت فيذكر بأن طيلة مكوثه بالجزائر لم يلتقي ولو برجل واحد في المستوى من حيث التعليم³، وهي نفس الملاحظة التي أشار لها الرحالة الأسكتلندي ويليام ليثجر الذي حل بالجزائر سنة 1615م، وأقر بأن أهالي الجزائر بالأرياف أقل تدينا وعلما من الأتراك بالمدن رغم أن الأرياف لم تكن خاضعة لسلطة الأتراك، وبذلك فالتقصير الثقافي هو من السكان والأهالي وليس من السلطة⁴.

وكذلك الشأن لفايسات الذي حمل الأتراك الجهلة على حد وصفه المسؤولية الكاملة للانحطاط الذي شهدته الجزائر، وإذا كانت العلوم الشرعية واللغوية حاضرة في المناهج المدرسية للطالب الجزائري، فإن الفلسفة والحساب والفيزياء والطب كانت غير معروفة بتاتا بالجزائر على حد وصف الدكتور شو الذي زار الجزائر ووصل لقناعة مفادها بأن لا السلطة ولا السكان كانا لهما اهتماما بالعلم وإقامة المؤسسات⁵، ونفس الطرح سار عليه الأسير تيدنا فطيلة مكوثه بمدينة معسكر لم يجد بها أكثر من مائة شخص يحسنون القراءة، والذين يعرفون حرفا واحدا من القرآن يعدون من الشيوخ والعلماء⁶، وإذا كان هذا حال وصف المصادر الغربية، فإن الرحلات المغربية التي حطت رحالها بالجزائر خلال هذه الفترة اختلفت بين اشادة واعجاب بالعلوم والكتب المتوفرة بالجزائر، والتي لا يوجد مثيل لها حتى في المغرب الأقصى على حد وصف التمجروتي⁷، وبين قدح وذم لهؤلاء الأتراك الأعاجم أين تباع مناصب القضاء والإفتاء والإمامة والخطابة بالجزائر واسطنبول، وحتى اللغة العربية كانت محتقرة من قبل هؤلاء، كما أن السلاطين الأتراك ومختلف

¹ Tayeb Chenntouf: *Etudes d'histoire de l'Algérie 18-19^e siècles*, Office des publications universitaires, Alger, 2010, p11-13,

Moulay Belhamissi: *Alger la ville aux mille canons*, éditions ANEP, Alger, 2009, p27.

² ألبير دوفال: الرئيس حميدو، ترجمة محمد العربي الزبيدي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1972م، ص 16-17.

³ هاملتون كاتشارت: مذكرات أسير الداي، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 99.

⁴ ميشال أبار: (الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي)، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة الثقافة، ص 1، ع 3، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1971م، ص 49.

⁵ مختار حساني: التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص 37-38.

⁶ أميدة عميروبي: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا نموذجاً)، دار الهدى، الجزائر، 2003م، ص 32-83.

⁷ علي التمجروتي: المصدر السابق، ص 90.

حكامهم في الايالات لا يشجعون العلم والعلماء على حساب جباية الضرائب والاهتمام بالجيش مثلما جاء على لسان أبو القاسم الزياني¹.

ولما نعود للدراسات العربية فقد أقرت بأن الأتراك كانت لهم نفس السياسة في جميع البلدان التي حلوا بها أين انسحبوا من الحياة الثقافية، وتركوا مجال الابداع والانتاج لأبناء البلد سواء في الشام أو العراق أو مصر أو تونس أو طرابلس الغرب وكذلك الشأن بالجزائر، وفي المقابل لم تسجل هذه المراجع ولا محاولة واحدة من هؤلاء الحكام الأتراك لعرقلة التعليم أو الثقافة أو محاربة عناصر الهوية العربية والاسلامية، وبذلك فعملية التقصير تتحملها بنسبة أكبر النخب والعناصر الفاعلة في المجتمعات العربية² حيث يرى المؤرخ المصري عبد الرحيم عبد الرحمن بأن الدولة العثمانية - ليس في الجزائر فقط بل في جميع ايالاتها العربية - اعتمدت في الجانب الثقافي على ترك الحرية للعنصر المحلي لإبراز الثقافة التي يريد، فلا هي حاربت اللغة العربية ولا المذاهب الدينية التي كانت منتشرة بهذه الايالات رغم أنها كانت تريد نشر اللغة العثمانية والمذهب الحنفي، وبذلك فقد استمرت مختلف المؤسسات الكبرى في عملها بتنوير ونشر الثقافة والعلوم في شاكلة الزيتونة بتونس والأزهر بمصر والمسجد الأموي بدمشق والحرمين المكي والمدني ومدارس بغداد والبصرة والكوفة³.

وبذلك فاللوم هنا على العنصر المحلي الذي لم يخلق لنفسه جامعة ومؤسسة ثقافية كبرى لا قبل ولا أثناء ولا بعد الوجود العثماني بالجزائر، ويرد إسماعيل أحمد ياغي على الأقلام التي أرادت تشويه الحكم العثماني للأقاليم العربية وتخلفه عن الركب الحضاري الذي عرفته أوروبا في مجال الثقافة والعلوم بأن الدولة العثمانية يكفها شرفا أنها قامت بصيانة وحماية إسلام وعروبة بلدان شمال إفريقيا من التكالب المسيحي الذي شنته الجيوش الاسبانية والبرتغالية والفرنسية وفرسان القديس يوحنا، والتي أرادت انشاء مستعمرات مسيحية في شمال قارة إفريقيا⁴، ويوافق عبد الجليل التميمي هذا الرأي وما بقاء سبته ومليلية المغربيتين حاليا تحت الحكم الاسباني خير دليل على المجهود العثماني - بعدما رفض المغرب التدخل العثماني، وأراد أن يعتمد على نفسه في مواجهة المد البرتغالي والاسباني⁵.

¹ علال معقول: المرجع السابق، ص 190.

² أحمد بن داود: المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم 1920-1954م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2017م، ص 5-6.

³ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: (النظم الإدارية العثمانية في البلدان العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية)، مجلة الدارة، ع 01، ص 9، المملكة العربية السعودية، 1982م، ص 114-115.

⁴ إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996م، ص 273.

⁵ عبد الجليل التميمي: دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453-1918م، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1984م، ص 91.

وما قيل عن الجهل والتخلف والانحطاط الثقافي بالجزائر وليبيا خلال العهد العثماني لم يقال عن تونس ومصر رغم أنهما عرفا أيضا الحكم العثماني، وهنا يرى عبد الباسط دردور بأن ذلك راجع للمكتسبات القبلية لهذه البلدان وللعنصر المحلي، فبينما نجحت تونس ومصر في تأسيس مدارس ومعاهد علمية كبرى كالزيتونة والأزهر - ونفس الشيء يقال عن القرويين بالمغرب الأقصى - نجد بأن الكيانات السياسية الإسلامية التي قامت بالجزائر وليبيا عجزت عن هذه الخطوة، وبذلك فقد استغل علماء مصر وتونس هذه الهياكل العلمية والثقافية خلال العهد العثماني، ولم يهتموا تماما بمدى تجاوب السلطة السياسية مع الفعل الثقافي، وفي المقابل كان الفرد الجزائري والليبي ينتظر دائما من السلطة السياسية ذلك الدفع والعتاء والتشجيع الثقافي والفكري، وبذلك بقي أسيرا لهذه الأفكار والتخمينات¹.

وإذا انتقلنا للدراسات الجزائرية فان عمر بن قينة يعتبر بأن الظلم الذي سلطه بعض الحكام الأتراك وأتباعهم على الرعية ورغم المساوى العديدة لهؤلاء لكنه يبقى حكم إسلامي ساهم في تحرير المدن الجزائرية من الاحتلال المسيحي، وهو ان لم يشجع الحركة التعليمية فانه لم يعرقل جهود المواطنين في تشييد المؤسسات، وتدريس اللغة العربية ومختلف العلوم الشرعية، كما فعل المستعمر الفرنسي². أما أبو القاسم سعد الله فقد كان قاسيا على الحكام الأتراك بالجزائر، فقد وصفهم بالجهلة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة همهم الوحيد جمع المال والتسلط، ولا يسوون أحكام الشريعة بين المسلم الجزائري والمسلم العثماني، كما أشار لانتشار الرشوة والظلم والفساد بينهم، وأنهم لا يتكلمون العربية ولا يسمحون للجزائري بتقلد المناصب، كما تعدوا على حرمان الأوقاف، ويصفهم بالأعاجم فأغلبهم لا يتكلم حتى التركية - لأنهم من ألبانيا والبوسنة وإيطاليا ... - فما بالك بالعربية³.

ويرى محمد الطيبي بأن المثقف الجزائري خلال العهد العثماني لم يكن يفكر في المصلحة الجماعية للوطن والدولة بقدر ما كان تفكيره مصلي شخصي، فقد عجز عن تقديم حلول للركود والجمود الفكري والثقافي الذي كان يسود البلاد، وقد حمل المسؤولية كاملة للحكم العثماني حيث اختار قرار الهجرة نحو بلاد المغرب والمشاركة بحثا عن مستوى معيشي أحسن، وحتى الذين عادوا للجزائر فإنهم لم يأتوا بالإضافة بقدر ما عادوا بمعارف انكبوا على تدريسها في نطاق ضيق بقراهم⁴، وإذا اعتبر كل من عبد المجيد مزيان وأبو القاسم سعد الله بأن السبب يعود إلى غياب الإرادة السياسية للحكومة التركية الحاكمة، والتي لم تكن

¹ عبد الباسط دردور: أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 2002م، ص117-120.

² عمر بن قينة: المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات والنتائج، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2000م، ص24.

³ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص10.

⁴ محمد الطيبي: الجزائر عشية الغزو الاحتلالي - دراسة في الذهنيات والبنىات والمآلات -، ط1، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص144-145.

الثقافة والعلم من أولوياتها¹، فإن أسماء القاسمي ترد بأن الأمة هي المسؤولة عن تعليم أولادها والقيام بالشؤون الثقافية والدينية بدلا عن الحكومة²، ويطلق جمال قنان على المؤسسات الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني مصطلح التسيير الذاتي على اعتبار أن الدولة كانت بعيدة عن هذا الميدان لكن في المقابل لم تعرقل أبدا نشاط القائمين عليه من طلبة وعلماء، وفي المقابل نجد حرية معتبرة للمساجد والزوايا والمعاهد والمدارس في نمط البرامج والمناهج المدرسية³.

وما يمكن قوله في هذه الجدلية الشائكة أن الانحطاط الثقافي والعلمي الذي شهدته الجزائر خلال العهد العثماني لم يكن وليد هذه المرحلة وإنما يعود لقرون سابقة، كما أنه لم يقتصر على الجزائر فقط بل ساد جل الدول والأقطار العربية والإسلامية، كما أن الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية ساهم كثيرا في تدمير مختلف الحواضر العلمية التاريخية في صورة بجاية وتلمسان، وبسبب انعدام جامعة كبيرة بالجزائر في شاكلة القرويين والزيتونة والأزهر أفرغ الثقافة الجزائرية من محتواها وشجع علماءها على هجرتها.

أولا/- علاقة الحكام الأتراك بالعلم:

بعد تتبعنا لمختلف الدراسات التي تطرقت لموضوع المؤسسات الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني يتبادر لذهننا طرح سؤال وجيه وهو: لماذا عجزت الجزائر عن توفير مركزا ثقافيا وحضاريا وجامعة كبيرة لطلبتها وعلمائها في شاكلة الزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب الأقصى، والأزهر بمصر؟، فهل السبب يعود إلى غياب الإرادة من السلطة التركية الحاكمة وتوجهاتها نحو العلم والثقافة؟ أم لغياب الكفاءات والكوادر العلمية الجزائرية التي تسيّر هذه المراكز العلمية؟

لا يمكن لنا أن ننفي صفة العلم على بعض الحكام الأتراك سواء بالجزائر أو اسطنبول، فالسلطان سليم الثاني وابنه سليمان القانوني كانا من محبي العلم حيث يذكر الرحالة التونسي محمود مقديش في وصف السلطان سليمان القانوني: (أقام السنة وأحيا الملة، فكان من المجددين للأمة الإسلامية بسبب كثرة علمه وأدبه وفضله، وقد ترك تفسيراً للقرآن، وغزى بنفسه ثلاثة عشر غزوة)⁴، ولا يختلف الأمر عن الجزائر والتي كان فيها عديد الباشوات والدايات والبايات على قدر كبير من العلم والثقافة، فقد كان حسن آغا محب

¹ عبد المجيد مزيان: (المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار)، ضمن منشورات ملتقى الحياة الثقافية بالجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1986م، ص7-8، أبو القاسم سعد الله: (مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830-1954م)، مجلة الثقافة، عدد خاص، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976م، ص56.

² أحمد المقرئ: الرسائل، دراسة وتحقيق أسماء القاسمي الحسني، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص58.

³ جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، دار هوم، الجزائر، 2010م، ص294.

⁴ محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج2، ط1، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص48-49، 58-59.

للدراسة والعلم حريصا على نشر العدل والانصاف وحماية الدين حسب وصف كورين شوفالييه¹، كما أغفلت جل المصادر التاريخية المحلية منها والأجنبية خبر تولي العلامة المولى أبو الحسن علي أفندي منصب الباشوية بالجزائر سنة 1616م رغم قصر المدة - ثلاثة أيام فقط - لكن رمزية الحدث تنفي تماما تلك الاتهامات الموجهة للحكام، والتي تتمحور حول الجهل والأمية²، ولا ننسى يوسف باشا (1642-1644م) الذي كان من الباشوات المتعلمين، وكذلك الشأن لمحمد باشا (1651-1653م) الذي كانت له معرفة واسعة واستحق لقب العالم³، ومن الصفات التي كان يتميز بها الداوي شعبان عند حكمه للجزائر خلال القرن السابع عشر ميلادي أنه كثير قراءة القرآن الكريم بل أن المصحف لم يكن يفارق يده في غالب الأوقات كثير الصدقة، وقد ذكر أحمد برناز في كتابه الشهب المحرقة بأنه جهز قبره بنفسه قبل وفاته⁴، وتميز الداوي الحاج شعبان خوجة (1690-1695م) عن غيره بالجمع بين صفات القوة والجبروت والبطش بالأعداء والمعارضين من جهة، وصفات الورع والتقوى والصوم وقراءة القرآن والذكر من جهة ثانية حتى قيل فيه:

فما قام من شعبان شعبان ليلة ... ولا صام في الاسلام رمضان رمضان
ما رأينا كأمر ظلم الناس وسبح ... فهو كالجزار فينا يذكر الله ويدبح⁵

وكذلك الشأن للداوي الحاج مصطفى (1700-1705م)، فقد كان مجاهدا في سبيل الله حيث يتولى قيادة الجيش بنفسه وحقق انتصارات عسكرية على باي تونس وملك المغرب، وكان محبوبا من طرف العامة فقد عرف عنه الاعتدال والورع والسماحة⁶، ونفس الشيء يقال على الداوي محمد بن بكر (1748-1754م)، والذي كان يعتبر من بين الدايات العادلين على حد وصف دوقرامون، فقد كان متعلما وذكيا يحب العلم وأهله ويقرب العلماء لمجلسه، وقد تلقى أيضا المدح والثناء من طرف فونتير دوبارادي الذي وصفه بالمتقف ومطبق الشرع⁷، لكن أكبر داي وقع الجدل في سيرته هو آخرهم حسين باشا (1818-1830)، فرغم التهم والأوصاف القبيحة التي ألصقت به إلا أن حمدان خوجة يعتبره من خيرة حكام الجزائر، فقد كان ذا ثقافة واسعة ينتمي لأسرة كريمة كان شريف النفس تعلم القراءة والكتابة قبل أن ينخرط في الجيش العثماني⁸،

¹ Corinne Chevallier: *Les trente premières années de l'Etat d'Alger 1510-1541*, Office des publications universitaires, Alger, 1986, p82-83.

² فارس كعوان: (عالم على رأس أوجاق جزائر الغرب - قراءة تحليلية لولاية القاضي المولى علي أفندي سنة 1616م في ضوء المصادر المعاصرة). مجلة البحوث التاريخية، ع5، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2018م، ص110.

³ أمين محرز: *الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671م*، دار البصائر، الجزائر، 2011م، ص23.

⁴ عبد القادر صحراوي ومحمد عطية: (مشروع توحيد الإيالات المغاربية في عهد الداوي شعبان 1688-1695م)، مجلة الحوار المتوسطي، ع15-16، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017م، ص550.

⁵ رجاء رهيوي: *دايات الجزائر صور وأبعاد*، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008م، ص32-33.

⁶ رجاء رهيوي: المرجع السابق، ص38.

⁷ De Grammont: *Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830*, Ernest Leroux, éditeur 28, Paris, France, 1887, p245.

⁸ رجاء رهيوي: المرجع السابق، ص66-67.

وكان بعيدا عن الطمع والسرقعة¹، وهو نفس رأي أحمد الشريف الزهار الذي وصفه بالرجل الصالح الذي يطبق أحكام الشريعة الاسلامية، وقد صدرت منه عديد الأوامر تقضي بإبطال الزنا وشرب الخمر التي كانت منتشرة بمدينة الجزائر، وأمر بتطبيق الشرع على هؤلاء، كما أمر الناس بالصلاة جماعة، وكل تاجر يبقى بدكانه بعد الأذان يعاقب²، فهو رجل تقي ملتزم بأحكام الشريعة الاسلامية محبا للعلم والصالحين محاربا للظلم ويدافع عن الفقراء والمظلومين³.

وقد تعامل مع الداي الذي سبقه في الحكم علي باشا بسماحة واحترام كبيرين حيث أمر بدفن جثته في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وقد بعث بمختلف الوزراء والجنود للحج، كما أمر بتدريس صحيح البخاري كل يوم بجامع خضر باشا، على أن يختم كل شهر، وأمر أيضا بقراءة الورد بالجامع الأعظم يوميا، وكان يحضرها بنفسه⁴، وعلى مستوى البايات فقد كان الباي محمد الكبير باي وهران شغوف بالمطالعة وجمع الكتب والمخطوطات، فقد كان ولوعا بالفقه والأدب وتاريخ الأمم والشعوب، وكان يتكفل بشراء ونسخ المخطوطات النادرة، ويوزعها على الأدباء والعلماء، وقد كانت له مكتبة ضخمة في قصره، مفتوحة للطلبة والعلماء في كل الأوقات⁵، متحكم في عديد اللغات الأجنبية وبالخصوص الفرنسية والاطالية⁶، ويقول عنه أحمد بن سحنون الراشدي بأنه شغوف بالعلم والمطالعة، فقد كان يشتري الكتب ويقوم باستنساخها ويوزعها على مختلف المؤسسات الثقافية ويأمر بقراءتها بحضرته، ولما ينصرف مجلسه ينفرد بهذه الكتب فتكون له نعم الأنيس والجليس.

كما كانت له يد طولى في الطب ووصف الأدوية المناسبة، وقد اعتمد عليه الشيخ عبد اللطيف في تأليف كتابه في الطب المسمى بالمنهل الروي والمنهج السوي في الطب النبوي⁷، كما كان يرسل ببعثات طلابية للأزهر الشريف ويرسل لهم هدايا سنويا⁸، ورغم أن ولده الباي عثمان لم يكن بمستوى والده من العلم والثقافة إلا أنه حرص على عقد المناظرات في مجلسه، وكان يتولى تقييم هذه المناظرات والمسجلات العلمية بنفسه حيث يقول عنه حفيد العلامة محمد الزجاجي في كتابه إتمام الوطر في التعريف بمن انتهى في أول القرن الثالث

¹ حمدان خوجة: المرأة، ترجمة وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص173-174.

² أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار... المصدر السابق، ص165.

³ الأمير بوغدادة: المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء نموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2008م، ص180.

⁴ أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص172، 205، فتحة صحراوي: المرجع السابق، ص121.

⁵ أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785م، تحقيق محمد بن عبد الكريم، منشورات ارياد الآفاق، 1968م، ص27.

⁶ عدة بن داهة: (النزعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن الكريم في منطقة معسكر خلال العهد العثماني)، مجلة المواقف، ع03، جامعة معسكر، 2008م، ص85.

⁷ أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص147.

⁸ محمد أبي راس الناصري: الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق سليمة بنعمر، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، المملكة المغربية، 2002م، ص68.

عشر بأن الباي عثمان كان ذكي الفؤاد والجنان ذا عقل لائق وفهم فائق حيث كان يعقد المناظرات بقصره ويحكم عليها بنفسه¹، وفي بايلك التيطري تميز الباي محمد الذباح بثقافة عالية بحكم دراسته لسنوات طويلة بزواوية تيزي راشد بالبليدة، فكان مشبع بالعلوم الشرعية والأدبية، وكان صهرا لأسرة ابن القاضي تولى الخلافة على قيادة سبوا قبل أن يصل لحكم بايلك التيطري بين (1794-1797م)².

وعلى مستوى بايلك الشرق فقد سرق صالح باي الأضواء من سابقه ولأحقه بغزارة علمه وثقافته الواسعة، فلم يكتفي بتشجيع الطلبة والعلماء بمدينة قسنطينة فقط بل أراد أن يجعل من هذه المدينة قطب ثقافي وعلمي من خلال استقطاب الطلبة والعلماء من داخل وخارج الجزائر، وقد اتخذ عديد الاجراءات في سبيل ذلك خاصة فيما يتعلق بتوفير الايواء والاطعام وتشديد مختلف المؤسسات التي سنتحدث عنها لاحقا³، ونفس الشيء يقال عن آخر البايات الحاج أحمد، فقد وصفه المؤرخ الفرنسي أوجين فايست بالرجل المثقف والمتعلم يتميز بالعدل والشجاعة⁴، وساعده في ذلك نشأته الأولى بمنطقة الزيبان عند أخواله، وهناك كبر على حب الإسلام والتقوى وحفظ القرآن الكريم والتفقه في الدين وتعلم قواعد اللغة العربية الصحيحة بصرفها ونحوها، ورسائله المختلفة تدل على بلاغته.

كما حرص كغيره من الجزائريين على تأدية مناسك الحج وبذلك اكتسب لقب الحاج، وهو لقب له قيمة معنوية كبيرة لدى هؤلاء الحكام⁵، ولم يقتصر الأمر على الباشوات والبايات فقط بل تعداه لرياس البحر، فقد كان اليريس حميدو (1770-1815م) طيب الخلق متعلما ومثقفا ثقافة عالية حيث يذكر أحد أسراه وهو الشاعر الإيطالي فليبو بانانتي في كتابه قصة الإقامة في الجزائر بأن حميدو أهدها كتب بالعربية، وتذكر أيضا السيدة إليزابيث بروتن ابنة القنصل البريطاني ماكدونالد في كتابها ست سنوات إقامة في الجزائر بأن اليريس حميدو كان جارها ويتقن الإيطالية والانجليزية بطلاقة⁶، وهو ما ينفي الحكم المطلق على أن رياس الجزائر كانوا جهالا لا هم لهم إلا القرصنة وحب جمع المال.

¹ جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م، ص292-293.

² عبد الرزاق بن حمادوش: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، دراسة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص163.

³ مجهول: أخبار بلد قسنطينة وحكامها، دراسة وتحقيق رياض بولجبال، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010م، ص35، صالح عباد: المرجع السابق، ص178.

⁴ Eugène Vayssettes: *Histoire des derniers deys de Constantine*, Grand Alger Livres éditions, Alger, 2005, p.141-140.

⁵ بوعزة بوضرساية: الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826-1846م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1991م، ص41.

⁶ علي طالب: (من أبطال البحرية الجزائرية اليريس حميدو 1770-1815م)، مجلة التراث، ع4، منشورات جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة، الجزائر، 1989م، ص46-47.

يرى عبد الرحمن ابن خلدون بأن الدين كان عاملاً مهماً وجوهرياً في تقوية دعائم الدولة عند الحكام المسلمين، ولكي توفر السلطة الحاكمة بالجزائر خلال العهد العثماني نوعاً من الشرعية للحفاظ على وجودها ويساهم في دعمها عمدت إلى تشييد وبناء المساجد والجوامع والزوايا على الأقل في المرحلة الأولى التي تلت وجودهم بالجزائر حتى يعزز ما كان يروجه هؤلاء بأن أصل وجودهم بالجزائر هو حماية الثغور والجهاد ضد النصارى¹، فمن خلال تفقد أسماء المساجد المتواجدة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني نجد أغلبها مرتبط بالباشوات والحكام، وهذا يدل على أن هذه المساجد شيّدت من طرف هؤلاء على غرار جامع عبد الله صفر مولى خير الدين بربروس، وجامع خضر باشا، وجامع حسين باشا، وجامع عبدي باشا، وجامع علي باشا، وجامع علي بتشين، من دون أن ننسى مساهمة هؤلاء في تشييد زاوية الأشراف التي كانت تشرف على خدمة آل البيت بالجزائر، وأيضاً مؤسسة الأندلس، والتي كانت تسهر على أوقاف الأندلسيين، ومؤسسة سبل الخيرات، والتي كانت تشرف على أوقاف المساجد والمدارس الحنفية².

* تشييد المساجد:

منذ حلول الأتراك بالجزائر كان لهم اهتماماً بالغاً بتشيد مختلف المؤسسات الثقافية والتعليمية وبالخصوص المساجد والزوايا، ويذكر أحمد الشريف الزهار في هذا الصدد بأن عدد المساجد التي شيدها البيلربايات والباشوات بمدينة الجزائر لوحدها تقدر بأثني عشر مسجداً³، وكانت البداية مع خير الدين بربروس الذي شيّد مسجداً بمدينة الجزائر سمي باسمه - وكان يرتاده الشواش وهم حراس القصر - سنة 1520م، كما قام القائد صفر ابن عبد الله - كان عبداً عند خير الدين باشا وأعتقه فأسلم وقد درس الإسلام وأتقن اللغة العربية، وكان من حفاظ كتاب الله⁴ - ببناء مسجد سفير سنة 1534م، وقد أعجب خير الدين بهذا المسجد، فأوقف عليه عشرة هكتارات من الأراضي وطاحونة⁵، وقد أعيد ترميمه على يد بابا حسن باشا سنة 1771م⁶، وشيّد حسن آغا سنة 1541م مسجد سيدي محمد الشريف، كما شيّد رمضان باشا مسجد سمي باسمه لما تولى رئاسة الديوان سنة 1574م، وقد كان من أبرز الشخصيات السياسية بالجزائر، ومن خلال تفقد لوحته الخارجية نجد بأنه دشن سنة 1622م⁷.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دراسة أحمد الزعبي، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص302-303.

² أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، ج5، المرجع السابق، ص186-187.

³ أحمد توفيق المدني: مذكرات أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص226.

⁴ محمد حاج سعيد: مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها ودورها وعمارته، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2015م، ص50.

⁵ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص271.

⁶ Mustapha Hassen Bey: De Constantinople à El-Djazair l'héritage turc, Chihab éditions, Alger, 2018, p75.

⁷ محمد حاج سعيد: المرجع السابق، ص54-55، 108.

كما شيد خضر باشا مسجدا سنة 1596م بمنطقة باب عزون حاليا¹، وفي سنة 1611م قام الباشا مصطفى كوسا بتشيد ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وقام بعده الحاج أحمد الداوي سنة 1696م ببناء مسجد حمل اسم عبد الرحمن الثعالبي أين جلب له مواد بناء خاصة من فرنسا وتونس، وقد حملت إحدى اللوحات بمدخل المسجد ماييلي: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد تم البنا حقا بعون الله على يد أميرنا ذو الجاه من فاق أرباب السخا والفضل الحاج أحمد بن مصل أرشده الله إلى التوفيق بحرمة الفاروق والصديق تاريخه يا سائلا بصدق في النظم قد جعلته بشوق عام ثماني وميا وألف)، وقد تم توسعته على يد الداوي عبدي باشا سنة 1730م وكتب على مدخله:

كامل البناء بحمد رب فاتح ... بمحرم يسمو بحسن واضح
سنة اثنين وأربعين تعقب ... مائة وألف أسرع كالجامع
في مدة الأمضى الأمير المرتضا ... عبدي وقاه الله كل طوايح²

وجامع كتشاوة الذي شيد سنة 1612م على يد مصطفى كوسا الثالث على أنقاض مسجد صغير يعود تاريخ تشييده للقرن الرابع عشر ميلادي³، وأخذ تسميته نسبة إلى سوق الماعز الذي كان بقربه، وأعاد تجديده حسن باشا سنة 1794م أين أخذ حلته الهيبة، وقد وضعت على مدخله لوحة تحمل الأبيات التالية:

حبذا جامع يرام بالمننا من مبلغ القصد ... وتبسم بروق الختام من أفق العهد
بناه سلطاننا الرضي عظيم القدر ... حسن باشا بالهاء عديم المثل والسند
قد أفتى لتشيد أساسها على التقى ... ثقل فخاره من مال تجل عن السعد
وحاز بهجة لدى الناظرين أرخ ... لما كملت كالسعد وباليمين والمجد سنة 1209هـ⁴

ولعل من أجمل المساجد الحنفية التي أقامها الحكام الأتراك بالجزائر مسجد علي بتشين بباب الواد الذي شيده سنة 1622م، وهو بحار ايطالي مسيحي اسمه بوتني نينووالي⁵، ولم تقتصر عملية تشييد المساجد على الباشوات فقط بل تعداه إلى الرياس حيث قام الرياس مامي بتشيد مسجد سيدي الهدى سنة 1648م⁶، من دون أن ننسى الجامع الجديد بمدينة الجزائر، والذي بناه رمضان آغا سنة 1660م⁷، ورغم أن الجامع الكبير بمدينة الجزائر يعود بنائه إلى عهد المرابطين، ويتبع المذهب المالكي إلا أن الحكام الأتراك كانوا يقدرونه

¹ Mahmoud Bacha: *Prise de la Régence d'Alger*, Edition Al-Amal, Alger, 2005, p81.

² محمد حاج سعيد: المرجع السابق، ص112-115.

³ الطاهر بوشوشي: (صفحات من تاريخ جامع كتشاوة)، مجلة الأصالة، س3، ع14-15، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م، ص295.

⁴ محمد حاج سعيد: المرجع السابق، ص65.

⁵ المرجع نفسه، ص61.

⁶ مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص69.

⁷ محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخراج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص251.

ويهتمون به أكثر من المساجد الحنفية، ولهذا الجامع رمزية كبيرة للأتراك ففي داخله حررت رسالة أعيان الجزائر للسلطان سليم الأول من أجل تنصيب خير الدين بربروس حاكما عام للجزائر وتبعية الجزائر للدولة العثمانية، ومن المساجد التي شيدها الدايات بمدينة الجزائر ذلك المسجد التحفة من طرف الحاج حسين ميزومورتو (1683-1689م) أين أصبح مركزا ثقافيا فضلا عن أداء الصلوات الخمس و صلاة الجمعة وكان على المذهب الحنفي¹، وقد شيد عبدي باشا مسجد بمدينة الجزائر حمل اسمه سنة 1725م، وبعدها وسعه ورممه الباشا بن باكير سنة 1748م².

ومن أبرز أعمال محمد عثمان باشا (1766-1791م) في مجال العمران الديني أنه شيد مسجد حمل اسمه، ورمم مسجد السيدة بنت مولاي الناصري ملك بجاية، والذي ويعود تاريخ تشييده إلى سنة 1564م مقابل قصر الحاكم بدار السلطان الذي هدم بعد الهجوم الاسباني على مدينة الجزائر ورممها بالمدفعية، وقام بشراء مختلف الدكاكين المحيطة بالجامع القديم من أجل توسعته، وأعيد تشييد دكاكين أخرى ووضعت تحت سبل الخيرات ووقفها على هذا المسجد، كما قام ببناء مسجد صغير خارج باب الواد استغرق تشييده أربعة وعشرون سنة أي بين (1765-1791م)³، وفي سنة 1792م قام الداوي حسن باشا بالإشراف على تشييد جامع الباشا، وهي السنة التي تم فيها تحرير مدينة وهران، وكان حسن باشا قائد للجيش في عهد محمد بن عثمان باشا⁴، وشيد مصطفى باشا سنة 1797م الجامع الكبير بمدينة بجاية⁵، وفي عهد الداوي حسين باشا شيدت ورممت عديد المساجد بداية بترميم مسجد القصبة الخارجي سنة 1818م، والذي يعود تاريخ تشييده لسنة 1654م، كما قام بترميم وتوسعة أحد المساجد بمنطقة باب الجديد حاليا، ويعود تاريخ تشييده لسنة 1663م⁶، ورمم مسجد سفير سنة 1826م حيث كتب في إحدى اللوحات بمدخل المسجد:

بسم الله وأول الذكر الحمد لله ... ونصلي على محمد امثالا للأمر بالصلاة
وبعد فان مما يسره الله وأولاه ... تجديد هذا المسجد للذكر والصلاة
وكان ذلك من خيرات أسعد الولاة ... المخلص في مصالح العباد لوجه الله

¹ عبد المجيد قدور: مسيرة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014م، ص50.

² Mahmud Bacha: Op Cit, p81.

³ أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص38-39، بن عتو بلبروات: (الداوي محمد بن عثمان باشا وسياسته)، مجلة عصور، ع6-7، جامعة وهران، 2005م، ص90، مصطفى بن حموش: المرجع السابق، ص65، يوسف أمير: (إسهام الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر 1671-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية، ع14، جامعة الجزائر، 2012م، ص169-170.

⁴ محمد بن يوسف الزباني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص244، خيرة بن بلة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008م، ص88.

⁵ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص247.

⁶ مصطفى بن حموش: المرجع السابق، ص160-161.

فكان التاريخ لما جدده وعلاه ... موسوما باسمه ووصفه الذي أعلاه

وهو جدد الرسوم بحمد الله ... حسين باشا المجاهد في سبيل الله سنة 1242هـ

هذا في مجال الترميم أما التشييد فقد بني جامع الداوي أو المسجد الداخلي سنة 1818م بمجرد توليه

الحكم، وذلك راجع لتقواه وثقافته الاسلامية وقد كتب بمدخل هذا المسجد الأبيات التالية:

حبذا آثار جليل مشيدا ... ونعم الخير قد ابتنى مؤكدا

أميرنا صاحب الفضل حسين باشا ... اتقن بتصويب القبلة مسددا

لحديث قيل أن في الجنة بيتا ... قد نالها من بني مسجدا

جميل بحمد الجليل قد احتوى ... بناء الجامع الشريف بما حوى

أميرنا صاحب العز حسين باشا ... جزاه الله بمصدق لكل امرئ ما نوى

حبذا خير موافق بعز شأنه ... إن هذا المسجد أسس على التقوى سنة 1234هـ¹

وعلى مستوى بايلك الغرب وبعدهما تمكن الباي مصطفى بوشلاغم من فتح مدينة وهران وطرد الاسبان

منها سنة 1708م قام بشييد مسجد البرانية بالقرب من باب الجيارة، وهو خاص بالتجار القادمين من خارج

مدينة وهران، وبمجرد عودة الاحتلال الاسباني لوهران سنة 1732م قاموا بتهديم هذا المسجد، وشيدوا في

مكانه برج قورد لكن الباي عثمان بن محمد الكبير قام سنة 1801م بتهديم هذا البرج وأعاد المسجد الذي

بناه بوشلاغم²، ولقد شييد الباي عثمان والد محمد الكبير جامع معسكر سنة 1747م، والذي كتب في

مدخله: (الحمد لله حمدا لا نهاية لطوله، وصلى الله على سيدنا محمد نبينا عبده ورسوله، أما بعد فقد أمر

ببناء هذا المسجد المبارك المحمود المعظم الأرفع القامع للعدا من جمع بين الشجاعة والندى وطلع على

الناس بدر هدى صاحب لواء الحمد الأسمى.. حاج الحرمين الشريف أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب

العالمين ... مولانا الحاج عثمان باي ... وهو على الأمة واليا ساميا وكان ذلك في شهر شعبان عام 1160هـ)³.

لكن من أكبر الانجازات في مجال العمارة الدينية على مستوى بايلك الغرب تلك التي كانت في عهد الباي

محمد الكبير وتقليدا منه للجامع الكبير أو الأعظم بمدينة الجزائر الذي كان يقصده لما يزور مدينة الجزائر

قرر محمد الكبير تشييد الجامع الأعظم بعاصمته معسكر، وهو المعروف باسم جامع عين البيضاء أو جامع

الباي محمد الكبير، وشيده من ماله الخاص على أرض اشتراها بثمن باهض، وقد صادف فترة بناء هذا

المسجد مجاعة كبيرة في المدينة، فأمر الباي محمد الكبير كل من لم يملك قوت يومه أن يتجه للمساعدة في

¹ محمد حاج سعيد: المرجع السابق، ص54-55، 89-91.

² يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص94.

³ مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص21، محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص256، الأغا بن عودة المازري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، دراسة تحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص284.

تشيد هذا الجامع مقابل أجر معلوم يسد به رمق عيشه، وحتى من له دابة فيستطيع أن يضعها رهن العمال لحمل عليها مواد البناء مقابل أجر، وبذلك كان بناء هذا الجامع مناسبة لدعم الفئات الهشة والضعيفة بمدينة معسكر من طرف الباي محمد الكبير¹، وقد تغنى الشعراء بجمال هذا المسجد أبرزهم الأديب الحاج أحمد بن محمد القرومي قائلا:

ألق العصا وفك رحل ركائي ... بالمسجد المنثى بأمر العسكر
المحكم التشييد في شرفاته ... فتراه يحسن كالرياض الممطر
خلعت عليه الشمس حسن رداؤها ... فلذلك يخطب أعين النظر

وقد ألحق به أحباس كثيرة²، وبمجرد دخول الباي محمد الكبير سنة 1792م لمدينة وهران فاتحا لها أول قرار اتخذه هو الأمر ببناء جامع بناصف³، وبعدها شيد الجامع الأعظم المعروف بجامع الباشا سنة 1796م نسبة للباشا بابا حسن الذي أمر ببناؤه تخليدا لفتح مدينة وهران وطرد الاسبان منها⁴، وفي سنة 1799م أراد الباي محمد الكبير تخليد اسمه من خلال تشييد جامع كبير بمدينة وهران، وقد سمي بجامع محمد بن عثمان الكبير بل وجعل بالقرب من هذا المسجد مقبرة عائلته أين دفن بها بعد وفاته⁵، وقد حول لمستشفى سنة 1831م بعد وصول قوات الاحتلال الفرنسي للمدينة⁶، وفي بايلك الشرق شيد الباي حسين بوحناك جامع سوق الغزل بمدينة قسنطينة خلال الفترة التي تولى فيها إدارة بايلك الشرق بين (1736-1754م)، وقد أصبح يسمى فيما بعد بجامع الباي، وتحول لكنسية خلال فترة الاستعمار الفرنسي⁷، وشيد أحمد القلي جد أحمد باي مسجد بمدينة القل لما تولى بايلك الشرق اعترافا منه لأهل القل الذين أكرموا لما كان آغا عليهم وكان ذلك سنة 1756م⁸.

لكن من أكبر المنجزات التي شيدت ببيايلك الشرق تلك التي تعود لصالح باي، فقد شيد ورمم عديد المساجد والزوايا، وقد بلغ بمدينة قسنطينة لوحدها خلال فترة صالح باي عدد الجوامع الكبرى خمسة،

¹ أحمد مريوش وآخران: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

² أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 28، 85.

³ مسجد بالناصف: وسمي بهذا الاسم نسبة للوكيل الذي كان قائما عليه، وهو المسجد الذي حوله الفرنسيون إلى كنسية وبعد الاستقلال أعيد إلى طبيعته الأولى كمسجد يحمل اسم أبي عبيدة عامر بن الجراح، أنظر: (محمد بن يوسف الزياتي: المصدر السابق، 265، الأغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ج 1، ص 294).

⁴ يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ... المرجع السابق، ص 94-95.

⁵ Houari Chaila: *Oran histoire d'une ville*, édition El Ijtihad, Alger, 2002, p175-176.

⁶ يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ... المرجع السابق، ص 95.

⁷ فاطمة الزهراء قشي: (معالم قسنطينة وأعلامها)، مجلة إنسانيات، ع 19-20، مركز الكراسك، وهران، 2003م، ص 10-09.

⁸ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج 1، المرجع السابق، ص 247.

وسبعين مسجد للصلوات، وثلاثة عشر زاوية¹، ومن أبرزها المسجد الأخضر الذي شيد سنة 1743م²، وفي سنة 1775م شيد الجامع الأعظم لمدينة قسنطينة بسوق الجمعة، وأصبح يسمى بجامع سيدي الكتاني نسبة لهذا الوالي الصالح بحكم بناء المسجد على ضريحه³، كما شيد بمدينة عنابة الجامع الجديد سنة 1792م، وقد نقشت بمدخله هذه الأبيات:

لعمرك بيت الله للسر جامع ... مشيد أركان به النور ساطع
بدت دونه زهر الكواكب رفعة ... به بونة للسعد منها مطالع
به جاد تاج الدين والمجد صالح ... إلى درج العلياء راق وطالع
أمير البرايا زاد فرا ونصرة ... مؤيد دين الحق للشرع تابع
فمذ أسس البيت الرفيع على الهدى ... أرخه للخير برك جامع⁴

* تشييد المدارس والمكتبات:

من خلال تفقد منجزات سلاطين آل عثمان فيما يخص تأسيس المدارس ندرك تماما بأنهم أبرياء من الجهل والأمية التي سادت الجزائر خلال العهد العثماني، فمحمد الفاتح شيد ثلاثين مدرسة، ويازيد ثلاثة وثلاثون مدرسة، وسليم الأول ثمانية مدارس، وسليمان القانوني مائة وستة مدارس، وسليم الثاني سبعة عشر مدرسة، ومراد الثالث اثنين وأربعون مدرسة، ومحمد الثالث حوالي خمسة مدارس⁵، وعلى مستوى الجزائر صحيح أن الدراسات التاريخية لم تسجل لنا محاولات عديدة من قبل الباشوات والدايات تشييد مدارس ومعاهد علمية باستثناء محمد باشا بن بكير (1748-1754م) الذي شيد مدرسة وألحقها بمسجد عبدي باشا⁶، لكن في المقابل برزت حركة من الإصلاحات الثقافية خلال القرن الثامن عشر ميلادي قادها كل من الباي محمد الكبير بوهران، والباي صالح بقسنطينة تجسدت في تشييد عديد المدارس والمكتبات.

فعلى مستوى بايلك الشرق شيد صالح باي المدرسة الكتانية سنة 1775م بالقرب من مسجد سيدي الكتاني بقسنطينة، والتي يتواجد بها ضريحه إلى يومنا هذا، وكذلك الشأن لقبور أفراد أسرته⁷، كما شيد مدرسة سيدي الخضر سنة 1789م، والتي تضم المسجد الأخضر وأقسام للدراسة، وقد تخرج منها خيرة

¹ ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ص295.

² نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص219.

³ فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص10-09.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص295.

⁵ عبد الرحيم بنحادة: العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة، ط1، منشورات اتصالات سبو، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2008م، ص277.

⁶ يوسف أمير: المرجع السابق، ص167-169.

⁷ نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص219.

أعلام قسنطينة كالشيخ عبد القادر الراشدي، والشيخ شعبان بن جلول، والشيخ العباسي¹، ورمم بقية مدارس المدينة، وجعل بكل مدرسة قاعة للصلاة وخمس غرف واحدة للمدرسين والبقية للطلبة الغرباء عن المدينة، وجعل أجور ثابتة للمدرسين والوكلاء والطلبة، كما خلق برنامج دراسي يحدد بدقة نوعية المواد المدرسة والتوقيت والغيابات...، وهو يشبه لحد كبير البرامج والمناهج الحديثة²، وإلى جانب المدارس فهناك المساجد والكتاتيب والزوايا التي تتولى أيضا عملية التدريس ونشر العلوم، فقد كان في عهده بمدينة قسنطينة لوحدها حوالي خمسة مساجد كبرى وسبعين مسجد صغير وثلاث عشر زاوية إلى جانب الكتاتيب القرآنية التي تعد بالعشرات³، وقد تلقى صالح باي عديد الأشادات من مختلف الشعراء لهذه المنجزات، فقد قام أحد الشعراء المجهولين بمدح المدرسة الكتانية قائلا فيها:

طاب الزمان بمن يوالي نفعه ... للمسلمين وزاد في علياه
ملك يؤم الصالحات يعدله ... فاختار آخرته على دنياه
أحيا دروس العلم بعد اندراسها ... وبني لها دارا زكى مبناه
يعني مدرسة لاحت أشعة نورها ... لم لا وهي الدر في معناه
جادت بها نفس المعظم صالح ... ذاك المجاهد يتغي مولاه
فالله يرزقه السعادة دائما ... وينيله يوم القيامة مناه
قد بين التاريخ في قول لنا ... فخر المجاهد بالهنا مبناه⁴

وكذلك الشأن لمحمد الكبير ببايلك الغرب، والذي رمم وشيد عديد المدارس على مستوى تلمسان ومعسكر ووهران ومازونة، وكانت البداية مع تجديده لمدرستين في مدينة تلمسان أين أعاد لهما الأحباس والأوقاف التي كانت تابعة لهما خلال العهد الزياني، وفي مدينة معسكر جدد المسجد العتيق قبل أن يشيد مدرسة ملحقة به وحبس عليها المئات من الكتب، وشيد مدرسة خنق النطاح والتي دفن بها فيما بعد⁵، وبمدينة مازونة شيد الباي محمد مدرسة وترك عليها أحباس كثيرة، كما خزن بها كتب عديدة ولازال صحيح مسلم على نص التحبيس بخط والد الباي محمد الكبير، وقد كانت هذه المدرسة متخصصة في المذهب المالكي تخرج منها خيرة أعلام الجزائر في شاكلة أبو راس الناصري ومصطفى الرماصي ومحمد السنوسي شيخ

¹ أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 160-161.

² ناصر الدين سعيدوني: ورفقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 295.

³ محمد الصالح العنصري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومه، الجزائر، 2005م، ص 79-80.

⁴ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج 2، المرجع السابق، ص 294-295.

⁵ أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 28، 85، فتيحة الواليش: الحياة الحضريّة في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994م، ص 158.

الطريقة السنوسية المشهورة في افريقيا¹، أما أشهر وأكبر مدرسة أقامها هذا الباي تلك الموجودة في معسكر والتي أخذت تسميته - المدرسة المحمدية -، وقد عين على إدارتها العلامة محمد بن عبد الله الجلاي الذي كان رئيس لرباط فتح مدينة وهران سنة 1792م، وقد قام عديد العلماء والشعراء بالثناء على هذه المدرسة العظيمة، ومدح بانها ومنهم الشاعر أحمد المقري القرومي حيث قال:

وترى المدرس قد علا كرسيه ... يلقي على العلماء حب الجوهر
تحويه مدرسة غدت آثارها ... تحييه بالعلم النفيس الأشعري
تمعي رسوم الجهل من ألواحه ... تحيي شمائله من الزور الردي
بناه الأمير محمد في الغرب قد ... لاحت آثاره كالصباح المسفر²

وفي مجال الاهتمام بالكتاب والمكتبات³ فإن الجزائر لم تعرف رواج كبير لظاهرة المكتبات والكتاب مع بعض الاستثناءات على مستوى البايك، فقد برز بشكل أكبر الباي محمد الكبير والذي كان شغوفاً بمطالعة واقتناء ونسخ الكتب وجمع المخطوطات، فأثناء عملية فتح مدينة وهران سنة 1792م أمر الباي محمد الكبير مستشاره وكتابه ابن زرفة بتوثيق هذا الفتح العظيم في مؤلف، وفي سبيل هذا العمل فتح له الباي محمد الكبير مكتبته التي يذكر ابن زرفة بأنها ثرية حيث يقول: (ولما عزمتم على الانطلاق وعقدت لتقييد الرحلة حبل النطاق دخلت إلى مجلسه الرحيب، وتضللت بإبقاء غصنه الرطيب، فكان من سلبغ فضله أن زدوني من خزائن كتبه عمرها الله تعالى بطول عمره ودوام منصبه ما استظهر به على ما أنا بصده)⁴، وقد كان الباي محمد يتولى جمع الكتب واقتنائها من خلال ارسال بعثات لجلب الكتب والمؤلفات الجديدة من مختلف الأمصار، كما كان يشجع العلماء على تأليف الكتب ونسخ المخطوطات النفيسة والنادرة، وقد

¹ المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر - ضمن الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، - جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص41-42.

² المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص38-39.

³ يعتقد البعض بأن سبب غياب ثقافة الكتاب والمكتبات بالجزائر خلال العهد العثماني يعود بالدرجة الأولى للإهمال الممنهج من طرف العنصر التركي الذي يفتقد لهذا النوع من الثقافة، والحقيقة عكس ذلك تماماً فقد كانت مدينة استنبول وبقية المدن العثمانية تعرف ازدهاراً للمكتبات خلال القرنين السابع والثامن عشر ميلاديين أين انتشرت بها أسواق بيع ونسخ الكتاب، وكانت تلقى عناية خاصة من طرف السلاطين والوزراء وحتى رجال المال أين ظهرت ثقافة تشييد المكتبات الوقفية بل وكانت هناك مكتبات علمية متخصصة كمكتبة الطب ومكتبة الفلك، وقد كانت هذه المكتبات مقصودة من طرف الرحالة العرب، وبالخصوص المغاربة كالمجروتي والزياني أين عادوا منها بعشرات العناوين المهمة بتوصية من السلاطين السعوديين والعلويين، وعلى العموم كانت هناك ثلاث أنواع من المكتبات بإستنبول الأولى تابعة للمؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا، والنوع الثاني هي المكتبات الامبراطورية، وأخيراً المكتبات العمومية، أنظر:

Bechir Kahia: (La production livresque dans l'Empire Ottoman du 16^e-18^e siècle), *Revue d'Histoire Maghrébine*, n141, Publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 2011, p29-35.

⁴ ابن زرفة: الرحلة القمرية، تحقيق مختار حساني، منشورات مغرب المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003م، ص149-150.

انعكست هذه الاصلاحات على مختلف المدن التي كانت تابعة لبابك الغرب حيث أصبحت كل من معسكر ووهران تشع ثقافة وعلم، وتنتشر بها المكتبات والخزائن، وظهرت أحياء ودكاكين خاصة بالوراقين¹.

ولم يقتصر الأمر على محمد الكبير فقط بل عرف عن الباي مصطفى تشجيعه لحركة التأليف والتدريس²، وهذا ما تجسد في تشييده لمكتبة بمدينة معسكر أخذت تسمية بيت المذاهب الأربعة، وعنها قال المؤرخ أبو راس الناصري: (وقد بناها الملك الأصفى، والخليل الأوفى، والمحب الأضفى السيد الباي مصطفى)، وهو ما جعل أبو راس يحزن كثيرا على مصرع الباي سنة 1805م في ثورة درقاوة، كما قرر أن يرممها بمساعدة من الباي محمد بن عثمان الذي زوده بمبلغ مالي قدر بحوالي مائة ريال³، هذه الظروف المواتية والامكانيات المسخرة للعلماء جعلتهم لا يكتفون بالشأن الداخلي فقط بل تعدوه إلى الشأن الخارجي، فقد كتب ابن سحنون عن الثورة الفرنسية وأبي راس الناصري عن الحملة الفرنسية على مصر والشام والحركة الوهابية، وألف ابن العنابي في الشأن العسكري للجيش العربية والاسلامية⁴.

* الأوقاف:

وإلى جانب تشييد المؤسسات الثقافية والعلمية بمختلف أنواعها انتشرت بالجزائر خلال العهد العثماني ظاهرة الأحباس والأوقاف، فبعد تشييد الجامع الجديد سنة 1660م على أنقاض المدرسة العنانية من طرف مجموعة من جند الانكشارية أوقفت عليه ثلاثة عقارات من طرف دايات الجزائر، كما قام الداوي محمد باشا التريكي سنة 1675م بتشيد مسجد المصلى الحنفي خارج باب الواد، وأوقف عليه حوالي ثلاثة عشر وقفا، كما أوقف بعض الدايات عقارات على الجامع الأعظم بمدينة الجزائر نذكر منهم الداوي محمد التريكي سنة 1677م، والداوي ابراهيم سنة 1679م⁵، وبعدهما شيد الداوي شعبان باشا مسجدا سنة 1692م أوقف عليه من ماله الخاص حوالي ستة عقارات، وقد ترك الداوي محمد بكداش سنة 1707م وقف من ماله الخاص لأحدى المؤسسات العلمية بمازونة التابعة لعائلة الكتروسي⁶، ومسجد عبدي باشا الحنفي قرب دار الانكشارية الذي شيد سنة 1725م وأحبس عليه إحدى عشر عقار، ومسجد علي باشا الذي شيد سنة 1750م وأوقف عليه تسعة عقارات، وقد أوقف الداوي محمد بن عثمان باشا على مؤسسة سبل الخيرات الحنفية سنة 1785م حوالي اثني عشر حانوتا، ومسجد الداوي محمد بن عثمان باشا الذي شيد سنة 1791م وأوقف عليه عقار واحد،

¹ أحمد مريوش وآخران: المرجع السابق، ص31.

² فتحة الواليش: المرجع السابق، ص159.

³ محمد بوشنافي: (موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني)، ضمن كتاب معسكر المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، 2014م، ص18-19.

⁴ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... ج1، ص14.

⁵ يوسف أمير: المرجع السابق، ص167-171.

⁶ مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، ج2، ط1، دار البعث، الجزائر، 1985م، ص324.

وأوقف حسن باشا بين (1794-1797م) من ماله الخاص على مسجد كتشاوة حوالي اثنين وعشرون عقار متنوع أغلبها محلات تجارية على الطلبة والأئمة والمدرسين والقائمين على هذا المسجد، ولما تولى حسين باشا الحكم أعاد ترميم مسجد القصبة الخارجي سنة 1818م وأوقف عليه ستة عقارات، كما أعاد ترميم جامع سفير سنة 1827م وأوقف عليه عقارين¹، وعلى مستوى البايات فقد عرفت المؤسسات الثقافية التابعة لبايالك الغرب في عهد مصطفى بوشلاغم ومحمد الكبير تحسيس العديد من البساتين والحمامات والأراضي والمحلات التجارية والحرفية والمخابز²، ونفس الشيء في بايالك الشرق مع صالح باي الذي قام بعملية إحصاء ووجد مختلف أوقاف وأحباس المؤسسات الدينية المتواجدة بمدينة قسنطينة، وقد شرع في هذه العملية بعدما ضاع الكثير من هذه الأوقاف وذهبت لغير ما وقفت عليه، وهذا ما عطل بعض المؤسسات الدينية، وقد دونت هذه الأوقاف في سجل كبير وقدم في أربعة نسخ لكل من صاحب بيت المال وشيخ البلد وقاضي الحنفية وقاضي المالكية³.

يجب على كل باحث موضوعي في أحكامه أن يكون جريئاً في طرح التساؤل التالي: إذا كان الأتراك هم من قصروا في إقامة هيكل ثقافي كبير موازي للزيتونة أو القرويين أو الأزهر؟ فمتى بنيت هاته المعاهد والجامعات؟، فالزيتونة شيدت سنة 758م، والقرويين أقيم سنة 859م، والأزهر بني سنة 969م أي أنها أقيمت في القرون الثامن والتاسع والعاشر ميلادي، فهل الأتراك هم من كان يحكم الجزائر في تلك الفترة؟، وبذلك يجب أن يكون الحكم بالتقصير على الدويلات الإسلامية المحلية التي كانت قائمة آنذاك بالجزائر، وليس على الأتراك الذين حلوا بالجزائر خلال القرن السادس عشر ميلادي، وفي المقابل لا يمكن أن نغفل تقصير الأتراك من خلال جهلهم لأحكام اللغة العربية وانصرافهم المفرط للاهتمام العسكري حيث أدى ذلك إلى تراجع الثقافة والعلوم، وعدم تشجيع العلماء على الاجتهاد وإقامة المناظرات أدى إلى كسل وخمول العلماء، فانتشرت ظاهرة الشروح والمختصرات وفقاً لمقولة ثقافة العلماء على قدر ثقافة الحكام والناس على دين ملوكهم، كما انحرفت ظاهرة التصوف من الزهد والصلاح والعمل بالعلم والابتعاد عن ملذات الدنيا وأهلها إلى الدجل والشعوذة، وفي مقابل ذلك ما يحسب للأتراك أنهم مكثوا ما يزيد عن ثلاثة قرون بالجزائر إلا أنهم لم يحاولوا طمس الهوية العربية الإسلامية - اللغة العربية والمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية - والهوية الأمازيغية للشعب الجزائري على حد وصف عبد الجليل التميمي.

¹ يوسف أمير: المرجع السابق، ص 168-171.

² فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص 163.

³ فاطمة الزهراء قشي: سجل صالح باي للأوقاف 1771-1792م، دراسة وتحقيق، دار بهاء الدين للنشر، الجزائر، 2009م، ص 19.

لقد شكلت علاقة الفقيه والعالم بالسياسة والحاكم محور اهتمام عديد المؤرخين عبر الأزمنة التاريخية بالغرب الإسلامي، فقد وضع المؤرخ الأندلسي ابن حيان قاعدة لهذه العلاقة والذي يحدد طبيعة هذه العلاقة هو الحاكم وليس العالم، فإذا كان الحاكم تقي وزاهد وصالح كان العلماء والفقهاء في صفه ومجلسه، وإذا حاد عن الطريق المستقيم نفر منه الفقهاء والعلماء وتركوا مجلسه¹. حيث يرى محمد المقرئ بأن شر العلماء علماء السلاطين وللعلماء معهم أحوال، فكان الصدر الأول يفرون منهم وهم يطلبونهم ثم جاء أهل العصر الثاني فطمحت نفوسهم إلى دنيا من حصل لهم فكانوا لا يأتونهم فإن دعوهم أجابوهم إلا القليل ثم كان فيمن بعدهم من يأتهم بلا دعوة وأكثرهم إن دعي أجاب².

ويربط أحمد الونشريسي طاعة العلماء للحكام بتوفر الشروط الشرعية في ذلك الحاكم، والتي يوجزها في العدالة والنجدة وسلامة الحواس والأعضاء والعلم المؤدي للاجتهاد في النوازل وصحة الرأي والكفاية في العضلات والنسب القرشي³، ويقسم أبو حامد الغزالي العلماء إلى صنفين النوع الأول هم علماء السوء أو أذلاء السلطان، وقصد هؤلاء من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة وأهلها، والنوع الثاني هم علماء الآخرة الذين هم بعلمهم عاملون⁴، ويحبذ ابن قنفذ القسنطيني أن يعتزل العالم والولي السلاطين وينقبض عنهم، وإذا كان ولا بد من الاحتكاك واللقاء فالأحسن أن تبقى العلاقة في أدنى مستوى لها، ويحبذ السكوت والتحفظ، وإذا سئل العالم والفقيه والولي فعليه أن يحتاط في الإجابة، وإذا كان لابد من الدعاء فالأحسن أن يكون بصالح الحال مع الله وبطول العمر في الطاعة، وقد اعتمد ابن مرزوق الجد هذه السياسة مع سلاطين بنو زيان رغم المكانة العلمية والوجاهة التي كان يتمتع بها⁵.

بينما يرى الحسين الورثياني أن الولاة من الأمراء تجب طاعتهم إذا كانوا يصلون ما لم يأمرؤا بمعصية فإن أمرؤا بها فلا يسمع منهم، وقد ربط الورثياني طاعة العلماء للحكام في خمس نقاط أساسية يجب أن تتوفر في الحكام وهي: حراسة الدين وحفظ منهج المسلمين وتمكينهم من العلم والعمل وتوفير الأرزاق ودفع المظالم⁶، أما حمدان خوجة فيرى بأن علاقة الرعية وأفراد المجتمع بمختلف أطرافه مع السياسة والحكام يجب أن تخضع لحديث النبي عليه الصلاة والسلام (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)، فيجب على السلاطين وأولي الأمر أن يتعاملوا مع رعيتهم كعامل الأب مع ولده من خلال الرفق به واللين في التعامل معه

¹ لخضر بولطيف: الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005م، ص14.

² محمد أبو الأجنان: الإمام أبو عبد الله محمد المقرئ التلمساني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م، ص187.

³ أحمد الونشريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث، لافوميك للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م، ص22.

⁴ حسن الضيقة: الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة. ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، 1997م، ص31.

⁵ عبد العزيز فيلاي: مدينة ميلة في العصر الوسيط، دار الهدى، الجزائر، 2017م، ص96.

⁶ أحمد ظريف: قراءة في الرحلة سياحة في أغوار رحلة الورثياني، رابطة أهل القلم، الجزائر، 2005م، ص126-127.

بدون ضرر ولا ضرار¹، وانطلاقاً من هذه الكليات في أحكام علاقة الفقيه بالسلطة، فقد عرفت العلاقة بين علماء الجزائر بالحكام الأتراك ثلاثة مواقف تنوعت بين التأييد والحياد والمعارضة.

* التأييد:

لقد كانت نية حسن باشا في تقسيم إيالة الجزائر لأربعة مقاطعات من أجل تقوية النفوذ العثماني داخل التراب الجزائري، والتحكم أكثر في مختلف أقطار البلد لكن المراهنة على سلطة الباي لوحدها أثبتت مع الوقت محدوديتها، وهو ما حتم على الباشوات إيجاد وسيلة أخرى تمكنهم من بسط نفوذهم أكثر على الرعية، فوجدوها في العلماء والأولياء الصالحين، وذلك لمكانة هؤلاء في نفوس الرعية، فقد كان غالبية الحكام الأتراك بالجزائر يلجئون إلى العلماء، ويتوددون إليهم أثناء الثورات الداخلية أو السفارات الخارجية، ومن أجل ذلك ربط الأتراك علاقات قوية ومتينة مع مختلف القوى والكيانات السياسية والدينية والأسر العلمية بمختلف المدن الجزائرية. حيث بادر الباشوات والبايات بالتقرب من أولاد مقران وبني جلاب وبوعكاز وأولاد بن عاشور والحنانشة والحراكتة في بايلك الشرق، وآل القاضي في منطقة القبائل، وأولاد سيدي الشيخ والحشم في بايلك الغرب، وأولاد نايل في بايلك التيطري، كما عمدوا لجلب القبائل القوية كالدوائر والزماله في صفهم من خلال قبائل المخزن².

ففي مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق راهن الأتراك على أسرة الفكون كعين لهم بالمدينة وأحوازها، وذلك من أجل تقوية نفوذهم في المنطقة من جهة، وجلب التزكية اللازمة وكسب ود وعطف الرعية من جهة ثانية حيث تطورت علاقة أسرة الفكون مع بايات قسنطينة وباشاوات الجزائر خاصة عبد الكريم صاحب منشور الهداية الذي ساهم بشكل كبير في إخماد ثورة ابن الصخري وبعض التمردات الأخرى ببايلك الشرق، ومقابل ذلك احتكرت هذه الأسرة مختلف المناصب العلمية والدينية بالمدينة، ونالت العديد من المزايا والعطايا الاجتماعية والاقتصادية، فقد سيطرت هذه العائلة على إدارة الشؤون الاجتماعية للمدينة، ومنصب شيخ الاسلام، وأمير ركب البقاع المقدسة، وإمامة الجامع الكبير³، وإلقاء الخطبة باسم السلطان العثماني، وإدارة الحبوس⁴، وقد بينت حادثة مقتل صالح باي في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي بأن ولاء آل الفكون هو للحكم العثماني بصفة عامة، وليس لواجهة حكمهم سواء البايات والباشوات، فرغم أن شيخ المدينة عبد الرحمن بن الفكون كان على علاقة ممتازة مع صالح باي، وقدم له الأمان لحمايته وتعهده بتقديم

¹ حمدان خوجة: إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص78.

² أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص145.

³ الجامع الكبير: هو أقدم مساجد مدينة قسنطينة، ويعود تاريخ تشييده لسنة 1136م على يد محمد بوعلبي البغدادي في عهد الدولة الحمادية. أنظر: (محمد شغيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر - تاريخ مدينة قسنطينة -، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1980م، ص232).

⁴ عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1986م، ص285.

شفاعته فيه إلا أن أوامر باشا الجزائر بتقديم صالح باي جعل الفكون ينفذ الأوامر ويقدمه للمقصلة، وهو ما اعتبره صالح باي خيانة له¹.

هذا التقارب بين أسرة الفكون والحكام الأتراك كان عرضة للانتقاد من طرف بعض المصادر الغربية حيث ذكر المؤرخ الفرنسي فايست بأن بعض علماء الجزائر كان دعمهم للأتراك ينموا عن مصلحة شخصية وليس عن قناعة، فرغم تحدث عبد الكريم الفكون عن الانحطاط الثقافي الذي كانت تشكوا منه قسنطينة إلا أنه لم يجرأ على تشخيص الأسباب أو ربطها بالأتراك ولو بالإشارة الضمنية. أما في مدينة عنابة فقد كانت أسرة البوني العين الساهرة للأتراك بالمنطقة خاصة محمد ساسي البوني، والذي كانت له علاقات جد قوية مع يوسف باشا، واعتمد عليه هذا الأخير في إخماد أكبر ثورة بالشرق الجزائري خلال العهد العثماني وهي ثورة ابن الصخري سنة 1641م²، كما كانت لهاته الأسرة علاقات مع علي باشا ما بين (1637-1639م)³، والداي محمد بكداش الذي ربط علاقة متينة مع العلامة أحمد بن قاسم البوني، فكانت بينهما محبة وصحبة ورسائل عديدة⁴ تجسدت في مجموعة من الأبيات مدح بها البوني باشا الجزائر قائلا:

فقيه لوذعي ألمعي ... جميل الوجه يلقي بايتسام
ذكي الفهم ذو نسب شريف ... لطفه ينتمي خير الأنام
سخي عارف بالله حقا ... لأهل العلم يخضع ذو انسجام
أراد وصية مني ونصحا ... أنا أولى بمن يبري سقام⁵

ورغم أن مدينة تلمسان كانت مصنفة ضمن الحواضر المعارضة للوجود العثماني بالجزائر، وتحسب على الدولتين السعدية والعلوية بالمغرب الأقصى إلا أن الأتراك تمكنوا من كسب ود بعض من علماء المدينة في شاكلة عبد الرحمن بن محمد الوجدجي (ت1602م)، والذي ترك مجموعة من الأبيات والقصائد في مدح حسن بن خير الدين لما قام بتهديم حصن المرسي الكبير، وفرار الإسبان منه سنة 1598م وفي مطلعها يقول:

هنيئا لك باشا الجزائر والغرب ... بفتح أساس الكفر مرسي قرى الكلب
تحبي بنصر مع فتوح تواترت ... على نجل خير الدين خير المطالب

¹ فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي البايات، دار مداد يونيفارسيبي براس، ط2، قسنطينة، الجزائر، 2013م، ص214-215.

² أبو القاسم سعد الله: (أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة)، مجلة الثقافة، ع51، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص21-26.

³ Farid Khiari: *Vivre et mourir en Alger - l'Algérie ottomane aux 16-17^e siècle un destin confisqué*, L' Harmattan, édition France, 2002, p222-228.

⁴ أبو القاسم سعد الله: أربع رسائل بين باشوات الجزائر ...، المرجع السابق، ص26-29.

⁵ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج1، المرجع السابق، ص423.

وترضيه يا مولاي في كل وجهة ... وتمنحه عزا وخير العواقب
وتجعله مفتاح خير وفتاحا ... لذا الحصن يا مولاي معطي المواهب¹

وأكبر عالم راهن عليه الأتراك بمدينة تلمسان كان الفقيه محمد بن أحمد ابن زاغو (ت1542م)، وهذا ما جعله عرضة للانتقاد من طرف بعض علماء تلمسان المعارضين للحكم العثماني في صورة سعيد المنداسي²، والذي هجاه بأبيات شعرية في قصيدته النونية بقوله:

وكانت لهم ما أرادوا فسادا ... أراذل منها كالبطاريق أعوانا
فمنهم قرين السوء مقفي بلادهم ... تود العباد الترك كانوا ولا كانا
فقل لابن زاغو للضلال أيممة ... تدبر لحاك الله ما قال مولانا
لقد كنت حبرا بالمدينة صالحا ... فصرت بها أبا القرامط حمدانا
فقل لابن زاغورأس كل خطيئة ... فلا تحسب الفتك بالأهل سلوانا
ولكنك الدجال للناس فتنة ... تأهب لروح الله فالحين قد حانا
فإن أضحكك الجند بالناس ساعة ... فلا تغتر فالله يكفيك أزمانا³

وباعتبار أن مدينة الجزائر كانت عاصمة ومقر للحكم العثماني بالجزائر فقد كان الرهان عليها كبير في جلب وتأييد علمائها، ومن أشهر العلماء الذين اعتمد عليهم الأتراك في تقوية نفوذهم وكسب ود الرعية نذكر عيسى الثعالبي، فالمطلع على الرسائل التي بعث بها يوسف باشا للشيخ محمد ساسي البوني يجدها مزودة بالسجع والجناس والمحسنات البديعية والانشاء، وهذه الرسائل لا تصدر إلا من مستشار وكاتب من مستوى عالي، ومن خلال تدقيقنا في محتوى الرسائل وأسلوبها وصلنا إلى نتيجة مفادها أن الكاتب الخاص والمستشار الذي كان يخط الرسائل ليوسف باشا ما هو إلا العلامة عيسى الثعالبي، والذي كان معه أيضا في ثورة ابن الصخري حيث راسل وهو مرابط مع يوسف باشا في منطقة نقاوس الشيخ علي بن محمد ساسي البوني برسالة يخبره بتفاصيل الثورة⁴، وكذلك الشأن للعلامة يحيى الشاوي فخر الجزائر وعالمها الأول، فقد كان من أكبر المقربين والداعمين لباشوات الجزائر والمدافعين عن سياستهم خاصة أيام يوسف باشا⁵.

¹ محمد ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، منشورات السهل، الجزائر، 2009م، ص153-155.

² Abd Eljelil Temimi: Pour une histoire des relations culturelles..., Op. Citp, 178-179.

³ محمد أبي راس الناصري: التحلل السندسية...، المصدر السابق، ص80-81.

⁴ عبد الله العياشي: الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسماة ماء الموائد، ج2، ط1، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م، ص170، الصالح بن سالم: (علاقة الفقيه بالسياسة في الجزائر العثمانية من خلال الآداب السلطانية). المجلة التاريخية الجزائرية، ع03، جامعة المسيلة، 2017م، ص80-81.

⁵ أحمد مريوش وأخران: المرجع السابق، ص120.

والعلامة أبي الطيب البسكري مفتي مدينة الجزائر، والذي ذاع صيته بالجزائر وخارجها حتى أصبح محل ثقة لدى السلاطين العثمانيين لما ترأس سفارة إلى المغرب الأقصى سنة 1579م لتهنئة أحمد المنصور بانتصاره في معركة وادي المخازن وجلوسه على عرش المغرب¹، وفي مدينة مازونة كانت عائلة الكتروسي تتولى الافتاء ومختلف المناصب الدينية بالمدينة، وذلك بدعم من بايات الغرب الجزائري باعتبار أنها عائلة شريفة وفقا لوثيقة سنة 1669م التي تقر بتولي أحمد بن خدة الافتاء المالكي بمازونة، وتعيينه امام بالجامع الكبير ومسؤول عن أحباسه أيضا مع أمر حاكم المدينة بحمايته وتوفير كل ما يحتاجه واعفائه من مختلف الضرائب، كما تؤكد وثيقة أخرى صادرة سنة 1797م تقر بتولي الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي الكتروسي الفتوى والخطابة والإمامة بمازونة وأضيف له منصب القضاء².

ومن بيوتات العلم التي دعمت الأتراك في حكمهم للجزائر بيت المجاجي الذين أسسوا زاوية العائلة بمجاجة بتنس بالشلف على يد محمد بن علي المجاجي (ت1594م) المعروف بأبلهول، فقد أصبحت زاويته مقصدا للجند الأتراك في حروبهم ضد الحاميات الاسبانية أين كانت الزاوية تستقبلهم وتقدم لهم الطعام، وهذا ما جعل الحكام الأتراك يحترمون بيت المجاجي، وفي المقابل كانت الزاوية تستفيد من بعض المزايا خاصة تلك المتعلقة بالضرائب³، وإذا تعمقنا في أسباب القدح الموجه للحكام الأتراك من طرف المصادر المحلية والغربية وتقصيرهم في علاقتهم بالعلم والعلماء، فإنه يعود بالأساس للمقارنة بينهم وبين بنو زيان الذين كانوا حريصين في علاقاتهم بالعلم وأهله، وذلك من خلال تقريب الفقهاء والعلماء في المجالس يطلبون منهم المشورة، ويتقربون منهم من خلال الهدايا والمناصب⁴.

ومن أبرز باشوات الجزائر الذين ربطوا علاقات متينة مع العلماء في مختلف الحواضر الجزائرية، ووظفها في حربه ضد ثورة ابن الصخري نجد يوسف باشا حيث راسل الشيخ محمد بن رأس العين الأندلسي الباب العالي يصف لهم الجزائر وحالها، ويمدح الباشا يوسف وقوة الجيش العثماني بها، فيقول: (ما بغى عليهم باغية إلا خاصموه، ولا طاغية إلا حاربوه فهزموه وفصموه ...، ونغص العيش طاغية من طواغي البادية - يقصد ابن الصخري -، فعظم الخطب وحلت الداهية)، كما قام العلامة محمد ابن أقوجيل بتأسيس وفد من العلماء والأعيان، وتوجه به إلى مدينة إسطنبول من أجل موافقة السلطان العثماني على تعيين يوسف باشا حاكما للجزائر لولاية ثانية بعدما لمسوا عدله وحزمه في ولايته الأولى (1634-1637م)، ونجحوا في مسعاهم حيث عين يوسف باشا مرة ثانية، وحكم مكان علي باشا بين (1640-1642م)⁵.

¹ عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب...، ج3، المرجع السابق، ص23-24.

² الهواري ملاح: الإفتاء والمفتون في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2016م، ص4.

³ أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلبي، الجزائر، 2000م، ص415-416.

⁴ صابرة خطيف: فقهاء تلمسان والسلطة الزبانية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004م، ص91-104.

⁵ الصالح بن سالم: المرجع السابق، ص79.

وذلك راجع للمكانة الكبيرة التي كان يحظى بها العلماء والفقهاء لدى يوسف باشا، والذي يصفه العياشي بأنه ذا همة عالية وشهامة تركية يحب العلماء ويفهم مقاصدهم، ورغم أن العياشي لم يره أو يلتقي به لكن موقفه هذا بناه من خلال علاقة يوسف باشا بشيخ العياشي العلامة عيسى الثعالبي، والذي كان يحدثه باستمرار عن خصال هذا الحاكم¹، ولم يكن يوسف باشا الوحيد المحسوب على الطبقة المثقفة والمحبة للعلماء، فتنفس السيرة تميزها محمد بكداش الذي يقول عنه محمد بن ميمون الجزائري: (عالم الأمراء وأمير العلماء مولانا فخر الدولة العثمانية، وناشر لواء العدل على جميع البرية، أبو النصر السيد محمد بكداش ... أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه - يقصد كتاب التحفة المرضية - ...)²، ونفس الشيء يقال عن الداوي حسن الدولاتي الذي كان يسمع لنصائح العلماء ويقرب بأحكامهم، فلما أراد صالح باي ضم منطقة بني ميزاب لبابلك الشرق سنة 1791م قرر أعيان وعلماء المدينة تشكيل وفد يتقدمهم الشيخ أبو بكر بن داود بن يوسف، والشيخ إبراهيم بن بحمان الثميني اليسجني، وراسلوا الداوي حسين من أجل التدخل، ومراجعة قرار صالح باي من خلال ترك الحكم الذاتي للأعيان والعزابة، كما جرت عليه العادة منذ عهد الدولة الرستمية، وهو ما كان لهم في الأخير احتراماً لمكانة ووجاهة هؤلاء العلماء، وهذا ما يؤكد احترام الداوي حسن الدولاتي للعلماء³.

وهي نفس الحادثة التي وقعت مع خير الدين بربروس سابقاً لما أراد محاصرة مدينة تلمسان وفتحها، فقد استغل مولاي عبد الله الزياني عطف وحب خير الدين للعلماء حيث أرسل له وفد من أعيان تلمسان وعلماؤها، وأقنعوه بضرورة استعمال اللين وعدم إراقة الدماء بين المسلمين، وهو ما مال له خير الدين في الأخير⁴، ومن صفات حسين باشا آخر دايات الجزائر (1818-1830م) حسب أحمد الشريف الزهار أنه كان رجلاً محباً للعلماء والأشراف والصالحين، ولمن انتسب إليهم حتى أنه كان يغتر بأهل البدع، فيحسن اعتقاده فيهم، ويكرمهم ويستبشر بمقاتلتهم، وكان الواجب عليه التغيير على أهل البدع، وزجرهم على فعلهم القبيح ومخالفتهم للسنة⁵، كما أصدر أمراً بإعفاء بعض العلماء والمتصوفة من الضرائب احتراماً وتقديراً لنسبهم الشريف⁶، ومن خلال تفقد بعض الرسائل بين العلماء والحكام الأتراك ندرك مدى الاحترام والعلاقات القوية بين الطرفين، ففي رسالة بعث بها السلطان سليمان القانوني سنة 1552م إلى فقهاء الجزائر يخبرهم فيها بعزل حسن باشا وتعيين صالح رايس، ويوصيهم فيها بطاعته والانصياع لأوامره⁷، كما راسلهم أيضاً أثناء

¹ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص170.

² محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص112-113.

³ إبراهيم بحاز: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الراهن، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص13، 88.

⁴ Sinan Chaouch: *Fondation de la régence d'Alger*, éditions Grand Alger Livres, Alger, 2006, p172-173.

⁵ أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص27، 172.

⁶ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية...، المرجع السابق، ص237.

⁷ خليل الساحلي: (تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552م)، *المجلة التاريخية المغربية*، ع02، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1974م، ص128.

تولية حسن باشا بن خير الدين سنة 1568م يأمرهم باحترام وطاعة حاكمهم الجديد وهذا عبر أمر هياموني¹، فمن خلال هذه الرسائل نستنتج بأن السلاطين الأتراك كانوا يولون عناية كبيرة باستشارة علماء الجزائر والأخذ برأيهم في بعض الأمور خاصة في مرحلة البيلبايات، فهذا الانفتاح من طرف السلاطين العثمانيين جعل ثلاثون من أهم علماء وفقهاء أعيان مدينة قسنطينة يرسلون سليمان القانوني سنة 1555م للتتويه بخصال صالح رايس مظهرين له الطاعة والتأييد التام².

وعلى مستوى المقاطعات انتشرت مجالس البايات، والتي كان يقيمها بالخصوص كل من صالح باي ومحمد الكبير حيث يستدعون العلماء والفقهاء والشعراء لمجالسهم مساء وبالخصوص في السهرات الرمضانية³، ويعتبر ابراهيم الملياني الذي تولى الحكم سنة 1756م من أكبر بايات الغرب بعد محمد الكبير حبا وتقريبا للعلماء والصالحين⁴ بل وكان يستشيرهم في أمور الدولة ويقربهم إليه في مجلسه⁵، وكان الباي محمد الكبير باي وهران من أكبر بايات وحكام الأتراك ثناء وحبا من طرف العلماء، فقد وصفه محمد بن يوسف الزباني بمشيد راية الاسلام والايمان، وباسط مهد العدل والايمان، وهو من أهل البلاغة واللسان الفصيح، فقد دوخ الأعراب والأتراك، وكان محبا للعلماء والصلحاء والفضلاء والأدباء⁶، ومن حبه وتقديره للعلماء كان يستشيرهم في كل صغيرة وكبيرة تخص حكمه، فبعد تحرير مدينة وهران من القبضة الاسبانية سنة 1792م طلب فتوى من العلماء والفقهاء في عمله مع القبائل التي كانت تتعاون مع الاسبان بين طردهم مع الاسبان أو العفو عنهم، وقد أشار العلماء بالاقترح الثاني وهو ما تحقق⁷.

ولما قام الباي محمد الكبير بحملته على الصحراء الجزائرية سنة 1785م، وبعد وصوله لمدينة الأغواط، وقبل أن يدخلها وتقديرا منه للعلماء راسل علماء المدينة، وطلب منهم الخروج من القرية، وعدم محاربة جيشه حتى لا تخسر الأمة هؤلاء العلماء، وقد أقبل عليه هؤلاء حاملين صحیح البخاري، فاستقبلهم بحفاوة وعفى عنهم، وكذلك فعل لما وصل لمدينة عين ماضي⁸، ويذكر أبووراس الناصري بأنه لم يجد أي مشكل أو اعتراض من بايات الغرب، وبالعكس فقد كانت لهم رغبة في تشجيع العلم وأهله، فقد وضعوا له كرسي يدرس عليه مثلما كان يجري بالقرويين بمدينة فاس، ولما أراد الحج قام الباي محمد الكبير بتجهيزه بكل ما

¹ محمد بوشناني: (الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني)، مجلة المواقف، ع6، جامعة معسكر، مطبعة الرشاد، الجزائر، 2011م، ص295.

² ناصر الدين سعيدوني: (رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح رايس 1555م)، المجلة التاريخية المغاربية، ع83-84، ص23، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1996م، ص175-177.

³ محفوظ رموم: الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2002م، ص105.

⁴ الأغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ج1، ص285.

⁵ مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص21.

⁶ محمد بن يوسف الزباني: المصدر السابق، ص262.

⁷ أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص427.

⁸ أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص59، 69.

يحتاجه في الطريق، ولما عاد قدم له هدية من مائة محبوب، وكذلك الشأن للباي مصطفى بوشلاغم الذي كان يحبه ويقدم له الهدايا ويرمم المؤسسات الثقافية¹، كما كان الباي حسن آخربايات وهران حسب محمد بن يوسف الزياني محبا للعلماء والشرفاء والصالحين، ومواظبا على الطهارة محافظا على الصلوات فرضا ونفلا مجالسا لأهل الفضل والعلم مجانبا لذوي السفاهة والجهل².

وإلى جانب الحاجة لفتاويهم واخماد بعض الثورات والتمردات الداخلية اعتمدت السلطة العثمانية بالجزائر على بعض العلماء في حل بعض القضايا الخارجية، فبعد تجرّبي الشيخ محمد بن علي الخروبي والشيخ أبي الطيب البسكري وسفريتهما لملوك الدولة السعدية من أجل تحقيق الهدنة مع باشوات الجزائر تكررت التجربة مع شيخ خنقة سيدي ناجي سنة 1741م أين قاد المفاوضات مع باي تونس لتحقيق الوفاق بين الطرفين، وقبله أيضا قام الشيخ محمد بن محمد الطيب بنفس الدور³، وفي سنة 1808م وبعد الحرب الجزائرية التونسية قام الداوي أحمد بتكليف المفتي والفقير محمد بن العنابي بمكاتبة حمودة باي تونس، وهي الرسالة التي هدأت من روع هذا الخلاف⁴، كما استعمل العلماء في الصلح والوساطة بين الجزائر والمغرب الأقصى، فقد أرسل الباي محمد الكبير أثناء محاصرة وهران سنة 1792م كاتبه الخاص ومستشاره العلامة محمد بن هطال برفقة قاضي المحلة ابن سحنون محملين بهدايا قيمة للسلطان مولاي سليمان من أجل شراء الأسلحة من بريطانيا، وهو ماتم حيث عادا من جبل طارق محملين بمختلف الأسلحة والبارود⁵.

مقابل هذه الخدمات كانت السلطة التركية تقدم هبات وهدايا أغلبها عبارة عن أراضي لهؤلاء العلماء والمرابطين مثلما حدث مع أحمد المبارك شيخ خنقة سيدي ناجي سنة 1643م⁶، كما كان للطلبة والعلماء دورا بارزا في الفتح الأول والثاني لمدينة وهران من الاحتلال الإسباني، فقد ساهم طلبة وعلماء بايلك الغرب من مدرسة مازونة ومدرسة المجاجي بتنس مساهمة فعالة في هذا الفتح، وذلك من خلال العلاقات الودية التي كانت تربط الباي بوشلاغم ومحمد الكبير بهؤلاء العلماء والطلبة، وأبرزهم مصطفى الرماصي (ت1724م)، وعبد القادر المشرفي (ت1732م)، ومحمد بن عبد الله الجيلالي، والظاهر بن حوا (ت1790م)، ومحمد بن علي المازوني (ت1818م)، وهي بن محمد البلداوي (ت1791م) بل أن المازوني والبلداوي استشهدا في ميدان القتال ضد النصاري. فمن خلال مراسلات الباي محمد الكبير للعلماء والطلبة المرابطين على مشارف مدينة وهران لمحاصرتها كابن زرفة الدحاوي والظاهر بن حوا نجد أن هذه الرسائل كانت مليئة

¹ توفيق دحماني: المرجع السابق، ص441.

² محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص310.

³ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص09.

⁴ السايح فيلالي: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800-1830م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة قسنطينة، 1983م، ص68.

⁵ قدور بوجلال: المرجع السابق، ص187.

⁶ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص11.

بعبارات التودد والاحترام حيث يقول: (أحبأؤنا الأجلء وإخواننا السادات الفضلاء السيد محمد بن عبد الله، والسيد الطاهر ابن حوا ...).

وكان لهم دور أيضا في اخماد نار الفتن، فبعد ثورة ولهاصة سنة 1828م هذه القبيلة التي رفضت دفع الضريبة للباي حسن آخر بايات وهران ودخل الطرفان في نزاع مسلح، وهو ما جعل الباي حسن يستعمل ويستنجد بالقاضي محمد بن سعد اليبدي التلمساني للتوسط بينهما، وحل القضية بود وسلام، كما تدخل العالم أحمد بن عمر المهاجي للتوسط بين الباي محمد المقلش وقبائل الحشم إثر ثورة درقاوة، وذلك من خلال توصية الباي بمصاهرة هذه القبيلة القوية لضمها في صفه ضد الدرقاويين وتحييدها وهو ما تم سنة 1806م¹، ولم تكفي مراهنة الأتراك على علماء الجزائر فقط بل تعداه إلى العلماء الوافدين من دول الجوار كتونس وليبيا والمغرب الأقصى، فسعيد قدورة ورغم أصوله التونسية واعتناقه للمذهب المالكي إلا أنه نال حظوة كبيرة عند حكام الجزائر، فقلدوه مناصب الإفتاء والخطابة والتدريس بالجامع الكبير إلى جانب وكدته على أوقاف المسجد بل وتوارث أولاده وأحفاده هذه المناصب².

وكذلك الشأن لمحمد بن علي الخروبي الذي يعود أصله لطرابلس الغرب الذي حط رحاله بمدينة الجزائر، ولقوة علمه قربه الحكام ومنحوه مناصب الخطابة والتدريس والإفتاء بالجامع الكبير ثم أرسل في سفارة إلى المغرب الأقصى مرتين أيام حكم محمد الشيخ السعدي³، والفقير علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الذي يعتبر من أكبر علماء المغرب الأقصى الذين لقوا المكانة والحظوة لدى يوسف باشا، فقد منحه خطة التدريس والإمامة، وهذا ما جعله يختار مدينة الجزائر كمستقر نهائي له إلى غاية وفاته بها سنة 1647م حيث ساهمت اتصالاته بعلماء وأعيان الشرق الجزائري في إخماد ثورة ابن الصخري⁴.

* المعارضة:

إن الدعم والولاء الذي منحه علماء الجزائر للحكام الأتراك لم يخلوا من انتقاد بعض هؤلاء العلماء لتصرفات الحكام، فقد أصدر فقهاء مدينة الجزائر فتوى شرعية سنة 1518م بعد استشهاد عروج بعدم جواز رحيل خير الدين عن إيالة الجزائر لأن جهاده بها فرض عين على رحيله، كما أصدرت فتوى أخرى سنة 1541م بعد حملة شارلكان على الجزائر بعدم جواز قبول افتداء القادة الاسبان الستة والثلاثون الذين

¹ قدور بوجلل: المرجع السابق، ص 89-103، 175، 180-182.

² صالح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 478، ابن المفتي: المصدر السابق، ص 95-97.

³ ناصر الدين محمد الشريف: الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيارق، عمان، الأردن، 1999م، ص 156، حبيب وداعة الحسنوي: المرجع السابق، ص 192.

⁴ عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص 07.

أسرهم حسن آغا، وأفتوا ثانية بعدم جواز تسليم الجثث بعد إعدامهم مقابل سبعة آلاف قطعة ذهبية لأنه لا يجوز بيع الجثث من دون أن ننسى الفتوى التي تقدم بها هؤلاء بإعدام ابن القاضي الثائر على الأتراك¹ بحجة الخيانة، وبقدر ما ارتدى الحكام الأتراك قفاز الحرير في تعاملهم مع العلماء من حوار ومهادنة ومراسلة وتودد واستشارة بقدر ما حملوا لهم مطرقة الحديد من عزل ونفي وسجن وقتل وذلك وفقا لهوى كل حاكم².

فحب محمد بكداش للعلماء وتقريبهم ومنحهم الهدايا والمناصب لم يمنعه من الغضب على البعض منهم، ووصل الحد لتصفيتهم عن طريق الإعدام مثلما حدث مع مفتي مدينة الجزائر أحمد بن سعيد قدورة وابن أخته سيدي علال قدورة حيث قبض عليهما سنة 1715م، وزج بهما في السجن قبل أن يعدهما بشارع الباب العلوي لمدينة الجزائر³، كما أمر أيضا بقتل المفتي عبد الرحمن المرتضي⁴، ونفس الشيء حدث مع سعيد قدورة، والذي رغم مكانته المرموقة كمفتي وعالم لمدينة الجزائر إلا أنه لم ينجوا من محاولة العزل والمحاکمة حين أرسل إلى اسطنبول ووقف بين يدي أسعد أفندي بعد تدخله في أمور الباشوية إلا أن الشيخ عاد بريئا وسالما، وأكمل تولي مناصبه بمدينة الجزائر⁵.

ولا ننسى الشيخ أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي الذي يعتبر من الأوائل الذين لقوا حتفهم على أيدي الحكام الأتراك، فبعدهما كان سندا مهما في وصول الأتراك للسلطة ودخول مدينة الجزائر كانت نهايته سنة 1523م على يد خير الدين بربروس⁶، وبقدر ما استفادت أسرة ابن الفكون من الحكم العثماني، وكانت لهم العين الساهرة مقابل امتيازات عديدة، فان أسرة ابن عبد المؤمن عانت الأمرين معهم، فبعدهما كانت من أكبر الأسر العلمية الداعمة لسلطة الحفصيين بمدينة قسنطينة اتخذت موقف المعارضة من الوجود العثماني بالمدينة، وهذا ما جعل الباشا أحمد أعراب يلقي القبض على شيخ الأسرة وأعدمه سنة 1573م وشردت معه هذه العائلة⁷، وفي مقابل ذلك لم يكن كل علماء الجزائر راضين عن الحكم العثماني وبعض الممارسات التعسفية لأتباعهم في مختلف المدن الجزائرية حيث تسجل لنا المصادر والمراجع العديد من حالات المعارضة والتمرد من طرف علماء الجزائر على الحكم العثماني.

ويعتبر سعيد المنداسي من أبرز هؤلاء العلماء الذين وقفوا في وجه الأتراك، فبعد دراسته ونشأته بمدينة تلمسان فر إلى المغرب الأقصى سنة 1650م، ودخل في خدمة محمد الشريف العلوي حيث استقر بمدينة

¹ محمد دراج: المرجع السابق، ص 370-372.

² محفوظ رموم: المرجع السابق، ص 08.

³ ابن المفتي: المصدر السابق، ص 106.

⁴ محمد أجزتي: الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م، ص 358-359.

⁵ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء... ج 3، المرجع السابق، ص 202-204.

⁶ محمد بن عسكر الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط 3، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2003م، ص 114.

⁷ محمد شغيب: المرجع السابق، ص 133-134.

سجلماسة، والتي مكث بها إلى غاية وفاته سنة 1677م¹، وقد ساير أبو القاسم سعد الله موقف المنداسي في حكمه على الأتراك حين قال وبصريح العبارة: (أن أدبيا وشاعرا كسعيد المنداسي لا تناسبه الجزائر في العهد العثماني كل ما فيها بعض العلماء المتنافسين والمتصوفة الدراويش)² أين سلط المنداسي لسانه على الأتراك حيث ألف فيهم قصيدته المعروفة باسم النونية بالقصر العلوي أيام المولى اسماعيل، والتي تضم حوالي سبعة وعشرون بيتا شعريا في هجاء وذم الأتراك وأتباعهم، ولعل من أكبر الأشياء التي حزت في نفس سعيد المنداسي وضع تلمسان وما آلت إليه خلال الحكم العثماني حيث قال فيها:

أمن قادر بالله يحيي تلمسان ... فإن بها من قوم يأجوج إخوانا
بني السد ذو القرنين للناس رحمة ... فيا ليتته من شوكة الترك هنانا
ولكن من وراء السد عم فسادهم ... وهم أفسدوا في الغرب كفرا تلمسانا
وأكبر شيء أفسدته أكفهم ... تلمسان عين الغرب علما وإيماننا³

وإذا كان هذا حال المنداسي مع بايات الغرب الجزائري فان بايلك الشرق عرف ثورة عارمة سنة 1588م قادها الفقيه والعلامة يحيى بن سليمان الأوراسي أحد أكبر فقهاء قسنطينة والجزائر بل وكان مقربا من بايات الشرق⁴، فبعدها تمرد الفقيه أبو العباس أحمد بن سليمان الأوراسي الشاوي وفر من قسنطينة إلى الأوراس سنة 1588م لحق به شقيقه العلامة يحيى، وأعلنا من هناك الثورة على الأتراك، وهو ما جعل باي قسنطينة يحرك جيشه باتجاه الأوراس، وتم القضاء على الثورة بمقتل الفقيمين، والمحزن في القضية أن السلطة العثمانية في بايلك الشرق ودار السلطان حركت ترسانتها الدينية حيث أصدر الفقيمين يحيى المحجوبي وابن الكماد فتوى تحرم الثورة على الحكام بل وتكفر القائمين بذلك وتعتبرهم خارجين عن الشرع والملة، وفي المقابل نجد الفقيه ابراهيم بن يوسف الغماري يقف في صف الفقيمين أحمد ويحيى⁵، وقد انتهت هذه المسألة لفقدان الجزائر واحد من كبار علمائها اللامعين.

وفي الجنوب الشرقي كان أمراء بنو جلاب بتقرت معارضين للحكم العثماني، وهذا ما جعل أحد شيوخ الأسرة يتخذ موقفا معاديا لهم حين أفتى بضرورة محاربتهم قائلا: (من يقتل أحد الأتراك سوف ينال رضا

¹ محمد شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م، ص155-158.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص275.

³ محمد شاوش: المرجع السابق، ج2، ص158.

⁴ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص54-55، محمد بوشناني: موقف علماء معسكر...، المرجع السابق، ص15.

⁵ لطفي عيسى: مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1994م، ص43-44، محمد أوجرتي: المرجع السابق، ص356.

من الله، وهو في مرتبة من قتل ملحد أو كافر)¹، ولم يكن الباشوات والدايات لوحدهم من يقوم بعملية النفي والسجن والقتل للعلماء المعارضين لحكمهم بل انتقل للبايات، فعلى مستوى باييك الغرب كان العلامة والفقير عيسى بن موسى التجيني (ت1555م) من كبار علماء الغرب الجزائري خلال القرن السادس عشر ميلادي معارضة للحكم العثماني، فبعدهما هاجر لفاط ودرس على خيرة أعلامها، وعلى رأسهم محمد بن غازي المكناسي عاد لتلمسان لكن بعد مقتل ولده ظلما وجورا تقدم بشكاوي عديدة لبايات الغرب، ونتيجة لعدم تجاوب هؤلاء مع شكاويه أصدر غوثيته الشهيرة يشكوا فيها ظلم الأتراك لأولياء الله الصالحين².

كما كان خليل باي (ت1778م) كارها للعلم والعلماء بل ولاحق ونكل بالكثير منهم على شاكلة محمد بن كشك وعلي كرجلي خوجة، وقد كان هذا الباي يستعمل مع العلماء وسيلة المساومة والاغراء تارة، ووسيلة التهديد والترهيب تارة أخرى مثلما حدث مع العلامة علي بن مزيان أين أرغمه على تولي منصب الافتاء رغم أنه كان رافضا لهذا المنصب³، ولم تنتهي تجربة سعيد المنداسي بمجرد هجرته وفراره للمغرب الأقصى، فقد كانت قصائده ملهبة للثورات الشعبية التلمسانية ضد الحكم التركي أين ترك العشرات من القصائد - المفقودة - في ذم وهجاء الأتراك وأتباعهم بتلمسان⁴، وتجسدت بالخصوص مع ثورة درقاوة التي انضم إليها عديد العلماء، فكانت نهايتهم مأساوية على يد الباي حسن كالشيخ ابن حوا المستغاني، والشيخ فرقان الفليتي الذين قطعوا رأسهما سنة 1823م⁵.

وكذلك الشأن في باييك الشرق، وكانت البداية مع شيخ الاسلام بمدينة قسنطينة عبد المؤمن، فبعدهما أغلق الأبواب في وجه الأتراك لما وصلوا للمدينة، ورفض مبايعتهم كانت نهايته مأساوية أين قتل وتم سلخ جلده وملء بالقش، وأرسل لمدينة الجزائر حتى يكون عبرة لبقية العلماء المعارضين للحكم العثماني⁶، ولما زار الوزير المغربي أبو القاسم الزياني مدينة قسنطينة التقى بالأديب محمد بن كشك علي كرجلي هذا الأخير نصح الزياني بالابتعاد عن السلاطين حيث قال له: (إياك أن تحدث نفسك بالعودة إلى هذه الخطة الخسيسة والخدمة النجيسة) بعدما علم بقصة الزياني مع مولاي يزيد العلوي الذي سجنه وأهانته وشبهها

¹ سعاد لبصر: (دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1516-1830 م)، ضمن أعمال الملتقى الأول سوسولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، 2008م، ص59.

² عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005م، ص266.

³ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص08.

⁴ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات - الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان -، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995م، ص162.

⁵ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص331.

⁶ جميلة معاشي: (أسرة الفكون شيوخ الإسلام وشيوخ بلد قسنطينة من عز العثمانيين إلى ذل الفرنسيين)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع16، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014م، ص246-247.

بقصته مع حسن باي بقسنطينة¹، وقد شهد علماء مدينة قسنطينة نكبات كبيرة في عهد الباي شاکر أبرزهم الباش كاتب محمد المكي بن الساسي والذي كان رجلا فقيها ذا علم ووقار².

ولم تقتصر عملية العزل والنفي والقتل للعلماء على أيدي الباشوات والبايات فقط بل تعداها للديوان الذي حكم بالموت على مفتي الحنفية بمدينة الجزائر الشيخ محمد بن مصطفى الشهير باسم ابن المستي، وصدورت ممتلكاته سنة 1725م، ولا يعرف ما نوع التهمة الموجهة إليه³، وقد وصل الأمر لفرقة الانكشارية الذين قاموا بعزل القاضي المولى علي سنة 1616م، وكان من علماء المدينة البررة، وله العديد من المؤلفات حيث عزلوه ونفوه إلى تونس مع أهله وهناك توفي⁴، والجرأة التي كانت لدى سعيد المنداسي ويحي الأوراسي لم تكن لدى البعض الآخر من العلماء، فرغم معارضة محمد العدواني (عاش في القرن 17م) للحكم العثماني بالجزائر إلا أنه استعمل التلميح بدل التصريح للجهر بموقفه من الوجود العثماني بمدينة سوف، فمن خلال تصفح كتابه تاريخ العدواني نجده ينتقد القادة الأتراك كخير الدين وعروج ودرغوث وسنان لكن كأسماء مستعارة ومجهولة خوفا من انتقام هؤلاء⁵.

وقد انتقلت روح المعارضة والنقد من العلماء الغاضبين على الحكم العثماني إلى العلماء المؤيدين والموالين للأتراك، فرغم ولاء محمد بن يوسف الزياني لبايات وهران وعلى رأسهم محمد الكبير فإنه في المقابل انتقد سياسة الأتراك الظالمة في بعض المراحل التاريخية حيث قال: (وأعلم أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم)⁶، ونفس الكلام ينطبق على الشاعر مسلم بن عبد القادر والذي كان يشغل منصب باش كاتب لدى الباي حسن آخربايات قسنطينة، وقد كان شاهد في نفس الوقت على الحملة الفرنسية لوهران وقال في الأتراك كلام جد قاس:

صناديد لولا الفساد في الورى ... لقلنا قلّ مثلهم فوق الترى
عاتوا عتوا على الخلق وجاروا ... فكانوا أكثر العبادِ وباروا
فرفع الكل الأكفّ ودعّوا ... بما به أجاب الله ورجّوا
أمهلهم له بلغ الوقت الأجل ... أبدلهم بغيرهم ثمّ العمل
أدّبهم ربّهم لما طعّوا ... عزّفهم بقدرهم لما بعّوا
كأنهم ما كانوا في عزّ وما ... تملّكوا دهرا طویل المنتهى

¹ الطاهر بونابي: ملامح النشاط العلمي والروحي والسياسي بقسنطينة خلال القرنين 19-20م، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2017م، ص10-11.

² Eugene Vayssettes: Op. Cit, p118.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج 1، المرجع السابق، ص426.

⁴ ابن المفتي: المصدر السابق، ص45-46.

⁵ محمد العدواني: تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005م، ص23-24.

⁶ محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص327.

فانشغلوا بالظلم ليس من عدل ... فأخذوا أخذً وببلا بالمهل
لما نسوا ما ذكروا به ختم ... على قلوبهم والله وانتقم¹

ونفس الكلام ينطبق على الشاعر الكبير محمد بن أقوجيل الذي كان يخاطب الباشا حسين خوجة الشريف وينصحه خيرا بالعلماء والفقهاء وضرورة تقديمهم وتقريبهم في مجلسه ومشاورتهم في أمور الدولة حيث قال له:

شاور ذوي علم ودين ناصح ... ودع الغواة وكل ذي تزوير
فالعلم ميراث النبوة ناله ... قوم لهم حظ من التنوير
كم في بلادك من نجيب حافظ ... ومشارك في النظم والمنثور
ومحقق ومدقق ومناظر ... من كل دراك السحى نحير
ضاعوا وجاعوا لا محالة وابتلوا ... في ذا الزمان الصعب بالتقير
منعوا حقوقهم بمال الله لا ... يرجى لهم طمع ولو بنقير
يا أيها الملك الذي نرجو به ... عدلا ينوط بذى الغنى وفقير
إني نصحتك والنصيحة ديننا ... فاقبل ولم ينصحك دون خبير²

* الحياد:

بين المعارضة والتأييد من قبل علماء الجزائر للوجود العثماني نجد طرفا ثالثا بينهما اتخذ من سياسة التحفظ والحياد شريعة وسبيلا له حيث انصرفوا إلى حياتهم الدينية والعلمية، فمحمد ابن مريم التلمساني ورغم أنه عاصر فترة الدخول العثماني لمدينة تلمسان إلا أنه لم يبدي رأيه في الموضوع سواء بالتأييد أو المعارضة حيث سخر وقته للتأليف، وأبرز أعماله كتاب البستان حول علماء تلمسان، كما انشغل محمد بن سلميان بتأليف كتابه كعبة الطائفين حول شيخه موسى اللالتي، وكذلك الشأن للشيخ القلعي حول شيخ والده أحمد الملياني، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم غير مبالين بالحكام الأتراك بقدر اهتمامهم وحبهم لشيوخهم وأولياهم³.

ومن علماء الجزائر الذين اتخذوا من الحياد مبدأ لهم في علاقتهم بالسلطة العثمانية نجد عبد الرزاق بن حمادوش، فرغم المكانة العلمية التي وصل إليها، والعلوم العديدة التي تخصص فيها، ورغم تبجيله من قبل حكام المغرب الأقصى والحجاز إلا أنه ظل مهتمشا بالجزائر، فلم يتقلد وظيفة رسمية لدى هؤلاء الحكام سواء بالتدريس أو الفتوى أو القضاء، ورغم أنه طبيب ماهر عارف بشؤون الطب والأدوية إلا أن الحكام

¹ المصدر نفسه، ص33-34.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج1، المرجع السابق، ص247.

³ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ...، ج5، المرجع السابق، ص184-185.

فضلوا عليه أصباء أوروبيين، وهذا ما يثبت سياسة التهميش التي لقاها علماء الجزائر من الحكام الأتراك¹، وعلى عكس عائلي ابن عبد المؤمن والفكون التي تولت عديد المناصب خلال الحكم الحفصي والعثماني بمدينة قسنطينة، فان عائلة ابن باديس العريقة اتخذت موقف الحياد حيث ابتعدت تماما عن السلطة والحكام وانحصر اهتمامها على نشر العلم².

كما فضل البعض الآخر من علماء الجزائر الهجرة والترحال مشرقا ومغربا لأغراض تتنوع بين الحج والتجارة والعلم كأبو العباس أحمد المقرئ³، والذي بقي موقفه من الوجود العثماني بالجزائر مبهما، فمن جهة نجد المقرئ يجزل في وصف أحمد المنصور السعدي الذي استقبله واحتضنه بدولته حيث قال في إحداها: (نسأل الله تعالى أن يزعجنا عاجلا إلى حضرته المقدسة الطاهرة ملكه من السوس الأقصى إلى أقصى العراق)، ويقصد بذلك أن يوسع الله في دولة المنصور السعدي من الفرات شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وبذلك يفهم على أنه تأييد ضمني لأحمد المقرئ بشرعية الأشراف السعديين في الخلافة الإسلامية على حساب الأتراك⁴، وفي مقابل ذلك نجد أحمد المقرئ يصف مدينة الجزائر أثناء رحلته من المغرب الأقصى إلى الحجاز بأوصاف جميلة حيث يقول:

جزائر الغرب لا تطرقك أحزان ... يا بهجة الدهر طابت منك أزمان
وزادك الله يا أرض الجهاد فكم ... غلا فيك إسلام وإيمان
وصانك الله من كيد العدى وغدا ... للنصر والعز في مغناك إدمان

حيث يصفها بدار الجهاد والجزائر المحمية وغيرها من الأوصاف التي اشتهرت بها خلال الحكم العثماني، وهو تلميح برضاه عن الوجود العثماني بها⁵، وفي خاتمة هذا العنصر بعد عرضنا لمواقف العلماء المتنوعة بين المعارضة والتأييد والتحفظ للوجود العثماني بالجزائر يمكننا القول بأن علماء الجزائر اصطفوا وراء رأيين لا يمكن الجزم بصحة أحدهما الأول رأي علامة المغرب أبو العباس أحمد الوئشريسي في علاقة الفقيه بالسلطان فيقول: واعلم أن شر العلماء علماء السلاطين⁶، والثاني رأي الرحالة الحسين الورثيلاني في موقف

¹ محمد أمين: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبعة أنفو - برانت، فاس، المملكة المغربية، 2011م، ص28.

² محفوظ رموم: المرجع السابق، ص08.

³ أحمد المقرئ: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني ولد بتلمسان سنة 1578م، وتنقل بين المغرب الأقصى ومصر والحجاز والشام إلى أن توفي بمصر سنة 1631م، ودفن بمقبرة المجاورين، وترك الكثير من المؤلفات أهمها نفع الطيب، أنظر: (أحمد المقرئ: المصدر السابق، ص97-99، يسري عبد الغني: معجم المؤرخين المسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م، ص169-170).

⁴ عبد الكريم كريمة: (معركة وادي المخازن من خلال الوثائق التاريخية)، مجلة التاريخ العربي، ع3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 1997م، ص67.

⁵ أحمد المقرئ: المصدر السابق، ص138-140.

⁶ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ... المرجع السابق، ص186.

العلماء من الحكام والأمراء فيقول: إن الولاة من الأمراء تجب طاعتهم إذا كانوا يصلون ما لم يأمرؤا بمعصيته، فان أمرؤا بها فلا يسمع منهم¹.

III- الحياة الثقافية بالمغرب العلوي:

رغم اهتمام الأدارسة والمرابطين والموحدين بتشديد المدارس بالمغرب الأقصى في كل من مراكش وفاس وسبتة وطنجة إلا أن بنو مرين رفعوا وتيرة الانجاز بصفة عالية جدا، فأبو الحسن المريني لوحده شيد ما يزيد عن سبعة عشر مدرسة في كل من تازة ومكناسة وطنجة وسلا وسبتة وأنفي وأزمور وآسفي وأغمات ومراكش والقصر الكبير، وتجاوزها إلى العباد بتلمسان ومدينة الجزائر بالمغرب الأوسط بينما أخذت مدينة فاس حصة الأسد من هذه المدارس حيث شيد بها مدارس الصهريج والسبعين والوادي والمصباحية، ولما جاء بنو وطاس اكتفوا بالمحافظة على انجازات أسلافهم ورمموا البعض منها، وكذلك الشأن لحكام الدولة السعدية والعلوية الذين رمموا البعض من المدارس وشيدوا البعض الآخر².

أولا- الثقافة الشخصية لسلطين المغرب الأقصى:

إن تشييد المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات والاهتمام الكبير بالكتاب من طرف سلطين المغرب الأقصى ليس بالغريب باعتبار أن هؤلاء الحكام كانوا هم أنفسهم طلاب علم بل ومنهم من يصنف في خانة العلماء، وذلك يعود بالأساس إلى البيئة التي نشأ فيها هؤلاء سواء السعديون أو العلويون في جنوب المغرب الأقصى، فقد كان الملوك السعديون يرسلون أبناءهم إلى مختلف الحواضر والمراكز العلمية والثقافية المغربية للتزود بمختلف العلوم خاصة جامع القرويين بمدينة فاس، والذي يزخر بخيرة علماء المغرب³، فقد كان محمد القائم بأمر الله يصنف ضمن العلماء، وكان ولوعا بجمع الكتب والمخطوطات، كما أن مؤسس الدولة السعدية أحمد الأعرج كان مدرسا ومعلما بجامع القرويين حتى أنه درس أبناء السلطان أحمد الوطاسي⁴.

وكذلك الشأن مع شقيقه محمد الشيخ الذي كان يحاور العلماء والقضاة والمفتين في عديد القضايا المهمة⁵، كيف لا وقد درس بزواية الشيخ عبد الله بن عمر تلميذ أحمد الزروق وابن غازي بسجلماسة⁶ أما ابنه عبد الله الغالب فقد حفظ القرآن الكريم في صباه وتعلم مختلف العلوم⁷، وكان ممن يؤخذ عنهم في

¹ أحمد ظريف: المرجع السابق، ص126-127.

² محمد الكحلاوي: (المدارس المغربية)، مجلة العصور، مج6، دار المريح، المملكة العربية السعودية، 1991م، ص78-79.

³ عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص284.

⁴ أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص90.

⁵ محمد المختار السوسي: إلبليغ قديما وحديثا، ط4، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 2005م، ص50.

⁶ محمد حجي: المرجع السابق، ص288.

⁷ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...، ج2، المرجع السابق، ص253.

علم الحديث¹، وقد كان لابنه محمد المتوكل براعة كبيرة في الأدب والشعر²، من دون أن ننسى عبد الملك المعتصم بالله الذي كان يتحكم في اللغة العربية والتركية والإيطالية والإسبانية³، ولعل أبرز سلاطين الدولة السعدية علما من دون منازع كان أحمد المنصور الذي يلقب بعالم السلاطين وسلطان العلماء⁴، فقد كان متضلعا في مختلف العلوم والفنون من فقه وحديث وتفسير ونحو وبيان ولغة وشعر وحساب ومنطق وهندسة وجبر وتاريخ، وله تقايد على بعض الأحاديث ومؤلفات ككتاب السياسة وكتاب الأدعية وله نظم رائق وخط فائق⁵، كما ترك ديوان جمع فيه شعراء أهل البيت النبوي به يزيد من مائة ترجمة، وأضاف له شعره الخاص سماه بالفهرست⁶.

وقد كان المنصور شغوفًا بمطالعة كل إصدار جديد داخل وخارج المغرب حيث وصله مؤلف تاريخ الجنابي لصاحبه مصطفى الجنابي (ت1590م)، فلما اطلع عليه أعجب به واتصل بالمؤلف وراسله بهدية تقدر بألف وخمسمائة أوقية ذهبية مع إبداء بعض الملاحظات على الجزء الأول للكتاب، وهذا ينموا عن فكر وعلم المنصور⁷، وقد كان الكتاب يرسلون بكل جديدهم للمنصور مثلما حدث مع كتاب شرح ابن هشام في النحو الذي وصله من مصر بمجرد صدوره⁸، ولم يقتصر اهتمام المنصور بالعلوم النقلية فقط بل تعداه إلى العلوم العقلية حيث قام بتسخير كل الإمكانيات بيد أحمد أفواقي لاختراع وتصميم الأسلحة، وهو ما تجسد في مصنع الأسلحة والمدافع بمدينة مراكش⁹، ورغم أن الوضع الثقافي بالمغرب الأقصى سار في منحى تنازلي بعد وفاة المنصور سنة 1603م إلا أن ابنه زيدان كان متضلعا في البديع والجناس والشعر¹⁰، وكان عالما فقيها عارفا بالأدب وله كتاب في تفسير القرآن وله نظم¹¹، وقد أجازته الشيخ أحمد بن القاضي بل وأخذ هذا الأخير جميع مرويات زيدان السعدي خاصة أشعاره¹².

¹ محمد المختار السوسي: المصدر السابق، ص50.

² أحمد المقري: المصدر السابق، ص73.

³ عبد الله كنون: موسوعة مشاهير رجال المغرب - عبد الملك المعتصم -، ط2، دار الكتاب المصري، مصر، 1994م، ص6-7.

⁴ محمد المختار السوسي: المصدر السابق، ص50.

⁵ محمد بن جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج3، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2004م، ص280.

⁶ عبد السلام بن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1997م، ص266.

⁷ عبد الحفيظ الطبايلي: (مصدر عثماني حول تاريخ المغرب السعدي - البحر الزخار والعلم الطيار لمؤلفه مصطفى الجنابي -)، مجلة التاريخ العربي، ع12، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 1999م، ص207.

⁸ عبد الهادي العامري: تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول، الشركة التونسية للنشر، تونس، 1974م، ص224.

⁹ عبد الفتاح الغنيبي: المرجع السابق، ص291.

¹⁰ أحمد المقري: المصدر السابق، ص73.

¹¹ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1993م، ص740.

¹² مصطفى البوعناني: (وثائق جديدة عن الحركة الفكرية في العهد السعدي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع02، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، 2000م، ص145-147.

وكان شقيقه محمد الشيخ المأمون ولوعا بالعلوم الأدبية والفقهية ومطلعا على علم الطب¹، ولم يكن اهتمام سلاطين المغرب السعديون بالعلوم النقلية فقط بل تعداها إلى العلوم العقلية، فقد ازدهر ميدان الطب وظهرت معه الأدوية لمختلف الأمراض المنتشرة بالمغرب، وكذلك الشأن بالنسبة للعميران المدني والديني والعسكري جراء الاهتمام بالهندسة المعمارية، وظهرت مصانع الأسلحة بمراكش والسفن بالرباط، وهذا ما يؤكد اهتمام هؤلاء بالهندسة العسكرية، كما ظهرت مصانع السكر والنسيج وتطورت شبكات الري وأنابيب المياه، وبرزت الصناعة المعدنية بصك العملة الفضية والذهبية والبرونزية².

وإذا انتقلنا للعهد العلوي فإننا نستدل بالمؤرخ عبد الرحمن بن زيدان الذي ذكر بأن مولاي الرشيد كان من أنجب السلاطين العلويين أين كان يحضر دروس العلماء بالقرويين، ويناقشهم في أدق المسائل ويشجعهم عن طريق الهدايا والعطايا، وهو ما جعل الحسن اليوسي - ورغم مأخذه عن الرشيد الذي هدم زاوية الدلاء - يتغنى بأيام الرشيد في رسالة كتبها لخليفته مولاي اسماعيل يذكره فيها بمآثر الرشيد واهتمامه بالعلم وأصحابه³، ولا يقل مولاي اسماعيل عن شقيقه الرشيد علما وأدبا ففي سنة 1688م قام بتقديم دعوة لعلماء المغرب الأقصى لحضور حفل كبير بقصر السلطان بعد أن ختم تفسير القرآن الكريم بإشراف العلامة أبي عبد الله المجاصي، كما نصب منبرا للتدريس بقصره، وكان يشرف على خدمة العلماء الحاضرين في مجلسه من تقديم الطعام وغسل أيديهم تقديرا منه واحتراما لهؤلاء العلماء⁴، وبداية من سنة 1708م شرع مولاي إسماعيل في عقد مجالس العلم كل يوم جمعة بمدينة مكناسة، ويسمى بحديث الإنصات من خلال جمع أشهر علماء المغرب في العلوم الشرعية وعقد مطارحات ومجالس فقهية بينهم⁵.

ونظرا للثقافة العالية التي حصل عليها محمد بن عبد الله فقد كان عالما ومثقفا من مستوى عال حيث ترك عديد المصنفات أبرزها مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان سنة 1788م، وكتاب الفتح الرباني فيما اقتطفه من مسائل الأئمة وفقه الامام الحطاب والشيخ ابن أبي زيد القيرواني، وكتاب بغية ذوي الأبصار والألباب في الدر المنتخب من تأليف الإمام الحطاب⁶، وكتاب الفتوحات الصغرى، وكتاب الفتوحات الكبرى، وكتاب الجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من ستة مسانيد، وقد جمع هذه الكتب الثلاثة في مصنف شهير والموسوم بطبق الأرباب فيما اقتطفه من مسانيد الأئمة وكتب مشاهير المالكية والإمام الحطاب، وقد حارب السلطان مولاي محمد بن عبد الله ظاهرة المختصرات باعتبارها

¹ إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج2، ص399.

² عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006م، ص319-323.

³ عبد الرحمن ابن زيدان: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937م، ص12.

⁴ محمد الأخضر: الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية 1664-1894م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1977م، ص73-74.

⁵ إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج3، ص538-539.

⁶ محمد القبلي وآخرون: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، المملكة المغربية، 2011م، ص433.

عبد العزيز بن عبد الله: فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج2، المطبعة الملكية، المملكة المغربية، الرباط، 2001م، ص597.

مضيعة للكتب والمصنفات الأصلية، وكان يعقد المجالس العلمية ويناقش العلماء متبعا سيرة أحمد المنصور الذهبي بل ويقراً سيرته عبر كتاب مناهل الصفا للفشتالي¹.

وقد حرص السلطان محمد بن عبد الله على تربية أولاده تربية دينية وعلمية صحيحة حيث أدخل ولده سليمان للمدرسة والكتاتيب منذ صغره فحفظ القرآن الكريم، وبعدها أرسل به لمدينة سجلماسة، كما اختار له أحسن وأفضل الشيوخ بالمغرب الأقصى كشيخ الجماعة التاودي بن سودة، والشيخ عبد القادر بن شقرون، والمرابط سيدي علي بن يوسف الدرعي²، وقد قام الوزير أبو القاسم الزياني بجمع شيوخ مولاي سليمان في كتاب سماه جمهرة التيجان وفهرسة الأولو والياقوت والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان³. هذا الورع والزهد جعله يرفض بيعته ملكا على المغرب خلفا لوالده محمد سنة 1792م، وبعد اصرار العلماء عليه بقولهم أن مولانا سليمان أحق لكونه أعلم من مولانا سلامة، والعالم يقدم في الإمامة على غير العالم⁴، ونتيجة لذلك اشترط سليمان في المبايع أن ألا يدخل في صراع وخلاف دموي مع إخوته⁵، فقد كان متبحرا في علم الحديث والتفسير عارفا بالأدب والتاريخ وأنساب العرب، وكان قلما لامعا في النحو والبلاغة من خلال رسائله⁶، وكان من أخطب الناس بالمغرب الأقصى، وله رغبة شديدة في كتابة وإلقاء الخطب الدينية بمختلف المناسبات⁷.

وفي شهر رمضان من كل سنة كان مولاي سليمان يعقد مجالس علمية وفقهية بين علماء المغرب خاصة في الحديث الشريف بحكم تخصصه فيه⁸، وقد انتهج سياسة تعليمية ودينية واضحة رسم معالمها بنفسه في مختلف الحواضر المغربية تقوم على إحياء الكتب الدينية القديمة، والانتكباب على دراسة القرآن الكريم وتفسيره، والاطلاع على أمهات كتب الفقه والحديث، والابتعاد عن الكتب المعقدة في التوحيد والغلو الفلسفي⁹، وقد انعكس علم مولاي سليمان على أعماله اليومية من خلال تشييد المدارس والمساجد وتأليف

¹ محمد الكانوني: علائق أسفي ومنطقتها بملوك المغرب، تحقيق علال ركوك وآخران، مطبعة رباتيت، المملكة المغربية، 2004م، ص99.

² محمد العلوي: (جوانب من السياسة الدينية والثقافية للسلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص190.

³ عبد القادر العافية: (جوانب من النشاط العلمي على عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص200.

⁴ محمد أزهري: (جوانب من الحياة العلمية والأدبية في عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المملكة المغربية، 2008م، ص120-123.

⁵ محمد المنصور: المرجع السابق، ص52.

⁶ أبو القاسم الزياني: جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، تحقيق عبد المجيد خيالي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص9.

⁷ إدريس البلغيثي: (السلطان مولاي سليمان الخطيب المصلح)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص231.

⁸ إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج3، 538-539.

⁹ محمد الدباغ: المرجع السابق، ص219.

عديد المصنفات أبرزها إمتاع الأسماع بتحريرو ما التيس من حكم السماع، وعناية أولي المجد بذكر آل الفاسي بن الجد، وحاشية على الموطأ، وحاشية على الزرقاني على المواهب اللدنية، وحاشية على شرح الخرشبي على المختصر، والتجوير بعود الطيب في رمضان، وتأليف في الغناء، وتأليف في أحكام الجن والتفريق بينها وبين أحكام الانس، والرسالة الشهيرة التي حررها ضد المواسم والبدع، وتأليف في مسألة الكسب برفقة شيخه ابن كيران¹.

* سلاطين المغرب والكتاب:

يعد الكتاب وسيلة مهمة في التربية والتعليم والثقافة بصفة عامة عبر مختلف العصور، ومن هنا يأتي سر اهتمامه سبحانه وتعالى بالكتاب في القرآن الكريم بمختلف المفاهيم والصيغ فقد ذكر حوالي مائتين وخمسون مرة، ومن أجل فهم أي حضارة بشرية معينة يمر حتما بمدى تقدير حكامها وشعبها للكتاب تأليفاً وصناعة واهتماماً²، فتشيد مختلف المدارس والمساجد والمكتبات من طرف السلاطين السعديون ومن بعدهم العلويون توجت بتجهيز هذه المؤسسات الثقافية والتعليمية بأنفس الكتب والمخطوطات النادرة عن طريق التشجيع على التأليف حيث يرى الحسن الوزان بأن مغرب القرن السادس عشر ميلادي سادت فيه تجارة الكتب بشكل كبير خاصة بمدينة فاس ومحيط القرويين، والذي كان به ما يزيد عن ثلاثين دكاناً لبيع الكتب³، فقد زود عبد الله الغالب السعدي جامع ابن يوسف بمدينة مراكش بأنفس الكتب والمخطوطات النادرة⁴.

ومع تولي أحمد المنصور الذهبي سدة الحكم بالمغرب الأقصى ازدهرت معه ظاهرة نسخ وترجمة وشراء الكتب والمصنفات، وذلك من خلال جمع الكتب والمخطوطات النفيسة المتفرقة بالمراكز الثقافية والبوادي المغربية، والتي تعود إلى فترة بني مرين في خزنة كل من القرويين بفاس وابن يوسف بمراكش⁵، وقد استفاد المنصور من علاقاته الدبلوماسية المتشعبة في المشرق واستنبول وأوروبا، فكان يغدق عليهم بالهدايا النفيسة من سبائك ذهبية مقابل حصوله على كتب نفيسة ونادرة، وقد ربط في هذا الشأن علاقة مع شخصية عثمانية مرموقة، وهو الرايس أحمد الأمين الدفترلي لاقتناء عدد من الكتب القيمة من مكتبات وأسواق

¹ محمد أزهرى: المرجع السابق، ص120-123، محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص127.

² خليفة حماس: محاضرات في تاريخ النهضة الأوروبية، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م، ص310.

³ روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص679.

⁴ أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص123.

⁵ محمد بن الحسين: (مسامرة العراقي)، مجلة قطر الندى، ع02، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الرباط، المملكة المغربية، 2008م، ص273-274.

استنبول¹، وبوصول هذه الكتب كلف المنصور وزيره عبد العزيز الفشتالي بكتابة رسم ورقم التحيس لكل كتاب، كما وظف قيمين عارفين للمحافظة على هذه الكتب والمخطوطات²، وزود قصره بأحسن الخطاطين البارعين والنساخ المهرة ورجال فن الخط والتجليد³.

ورغم اهتمام أحمد المنصور بمدينة مراكش وجامعها الكبير ابن يوسف إلا أنه لم يهمل مدينة فاس فأمر ببناء خزانة القرويين سنة 1601م، كما أمر بجمع كل الكتب المتفرقة بين الخزانتين المرينيتين - أقامهما كل من أبو عنان وإبراهيم - في الخزانة الأحمدية، وجعلها منافسة للخزانة العلمية لمدينة قرطبة الأندلسية، وسميت بالخزانة الأحمدية الشريفة نسبة إليه، كما أمر بفتح باب من القرويين لقاعتها مباشرة لتسهيل الدخول إليها من قبل الطلبة⁴ من دون المساس بالخزانة الأصلية التي أقامها أبو عنان⁵، وأنفس مخطوط بقي بهذه الخزانة هو المصحف الشريف بخط مشرقى كتب بالقلم الذهبي نسخ سنة 1571م وقدم كهدية للمنصور، ولما استلم أحمد المنصور هذه الهدية الثمينة قام بالكتابة في ورقته الأخيرة تحببها باسمه وحفظ بهذه الخزانة، وكان لهذا المصحف الشريف كرسي خاص يعين عليه خيرة المقرئين والعلماء لتدريسه على الطلبة⁶.

وازهت الترجمة بشكل كبير خلال عهد المنصور خاصة المصنفات الأوروبية، والتي كان يحصل عليها إما بشرائها عن طريق سفراء المغرب أو سفراء هذه الدول بالمغرب الأقصى، فتهاقت طلاب وعلماء المغرب على دراستها والاطلاع عليها لما رأوه من تطور وازدهار للحضارة الأوروبية⁷، وكان يعتمد في تعريب هذه المصنفات الأجنبية على الأندلسيين المعروفين بتعدد لغاتهم كأحمد بن قاسم الغساني أفوقاي والأسرى الأوربيون بالمغرب الأقصى، وحتى الأسرى المغاربة العائدون من السجون الأوروبية⁸، وبتولي زيدان الحكم حاول السير على سياسة والده المنصور من خلال تشجيع الترجمة حيث أبقى على الأسير الأيرلندي الدومينيكي أنطوان دو سانت ماري سجيناً لمدة ستة سنوات، واستخدمه في ترجمة الكتب اللاتينية إلى القشتالية، وبعدها يتكفل الأندلسيون بتعريبها⁹.

¹ Abdeljalil Temimi: Pour une histoire des relations culturelles..., Op. Cit, p106.

² محمد بن الحسين: المرجع السابق، ص273-274.

³ أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص91.

⁴ محمد بن الحسين: المرجع السابق، ص272-273.

⁵ عبد الهادي التازي: جامع القرويين - المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري -، ج2، ط2، دار المعرفة، الرباط، المملكة المغربية، 2000م، ص341-342.

⁶ محمد بن الحسين: المرجع السابق، ص275-276.

⁷ عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص291-292.

⁸ عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات - مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة -، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 2005م، ص197-198.

⁹ أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص91.

وما يحسب لزيدان أنه حاول انقاذ مكتبة مراكش من الضياع¹ بعد ثورة ابن أبي محلي سنة 1612م ودخوله إلى مراكش حيث أرسلها عبر مرسى أسفي إلى بلاد السوس حتى تبقى آمنة هناك إلا أن السفن الفرنسية التي استأجرها فرت بهذه الكتب، ووقعت بيد القراصنة الإسبان، فنقلوها إلى الأسكوريال، والتي مازالت هناك ليومنا هذا²، ولقيمة الكتاب حاول السلاطين السعديون وبعدهم العلويون استعادة هذه المكتبة الثرية مستعملين كل الوسائل، فقد قطع زيدان السعدي علاقته مع فرنسا بحكم أن المركب الذي سرق هذه المكتبة فرنسي، كما سجن كل الفرنسيون على التراب المغربي، وتأزمت العلاقة مع البرتغال واسبانيا بعد نقل المكتبة للأسكوريال، وبعد وصول محمد بن الشريف العلوي للحكم قام ببعض المحاولات لاسترجاعها³، كما حاول مولاي اسماعيل استعادة هذه المكتبة حيث راسل الملك الفرنسي لويس الرابع عشر عبر السفير عبد الله ابن عيشة، وذلك من أجل الحصول على الكتب العربية الموجودة بالخزائن الفرنسية، والتي تعود ملكيتها للمغرب الأقصى. ثم بعث ابن عبد الوهاب الغساني للملك الاسباني شارل الثاني سنة 1689م يقترح عليه تحرير الأسرى الاسبان بالسجون المغربية مقابل خمسة آلاف مخطوط مغربي بمكتبة الأسكوريال.

ولما وفد محمد بن عبد الله العلوي على السلطة راسل الملك الاسباني عبر العلامة أحمد المهدي الغزال سنة 1765م، والذي كانت له علاقات ودية مع شارل الثاني ملك اسبانيا، فأراد أن يستغلها في استعادة جزء من المكتبة الزيدانية، وقد مكث الغزال مدة شهر كامل بإسبانيا، وأخذ معه حوالي ثلاثمائة أسير مقابل الحصول على ثلاثمائة كتاب نفيس تخص الكتب العربية الاسلامية بمديرد. ثم أعاد الكرة مرة ثانية مع السفير محمد ابن عثمان المكناسي، والذي تأثر كثيرا لما زار هذه المكتبة، وقد دعى العرب للحرب والثأر لأجل المكتبة النفسية بعدما أهدها شارل الثالث بعض المخطوطات منها، واعتذر له باعتبار أن البابا هو الذي أعطى أوامر حازمة بعدم إخراج المكتبة من حدود اسبانيا⁴.

وفي عهد الدولة العلوية استمرت عملية اهتمام الحكام والسلاطين بالكتاب والمكتبات حيث قام مولاي الرشيد العلوي بإنشاء ديوان الوراق، والتي ألحقها بالخزانة السلطانية، وذلك من أجل استنساخ مختلف الكتب والمخطوطات⁵، كما كان السلطان مولاي اسماعيل شغوف جدا بجمع الكتب والمصنفات بعاصمته

¹ من أبرز النكبات الثقافية التي حلت بالمغرب بعد وفاة المنصور السعدي سنة 1603م هو ضياع خزانة الكتب الخاصة بجامعة القرويين والتي كان بها ما يزيد عن ثلاثين ألف مجلد ومخطوط، وقد تمكن القنصل الفرنسي خلال حكم زيدان من نهب ما يقارب أربعة آلاف مخطوط عربي وباعها بإسبانيا، والتي أصبحت تشكل الرصيد الأساسي لمكتبة الأسكوريال الشهيرة بإسبانيا، أنظر: (رشيد المومني ومحسن الادريسي: المرجع السابق، ص30).

² محمد حجي: المرجع السابق، ص309.

³ أحمد شوقي بنين: (العلاقات المغربية الإسبانية إثر اختطاف خزانة السعديين المراكشية)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع8، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية، 1992م، ص37-41.

⁴ أحمد شوقي بنين: تاريخ خزائن الكتب بالمغرب...، المرجع السابق، ص192-193.

⁵ أحمد شوقي بنين: (الوضعية التاريخية لوجود المخطوطات في المغرب - وضعية مخطوطات الخزانة الحسنية -)، ضمن أعمال الندوة العالمية للمخطوطات، القاهرة، مصر، 1996م، ص5-6.

مكناسة حيث جمع منها الآلاف ووضعها في جناح خاص بقصره عرف بدويرة الكتب واختار لها وزيره محمد بن الحسن اليعمدي حتى يكون قيما لهذه الخزانة، فقد وصل عدد كتب هذه المكتبة إلى اثني عشر ألف مجلد قبل عهد الطباعة، وهو ما يؤكد شغف هذا السلطان بالعلم وجمع الكتب، ولما تولى حفيده محمد بن عبد الله الحكم بالمغرب أوقف هذه الخزانة على مساجد مدينة مكناسة، ووضع خزانة كتب جديدة جلب إليها أغرب وأنفس المصنفات بالعالم الإسلامي مستغلا خيرة سفراء المغرب الأقصى كأبو القاسم الزياني - الذي استغل رحلته نحو استنبول لملاقاة السلطان عبد الحميد الأول أين قام باقتناء مجموعة من الكتب التي أوصاه بها السلطان مولاي محمد بن عبد الله العلوي¹.

فقد كان هذا السلطان مولعا بالكتب من حيث الجمع والنسخ والتجليد حيث قام بتسفير ثلاثة وعشرون مصحفا بين كبير وصغير، ومن جملتها المصحف العقباني نسبة لعقبة بن نافع الفهري الذي نسخه بمدينة القيروان وانتقل للقرويين بمدينة فاس، وقد حافظ عليه مختلف الملوك المتعاقبين على المغرب الأقصى، وقد سمرت كلها بالذهب والياقوت وأرسلها هدية للحرم النبوي بالحجاز²، وقد أثرى مولاي سليمان بعده المكتبة المغربية أين حرص على جمع مختلف المؤلفات التاريخية المغربية والمشرقية وكان شغوف بمطالعتها³، وكذلك الشأن بالنسبة للسلطان عبد الرحمن بن هشام⁴.

ثانيا/- تشييد المؤسسات الثقافية والعلمية:

لقد ساهم السلاطين السعديون ومن بعدهم العلويون بتشديد عديد المؤسسات الثقافية والدينية والتعليمية من مساجد وزوايا وكتاتيب ومكتبات، فقد قام محمد الشيخ السعدي ببناء الجامع الكبير بتارودانت، وأقام ولده عبد الله الغالب جامع المواسين بمراكش سنة 1562م وكان يدعى بجامع الأشراف⁵، كما شيّد أحمد المنصور الذهبي الجامع الأعظم بمراكش أين أراد أن ينافس به جامع القرويين بفاس⁶، وجلب إلى مراكش العالم الفلكي عبد الرحمن بن عمرو السوسي الجزولي (ت1600م)، واستعمله في نصب الساعات الزمنية على المنارات والمساجد⁷، وحتى مسعودة بنت أحمد الوزكيني الوردازي زوجة محمد الشيخ السعدي بنت هي الأخرى سنة 1557م جامع دكالة بفاس⁸، وأكثرت عليه الأوقاف وزودته بالكراسي العلمية،

¹ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، 126-127.

² السعيد بن موسى: تاريخ فن تفسير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب من عهد الموحدين إلى عهد الشرفاء العلويين، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 1996م، ص69.

³ أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص5-6.

⁴ محمد سعيد حنثي: (تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهارسها)، مجلة أفق الثقافة والتراث، ع72، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2010م، ص176.

⁵ محمد السيد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ط1، دار القاهرة، 2008م، ص231.

⁶ عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص294-295.

⁷ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج3، ص320-321.

⁸ إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج2، ص394.

ويذكر أحمد المقري بأنه صلى به الجمعة مرارا وأعجب به¹، كما قامت ببناء مسجد جمعة بمراكش وحسبت عليه أحباسا كثيرة².

بينما شيد أبو فاس عبد العزيز بن أحمد المنصور جامع أبي العباس السبتي بمدينة مراكش سنة 1603م بجوار ضريح هذا الشيخ الكبير³. أما الزوايا والمدارس فقد قام عبد الله الغالب بتشييد مدرسة قرب جامع ابن يوسف بمراكش⁴، ورمم مدرسة أبي الحسن المريني، وجعلها ملحقة بجامع علي بن يوسف سنة 1564م⁵، كما أمر بإحداث زاوية الحزابين بقرب جامع القرويين بفاس سنة 1562م⁶، وساهم في تأسيس زاوية زداغة بتارودانت التابعة للطريقة الجزولية⁷، وتعتبر فترة حكم أحمد المنصور الأبرز خلال العهد السعودي من حيث تأسيس وتشييد المدارس والزوايا مستغلا في ذلك أموال الذهب التي حصل عليه من السودان وافتداء الأسرى بعدمعركة وادي المخازن سنة 1578م، وعوائد مصانع السكر والأسلحة والمنسوجات⁸.

وبعد وصول العلويون لحكم المغرب الأقصى انتهجوا سياسة تشييد وترميم مختلف المؤسسات الثقافية والدينية في مدن وحواضر المغرب الأقصى، فبعد عودة مولاي الرشيد من مهمة تهديم الزاوية الدلائية جلب معه طلبة وعلماء الزاوية، وشيد بمدينة فاس مدرسة الشراطين حتى تعوض التوهج العلمي والثقافي لزاوية الدلاء⁹، وكانت مدرسة متكاملة تتكون من ثلاث طوابق تحتوي على مائة وثلاثين بيت للطلبة ومختلف مرافق المدرسة، كما رمم عديد المدارس القديمة والزوايا كالزاوية الفاسية¹⁰، ومن أبرز المنجزات التي شيدها مولاي اسماعيل بالمغرب الأقصى هو جمع وإحصاء الأوقاف الإسلامية بالتراب المغربي مخافة من الضياع وهي المعروفة بالحوالات الاسماعيلية¹¹، ومن أجل جلب دعم وتعاطف أشرف وعلماء مدينة فاس قام بتجديد ضريح مولاي إدريس¹²، كما شيد ورمم عديد المساجد بالحواضر المغربية في شاكلة مسجد آسفي سنة

¹ أحمد المقري: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقينته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المدار الثقافية، تلمسان، الجزائر، 2011م، ص 63.

² محمد القادري: الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، دراسة وتحقيق مارية دادي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 2009م، ص 587.

³ محمد السيد أبو رحاب: المرجع السابق، ص 231.

⁴ أحمد شوقي بنين: تاريخ خزائن الكتب بالمغرب...، المرجع السابق، ص 123.

⁵ إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 2، ص 392-394.

⁶ محمد بن الحسين: المرجع السابق، ص 271.

⁷ محمد القادري: المصدر السابق، ص 397.

⁸ عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص 319-323.

⁹ إسماعيل عثمان: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 5، مطبعة المعارف الجديدة، المملكة المغربية، 1993م، ص 179.

¹⁰ محمد حجي: جولات تاريخية، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، ص 239.

¹¹ محمد المكي الناصري: الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 1992م، ص 20-22.

¹² إسماعيل عثمان: المرجع السابق، ص 179.

1693م، ومسجد الالعودة وبريمة والصهرنج بمكناسة، ومسجد درب الزهراء بالرباط، ومسجد الشهود بمكناسة سنة 1718م¹.

وتعتبر فترة مولاي محمد بن عبد الله من أزهى الفترات التي شيدت وأقيمت فيها المؤسسات العلمية بالمغرب الأقصى نظرا لثقافة وعلم الرجل، فقد استغل الأوقاف في تشييد المدارس وترميم المساجد والأضرحة والزوايا أين جدد بمدينة مراكش عشرة مدارس وشيد مدرسة في كل من مدينة آسفي والدار البيضاء وفضالة والعرائش وتازة والصويرة ومدرسة باب الجيسة بفاس ومدرستين بمكناسة²، ووضع لهذه المدارس منهاجا جديدا أساسه العودة للمصادر الفقهية، والتخلي عن الحواشي والمختصرات والشروح³، كما شيد المسجد العتيق بمدينة الصويرة، والذي كان آية في الجمال، وأقيم هذا المسجد لخلق نوع من التوازن والعدل في توزيع المشاريع بين المدن المغربية بل ونقل إليه العديد من العلماء والشيوخ من الحواضر والمدن الكبرى⁴، وشيد أيضا مسجد السنة بمدينة الرباط سنة 1785م⁵، وشيد المسجد الجامع بالروض بمكناسة ورمم مسجدها الأعظم وأقام جامع تازة⁶.

وقد اكتفى بعده السلطان مولاي يزيد بوضع أساس جامع الرصيف بعدوة القرويين بمدينة فاس، ولما خلفه مولاي سليمان سنة 1792م أكمل تشييده⁷ هذا الأخير الذي كان فقيها نبيلًا علامة جليلا يجالس العلماء والفقهاء ملتزما بالشريعة الإسلامية على حد وصف المؤرخ محمد بن جعفر الكتاني، ومن أعماله الأثرية تشييد مسجد الديوان ومسجد الشرايين ومسجد الشيخ أبي غالب الصاريوي وضريحه، وضريح عبد الوهاب التازي، وجدد مدرسة ومسجد الوادي، وجدد المدرسة العنانية وشيد مسجدا في كل من وجدة ووزان وتطوان وأصيلا وتادلا والرباط والذي يحمل اسمه إلى يومنا هذا، وبمدينة سلا شيد مسجد الجزارين⁸، وكذلك الشأن لسلفه مولاي عبد الرحمن بن هشام حيث يقول عنه الكتاني: (كان من أعظم ملوك الدولة العلوية عبادة تاركا للشهوات محبا للعلماء والصلحاء)، وقد شيد الجامع الجديد بالضريح الادريسي، وجامع الكتبيين بمراكش، وجامع الشيخ أبي إسحاق البلفيقي⁹.

¹ محمد الأضر: المرجع السابق، ص73-74.

² محمد المكي الناصري: المرجع السابق، ص20-22.

³ عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية، ج1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 2000م، ص81.

⁴ أحمد بن الحاج الرجائي: الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة، المطبعة الوطنية، الرباط، 1935م، ص39-40.

⁵ إسماعيل عثمان: المرجع السابق، ص221.

⁶ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص305.

⁷ أمينة المغاري: (العمارة الدينية في عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص161.

⁸ محمد المكي الناصري: المرجع السابق، ص20-22.

⁹ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص285-286.

لقد صنفت الباحثة فاطمة الحراق علاقة علماء المغرب الأقصى بالسلطين إلى أربعة أصناف. بداية بالعالم العامل وهو العالم الذي لا يخشى السلطين في إصدار الفتاوى والأحكام لإحقاق الحق، والعالم القدوة وهو العالم الذي يبتعد عن الحكام نهائيا فلا هو يمدحهم ولا هو يذمهم، والعالم العملي وهو العالم الذي يكون واسطة بين السلطين والرعية، وعالم البادية فمعركته ليست مع السلطين وإنما في محاربة البدع والخرافات والأمية في البوادي¹، وانطلاقا من هذا التصنيف سنفصل في المواقف التي اتخذها علماء المغرب الأقصى في علاقتهم بالسلطين السعديون ومن بعدهم العلويون.

* المعارضة:

يذكر المؤرخ محمد القادري في تصنيفه للعلماء وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة بالمغرب الأقصى بأن طريقة معارضة هؤلاء اتخذت أشكالا عديدة كالهجاء والذم على المنابر، وعدم حضور مجالسهم وعدم الدعاء لهم، وتجاهلهم أثناء زيارة مجالسهم بل ويعتبرونهم مثلهم مثل طلبتهم²، وقد سجلت لنا كتب التراجم والطبقات العديد من هذه النماذج خلال العهد السعدي، ففي فترة حكم محمد الشيخ تعرض العديد من علماء المغرب الأقصى للتصفية والاغتيال بسبب معارضتهم للسعديين وولائهم للوطاسيين، كأبو الحسن علي حرزوز خطيب مدينة مكناسة الذي كان يخطب في الناس ويحرضهم على عدم الخضوع للسعديين، وكان يقول في محمد الشيخ: (جاءكم الشيخ من سوس الأقصى البعاد، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل)³، فقبض عليه محمد الشيخ بعد دخوله إلى فاس بباب داره وقتله مع ولده وعلقا على باب دارهما سنة 1553م⁴، ونفس المصير عرفه عبد الوهاب بن محمد الزقاق، والذي كان من أكبر علماء مدينة فاس إلا أن ولاءه الواضح للوطاسيين ومعاداته للسعديين جعل محمد الشيخ يقبض عليه ويقتله ضربا بالسياط، ويقال قطع رأسه بشاقور سنة 1556م⁵.

وإذا تمكن محمد الشيخ من قتل بعض العلماء فإنه عجز عن فعل ذلك مع بعض شيوخ الزوايا الذين كان لهم أتباع كثر حيث قام بترحيلهم ونفهم لتشتيت طلبتهم ومريدتهم مثلما فعل مع عبد الله البكوش (ت1552) الذي نقله من مراكش إلى فاس⁶، ورغم أن أحمد المنصور كان محبوبا من طرف العلماء إلا أن

¹ Fatima Harrak: (*Ulama et société au Maroc du 18eme siècle*), *Revue d'Histoire Maghrebine*, n 61-62, Publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 1991, p49-50.

² محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص32.

³ عبد المجيد القدوري: المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر - مسألة التجاوز -، ط1، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، 2000م، ص131.

⁴ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص470، محمد ابن عسكر الشفشاوني: المصدر السابق، ص76-77.

⁵ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...، ج2، المرجع السابق، ص251.

⁶ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص33.

البعض الآخر لم يتوانى في نقده ومعارضة سياسته، كأحمد بن قاسم الأندلسي الذي كان من علماء الحساب والفلك بمدينة مراكش حيث عارض المنصور فكانت نهايته الاغتيال¹، وأكبر حادثة وقعت للمنصور وأسقطت من قيمته نوعاً ما في نظر العلماء ما فعله بأحمد بابا التنبكتي²، فبعد غزوه للسودان سنة 1593م قام المنصور عن طريق قائد جيشه محمد بن زرقون باعتقال أحمد بابا وعائلته³، وأتلفت كتبه والمقدرة بحوالي ألف وستمائة مجلد ثم أرسل إلى مراكش مكبلاً، فكسرت ساقيه عندما سقط من على ظهر الجمل، ووضعه بالإقامة الجبرية بمراكش حوالي عشرون سنة قضاها في التدريس والإفتاء والتأليف، وقد كان يصف المنصور بحجاج المغرب وبالظالم المستبد⁴.

ولما تولى زيدان السلطة سنة 1603م أطلق سراحه، وحاول اقناعه بالمكوث بالمغرب وعدم العودة للسودان، فرد عليه أحمد بابا: (لا رديني الله إلى هذا المعاد ولا رجعي لهذه البلاد)⁵، وأكبر سلطان سعدي نقم عليه العلماء كان محمد المتوكل بسبب تحالفه مع البرتغاليين ضد بلده، فانهم شرهزيمة وقتل في وادي المخازن سنة 1578م، ومحمد الشيخ المأمون بن المنصور الذي سلم مدينة العرائش للإسبان سنة 1610م من أجل بقائه في السلطة، ومن هؤلاء العلماء الذين عارضوا هذه الفعلة الشنيعة هو محمد بن علي الحاج الأغصاوي المعروف بالبقال، فقبض عليه أعوان المأمون وأعدموه⁶، كما عارضه أيضاً أحمد بن عبد الله أبي محلي الفلالي (ت1613م)، ودعا الناس للجهاد ضده، وكان بعض علماء المغرب الأقصى يعارض السلاطين ضمناً فقط وذلك برفضهم للمناصب التي تعرض عليهم ورفض نيل المرتبات كعبد القادر الفاسي الفهري (ت1680م)⁷.

وخلال العهد العلوي لم تسجل لنا المصادر المغربية حوادث معارضة قادها علماء وفقهاء ضد حكم كل من محمد وشقيقه الرشيد باستثناء حادثة تهديم زاوية الدلاء وما انجر عنها من خصومات كبيرة بين الفقهاء والعلماء الذين كانوا بهذه الزاوية من جهة، ومولاي الرشيد من جهة ثانية، وما قيل عن مولاي محمد بن الشريف وشقيقه مولاي الرشيد يختلف عن شقيقهما الآخر مولاي إسماعيل، والذي لقي معارضة كبيرة

¹ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج1، ص198.

² أحمد بابا: هو أحمد ابن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني ولد بتنبيكتو بمالي سنة 1556م وتوفي بها سنة 1627م، أنظر: (أحمد بابا التنبكتي: تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق سعيد سامي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص5-7، عبد الحى الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات، ج1، ط2، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ص113-114).

³ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي المرجع السابق، ص319.

⁴ محمد بن شريف: (بين أحمد المنصور الذهبي وأحمد بابا التنبكتي)، مجلة الأكاديمية، ع27، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المملكة المغربية، 2010م، ص64-67، محمد الإفرائي: المصدر السابق، ص116.

⁵ ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص320-321.

⁶ محمد بن معمر: (قضية العرائش بين المطامع السياسية وضغوط العلماء 1610م)، مجلة إنسانيات، ع19-20، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2004م، ص94.

⁷ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص32، 115.

وشديدة من قبل فقهاء وعلماء المغرب الأقصى حول عديد القضايا والسياسات التي انتهجها خصوصا لما قرر تكوين جيش عبيد البخاري¹ سنة 1688م، والذي اتبع فيه طريقة الأتراك في تكوين الجيش الانكشاري، فأعلن علماء وفقهاء مدينتي فاس وتطوان رفضهم التام والمطلق لهذه الفكرة² بل وعارضوها لأن تكوين جيش على أساس عرقي ستكون نتائجه وخيمة على المغاربة في حالة ما تمرد هذا الجيش على الدولة والشعب.

والأخطر من ذلك هو ما قام به مولاي اسماعيل حيث جمع نساء وبنات العبيد وكون بهم جوارى القصور سنة 1690م، وهنا كانت القطرة التي أفاضت كأس التمرد والعصيان لدى فقهاء وعلماء المغرب الأقصى مما جعل مولاي إسماعيل يدخل في خلاف وتهديد ووعيد مع غالبية هؤلاء، وأجبر البعض منهم على تقديم فتوى شرعية تبيح له هذه الخطوة³، ولعل أشهر تمرد في هذا الخصوص ما قام به محمد العالم، والذي كان من فقهاء وأدباء المغرب، فكانت نهايته القتل وتبعه في ذلك أيضا الفقيهين محمد بن الحسن الهلالي وابراهيم السكتاني⁴، والقضية الثانية التي نال من خلالها مولاي إسماعيل غضب ونقم العلماء عليه هي لجوئه لسياسة الضرائب والجباية على الرعية من أجل تحسين مداخل الدولة واستغلالها في الجانب العسكري، فراسله العلامة أبو الحسن اليوسي برسالة شديدة اللهجة قائلا فيها: (فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جروا ذبول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخ، ولم يتركوا للناس ديننا ولا دنيا، فأما الدنيا فقد أخذوها، وأما الدين فقد فتنوهم عنه، وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه ... فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أيديهم عن الظلم ...)⁵.

وإذا كان السلطان محمد بن عبد الله من أعدل وأفقه السلاطين العلويون، وهو ما أكسبه حب وود وعطف الرعية والعلماء معا، فإن ولده مولاي يزيد يعتبر أسوأ هؤلاء السلاطين خلال الحكم العلوي، ويعتبر الوزير أبو القاسم الزياني من كبار علماء المغرب الذين لقوا مرارة التعذيب على يد هذا الحاكم، فقد تعرض لامتحان ونكبة كبيرة حيث أمر مولاي يزيد بالقبض عليه، وتم ضربه حتى انكسرت سبابته وتفقدت يده فأغبي عليه لمدة ثلاثة أيام، ونهب منزله بفاس وحول على السجن والسلاسل في يديه ورقبته، وهي من أكبر الإهانات التي تعرض لها هذا العالم، وبقي بسجن الرباط حتى وفاة يزيد وحل مكانه مولاي سليمان الذي

¹ جيش عبيد البخاري: هو جيش من انشاء مولاي اسماعيل مكون من الحراطين والعبيد السودانيين الذين جاء بهم أحمد المنصور، وقد وصل تعداد هذا الجيش إلى مائة وخمسين ألف فرد، وقد تمكن اسماعيل بهذا الجيش من محاربة مختلف الثورات الداخلية التي قادها ابن محرز والخضر غيلان والدلائيين. كما حارب بهم الاسبان وحرر بهم كل من المعمورة والعراش وأصيلا وطنجة من الاحتلال الانجليزي، أنظر (عبد الحق المريني: الجيش المغربي عبر التاريخ، ط5، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997م، ص96-97).

² Archives marocaines : publication de la mission scientifique du Maroc, volum 04, Ernest Leroux éditeur, Paris, France, 1906, p120-121.

³ زروق محمد: دراسات في تاريخ المغرب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1991م، ص19.

⁴ محمد الحضيكي: الطبقات، تحقيق أحمد بومزكو، ج1، ط1، مطبعة النجاح، المملكة المغربية، 2006م، ص15.

⁵ بوشقي السكيوي: (اهتمام المولى إسماعيل بتحقيق نسب الشرفاء أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش)، ضمن كتاب زهرة الآس في فضائل العباس، ط1، ج2، دار المناهل، المملكة المغربية، 1997م، ص830.

أطلق سراحه وولاه مدينة وجدة¹، وبعد المحنة الشديدة والسجن والتعذيب الذي تعرض له الزياني اعتزل السياسة والناس تماما في الزاوية العيساوية بمدينة فاس معتكفا على العلم والتأليف مرددا تلك الأبيات التي تؤكد مدى الندم الشديد وراء تقربه من الحكام والسلطين قائلا في إحداها:

أنست بوحدي ولزمت بيتي ... فدام الأنس لي ونما السرور
وأدبني الزمان فما أبالي ... هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حيا ... أسار الجند أم خرج الأمير²

* الحيادة:

أما الفئة الثانية من العلماء التي تحدث عنها المؤرخ محمد الطيب القادري فيتعلق الأمر بالعلماء المتحفظين حيث يرون بأن السلطين بعيدين عن الحق، فإن قابلتهم بالغلظة زادوا شرورا وبعدا عن رحمة الله وظلما للعباد، ومن أمثال هؤلاء نذكر محمد بن عبد الله الزياني (ت1617م) الذي يرى بأنه يجب على العالم أن يتعد عن السياسة حتى لا يصل به الأمر إلى ملاطفة الحكام ومداهنتهم، وكذلك الشأن يقال عن العربي بن أحمد الفشتالي (ت1681م) الذي كان يدعي المرض وعدم القدرة والبله والتحامق بعدما عرض عليه منصب القضاء حتى لا يظلم الرعية³، وبعدها قام محمد الشيخ المأمون ابن المنصور بتسليم مدينة العرائش للإسبان سنة 1610م طلب من العلماء فتوى تبرر له هذا العمل، فعارض البعض ووافق البعض الآخر بينما تحفظ كل من أحمد المقري والعربي الفاسي وعلي البطوي وابن عاشر ومحمد الجنان وأحمد الفاسي حيث اختفوا عن الأنظار إلى غاية صدور الفتوى، لأنهم كانوا يعتبرون إصدار الفتوى بالإجازة هو باطل أما إصدارها بالنفي فإن مآلهم يكون الموت⁴.

* التأييد:

بينما الفئة الثالثة حسب تصنيف المؤرخ محمد الطيب القادري دائما فهم العلماء المؤيدين للسلطة، وهو الموقف الذي اتخذته أغلب علماء المغرب الأقصى سواء عن قناعة أو للحصول على امتيازات كالسفارة أو تقلد مناصب الإفتاء والتدريس والقضاء والامتيازات المادية⁵، فقد أيد عديد العلماء سياسة محمد الشيخ كمحمد اليسيتي (ت1551م)، فقد كان محمد الشيخ لا يضيع درس من دروسه في التفسير وتأثر كثيرا لموته،

¹ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص411، عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب - أبو القاسم الزياني -. مطبعة كريماديس، تطوان، المملكة المغربية، 1994م، ص21-22.

² أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص28.

³ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص33.

⁴ محمد بن معمر: المرجع السابق، ص94-95.

⁵ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص33.

فخرج إلى جنازته وهو يبكي بأعلى صوت له يفجع من يسمعه¹، وكان علي بن أبي بكر السجستاني من أشد المدافعين عن محمد الشيخ ضد الأتراك، فكان مفتيا لمدينة مراكش وقتل معه بتارودانت سنة 1557م، ونفس الشيء يقال مع عبد الله بن عمر المضغري (ت1520م) الذي درس عنده محمد الشيخ ونصحه بحفظ ديوان المتنبي²، وعبد الله بن محمد الهبطي (ت1556م) حيث كان من المقربين لمحمد الشيخ وكان هذا الأخير يحبه ويجله³.

ورغم أن عبد الله الغالب كان بعيدا نوعا ما عن العلم والثقافة، فإن المؤرخ محمد بن عيسى الصنهاجي (ت1582م) كان كاتباً لديوانه⁴، ونفس الشيء مع محمد الشفشاوني (ت1578م)⁵ حيث كان قاضيا ومفتيا بمدينة فاس ومراكش، ومن شدة ولائه لعبد الله الغالب ناصر ابنه المتوكل وهلك معه في معركة وادي المخازن⁶ لكن أكبر حاكم تأثر به العلماء وأيدوه بالمغرب الأقصى كان أحمد المنصور الذهبي، فهو السلطان المحبوب والمفضل لدى العلماء، وكان العلماء يتسابقون في مدحه وإصدار مصنفات حول شخصيته، كيف لا وقد كان شغوفا بعقد المجالس العلمية بقصره، ويدعوا خيرة العلماء كل في تخصصه خاصة في الأعياد الدينية والموسمية وشهر رمضان، وكان يسطر لهذه المجالس خطة محكمة تبدأ صباحا بسرد الأحاديث النبوية، وهو من يتولى قراءة البخاري على الحاضرين ثم التجويد والتفسير والفقه والنحو والمنطق وتتخللها مجالس ومدخلات للسير والشعر والتاريخ⁷.

ويذكر أحمد المقري حادثة كان حاضرا فيها حيث اجتمع بمجلسه ثلاث علماء مكي ومدني ومقدسي، فقال العالم المكي يا أمير المؤمنين بينما تشد الرحال إلى المساجد الثلاثة شد أهلها إليك الرحلة⁸، وكان المنصور يزور علماء فاس، ويحضر مجالسهم بمختلف الكراسي والمدارس والمساجد بالمدينة قبل عودته إلى عاصمته مراكش⁹، ولما سمع بالإمام أحمد بن علي الزموري (ت1592م) بأنه يحسن القراءة والتجويد أتى به من فاس إلى مراكش حتى يصلي بالناس التراويح في شهر رمضان مع حضوره الشخصي¹⁰، ومن شدة تقديره

¹ محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1978م، ص350-351.

² محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص394، 474.

³ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص128.

⁴ المرجع نفسه، ج6، ص7.

⁵ محمد الشفشاوني: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن الحسين بن مصباح الشهير بابن عسكر ولد سنة 1529م بشفشاون، وتوفي بمعركة وادي المخازن سنة 1578م، أنظر: (محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص294).

⁶ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص114.

⁷ آسيا البلغيثي: المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1996م، 186-187.

⁸ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص72، عبد الهادي التازي: جامع القرويين...، ج2، المرجع السابق، ص419.

⁹ عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص313-319.

¹⁰ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص145.

للعلماء فإنه كان يولي علي أبو الحسن السوسي (ت1606م) مكانة مرموقة، فكان يقوم بربط فرسه مع خيل الخليفة ويسهر على علفها وترويضها¹، ولذلك كان يقول فيه أحمد المنجور²: (خليفة العلماء وعالم الخلفاء، وحافظ المؤرخين وفائق الأدباء ... الضارب بحظ وافر في كثير من العلوم)³، ومن أبرز علماء المغرب الأقصى الذين كانت لهم علاقة وطيدة مع المنصور نذكر محمد الصنهاجي، والذي كان وزير القلم عند المنصور، وصنف كتاب في سيرته سماه الممدود والمقصود في سنا السلطان أبي العباس المنصور⁴.

ومحمد الفشتالي كاتب المنصور الخاص والذي ألف فيه كتاب ذيل به وفيات الأعيان لابن قنفذ القسنطيني⁵، وعبد العزيز الفشتالي الذي تولى ديوان الإنشاء سنة 1581م ثم رقاها المنصور إلى وزير القلم الأعلى فكان هو المحرر لكل رسائل المنصور⁶، كما كان يطرب المنصور بشعره الراقي حيث قال فيه المنصور: (نفتخر به على ملوك الأرض، ونباري لسان الدين ابن الخطيب)⁷، وقد كان الفشتالي من أشد المدافعين عن الدولة السعدية، فألف فيها موسوعة سماها مناهل الصفا في أخبار موالينا الشرفاء، ويقول أحمد المقري بأنه عبارة عن ثمانية مجلدات إلا أنه ما وصل إلينا حاليا هو جزء واحد فقط⁸، وكذلك الشأن مع أحمد بن القاضي⁹ الذي كان من أكبر علماء المغرب تعلقا بالمنصور لأنه هو من فك أسر بندقية كبيرة، فألف قصيدة في مدحه لما انتصر في معركة وادي المخازن ثم ألف في سيرته كتاب سماه المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، كما أهدى له كتابيه درة الحجال وجذوة الاقتباس¹⁰.

وعلي التمجروتي¹¹ الذي كان من المقربين جدا من أحمد المنصور حتى استعمله في سفارة إلى استنبول والتي سماها النفحة المسكية في السفارة التركية¹² بالإضافة إلى هؤلاء العلماء نجد الكثير من العلماء الآخرين الذين أخذ عنهم المنصور، فنالوا مناصب في عهده كأبي زكرياء السراج وأحمد المنجور ورضوان

¹ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص264.

² أحمد المنجور: هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور المكناسي الفاسي ولد سنة 926هـ وتوفي سنة 995هـ وله فهرس لشيوخه، أنظر: (عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص253).

³ أحمد المنجور: الفهرس، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1976م، ص9.

⁴ عبد السلام بن سودة: المصدر السابق، ص107.

⁵ رضا كحالة: المرجع السابق، ج3، ص575.

⁶ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص361.

⁷ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص71.

⁸ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص362.

⁹ أحمد بن القاضي: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي ولد بفاس سنة 1553م وتوفي بها سنة 1616م، وترك العشرات من المصنفات أشهرها جذوة الاقتباس ودرة الحجال، أنظر: (عبد القادر زمامة: أبو العباس ابن القاضي المؤرخ 1552-1616م، مجلة

آفاق الثقافة والتراث، ع11، مركز جمعة، الإمارات العربية المتحدة، 1995م، ص101-106)

¹⁰ محمد بن الطيب القادري: الإكليل والتاج...، المصدر السابق، ص158.

¹¹ علي التمجروتي: هو علي بن محمد بن علي بن محمد أبو الحسن التمجروتي له مجموعة من التقايد والتراجم ورحلة سماها النفحة المسكية في السفارة التركية توفي بمراكش سنة 1594م، أنظر: (رضا كحالة: المرجع السابق، ج2، ص519).

¹² خيرالدين الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص12.

الجنوي وسكين بن زكرياء¹ وشاعر الدولة الهوزالي وأبي الحسن الشامي والقاضي الشاطبي والوزير الشظيبي² ومحمد المراكشي الذي كان أدبيا ومؤرخا ومن صدور الكتاب لدى المنصور³، وقد حاول زيدان استمالة علماء مراكش، وتمكن من ذلك حيث ربطته علاقة صداقة مع المؤرخ أحمد بابا الذي درس عنده وأجازه مقابل ذلك استفاد أحمد بابا من مكتبة زيدان الخاصة في تأليف مصنفاته، وهو من أطلق سراحه وعاد إلى بلاده سنة 1603م⁴، والعلامة محمد العياشي (ت1641م) الذي ولاه زيدان على ثغر الفحص وبلاد أزمور⁵، وأحمد ابن القاضي الذي ترك فهرسة سماها رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح أجاز فيها السلطان زيدان⁶.

وقاسم بن محمد الشهير بابن القاضي (ت1613م)، والذي كان من أشد العلماء تعلقا بالسلطان زيدان وألف فيه كتابا سماه تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان بمناسبة زيارة زيدان لمدينة فاس⁷، ورغم أن محمد الشيخ المأمون لم يكن محبوبا من طرف علماء المغرب الأقصى خاصة بعد تسليمه مدينة العرائش للإسبان إلا أن ضغطه على علماء فاس لإصدار فتوى تجيز له هذا العمل جعل كل من القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم والشريف أبو إسحاق إبراهيم الحسيني والفقير محمد بن قاسم بن القاضي يوافقونه الطرح⁸، كما كان أحمد بن محمد الغرديس (ت1610م) كاتبه الخاص وصاحب المظالم والشكايات⁹ أما الوزير عبد العزيز الفشتالي فكان هو صاحب ديوان الكتابة لدى المأمون بفاس أيام المنصور¹⁰.

وخلال حكم الدولة العلوية رسم محمد بن الشريف العلوي صورة مشرقة في علاقتهم بالعلماء الذين دعموا سلطتهم بالمغرب، فقد كان يحضر دروس العلماء بجامع القرويين ويناقشهم أدق المسائل ويشجعهم ويوفر لهم العطايا للتنافس¹¹، وكذلك الشأن لشقيقه مولاي الرشيد الذي كان يحب ويبجل العلماء ويقدم لهم الأعطيات والهدايا، ويقدمهم في مجلسه ويستشيرهم، ولذلك لما اشتد الخلاف بين العلامة الحسن اليوسي ومولاي اسماعيل راسله اليوسي مذكرا إياه بخصال الرشيد قائلا له: (إن المولى الرشيد رحمه الله أعلى مناره، وأوضح نهاره، وأكرم العلماء إكراما لم يعهد، وأعطاهم ما لا يعد ولا سيما بمدينة فاس، فضح من قبله وأتعب من بعده، ولو طالت مدته لجاءه علماء كل بلدة... ولكان له فيه أعظم أثر في سائر بلاد

¹ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص280.

² أحمد المقرئ: المصدر السابق، ص72.

³ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص147.

⁴ محمد بن شريفة: المرجع السابق، ص65.

⁵ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص09.

⁶ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص308-311.

⁷ عبد السلام بن سودة: المصدر السابق، ص198.

⁸ محمد بن معمر: المرجع السابق، ص94.

⁹ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص155.

¹⁰ ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص361.

¹¹ عبد الرحمن ابن زيدان: الدرر الفاخرة...، المصدر السابق، ص11-12.

المغرب رحمة الله عليه رحمة واسعة)¹، كما كان لمولاي سليمان علاقة وطيدة مع العلماء حيث يذكر القنصل البريطاني جيمس ماترا في وصفه بأنه شاب ذو أخلاق نبيلة خجولا وأداة طيعة في يد الطلبة والعلماء خاصة وأن مولاي سليمان سبق له وأن تتلمذ على يد هؤلاء الشيوخ كالطبيب بن كيران الذي عينه شيخ للجماعة بالمغرب، وأحمد بن سودة الذي عينه قاضي القضاة، وقد كان مولاي سليمان يعقد مجالس للمناظرات والخطب والشعر والمطارحات العلمية بمجلسه².

إن المعطيات التي توفرت في علاقة علماء الجزائر بالسلطة العثمانية الحاكمة تختلف جذريا عن علاقة علماء المغرب الأقصى بالسلطة العلوية، فعلماء المغرب كانت لهم استقلالية كبيرة من الناحية المادية والمعنوية، فمن الناحية المادية كانت رواتبهم عند تولي مختلف المناصب الدينية والعلمية تتم عبر الأوقاف، والتي تكون عادة من طرف التجار والأغنياء، وأما من الناحية المعنوية فقد كانت المناصب تتم عبر اختيار العلماء والفقهاء، وما على السلطان والحاكم سوى التزكية الرسمية، وهذا ما جعل السلاطين يستعملون ورقة الترغيب أكثر من التهيب حيث يقدمون الهدايا والاحسانات لهؤلاء العلماء لكسب ودهم، وقد كانت هذه الخطوة لا تجدي نفعا مع بعض العلماء مثلما حدث مع مولاي محمد بن عبد الله الذي قدم هدايا للعلامة أحمد الوردزي هذا الأخير رفض هذه الهدايا بطريقة لبقة رغبة منه في الاستقلال عن الحكام حتى يبقى على هامش الحرية في فتاويه وأحكامه الشرعية³.

¹ محمد الكانوني: المصدر السابق، ص 89.

² محمد المنصور: المرجع السابق، ص 51، 252-253.

³ محمد المنصور: المرجع السابق، ص 247.

الفصل الأول:

مؤثرات الصلات الحضارية بين البلدين

- I- المؤثر الطبيعي والاقتصادي والاجتماعي
- II- المؤثر البشري والتاريخي
- III- ركاب الحج المغربي ودوره الحضاري

1- المؤثر الطبيعي والاقتصادي والاجتماعي:

يمكن القول بأن العناصر التي تجمع وتوحد بين أقطار المغرب أكثر من عناصر الاختلاف والتفرقة مثلما هو بالمشرق، وتتنوع هذه العوامل بين الجغرافية والتاريخية والثقافية، ففي الجانب الجغرافي تتميز منطقة المغرب بخلوها من حواجز طبيعية فاصلة بين أجزائه، فساحل البحر المتوسط أداة وصل لها من الشرق إلى الغرب، وهذا ما جعل كل الحضارات المتوسطية القديمة والحديثة تصب في أجزاءه الثلاث، وفي الجنوب نجد الصحراء الكبرى كأنها بحر داخلي ساهمت في التواصل بين شعوب المنطقة من خلال القوافل والترحال. كل هذه المعطيات جعلت المنطقة تشهد تمازج تاريخي وحضاري موحد بداية بالثقافة والتراث الفينيقي والروماني مروراً بالبيزنطي والعربي الإسلامي وصولاً بالإسباني والأندلسي مع استثناء الثقافة العثمانية التي أبى المغرب الأقصى النهل من مشاربها لأسباب شخصية¹.

أولاً- وحدوية الجغرافيا:

يطرح مصطلح المغرب الكبير أو المغرب العربي أو المغرب الإسلامي عديد الاشكالات التاريخية تتعلق أساساً حول جغرافية هذه الكتلة الطبيعية، فقد اختلف ابن خلدون والادريسي وقبلهم هيرودوت في تحديد المكان الذي يمثل مصطلح المغرب والأمازيغ والبربر، بين ضم مصر إلى هذه الكتلة أو التوقف عند برقة الليبية، وبين ضم الصحراء الجزائرية والليبية إلى هذه الكتلة أو التوقف عند منطقة ورجلان هذا الاختلاف في تحديد الموقع الجغرافي للمغرب جعل هذه المصادر تختلف أيضاً في تسمياته بين ليبيا وأفريقيا والبربر ونوميديا والأمازيغ، وقد اختلفت هذه التسميات حسب المصادر التي درست هذه المنطقة تارة، ونسبة للقبائل وجغرافية المنطقة تارة أخرى²، فالمفكر الفرنسي جاك بيرك يرى بأن المغرب أخذ تسمياته من خلال مختلف المصادر العربية والغربية التي درست المنطقة، وقد تغيرت نظرة المغاربة أنفسهم لهذه المصطلحات وفقاً لرؤى سياسية واجتماعية ودينية³.

* الموقع والتسمية:

لقد ظهرت تسمية المغرب في النصوص التاريخية بداية من القرن السابع ميلادي مع الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا، وكان يقصد بها الأرض الواقعة غرب الخلافة (المدينة المنورة، دمشق، بغداد)⁴، ومصطلح

¹ شاذلي الفيتوري: (المقومات الثقافية لوحدة المغرب حاضراً ومستقبلاً ما ينجم عنها في المجال التربوي)، ضمن أعمال ملتقى بناء المغرب العربي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1985م، ص200.

² محمد الهادي حارش: التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992م، ص21-26، محفوظ قداش: الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م، ص27.

³ عادل المساتي: سوسيولوجية الدولة بالمغرب - إسهام جاك بيرك -، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، 2010م، ص43.

⁴ أحمد العماري: خلفيات الحدود الجيو سياسية...، المرجع السابق، ص128.

المغرب من الناحية اللغوية هو الاتجاه الأصلي الذي يحدد غروب الشمس أما المعنى المتعارف عليه، فهو الإقليم الواقع غرب مصر من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا¹، أما الكتب المتخصصة في التاريخ العثماني فاستعملت مصطلح المغرب، وقبل أن ترسخه كتابات ومؤلفات كل من الباحثين عبد الجليل التميمي وعبد الرحيم بنحادة، فإن أول من استعمل هذا المصطلح حسب ما توصلت إليه من خلال كتب الرحلة والتراجم هو محمد السراج، والملقب بابن مليح الذي قام برحلة من المغرب الأقصى إلى الحرمين الشريفين خلال القرن السابع عشر ميلادي، وسماها بأنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب².

ويرى الباحث محمد القبلي بأن التسميات الجزئية لمنطقة المغرب ونخص بالذكر المغربين الأوسط والأقصى ظهرت لأول مرة بشكل رسمي وعلي مع الشريف الإدريسي في رحلته نزهة المشتاق³، كما ترك لنا أبو راس الناصري وصفا دقيقا لكل من المغربين الأوسط والأقصى حيث يقول: (وقاعدة المغرب الأقصى مراكش وفاس، وفي قبلة مراكش تارودانت وايفري، وفي قبلة فاس سجلماسة ودرعة، ويفصل بين المغربين الأقصى والأوسط نهر ملوية، وأما المغرب الأوسط فقاعدته تلمسان، وفي قبلتها بلاد فكيك والجزائر)⁴.

* التضاريس والمناخ:

لقد تمردت سنن الطبيعة والجغرافيا على التقسيمات السياسية والتاريخية، فهي لا تعترف بالحدود السياسية بقدر ما تعتمد على الوصف الكامل لمنطقة معينة بالكرة الأرضية سواء تعلق الأمر بتحديد المناخ أو التضاريس، وبذلك فالجغرافيا لا تعترف بتقسيمات سياسية اسمها المغرب والجزائر، ولا بتقسيمات تاريخية كالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى بقدر ما تحدد المنطقة بأنها قطعة من شمال إفريقيا تجمع بينها روابط طبيعية مشتركة تتمثل في التضاريس والمناخ⁵، فقد جعلت التضاريس والطبيعة من منطقة شمال إفريقيا جزيرة منفردة عن بقية قارات العالم رغم انتماءها لقارة إفريقيا، ففي الشمال يحدها البحر المتوسط ومن الجنوب ساحل صحراوي واسع، ومن الشرق البحر الأحمر، ومن الغرب المحيط الأطلسي، وهو ما أعطى للفرد الذي ينتمي لهذه الجزيرة نفس الخصائص السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية⁶، ويعتبر الموقع

¹ الصادق الخوني: (من ملامح شخصية المغرب العربي خلال العصور الوسطى)، ضمن كتاب بناء المغرب العربي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1983م، ص 59-60.

² محمد بن أحمد السراج: أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد حجي، وزارة الشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المملكة المغربية، 1968م.

³ محمد القبلي: الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، المملكة المغربية، 1987م، ص 74.

⁴ محمد أبي راس الناصري: الإصباة فيمن غزا المغرب من الصحابة، تحقيق أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010م، ص 35.

⁵ عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005م، ص 25.

⁶ محمد الكوخي: سؤال الهوية في شمال إفريقيا، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014م، ص 256.

الجغرافي لمنطقة المغرب من أبرز المناطق المفتوحة على قارات العالم سواء إفريقيا جنوب الصحراء جنوبا أو أوروبا شمالا أو آسيا شرقا أو أمريكا غربا، ولذلك يقول أندري سيقفريد: (كثير من الدول لها مواقع مفتوحة لا متناهية تطل بها على الممكن وعلى المستقبل ومنها دول المغرب)¹.

ومهما حاولت المصادر والمراجع الغربية بالخصوص وضع خطوط وهمية مورثة عن الاستعمار بين الجزائر والمغرب الأقصى تعرف بالحدود إلا أن الجغرافيا تؤكد بأن البلدين كتلة تضاريسية واحدة مع انفراد بسيط للمغرب الأقصى عن الجزائر بإطلاله على المحيط الأطلسي غربا²، وإذا وصلنا للتفصيل في جغرافية وتضاريس المنطقة، فإننا نميز إقليمين الأول ساحلي بمحاذاة البحر المتوسط³ يمتد من الطارف شرقا إلى طنجة غربا. ثم يليه الإقليم الثاني والذي يعرف بإقليم الأطلس أو التل، وينطلق من طنجة غربا إلى بنزرت التونسية شرقا، ويختلفان فقط في التسميات بين التسمية الجزائرية (الأطلس التلي) والتسمية المغربية (جبال الريف)، وبعدها نجد جبال الأطلس الصحراوي، والممتدة من أغادير غربا إلى ساحل تونس شرقا، كما تختلف أيضا في التسمية (الأطلس الصحراوي في الجزائر) و(الأطلس الكبير في المغرب الأقصى)⁴.

ويمكن القول بأن الأطلسين (التلي والصحراوي / الريف والكبير) ساهما في تمزيق تضاريس المغرب إلى سواحل وسهول وجبال وهضاب وصحراء⁵ مما فرض على سكان البلدين أن يتعودوا على العيش في نمط اقتصادي واجتماعي موحد⁶. أما المناخ فكلما البلدين يشتركان في المناخ المتوسطي المعتدل شمالا ثم مناخ قاري بارد بالداخل، ومناخ صحراوي حار جنوبا مع انفراد المغرب الأقصى بالمناخ المحيطي المعتدل غربا⁷، كما يشتركان أيضا في الغطاء النباتي الكثيف على الشريط الساحلي، وبعدها غطاء متوسط في المناطق الداخلية، وأخيرا غطاء نباتي متناثر في الجنوب، ويمكن القول أيضا بأن المجاري المائية المشتركة بين البلدين سواء من خلال المنبع أو المصب، فوادي زا يعد من أبرز روافد وادي ملوية منبعه جبال الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى، ومصبه الدائم بالبحر المتوسط بينما مجراه الموسمي المؤقت فيصب في منطقة الهضاب العليا الغربية الجزائرية، وكذلك الشأن لوادي كير الذي ينبع من جبال الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى، ويصب في الصحراء الغربية الجزائرية، ويلتقى مع وادي الساورة المؤقت والموسمي، ووادي زيز وينبع من جبال الأطلس

¹ مومن العمري: (على طريق حلم وحدة المغرب العربي القواسم المشتركة لتحقيق وحدة شعوب المغرب العربي)، ضمن كتاب الذاكرة

التاريخية المشتركة، ج1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص188

² عمارين خروف: العلاقات الاقتصادية ... المرجع السابق، ص7.

³ الصادق الخوني: المرجع السابق، ص60.

⁴ عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج1، ص26-27.

⁵ المرجع نفسه، ص26-27.

⁶ الصادق الخوني: المرجع السابق، ص60.

⁷ محمد أحمد الغري: (العناصر الحقيقية لإقليمية المغرب العربي)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع5، ص2، وزارة عموم الأوقاف، الرباط،

المملكة المغربية، 1959م، ص30-36.

المتوسط بالمغرب الأقصى، ويصب في الصحراء الكبرى الغربية الجزائرية، وهو مجرى موسمي مؤقت، وبذلك فان جل الأودية الغربية الجزائرية منبعها التراب المغربي والعكس صحيح¹.

هذا التنوع التضاريسي والمناخي للبلدين جعل بعض الجغرافيين الغرب يعيدون حساباتهم من تقسيم أفقي لمنطقة المغرب والمعروف حاليا بالجزائر والمغرب الأقصى إلى تقسيم عرضي ينطلق من المغرب المفتوح، ويشمل المناطق الساحلية للبلدين ثم مغرب الوسط، والذي ينحصر بين الأطلسين التلي والصحراوي بالجزائر والريف والكبير بالمغرب الأقصى، وأخيرا مغرب الصحراء ما بعد الأطلس الصحراوي أو الكبير²، فالعوامل الطبيعية الموحدة والمشاركة بين الجزائر والمغرب الأقصى جعلتا كتلة واحدة، فهما يشكلان بوابة لقارة إفريقيا شمالا، وامتدادا للوطن العربي والإسلامي غربا، ومحورا للالتقاء التجاري بين أوروبا وإفريقيا جنوب الصحراء³، كما جعل من المنطقة فضاء مفتوح أمام التيارات الثقافية حتى تكون قابلة لعملية التأثير والتأثر المتبادل بين البلدين عبر العصور⁴.

ورغم أن التضاريس الصعبة تشكل حاجزا ومانعا للتواصل بين البحر والسهول لدى الجغرافيين الأجانب لكن لدى الفرد المغربي أصبحت من المميزات والخصائص التضاريسية التي لا يمكن أن يستغني عنها، فمن خلال الوديان والمنحدرات التي تتخلل هذه الجبال ينفذ الفرد المغربي من الساحل للسهول والعكس بكل سلاسة، ولما نتوجه جنوبا نجد سلسلة جبلية أخرى تمتد من خليج أغادير غربا إلى ساحل تونس الشرقي، وقد كانت ملاذ لمختلف القبائل الأمازيغية بالخصوص أثناء الحملات الأجنبية خلال العهد الروماني والبيزنطي، وقد كانت ولا زالت هذه الجبال أيضا مصدرا مهما للمياه من خلال الثلوج المتراكمة بها، والتي تتحول لوديان تصب شمالا بالهضاب، وجنوبا بأعماق الصحراء المعروفة بجفافها⁵، وبقدر ما كانت هذه التضاريس مرهقة لساكنة المنطقة، فإنها ساهمت في حفظ عاداتها وتقاليدها وهويتها من الضياع لقرون عديدة، وجعلت في المقابل من التأثيرات الأجنبية على هذه المنطقة عسيرة.

كما ساهمت السلاسل الجبلية العرضية في تسهيل عملية التواصل بين الشرق والغرب، وأفرزت لنا كيانات سياسية مستقلة في أكثر من منطقة بثقافتها ولهجاتها وعاداتها وتقاليدها ونظام حكمها، وهو ما صعب على الدول التي حكمت المنطقة في العصر الوسيط والحديث من تجميع وتوحيد هذه الكيانات تحت غطاء

¹ سعاد بوسوفي: (القواسم الحضارية بين المغربين الأوسط والأقصى عبر التاريخ إلى حدود 1956م)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة

المغربية - الجزائرية، ج1، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص83-84.

² عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج1، ص31-32.

³ نصر الدين سعديوني: من التراث التاريخي المرجع السابق، ص8.

⁴ سعيد عيادي: موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي، دار ابن مرابط، الجزائر، 2011م، ص126.

⁵ عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج1، ص26-28.

سياسي واحد¹، كما منحت تضاريس المغرب لسكانها عديد الخصائص والمميزات، فالجبال ورغم قساوتها منحت للفرد المغربي الشعور بالقوة والقسوة وارتباطه بالأرض، وجعلت من استسلامه وانهباره أمرا صعبا على الدخلاء، كما أن السهول والوديان منحته الحياة والرزق، فكانت مصدرا مهما للعيش من دون أن يلجأ للخارج لتحصيل رزقه. بينما الصحراء كانت لهم بمثابة البحر الخلفي الواسع والأمن في نفس الوقت من أجل التنقل والترحال بكل حرية بعيدا عن الأخطار الخارجية، ولذلك كانت معظم الرحلات الحجازية وتجارة القوافل تسلك هذه المناطق بحرية مطلقة، وكل هذه الخصائص ساهمت في توحيد الشعور المغربي بعيدا عن أهداف وطموحات السياسة والحكام الذين تعاقبوا على حكم المنطقة، وحاولوا وضع حدود وعراقيل في وجه هؤلاء².

ثانيا/- تماثل الإنتاج والتجارة البينية:

هذا التماثل الطبيعي بين البلدين من حيث الموقع والتضاريس والمناخ والغطاء النباتي جعلهما يشتركان في المنتوجات الزراعية كالكروم والحمضيات والحبوب والبقوليات، والحيوانية كالجلود والأصواف، والصناعية كالصناعة التقليدية الموروثة عن الدويلات الإسلامية السابقة خاصة الزيانية والمرينية³.

* الانتاج الزراعي والصناعي:

يرى ناصر الدين سعيدوني بأن التماثل في الانتاج الزراعي بين الجزائر والمغرب الأقصى يعود لعوامل عديدة بداية بالظروف الطبيعية سواء التضاريس أو المناخ، فوجود نفس المناخ ونفس التضاريس ساهما في انتاج نفس المحاصيل الزراعية في مدن ومناطق جزائرية ومغربية، فالمدن الصحراوية المغربية كدرعة وسجلماسة وفكيك تنتج نفس المحاصيل الزراعية للمدن الصحراوية الجزائرية كوادي سوف وورقلة وتقرت وبشار وبسكرة والأغواط خاصة التمور، ونفس الشيء نجده في المناطق الداخلية بالهضاب والسهول كفاس ومكناسة بالمغرب وقسنطينة ومعسكر بالجزائر الشهيرة بإنتاج الحبوب، ولما نصل للمدن الساحلية نجد بأن محاصيل الكروم والحمضيات المنتجة بوهران وتلمسان والجزائر وعنابة نفسها في طنجة وتطوان وسلا والرباط.

كما ساهمت العوامل التاريخية في خلق تماثل زراعي خلال العهد الفينيقي والروماني والنوميدي وبالخصوص الأشجار المثمرة والحبوب عكس الفترة الإسلامية والحديثة أين أصبحت المحاصيل الزراعية موجهة بشكل أكبر نحو الصناعة⁴، والشيء الوحيد الذي يميز المغرب الأقصى عن الجزائر في مجال الفلاحة

¹ شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص12-13.

² عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ص26.

³ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص11-09.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م، ص14-20.

هو وفرة المياه بشكل أكبر باعتبار أنه يطل على البحر المتوسط شمالا والمحيط الأطلسي غربا، ويضم أيضا كميات أكبر للتربة السوداء الصالحة للزراعة، والتي يقدر مردودها من الحبوب ما بين ثلاثين وستين قنطار في الهكتار الواحد، كما أن الغطاء النباتي بالمغرب الأقصى أكثر كثافة من نظيره الجزائري، وهذا ما يجعل الانتاج أكبر من حيث الثروة الخشبية الموجهة لصناعة السفن¹.

* التجارة البيئية:

لقد ساهم الدين الإسلامي في تنشيط حركة التجارة بين المغرب الأقصى والجزائر حيث جعل منهما نقطة ترابط والتقاء للقوافل التجارية القادمة من آسيا وأوروبا وإفريقيا ما وراء الصحراء²، ولذلك فقد كان علماء البلدين في تنقل مستمر بحثا عن الرزق وطلب العمل، فكانوا يستغلون رحلاتهم التجارية في مد جسور التواصل الثقافي بين البلدين³، وهذا ما تؤكد أسماء الأحياء والحارات بمدينة الجزائر، والتي تحمل أسماء مغربية كحومة سيدي علي الفاسي وحارة السلوي وغيرها، وكذلك الشأن لمدينة قسنطينة حيث وجدت شوارع وأزقة تحمل أسماء مغربية أبرزها ريغة السلوي⁴، كما لعب الحج دورا بارزا في مجال ازدهار التجارة بين الجزائر والمغرب الأقصى، وقد اعتبر الباحث فارس كعوان الرحلة الحجازية بمثابة السوق التجارية المتنقلة حيث ساهم ركب الحج المغربي في تنمية وإحياء العديد من القرى الصحراوية الجزائرية المعزولة سياسيا، فقد كان سكان هذه المدن ينتظرون بفارغ الصبر الركب المغربي من أجل اقتناء مختلف السلع والمواد مقابل تسويق منتجاتهم المحلية، فالركب الفاسي على سبيل المثال كان يضم عديد الأسر التجارية الكبرى من فاس ومكناسة كأسرة عديل وبن زاكور وصفيرة وبادو وبنجلون، والتي تأتي بمنتجات مغربية وتعرضها في مختلف محطات الرحلة الحجازية وفي المقابل تعود لهم بسلع حجازية⁵.

ورغم أن بعض الفقهاء لم يجيزوا الجمع بين التجارة والحج في نفس الوقت لكن الرحالة الحسين الورثياني يجيز للعالم والرحالة المتجه نحو البقاع المقدسة أن يمارس التجارة، وذلك اقتداء بالنبي عليه

¹ محمد العربي الزبيري: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م، ص46.

² محمد رزوق: التواصل الثقافي بين أقطار المغرب ...، المرجع السابق، ص360.

³ فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2002م، ص20، عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص114.

⁴ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700/1830 م) - مقارنة اجتماعية اقتصادية-، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م، ص34، عبد القادر دحدوح: (معالم مدينة قسنطينة من خلال مخطوط دفتر الأحباس)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع12، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2011م، ص184.

⁵ فارس كعوان: (العلاقات الاقتصادية بين المغرب والجزائر في الفترة الحديثة وإسهامات ركب الحج المغربي في تفعيلها)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص714، عبد الرحمن المودن: (الرحلة الحجية مصدرا من مصادر التاريخ الاجتماعي المغربي)، ضمن كتاب في النهضة والتراكم، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1986م، ص306.

الصلاة والسلام والصحابة الكلام¹، وكانت قوافل الحج تنطلق من المغرب الأقصى سنويا في شهر رجب بقيادة شيخ أو عالم يعين عادة من السلطان، ويحمل لقب أمير الركب أما القافلة البحرية فتنتقل من ميناء تطوان وتحط رحالها بالسواحل الجزائرية سواء للراحة أو لممارسة التجارة²، وإلى جانب ركب الحج المغربي الذي كان يستغل في تبادل السلع بين الجزائر والمغرب الأقصى نجد بأن هجرة العلماء ساهمت أيضا في مد جسور التواصل الاقتصادي بين البلدين، فالطبيب عبد الرزاق بن حمادوش وأثناء رحلته للمغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر ميلادي حمل بعض السلع الجزائرية والتونسية معه إلى تطوان وفاس، وبذلك تكون رحلة علمية وتجارية في نفس الوقت حيث حمل في رحلته ثلاثة وأربعون تزيئة من الشواشي التونسية، وسبعة عشر حزام من الحرير وقصاص زبد، وفي المقابل عاد بسلع مغربية مختلفة³.

كما أن هجرة علماء وطلبة الجزائر نحو مدينة تطوان عبر أزمنة مختلفة ساهم في انتقال الكثير من العادات والتقاليد والسلع الجزائرية لمدينة تطوان بل وأصبحت من الثقافات المتجذرة في المجتمع التطواني، ففن طرز المزهريات على الحرير والخشب وصل لمدينة تطوان خلال القرن الثامن عشر ميلادي من الجزائر، وكذلك الشأن للمجوهرات الجزائرية التي عرفت ازدهارا وتسويقا كبيرا في مدينة تطوان، وعلى عكس بقية المدن المغربية المعروفة باحتساء الشاي الأخضر اشتهرت مدينة تطوان كأكبر مدينة مغربية مدمنة على القهوة، وهي من الثقافات التي وصلتها من الجزائر⁴، ويعزز هذه الفرضية أكثر الرحالة المغربي العياشي ففي طريق عودته للمغرب من رحلته الحجازية سنة 1662م مر عبر الصحراء الجزائرية، وكان يريد الدخول لمدينة عين ماضي من أجل بيع بعض الكتب التي كانت بحوزته، وهذا ما يؤكد بأن عين ماضي كانت بها تجارة رائجة للكتب ومدينة محورية في الرحلات الحجازية المغربية⁵.

وعلى مستوى الصادرات والواردات بين البلدين فإن من أبرز السلع الجزائرية التي كانت تصل للمدن المغربية انطلاقا من ميناء مدينة الجزائر خلال العهد العثماني نجد الصوف والعطور والشمع والشالات والجلود وريش النعام والخردوات وأقمشة الحرير⁶، والسيوف والخناجر والأقمشة الهندية والقسطنطينية، والأجواخ الانجليزية والمواد الصباغية الناتجة عن الحشرات المحمولة من أمريكا، والأقمشة الصوفية الصحراوية كالبرانس والحياك، ودواب الركوب والماشية، ولوازم السفر كالبرادع والحيال والملابس والتمر

¹ أحمد ظريف: المرجع السابق، ص56.

² عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص63-66.

³ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص32، 70.

⁴ جون لوي ميبج وآخرون: تطوان الحاضرة الأندلسية المغربية، ترجمة محمد غطيس، منشورات جمعية تطاون أسمر، المملكة المغربية، 2002م، ص49.

⁵ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص529.

⁶ فهيم لقوار: ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني خلال القرنين 16-17م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012م، ص106.

والمحازم والأحذية الجلدية والجلابيب والبراقع¹، كما ربطت بين مدن الشرق الجزائري والمدن المغربية العديد من المعاملات التجارية، فقد كانت تنتقل قوافل من بسكرة وورقلة وقسنطينة وغرداية نحو فكيك وفاس ومكناسة وتطوان وسجلماسة، وتحمل معها الحرير والمنسوجات والفضة والخردوات وأدوات الزينة، وكان يقدر رأس المال المستعمل في المبادلات التجارية بين قسنطينة لوحدها وبعض المدن المغربية حوالي أربعمئة ألف فرنك سنويا².

ومن أبرز المدن المغربية التي عرفت رواجاً للسلع الجزائرية نذكر مدينة سجلماسة، فقد كانت بمثابة ميناء صحراوي على حد تعبير الجناحاني حيث تتجمع فيها مختلف السلع والبضائع السودانية والأوروبية والمغربية، ومنها تتفرق إلى وجهتها، وقد كان بهذه المدينة العديد من الوكالات التجارية التلمسانية التي تسهر على استقبال القوافل التجارية الجزائرية وتحولها نحو المغرب الأقصى أو السودان ونفس الشيء للبضائع المتوجهة نحو تلمسان³، ويذكر العلامة أحمد المقرري بأن أجداده كانوا يملكون شركة للتجارة تتكون من خمسة أفراد اثنان بتلمسان ووهران واثنان في السودان جنوب الصحراء وواحد بمدينة سجلماسة المغربية، وذلك من أجل تصدير مختلف المنتجات الأفريقية لأوروبا⁴، ومن أبرز السلع التي كانت تصل لسجلماسة من تلمسان الأسلحة والمنسوجات والخردوات والسروج والأقمشة والحيك والزرايب والكتب والكبريت والكحل⁵.

وبالإضافة لسجلماسة هناك مدينة فاس، فلما دخلها محمد الشيخ سنة 1549م وجد المئات من العائلات التلمسانية التي تشتغل في التجارة وتحتل منازل مهمة هناك، وكذلك الشأن لمدينة وجدة الحدودية فقد ربطت بينها وبين وهران علاقات تجارية مهمة حيث وصلت صادرات وجدة لمدينة وهران وحدها سنة 1858م ما يناهز أربعمئة وخمسون حملاً بقيمة ثلاثون ألف فرنك فرنسي⁶. من دون الحديث عن سلا وتطوان بسبب علاقتهما الكبيرة مع موانئ الجزائر حيث كانت تعرض في سلا وتطوان مختلف السلع الجزائرية وبالخصوص المرتبطة بالغنائم البحرية، ففي رسالة للقنصل الفرنسي بتطوان لحكومة بلده بتاريخ 13 أبريل 1714م يذكر فيها بأن التجار الجزائريين ينقلون السلع الأوروبية لتطوان بحرية تامة ويبيعونها بأسعار مرتفعة⁷، وبعد ارتفاع عمليات القرصنة الجزائرية ضد السفن الغربية وعرض السلع بالسواحل المغربية

¹ حمدان خوجة: المرأة... المصدر السابق، ص104، عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص140.

² محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830م، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص104-175.

³ لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987م، ص61، محمد الطمار: المرجع السابق، ص236.

⁴ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية... المرجع السابق، ص54.

⁵ جلول مكي: المرجع السابق، ص30.

⁶ سعاد بوسوفي: المرجع السابق، ص87-88.

⁷ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب... ج2، المرجع السابق، ص315.

تحرك نائب القنصل الفرنسي بمدينة طنجة دي لابورت وطلب سنة 1828م من السلطان مولاي عبد الرحمن طرد الجزائريين وعدم السماح لهم ببيع هذه الغنائم في المراسى المغربية¹.

ومن أهم السلع الجزائرية التي كانت مطلوبة بقوة من طرف تجار المغرب الأقصى نجد الأسلحة والسفن والتي كان يكتنمها رياس سلا من مدينة الجزائر باعتبارها المصدر الأساسي للسفن والأسلحة بمنطقة المغرب إلى غاية القرن الثامن عشر ميلادي، وهو ما تم سنة 1683م حيث ذهب اليراس محمد التاج السلاوي لمدينة الجزائر لاقتناء سفينة ومجموعة من الأسلحة لتجديد أسطوله²، ونفس الشيء لتجارة العبيد التي كانت رائجة بالجزائر خلال العهد العثماني جراء الأسر، ففي سنة 1817م توجهت قافلة مغربية لمدينة الجزائر لجلب عدد معتبر من الرقيق بسبب تراجع تجارة العبيد لدى القوافل المغربية التي كانت تجلبها من السودان³، وكانت القافلة التجارية بين الجزائر وفاس تستغرق حوالي سبعة أيام، ومن الجزائر نحو سلا حوالي اثنا عشر يوما، وبها حوالي مائة جمل إضافة للبالغ والحمير المحملة بمختلف البضائع، وأثناء هذه التنقلات عبر المدن الجزائرية ذهابا وإيابا تتم عملية المقايضة والبيع والشراء بين التجار الجزائريين والتجار المغربية⁴.

أما قافلة سلا فتصل حمولتها لمائة جمل تكون محملة بسلع المغرب والسودان تنطلق من سلا نحو تلمسان ومنها إلى معسكر والجزائر وقسنطينة ومنها إلى تونس ثم تشرع في العودة نحو المغرب الأقصى محملة بالبضائع التونسية والجزائرية، وإلى جانب سلا كانت السفن المغربية تنطلق من تطوان والصويرة إلى ميناء الجزائر محملة بسلع مغربية وسودانية، ومن أكثر السلع والمواد شهرة وطلبا في أسواق الجزائر نذكر الجلود الفيلاية والبلاغي والتبر والعاج وريش وبيض النعام السوداني، كما كانت منتشرة أحذية الجلد الأصفر التي تلبسها الطبقة البرجوازية وكانت تصل من مدينة سلا المغربية⁵، وقد ساعدها في ذلك رفع الضرائب الجمركية عن السلع المغربية لمدة طويلة⁶، كما تصل أيضا بضائع فاس وتطوان كالحياك والزراي والعسل والسكر والتبغ والعبيد والذهب والخيول والسروج والكحل والأواني النحاسية والحبوب والملابس الصوفية⁷.

¹ أمينة وعزير: (العلاقات بين المغرب والجزائر بين سنوات 1830-1847م)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص15.

² وهيبه بولصباغ: العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين 17-18م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م، ص157.

³ محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين ...، المرجع السابق، ص124.

⁴ وهيبه بولصباغ: المرجع السابق، ص162-164.

⁵ عبد الله بن محمد الشويهد: قانون أسواق مدينة الجزائر (1695-1705م)، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب، بيروت، لبنان، 2006م، ص48، 166.

⁶ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ...، ج3، المرجع السابق، ص509.

⁷ عكاشة برحاب: (مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر 1830-1907م)، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج2، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1989م، ص248.

ومن خلال تفقد عديد الوثائق والسجلات التجارية للفرنسية التي كانت بالجزائريين بين 1686-1791م نجد بأن ميناء مدينة الجزائر عرف حوالي ستة عقود لمعاملات تجارية من طرف تجار مغاربة¹.

ونفس الشيء لسجلات المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر سنة 1747م حيث نجد في إحداها وثيقة اعتراف بدين لأحد التجار المغاربة يقطن بمدينة الجزائر يسمى عبد الكريم بن عبد السلام الرافعي التيطواني من مدينة تطوان المغربية²، ولما زار الرحالة المغربي محمد بن عبد السلام الناصري (ت1823م) مدينة الجزائر مكث بها يومين أين نزل ضيفا لدى بعض التجار المغاربة القاطنين بالمدينة، وهم كل من محمد بن محمد أبو الشمائل التيطواني والحاج العربي بن عمر الفاسي والحاج محمد مزور³، كما عرفت مدينة الجزائر خلال هذه الفترة انتشار عديد العملات النقدية الأجنبية كالإسبانية والبرتغالية والايطالية والفرنسية والمغربية، وذلك راجع للحركية التجارية بين الجزائر والمغرب الأقصى⁴ من وفود التجار والقوافل والحجاج والطلبة والشيخو المغاربة على المدن الجزائرية، وقد تصل قيمة البضائع المغربية التي تصل مدينة الجزائر حسب ناصر الدين سعيدوني لحوالي مائة ألف جنيه استرليني⁵.

وإلى جانب مدينة الجزائر باعتبارها عاصمة البلد خلال العهد العثماني، فقد عرفت مدينة تلمسان رواجاً كبيراً للسلع المغربية، وبالخصوص تلك القادمة من فاس بحكم العلاقة التاريخية بين المدينتين خلال العصر الوسيط، وأبرز هذه السلع نجد العسل والذهب والسكر والبلغات والحياك والسيوف والألبسة القطنية والخردوات والشواشي والأقمشة الحريرية والخيول، كما يصلها الجلد الفيلاي من مدينة تافيلالت، والصابون من بنو وامود وبنو مسجيلدة بجمال الريف المغربي⁶، ومن سجلماسة يصلها التبر والأحجار الثمينة والعاج والجلود والعطور والبخور والصمغ والذرة والأرز والعبيد⁷، وبعد سيطرة الدلايون على مدينة سلا بين (1641-1664م) ربطوا علاقة تجارية مهمة مع أسواق تلمسان التي كانت تستقطب سلعهم، وهو ما مهد للهجرة الجماعية الدلائية نحو تلمسان بعد تهديم مولاي الرشيد لزوايتهم⁸، وفي المقابل فقد كانت القوافل

¹ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر.... المرجع السابق، ص34.

² عائشة غطاس: (الوثائق المحلية وأهميتها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي - مثال مدينة الجزائر -)، ضمن أعمال ندوة العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2005م، ص172.

³ محمد بن عبد السلام الناصري: الرحلة الناصرية الصغرى، دراسة وتحقيق محسن أخريف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2019م، ص259-260.

⁴ شوكت باموك: التاريخ المالي للدولة العثمانية، ترجمة عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005م، ص333.

⁵ ناصر الدين سعيدوني: (الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي)، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ع31، الكويت، 2010م، ص39.

⁶ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية.... المرجع السابق، ص59-60، 85.

⁷ جلول مكي: المرجع السابق، ص30.

⁸ عمار بن خروف: المرجع السابق، ص83-84.

التجارية المغربية تقصد مدينة تلمسان للتزود بمختلف السلع التلمسانية من جلود وحرير وتصدر بعدها لأوروبا انطلاقاً من الموانئ المغربية¹.

وبالإضافة لمدينتي الجزائر وتلمسان، فقد وجدت عملة فاس متداولة في بايلك التيطري بالمدينة²، كما أن الهجرة الدلائية لم تكن نحو تلمسان فقط بل تعدتها لمعسكر والمدينة ووهران، وهناك اشتهروا بممارسة صناعة الجلود، وأصبحت لهم أسواق وأحياء تسمى بالفيلالية³، وكانت هناك علاقات تجارية أيضاً بين وهران وسبتة حيث تصل المنتجات السبتية لوهران وأبرزها الخمور المارسلية، ولم يكن الخمر موجهاً للاستهلاك فقط بل يستعمل في صناعة مادة صبغية تسمى بالطرطار⁴، كما كانت السلع المغربية مطلوبة بقوة في الحواضر الصحراوية، فقد كان ساكنة ورقلة وتقرت وبسكرة والأغواط وبني عباس وتوات وغيرها تنتظر الزعفران والغازول والسواك والشب والألواح والأمشاط والجلود والنسيج الفاسي والسجلماسي، وعن ذلك يقول الحضيكي: (ولك أن تشتري العطرية والكحل والشب والكبريت والمشط والمرآة والجلود المدبوغة الحمر والصفرة والنعال، فانك ستلقى العرب رجالاً ونساء يسألون عن ذلك ومعهم اللحم والخضر والفواكه والسمن واللبن وغير ذلك)⁵.

كما كانت القوافل المغربية سواء التجارية أو الحجازية تحط رحالها بمدينة توات، والتي كانت تضم أكثر من ثلاثمائة وخمسون بين واحة وقصر متناثرين في إقليم المنطقة التي تضمن الراحة والسكينة لهذه القوافل⁶، ففي رحلة العياشي سنة 1661م قطع الراكب المغربي الصحراء الجزائرية، ونزلوا بمدينة توات حيث أقاموا بها ستة أيام، وقد ذكر العياشي بأن سبب الزيارة هو تغيير العملة بسبب انخفاض قيمة الذهب هناك، كما أن المحاصيل الزراعية رخيصة الثمن وتوفر السلع والبضائع السودانية بقوة التي تصل من تنبكتو، كما أقرباً أن عملة توات هي الموزون الشريفي وهي نفس عملة سجلماسة⁷، ومن خلال ما تم تقديمه

¹ Fagnan E: *Alger au 18^e siècle / par Venture de Paradis*, Typographie Adolphe Jourdan imprimeur libraire - éditeur, Alger, 1898, p32.

² أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر... ج2، المرجع السابق، ص297.

³ كمال فيلاي: المرجع السابق، ص74.

⁴ وردة شرقي: المرجع السابق، ص100-101.

⁵ فارس كعوان: (العلاقات الاقتصادية بين المغرب والجزائر في الفترة الحديثة وإسهامات ركب الحج المغربي في تفعيلها)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص713-715.

⁶ لطيفة بشاري: المرجع السابق، ص62.

⁷ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص38.

في هذا العنصر يمكن تلخيص مختلف السلع المتبادلة بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة المدروسة في الجدول التالي¹:

صادرات الجزائر نحو المغرب الأقصى	واردات الجزائر من المغرب الأقصى
الخيول والماشية والفواكه المجففة والتمور وخبوط الحرير القادمة من تونس والأجواخ الانجليزية والفضة وأقمشة الصوف والملابس المطرزة والحيك والأسلحة النارية والسيوف والأحزمة والحبال والدروع والصوف والشالات والبرانس والعطور والشمع والجلود والخردوات	العسل والسكر والجلود الفيلازية والقطن والكحل والذهب وريش النعام والعاج والحيك والشاشيات الحمراء والأقمشة وحجاب الصوف ومشط النساء والبخور والعبيد والصابون والحرير والأفرشة وأغراض الحمام والأواني النحاسية والزرايب والتبغ والخيول والسروج

ومن خلال تفقد طبيعة هذه السلع المتبادلة بين البلدين خلال العهد العثماني نستنتج بأن أغلبها سلع أوروبية ومشرقية وسودانية بينما السلع المغاربية نجدها تتشابه كالماشية والخيول والألبسة الصوفية والجلود مع بعض الاستثناءات كالتمر الجزائري مقابل الجلود الفيلازية المغربية، وذلك راجع كما تطرقنا سلفا إلى التشابه والتطابق في المناخ من جهة والتضاريس التي تنتج هذه السلع من جهة ثانية².

* المسالك والطرق التجارية بين الجزائر والمغرب الأقصى:

لقد لعبت الصلات التجارية بين الجزائر والمغرب الأقصى دورا بارزا في توسيع شبكة الطرق، والتي اعتمد عليها أيضا الطلبة والعلماء في تنقلاتهم اليومية بين حواضر ومدن البلدين. حيث يذكر محمد العربي الزبيري في هذا الصدد وجود ثلاث طرق رئيسية كانت تربط بين الجزائر والمغرب الأقصى، وكانت هذه الطرق تستعمل لأغراض عديدة سواء في الحج والعمرة أو في التجارة وانتقال العلماء والطلبة والمتصوفة بين حواضر البلدين وتمثل في:

- الطريق البحري:

فمن خلال تفقد قائمة الرحلات المغربية خلال العهد العثماني التي مرت عبر الجزائر من الطريق البحري نجدها قليلة جدا مقارنة بالرحلات العابرة بالصحراء، ويعتبر ابن جبير أول من سلك هذا الطريق سنة 1183م، وقد سلكه أيضا الوزان والتمجروتي وابن زاكور، ومن رحالة الجزائر الذين سلكوا هذا الطريق نجد

¹ أمين محرز: المرجع السابق، ص201، رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 17-18م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م، ص80-82.

² عمارين خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص59-60.

كل من أحمد المقرري وابن حمادوش¹، ويرجع الباحثون المغاربة سبب عزوف الرحالة لهذا الطريق لخشيتهم من القرصنة الأوروبية التي كانت تعترض سبيل السفن المغربية ردا على الهجمات البحرية التي تشنها عليهم سفن سلا وتطوان والجزائر، والخوف من البحر وما يعرف عنه من أمواج ورياح وأعاصير تؤدي في العديد من المرات لانكسار السفن ووفاة المسافرين² هذا في العصر الحديث بينما كان هذا المسلك في العصر الوسيط من أنشطها حسب رأي عبد الواحد المراكشي الذي ذكر بأن طريق بجاية مراكش كان جد نشيط خلال العصر الوسيط في إطار تنقلات العلماء والتجار والحجاج حيث تكون الانطلاقة من بجاية مروراً بمليانة ومازونة وقلعة هواره ووهران وتلمسان ووجدة وتازة وفاس ومكناسة وسلا ورباط الفتح ومراكش وصولاً لسجلماسة، وهو الطريق الذي سلكه الحسن الوزان³، كما يوجد أيضاً الطريق الذي ينطلق من سلا ويمر عبر العرائش وطنجة وسبتة وتطوان وتارغة وحجر بادس وهنين وأرزيو ووهران ومستغانم وتنس وشرشال والجزائر ودلس وبجاية والقل وعنابة وصولاً لتونس⁴، وهو أكثر الطرق أمناً حيث سلكه كل من التمجروتي وابن حمادوش⁵.

ولم يعرف الطريق البحري سوى خمس رحلات مغربية خلال الفترة المدروسة - طبعا المكتوبة - بداية برحلة الرافي التطواني سنة 1684م، والمعروفة باسم المعارج المرقية في الرحلة المشرقية، والرحلة الثانية لعبد الرحمن الغنامي سنة 1729م، والشهيرة برحلة القاصدين ورغبة الزائرين، والرحلة الثالثة لأبو القاسم الزياني الشهيرة بالترجمانة الكبرى سنة 1792م، والرحلة الرابعة لابن عثمان المكناسي صاحب إحرار المحلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب⁶ سنة 1785م، والرحلة الخامسة لمحمد بن قاسم ابن زاكور الشهيرة بنشر أزاهير البستان التي قصد فيها مدينة الجزائر انطلاقاً من مدينة تطوان⁷.

¹ مولاي بلحميسي: البحر والعرب في التاريخ والأدب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005م، ص 40-44.

² Leila Maziane: (*Les marocains et la mer à travers l'exemple salétin*), *Actes des symposium la mer dans l'histoire du Maroc*, Publications l'association marocaine pour la recherche historique, Maroc, p11-12.

³ عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد عزب، دار الفرجاني للنشر، مصر، 1994م، ص 289-290، غنية عباسي: مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012م، ص 253-254، وردة شرقي: المرجع السابق، ص 91-94، جلول مكي: المرجع السابق ص 48.

⁴ فيصل قاسم: الحركة التجارية بين موانئ بلدان المغرب خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م، ص 40.

⁵ وهيبه بولصباغ: المرجع السابق، ص 163.

⁶ مخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم 12307 لم يحقق بعد، أنظر: (بدر المقرري: مساهمة بيليوغرافية في تكشيف المحور العمراني والعسكري في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مجلة كنانيش، ع03، جامعة محمد الأول بوجدة، المملكة المغربية، 2001م، ص 79).

⁷ مصطفى الغاشي: الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة في بناء الصورة، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2015م، ص 369.

- الطريق البري:

ويسمى أيضا بالطريق العرضاني الشمالي، وهو الطريق الذي تسلكه عادة القوافل التجارية السلاوية، وهي أكبر القوافل التجارية المغربية التي تتحرك سنويا باتجاه الحجاز، فتكون محملة بالسلع السودانية كالمسوجات الصوفية والأدوات النحاسية والعقاقير والعبيد، وينطلق من سلا مرورا بوجدة وتلمسان ومعسكر والجزائر وبرج حمزة ومنطقة البيبان وسطيف وميلة وقسنطينة وقلمة وصولا لتونس، كما يوجد طريق آخر ينطلق من مراكش ويعبر مكناسة وفاس وتازة وتلمسان وسفوح الأطلس الصحراوي والمسيلة ونقاوس وبغاي وتبسة وصولا لتونس لكنه يعتبر الطريق الغير مقصود بسبب اللصوصية من طرف القبائل الهلالية التي يعتبر موطنها الأول¹، وقد سار على هذا الطريق كل من عمر المرابط الدرعي (ت1678م)، وأحمد القادري (ت1720م)، والحسن اليوسي (ت1690م)، وابن الطيب الشرقي (ت1756م)، والوزير محمد الشرقي الاسحاقى (ت1737م)، وعبد المجيد الزبادي (ت1794م)².

- الطريق الصحراوي:

ويسمى بالطريق العرضاني الجنوبي، وبدوره يتفرع لقسمين الأول ينطلق من سجلماسة ويمر عبر درعة ووريكة وأغمات وتادلة وفاس وتازة ووجدة وفكيك والأبيض سيدي الشيخ والأغواط وبسكرة ووادي سوف وصولا لمدينة قفصة التونسية³، ولما تصل القافلة المغربية للتراب الجزائري يتفرع لطريق آخر سلكه الرحالة العياشي في رحلته الحجازية كان على النحو الآتي: سجلماسة وبوسمغون والغاسول وعين ماضي والأغواط وسيدي خالد وأولاد جلال وبنطيوس وبسكرة وسيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي وقيطون وبادس وزريبة حامد وصولا لنفطة التونسية وهو أطول وأرهق طريق لكنه آمن⁴، وهو نفسه الذي سار عليه الرحالة ابن مليح السراج انطلاقا من سجلماسة ويتفرع الطريق من ورقلة وتقرت إلى غات وتماسين والأغواط والزيبان⁵، والطريق الثاني يتغلغل في الصحراء الجزائرية أكثر كمنطقة الساورة وتوات وورقلة وتقرت والقرارة وغرداية ومثليبي وتندوف وتنبكتو⁶، ومن أبرز الرحلات المغربية التي مرت بالطريق الصحراوي نذكر رحلة ابن مليح

¹ محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري.... المرجع السابق، ص 67، 175-176.

² صالح بوسليم وعمر بن قايد: (الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع21، جامعة غرداية، 2015م، ص 267-268.

³ حسن حافظي علوي: سجلماسة وإقليمها في القرن الرابع عشر ميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1997م، ص 365، لطيفة بشاري: المرجع السابق، ص 80-82.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي.... المرجع السابق، ص 378، يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية، المرجع السابق، ص 44، مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، المرجع السابق، ص 95.

⁵ ناصر الدين سعيدوني: (ورقلة ومنطقها في العهد العثماني)، مجلة الأضالة، ص 06، ع 41، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م، ص 83.

⁶ محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 67، 175-176.

السراج سنة 1630م، ورحلة عبد الله العياشي (ت1679م) في ثلاث مناسبات، ورحلة الهشتوكي (ت1715م) في مناسبتين، ورحلة أحمد بن ناصر الدرعي (ت1716م)، ورحلة الحضيكي (ت1775م)، ورحلة أبي مدين الدرعي (ت1744م)، ويعتبر هذا الطريق من أهم الطرق وأنشطها، وأغلب سالكوها هم علماء ومرابطين ومتصوفة¹.

ومن خلال التمعن في مسار هذه الطرق نستطيع أن نتعرف على المدن التي زارها هؤلاء الرحالة، فالطريق البحري يمر خلالها الرحالة المغربي بمدن مثل تلمسان ومستغانم وتنس وشرشال وتيبازة والجزائر وبجاية وعنابة ووهران بعد تحريرها من الاحتلال الإسباني سنة 1708م ثم في سنة 1792م، ومن خلال الطريق التلي كان هؤلاء الرحالة إلى جانب مرورهم عبر بعض المدن الساحلية يمرون عبر معسكر ومليانة ومامزونة والمدية وقسنطينة، ومن خلال الطريق الصحراوي زار الرحالة المغاربة كل من الساورة وبوسمغون وتوات والأغواط وعين ماضي ووادي سوف وبسكرة ومختلف واحاتها كسيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي وأولاد جلال، وبقدر ما ساهمت القوافل التجارية في مد جسور التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى في العصر الحديث بقدر ما عطلت تنقلات العلماء والطلبة والمريدين في بعض الأحيان بسبب انتشار اللصوصية وقطاع الطرق الباحثين عن الأموال والذهب الذي تحمله هذه القوافل.

ثالثا/- حركية الأسر والقبائل بين البلدين:

لقد ساهمت الهجرة الهلالية نحو المغرب الأوسط خلال القرن العاشر ميلادي في تفكيك البنية القبلية لزناتة، وجعلتها تشتت بين المغربين الأوسط والأقصى وفقا لسياسة الغالب والمغلوب مع القبائل العربية، وهو ما استغلته الدويلات التي حكمت المنطقة في تأجيج هذا الصراع بين الفينة والأخرى، ونخص بالذكر الدولتين الزيانية والمرينية²، ومن أبرز القبائل العربية الهلالية التي استقرت بالحدود الجزائرية المغربية - ولعبت دورا محوريا في مد جسور التواصل الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بين ساكنة المنطقة من جهة وفي تأجيج العلاقات السياسية بين البلدين خلال العصر الحديث من جهة ثانية - بنو عامر والدوائر والزمول بين وهران وتلمسان، والحشم غرب معسكر، ومجاهد قرب مستغانم، وصهيب وفليتة بأحواز الشلف، والغاسول ورياح وأولاد ميمون وأولاد نهار بتلمسان، وبني مطهر وأولاد سيدي الشيخ في منطقة فكيك والبيض، والخلافات وأولاد خالد والجعافرة وأولاد الشريف ما بين فرندة وسعيدة، والمهايا وحميان والعمور والأحلاف والشجع وبني وكيل وذوي منيع بين نهري التافنة وملوية، وأولاد جريبر والنواصر والغنانمة في حدود الساورة وبشار³.

¹ صالح بوسليم وعمر بن قايد: المرجع السابق، ص267-268.

² ابن الأحمر التلمساني: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م، ص45-46.

³ عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، المملكة المغربية، 1968م، ص433-434.

وقد تراوحت هذه القبائل بين دعم بنو زيان ضد أعدائهم الحفصيين والميرانيين، ونخص بالذكر كل من بني عامر وبني يزيد وبني مالك والمعقل وذوي منصور، وفي مقابل ذلك ناصبت بعض القبائل العربية العداء لبنو زيان، وساهمت في زحف بنو حفص وبنو مريم على تلمسان في الكثير من المرات، ونعني بها قبائل حصين وذوي عبيد الله وسويد والثعالبة¹، ونفس الشيء بالنسبة للقبائل العربية التي حطت رحالها بالحدود الشرقية للمغرب الأقصى، والتي كانت في عملية مد وجزر للأراضي الجزائرية بحثا عن توفر المراعي والمياه لمواشيمهم، ويمكن تقسيم القبائل الجزائرية الحدودية مع المغرب الأقصى إلى قسمين قبائل بني راشد الزناتية، وقبائل بني عامر العربية، والتي بدورها تنقسم إلى عدة فروع أهمها شافع وغمارة وكريشتل وقيزة وغمرة وأولاد عبد الله وأولاد علي والونازة وأولاد قلطة والغروزي وبني شقران والسراقطة وبني عززاوية وسويد والجعافرة²، وقد كانت هذه القبائل ذات ولاء للإسبان تارة وللمغرب الأقصى تارة أخرى، وذلك راجع لسياسة الأتراك في فرض الضرائب على هذه القبائل.

* هجرة الأسر والقبائل الجزائرية نحو المغرب الأقصى:

لم تقتصر عملية الرحلة والهجرة بين الجزائر والمغرب الأقصى على العلماء والطلبة بل تعداه إلى الأسر والقبائل حيث سجلت لنا كتب التراجم والطبقات والرحلة انتقال العديد من الأسر والقبائل الجزائرية، والتي استقر بها المقام بمختلف المدن المغربية، ويمكن تقسيم هذه القبائل إلى قسمين قبائل هاجرت أثناء الفتح العربي الاسلامي لبلاد المغرب خلال القرن السابع ميلادي بعد الضربات المتكررة والمتوالية من المسلمين ولعل أبرز هاته القبائل نذكر:

- قبيلة مكناسة:

وهم من أبناء مكناس بن ورصطف بن يحيى، وقد تشعبت لعدة بطون أبرزها بني حوات وقنصارة وبني ورفلاس وورنيفة وبني وريدوس ووريفلثة³، وقد فرت هذه القبيلة نحو المغرب الأقصى بعد وصول عقبة بن نافع الفهري للمغرب الأوسط بعدما شايعت المسلمين أولا ثم ارتدت حسب عبد الرحمن ابن خلدون، فكان خوف مكناسة من انتقام المسلمين دافعا لهروبها وتوجهها نحو المغرب الأقصى، وبذلك فقد شكل الضغط العسكري الناجم عن غارات ومعارك الفتح الاسلامي في تخلي بعض القبائل عن مواطنها الأصلية واتجاهها

¹ عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م، ص20.

² توفيق دحماني: المرجع السابق، ص428.

³ الدراجي بوزياني: القبائل الأمازيغية - أدوارها مواطنها وأعيانها -، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص140-141.

نحو الجهات الغربية من بلاد المغرب¹، وفي المقابل فقد بقي فرع من قبيلة مكناسة بالمغرب الأوسط يتواجد بأعالي مدينة وادي رهيو بولاية غليزان حاليا².

- قبيلة أوربة:

والتي كان لها انتشار ونفوذ واسع في بلاد الزاب وجبال الأوراس وقرب تلمسان فرت باتجاه منطقة الريف بالمغرب الأقصى عقب انهزام البربر في معركة ممس أمام جيش الفتح الإسلامي سنة 688م، وعن قبيلة أوربة يقول عبد الرحمن ابن خلدون: (واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى فلم يكن لهم بعدها ذكر)³.

- قبيلة كومية:

هي إحدى فروع زناتة الأمازيغية كانت تقطن بسهول ندرومة وتلمسان، وانتقلت إلى مدينة مراكش وأحواها سنة 1161م لأغراض سياسية، وكان هذا الانتقال جماعي من أربعين ألف فارس، وقد أنجبت عديد العلماء والفقهاء والذين غلب عليهم فيما بعد لقب الكومي المراكشي⁴.

- قبيلة زواوة:

كانت هذه القبيلة تقطن بشرق مدينة الجزائر وبأحواز بجاية، وقد وصل عدد كبير من أفرادها للمغرب الأقصى بعد الحملات المتكررة للأتراك على مدينة فاس خلال عهد محمد الشيخ وولده عبد الله الغالب، ويقر المؤرخ البرتغالي أنطونيو دي صالدانيا بأن زواوة الجزائر كان يقطن منهم بأحواز فاس ومراكش خلال القرن السادس والسابع عشر ما يقارب عشرة آلاف فرد يقطنون في حارة خاصة تسمى بحارة زواوة، وقد كان انتماءهم للجزائر أكثر منه للمغرب الأقصى اشتغلوا في التجارة، وكان أغلبهم جنود في جيش أحمد المنصور الذهبي، كما أنجب البيت الزواوي عديد الفقهاء والعلماء الذين تقلدوا مختلف المناصب الدينية والعلمية بفاس لكن أشهر حادثة قادها الزواويين بالمغرب وأعطت لهم صيت كبير هي ثورة عبد الله الأبيض الزواوي بمدينة فاس سنة 1584م.

ولما سمع أحمد المنصور بهذه الفتنة وبسبب الشكاوى العديدة التي وصلته من ساكنة فاس من هذه الفئة قرر أن يضع حد لها حيث قبض على زعيمها عبد الله وسجنه بمعينة أتباعه، وقرر التخلص من جيش زواوة الذي أصبح يشكل خطرا كبيرا على دولته والمغرب ككل. حيث كلف فرقة منهم بحملة عسكرية على بلاد شنقيط، وهدفه من ذلك إبعادهم عن المغرب ثم استدعى البقية بمدينة مراكش بعدما أخبرهم بأنه يريد

¹ مصطفى بن عرب: (أثر الفتح الإسلامي في الحراك والعصبيات القبلية بالمغرب الأوسط). ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، ج1، منشورات مخر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019م، ص264.

² أبي عمران موسى المازوني: صلحاء وادي الشلف، دراسة وتحقيق غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، الجزائر، 2017م، ص185.

³ عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص300، أحمد بن ناصر السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1955م، ص112.

⁴ فوزية كراز: (التوزيع الجغرافي للبربر والعرب بالمغرب الأوسط خلال القرنين 11-12م)، مجلة عصور الجديدة، ع21-22، جامعة وهران،

2016م، ص112.

منحهم أموالا وهدايا، وهو ما يقتضي تقدمهم لأخذها مجردين من السلاح، وبعدها فتك في ساعة واحدة بحوالي ثمانية آلاف جندي، وقد سكتت جل المصادر المغربية عن هذه الواقعة¹، كما أمر بإبادة الحامية التي توجهت إلى شنقيط في عمق الصحراء، ولم يبقى بمدينة مراكش سوى ألف وستمئة جندي من زاووة، وهم الفرقة المخلصة لأحمد المنصور حسب الرحالة الانجليزي هنري روبرتس².

وأما القسم الثاني من القبائل الجزائرية التي زحفت نحو المغرب الأقصى خلال العصر الحديث كان بعد وصول الأتراك للمنطقة، وأغلب هاته القبائل كانت معارضة للحكم العثماني وموالية لأشراف المغرب الأقصى سواء السعديين أو العلويين بحكم نفس النسب والانتماء - العربي -، وأبرزها:

- قبيلة حميان:

هي بطن من بني يزيد وتنسب لجدهم حميان بن عقبة كانت تقيم في منطقة ملاتة ثم رحلوا لضواحي تلمسان، ومنها إلى منطقة المقطع، ويتوزعون على ثلاثين دوارا متناثرين حاليا على منطقتي سيدي بلعباس وعين تيموشنت، وكانت هذه القبيلة تدعم الإسبان تارة والعلويين تارة أخرى³ بسبب خلافها الدائم مع السلطة العثمانية جراء الضرائب⁴، وكانت من القبائل السباقة في الهجرة نحو الأراضي المغربية بعد وصول القوات الفرنسية للغرب الجزائري، فبين (15 ديسمبر 1879م - 13 جانفي 1880م) راسل شيوخ حميان مولاي الحسن سلطان المغرب الأقصى من أجل السماح لهم بالهجرة نحو الأراضي المغربية بسبب الأذى الذي تلقوه من قبل الاحتلال الفرنسي⁵.

- قبيلة بنو سويد:

ويعود أصلها إلى سويد بن عامر بن مالك بن زغبة، وموطنهم الأول كان بمدينة تنس على واجهة البحر قبل أن يمتد إلى مستغانم غربا والعطاف شرقا بل وصل لمدينة الجزائر، وقد اتخذت هذه القبيلة لنفسها منذ القرن الثالث عشر ميلادي إمارة مستقلة تمتد من قبر الرومية شرقا إلى مصب نهر الشلف غربا، وتعتبر من أكبر القبائل التلمسانية الموالية لبنو مرين ضد الزيانيين، وهو ما جعل سلاطين بنو مرين يستعملونهم في حملاتهم المتكررة على تلمسان والمغرب الأوسط⁶، وبقي أحفادهم في ولاء تام للوطاسيين والسعديين

¹ أنطونيو دي صالدانيا: أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، ترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وآخرون، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 2011م، ص 54-55.

² محمد نبيل ملين: المرجع السابق، ص 308.

³ عبد القادر فكايير: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية 1505-1792م، دار هومه، الجزائر، 2012م، ص 346.

⁴ جلول مكي: المرجع السابق، ص 41.

⁵ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب ...، ج 1، المرجع السابق، ص 43.

⁶ مجهول: زهرة البستان في دولة بني زيان، تحقيق بوزياني الدراجي، ج 2، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 107.

والعلويين¹، وبعد وصول الأتراك للمنطقة كانت قبيلة سويد من أشد المعارضين لحكمهم، فبعدهما أعلنوا تعاطفهم مع قبيلة الثعالبة إثر مقتل شيخها سالم التومي دخلوا في ثورة كبيرة ضد الحكم العثماني².

وقد انطلقت هذه الثورة العارمة سنة 1517م بقيادة حميدة العبد أين شارك فيها حوالي عشرة آلاف فارس سويدي في محاربة عروج، وقد تمكن خير الدين وحسن آغا فيما بعد من كسب قائد القبيلة حميدة العبد لصفهم، وفي سنة 1743م ثارت قبيلة بني سويد مجددا على الأتراك، ولم تهدأ الثورة لغاية 1747م لما تولى حكم بايالك الغرب عثمان بن ابراهيم الذي قام بتشريد هذه القبيلة ونفها إلى تلمسان ومنها إلى وهران قبل أن يرجعوا إلى سهول الشلف فيما بعد³، وقد خلد شاعرهم الشعبي ابن السويكت أحداث ثورة حميدة العبد وظلم الأتراك لقبيلته بالقول:

الترك جاروا واسويد عقابهم طافحين ... والترك شاربين الهبال في سلطه
أداكم الطمع في مطافل اتمقين ... اسويد ما اطيعوا الترك قتاله
لا من أجاأ أخبارسويد ... أين مضرب راهم نازلين امحاله⁴

وقد عرفت قبيلة سويد هجرة فردية وجماعية نحو المغرب الأقصى سواء خلال العهد الزياني أو بعد وصول الأتراك للغرب الجزائري، ولعل أشهر هجرة عرفت هذه القبيلة للمغرب الأقصى تلك التي رافقت الشاعر السويدي الشهير بمعارضته للحكم العثماني سعيد المنداسي⁵.

- قبيلة بنوزيات:

وهم فرع من قبيلة غمارة الصنهاجية التي كانت تقطن أحواز مدينة تلمسان، وهاجرت للمغرب الأقصى وامتزجوا مع أبناء عمومهم الصنهاجيين في قبيلة بني زيات على سواحل البحر الأبيض المتوسط شمال المغرب الأقصى، وقد أنجبت هذه القبيلة عديد العلماء والفقهاء خاصة فرع بنو الشيخ يوسف بن مهدي الزياني، وسنتطرق لإسهاماتهم العلمية في الفصلين الثالث والرابع⁶.

¹ جلول مكي: المرجع السابق، ص42.

² أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص34-35.

³ العربي سعيدي: (انتفاضات القبائل ضد مظالم البايات العثمانيين في منطقة غليزان)، مجلة الحوار المتوسطي، ع5، جامعة سيدي بلعباس، 2013م، ص100-101.

⁴ عبد القادر صحراوي: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830م، دارهومه، الجزائر، 2016م، ص294.

⁵ عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص135.

⁶ محمد حجي: جولات تاريخية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، ص138.

- قبيلة بنو راشد:

يعود أصلهم إلى راشد بن محمد بن باديس الزناتي، وكان موطنهم الأول جبال بني راشد ثم زحفوا ناحية تلمسان ومنها إلى جبال مديونة، وهناك أسسوا قلعة حملت اسمهم - قلعة بني راشد -، وكانوا في صراع مع بنو زيان، وأشهر قادتهم المنصور بن أبي غانم الذي تولى منصب الوزير الأول في القصر الزياني¹، وقد شاركت هذه القبيلة في توفير الحماية والدعم لمحمد الشيخ السعدي بعد إغارته على تلمسان سنة 1550م، وعاد معه جزء كبير من هذه القبيلة إلى مدينة فاس خشية من الانتقام التركي، وبعد حملته الثانية سنة 1556م وتنكيله بالحامية التركية هناك نصب عليها المنصور بن أبي غانم زعيم قبائل بني راشد هذا الأخير سرعان ما فر إلى فاس بعد الحملة المضادة للأتراك واستعادة المدينة².

- قبائل زغبة والحشم:

وتنسب الأولى إلى زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، ومناطق نفوذهم هي شرق تلمسان ومجال الشلف حاليا، وكانت في خلاف دائم مع الزيانيين³. ما قبائل الحشم فقد كانت من أشد وأقوى القبائل في بايلك الغرب وبالضبط في سهل غريس بمعسكر، وكانت معارضة للحكم العثماني في عديد المراحل والفترات التاريخية، وأبرزها الثورة التيجانية سنة 1826م حيث شاركوا فيها مشاركة فعالة ضد الباي حسن آخر بايات وهران⁴.

- قبيلة بنو عامر:

وهي من بطون زغبة وموطنهم بتلمسان، وكانت تنتقل باستمرار إلى سجلماسة جنوب المغرب الأقصى بعدما شكلوا حلف مع بنو مرين ضد الزيانيين، كما تحالفوا أيضا مع الاسبان ضد الأتراك⁵، وقد شهدت هذه القبيلة هجرة واسعة لمختلف عائلاتها نحو المغرب الأقصى في مرحلتين الأولى بعد حملة محمد الشيخ السعدي سنة 1550م، ومساندة هذه القبيلة له وخشية من انتقام الأتراك هاجرت معه العديد من أسرها، والرحلة الثانية كانت بسبب المجاعة والجوع الذي حل بالغرب الجزائري في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وحلوا بمدينة فاس حيث مكثوا بها لغاية 1808م أين رجعوا للجزائر⁶، كما كانت هذه القبائل من أكبر

¹ جلول مكي: المرجع السابق، ص38.

² أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة... المرجع السابق، ص344-345.

³ جلول مكي: المرجع السابق، ص39.

⁴ مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص31.

⁵ جلول المكي: المرجع السابق، ص40.

⁶ محمد أمطاط: الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962م، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، المملكة المغربية، 2008م، ص31-32.

البطون التي دعمت ثورة الدرقاوي على الأتراك¹، وقد وجد لقبائل بنو عامر عديد الأسر والبيوت بمدينتي سلا ورباط الفتح سنة 1813م بعدما قام بعض من رجال هذه القبيلة بسرقة مجموعة من أبقار مدينة سلا، فقبض حاكم المدينة على ثلاثة منهم ونفذ فيهم الحكم الشرعي المتمثل في قطع اليد².

* قبيلة فنازة:

وتقطن هذه القبيلة مدينة فكيك المغربية، والتي تقع غرب عين الصفراء ولاية النعامة حاليا، وتبعد على مسيرة خمسة أيام من تلمسان، وهي عبارة عن واحة نخيل كبيرة تحيط بها وديان وينايع، وموقعها الجغرافي جعلها محطة مهمة لقوافل الحج المغربية القادمة من سجلماسة، وتنتمي هذه القبيلة إلى أولاد سليمان التي تعود أصولها لتوات الجزائرية، وقد كان ولاء هذه القبيلة التام للسلطين السعديين والعلويين، وقد نصب عليها العلويين حامية عسكرية على رأسها محمد الصغير الجزائري أحد أشرف المدينة³.

* قبيلة شراكة:

هي قبيلة عربية كانت تقطن بأحواز مدينة تلمسان، وقد هاجرت بعد حملة محمد الشيخ السعدي سنة 1550م حيث قررت الاستقرار بقصبة الطالعة وبعض فنادق مدينة فاس، وأصبحت تسمى أيضا بقبيلة شراكة باعتبار أنهم وفدوا من الشرق حيث نالت هذه القبيلة مكانة مرموقة عند محمد الشيخ وعبد الله الغالب وعبد الملك المعتصم وأحمد المنصور الذي جند منها خيرة فرقه العسكرية - فرقة جيوش النار⁴، كما استعان بهم عبد الله بن الشيخ بن أحمد المنصور ضد عميه زيدان وأبي فارس، وقد منحهم جراء ذلك أجنحة ودور بمدينة فاس، وقد شكل هؤلاء طليعة فرسانه وجيشه⁵ إلا أن زيادة نفوذها على حساب سكان فاس جعل أهالي المدينة يعلنون ثورة كبيرة ضدهم، وقد أتهم العلامة أحمد المقرئ بميله نحوها باعتبار أنه ينتمي لنفس مدينة هذه القبيلة - تلمسان - مما جعله يعلن رحيله عن المغرب الأقصى نهائيا باتجاه الحجاز سنة 1617م⁶، كما حاربهم القائد الخضر غيلان سنة 1659م ونكل بهم، وفي سنة 1787م وبسبب تزايد أعمالهم المشيئة ضد ساكنة فاس قرر السلطان مولاي محمد بن عبد الله التوجه نحوهم بجيش كبير من أجل وضع

¹ محمد بن يوسف الزباني: المصدر السابق، 285-286.

² محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج2، ص700.

³ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص49.

⁴ عبد الحق المريني: المرجع السابق، ص60.

⁵ محمد مزين: فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، ج1، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1986م، ص230-231.

⁶ محمد الصغير الإفرائي: المصدر السابق، ص143، عبد العزيز غوردو: (مسألة البدعة في تاريخ المغرب الحديث - نموذج شراكة من خلال الاستقصا -)، مجلة كان التاريخية، ع3، س2، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الإمارات العربية المتحدة، 2009م، ص69-70.

حد لهذه التصرفات، ورغم أنهم فروا إلى جبل أمركوا للاختباء بحرم سيدي أبي الشتاء إلا أن السلطان العلوي قرر استعمال السيف معهم حيث قتل منهم الكثير وشرد البقية وعفى عن البعض الآخر¹.

إلى جانب هذه القبائل الكبرى عرف المغرب الأقصى ترحال عديد البطون الجزائرية عبر فترات مختلفة كقبائل مديونة وندرومة وترارة وأولاد عبد الله وقيزة² التي هاجرت خلال العهد السعودي، وخلال الحكم العلوي انتقلت العشرات من القبائل الجزائرية للتراب المغربي بعدما وقفت في صف محمد الشريف العلوي في حملته على مدينة تلمسان كقبائل هواة وبنو سنوس ومضغرة وقديمة ونزارة وولهاصة³، وتكرر الأمر في عهد مولاي الرشيد حيث وفدت عليه بعض القبائل الجزائرية كالشجع وبنو عامر ومديونة وبنو سنوس أين منح لهم السلطان العلوي أراضي بالقبصة الجديدة وعرضة ابن صالح بفاس قبل أن يتم ترحيلهم لمنطقة فشتالة شمال مدينة فاس⁴، وإلى جانب الموقف السياسي من الحكم العثماني، فإن عديد القبائل كانت ترتحل للتراب المغربي بحثا عن الكأ لماشيتهن من جهة ونتيجة لتهميشهم من قبل بايات الغرب وضغط الضرائب العديدة من جهة ثانية، وهو ما جعلها تساند حتى الاسبان في بعض الأحيان كقبائل بنو عامر.

كما ساهمت الثورة الدرقاوية والتيجانية في انتقال العشرات من التجمعات السكانية الجزائرية المنتمية روحيا لهاتين الطريقتين بعد انتقام باي وهران من كل القبائل التي ساندت هذه الثورة، وقد كانت مدينة وجدة من أكبر المدن المغربية استقطابا للقبائل الجزائرية بحكم القرب الجغرافي والتقارب من حيث العادات والتقاليد بعد استشارة مولاي سليمان الذي سمح لهم بذلك بل ورحب بهم وبمبايعتهم إياه⁵، وبعد وصول القوات الفرنسية لوهران وتلمسان والغرب الجزائري بنهاية 1830م قررت العديد من القبائل الجزائرية المتاخمة للحدود المغربية الانتقال والهجرة للمغرب الأقصى، واستقرت في كل من وجدة وتطوان وطنجة والرباط، وقد وصلت نسبة الجزائريين بنهاية القرن التاسع عشر ميلادي في بعض المدن المغربية ما يقارب خمس السكان⁶، ومن أبرز هذه القبائل الجزائرية نجد أولاد ابن حمو وأولاد أمويال وأولاد أباديا التي استقرت بوجدة⁷، وقبائل العمور وأولاد جريروذوي منيع والشعامية التي هاجرت لمنطقة تافيلالت¹، وقبيلة هاشم التي حطت رحالها بكل من مكناسة ومراكش².

¹ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص117، 359.

² قدور بوجلال: المرجع السابق، ص77-78، 82.

³ كاميلية دغموش: قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية 1509-1792م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م، ص120-125.

⁴ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص22-23.

⁵ قدور الورداسي: معالم من تاريخ وجدة، مطبعة الرسالة، الرباط، المملكة المغربية، د.ت، ص39-40.

⁶ نصر الدين بوزيان: (أثر الهجرات المغربية الداخلية إبان الاحتلال على المنظومة التواصلية)، ضمن أعمال ملتقى الهجرة المغربية وأبعادها السوسيوثقافية، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، 2014م، ص171.

⁷ عبد الحميد العلوي: المرجع السابق، ج1، ص271.

إن هجرة هذه الأسر والقبائل الجزائرية نحو المدن المغربية له ارتباط وثيق بالجانب الثقافي، فقد أنجبت بعض من هذه القبائل الجزائرية عديد البيوتات العلمية التي ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية بمختلف المدن المغربية بل واحتكرت مختلف المناصب العليا كالخطابة والتدريس والقضاء والافتاء خلال العصر السعدي والعلوي، وسنفصل في هذا العنصر أكثر في الفصلين الثالث والرابع.

* تنقل الأسر والقبائل المغربية إلى التراب الجزائري:

إن انتقال القبائل الجزائرية نحو المغرب الأقصى قابله هجرة وزحف العديد من القبائل المغربية واستقرارها بالتراب الجزائري بعدما لعبت على وتر الشرف واستغلال حب الجزائريين لآل البيت، ففي مدة وجيزة أصبحت لهذه الأسر مكانة مرموقة بل ووصلت لسدة الحكم في بعض المدن الصحراوية كأسرة بني جلاب في تقرت وأسر علاحم بورقلة³، وقد كانت أغلب تحركات هذه القبائل الحدودية تخضع في كثير من الأحيان للمنطق السياسي والظروف الراهنة، فقبائل بني يزناسن والمنابهة وسقونة وأولاد زكري وأولاد علي ورأس العين كانت تتأرجح في تبعيتها الإدارية والسياسية بين العلويين تارة والأتراك تارة أخرى إلى غاية 1796م أين قرر مولاي سليمان إعادتها بشكل نهائي للتراب المغربي⁴ إلا أن بعض من هذه القبائل كانت في كثير من الأحيان موالية للأتراك، فمن خلال رسالة الوكيل الفرنسي بمدينة سلا لحكومة بلده سنة 1695م يذكر فيها بأن القبائل المغربية المتاخمة للحدود الجزائرية تنتظر بفارغ الصبر هجوم جزائري من أجل تقديم يد المساعدة له ضد الحكم العلوي بسبب التسلط الذي يبديه هؤلاء ضدهم⁵، ومن أبرز الأسر والقبائل المغربية التي انتقلت للتراب الجزائري نذكر:

- أسرة بني جلاب:

بقدر ما أجمعت المصادر والمراجع حول أصولهم المرينية بالمغرب الأقصى بقدر ما اختلفت حول تاريخ وصولهم لمنطقة تقرت، فشارل فيرو يقرب بأن جدهم الأول هو الحاج سليمان الجلابي وفد على مدينة تقرت خلال القرن الرابع عشر ميلادي بهدف ممارسة التجارة في عهد المرابط محمد بن يحيى، ولما أعجب هذا الأخير بالحاج سليمان طلب منه المكوث في المنطقة وجعل منه خليفة له، وبمجرد وفاة حاكمها محمد بن يحيى استولى سليمان على الحكم بينما يعتبر محمد العدواني بأن الشيخ سليمان الجلابي وصل للمنطقة في فترة

¹ عبد القادر خليفي: (موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع12، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2002م، ص181.

² Archives marocaines publication de la mission scientifique du Maroc, volum 06, Ernest Leroux éditeur, Paris, France, 1907, p.11

³ ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية... المرجع السابق، ص491، ورقلة ومنطقتها... المرجع السابق، ص88.

⁴ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ... ج3، المرجع السابق، ص149.

⁵ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني... ج2، المرجع السابق، ص303-304.

جفاف عصفت بالمنطقة، وكان له مال وتجارة واسعة فقام بشراء كل ما يملكه سكان المنطقة حتى الأطفال والنساء ثم قام بتحريرهم، وهذا ما جعل سكانها يرفعون من شأنه وشيدوا له مسجداً، وقد أصبح منذ ذلك الوقت حاكماً لهم¹.

وكانت منطقة وادي ريف² هي أول مستقر لهذه العائلة قبل أن تنتقل لتقوت، وتباشير الحكم سنة 1531م على يد الشيخ سليمان بن رجب الزناتي الجلابي الميرني، ودام حكمهم للمنطقة لغاية 1854م لما سقطت الإمارة على يد القوات الفرنسية، وكان آخر حكامها سليمان بن علي الجلابي³، وقد توارث حكام هذه الإمارة رواية الأصول والنسب لبينومرين، فمن خلال رسالة لأحد شيوخ العائلة موجهة لنابليون الثالث يقول فيها: (اننا أولاد جلاب سليل السلطنة المرينية سلطنة تقوت من عمالة قسنطينة)، والمتمعن في علاقة هذه المملكة بالحكم العثماني يستنتج بأن أصولهم المغربية منعتهم من الاعتراف بسلطة الأتراك على الجزائر ورفض دفع الضريبة، وهذا ما جعل الباشوات والبايات يعلنون الحرب عليهم من خلال حملة صالح رايس سنة 1552م، وحملة يوسف باشا سنة 1649م، وحملة صالح باي سنة 1788م⁴.

- أسرة الفيلاي:

وبمدينة ورقلة حلت أسرة الفيلاي، وهي أسرة مغربية من مدينة تافيلالت، وقد وصلت لحكم المدينة خلال القرن السادس عشر ميلادي على يد السلطان مولاي موسى الفيلاي الذي ساهم في استتباب الأمن بالمدينة وواحتمها، وخلف الحكم لأولاده بعده إلى غاية اغتيال السلطان سليمان بن مولاي موسى الفيلاي، وهذا ما جعل الأسرة تفر لخارج المدينة، وكان ذلك سنة 1602م أين خلفهم في حكم مدينة ورقلة أسرة مغربية أخرى تسمى بأسرة علاهم⁵.

¹ محمد العدواني: المصدر السابق، ص 139-140، جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 16 إلى القرن 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م، ص 65-66.

² وادي ريف: يقع بالشمال الشرقي للصحراء الجزائرية طوله 160 كلم وعرضه 40 كلم يحده من الشمال شط ملغيغ، ومن الجنوب ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب هضبة ميزاب، ويسمى بوادي ريف نسبة لقبيلة ريف البربرية التي سكنت المنطقة، أنظر: (معاذ عمراني: أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريف خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ميلاديين، دراسة سياسية اجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص 2003م، ص 8).

³ محمد حناي: الحياة الثقافية في زاوية تماسين التيجانية 1803-1954م، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، 2014م، ص 23.

⁴ معاذ عمراني: المرجع السابق، ص 16-19، 41-45.

⁵ رضوان شافو: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844-1962م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2012م، ص 82.

- أسرة علاهم:

وصلت هذه الأسرة الفاسية إلى منطقة ورقلة سنة 1631م بقيادة الأخوين عبد الغفار بن مولاي محمد بن أعلاههم الفاسي وشقيقه علاهم حيث طلب الشيخ بحمان بن عيسى من الشيخ عبد الغفار البقاء بورقلة وتولى إمارتها قبل أن يتنازل عنها لشقيقه علاهم¹.

- أسرة البابية:

ويعود أصلها هي الأخرى لمدينة فاس، وتنتسب للشيخ الولي الفاسي الذي حل بواحة نقوسة سنة 1613م إحدى واحات ورقلة وأصبحت أسرته تحكم المنطقة².

- أسرة سيدي عون:

في سنة 1781م وصل رجل مغربي يدعى سيدي عون بن مهلهل لمدينة وادي سوف، وقرر الاستقرار بها بعدما تزوج بإحدى نساء المدينة، وقد كثرت نسله وأصبحت تسمى القرية التي سكن بها بقرية سيدي عون³.

- قبيلة المعقل:

نسبة لجدهم المعقل بن حارث بن كعب من نجران اليمنية جلبهم الموحدون للمنطقة خلال القرن الثاني عشر ميلادي بسبب شجاعتهم لاستعمالهم كدرع في مختلف الحروب التي يخوضونها في المغرب والأندلس، وكان ولائهم يتنوع بين بنو مرين وبنو زيان في العصر الوسيط⁴، وقد سيطرت قبائل المعقل على مختلف المناطق الجنوبية للمغرب وتشمل السوس ودرعة وتافيلالت وملوية وبنو منصور⁵، وتنقسم قبائل المعقل إلى ثلاثة أصناف ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان، فذوي عبيد الله كانت موطنهم تلمسان وأحوازها بعدما كانت تستوطن وجدة خلال القرن الرابع عشر الميلادي، والعديد من عائلاتها عادت للمغرب الأقصى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر واتجهت لمدينة مكناسة⁶ بينما استقر ذوي منصور وذوي حسان بمدينة وجدة

¹ ابراهيم بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص84-85.

² رضوان شافو: المرجع السابق، ص81، ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص491.

³ شهرزاد بوترة: الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، 2015م، ص34.

⁴ جلول مكي: المرجع السابق، ص51-52.

⁵ حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص274.

⁶ سعاد بوسوفي: المرجع السابق، ص92-93.

وأحوازها، وكانت تميل للأتراك في عديد المراحل التاريخية¹ إلى غاية تولي مولاي اسماعيل الحكم حيث ضمهم لصفه بحكم انتماء والدته لهذه القبيلة.²

- قبيلة بني سناسن:

وتسمى بني يزناسن في بعض المصادر والمراجع المغربية، وهي قبيلة بربرية كانت تقطن سهل غريس بمعسكر وانتقلت إلى وجدة زمن الفتح الاسلامي³، وقد شكلت هذه القبيلة حلف كبير مع الأتراك وشكلوا معارضة شرسة ضد السعديين وبعدهم العلويين، وكانت البداية مع مولاي محمد الشريف الذي وفدت عليه مختلف القبائل المغربية لمبايعته سوى قبائل بني يزناسن التي رفضت مبايعته وأبقت ولائها للأتراك الجزائري، وهو ما جعل كل من مولاي محمد والرشيد واسماعيل يعلنون الحرب عليها في أكثر من مرة⁴، ففي سنة 1678م زحف مولاي إسماعيل على مدينة وجدة وأعادها للتراب المغربي، وأعاد تجديد أسوارها وحصنها بحامية قوية، وفي السنة الموالية قام بنقل عرب الشبانات ووزارة لمدينة وجدة، وسرعان ما دخلت هذه القبائل في صراع مع قبيلة بني يزناسن الموالية للأتراك، وهو ما جعل مولاي اسماعيل يزحف عليهم سنة 1680م، ويجردهم من أسلحتهم وخيولهم ويفرض عليهم الضرائب⁵، ورغم ولاء هذه القبيلة المطلق للأتراك لكن وبحلول 1797م قدم زعماء القبيلة على السلطان المغربي مولاي سليمان بمدينة مكناسة جالبين معهم خيول الأتراك التي استولوا عليها أثناء غاراتهم على وهران، فقدم لهم السلطان مقابل ذلك هدية من سبعمائة مثقال مقابل تحريضهم على الأتراك⁶.

- قبائل الأحلاف والأنجاد وذوو منصور وذوو حسان:

هي قبائل عربية مرتحلة كانت تسكن مدينة وجدة وتقدم خدماتها للمرينيين تارة وللزيانيين تارة أخرى حسب مصالحها الشخصية أين منحت لهم أراضي ومراعي واسعة في مناطق ندرومة وهنين ومديونة بأحواز تلمسان، وخلال العصر الحديث كانت هذه القبائل موالية للأتراك ضد السعديين والعلويين⁷، وإلى جانب هذه الأسر والقبائل يرى أبو راس الناصري بأن أشرف تلمسان وغريس بالغرب الجزائري كلهم من سلالة إدريس الأول بالمغرب الأقصى زحفوا لظروف سياسية نحو الغرب الجزائري، وهذا ما يؤكد بأن عملية المد

¹ عبد الحميد العلوي: المرجع السابق، ج1، ص68-72، 83.

² لطفي عيسى: كتاب السير مقاربات لمدونات المناقب والتراجم والأخبار، ط1، دار المعرفة للنشر، تونس، 2007م، ص133.

³ جلول مكي: المرجع السابق، ص50-51.

⁴ قدور بن علي الزناسني: بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1976م، ص19، 65.

68.

⁵ عبد الحميد العلوي: المرجع السابق، ص87.

⁶ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج2، ص536.

⁷ جلول مكي: المرجع السابق، ص55.

والجزر الاجتماعي بين الجزائر والمغرب الأقصى لم تكن وليد العهد العثماني¹، وقد كان للصلات الاجتماعية بين مختلف القبائل الأمازيغية والعربية المنتشرة على خط التماس بين الجزائر والمغرب الأقصى دورا مهما في خلق تبادلا وتمازجا وتوصلا فكريا وثقافيا قويا بين الطرفين، فالتشابه في التضاريس والمناخ والعادات والتقاليد والتاريخ والدين واللغة جعل المنطقة فضاء مفتوحا أمام التيارات العلمية والمعرفية والصوفية حتى تكون قابلة لعملية التأثير والتأثر المتبادل.

II- المؤثر البشري والتاريخي:

لقد كانت منطقة المغرب منذ القدم مفتوحة على مختلف شعوب العالم، وبذلك امتزجت بلغات وحضارات هذه الشعوب، فقد انتشرت بربوعه كل من الاغريقية واللاتينية واليونانية² والاسبانية والعثمانية لكن أكبر اللغات التي حافظ عليها اللسان المغربي هي اللغتين العربية والأمازيغية، فاذا كانت الأمازيغية أو الليبية هي لغته الأصيلة ومنبع هويته، فإن اللغة العربية وفدت مع الدين الاسلامي الذي أعطى لهذه المنطقة هوية وشخصية حضارية جديدة.

أولا- وحدوية الأصل واللسان:

كان المغاربة قبل وصول الاسلام خلال القرن السابع ميلادي يتحدثون اللغة الأمازيغية المحلية التي تتسم بالشفهية رغم المحاولات العديدة من أجل خلق أحرف وأبجديات لها، ورغم ذلك فإنها ساهمت بشكل كبير في توحيد الانسان المغربي من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وخلق هوية مشتركة مع اختلاف طفيف في النطق بين الشنوية والشلحية والقبائلية والشاوية والترقية والميزابية... ورغم أن التدخلات الأجنبية حاولت نشر لغاتها المختلفة كالبنونية واللاتينية والإسبانية والعثمانية إلا أن الفرد المغربي تمسك بلهجته المحلية والمعروفة بالتيفيناغ (الأمازيغية) خاصة في المناطق الجبلية المعزولة³، وبعد وصول الدين الاسلامي الذي جلب معه اللغة العربية لمنطقة المغرب رحب بها المغاربة ولم يجدوا أي مشكل أو حرج في الجمع بين اللغتين في حياتهم اليومية، ففي عهد أحمد الونشريسي كان الأذان في مسجد القرويين بمدينة فاس يصدح باللغة العربية ثم يليه الأذان بالأمازيغية، وهذا ما يدل على الانسجام والتجانس بينهما⁴.

¹ محمد أبي راس الناصري: لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق حمدادو بن عمر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص151.

² محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص203.

³ محمد الطاهر عزوي: (عوامل وحدة المغرب العربي)، مجلة التراث، ع8، جمعية التاريخ والتراث الأثري، الجزائر، 1989م، ص199.

⁴ محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2000م، ص430.

إن وحدة اللغة عنصر أساسي في دعم التواصل الثقافي بين الشعوب إذ هي أداة للتعاون والتفاهم، ووسيلة استمرار وتطور للحضارة، فبعد مرحلة الفتح العسكري لمنطقة المغرب انطلق العرب الفاتحون إلى الفتح الثقافي، وذلك من خلال البعثات العلمية التي وفدت من المشرق لأجل نشر اللغة العربية وبناء المؤسسات وسط منطقة لسانها الوحيد هو الأمازيغية، وقد ساهم القرآن الكريم في نشر مبادئ وأسس اللغة العربية بشكل سريع وواسع في مختلف المناطق المغربية¹، وسرعان ما تبنى المغاربة اللغة العربية بل جعلوا منها لغة رسمية في التعبد والتعامل والعلوم من جهة، وأداة للتواصل والتعاون بين الجزائر والمغرب الأقصى من جهة ثانية، وسرعان ما ظهر إلى جانب اللغة العربية عدة علوم مرتبطة بها كالنحو والصرف والسير والأدب والتاريخ، والتي ساهمت بشكل كبير في تقريب الرؤى الثقافية والعلمية بين النخب العاملة بالبلدين، وقد ساهم في انتشار اللغة العربية بمنطقة المغرب أكثر قيام دولة الأدارسة بمدينة فاس، فقد أصبحت عاصمة للحضارة والثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب².

هذه السرعة في التغلغل والانتشار الواسع للغة العربية بمنطقة المغرب جعلت المؤرخ الفرنسي غابرييل كامب يتساءل عن السر في ذلك خاصة إذا عرفنا بأن الرومان ورغم قوتهم العسكرية والحضارية عجزوا في فرض المسيحية واللاتينية بهذه المنطقة، كما يتساءل عن ابقاء بعض المجتمعات على لغتها رغم تقبلها للإسلام مثل الفرس والأتراك عكس البربر، وهنا يرجعه كامب إلى ذهنية المغاربة الذين أحبوا الإسلام وتعلموه بأصوله، فاللغة العربية كانت بمثابة لغة هذا الدين الذي لا يمكن فهمه من دون إتقانها والتحكم فيها وبذلك كان الاندماج سهلاً³، كما يرى موريس لومبارد صاحب كتاب الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي بأن أسباب انتشار اللغة العربية بمنطقة المغرب بشكل واسع وسريع لكونها لغة القرآن من جهة، ومن جهة ثانية فقد سبقها اللغة الأبجدية الفينيقية ذات الأصل الكنعاني المشرقي فكانت بمثابة التمهيد لها⁴، وإذا حاول كل من كامب ولومبارد البحث عن السر وراء هذا الانتشار العميق للغة العربية بمنطقة المغرب، فإن جاك بيرك اعتبر بأن منطقة المغرب تخلفت ثقافياً وحضارياً بعدما تبنت اللغة العربية كلسان لها في العلوم⁵.

¹ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص 65.

² علي محمود الجندي: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، مصر، 2004م، ص 263.

³ غابرييل كامب: البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2010م، ص 223.

⁴ موريس لومبارد: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1998م، ص 79.

⁵ الأخضر شريط: في الثقافة والمعامل الاستعماري، ط 1، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012م، ص 66.

لقد كان لمبادئ الإسلام العادلة وتطبيقاته السياسية والاجتماعية الأثر الفعال في انتشاره خلال مدة قياسية بكل من الجزائر والمغرب الأقصى، واستطاع أن يوحد بين القطرين باعتباره نظاماً عادلاً ينشد الوحدة وينبذ التفرقة، فتمكن من تطوير ثقافة البلدين وتوحيدهما، ووقف في وجه التحديات الجغرافية والنعرات القبلية بين البلدين، وأقام علاقة ثقافية بين الشعبين ترتكز على الإيمان وتنطلق من الدعوة المحمدية وتصطبغ بصبغة الشريعة الإسلامية¹، فبعد تجربة رحلية قادت ابن جبير إلى المشرق العربي جعلته يعبر عن إسلام المغاربة بأنه لا إسلام إلا في المغرب، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع².

* دور المذهب المالكي في تمتين شعائر الإسلام بالمغرب:

رغم أن منطقة المغرب عرفت مذاهب عديدة كالأوزاعي والحنفي والشافعي قبل وصول المذهب المالكي إلا أن هذا الأخير هو الذي ساد المنطقة في الأخير³، ويعتبر عبد الله بن فروخ (ت792م) أول من أدخل المذهب المالكي لبلاد المغرب الإسلامي، وبالضبط إلى مدينة القيروان بتونس، فقد كان تلميذاً لمالك بن أنس بالمدينة المنورة: وعنه قال هذا الأخير: (هذا فقيه أهل المغرب)⁴، وقد كان بمدينة القيروان عديد الطلبة الجزائريين الذين تتلمذوا على يد ابن سحنون وابن سعيد التنوخي - وهما من كبار الشيوخ المالكية بإفريقية -، ونخص بالذكر النعمان ابن المنذر المجاني، وعلي بن الصبار قاضي ميله⁵، وقد ساهمت الدولة الرستمية بتبهرت في نشر المذهب المالكي بشكل واسع بالمغرب الأوسط وبالخصوص العلامة ابن الصغير المالكي. أما المغرب الأقصى فقد تغلغل المذهب المالكي على يد الأدارسة الذين لم ينسوا موقف الإمام مالك مع العلويين⁶، وهذا ما جعل إدريس مؤسس فاس يقرباً بحقية مالك في سيادة المذاهب بالمغرب الأقصى حيث قال لأتباعه: (نحن

¹ محمد أبو الأجنان: (العلاقات بين فقهاء المغرب العربي خلال القرون الثامن والتاسع والعاشر هجري)، ضمن كتاب بناء المغرب العربي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1983م، ص115.

² محمد ابن جبير: الرحلة، ط2، دارصادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص55-56.

³ سعيدة لوزري: المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره بين القرنين 11-09م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م، ص60.

⁴ قادة سيع: المذهب المالكي بالمغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2004م، ص26، 45-46.

⁵ مسعود فلوسي: (المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر)، ضمن أعمال الملتقى الوطني حول المذهب المالكي في الجزائر، الجزائر، 2004م، ص70-71.

⁶ عبد العزيز بن عبد الله: (فاس عاصمة المملكة منذ اثني عشر قرناً)، مجلة الأكاديمية، ع25، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المملكة المغربية، 2008م، ص129-130.

أحق باتباع مذهبه وقراءة كتابه - ويقصد به الموطأ -) ، وقد فرض مذهبه بشكل رسمي بالمغرب الأقصى بعد تعيين محمد بن سعيد القيسي أحد تلامذة مالك على رأس القضاء بفاس¹.

وتطرح مختلف المصادر والمراجع التاريخية التي درست الحركات المذهبية والحياة الدينية ببلاد المغرب عديد الأسئلة حول قوة وسرعة تغلغل المذهب المالكي في نفوس المغاربة، فهل يرجع ذلك لطبيعة هؤلاء ومزاجهم المبني على البداوة والجدية وبالتالي النفور من التأويل والتفلسف؟ أم أن هذا المذهب هو الأقرب إلى روح الدين الإسلامي الذي يدعوا للوحدة والتسامح ونبذ التفرقة والتشتت؟ أم أن وجود مالك في المدينة المنورة، والتي كانت مقصد المغاربة في رحلاتهم الحجازية، وبذلك كان أولى المذاهب التي لامسها المغاربة وأخذوها؟، ومعروف أن المغاربة ليسوا بالشعوب التي تغير مكتسباتها دورياً² رغم الاختلاف الكبير بين بيئة المغرب وبيئة المدينة المنورة مسقط رأس الإمام مالك، وزد على ذلك الاختلاف الشاسع بين ذهنية وعقلية المغاربة وساكنة الحجاز، ويرى نجم الدين الهنتاتي بأن الغزو المالكي لوجدان المغاربة يعود لكياسة الإمام مالك في استدراج هؤلاء لمذهبه، وتلاؤم بعض أصول مذهب مالك مع الواقع المغربي³.

فقد أحب المغاربة مالك بن أنس كما أحبه هو، فقد كان يقربهم في مجلسه بل وخصص لهم مقعداً خاصاً يجلسهم بجانبه، وكان يسأل عن حال المغرب وأهله حتى أن طلبته المشاركة كانوا ينزعجون من ذلك ويقولون شغله المغرب عنا، ولم يكن حب مالك لهم من فراغ وإنما يعود لقوة الحفظ لديهم والذكاء والرغبة الجامحة في اكتساب العلم ونشره في منطقة المغرب⁴، ويضيف الباحث خير الدين سيب سبب آخر وهو أخلاق مالك المبنية على الكرم والجود واللين في معاملة المغاربة، فقد عرف ودرس شخصية الإنسان المغربي المعروف بالقسوة والغلاظة وأخلاقه الرفيعة، وميله للسماحة والكرم والجود، وبذلك عامل مالك طلبته من المغرب بهذه الصفات والأخلاق، فتمكن من اكتساب قلوبهم قبل عقولهم⁵ بينما يعتبر ابن خلدون بأن الرحلة السنوية للمغاربة نحو مكة والمدينة المنورة لأداء مناسك الحج والعمرة كان لها أثر كبير في جلب هذا المذهب لمنطقة المغرب⁶، فقد وجدوا في إمام دار الهجرة علم وافروسماحة مطلقة من دون أن ننسى فضل الأمويين

¹ علي محمود الجندي: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، 2004م، ص 269.

² الصادق الخوني: المرجع السابق، ص 69-70.

³ نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 11م، دار تير الزمان، تونس، 2004م، ص 60-64.

⁴ سعيدة لوزري: المرجع السابق، ص 35-36.

⁵ خير الدين سيب: (انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب)، ضمن أعمال ملتقى ملامح عن المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالتعاون مع دار الثقافة لولاية عين الدفلى، الجزائر، 2008م، ص 65.

⁶ عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1993م، ص 36-37.

بالأندلس الذين اعتمدوا هذا المذهب ونشروا أفكاره ومصنفاته¹، كما أن طبيعة المذهب بحد ذاتها والقائمة على مبدأ التسامح وعدم مصادرة الرأي الآخر ساهمت في شيوعه بالعالم الإسلامي².

وقد تنفذ المذهب المالكي بداية من القرن العاشر ميلادي في بلاد الغرب الإسلامي مع الأمويين في الأندلس، وزاد توهجا في عصر المرابطين بعدما انتصر لهم فقهاء المالكية هذه العلاقة الودية جعلت فقهاء المالكية يتنفذون أكثر من خلال اهتماماتهم بالجانب الاصلاحى والعقائدي والسياسي³، ويرى عبد الحميد حاجيات بأن المذهب المالكي تعرض لهزات عنيفة بمنطقة المغرب خلال العصر الوسيط إلا أنه خرج منها سالما، فقد تعرض لنكبة كبيرة خلال عهد الفاطميين والزيريين والموحدين، وذلك من خلال إحراق المصنفات الفقهية المالكية وملاحقة الفقهاء، وقد زادت هذه النكبة فقهاء المالكية عزما على نشر هذا المذهب بنطاق واسع عبر مختلف الفترات الزمنية اللاحقة⁴.

ورغم أن ابن تومرت كان معاديا للمذهب المالكي إلا أنه لم يرد إثارة الفتنة في منطقة المغرب التي تدين بهذا المذهب، فاعتمد على التحايل من خلال وضع مؤلف جمع فيه الأحاديث النبوية الواردة في الموطأ وحذف منه الإسناد والاختصار، ولما قدم عبد المؤمن بن علي أمر بحرق كتب الفروع والاختصار على الأحاديث النبوية فقط، ولما تولى المنصور الموحدى الحكم عمد إلى محو المذهب المالكي تماما من ذاكرة المغاربة من خلال جمع كتب المذهب المالكي وحرقها، كما عاقب الفقهاء المالكية بالنفي والسجن وحتى القتل، كما حاول احلال المذهب الظاهري - نسبة لابن حزم الظاهري - مكان المذهب المالكي لا لشيء إلا لأنه كان المذهب الرسمي للمرابطين، والذي عانى ابن تومرت كثيرا من فقهاء⁵، وبذلك فتعتبر فترة الموحدين أصعب محنة مر بها المذهب المالكي في منطقة المغرب⁶، وبعد وصول بنو زيان لحكم المغرب الأوسط أعادوا للمذهب المالكي مكانته وتوجهه باعتبار أنه يشكل مذهب الأغلبية من ساكنة المنطقة، وقد كان الموطأ للإمام مالك (ت745م)

¹ علي محمود الجندي: المرجع السابق، ص269-270.

² أحميدة عميرواي: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، 2005م، ص76.

³ محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي بين القرنين 12-15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1999م، ص134.

⁴ عبد الحميد حاجيات: (ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين)، مجلة الحوار المتوسطي، ع15-16، جامعة سيدي بلعباس، 2017م، ص322-323.

⁵ توفيق الغليزوري: المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، ط1، دار ابن حزم، الرياض، المملكة السعودية، 2006م، ص623، محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، ص50-52.

⁶ محمد حسن العيدروس: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2009م، ص540، 571-572.

ومدونة الإمام سحنون (ت854م) هي المصنفات الرئيسية في مختلف المدارس والمساجد بتلمسان ومختلف حواضر المغرب الأوسط، وهذا ما جعل فقهاء وعلماء المالكية يلتفون حول بنوزيان¹.

كما ساهمت الدولة المرينية في تثبيت جذور المذهب المالكي بالمغرب الأقصى، فكان لعلماء وفقهاء المالكية الكلمة العليا في تسيير الدولة وفي حضرة السلاطين المرينيين، وهو السبب الذي أغرى ابن قنفذ القسنطيني لاختيار الوجهة المغربية على الوجهة التونسية رغم أن قسنطينة في ذلك الوقت كانت تابعة للدولة الحفصية، وذلك بسبب الحرية المطلقة للعلماء بالمغرب الأقصى والمناصب المعروضة على علماء المالكية هذا من جهة، ووجود العلوم العقلية الغائبة تماما بإفريقية في ذلك الوقت من جهة ثانية²، وهي الثقافة التي توارثها فيما بعد الوطاسيين والسعديين والعلويين واستعملوها كوسيلة لجذب مختلف علماء المالكية بمنطقة المغرب بصفة خاصة والوطن العربي والإسلامي بصفة عامة، وخلال القرن السادس عشر ميلادي أراد الفقيه الأندلسي أبا عبد الله محمد أن ينشر المذهب الظاهري بمدينة مراكش لكن فقهاء المالكية كانوا له بالمرصاد حيث أصدر في حقهم أبو القاسم بن سلطان القسنطيني كتابه الانتصار للسنة والرد على الطائفة الأندلسية، وقد كان الملك عبد الله الغالب السعدي في صف الفقهاء المالكية بل حرض هؤلاء العلماء والفقهاء بمحاربة هذا الفقيه، والرد عليه لأنه يشكل خطرا على الحركة الفكرية والمرجعية الدينية المغربية، وأمر بالقبض عليه وقتله³.

وخلال العصر العلوي تعرض المذهب المالكي لهزة قوية في عهد مولاي محمد بن عبد الله الذي حاول التخلي عنه واحلال مكانه المذهب الحنبلي تقليدا للمذهب السائد في شبه الجزيرة العربية إلا أن مولاي سليمان تمكن من إعادة رونق وتوهج هذا المذهب من جديد⁴، وفي الجزائر ورغم أن الدولة العثمانية اعتمدت المذهب الحنفي مذهبا رسميا لها إلا أن المذهب المالكي ظل محافظا على الصدارة والسيادة بأرجاء الجزائر، وذلك لاهتمامه بأحوال الرعية الشخصية والاجتماعية مقابل اهتمام المذهب الحنفي بالشؤون الإدارية والسياسية للدولة، والذي كان لا يخرج عن أسوار قصور الحكام والمساجد المعتمدة لهذا المذهب، فمدرسة الفقه المالكي كانت هي السائدة في كل أرجاء البلد بادية وحاضرة، وكمقارنة بسيطة بين مساجد

¹ عبد العزيز فيلاي: (التيارات الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 6ع، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 1999م، ص288.

² أحمد ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص32-35.

³ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، ص284.

⁴ محمد المنصور: (عهد السلطان سليمان استمرار أم قطيعة)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المملكة المغربية، 2008م، ص26.

مدينة الجزائر نجد حوالي مائة مسجد مالكي مقابل ثمانية حنفية¹، وقد كان بمدينة الجزائر مجلس للقضاء الأعلى - بمثابة محكمة عليا - تتكون من القاضي الحنفي المعين عادة من طرف السلطان العثماني إلى جانب المفتي الحنفي، وأيضا القاضي والمفتي المالكي والمعينان من طرف الباشا والديوان²، ويذكر الرحالة الألماني مالتسان بأن المساجد المالكية بالجزائر في بداية القرن التاسع عشر ميلادي كانت تتبع السلطان المغربي باعتبار أن الأتراك كانوا على المذهب الحنفي، وهذا ما جعل أتباع المذهب المالكي يعتبرون السلطان العلوي ولهم وخليفتهم الشرعي³.

* العقيدة الأشعرية وتقوية روابط الأخوة:

لقد شهد كل من المغرب الأقصى والجزائر منذ الأزمنة والعصور القديمة نفس العقيدة الدينية بداية بالوثنية مروراً بالمسيحية وصولاً إلى الدين الحنيف⁴ إلا أن رابطة الإسلام هي التي ميزت الأمة المغربية عن غيرها من الأمم المنقسمة إلى فرق مشتتة بين أفكار ومذاهب لا تطمئن النفس إلى سلامة نواياها وغاياتها⁵، وقد اختار المغربية العقيدة الأشعرية السنية عقيدة موحدة لهم، وذلك لبساطتها وفقاً لبساطة الإنسان المغربي البعيد عن الجدل المعتزلي القائم بالمشرق⁶، وتنسب العقيدة الأشعرية لأبي الحسن الأشعري (ت1032م)، ويعتبر أبو بكر محمد المرادي الحضرمي (ت1095م) صاحب كتاب الإشارة إلى أدب الامارة هو أول من أدخل العقيدة الأشعرية إلى المغرب⁷، فقد وصلت هذه العقيدة لمدينة القيروان بتونس، فسارع كل من ابن أبي زيد القيرواني (ت996م) صاحب الرسالة وأبا الحسن القاسبي (ت1012م) إلى اعتناقها، وسعوا لنشرها في المغربين الأوسط والأقصى حيث وصلت لمنطقة ورجلان بالجزائر لكن أتباع هذه العقيدة تعرضوا لنكبة كبيرة وابتداء جماعية من طرف معتنقي المذهب الإباضي خلال القرن الثاني عشر ميلادي⁸.

أما المغرب الأقصى فقد عرف العقيدة الأشعرية عن طريق دارس بن إسماعيل الجراوي الفاسي (ت968م) الذي انتقل للمشرق وجلب معه عقيدة الأشعري، وبمجرد وصول المرابطين للحكم دخلت العقيدة

¹ مصطفى بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام - نموذج الجزائر في العهد العثماني - مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الامارات العربية المتحدة، 1999م، ص86-88.

² أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر... المرجع السابق، ص61، عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ص70-72.

³ هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ج1، ترجمة أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ص26.

⁴ محمد الطاهر عزوي: المرجع السابق، ص198-199.

⁵ بيبوتي: (الوطن المغربي)، مجلة دعوة الحق المغربية، تعريب محمد الدكالي، ع4، ص3، وزارة عموم الأوقاف، الرباط المملكة المغربية، 1960م، ص52.

⁶ محمد الطاهر عزوي: المرجع السابق، ص198-199.

⁷ أبو الدهاج زاير: العقيدة والدولة في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013م، ص184.

⁸ علاوة عمارة: المرجع السابق، ص27.

الأشعرية في صراع سياسي مع حكام هذه الدولة، وذلك بتحريض من فقهاء مدينة مراكش¹، وهو ما جعل فقهاء الأشعرية ينشطون أكثر بمدينة فاس حتى قيل عن أهلها: (متمذهبون بمذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس، ويتبعون عقيدة إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبي الحسن الأشعري، ويقرؤون بقراءة نافع المدني)²، وبعد قيام دولة الموحدين ودعم ابن تومرت للأشاعرة ترسخت في ذهنية المغاربة ككل، ولذلك يقول ابن السبكي في طبقاته: (والمغاربة لا يحتملون أحدا يعارض الأشعري في كلامه ولا يعترض عليه)³، فرغم أن ابن تومرت جلب مذهب المهديّة للمغرب، والخليط بين عدة تيارات ومذاهب كلامية، وجسد هذه الآراء في كتابه الإمامة لكنه اعتمد الأشعرية كعقيدة رسمية للدولة الموحدية، وعبر عن آراءه لهذه العقيدة في كتابه المرشدة، وبذلك يمكن القول بأن العصر الذهبي للأشاعرة بالمغرب كان خلال عهد الموحدين⁴. هذا التشجيع للأشعرية جعل المغاربة يفضلونها عن بقية العقائد كالمعتزلة والشيعة والخوارج، والتي انحصرت في مناطق محدودة فقط على اعتبار أن الأشعرية ارتبطت بالمذهب المالكي المتجذر بأوساط المغاربة منذ القرن الثامن ميلادي⁵.

ويمكن القول بأن القرن الخامس عشر ميلادي عرف تجذر العقيدة الأشعرية بالجزائر ومنطقة المغرب بشكل نهائي، وذلك من خلال العلوم الدينية واللغوية التي ارتبطت بها بشكل كبير، فمختلف المصنفات الخاصة بالفقه وعلم الكلام والمنطق والعقائد كانت مرتبطة بهذه العقيدة⁶، وقد زاد توهجها أكثر مع العلامة محمد السنوسي من خلال المؤلفات العديدة التي تركها في العقيدة، والتي أصبحت من المصادر الأساسية في مختلف المدارس والمساجد بمنطقة المغرب⁷، وخلال العصر الحديث يعتبر أحمد المقري من كبار علماء المغرب الذين اهتموا بالعقيدة الأشعرية من خلال مؤلفه إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، والتي تتكون من خمسمائة بيتا حيث يذكر المقري بأن علم أصول الفقه من أشرف العلوم التي يجب على المسلمين معرفتها ويقول في هذا الصدد:

¹ محمد المغراوي: (تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي)، ضمن كتاب التاريخ والفقه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2002م، ص 133-138.

² محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج 1، ص 79، عبد العزيز بن عبد الله: فاس عاصمة المملكة...، المرجع السابق، ص 129-130.

³ محمد حاج سعيد: المرجع السابق، ص 136-137.

⁴ البشير غانية: الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين 1086-1238م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2016م، ص 86-88.

⁵ أمين كرتالي: الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين 15-16م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م، ص 25.

⁶ خالد بلعربي: (الحياة الثقافية بتلمسان في عصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي)، مجلة عصور، ع 17، جامعة وهران، الجزائر، 2011م، ص 164.

⁷ عبد العزيز الصغير دخان: الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، دار كردادة للنشر، الجزائر، 2011م، ص 147.

وعلم أصول الدين مشهور الشرف ... وخيره المنثور ما له طرف
وكيف لا وهو مفيد للورى ... علما بمن انشأهم وصورا
وحكمه على البرايا انحتما ... وبالنجاة فاز من له انتهى
لأنه بنوره ينقذ من ... ظلمة تقليد كنفعه ضمن

وقد ألف المقري هذا المصنف في القاهرة بمصر بعدما ألح عليه طلبته هناك بكتاب في العقائد معتمدا
بشكل أساسي على عقائد السنوسي حيث يذكر:

كما تولى بسطه السنوسي ... مغترفا من فيضه القدوسي
وقد أخذت كتبه درايه ... عن تلقى في العلوم الرايه
عمي سعيد الإمام المقري ... عن ابن ملال عن الحبر السري
سعيد الشهير بالكفيف ... عن السنوسي الرضا العفيف
مؤلف العقائد الشهيره ... وفضله كالشمس في الظهيره¹

ومن مؤشرات الاهتمام بالعقيدة الأشعرية بالجزائر خلال العهد العثماني لما قام الباي محمد الكبير
بتشييد المدرسة المحمدية بمدينة معسكر أين مدحها بعض الشعراء والأدباء، ومما جاء في أبيات الأديب
الحاج أحمد القرومي قائلا:

تحويه مدرسة غدت آثارها ... تحييه بالعلم الشريف الأشعري
تمحي رسوم الجهل من ألواحه ... تحي شمائله عن الزور السري²

لقد جلب الدين الاسلامي معه للمغاربة عديد المعطيات ذات البعد التوحيدي الجامع، فبالإضافة
للمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية اكتشف المغاربة فكرة الولاء للسلطة المركزية والخلافة الاسلامية الموحدة
الموجودة في المدينة المنورة ودمشق وبغداد، والزكاة التي تساهم في خلق عدالة اجتماعية وتزود الفرد بشعور
الوحدة والاتحاد والقوة، وعنصر الجهاد الذي يشخذ الهمم ويوحد الصفوف ضد الأعداء³، كما عرفوا أيضا
مصطلح الدولة كفكرة وبنية شمولية جديدة تناوى كل البنيات التجزئية القديمة المعتمدة خلال حكم
الممالك، وكذلك مصطلح الأمة فقد تكون هذا المصطلح بطبيعته ووظيفته التوحيدية في نفوس المغاربة،
ولعب دورا قويا في توحيد أقطار المغرب والتواصل بين أجزائه⁴، ولكن الاشكال المطروح حسب الباحث

¹ فريد الجمالي: (منيح الاعتقاد عند المقري قراءة في إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة). مجلة قطر الندى، ع2، جمهورية إيرلندا،
2008م، ص11-15.

² أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص87.

³ عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج1، ص197-198.

⁴ محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب... المرجع السابق، ص70-71.

محمد القبلي هل يمكن استعمال مصطلح الدولة لدى مختلف الكيانات السياسية التي كانت بمنطقة المغرب قبل وبعد الموحدين والمرابطين؟ ونخص بالذكر الأدارسة والحماديين والزييريين والرستميين والأغالبة والزيانيين والمرينيين والحفصيين.

حيث يرى القبلي بأن الكيانات السياسية التي تستحق مصطلح الدولة هم الموحدون والمرابطين وبدرجة أقل المرينيين، ويستند في ذلك إلى الفكر التوحيدي لدى هذه الدول لأقطار المغرب باعتبار أنه كيان جغرافي وبشري وحضاري واحد منذ أقدم العصور، وكل الدول التي تعاقبت على احتلاله اعتمدت على نفس النظرة¹، كما ساهمت مؤسسة المسجد والزواوية في تقوية الروابط الروحية بين أهالي وساكنة البلدين ما أدى إلى بروز فكر ثقافي واحد، فقد لعب المسجد دورا كبيرا في نشر السماحة والثقافة والعلم في مختلف الأقطار المغاربية بحواضرها وأريافها.

ويمكننا القول من خلال ما قدم بأن الدين الإسلامي كان له أثر واضح ومباشر في عملية التمازج الحضاري بين الجزائر والمغرب الأقصى من خلال المبادئ العادلة والأسس الاجتماعية والسياسية التي قام عليها، والتي تنبذ التفرقة وتنشد الوحدة والمساواة بين الغني والفقير وبين الرئيس والمرؤوس وبين القبائل والأعراش المتنافرة والمتصارعة، كما ساهمت العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه والعقائد والسيرة في انتشار ثقافة التسامح والمعاملة الحسنة بين أفراد المغرب الذين كان يغلب عليهم طابع العصبية والنزاعات القبلية.

ثالثا/- الغزو الأيبيري والهجرة الأندلسية:

في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي عرف كل من المغرب الأقصى والجزائر ما بين ضعف بنو مرين وبنو زيان من جهة وظهور السعديون والأتراك من جهة ثانية مرحلة فراغ رهيبه ساهمت في بروز أطماع أجنبية التي كانت تراقب الوضع من بعيد، وتنتظر الفرصة السانحة لافتراس السواحل المغاربية.

وقد غدت هذه الأطماع عديد المبررات والأسباب التي اختلفت الدراسات في تشخيصها، فعبد الجليل التميمي يرى بأن الهجمات الإسبانية والبرتغالية على السواحل المغاربية في نهاية القرن التاسع هجري الخامس عشر الميلادي كانت تحمل في طياتها صبغة دينية استنادا لتصريحات ملوك إسبانيا إيزابيلا وفرديناند وشارل الخامس وفيليب الثاني بمباركة من الكنيسة²، كما أن الهجرة الأندلسية نحو السواحل المغاربية بداية من منتصف القرن التاسع هجري الخامس عشر الميلادي وتخوف الإسبان والبرتغاليون من رد

¹ محمد القبلي: الدولة والولاية والمجال المرجع السابق، ص73.

² عبد الجليل التميمي: (الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني على الأيالات المغربية في القرن السادس عشر)، المجلة التاريخية المغربية.

ع 10-11، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1978م، ص 25-05.

فعل هؤلاء جراء الممارسات الشنيعة في حقهم من تقتيل وتنكيل ونفي ومحاكم تفتيش كان سببا قويا لأوروبا لتوجيه ضربة قوية استباقية لأماكن تواجد هؤلاء بالسواحل المغربية¹.

والاستثمار في الضعف الداخلي الذي كان يدب في كل من الدولة الزيانية والمرينية المتصارعتين من أجل سيادة منطقة المغرب² من دون أن ننسى النشاط البحري-المعروف بالقرصنة من طرف الغرب، والذي ازدهر بشكل كبير بمطلع السادس عشر ميلادي مع الهجرة الأندلسية كرد فعل وانتقام من قبل هؤلاء ضد السفن الإسبانية والبرتغالية، فاتخذوا من مدن سلا وتطوان والجزائر وبجاية مراكز لانطلاقاتهم، ولذلك كان لابد على الأوروبيون من رد فعل دفاعا عن مصالحهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط والسواحل الأطلسية³، كما كان لظهور النهضة الأوروبية دورا مهما في هذه الغزوات من أجل ضمان أسواق خارجية ومواد أولية، فانطلقت معها عملية الكشوفات الجغرافية نحو العالم الجديد حيث وجدوا في افريقيا الشمالية ملاذهم كبوابة للولوج لعمق القارة السمراء الغنية بالعاج والذهب والعييد⁴. هذه المغريات التي وجدها الاسبان والبرتغاليون في سواحل المغرب الأقصى والجزائر أدى لحدوث شبه صراع بينهما من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من الغنيمة، فكان لابد للكنيسة بقيادة البابا إسكندر بورجيا أن تتدخل وتبرم بينهما اتفاقية صلح بداية بمعاهدة توردي سيلاس سنة 1494م ثم معاهدة فيلا فرينكا سنة 1509م أين تحصلت بموجبهما البرتغال على سواحل المغرب الأقصى المتوسطية والأطلسية بينما غنمت إسبانيا السواحل الجزائرية والتونسية والليبية⁵.

بموجب هذه الاتفاقيات انطلقت البرتغال في احتلال كل من تطوان سنة 1401م، وسبتة 1415م، والقصر الكبير 1458م، وأنفا 1465م، وطنجة 1471م، وأصيلا 1479م، ومازكان 1502م، وأغادير والعرائش 1505م، وأسفي 1508م، وأزمور 1513م، والجديدة 1514م، والمعمورة وحصن فونتي بالجنوب سنة 1515م بينما كان من نصيب الاسبان كل من مليلية سنة 1497م، وغساسنة 1504م، وحجر بادس 1508م، وسبتة التي أصبحت إسبانية بعد ضم البرتغال لإسبانيا من طرف فيليب الثاني سنة 1580م، ولم تبقى من المدن الساحلية المغربية غير المحتلة سوى مدينة سلا⁶، ووفقا لاتفاقية فيلافرينكا فقد تحصلت إسبانيا على السواحل الجزائرية بداية من عنابة مؤقتا سنة 1463م، والمرسى الكبير 1505م، وتنس ومسرغين 1507م،

¹ Robert Laffitte: *C'était l'Algérie*, éditions Confrérie Castille, France, 1994, p394.

² أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر... المرجع السابق، ص 56.

³ Haedo Fray Diego: *Topographie et Histoire générale d'Alger*, 3 édition, traduction Berbrugger et Monnerau, édition Grand Alger Livres, Alger, 2007, p23-26.

⁴ Mahieddine Djender: *Introduction à l'histoire de l'Algerie*, éditions ENAG, Alger, 2006, p143-144.

⁵ محمد دراج: المرجع السابق، ص 99-100.

⁶ عبد اللطيف الخطيب: (تاريخ حملة البرتغال على المغرب في المصادر البرتغالية). مجلة دعوة الحق المغربية، ع4، ص7، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1964م، ص25-28.

ووهران 1509م، وبجاية 1510م، ومستغانم 1511م. أما مدينة تلمسان فقد دخلت تحت الحماية الإسبانية سنة 1512م بعد وفود الملك محمد الخامس الزياني على إسبانيا لتقديم الطاعة والولاء والالتزام بدفع ضريبة سنوية وتمويل الحماية الإسبانية بوهران، ثم جاء الدور على مدينة هنين سنة 1531م التي تعتبر منفذ تلمسان البحري للتجارة الخارجية¹.

بعد استعراض الخارطة الجيوسياسية الجديدة التي طرأت على منطقة المغرب من احتلال إسباني وبرتغالي، وضعف الدويلات المحلية وعجزها في الدفاع عن السواحل والثغور، وظهور مجموعة من الامارات المحلية التي أرادت أن تفرض نفسها كبديل لهذه الدويلات كان لابد من ظهور قوى سياسية جديدة في المنطقة تستعيد السواحل وتحمي الثغور تمثلت في الأتراك بالجزائر والسعديون والعلويون بالمغرب الأقصى، وفي ختام هذا العنصر يمكن القول بأن الصلات بين الجزائر والمغرب الأقصى تعود إلى فترات متقدمة من الزمن يصعب علينا تحديد بدايتها بدقة، وأن الحدود الجغرافية والسياسية التي رسمتها مختلف الكيانات والدول المتعاقبة لم تعطل من عملية التمازج والتواصل الثقافي بين البلدين، كما أدى الغزو الإسباني والبرتغالي للسواحل الجزائرية والمغربية إلى تغيير خارطة تموقع الحواضر بالبلدين أين انتقلت الزعامة السياسية والثقافية من مدن تاريخية عريقة كفاس وتلمسان إلى مدن أخرى كالجزائر ومراكش.

* الهجرة الأندلسية للسواحل المغربية وأثرها الثقافي:

تعود أول هجرة أندلسية نحو بلاد المغرب لسنة 818م حيث انتقل حوالي عشرون ألف أندلسي من أهل الربض ضواحي قرطبة ونزلوا بقبيلة مغراوة، وقد صادفت هجرتهم هذه قيام دولة الأدارسة بمدينة فاس حيث اقترح إدريس الثاني على هؤلاء أن ينزلوا بمدينة فاس، وقد خلق لهم عدوة تسمى بالأندلسيين وجامعا خاصا يسمى بجامع الأندلس، وقد كانت الهجرة الثانية سنة 1371م بعد سقوط مدينة إشبيلية بينما كانت أشهر هجرة سنة 1492م اثر سقوط مدينة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس وصولا لهجرة 1609م اثر صدور قرار فليب الثالث بطرد مسلمي الأندلس².

فبعد سقوط مدينة غرناطة آخر معاقل الأندلس طلب المسلمون المتواجدون هناك من فقهاء المغرب فتوى حول وضعيتهم، فتكفل الفقيه أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي بإصدار فتوى حول واجب وفريضة الهجرة من موطن الكفر إلى موطن الاسلام مستندا لقوله تعالى في سورة النساء: (ألم تكن أرض الله واسعة فيهاجرؤا فيها) حتى لا تكون للمسلمين حجة للبقاء هناك في بلاد الكفر³، والهجرة في هذه الحالة عند

¹ Aramburu: ORAN ET L'OUEST ALGERIEN AU 18^{ème} SIECLE, présentation et traduction par Mohamed EL KORSO et Mikel DE EPAEZA , Bibliothèque Nationale, Alger, 1978, p35-36.

² محمد الكوخي: سؤال الهوية في شمال إفريقيا، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014م، ص 227-228.

³ محمد رزوق: الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب.... المرجع السابق، ص 148-149.

الونشريسي فريضة على المسلم إلى يوم القيامة، ولا يمكن المكوث في هذا البلد إلا في حالة العجز الذي يثبت وفقا للشريعة الاسلامية، كما هاجم الذين افتوا بالبقاء هناك ووصفهم بالمارقين في الدين والمفارقين لجماعة المسلمين¹، وكان يقصد بهذا العلامة الجزائري الآخر أبو العباس محمد أبو جمعة المغراوي الوهراني الذي أصدر فتوى يتيح فيها للمسلمين البقاء بالأندلس، والتظاهر بالمسيحية مقابل إبطان الاسلام مع ضرورة ممارسة شعائرهم الاسلامية داخل منازلهم².

وقد اختار الآلاف من الأندلسيين فتوى الوهراني على فتوى الونشريسي، وذلك بسبب صعوبة الرحلة والهجرة وترك ممتلكاتهم ومنازلهم هناك، كما أن تكاليف الهجرة لم تكن في متناول الجميع³، وبعد صدور فتوى الونشريسي من جهة وانتشار محاكم التفتيش من جهة ثانية وصل عدد المهاجرين الأندلسيين لسواحل المغرب بين (1492-1611م) إلى ثلاثة ملايين مهاجر⁴، وينقسم الأندلسيون الذين وصلوا لمنطقة المغرب عموما إلى قسمين الثغريون، وهم القادمون من مملكة أراغونا في بلنسية وكतालونيا، والمودخار وهم الذين قدموا من غرناطة وضواحيها، والذين برعوا في الزراعة والصناعة والثقافة بمختلف أصنافها⁵.

والدارس للهجرة الأندلسية لبلاد المغرب يرى بأنها تختلف بين أقطار المغرب، فالهجرة نحو المغرب الأقصى تعود للفترات الاسلامية الأولى من استقرارهم بالأندلس حيث حط بمدينة فاس حوالي ثمانية آلاف منزل، وقد شكلت النواة الأولى لمدينة فاس وسعي الحي الذين قطنوا به بعدوة الأندلس، وقد حملت هذه الهجرة المئات من المزارعين والصناع والتجار حيث انتشرت البساتين والمزارع بأحواز فاس، وازدهرت الأحياء الحرفية والصناعية، كما رافقهم أيضا المعلمون والعلماء والمثقفون، وشيدوا الجامع العتيق بمدينة فاس، والذي سمي بجامع الأندلس فأصبح منارة ثقافية وعلمية بارزة في المغرب الأقصى والغرب الاسلامي ككل، كما ساهم هذا المسجد في ربط جسور تواصل قوية بين أعلام المغرب الأوسط والمغرب الأقصى من خلال العشرات والمئات من المناظرات والمساجلات خلال العصر الوسيط والحديث⁶، وداخل المغرب الأقصى كانت الهجرة الأندلسية نحو مدينة سلا قوية ومعتبرة، وذلك لعدة اعتبارات أبرزها القرب الجغرافي لهذه المدينة من المدن الأندلسية، واطلالها على المحيط الأطلسي وامكانية الهجوم والغزو على مختلف السفن الاسبانية والبرتغالية بصفة خاصة والأوروبية بصفة عامة العابرة نحو إفريقيا جنوب الصحراء وطريق رأس الرجاء الصالح، فقد أعلن الأندلسيون بمدينة سلا الجهاد سنة 1610م بدعم غير مباشر من السعديون من جهة

¹ أحمد بن يحيى الونشريسي: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996م، ص 22-30.

² يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص 127.

³ فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج1، دار قرطبة، الجزائر، 2016م، ص 36-37.

⁴ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية ... المرجع السابق، ص 26.

⁵ اسماعيل جودي: الصناعة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009م، ص 68-69.

⁶ محمد رزوق: (الهجرة الأندلسية إلى المغرب)، مجلة دراسات أندلسية، ع16، تونس، 1996م، ص 17-18.

ورياس البحر الجزائريون من جهة ثانية حيث ازدهرت القرصنة البحرية السلاوية الأندلسية ضد السفن الأوروبية في عهد كل من المولى الرشيد ومولاي اسماعيل وحفيده محمد¹.

وعلى مستوى الجزائر فقد عرفت الهجرة الأندلسية نحو السواحل الجزائرية خلال عهد البيلربايات نشاطا جد مكثف، فحسن فينزيانو نقل لوحده حوالي ألفين أندلسي من أليكانت للجزائر بينما تمكن كل من صالح رايس وإيدن رايس من إنقاذ ستة آلاف من مسلمي بلنسية المضطهدين، ونجحوا في العودة بهم للجزائر بعد معركة شرسة ضد الأسطول الإسباني بجزر البليارس سنة 1528م² من دون أن ننسى محاولات علي في استعادة الأندلس، وذلك من خلال دعمه لثورة البشارات حيث جمع أربعة عشر ألف رجل من رماة البنادق وحوالي ستين ألف من مختلف أقطار الجزائر، وبالخصوص قبائل زواوة، وأرسلهم إلى مستغانم ومزغران من أجل تحرير وهران كمرحلة أولى ثم الوصول لإسبانيا وتحريرها من قبضة النصارى إلا أن المحاولة باءت بالفشل بعد استدعائه من طرف السلطان العثماني³، كما عرفت الجزائر هجرة من نوع آخر للأندلسيين، وهي الهجرة القسرية ففي سنة 1609م قامت السلطات الإسبانية - وفي إطار مشروع تشييد المستوطنات على أراضي وممتلكات المسلمين - بتهجير حوالي اثنين وثلاثين ألف أندلسي إلى مدينة وهران، والتي كانت خاضعة للحكم الإسباني، وقد وضع الأندلسيين استراتيجية محكمة للنهوض بالمدن الجزائرية، والتي تقوم على ترميم وتهيئة المدن العتيقة المهدامة من قبل الاحتلال الإسباني في شاكلة بجاية وشرشال والقل ومستغانم وهنين، وتوسعة المدن الصغيرة نوعا ما كمدينة الجزائر وبجاية وعنابة ودلس، وخلق مدن جديدة كالبليدة والقليلة⁴.

وأهم شيء بادربه الأندلسيون بمنطقة المغرب بعد تهجيرهم من موطنهم هو تشجيع حركة الجهاد ضد السفن المسيحية، وذلك من خلال المساهمة بأفكارهم وفتاويهم ومهارتهم العالية في صناعة السفن وقيادتها. وقد عبر الأسير الإنجليزي نايت سنة 1630م بأن الأندلسيون أصبحوا يتحكمون في السفن وملكية الأراضي والحرف، كما ساهموا في تطوير تقنيات البناء بمدينة الجزائر، وطوروا من شبكات الري وتصريف المياه الوسخة، وساهموا أيضا في نشر أشجار الزينة بصحون المدينة⁵، وأقاموا المزارع الكبرى وغرس الأشجار المثمرة كالكروم والزيتون والكرز والتوت الذي غرس لأول مرة بشرشال، وأشجار البرتقال بالبليدة ومتيجة، والقطن

¹ عبد الإله الفاسي: (تطور علاقات العدوتين الرباط - سلا بالبحر من القرن 17 إلى القرن 19 م)، ضمن كتاب البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني بالمحمدية، المملكة المغربية، د.ت، ص 227-230.

² عقيل نمير: (النظام العسكري للجزائر في العهد العثماني)، مجلة الدراسات التاريخية، ع 103-104، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، سورية، 2008م، ص 145-146، ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية... المرجع السابق، ص 145-148.

³ نبيل عبد العي رضوان: جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1987م، ص 272.

⁴ Mustapha Ben Hamouche: *Dar Es-Sultan l'algérois à l'époque ottomane*, Dar El Bassair, Alger, 2009, p.198-200.

⁵ Lemnour Merouche: *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane - Monnaies prix et revenus 1520-1830*, éditions Bouchène, Paris, France, 2002, p.205.

والأرز بمستغانم ومليانة، والعناب بمدينة عنابة، ودودة القز بالقليعة، وفي مجال الصناعة جلب هؤلاء خبرتهم في الصناعات الحرفية كالحداثة والخزف والجلود والأسلحة والحلي والمجوهرات والنسيج والسفن والأواني المنزلية، وتركزت هذه الصناعات أكثر في مدينة شرشال، كما اهتموا بصناعة المجوهرات وسك العملة أين نقلوا عملة الريال الفضي الاسبانية للجزائر، وتحكموا في التجارة الخارجية إلى جانب اليهود طيلة فترة البيلربايات¹.

من دون أن ننسى هندستهم الراقية في تشييد القصور والمدارس والمساجد بكل من مدن الجزائر وعنابة ومستغانم وقسنطينة وغيرها من الحواضر التي قطنوا بها²، وتعتبر مدينة وهران من أولى المدن التي وفد إليها الأندلسيون منذ القرن العاشر الميلادي وبالخصوص التجار والعلماء والحرفيين الذين ساهموا في تشييد المدينة³، كما أعطوا لمسة ثقافية لمدينة شرشال من خلال نمط العمران المدني والديني، وأبرز هذه المباني الجامع الكبير الذي شيد سنة 1573 على يد قاضي مدينة غرناطة محمد بن عيد الأندلسي، وأصبح من أبرز الرموز الثقافية والدينية لمدينة شرشال⁴، وبالإضافة لشرشال طوروا من النسق المعماري الديني لمدن الجزائر وتنس ودلس وجيجل، كما خلقوا مدن جديدة كالقليعة والبليدة وساهموا في إحياء بعض الحواضر التي كانت على مشارف الأقاليم الثقافي والاقتصادي في شاكلة عنابة وتلمسان ومستغانم⁵، ومقابل ذلك سمح الباشوات بتشييد زاوية الأندلس سنة 1624م على يد جماعة من الأندلسيين بعد شراء منزل بمدينة الجزائر وتهديمه وتحويله لزاوية تستقبل مختلف الأندلسيين الفقراء، وكانت في نفس الوقت مسجدا للصلاة ومدرسة لتعليم القرآن الكريم ومختلف العلوم اللغوية والشعرية⁶، وكان محمد الأبلي هو وكيل الزاوية واستمرت في النشاط لمدة قرنين من الزمن في التدريس⁷.

ومن حيث المساهمة الأندلسية في الجانب الثقافي بالجزائر العثمانية فقد تمكنوا من إعادة الزخم الثقافي لمدينة تلمسان من خلال الطراز المعماري الأندلسي الذي أصبح يميز المساجد والمدارس التلمسانية، كما حظ بمدينة تلمسان مختلف الفقهاء والعلماء الأندلسيون، وحاولوا تكسير الركود الذي كان يسود المدينة بعد

¹ عمارين خروف: العلاقات الاقتصادية... المرجع السابق، ص 26-28، 103.

² عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط خلال القرنين 16-17م ونتائجها الحضارية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1994م، ص 267-269.

³ وردة شرقي: المرجع السابق، ص 103-104.

⁴ يامنة بحيري: (الموروث الحضاري الأندلسي في شرشال)، مجلة الدراسات التاريخية، 14، جامعة الجزائر، 2012م، ص 208.

⁵ عبد القادر المليلق: تأثير ثورات الموريسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية 1492-1609م، رسالة ماجستير، جامعة غرداية، 2013م، ص 146.

⁶ ياسين بودريعة: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007م، ص 64.

⁷ مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر... المرجع السابق، ص 76.

هجرة خيرة أعلامها للمغرب الأقصى، فأصبح الجامع الأعظم بالمدينة يضاها القرويين بفاس والزيتونة بتونس من كثرة حلقات العلم وفتحوا بعض المدارس المغلقة¹، كما ساهموا في إدخال الخط الأندلسي لمنافسة الخط المغربي والكوفي، وبذلك أعطى لمختلف الكتابات رونقا خاصا²، كما ساهم الأندلسيون أيضا في إدخال بعض العلوم التي كانت شبه غائبة عن المقررات والمناهج المدرسية بالجزائر، كالمنطق والتاريخ والرياضيات، وسيطروا على منصب الافتاء لمدة معتبرة بمختلف الحواضر التي نزلوا بها لقوة الحفظ والبرهان والاقناع لديهم، كما أسس هؤلاء مدرسة بمدينة الجزائر عرفت باسم مدرسة الأندلسيين، وكانت بمثابة مدرسة عليا تهتم بتعليم القرآن الكريم وعلومه، وقد أوقفوا عليها أحباسا عديدة، وعرف المعلم الأندلسي في مختلف الحواضر الجزائرية بالجدية وحسن التربية والتحكم في أبجديات وفنون التدريس والتعليم³.

وعلى مستوى المغرب الأقصى ساهم الأندلسيون في تطوير وازدهار بعض المدن والحواضر التاريخية كفاس ومراكش بل وأسسوا حواضر ومدن جديدة كتطوان التي أصبحت قطب حضاري وثقافي وتجاري نشيط⁴ بعدما كانت خرابا لقراية قرن من الزمن، وقد خصص لهم سلاطين الدولة السعدية أراضي شاسعة بمدينة مراكش لغرس الأشجار المثمرة كالزيتون، وفي مجال الصناعة طور الأندلسيون من الصناعات الحرفية بالمغرب الأقصى كالحدادة والخزف والجلود والأسلحة والنسيج، وتركزت هذه الصناعات في كل من سلا وتطوان وفاس، كما أقاموا مصنعا للأسلحة بمراكش، وقد ساهم هؤلاء عن طريق التراث الذي جلب معهم من أوروبا في ربط جسور التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى من خلال نشر الفكر والعلوم والهندسة والفن والموسيقى، وتوحيد المناهج العلمية والميادين الثقافية بالبلدين⁵.

ومن أبرز علماء الأندلس الذين حطوا رحالهم بالجزائر خلال العهد العثماني ولعب دورا مهما في عملية التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى العلامة والمفتي محمد بن رأس العين الأندلسي⁶ الذي كان نائبا لسعيد قدورة بالجامع الكبير بمدينة الجزائر، وزار مدينة مراكش في رحلة سفارية ومدح ملكها أحمد المنصور الذهبي⁷، وكذلك الشأن لإبراهيم غانم الرباشي الذي وفد من مدينة غرناطة على تونس والجزائر، واستعمله

¹ أحمد بن زكري التلمساني: بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، تحقيق عبد الله بن يوسف الشيخ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1994م، ص 27.

² سيدي محمد بن سهلة ثاني: المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية الجزائرية تلمسان أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2014م، ص 223.

³ عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ... المرجع السابق، ص 230، 235-236.

⁴ محمد رزوق: التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ... المرجع السابق، ص 360: أحمد المقرئ: الرسائل ... المصدر السابق، ص 54.

⁵ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية ... المرجع السابق، ص 26-28، 103.

⁶ محمد بن رأس العين الأندلسي: هو محمد بن أحمد بن رأس العين ولد ونشأ بالأندلس قبل أن يحط رحاله بمدينة الجزائر، وعين نائبا للعلامة سعيد قدورة في الخطابة بالجامع الكبير، وكان شاعرا ومفتيا وفقهيا، وقال عنه أحمد المقرئ الأديب والرحالة ابن بطوطة زمانه سيدي محمد بن رأس العين حفظه الله، وكان حيا سنة 1648م، أنظر: (أحمد المقرئ: الرسائل ... المصدر السابق، ص 330).

⁷ محمد حجي: ألف سنة من الوفيات ... المصدر السابق، ص 153-154، 325.

الأتراك في صناعة المدافع، وقد وضع تأليفا حول هذه الصنعة سماه بالعز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع في خمسين بابا باللغة الاسبانية، وقد ترجمه للعربية أحمد بن قاسم الحجري الشهير بأفوقاي، وقد شاع استعمال هذا الكتاب في كل من الجزائر والمغرب الأقصى، وكان بمثابة المرجعية الواحدة في الصناعة العسكرية لحكام البلدين¹، كما تعتبر أسرة ابن المسايب من أبرز الأسر العلمية الأندلسية التي ساهمت في ربط جسور التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، فقد نزلت هذه الأسرة الأندلسية لأول مرة بمدينة فاس قبل أن ترتحل لمدينة تلمسان وهناك ولد ونشأ الشاعر الشهير محمد بن المسايب (ت1776م)، وهو ما جعله يحن بقوة لكل من تلمسان باعتبارها مسقط رأسه، وفاس لأنها كانت محطة مهمة لعائلته، والأندلس لأنها موطن الأجداد².

من دون أن ننسى بعض أقطاب العلم والتصوف بالجزائر والمغرب الأقصى الذين تعود أصولهم للأندلس، وساهموا في خلق جسورا للتواصل الثقافي بين أقطار المغرب لإحساسهم بأهمية مشروع توحيد الغرب الإسلامي بما فيه الأندلس والوقوف في وجه الامبراطورية المسيحية المتصاعدة، وعلى رأسهم أبو مدين شعيب الغوث الأشبيلي، والذي أصبح مرجعا موحدا للتصوف بالغرب الإسلامي ككل ومفخرة للأندلسيين، وأبو عبد الله الحلوي الأشبيلي الذي استقر بتلمسان وأصبح من أكابر أعيانها وعلمائها، والفقيه المالكي ابن الباروني اليحصبي الذي يمثل هزة وصل بين الأندلس وفاس وتلمسان التي توفي بها، وعلامة المغرب ككل محمد الأبلي شيخ ابن خلدون، والذي ولد بتلمسان وهو من أصول أندلسية وانتقل للدراسة بفاس، وأسرة العقباني الشهيرة بأعلامها الذين كانوا جسور تواصل بين تلمسان وفاس وهي من أصول أندلسية أيضا³، والعلامة الصوفي عبد الكريم بن محمد الأندلسي الذي وفد على منطقة الأبيض سيدي الشيخ سنة 1539م، وأصبح أحد أبرز تلاميذ القطب سيدي الشيخ بل ودفن قربه، وهو الذي ساهم برفقة شيخه بتأسيس الطريقة الشيخية التي كانت من أبرز الطرق الصوفية في ربط جسور التواصل بين الجزائر والمغرب الأقصى⁴.

كل هذه الشخصيات والأسر العلمية والأندلسية ساهمت بشكل فعال في تمتين العلاقات الثقافية والفكرية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال العصر الوسيط والحديث، وفي خاتمة هذا العنصر يمكن الاستعانة بقول محمد السعيد الزاهري يبين فيه العوامل والقواسم المشتركة بين الدول والشعوب المغاربية

¹ محمد حجي: (الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير)، ضمن أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، شفشاون، المملكة المغربية، 2000م، ص70-72.

² ليلي غويي: التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011م، ص53.

³ محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط خلال القرنين 13-15م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2016م، ص140، 138، 142.

⁴ Khelifa Benamara: La Sage des Boubekria Ancetres des Ouled Sidi Cheikh - Histoire et Hagiographie du Sud Ouest Algerien

-، 2^{eme} Edition, Librairie Djoudi Messaoud, Oran, Alger, 2002, p.89.

عامة، وبين الجزائر والمغرب الأقصى بصفة خاصة فيقول: (إن تاريخ بلاد المغرب واحد، وهو شديد الاتصال ببعضه البعض، فضلا عن الروابط الطبيعية والتاريخية وهناك الرابطة العرقية، فالمغاربة سلالة واحدة منحدره من البربر والعرب والترک امتزجت وصارت جنسية إسلامية مغربية، بالإضافة إلى الرابطة الحضارية من لغة ودين وعادات وأخلاق متقاربة ورابطة الوطنية المغربية، فلنسمي أنفسنا أبناء المغرب ولنندعو إلى الوحدة المغربية)¹.

III- ركب الحج المغربي ودوره الحضاري:

لقد كان الإنسان المغربي يحس بأن الفضاء الذي يعيش فيه لم يكن كافيا لإرضاء كل رغباته، ولذلك فقد حاول إعادة الاتصال بالمشرق بل وكان يتلهف لكل ما هو آت منه خوفا من انقطاعه عن جذوره المشرقية وارتباطه التاريخي والطبيعي واللغوي والديني²، ولذلك فقد كانت مكة المكرمة هي المقصد الأول والمنبع الروحي المفعم بالدلالات الدينية والرمزية لعلماء المغرب³، وبالنسبة للحج لدى المغاربة فقد كانوا يعتبرونه المحطة الأخيرة في قطار رحلة العمر بل ويتمنون الموت والدفن هناك، وقد كانت كتب التراجم تركز على الرحلة الحجازية لدى العلماء رغم امتلاكهم لرحلات عديدة في مختلف الأوطان في شاكلة ابن بطوطة والعبدي وابن رشيد السبتي⁴، فتلك الرحلة تختلف اختلافا جوهريا عن بقية الرحلات⁵، وكان هؤلاء العلماء يرون بأن شخصياتهم لا تكتمل إلا عندما يذكرون في كتيم خاصة المتعلقة بالرحلة والتراجم بأن لهم رحلة حجازية⁶.

أولا- المخلفات الحضارية للرحلات الحجازية المغربية:

وما زاد في قيمة هذه الرحلة هو حث النبي صلى الله عليه وسلم عليها إذ يقول في هذا الصدد: (إن الله تعالى يقول إن عبدا أصححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلى محروم)⁷، وقوله أيضا: (لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد

¹ محمد بلقاسم: الاتجاه الوجودي في المغرب العربي، ج1، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994م، ص163.

² عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات...، ج1، المرجع السابق، ص25.

³ رحمة بورقية: (رحلة التصوف سيدي أحمد البدوي من فاس إلى طنطا)، ضمن كتاب التواصل الصوفي بين مصر والمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2000م، ص72.

⁴ محمد ابن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العهد المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1985م، ص171.

⁵ الهواري ملاح: الإفتاء والمفتون في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2016م، ص218-220.

⁶ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص24-25.

⁷ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص19.

الأقصى¹، وكان الفرد المغاربي الذي لا ينتمي للعائلات الشريفة يلجأ لقب الحاج حتى يعوض به لقب الشريف من أجل كسب نوع من الاحترام من طرف العامة، ويرى أبو القاسم سعد الله بأن الفرد المغاربي يتوجه للحجاز لسبب واحد ووحيد وهو كسب لقب الحاج حيث يقول: (وكانت قلوبهم إلى البقاع المقدسة تسبق أرجلهم وخيالهم يتجاوز مرمى أبصارهم وأشواقهم إليها تنسبهم آلام الطريق وعناء السفر)²، ولم يقتصر استعمال لقب الحاج على العامة والعلماء فقط بل تعداه للحكام من الباشوات والدايات والبايات الذين كانوا حريصين على كسب هذا اللقب بل حتى جنود الانكشارية الذين طلبوا من حسين باشا رخصة من أجل التوجه لأداء فريضة الحج³، وكذلك الشأن لوكلاء الجزائر بالخارج كوكيل أزمير الحاج خليل⁴، وهذا ما يؤكد قيمة هذا الركن الاسلامي في نفسية الحكام الأتراك⁵.

ان انتماء هؤلاء الحكام الأتراك إلى العجم ولد لديهم عقدة تاريخية بأن الخلافة والحكم في قريش عكس سلاطين المغرب الأقصى الذين لم يكن يهمهم هذا اللقب بحكم انتماءهم للبيت القرشي، وبذلك فللقب الشريف بالنسبة إليهم أهم بكثير من لقب الحاج، ومما زاد أترك الجزائر اصرارا على كسب لقب الحاج هو اكتساب سلاطين بنو عثمان لقب خادم الحرمين الشريفين ثم لقب الخليفة اثر سيطرتهم على مكة والمدينة، وبسبب القيمة المعنوية والروحية لهذه الأماكن بذل الأتراك مجهودا كبيرا في اعطاء هذه الرحلة قدسية أكبر من خلال تأمين الطرق وحفر الآبار وتوفير كل سبل الراحة لقوافل الحجيج⁶، ولأهمية ورمزية الحج لدى الجزائريين كان ركب الحجيج يستقبل بالجامع الأعظم لمدينة الجزائر حيث يتوجه الناس إليه، ويشرعون في تقبيل ثيابهم وأيديهم طلبا للمغفرة والأجر.

إذا كان ركب الحج الجزائري واحدا ويعين أميره من طرف الباشا، وكان بيد عائلة الفكون لسنوات طويلة فان ركب الحج المغربي ينقسم إلى ثلاثة بداية بركب الحج الفاسي الذي يأتي من مدينة فاس، وهو ركب مهم غالبا ما يضم أبرز علماء وشيوخ المغرب الأقصى، كما يعتبر الركب الرسمي للدولة المغربية منذ العهد المريني، ويعين رئيسه من طرف السلطان العلوي، وكان يسمى بالركب الصالحي نسبة للشيخ أبو محمد صالح الذي قاد أول ركب حج مغربي نحو البقاع المقدسة انطلاقا من مدينة آسفي، وقد شيد هذا الركب رباطات عديدة لراحة الحجاج المغاربة في كل من مصر والشام، وركب الحج المراكشي وهو الركب الرسمي للدولة المغربية

¹ مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م، ص12.

² أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج1، المرجع السابق، ص177.

³ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية...، المرجع السابق، ص155.

⁴ خليفة حماش: وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني - مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج -، ج1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2016م، ص290.

⁵ مصطفى بن حموش: فقه العمران الاسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-1830م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية، 2002م، ص269.

⁶ جميلة معاشي: (أهمية رحلة الحج في السياسة العثمانية)، مجلة الهجرة والرحلة، ع1، جامعة قسنطينة، 2005م، ص41-43.

خلال عهد الدولة السعودية، وركب الحج السجلماسي وهو ركب خاص بالأسر الشريفة والقبائل الصحراوية وهو أقدمها¹، ومن أبرز الرحلات الحجازية المغربية في العصر الحديث نذكر رحلة عبد الواحد بن عاشر الفاسي التي قام بها سنة 1600م وسماها المرشد المعين على الضروري في علوم الدين أين رسم خلالها طريق الحج من المغرب الأقصى إلى الحجاز مارا بالصحراء الجزائرية².

ورحلة محمد بن أحمد القيسي السراج الملقب بابن مليح سنة 1630م، وسماها أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب³، ورحلة أحمد بن أبي محلي السجلماسي (ت1613م) الذي دون رحلته هذه في شكل فهرسة لأهم شيوخه وسماها الرسالة أو عذراء الوسائل⁴ لكن أشهر هذه الرحلات على الإطلاق رحلات أبو سالم العياشي الذي اخترق الصحراء الجزائرية في ثلاث مناسبات سنوات 1649م-1653م-1661م جمعها في مؤلف واحد سماه ماء الموائد أو الرحلة العياشية الكبرى⁵، وتعتبر من أهم المصادر المعتمدة لدراسة الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي للجزائر خلال القرن السابع عشر ميلادي، وكذلك الشأن لرحلة أحمد بن سعيد المجيلدي، وتسمى بالرحلة العياشية الصغرى أو التعريف والإيجاز ببعض ما تدعوا الضرورة إليه في طريق الحجاز حيث قام العياشي بخط رحلة حجازية لتلميذه المجيلدي سنة 1657م ذكر له فيها كل صغيرة وكبيرة تخص طريقه إلى الحجاز⁶.

ورحلة محمد بن سعيد المرغيثي(ت1678م) وهو الذي ذكر بأن أول رحلة حجازية مغربية كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم حيث وفد عليه سبعة رجال من قبيلة رجاجة أشرف قبائل مصمودة وعلى رأسهم شاكر بن يعلى بن واصل⁷، ورحلة أحمد الناصري الذي قام بثلاث رحلات حجازية مخترقا الصحراء الجزائرية سنوات 1684م-1697م-1709م⁸، والرحلة المقدسة لمحمد المرابط الدلائي (ت1688م)، وهي رحلة حجازية سجلها في ستة وثلاثون بيتا شعريا، ورحلة أحمد بن عبد القادر الفاسي سنة 1689م، والمسماة برحلة الآس في حجة سيدنا أبي العباس، ورحلة محمد بن الحسن اليوسي والمسماة برحلة اليوسي للديار المقدسة سنة

¹ محمد المنوني: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، المملكة المغربية، 1953م، ص7-9، جلول بن قومار: (هاجس الأمن عند ركب الحجاج المغاربة من خلال الرحلات الحجية خلال القرنين 17-18 م)، مجلة الحوار المتوسطي، مج12-13، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017م، ص13.

² عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات...، ج1، المرجع السابق، ص183-184.

³ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص8.

⁴ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص117.

⁵ مولاي بلحميسي: (مدينة ورقلة في رحلة العياشي)، مجلة الأصاله، ص6، ع41، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م، ص60.

⁶ محمد الكبير الفريقي: المرجع السابق، ص104.

⁷ عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات...، ج1، المرجع السابق، ص23.

⁸ محمد الكبير فريقي: المرجع السابق، ص304.

1690م، ورحلة أحمد بن محمد الهشتوكي في مناسبتين 1685م-1708م، والمسماة بهداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام¹.

ورحلة أحمد الأندلسي الفاسي التي خطها تلميذه أحمد القادري (ت1721م) الذي كان برفقته وسماها بنسمة الأس في حجة سيدنا أبي العباس، ورحلة عبد الرحمن الغنامي سنة 1729م المسماة برحلة القاصدين ورغبة الزائرين، ورحلة محمد الاسحاقي سنة 1731م برفقة الأميرة خنائة وحفيدها السلطان محمد بن عبد الله وتسمى بالرحلة الحجازية، ورحلة محمد أبي مدين الدرعي (ت1744م) والمسماة بالرحلة الحجازية، ورحلة عبد المجيد الزبادي سنة 1745م وسماها ببلوغ المرام بالرحلة لبيت الله الحرام، ورحلة محمد بن أحمد الجزولي الحضيكي سنة 1739م وتسمى برحلة الحضيكي أو الرحلة الحجازية، ورحلة محمد بن عبد الوهاب المكناسي سنة 1785م التي استمرت أكثر من سنتين ونصف قصد فيها استنبول في سفارة لمحمد بن عبد الله، ومنها قام برحلة حجازية وتسمى بإحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، ورحلة أحمد بن محمد الفهري الفاسي (ت1799م) وتسمى بالرحلة الحجازية، وآخرهم كان محمد بن عبد السلام الناصري الذي قام برحلتين الأولى سنة 1782م وتسمى بالرحلة الناصرية الكبرى، والرحلة الثانية سنة 1795م وتسمى بالرحلة الناصرية الصغرى².

ومن خلال تتبعنا للأستغرافية المغربية وخصوصا كتب الرحلة والتراجم وجدنا بأن عدد الرحلات الحجازية المغربية المكتوبة التي مرت عبر التراب الجزائري خلال الفترة المدروسة (منتصف القرن السابع عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي) ما يقارب خمسة عشر رحلة انحصرا لاختلاف بينها في الطريق المتبع بين الطريق البحري والطريق البري والطريق الصحراوي، وهي المبينة في الجدول التالي³:

الرقم	اسم الرحلة	تاريخ الوفاة	الطريق المسلك عبر الجزائر
01	المرايط الدلائي	(ت1679م)	الطريق البري الصحراوي
02	الحسن الـيوسي	(ت1690م)	الطريق البري الصحراوي
03	الرافعي الـتطواني	(ت1698م)	الطريق البحري المتوسطي
04	أحمد الـهشتوكي	(ت1714م)	الطريق البري الصحراوي
05	أحمد بن ناصر الدرعي	(ت1716م)	الطريق البري الصحراوي
06	أحمد الـقادري	(ت1720م)	الطريق البري الصحراوي
07	أبو القاسم الغنامي	(ت مجهول)	الطريق البحري المتوسطي

¹ محمد المنوني: قيس من عطاء المخطوط ...، ج2، المرجع السابق، ص965-967.

² عبد الرحمن المودن: البوادي المغربية قبل الاستعمار، منشورات كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، 1995م، ص115-116.

³ مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص655-661.

08	عبد القادر الاسحاقى	(ت1737م)	الطريق البري الصحراوي
09	أبو مدين الدرعي	(ت1744م)	الطريق البري الصحراوي
10	عبد المجيد الزبادي	(ت1750م)	الطريق البري الصحراوي
11	محمد بن الطيب الشرقي	(ت1756م)	الطريق البري الصحراوي
12	محمد الحضيكي	(ت1775م)	الطريق البري الصحراوي
13	أبو عثمان المكناسي	(ت1799م)	الطريق البحري ذهابا والبري التلي إيابا
14	محمد بن عبد السلام الدرعي	(ت1823م)	الطريق البري الصحراوي (الرحلة الكبرى)
			الطريق البري التلي الساحلي (الرحلة الصغرى)
15	أبو القاسم الزباني	(ت1834م)	الطريق البحري المتوسطي

وتعتبر القوافل الحجازية من الوسائل المهمة في ربط جسور التواصل الثقافي بين العلماء والطلبة من خلال تبادل الأخبار والمناقشات العلمية ومعرفة مستجد المصنفات، ولذلك فقد كانت قوافل الحج المغربية تستغل فترة الراحة بالمدن الجزائرية للاستفادة والإفادة من طلبة وعلماء ومتصوفة الجزائر¹، واقتناء ما هو جديد فيما يخص المصنفات العلمية ولو على قلتها مقابل عرض مختلف انتاجاتهم العلمية الجديدة على طلبة وعلماء الجزائر، فلا تكاد تخلوا رحلة مغربية حجازية من وصف ثقافي وعلمي للجزائر سواء بالمدح والثناء والاعجاب بالمؤسسات ومستوى الطلبة والشيوخ بها أو بالنقد والتحسر على الماضي المشرق لبعض الحواضر الجزائرية في شاكلة تلمسان وبجاية، والمؤسف في القضية أن أغلب هذه الرحلات المغربية الغنية والثرية بمختلف المعارف والمعلومات عن حال العلم والثقافة بالجزائر العثمانية إما أنها لم تدون أو أنها مازالت مخطوطة وحبيسة الخزائن المغربية، وفي مقابل ذلك كان حجاج وعلماء وطلبة الجزائر ينتظرون بفارغ الصبر الركب المغربي حتى يهبلون من شيوخه، ويسافرون معه حيث يذكر العياشي بأن حجاج توات كانوا ينتظرون الركب المغربي سنويا من أجل مرافقته².

وتعتبر مختلف الرحلات الحجازية المغربية التي مرت بالحواضر الجزائرية خلال العهد العثماني ذات ارتباطا صوفيا، فأغلب هؤلاء الرحالة كانوا ينتمون للطريقة الشاذلية بفروعها خاصة الناصرية، وبمجرد حلولهم بإحدى المدن الجزائرية عامة والصحراوية بالخصوص يجدون كل الترحاب والضيافة من قبل الزوايا والتي أغلبها تتبع الطريقة الشاذلية³، وبذلك فلم تسهم الرحلات الحجازية المغربية في ربط جسور التواصل الثقافي مع علماء الجزائر فقط بل تعدتها للمتصوفة، فالحج أداة للحصول على هوية صوفية وضرورة

¹ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية ... المرجع السابق، ص116.

² عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص39.

³ عبد الكريم فيريقي: المرجع السابق، ص305.

لتحقيق مختلف الأهداف الروحية من لقاء للشيوخ والمريدين وزيارة للأولياء والصلحاء والزوايا، والحصول على الأوراد والأحزاب والعمل على نشر الطريقة والدعوة لها في بعض الأحيان¹، وهذا ما سنلمسه في الفصل الخامس أين نجد أغلب الطرق الصوفية المغربية وصلت للجزائر أثناء قيام أصحاب هذه الطرق برحلات حجازية.

ثانيا/- الصلات الحضارية بين أعلام البلدين بشمال إفريقيا:

لم تقتصر عملية الاحتكاك والتواصل الثقافي بين طلبة وعلماء الجزائر داخل حواضر البلدين فقط بل امتد ذلك إلى المدن والبلدان التي تعتبر محطات لقوافل الحج المغربية أين كان المشاركة يعتبرون العالم الجزائري والمغربي والتونسي والليبي شخصا واحدا - يلقب بالعالم المغربي -، وهذا ما عزز أو أواصر الصداقة والمحبة والاعتزاز بالانتماء لهذا القطر المغربي الكبير، فقد سجلت لنا كتب الرحلة والتراجم عديد المناظرات والاجازات والمصنفات المتبادلة بين أعلام البلدين في كل من طرابلس الغرب ومصر والحجاز والشام، وسنحاول تتبع مختلف التفاعلات الثقافية بين طلبة وعلماء البلدين خلال رحلة الحج:

* تونس:

فلما حظ الحسين الورثيلاني رحاله بتونس وبالضبط بمدينة توزر وجد العلامة سيدي عبد القادر الفاسي يقرأ ويدرس التفسير بمسجدها، فاحتك به ووصفه الورثيلاني بأنه كان حافظا للروايات ناقلا لمذاهب العلماء فصيح اللسان وحلو الكلام، ولما عاد من رحلته الحجازية تأسف وحزن لما سمع بخبر وفاته واعتبره من خيرة علماء الاسلام في وقته²، وفي سنة 1780م انتقل مفتي المالكية بمدينة الجزائر الشيخ أحمد ابن عمار لمدينة تونس قصد الاستقرار بها للتدريس، ومن بين الشخصيات العلمية المغربية التي كانت حاضرة بدروسه نجد العلامة والسفير أحمد المهدي الغزال الذي سبق وأن حضر دروسه أيضا بالجامع الكبير لمدينة الجزائر سنة 1768م³.

وكذلك الشأن للرحالة والعلامة محمد أبي راس الناصري الذي زار تونس والتقى بالشيخ أحمد بن عبد الله السوسي المغربي سنة 1790م ودرس عنه وأجازه، كما قال عنه: (علم أعلام المعارف ومعظم حلل الدين والمطارف انبسط في العلم بنباهته وانقبض عن العالم بنزاهته ... شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن عبد الله السوسي المغربي نجارا التونسي دارا ووفاتا واقبارا ... وقد قلت له أحببت أن أكون من تلامذتك كي تهب علي نفحاتكم وسناء بركاتكم، فأجازني في جميع ما يتعلق بالدين ووصائله وفروعه وأصوله ومسائله، وكتب لي

¹ عبد القادر آيت غازي: (الرحلة الحجبية المغربية بين الدين والعلم والسياسة)، أعمال ندوة ركب الحاج المغربي والتواصل الروحي والحضارى بين المغرب والمشرق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بني ملال، المملكة المغربية، 2013م، ص40.

² الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص124.

³ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ... ج5، المرجع السابق، ص202.

بخط يده حفائظ كأنها عقيان أو درر، فهي عندي من نفائس ما يقتنى ويدخر، وكان على قدم من متانة الدين والتحقيق بكثير من مقامات اليقين ... ولما توفي ترك ألفي كتاب ومائتين رحمه الله¹، وبمدينة القيروان زار أبو راس العديد من أضرحة علماء المغرب الأقصى على غرار الشيخ أبي عمران موسى الفاسي (ت1038م)²، والشيخ أبو بكر بن علي الفاسي (ت1360م)، والشيخ عبد الله الهسكوري (ت1316م)، والشيخ محمد بن سحنون الدكالي (ت1297م)³.

* طرابلس الغرب:

لقد كانت طرابلس الغرب محطة مهمة لراحة قوافل الحج الجزائرية والمغربية، وهناك يحدث تواصل ثقافي بين طلبة وعلماء البلدين مثلما حدث بين أبو سالم العياشي وعاشور بن عيسى القسنطيني الجزائري⁴. حيث يذكر العياشي في رحلته ماء الموائد بأنه التقى بعاشور القسنطيني (ت1664) وطلب منه الإجازة، فأجازه الشيخ عاشور لفظا دون كتابة لضيق الوقت وقرب سفره، فناشده العياشي في مجموعة من الأبيات يقول له فيها:

للشيخ عاشور الإمام الأمجد ... حاوي الكمالات التقي الأرشد
مددت يدي لتنال كل فضيلة ... علما وذوقا من إمام مرشد
حاشا ترد يد إليك مددتها ... يا حائز أقصى العلا والسؤدد⁵

ومن جملة من التقى بهم العياشي أيضا من أعلام الجزائر بطرابلس الغرب أمير ركب الحج الجزائري سيدي محمد بن المسعود البسكري، وهو من عائلة دينية وعلمية كبيرة، والشيخ عبد الكريم الفكون (ت1663م) هذا الأخير حج معه وأحتك به وانتفع بعلمه وبركته وولايته، وطلب منه أن يكون من أتباعه، كما وصفه بالعلامة والفهامة والناسك والخاشع والجامع بين علم الظاهر والباطن⁶، وقد أخذ العياشي من الشيخ

¹ محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته...، المصدر السابق، ص50-51.

² أبي عمران موسى الفاسي: من علماء وصلحاء المغرب الأقصى ومدينة فاس تأثر به أبو راس الناصري كثيرا وذكره في عديد المواقع من مؤلفاته، أنظر: (محمد أبي راس الناصري: زهر الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق حمادو بن عمر، منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2011م، ص137).

³ محمد أبي راس الناصري: نبأ إيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تقديم وتعليق محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، تونس، 2012م، ص88-89.

⁴ عاشور القسنطيني: هو الشيخ عاشور بن عيسى القسنطيني المعروف باسم الفكيرين، وهو لقب والده ارتحل نحو تلمسان ومنها إلى المغرب الأقصى قبل أن يستقر بتونس والتي بها توفي سنة 1664م: أنظر: (محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص74، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص397).

⁵ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص488-489، محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1931م، ص314.

⁶ محمد الفاسي: المنح البادية في الأسانيد العالية، ج1، ط1، تحقيق محمد الصغير الحسيني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2005م، ص130، عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص96.

الفكون مرتين الأولى مباشرة عندما التقاه بطرابلس الغرب، والثانية بواسطة ابنه محمد¹ لما التقى به بطرابلس الغرب، وأخذ عنه واستعار منه مؤلفات والده ككتاب شرح أرجوزة المكودي في التصريف وديوانه في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكتاب محدد السنان في نحور إخوان الدخان، فقام بتلخيص الكتاب الأخير ثم رد هذه الكتب لصاحبها بعد سنة²، وهذا ما يؤكد بأن العياشي التقى بمحمد بن عبد الكريم الفكون في مناسبتين على الأقل، وقد شهدت طرابلس الغرب التقاء الشيخ سيدي عبد الله بن سحنون، وابنه سيدي الهاشمي من منطقة غريس بالغرب الجزائري بالعلامة والرحالة المغربي الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي أثناء رحلته الحجازية سنة 1709م³.

وبحكم أن ضريح العلامة المغربي أحمد الزروق الفاسي متواجد بطرابلس الغرب، فقد شهد زيارات عديدة لأعلام ومتصوفة الجزائر خلال العهد العثماني كالرحالة الحسين الورثياني الذي زار ضريح الشيخ واعتبره حي في قبره يستشعر ذلك من له ذوق سليم وطبع مستقيم، فنفس الفرد الصالح تتوق لزيارة الروح التي تسكن هذا الضريح على حد وصفه⁴، وفي الرحلة الحجازية الثالثة للعياشي سنة 1661م حط رحاله بضرخ أحمد الزروق الفاسي، ووجد بزوايته عديد المؤلفات ثلاث منها جزائرية بداية بحاشية الشيخ المشدالي على المدونة، وقواعد في الطب لأحمد الونشريسي، ومؤلف لعبد الرحمن الثعالبي لم يذكر اسمه مع إجازة خاصة بالثعالبي أيضا⁵، وقد اطلع عليهم وربما أخذ عنهم نسخ معه لزوايته الشهيرة بالمغرب - وهو الذي عرف عنه بجمع المؤلفات والمخطوطات، والعودة بها لخزانة الزاوية العياشية بالمغرب -، كما تؤكد بأن هذه المؤلفات وصلت لضرخ أحمد الزروق الفاسي عبر رحالة وعلماء جزائريون من قبل.

* مصر:

لقد كانت مصر وجامعها الأزهر من أكبر المناطق التي يتوق طالب العلم سواء الجزائري أو المغربي لزيارته والنهل من أعلامه، وقد خصص حكام مصر أحد أبواب الأزهر التسعة للمغاربة، فأصبح يسمى برواق

¹ محمد بن عبد الكريم الفكون: هو الفقيه العلامة محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون كان يتردد على الحرمين الشريفين مع والده، وبعد وفاة والده عبد الكريم أصبح محمد رئيسا لركب الحج المغربي، كما ورث عنه مناصب الخطابة والتدريس والافتاء بالجامع الكبير لقسنطينة، كما سير أحباس الجامع الكبير للمدينة توفي سنة 1702م، أنظر: (الدراجي بلخوص: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16-17م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012م، ص 37).

² أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص 91-92، محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص 74.

³ أحمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية 1709-1710م، تحقيق عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2011م، ص 732.

⁴ الحسين الورثياني: المصدر السابق، ص 198.

⁵ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج 1، ص 133.

المغاربة¹، فكانت له مكتبة خاصة، وإدارة تدير شؤون المغاربة الذين يدرسون به أو الذين يمرون عليه، وبفعل الأوقاف المحبوسة عليه من قبل تجار المغاربة أصبح هذا الباب يتمتع باستقلالية مالية عن المسجد²، وكان هذا الرواق يعرف احتكاكات وتواصلًا ثقافيًا بين طلبة وعلماء الجزائر والمغرب الأقصى، ومن جملة اللقاءات التي تمت بين علماء البلدين بمصر نذكر لقاء أحمد ابن القاضي وداود التلمساني حيث يذكر العلامة المغربي ابن القاضي أثناء رحلته المشرقية سنة 1578م بأنه التقى في مصر بالعلامة داود بن عبد الله البغدادي التلمساني الذين كان طبيبًا ماهرًا رغم أنه كان ضريبًا³، كما التقى أبو العباس أحمد المقرئ - الذي كان يدرس بالأزهر الشريف والمدارس المصرية - بطلبة المغرب الوافدين من فاس، فوهبهم نسخة من كتاب توضيح ابن مالك على صحيح البخاري لصاحبه محمد المنوفي المصري الذي أهداه له من قبل⁴، كما التقى بالعلامة محمد الحاج الدلائي وأجازه⁵.

ومن جملة أعلام الجزائر الذين كانوا مزارًا في مصر من طرف طلبة وعلماء المغرب الأقصى العلامة يحيى الشاوي⁶ الذي تولى رئاسة ركب الحج المغربي مرتين⁷، فبعدما دخل القاهرة وقرأ على مشاهير علمائها كالبابلي

¹ رواق المغاربة: يعتبر أقدم رواق بجامع الأزهر الشريف يقع في الجهة الغربية للمسجد، وقد كان للأزهر تسعة أبواب أحد هذه الأبواب مخصص للمغاربة وتسمى باسمهم، وقد كان لهذا الرواق مكتبة كبيرة ومسكن للطلبة المغاربة، كما كان له أوقاف ضخمة من طرف تجار المغاربة في مصر، فكل مراتب الطلبة والمعلمين والأطعام من هذه الأوقاف، وقد كانت الكراسي العلمية لهذا الرواق متخصصة في المذهب المالكي فقط، وذلك وفقًا لرغبة التجار والأشخاص الذين حبسوا وأوقفوا عليه أموالهم وممتلكاتهم، ومع شهرة هذا الرواق أصبح قبلة للطلبة المصريين والمشاركة بسبب مستوى الشيوخ الذين تداولوا على التدريس به، أنظر: (ربيعة قريزة: علماء جزائريين بمصر في الفترة العثمانية خلال القرنين 16-17م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011م، ص70، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الاتصال الثقافي بين الزيتونة والأزهر وأثره على الحياة الثقافية في مصر وتونس، المجلة التاريخية المغربية، ع23-24، مركز التميمي للبحث والمعلومات، تونس، 1981م، ص207-208).

² عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المغاربة في مصر خلال العهد العثماني 1517-1798م، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1982م، ص99-102.

³ مصطفى البوعناني: (نص رحلي جديد من القرن 10هـ/16م محاولة في التركيب)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع6، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، 2006م، ص288).

⁴ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص402.

⁵ أبو القاسم الزباني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص100، عبد الرحمن كظيبي: (من صور البر بالشيخ وفاء المقرئ لشيخه الدلائي)، ضمن كتاب زهرة الآس في فضائل العباس، ج3، دار المناهل، المملكة المغربية، 1997م، ص1220.

⁶ يحيى الشاوي: هو يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله أبو زكريا النائلي نسبة لقبيلة أولاد نايل الشاوي والملياني ولد سنة 1621م بمدينة مليانة، وتعلم على خيرة أعلام الجزائر كسعيد المقرئ بتلمسان وسعيد قدورة وعلي بن عبد الواحد السجلماسي وعيسى الثعالبي بمدينة الجزائر وعبد الكريم الفكون بقسنطينة زار تركيا واستقبل من طرف السلطان والصدر الأعظم مصطفى باشا، ومن أبرز تلامذته محمد المحي صاحب خلاصة الأثر، وتوفي غريبًا بالبحر الأحمر مع ركب الحج سنة 1685م ودفن بمقبرة المالكية بمصر، وترك العديد من المؤلفات الفقهية والنحوية على غرار شرح التسهيل ورسالة في أصول النحو وحاشية على شرح المرادي ولامية في الإعراب، أنظر: (محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص75، العيد مسعود: العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني، مجلة سيرتا، س1، ع1، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1979م، ص50).

⁷ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص529.

والشرابي والمزاحي تفرغ للتدريس بالأزهر الشريف، فكان له صيت كبير لدى طلبة المغرب الأقصى الذين كانوا يزورونه ويتوافدون على حلقاته، وهذا ما جعل حكام مصر ينصبونه على رأس القضاة المالكية، كما كان يلقي الدروس بكل من مدارس الأشرفية والسليمانية والسرغمتية، وهناك تتلمذ على يده الرحالة المغربي أحمد الهشتوكي، فلما عاد من رحلته الحجازية، ودخل مصر وجد بأن يحيى الشاوي قد توفي فحزن عليه وقام برثائه مينا مكانة هذا العالم الكبير قائلا:

قل للمعالم أين يحيى الشاوي ... من صدره لفنون العلم حاوي
أين المحقق للعلوم بعيده ... في ذا الزمان فمن إليه يساوي
أين المباحث في العلوم كبحته ... عند الخبير لدى الفنون وراوي¹

وبمصر كان الشيخ خليل المغربي من كبار علماء المالكية المقصودين من طرف شیوخ وطلبة الجزائر، وكان متخصصا في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وعنه تتلمذ كل من الرحالة الحسين الورثيلاني وأجازه في مختلف مروياته، والشيخ أحمد بن عمار، وسيدي أحمد الصديق الجزائري، وبمصر درس الورثيلاني أيضا لدى الشيخ سيدي الهاشمي المغربي من المغرب الأقصى أحد المدرسين بباب الأزهر الشريف، فأخذ عنه الحديث واعتبره الورثيلاني آية في التحقيق وحسن العبارة بل أنه لم يصادف قبله ولا بعده شيخ في تقواه وورعه وكلامه الطيب والرقيق²، كما استفاد منه كثيرا في سيرة ابن هشام والألفية³، وبمصر كانت مجموعة من الأضرحة التي تعود لعلماء جزائريين ومغاربة، وأصبحت مزارا من طرف طلبة وأعلام البلدين أثناء رحلاتهم الحجازية، كمحمد السراج الذي قام سنة 1630م بزيارة عديد الأضرحة التي تعود لأعلام الجزائر المدفونين بمصر كالعلامة أبو مهدي عيسى الثعالبي والشيخ ابن النعمان التلمساني وسيدي عيسى بن مخلوف المغيلي والشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى التلمساني⁴.

ثالثا/- الصلات الحضارية بين أعلام البلدين بالحجاز والشام:

* مكة المكرمة:

كانت مكة المكرمة وما زالت هي الوجهة الدينية الأولى للمسلمين وهي قبلتهم في الصلاة، فتعلق بها المغاربة منذ القديم، فكانت ملتقى للعلماء من مختلف البلدان والأقطار، وكانت فضاء لتبادل الأفكار وتلاقح المعلومات بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى، فهناك التقى أبو العباس أحمد المقرئ بالشيخ والفقيه أبو

¹ محمد ماكامان: المرجع السابق، ص 282-283.

² الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 285-286، 299.

³ أحمد ظريف: المرجع السابق، ص 33.

⁴ محمد السراج: المصدر السابق، ص 57-60.

بكر السوسي المراكشي (ت1622م)، وتناقش معه في بعض المسائل الفقهية¹، كما عرفت مكة لقاء ثقافي خلال القرن السادس عشر الميلادي بين عالم الرياضيات الجزائري علي ابن حمزة² وشيخه أحمد بن علي بن غازي المكناسي المغربي³، وقد عرفت مكة المكرمة بروز شخصية علمية وثقافية جزائرية كبيرة ألا وهو أبو مهدي عيسى الثعالبي⁴، والذي كانت له مساجلات ولقاءات مع أعلام المغرب الأقصى في شاكلة الشيخ أحمد بن سعيد الدلائي (ت1668م) الذي تتلمذ على الثعالبي وأخذ عنه هناك⁵، وأبو السعادات محمد بن عبد القادر الفاسي (ت1704م) الذي اعتكف بحلقات الثعالبي وأخذ عنه مختلف معارفه⁶، وفي مقابل ذلك أخذ الثعالبي عن العلامة وشيخ جماعة فاس عبد القادر الفاسي لما زار مكة المكرمة⁷.

ويعتبر لقاء أبو سالم العياشي بأبو مهدي عيسى الثعالبي من أبرز محطات التواصل الثقافي بين أعلام الجزائر والمغرب الأقصى بمكة، فقد التقى العياشي لأول مرة بشيخه عيسى الثعالبي في مدينة بسكرة اثر رحلته الحجازية⁸، فكانت بينهما محبة كبيرة، ولذلك نجد العياشي يذكر شيخه الثعالبي في أكثر من موضع في رحلته ماء الموائد خاصة بالمسجد الحرام أين يذكر العياشي بأنه التقى بالثعالبي يوم عيد الفطر وأخذ عنه⁹، وقد ترك العياشي الكثير من الإشارات القوية الدالة على حبه وقربه وتعلقه بشيخه الثعالبي، فبعدهما اشتد

¹ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص424.

² ابن حمزة الجزائري: هو علي بن والي المعروف باسم ابن حمزة الجزائري ولد بمدينة الجزائر من أب جزائري وأم تركية حفظ القرآن الكريم والحديث في صغره، وقد ولع بعلم الرياضيات وبسبب نقص الأساتذة والشيوخ في هذا العلم أرسله والده لأخواله بإستنبول وهو ابن عشرون سنة، فبرز اسمه بسرعه وهو ما جعل السلطان العثماني مراد خان (1574-1596م) يلحقه بديوان المال بقصر السلطان ثم تولى شؤون الحسابات الخاصة بالقصر، وبعد وفاة والده عاد للجزائر لرعاية والدته فاشتغل بالتجارة قبل أن يرتحل لمكة ويستقر بها مدرسا للحجاج علم الحساب والميراث والرياضيات، وهناك عين بديوان المال بمكة لمدة خمسة عشر سنة، وترك عدة مصنفات في الرياضيات أشهرها تحفة الأعداد في الحساب ألفه باللغة التركية واهتم بالمتتاليات الحسابية والهندسية، وهو أول من وضع نظام اللوغاريتم المعروف عالميا، أنظر (أبو بكر خالد سعد الله: ابن حمزة الجزائري مدرس الرياضيات بمكة المكرمة، مجلة الدارة، ع03، ص34، المملكة العربية السعودية، 2007م، ص107-113، هاني محيي الدين عطية: ابن حمزة المغربي علي بن ولي، ضمن موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج7، دار الجليل، بيروت، لبنان، 2005م، ص245-248).

³ أبو بكر خالد سعد الله: المرجع السابق، ص108.

⁴ عيسى الثعالبي: هو أبو مهدي عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي تعود أصوله لقبيلة الثعالبية بالجزائر ولد بمنطقة زاوارة سنة 1611م، وبها نشأ وترعرع وقد تتلمذ على يد سعيد قدورة ثم رحل لتونس ومصر قبل أن يحط رحاله بمكة المكرمة والتي توفي بها سنة 1669م، وترك العديد من المصنفات أبرزها فهرسته المعروفة باسم كثر الرواة، أنظر: (يعي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص298-299).

⁵ أحمد البونني: الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تحقيق محمد لخضر بويكر وسعيد دحماني، دار الوسام العربي، الجزائر، 2011م، ص169.

⁶ محمد الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص125.

⁷ محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ص316.

⁸ عواطف بنت محمد نواب: كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2008م، ص56.

⁹ محمد الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص320.

أسى الشعور بالغرابة والهجرة في نفسية العياشي، لم يجد سوى شيخه الثعالبي ليعبر له عن تعلقه به واعتباره بمثابة الأخ فقال:

فمن على فقري بعقد أخوة تزيد على طول المدى شدة العقد¹

إن تعلق العياشي بشيخه الثعالبي جعله يفضل حتى على ابن بلده سليمان الروداني المغربي، فحينما طلب من العياشي مقارنة بين الروداني والثعالبي قال: كل على هدى إلا أن النفس إلى ما عليه أبو مهدي - الثعالبي - تميل²، ولما سئل العياشي عن شيوخه الثعالبي قال: (لوقيل إن شيوخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يفيدونه لم يبعد - لا أكذب - لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرواية وهم يستفيدون منه الدراية)³، وقد عبر العياشي عن حبه لشيخه الثعالبي في مجموعة من الأبيات الشعرية حيث يقول:

أحبك حبا صادقا أرتجي به ... من الله ظل العرش في جنة الخلد
وقصدي بهذا كله أن يكون من ... دعائك لي سهم ولو كان بالوعد
على أن وعد الحرعين عطائه ... ووعد سواه في الحقيقة لا يجدي
فانك جـار الله جار رسوله ... فان كنت جار الجار قد فزت بالرشد
أتيتك تهديني الرشاد أبا مهدي ... فمثلي من استهدى ومثلك من يهدي
جمعت خصالا لم تكن جمعت لمن ... سواك بهذا العصر من خالص المجد
جبلت عليها ثم أخرى اكتسبتها ... فحزت كلا المجدين بالجد والجد
وما قلت ذا ظنا ولكن لخبرتي ... بكل البلاد شرقها والمغرب
وخضت بحارا من علوم كثيرة ... فأخرجت منها الدرعار من الزبد
فحليتني من ذلك الدرما غدا ... على الرأس تاجا أو سوارا على الزند
غنيت به بعد الغنا غاية الغنى ... فأثرت به كفي وأروي به زندي⁴

وفي مكة التقى الشيخ عبد القادر المشرفي المعسكري (ت1732م) بعلامة المغرب محمد بن محمد العربي البناني المكي الذي استقر بمكة المكرمة، وأصبح من شيوخها الأفاضل، وقد أجاز هذا الأخير عبد القادر المشرفي في مختلف مروياته⁵، ومن جملة أعلام الجزائر الذين أجازهم الشيخ بناني المغربي نذكر محمد بن عبد الله المشرفي (ت بعد 1831م)، وهي إجازة طويلة بمثابة فهرسة تتألف من تسعة عشر صفحة⁶، كما شهدت مكة أيضا لقاء علمي كبير بين الرحالة الجزائري الشهير الحسين الورثيلاني والشيخ الفقيه أحمد بن

¹ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص283.

² عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات...، ج1، المرجع السابق، ص222-223.

³ محمد الإفرائي: المصدر السابق، ص284.

⁴ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص275-278، 282-284.

⁵ قدور بوجلal: المرجع السابق، ص95.

⁶ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص243-244، 148-149.

ناصر الدرعي¹، ولما وصل أبي راس الناصري المعسكري لمكة المكرمة في إطار رحلة حجازية تتلمذ على عديد المشايخ المشاركة والمغاربة هناك منهم مفتي مكة الشيخ الحسين المغربي أحد علماء المغرب الأقصى والحجاز ويقول عنه أبي راس: (كان لكل غريب ناصحا فقد استفدت منه طرقا صالحا جزاه الله أحسن ما جرى عالما عن علمه وعمله وتلميذا عن تعليمه صريح العلم ومشكله)، كما التقى أيضا بالعلامة المغربي عبد الرحمن التادلي حيث يقول عنه: (شيخنا العالم الأجل الفقيه الأكمل الأمثل ... بحر العرفان منبع القرآن والحديث الشيخ عبد الرحمن التادلي أصلا ونجارا المكي منشأ ودارا ووفاتا واقبارا وأتحفه الله بالرضى والرضوان ... اتخذ مكة وطيبة دارا فاز بجوار المصطفى وما أكرمه جارا وحصنا ووجارا ... وقد كنت عليه قرأت شرح ابن عباد شارح الحكم وختمناه بمكة المشرفة تحت ميزان الرحمة في الحجر)².

وبمكة المكرمة التقى الرحالة المغربي محمد بن الطيب الشريقي (ت1756م) ببعض أعلام وشيوخ الجزائر المرابطين هناك في شاكلة الشيخ والرحالة أحمد بن عمار الجزائري (ت1790م)، والشيخ محمد بن المدني المهاجي التلمساني³، كما شهدت لقاء بين محمد السنوسي والشيخ أحمد بن ادريس المغربي الذي ولد بالمغرب الأقصى سنة 1759م، وأصبح من كبار شيوخ الصوفية في الحجاز، فقد احتك به السنوسي وأخذ عنه مختلف الطرق الصوفية المغربية والمشرقية كما درس عنه الحديث، وقد لازم الشيخ السنوسي أستاذه ابن ادريس سنوات طويلة حتى وفاته، وهو الذي سمح له بتأسيس زاوية أبي قيس بمكة، وهي أولى الزوايا التي أنشأها السنوسي، ويذكر الرحالة المغربي محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي (ت1832م) بأنه تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الأغواطي بالمشرق لكن لم يذكر لنا تفاصيل عن هذا الشيخ وما أخذه عنه⁴.

* المدينة المنورة:

وتعد المحطة الدينية الثانية بالحجاز من حيث الأهمية لدى الحجاج المغاربة بعد مكة المكرمة، فقد كانت محطة لالتقاء علماء الجزائر والمغرب الأقصى من أجل تبادل الأفكار والتواصل الثقافي بينهم خلال العهد العثماني، فلما نزل الشيخ طاهر بن زيان القسنطيني (ت1533م)⁵ بالمدينة المنورة واستقراره بها التقى بالعلامة أحمد الزروق الصغير ابن أحمد الزروق الفاسي البرنسي وأخذ عنه جميع مروياته⁶، وبالمدينة المنورة حدثت عديد المساجلات الفكرية والثقافية بين أعلام البلدين مثلما حدث بين الرحالة عبد الله العياشي

¹ الحسين الورثياني: المصدر السابق، ص426.

² محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته...، المصدر السابق، ص63، 65.

³ مصطفى العاشي: المرجع السابق، ص474.

⁴ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص31.

⁵ الشيخ طاهر القسنطيني: هو طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني توفي بعد سنة 1533م، وترك عدة مصنفات أهمها نزهة المرید في معاني كلمة التوحيد، ورسالة القصد إلى الله تعالى، أنظر: (محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص75).

⁶ الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج2، ط2، مطابع عكاظ، الرياض، المملكة المغربية، 2002م، ص350.

ومفتي المالكية بالمدينة المنورة يحيى الشاوي، فكلاهما درس عند العلامة نور الدين الكوراني، وكان بينهما صراع فكري كبير، فبينما اقتنع العياشي بأفكار شيخه الكوراني وحاول نشرها بالمغرب الأقصى حارب الشاوي أفكاره بتأليف كتاب النبل الرقيق حيث نصح من خلاله أهل المغرب الأقصى بتجاهل أفكار الكوراني الفلسفية واتهم العياشي بالجهل بعلم المعقول، ووصفه بالعالم المغرر به كما وصفه بالشيطان، وقد أيد محمد بن سليمان الروداني ابن بلده العياشي ضد الشاوي¹.

كما عرفت المدينة المنورة أيضا لقاء بين علامة الجزائر النحرير أحمد بن قاسم البوني (ت1726م) والفقير أحمد بن محمد الفلالي الإدريسي المغربي، والذي أخذ عنه البوني وذكره في كتابه الفتاوى والاجازات²، وتعدت لقاءات علماء البلدين منطقة شبه الجزيرة العربية لمنطقة الشام، ففي فلسطين وبالضبط بقية المويلح توفي العلامة محمد بن عبد الكريم الفكون الجد والد الشيخ عبد الكريم صاحب منشور الهداية، فكان ضريحه مزارا من طرف الركب المغربي وعلى رأسهم العياشي وتبركوا به³، ومن خلال تقديمنا لهاته النماذج عن عملية التواصل والتلاقح الثقافي بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى بمختلف محطات قوافل الحج نستنتج بأن مكة المكرمة كانت الملتقى الرئيسي لعلماء الجزائر والمغرب الأقصى خارج البلدين، كما أن المحبة والتوافق والارتباط كانت هي العنوان الأبرز بين طلبة وعلماء البلدين حين يكونون بالغربة، وأن علماء وطلبة الجزائر والمغرب الأقصى لم يتأثروا عبر العصور بالحدود السياسية والجغرافية المفروضة من طرف الساسة والحكام⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج2، المرجع السابق، ص145.

² أحمد بن قاسم البوني: الاجازات، مخطوط بالزاوية العثمانية، بسكرة، الجزائر، ورقة 03-04.

³ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص216.

⁴ الصالح بن سالم: (الحواضر العربية شاهدة على التواصل الثقافي بين أعلام الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرنين 16-17م). مجلة

الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع15، جامعة أنواكشوط، موريتانيا، 2017م، ص131-132.

الفصل الثاني:

مراكز الصلوات الحضارية بين البلدين

- انتقال العلماء بين الهجرة والتهجير

II- علماء الجزائر بالحواضر المغربية

III- علماء المغرب بالحواضر الجزائرية

1- انتقال العلماء بين الهجرة والتهجير:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان محبا للحركة فأمدّه بالعقل الذي يدعوه لذلك، وأمدّه بالجسم الرشيق الذي يعينه على التنقل باستمرار¹، ولذلك يعتبر البعض أن الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان من خلال احتكاكه وتواصله مع الآخر²، ولا يمكن لأي عالم أو مثقف مهما بلغ من العلم أن يعيش بدون مثاقفة مع الغير، فللمثاقفة دورا مهما في قياس درجة الثقافة لدى الفرد، والتفاعل الثقافي والاجتماعي والسياسي يجعل الشخص في خضم هذه المواجهة يعرف مستواه الحقيقي ويسعى للرفع من مستوى ثقافته ولما لا التفوق على الآخر.

أولا/- مدلول الرحلة والهجرة:

إن الهدف الأسمى من رحلة العلماء بين الأوطان هو الاطلاع على مختلف الأفكار والآراء الأخرى المغايرة التي أخذها ذلك العالم في مسقط رأسه وفقا للقول المأثور: (إذا أردت أن تعرف مقدار شيخك فجالس غيره)³، وإذا تفقدنا مختلف المعاجم والقواميس اللغوية فان مصطلح الرحلة والهجرة يتعدد ويتنوع من حيث المفهوم، فلسان العرب لابن منظور يعتبر بأن الرحلة من الرحل أي مركب البعير، والارتحال يعني التنقل والتحرك من مكان إلى آخر⁴، وبسبب كثرة المفاهيم والتعاريف فان المؤتمر الدولي للهجرة والرحلة الذي انعقد في مدينة روما الإيطالية سنة 1924م قدم تعريفات رسمية تستند إليها الدول والمنظمات لهذا المصطلح، فالمهاجر هو كل أجنبي ينتقل من بلده إلى بلد آخر طالبا للعلم بقصد الإقامة الدائمة، وهذا نقيض للعامل الذي ينتقل إلى بلد آخر ويقيم فيه بصفة مؤقتة بنية العودة لبلده مجرد أن تتحسن أوضاعه المادية، والبعض يقرن الهجرة بالسفر والذي بدوره ينقسم إلى قسمين سفر هروب وسفر طلب أما سفر الهروب فيكون بسبب انتشار المعاصي والبدع والاحتلال الأجنبي الكافريينما يكون سفر الطلب من أجل الحج والعلم والعمل أو التجارة⁵. أما جوناك الحاكم العام للجزائر خلال الفترة الفرنسية فيعتبر بأن الهجرة تعني ترك البلد الأصلي للشخص والالتحاق ببلد آخر بقصد الإقامة الدائمة أو المؤقتة من أجل تحسين المستوى المعيشي⁶.

* الرحلة والهجرة في منظور الاسلام:

لقد ساهم الإسلام في نشاط وهجرة الأفراد والجماعات لأغراض مختلفة، وقد ذكرت في القرآن الكريم على أكثر من لفظ ومعنى حيث ذكرت الرحلة مرة واحدة، والرحل مرة واحدة أيضا، والحج خمسة وعشرون

¹ فؤاد قنديل: المرجع السابق، ص 17-18.

² محمد حسين فهميم: أدب الرحلات، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م، ص 17.

³ علي القلصادي: الرحلة، تحقيق محمد أبو الأحنان، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1978م، ص 60.

⁴ محمد ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد يوسف خياط، المجلد الأول، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ص 1140-1142.

⁵ وردة شرقي: المرجع السابق، ص 103.

⁶ عبد الحميد زوزو: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية بين الحربين، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 12.

مرة، والسفر اثني عشر مرة، والهجرة سبعة وعشرون مرة، ولعل أهم آية صريحة على الهجرة والتنقل والترحال للتعارف بين الناس قوله تعالى في سورة الحجرات: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)، كما اختلف علماء الحديث حول جواز الرحلة من عدمها، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: [من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة]، وفي حديث آخر يقول: [السفر قطعة من العذاب يمنع أحداكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه فليعجل بالرجوع إلى أهله]، ويعدد أبو الحسن المسعودي فوائد الرحلة فيقول: (ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نعى إليه من الأخبار من إقليمه، كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيقة من معدنه، وإثارة كل نفس من مكمنه)¹، ويعتبر الباحث في الهجرة كمال فيلالي بأن الاسلام فصل بين الرحلة والهجرة، فالرحلة مقترنة بالكسب والعمل واستدل برحلة قريش الصيفية والشتوية إلى اليمن والشام التي خلدتها القرآن الكريم. أما الهجرة فهي مقترنة بمفارقة أهل والخلان لظروف سياسية أو علمية عادة واستدل بهجرة النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة المنورة والتي كانت لأسباب قاهرة².

وقد طرحت عديد الدراسات جدلية الواجب والممنوع في حكم الشرع من الهجرة حيث يقسم محمد بن عبد الكريم الزموري حكم الشريعة الإسلامية للهجرة إلى أربعة: واجب لما يكون المسلم في بلد مضطهد فيه لا يمكن له ممارسة شعائره الإسلامية بشكل صحيح وسليم، وحرام إذا كانت من دار الاسلام إلى دار الكفر علما منه بأنه يستحيل ممارسة شعائره الإسلامية في ذلك البلد المهاجر إليه، ومكروه لما تكون من دار الاسلام إلى دار الكفر رغم الحرية في ممارسة الشعائر الإسلامية في ذلك البلد، وأخيرا مباح للمهاجر من دار الإسلام إلى دار الإسلام من أجل ممارسة التجارة أو طلب العلم وغيرها، وهذا ما ينطبق على المهاجرين بين الجزائر والمغرب الأقصى³. أما القطب الصوفي معي الدين ابن العربي فيذكر بأن الإسلام لا يعترف بالحدود المادية بين الدول استنادا لقول الشاعر:

وإن نبت بك أوطان نشأت بها ... فأرحل فكل بلاد الله أوطان⁴

¹ الصالح بن سالم: (الهجرة ودورها في تمتين الأواصر الثقافية بين الجزائر العثمانية والمغرب السعودي)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص586-587.

² كمال فيلالي: تاريخ المغرب الحديث، ط3، دار ألكسندر ودار ألفا دوك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ص229-230.

³ محمد بن عبد الكريم: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص34-35.

⁴ عاطف جودة نصر: مفهوم الغربة...، المرجع السابق، ص103-105.

تنقسم هجرة العلماء إلى قسمين هجرة اضطرارية وهجرة طوعية، وهي التي يختارها العالم بمحض إرادته من دون تدخل ظروف أو أشخاص أرغموه عليها¹، وبدورها تنقسم إلى أربعة أصناف بداية بالرحلة العلمية فقد كان طالب العلم بالبلاد العربية عامة وبمنطقة المغرب خاصة لما ينهي تحصيله العلمي ببلاده سرعان ما يسافر إلى البلاد الأخرى بحثاً عن شيوخ وعلماء جدد لتحصيل أكبر قدر ممكن من العلوم والمصنفات فيعود إلى بلاده كخزانة كتب متنقلة²، ولذلك نجد بأن من أبرز أسباب هجرة علماء وطلبة الجزائر نحو المغرب الأقصى هو وجود مراكز وجامعات علمية راقية في صورة القرويين والأندلس بفاس، وحالة الاستقرار والأمن بالمغرب الأقصى هذا من جهة، وبسبب تشجيع سلاطين المغرب للعلماء بمنحهم المناصب والعطايا، والركود الثقافي الذي أصاب المدن والمراكز الثقافية الجزائرية جراء الاهتمام الزائد للأتراك بالجانب العسكري من جهة ثانية³.

فأبو أحمد العباس المقري يقر بأن أسباب رحلته من تلمسان إلى فاس تعود إلى نجاح تجربة جده أبو عبد الله المقري من قبل لما تقلد مناصب عليا في الدولة المرينية كالقضاء والإفتاء ثم تجربة عمه سعيد المقري الذي شجعه كثيراً على الهجرة لفاس لنيل الدرجات العليا في مختلف العلوم، بالإضافة إلى الركود الثقافي بتلمسان وعدم اهتمام العامة بالعلماء وتقديرهم⁴، وكذلك الشأن للرحالة المغربي أبو سالم العياشي الذي شجع العلماء على الهجرة من المناطق التي يكثر بها الجهل فيقول:

تجب شرعا على ذي العقل هجرته ... ولولأقصى بلاد الصين إن قدر
هم أغضبوني إلى أن صرت مرتحلا ... فلا أعود إليهم آخر العمر
لقد غضبت على الأشياخ أجمعهم ... كيف يرون قرين الجهل بي يزر
ولا يقولون شيئاً إن ذا عجب ... أأقذف بينهم من دون ما نكر
فكيف ينسب لي من ليس يعرفني ... ولا يفرق بين التبر والتبر⁵

أما الصنف الثاني من الرحلة الطوعية أو الاختيارية فتتمثل في الرحلة السفارية وهي تلك التكاليف والرحلات السياسية والإدارية والدبلوماسية قصد التجسس أو الإصلاح بين الدول أو تقديم مساعدة أو مبايعة أو نقل رسائل بين الحكام أو توطيد العلاقات⁶، وقد كان الحكام والسلاطين يختارون على رأس هذه الرحلات السفارية أحسن وأفضل العلماء قصد إقناع الطرف المرسل إليه، وقد نشطت الرحلات السفارية

¹ الحسن الصادقي: المرجع السابق، ص252.

² مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة ...، المرجع السابق، ص10.

³ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء...، ج1، المرجع السابق، ص178، محمد أبي راس الناصري: الحلل السندسية...، المصدر السابق، ص90.

⁴ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص123-129.

⁵ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص310-311.

⁶ سميرة أنساع: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص30.

بين الجزائر والمغرب الأقصى بشكل كبير خلال العهد السعودي وبعده العلوي كسفارة أبي الطيب البسكري سنة 1579م بأمر من السلطان العثماني مراد الثالث قصد تقديم التهنئة للسلطان أحمد المنصور على انتصاره في معركة وادي المخازن ولجلوسه على العرش السعودي، وقد استغل البسكري هذه الرحلة للاحتكاك بطلبة وعلماء مدينة مراكش¹، وسفارة محمد بن علي الخروبي بأمر من السلطان سليمان القانوني إلى محمد الشيخ الأولى سنة 1552م لعقد اتفاقية سلام بين الجزائر والمغرب الأقصى، وتعيين الحدود بين البلدين اثر حملة محمد الشيخ على تلمسان، كما طلب السلطان العثماني من نظيره السعودي ذكر اسمه على المنابر ونقشه على العملة كما كان يفعل قبله الوطاسيين².

والسفارة الثانية سنة 1554م لنفس الغرض، وهو طلب عقد هدنة بين الطرفين ومنع تحالف إسباني مغربي كان يلوح في الأفق³، وقد أختير محمد الخروبي لهذه المهمة الصعبة نظرا لشهرته العلمية وسمعته الطيبة عند طلبة وعلماء المغرب الأقصى، واستغلال تعاطف وميل الحكام السعوديين للعلماء والمتصوفة كمحاولة للتأثير على قرارات محمد الشيخ⁴، ويضيف الباحث عبد الرحيم بنحادة سبب آخر يراه وجها وهو معرفة محمد الخروبي للمغرب الأقصى بعدما زاره من قبل في عهد أحمد الوطاسي⁵، وهذا يعني بأن محمد الخروبي زار المغرب ثلاثة مرات على الأقل، وبعدها عرفت السفارات الجزائرية نحو المغرب الأقصى انقطاعا إلى غاية 1654م، فبعد هجوم محمد الشريف العلوي على الغرب الجزائري أرسل عثمان باشا وفدا للسلطان العلوي بسجل ماسية يتكون من العالمين والفقهاء محمد بن علي الحضري المزغناتي وعبد الله النفزي فتمكنا من إقناع السلطان العلوي من رسم الحدود بين البلدين وجعلا من وادي التافنة خطا فاصلا بينهما⁶.

أما الرحلات السفارية المغربية التي مرت عبر الجزائر فنذكر سفارة الكاتب الأديب أبا محمد السرغيني سنة 1557م مبعوثا من عبد الله الغالب إلى السلطان العثماني سليم الثاني تأكيدا للأتراك بأن المغرب الأقصى دولة مستقلة عن الخلافة العثمانية⁷. ثم بعث بسفارة ثانية برئاسة الفقيه محمد التمجروتي شقيق علي بن محمد التمجروتي سفير المنصور فيما بعد⁸، وفي عهد أحمد المنصور (1578-1603م) كانت حافلة بالرحلات السفارية المغربية باتجاه الباب العالي مرورا بالجزائر كسفارة الكاتب أبي العباس أحمد الهوزالي مع

¹ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص118، 153.

² محمد القادري: المصدر السابق، ص288، عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي...، ج8، المرجع السابق، ص21.

³ مختار الهادي بن يونس: (محمد بن علي بن مصطفى الخروبي إفاذات عن سيرته ومؤلفاته)، ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1995م، ص242-243.

⁴ حبيب وداعة الحسنواي: المرجع السابق، ص192-193.

⁵ عبد الرحيم بنحادة: المغرب والباب العالي...، المرجع السابق، ص72.

⁶ دلندة الأرقش وآخران: المرجع السابق، ص300، محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص107-110.

⁷ محمد أخريف: المرجع السابق، ص35، عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ...، ج3، المرجع السابق، ص19-24.

⁸ محمد رزوق: (جوانب من النشاط الفكري بدرعة خلال العهد السعودي الأول)، ضمن أعمال ندوة حوض وادي درعة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المملكة المغربية، 1996م، ص51.

القائد أحمد بن ودة العمري بعد معركة وادي المخازن سنة 1578م ردا على سفارة البسكري¹، وكذلك الشأن بالنسبة لسفارة علي التمجروتي سنة 1589م برفقة الشيخ محمد الفشتالي²، والتي دونها في مؤلفه الشهير النفحة المسكية في السفارة التركية، وسفارة قاضي القضاة أبي القاسم ابن علي الشاطبي بصحبة القائد عبد الرحمن الشيطمي سنة 1581م³، وسفارة محمد الفشتالي وكانت بعد سفارته الأولى إلى جانب علي التمجروتي سنة 1589م⁴، وسفارة الحاج أحمد الماواسي⁵.

وسفارة الفقيه أحمد بن القاضي سنة 1585م حيث انطلق من تطوان باتجاه إستنبول، فوقع أسيرا بمدينة هنين بالجزائر أين أسرته السفن الإسبانية لمدة إحدى عشر شهرا، وقد دفع أحمد المنصور فدية كبيرة لإطلاق سراحه فرجع للمغرب الأقصى وألغيت السفارة⁶، وبعد وفاة المنصور سنة 1603م، وتولي ابنه زيدان للسلطة أرسل سفارة إلى استنبول سنة 1616م برئاسة العلامة عبد العزيز التغلبي، وقد حملت السفارة هدية مكونة من عشرة قناطير من الذهب لطلب المساعدة من السلطان العثماني أحمد الأول للوقوف في وجه الحملة الإسبانية، وقد استجاب له السلطان العثماني فأرسل معه اثني عشر ألف جندي إلا أن هاته الحملة غرقت بالبحر ولم ينجو منها إلا عدد قليل⁷، كما أرسل الوليد بن زيدان السعدي سفارة من العلماء لرجال الحرم بمكة يطلب منهم الدعم للأشراف السعديون ثم تلتها رحلة أحمد بن قاسم الحجري المدعو بأفوقاي والمعروفة باسم رحلة الشهاب إلى لقاء الأحاب⁸، والصف الثالث من الرحلة الطوعية أو الاختيارية هي الرحلة التجارية أو الاقتصادية، وهي رحلة خاصة بالتجار بدرجة أولى من أجل تبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة⁹ أو البحث عن الرزق وطلب العمل¹⁰.

كما كان علماء البلدين يستغلون رحلاتهم العلمية أو الحجازية في عملية بيع وشراء منتجات وسلع بمجرد وصولهم لمختلف الحواضر بالبلدين وهو ما تطرقنا له في الفصل الأول، والصف الرابع والأخير من الرحلة الاختيارية هي الرحلة الحجازية نحو البقاع المقدسة، والتي تكون باتجاه الغرب أي من المغرب الأقصى نحو الحجاز مروراً بالجزائر، وقد سبق الحديث عنها في الفصل الأول، وكان العلماء يستغلون هذه الرحلة في طلب العلم والالتقاء بالشيخوخ من مختلف أقطار العالم الإسلامي والنهل منهم، فقد كانت تعقد حلقات الوعظ

¹ عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ج6، ص309.

² علي التمجروتي: المصدر السابق، ص3-4، مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة ...، المرجع السابق، ص23-24.

³ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص26-27.

⁴ عبد الجليل التميمي: (تاريخ العلاقات الثقافية بين استانبول والمغرب الأقصى)، المجلة التاريخية المغربية، ع43-44، ص13، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1986م، ص565، دلندة الأرقش وأخران: المرجع السابق، ص299.

⁵ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص28-31.

⁶ ناصر الدين سعديوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص308.

⁷ زهراء النظام: العلاقات المغربية التركية...، المرجع السابق، ص249-250.

⁸ عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي...، ج3، المرجع السابق، ص32.

⁹ فؤاد قنديل: المرجع السابق، ص20.

¹⁰ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص114.

والإرشاد والحديث وجلسات العلم والأدب في رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي¹، وتتعدى ذلك لمساجد مصر وطرابلس الغرب وتونس بالنسبة للرحالة الجزائريون والمغاربة، وهو ما يجعل درجة التلاقح والتواصل الثقافي بين علماء هذين البلدين تكون أوفر.

* الهجرة الاضطرارية لعلماء البلدين:

وهي هجرة تحتم على الرحالة أو العالم التنقل لظروف عديدة²، وهي بدورها تتفرع إلى أربعة أصناف رحلة قسرية لأسباب سياسية مثلما حدث مع محمد الآبلي التلمساني الذي فر من تلمسان إلى مراكش بعد مضايقات من أبو حمو موسى الزياني³، كما فقدت مدينة تلمسان أفضل وأحسن علماءها في نهاية الحكم الزياني ونخص بالذكر العلامة أحمد بن يحيى الونشريسي⁴ الذي فر من تلمسان سنة 1469م بعدما نهب منزله من طرف السلطان الزياني المتوكل على الله، فاستوطن فاس نهائياً والتي بها توفي⁵، كما فر محمد بن عبد الكريم المغيلي في نفس الواقعة إلى الجنوب، وظل متنقلاً بين ممالك إفريقيا جنوب الصحراء إلى غاية وفاته⁶. لكن حدة الهجرة السياسية من الجزائر للمغرب الأقصى زادت مع انتصاب الحكم العثماني، وذلك راجع لمعارضة العديد من علماء الجزائر بصفة عامة وعلماء تلمسان بصفة خاصة لهذا التواجد الأجنبي على أراضي الجزائر مهما كانت الأسباب والمبررات، وكانت الهجرة الأولى بعد حملة عروج على تلمسان سنة 1518م أين عرفت المدينة هجرة جماعية لأعلامها نحو فاس المغربية بعد معارضتهم لهذه الحملة والوجود العثماني بالجزائر⁷.

وكانت الهجرة الثانية بعد حملة محمد الشيخ السعدي على تلمسان سنة 1550م، ومساعدة بعض علماء المدينة له ضد الحامية التركية بالمنطقة، وبعد الحملة العثمانية المضادة وخشية من انتقام الأتراك منهم هاجر هؤلاء العلماء برفقة محمد الشيخ إلى فاس كمحمد بن مرزوق الخطيب السبط، وأحمد الواعزاتي، ومحمد بن عزوز الديلمي، ومحمد بن محمد العبادي⁸، بينما كانت الهجرة الكبرى لعلماء تلمسان والجزائر نحو المغرب الأقصى سنة 1560م وتسمى بالفتنة الكبرى بين علماء تلمسان والحكام الأتراك حيث

¹ نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م، ص33-34.

² حسن الصادقي: المرجع السابق، ص252.

³ الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص105.

⁴ أحمد بن يحيى الونشريسي: هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي درس على خيرة أعلام تلمسان قبل أن يحط رحاله بفاس ويتفرغ للتدريس والامامة والقضاء توفي سنة 1492م تاريخ سقوط وهران بيد النصارى الأسبان، أنظر: (أحمد بن يحيى الونشريسي: الوفيات، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، دار نوابغ الفكر، مصر، ص04).

⁵ محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص80-81، محمد الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص172.

⁶ بهيجة الشاذلي: (مصباح الأرواح في أصول الفلاح لمحمد بن عبد الكريم المغيلي ملاحظات أولية)، ضمن كتاب محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1996م، ص193.

⁷ محمد أمطاط: المرجع السابق، ص30.

⁸ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي.... المرجع السابق، ص300.

فر خيرة العلماء إلى المدن المغربية كأحمد بن محمد العقباني، وأحمد العبادي، ومحمد شقرون¹، كما فر أيضا من قبل أحمد الزياني ووزيره المنصور بن أبي غانم إلى المغرب الأقصى بعد حملة حسن بن خير الدين على تلمسان سنة 1545م، وفرار بوطريق الذي قاد ثورة ضد الأتراك بالغرب الجزائري سنة 1540م²، ولعل من أشهر الهجرات الجزائرية نحو المغرب الأقصى لأسباب سياسية هي فرار سعيد المنداسي الذي كان من أشد المعارضين والمعادين للحكام العثماني بالجزائر³.

كما رحل سعيد قدورة إلى سجلماسة من أجل تقديم التهاني لأستاذه ابن أبي محلي بعد انتصاره على السعديون سنة 1610م⁴، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على العداء الذي كان يكرهه سعيد قدورة للسلطين السعديون مادام أنه المفتي والمدرس الديني لمدينة الجزائر، وقد عرفت الجزائر نزيفا في أعلامها بداية من القرن التاسع عشر الميلادي خاصة بالجهة الغربية للبلد نحو الحواضر المغربية بسبب الثورات الدينية التي قادتها كل من الطريقتين الدرقاوية والتيجانية ضد الحكم العثماني، وهو ما جعل العشرات من العلماء أتباع هذه الطرق يفرون نحو المغرب الأقصى خشية من الفتنة ومن انتقام بايات الغرب⁵، وفي المقابل فإن حوادث فرار وهجرة علماء وطلبة المغرب الأقصى نحو الجزائر لأسباب سياسية قليلة جدا باستثناء حادثة فرار شيوخ وقادة بنو وطاس بعد دخول محمد الشيخ إلى فاس سنة 1554م أين اتخذوا من الجزائر مستقرا لهم، وفرار الإخوة الثلاثة أبناء محمد الشيخ السعدي إلى الجزائر بعد وصول أخيم عبد الله الغالب إلى حكم المغرب خشية من اغتيالهم وتنصيب ابنه محمد المتوكل وليا للعهد بالاضافة لهجرة علماء زاوية الدلاء لتلمسان وأحوازها بعد تهديمها من طرف مولاي الرشيد.

والصنف الثاني من الرحلة القسرية يتعلق بالتدخل أو الاحتلال الأجنبي للبلد، وقد بدأت هذه الرحلات للعلماء مع الاحتلال الإسباني لمدينة وهران سنة 1509م وإعلان حاكم تلمسان ولاءه للأعداء، وهذا ما جعل بعض علماء تلمسان يقررون الهجرة إلى المغرب الأقصى كمحمد بن مرزوق السبط، وأحمد بن أبي جمعة الوهراني، وأحمد بن جيدة المديوني، كما فر بعض علماء بجاية إلى المغرب الأقصى بعد الاحتلال الإسباني للمدينة سنة 1510م على غرار أبو علي منصور الحاج البجائي الذي استقر بأحواز تطوان، وقاسم بن عمر الزواوي⁶. لكن أكبر هجرة جزائرية نحو المغرب الأقصى لأسباب سياسية قسرية كانت بعد 1830م لما وصلت القوات الفرنسية للغرب الجزائري وشرعت في احتلال المنطقة، وهو ما جعل علماء تلمسان وغريس

¹ عبد العزيز بن عبد الله: فاس منبع الحضارة...، ج1، المرجع السابق، ص120، أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991م، ص328.

² عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص113، 212-213.

³ محمد أبي راس الناصري: الحلل السندسية...، المصدر السابق، ص89.

⁴ عمار بن خروف: المرجع السابق، ص157.

⁵ كمال فيلاي: (هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني)، مجلة المواقف، عدد خاص، جامعة معسكر، الجزائر، 2008م، ص379.

⁶ عمار بن خروف: المرجع السابق، ص101-102، 112، 148-151.

وأحوازهما يقررون الهجرة للمغرب الأقصى بدل البقاء تحت راية الفرنسيون استنادا للفتاوى الشرعية التي صدرت عن عشرات الفقهاء بضرورة الانتقال من دار الكفر لدار الإسلام¹، وبذلك انتقلت المئات من الأسر العلمية والدينية الجزائرية للمغرب الأقصى نتيجة للتقارب بين البلدين من حيث الجغرافيا والدين واللغة والعادات والتقاليد...

أما الصنف الثالث من الرحلة القسرية فيقترب بانتشار الوباء والأمراض فبعد حلول الطاعون بالجزائر سنوات 1553م-1557م-1647م-1654م-1662م الذي أهلك الآلاف من السكان أبرزهم صالح ريس²، كما هلك خلال هذه الطواعين المئات من علماء الجزائر وهاجر البقية إلى الأقطار العربية والإسلامية خاصة إلى المغرب الأقصى الأقرب مسافة وثقافة لهؤلاء العلماء، ويرتبط الصنف الرابع والأخير من الهجرة القسرية بانتشار المنكرات والفتن بالبلد حيث يقر الحسين الورثيلاني خلال القرن الثامن عشر ميلادي بأن بعض العلماء يفرون من منطقة تكثرت بها المنكرات والمعاصي إلى منطقة أخرى، وأن رحيل علماء الجزائر كان بسبب انتشار الجهل والفساد الإداري للحكام سواء على المستوى المركزي (الدايات) أو الإقليمي (البايات)، ولذلك يقول: (لقد اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأضلُّوا وأضلُّوا...)، وفي حالة عموم والمعاصي فعليه أن يلزم مكانه ويكون حلساً من أحلاس قومه وبيته³، ويذكر ابن مريم التلمساني حادثة استفتاء الفقيه أحمد البجائي للشيخ أحمد بن محمد ابن الحاج حول مكان انتشاره الظلم والشر بين البقاء أو الرحيل عنه، فكان جواب الشيخ ابن الحاج بأن يفر بدينه من الفتن، ولا يقيم إلا في موضع تقام فيه السنن⁴.

ثالثاً/- موقف الحكام من هجرة علماء البلدين:

بعد النزيف الحاد الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني من هجرة خيرة علماءها لمختلف الأقطار العربية عموماً وللمغرب الأقصى بصفة خاصة جعل الحكام الأتراك يتداركون هذا النقص، وذلك باستقطاب بعض العلماء من خارج الجزائر سواء من إستنبول⁵ أو من الدول المغاربية على غرار محمد الخروبي من ليبيا وسعيد قدورة من تونس إضافة إلى علماء المغرب الأقصى⁶.

¹ فارس كعوان: (هجرة الأسرة المشرفية إلى المغرب الأقصى في عهد الاحتلال الفرنسي وإسهاماتها الثقافية)، ضمن أعمال ملتقى الهجرة والحراك والنفي وآثارهم على الصعيد الثقافي واللغوي، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، 2010م، ص 217.

² برنار روزنبرجي وحמיד التريكي: المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16-17م، ط2، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2010م، ص 81، مختار حساني: المرجع السابق، ص 40.

³ أحمد ظريف: المرجع السابق، ص 40، 116.

⁴ محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص 44.

⁵ دلنדה الأقرش وآخران: المرجع السابق، ص 298.

⁶ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص 184-185.

* حكام الجزائر الأتراك وعلماء المغرب الأقصى:

لقد تميزت العلاقة بين حكام الجزائر وعلماء المغرب الأقصى الوافدين على مختلف الحواضر والمدن الجزائرية بالتأرجح بين المسالمة والخلاف، فقد استغل الحكام الأتراك هؤلاء العلماء المغاربة في تغطية العجز الثقافي والعلمي بمختلف الحواضر الجزائرية من جهة، وللحصول على مختلف الأخبار اللازمة عن المغرب الأقصى من جهة ثانية، ومقابل ذلك منحهم مختلف المناصب والمكاسب من تدريس وإمامة وخطابة مثلما حدث مع العلامة محمد السوسي الذي هاجر من فاس واستقر بمدينة قسنطينة ثم انتقل للعيش بمدينة الجزائر، وهناك نال خطة التدريس بعدما مدح الباشا، وقد وافته المنية بالجزائر سنة 1614م¹، والشيخ سيدي علي الفاسي وهو ولي صالح من فاس استقر بمدينة الجزائر، وكانت له وجهة عند حكامها الأتراك أين أقاموا زاوية تحمل إسمه وتأوي ضريحه، وآخر وكيل لها كان أحمد بن الصبار سنة 1791م المعين من طرف حسن باشا².

وكذلك الشأن لأحمد الفاسي الذي تعود أصوله لمدينة فاس وقرر الاستقرار بقسنطينة وتولى بها خطة التدريس، وكان مقربا من البايات كما كان كاتباً لبعض أمراء بني عباس³، وهذا ما جعل عبد الكريم الفكون ينتقده بأنه يبحث عن الشهرة والمناصب أكثر من بحثه عن التحصيل العلمي⁴، وقد كان للعايشي صداقة مع المولى علاهم أمير مدينة ورقلة الذي استقبله ببيته وتناقش معه في بعض المسائل الفقهية، كما استضافه حكام مدينة تفرت حتى قال عنهم بأنهم أعدل الأمراء الذين رأهم في حياته وأبسّطهم إلى الناس والرعية⁵، ويعتبر العلامة علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي من أكبر علماء المغرب الأقصى الذين لقوا المكانة والحظوة لدى يوسف باشا⁶، فقد منحه خطة التدريس والإمامة، وهذا ما جعله يختار مدينة الجزائر كمستقرا نهائيا له إلى غاية وفاته بها سنة 1647م⁷، وقد ساهم مساهمة فعالة في إبطال مفعول ثورة ابن الصخري بالشرق الجزائري بعد الاتصالات العديدة التي أجراها مع مختلف العلماء بباليك الشرق من أجل عزل هذه الثورة عن الرعية.

وقد كانت بين عبد الرحمن الجامعي المغربي وحكام الجزائر الأتراك علاقة حب ومودة، فقد أبدى الجامعي إعجابا كبيرا بالأتراك وفتوحاتهم، وبالخصوص خير الدين باشا باعتباره طارد الغزاة والنصارى من أرض الجزائر، وقد ترك الجامعي عديد القصائد يتغنى ويمدح هؤلاء الحكام أين قال في خير الدين بربروس:

¹ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 120-133، 161.

² مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص 42.

³ كمال فيلاي: الهجرة العلمية والطلابية...، المرجع السابق، ص 19-20.

⁴ عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 162.

⁵ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج 1، ص 76-77.

⁶ أحمد مريوش: المرجع السابق، ص 120.

⁷ محمد الصغير الإفرائي: المصدر السابق، ص 283-284.

لقد فتكت بالقلب فتك البواتر ... عيون الـظباء الانسات الخوادر
رعى الله ظبيا قد رعى حب مهجتي ... ولم يرع في نجد غوارا وحاجر
ومازلت أرعاه ويحسب أنني ... أخون لـه عهدا فيصبح هاجر
ويظهر إحساني إليه إساءة ... وبالعكس ما يبديه بين النواظر
بذا حكم الحسن البديع له ولي ... وما حكم الحسن البديع بجائر
أيحسن عدل في ظباء عيونها ... ظبي قطعت أحشا أسود خوادر
تمر قدود في دعوص كأنها ... بنود تشئت في جنود الجزائر
حوى بالصحاح البيض من كل عابث ... حماه فلم تعبت به كف فاجر¹

ولما كان عبد الرحمن الجامعي حاضرا أثناء تحرير مدينة وهران الأول سنة 1708م قام بمدح الحكام
الذين أشرفوا على هذه العملية، ونخص بالذكر الداوي محمد بكداش والباي مصطفى بوشلاغم الذي كان
على رأس بايلك الغرب الجزائري، وقد التقى الجامعي بمحمد بكداش ومدحه وقال عنه: (محمد بكداش هو
اسم هذا السلطان نصره الله ...، وقد أحاطت بمحمد بكداش في مدينة الجزائر هالة من العلماء والشعراء
والأدباء لم تجتمع من قبله ولم تجتمع من بعده حول أي حاكم من حكام الجزائر العثمانيون وألف المؤلفون
فيه كتبا كثيرة منها المطبوع ومنها المخطوط، فكان هذا الأمير أكثر تجاوبا مع الشعب ونخبته من كل أمير آخر
إذا استثنينا خير الدين وابنه، وكان حريا به أن ينهض لمحاربة الإسبان في وهران، وأن يظهر الجزائر نهائيا من
أدران الوجود الاستعماري فوق أرضها، وكان باي الغرب الجريء المقدام مصطفى بوشلاغم (...)²، وقد ترك
عنه أيضا نظم يقول فيه:

وسربي إلى ذاك الرباط فإنه ... ذخيرة ساع للجهاد وزائر
ديار بني عثمان حيث تألفت ... ضباب ونور ومستقر المسافر
فدعني من غرناطة وربوعها ... وشنيل فالحسن انتهى للجزائر
إمام حوى علما وفضلا وسؤددا ... فحقوق له تقديمه في المآثر
شريف زكا أصلا وفرعا ومحتدا ... إلى هاشم ينى كبير الأكاير
أتيح له فتح جديد تناولت ... له همم الأملاك باق وغابر
فأضفى على وهران جيشين من ندى ... وآخر من رأي سديد مؤازر
وجرلها الإسلام جندا مؤيدا ... بتأييد منصـور من الله ناصر
فطرها من رجسها وأعادها ... عروسا تجللت في مراقي المنابر

¹ محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص244.

² أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص423-425.

فله مات قد كان منه وأجره ... عليه وخير الأجر نعمة شاكر
وصلى إله الخلق ما هبت الصبا ... على مركز التوحيد قطب الدوائر
ولازال غيث الفضل ينهل بالرضى ... على الآل والأصحاب في كل خاطر¹

ولم يكتف عبد الرحمن الجامعي بمدح حكام الجزائر فقط بل قام بمدح السلطان العثماني أحمد الثالث (1703-1730م) أثناء فتح مدينة وهران سنة 1708م حيث قال فيه:

وكان ذا في دولة الإمام ... فخر الملوک ضباط الإسلام
ملك مصر والعراق واليمن ... والشام والبربن خير مؤتمن
أبى الفتوحات التي لم تحضر ... كادت تقضى ملك دار القيصر
أحمد خاقان الهمام المرتضى ... سيف الإله في الأعادي مرتضى
لازال تحت راية الإقبال ... والنصر والفتح قرير البال²

وبعدما فر أبو القاسم الزياني سنة 1792م من مدينة وجدة التي عين عليها واليا للسلطان مولاي سليمان قرر التوجه لمدينة وهران، وقد استقبله الباي محمد الكبير في قصره وأكرمه وقد ترجاه بالمكوث عنده، وكانت في نية الباي محمد الكبير استعمال الزياني واستغلاله لتجربته السياسية الكبيرة في خدمة حكام المغرب الأقصى من جهة، والاطلاع من خلاله على أوضاع المغرب الأقصى ومعرفة كل صغيرة وكبيرة حول هذا البلد من جهة ثانية، ولما قرر الزياني الرحيل عن وهران إلى مدينة تلمسان راسل الباي محمد الكبير عامله هناك وقد أوصاه خيرا بالزياني، وهذا ما يؤكد تقدير الباي محمد الكبير لهذا الرحالة والمؤرخ، وبمجرد وصول الزياني لمدينة الجزائر لقي ترحابا من قبل قاضي المدينة الشيخ محمد بن مالك وهو من أصول مغربية الذي استقبله ببيته، وقد كان من بين الحضور أيضا كاتب وحاجب وصهر الداوي حسن باشا، ولما قرر الزياني الترحال خرج له هذا الوفد لوداعه وسلموه في المقابل كتابين من الداوي حسن باشا لكل من باي قسنطينة ووكيله بتونس، وهديّة تقدر بحوالي ستمائة سلطاني، كما أبلغه السلام وطلب منه الدعاء له بالحرمين الشريفين، وهو ما يؤكد الاحترام الذي كان يكنه حكام الجزائر الأتراك للزياني في تلك الفترة³.

ولما وصل لمدينة قسنطينة استقبله حاكمها حسن باي - وقد كانت بينهما صحبة سابقة حيث التقى به بمدينة تلمسان بعدما كان هذا الباي منفيًا لدى الباي محمد الكبير - وسلمه الزياني رسالة الداوي، وقد استقبله الباي بقصره وأكرمه، وقد استفسره عن أحوال المغرب وعن السلطان الجديد مولاي سليمان والمقارنة بينه وبين مولاي يزيد ومحمد بن عبد الله، كما استقبله في المساء ببيته بالقصر وأحسن إليه، وقد

¹ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص 187-196.

² عبد الرحمن الجامعي: فتح مدينة وهران، تحقيق مختار حساني، منشورات مخر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003م، ص 134.

³ أبو القاسم الزياني: الترجمة الكبرى... المصدر السابق، ص 140-141، 151.

أعجب الزياتي بهذا الباي وكرمه وحسن معاملته عكس الباي محمد الكبير بوهران، وما أخذه الزياتي عن هذا الباي أنه كان يشرب الخمر ويسمع للموسيقى بمجلسه، وقد استمر استقباله بالقصر طيلة خمس عشر يوماً التي مكثها الزياتي بقسنطينة، ولما حان وقت الرحيل لتونس ودعه الباي وطلب منه الدعاء بالحرمين الشريفين، كما زوده بهدية تمثلت في ثلاثمائة محبوب ومجموعة من الأغذية التي يحتاجها الزياتي في سفره¹.

ومن الأشياء التي أعجب بها الزياتي بمدينة الجزائر جامع كتشاوة الذي شيده الداوي حسن باشا، فقد صلى فيه الزياتي صلاة الجمعة، وقدم فيه وصفا دقيقا كما مدح الداوي الذي شيده قائلاً: (سلطانهم الأعظم الماجد الأكرم حامي بيضة الإسلام وناصر سنة سيد الأنام الذي قمع أهل الكفر، وقادهم بلا رسن المنصور المؤيد سلطان الحسن ... أبقاه الله لحيطة هذه الأمة، وزاده عزا وحفظه من كل آفة ونقمة ...، فانه حفظه الله من أمراء العدل، ومن أهل المروءة والفضل لما جلس على كرسي الخلافة السعيد سوى بين القريب والبعيد، وانتصف للمظلوم من الظالم، وأعز المسكين والشريف والعالم، وقمع أهل الزيغ والفساد ...)، كما قدم عنه أبيات قال فيها:

أسرع إلى سبل الخيرات تأتيك ... وأبشر فان الذي عاملت يدنيك
حسن بالعدل ديننا ومتجرنا ... فنسأل الله بالفردوس يرضيك
بنيت لله هذا البيت محتسبا ... فرب هذا الذي شيدت ينجيك
أغنيت صناعه عظمت حرمة ... وضحت تاريخه فله يغنيك
لازلت يا بهجة الأملاك يا حسنا ... موفقا وذنود الله تحميك
شيد ذا البيت أشرف الملوك ومن ... أحيا الجهاد ببر الترك والعرب
ما مثله مسجد بالفاء عمره ... للأتقياء وأهل العلم والأدب
أبقاه دينا على أهل الزمان لمن ... يرغب أن يقتدي في الخير والقرب
فخر السلاطين بين الوري حسن ... أبشر فقد فزت بالفردوس والرتب
ان جئت روضته شوقا على ظمأ ... فاقصد إلى منهل أرخته وأشرب²

كما وصلت عائلة مغربية إلى مدينة قسنطينة خلال القرن السابع عشر ميلادي وهي أسرة ابن جلول، وقد تمكنت من فرض نفسها بسرعة فائقة باعتبارها أسرة تمتن العلم أين ارتقت في مناصب الدولة داخل قصور بايات قسنطينة لمدة تفوق القرنين من الزمن، ولم تشر الباحثة فاطمة الزهراء قشي من أي منطقة بالمغرب وفدت هذه الأسرة، فقد حازلت هذه العائلة على ممتلكات كبيرة وبالخصوص الأراضي في جبل الوحش وعين الرصاص وعين الباي، وتولت مناصب متنوعة بين قاضي الحنفية متمثلة في الحاج شعبان بن

¹ المصدر نفسه، ص 152-159.

² أبو القاسم الزياتي: الترجمة الكبرى... المصدر السابق، ص 373-374، 379.

عبد الجليل بن جلول خلال حكم صالح باي، ومنصب وكيل الباي الذي كان بيد سي مصطفى بن جلول صهر صالح باي، وأكبر منصب حافظت عليه هذه العائلة هو الباش كاتب فقد تولى هذا المنصب خمسة من أفرادها بداية بالحاج عباس بن جلول الجد، وسي محمد بن جلول الأول، ومحمد الزواوي بن جلول، وسي محمد بن جلول الثاني، والحاج عباس بن جلول الحفيد، ومن أبرز الأعمال المرتبطة بهذه العائلة والتي تبين علاقتها الوطيدة بحكام قسنطينة هي بناء مسجد سوق الغزل، والذي كان من فكرة الباش كاتب الحاج عباس بن جلول الجد سنة 1730م حيث اقترح الفكرة على الباي حسين بوكمية فوافق هذا الأخير مباشرة وشرع في تشييده¹.

وإذا كان غالبية علماء المغرب الأقصى وجدوا ضالهم بالجزائر، وحصلوا على مختلف المناصب والمكاسب التي أرادوها، فإن البعض الآخر وقع في المحذور بعدما تجاوز حده بانتقاد الحكام، وهو الحد الغير مسموح به للجزائريين فما أدراك بالأجانب مثلما حدث مع محمد بن مزيان التواتي، فرغم مكانته العلمية المرموقة لدى علماء وطلبة وأهالي مدينة قسنطينة، وتخرج على يديه الكثير من أعلام الجزائر إلا أن أفكاره المعارضة للأتراك جعلت منه عدوا مطلوباً لدى الباشوات، فكانت نهايته النفي إلى تونس والتي بها توفي سنة 1621م، وفي هذا السياق ذكر المؤرخ الإسباني هايدو بأن باشا الجزائر أصدر قرار بطرد أحد علماء فاس من المدينة سنة 1579م²، وأبرز علماء المغرب الأقصى الذين انتقدوا سياسة الأتراك بالجزائر نجد الرحالة أبو سالم العياشي، فلما دخل مدينة بسكرة وصفها بأحسن وأجمل الأوصاف ثم قال: (... إلا أنها ابتليت بتخالف الترك عليها وعساكر الأعراب)³، كما أنه لم يتوانى في وصف الوضع الثقافي والعلمي للجزائر العثمانية بأقبح الأوصاف.

بل وصل البعض من علماء المغرب الأقصى الذين حطوا رحالهم بالجزائر إلى اعلان الثورة والعصيان مثلما حدث مع الشيخ أحمد بن عبد الله السوسي المغربي الذي ادعى المهدوية لما أعلن الثورة بتلمسان سنة 1628م ضد الحكم العثماني بسبب الظلم الذي كان يبديه عناصر الحامية التركية بالمنطقة اتجاه الأهالي مستغلا في ذلك دعم سلاطين المغرب الأقصى له. إلا أن ثورته باءت بالفشل بعد إرسال حسين باشا محلة على رأسها ابن سوري سنة 1629م، وتمكن من قتل زعيم الثورة وعاد بجثته لمدينة الجزائر⁴، ورغم الإعجاب الكبير الذي أبداه التمجروتي بمدينة الجزائر، والتي وصفها بإستنبول الصغرى إلا أنه لم يتوان في توجيه أسهم النقد للأتراك قائلاً: (العثمانيون من جملة المماليك والموالي، وإن كانوا إنما حملوا الإمارة وقلدوا الأمر في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم موالينا وساداتنا الشرفاء ملوك

¹ فاطمة الزهراء قشي: مقالات من تاريخ قسنطينة وتراثها، دارمداد يونيفارسيطي براس، قسنطينة، الجزائر، 2016م، ص145-148.

² عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص115، 120 - 121، 161.

³ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص381.

⁴ ابن المفتي: المصدر السابق، ص48، توفيق دحماني: المرجع السابق، ص146.

بلاد المغرب الذين شرفت بهم الإمامة والخلافة)¹، كما أطلق أبو القاسم الزباني على الأتراك عديد الأوصاف والأحكام السلبية والمشينة لما عاد من سفارته للباب العالي بداية بضعف الحكام الأواخر للإمبراطورية وميلهم للهو واهتمامهم بالهدايا، وعدم تشجيعهم للعلم والثقافة وتفرغهم للجباية والضرائب، كما انتشرت ظاهرة شراء وبيع المناصب والوظائف الشرعية واحتقار الأتراك للجنس العربي وتهميشه سياسيا وعسكريا واجتماعيا وثقافيا².

ولما استقر العلامة ابن أبي محلي بالجزائر متنقلا بين وادي الساوره وبنو عباس والأغواط وعين ماضي وبوسمغون، ورغم أنه راسل السلطان أحمد بن عثمان برسالته الميمية الشهيرة من ستة وثلاثين بيتا شعريا يمدحه ويترجاه بضرورة تحرير ثغروهران من قبضة النصارى الاسبان³، وفي المقابل فقد انتقد تدخل الأتراك في الجانب الديني بالجزائر من خلال محاولة فرض المذهب الحنفي على المذهب المالكي، والذي يعتبر المذهب الرسمي للمغاربة منذ الفتح الإسلامي للمنطقة، فانتقد هذا السلوك وبادر بنصح هؤلاء الحكام بعدم التدخل في فرض مذهب معين على الساكنة حيث يقول: (فينبغي للملك وجنده أن لا يدخلوا أنفسهم في مضايق العلم، وكل واحد يتعلق بمن شاء ويدع الناس فيما اختاره الله لهم إذ الكل على هدى اللهم إلا أن يكون الأمير فيما يدعوا إليه على علم من اجتهاده، فيجري مجرى مثله منهم)، كما انتقد أيضا الفقهاء الذين غيروا مذهبهم من المالكي إلى الحنفي من أجل التقرب للحكام قائلا: (ومن قصر بابه عن هذا فإنما تحول لغرض دنيوي ونحوه أو لغلبة الهوى وقلة العلم والتقوى، فان من المتحولين من يستهويه أهل المذهب المتحول إليه ليستكثروا به سوادهم، وربما بذلوا في ذلك عرضا عريضا، وكذلك قد يوافقون أحيانا مذهب ملوكهم)⁴.

* علماء الجزائر وسلاطين المغرب بين الاحتواء والنفور:

حاولت الدراسات الغربية التي تناولت تاريخ المغرب الأقصى تشويه علاقته بالجزائر من خلال الصاق اتهامات بالسلطة والمجتمع المغربي بأنه عامل الجالية الجزائرية التي وفدت على المغرب قبل وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر بوحشية، وبأنهم عوملوا كجالية أجنبية وتعرضوا للاحتقار والتهكم من المجتمع المغربي وباللامبالاة⁵. لكن المطلع والمتعمق في النصوص المصدرية المغاربية وبالخصوص التراجمية والرحلية يجد بأن سلاطين المغرب ومنذ عهد بني مرين وبني وطاس حاولوا استقطاب وجلب أحسن وأفضل علماء الجزائر،

¹ علي التمجوتي: المصدر السابق، ص 94.

² غلال معكول: المرجع السابق، ص 190.

³ عبد الله حمادي: (كتابات ابن أبي محلي نزير الساوره من مصادر تاريخ هذه البلاد وتخومها المجاورة)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساوره في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص 85.

⁴ محمد ماكامان: المرجع السابق، ص 266.

⁵ إدريس بوهليلة: (إسهامات المهاجرين الجزائريين في الحقل الثقافي بالمغرب خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج 2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية،

2017م، ص 563.

وزادت حدة الاستقطاب أكثر خلال العهد السعودي والعلوي، فلا عجب إذا وجدنا في إحدى كتب التراجم المغربية بأن هذا السلطان السعودي أو ذاك السلطان العلوي يقرب أحد علماء الجزائر بل ويرفع منزلته على حساب علماء مغاربة، وذلك راجع إلى شخصية هؤلاء السلاطين المحبين للعلم وأصحابه من جهة، وذكاء ونباهة وقوة الذاكرة والحفظ والفهم لدى علماء الجزائر بالمغرب الأقصى من جهة أخرى، فأهلهم ذلك لتولي المناصب العليا بأرقى المراكز الثقافية والدينية كالقرويين والأندلس، فتولى بعضهم التدريس والإمامة، والآخر الإفتاء والقضاء والخطابة، ووصل البعض إلى جمع كل هذه المناصب في شخصيته أو عائلته، وقد اتخذت علاقة حكام المغرب الأقصى بعلماء الجزائر شكلين:

بداية بالعلاقة الودية المبنية على الاحترام والتفاهم منذ العهد الوطاسي، فقد كانت شخصية مثل محمد العنابي تتمتع بحظوة كبيرة لدى السلطان أبو زكرياء الوطاسي، والذي كان يستعمله في التفاوض مع النصارى لافتداء الأسرى الأندلسيون بل وكان يدخله بيته وينادي نساءه وجواريه ويأمرهن بالسلام على الشيخ، كما كانت بينه وبين محمد القائم بأمر الله صداقة وعلاقة وطيدة على حسب ذكر عبد الله الغالب¹، كما ترك العلامة علي بن هارون المطغري أثرا طيبا في نفوس الأمراء والسلاطين الوطاسيين، فقد كانوا يحضرون دروسه ويتبركون به، ولما توفي سنة 1545م حضر السلطان أحمد الوطاسي جنازته²، وكذلك الشأن لأحمد العبادي التلمساني (ت1577م) الذي رحل من تلمسان إلى فاس، فنال تقديرا كبيرا لدى السلطان أحمد الوطاسي الذي قدمه للتدريس بالقرويين رغم ما يتوفر عليه المغرب الأقصى من خيرة العلماء في ذلك الوقت³، ولعل أهم علامة جزائري فرض احترامه على سلاطين بني وطاس بلا منازع هو الشيخ والفقير أحمد الونشريسي، فحصل على كل ما يريده من مناصب وممتلكات بأحواز فاس⁴، وورث هذا الاحترام لولده عبد الواحد الذي كانت بينه وبين أحمد الوطاسي محبة كبيرة، فقال فيه بعد تجديد جسر الرصيف:

جسر الرصيف أبو العباس جدده ... فخر السلاطين من أبناء وطاس⁵.

أما في العهد السعودي فقد زادت الهجرات الجزائرية وزاد معها كرم وسخي السلاطين وذلك من خلال منحهم المناصب العليا بمختلف المدن المغربية، ولعل أولى العلماء الجزائريين الذين دعموا وساهموا في قيام الدولة السعودية العلامة عبد الله بن محمد العنابي الذي كان يقطن بمدينة درعة حيث دعى لمحمد القائم بأمر الله بقوله: (أهل البيت أحق بالنصر)⁶، وقد نال العديد من علماء الجزائر حظوة كبرى من طرف

¹ محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص85-86.

² أحمد المنجور: الفهرس، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1976م، ص50، محمد الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص93-94.

³ محمد الحضيكي: المصدر السابق، ج1، ص26.

⁴ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص56.

⁵ أحمد ابن القاضي: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، طبعة حجرية، المملكة المغربية، 1981م، ص49.

⁶ محمد بن عسكر: المصدر السابق، ص85.

السلطان محمد الشيخ كمحمد بن جلال التلمساني (ت1572م) الذي أيد الحملة السعدية على تلمسان وعاد مع محمد الشيخ إلى فاس سنة 1551م¹، فرد له محمد الشيخ جميل صنيعه أين نصبه على رأس جامع الأندلس إماما ومدرسا وخطيبا ومفتيا حيث مكث هناك ثمانية سنوات قبل أن يحط الرحال بجامع القرويين، والذي قضى به أكثر من ثلاثة عشر سنة مفتيا وخطيبا².

ولما تولى عبد الله الغالب السلطة نقله إلى الجامع الكبير بتارودانت حتى يرفع من شأنها الثقافي قبل أن يعود إلى فاس والتي بها توفي³، كما نال العلامة أحمد العبادي التلمساني تقديرا كبيرا لدى السلطان عبد الله الغالب، فبعد هجرته من تلمسان إلى فاس سنة 1560م قدم له الغالب حوالي ألف مثقال من الذهب، وأمر له بإقامة جليلة وكساء، وقال لخدمه لا تسووه بأحد من الفقهاء فإن همته كبيرة⁴، وقد اشتغل بالتدريس ثم ارتحل إلى مراكش⁵ قبل أن يعود إلى الجزائر ويستقر بمدينة مليانة وبها توفي، ومحمد بن الوقاد التلمساني الذي كان محبوبا من طرف عبد الله الغالب أين نصبه قاضيا وخطيبا على سجلماسة ثم فاس ومكناسة قبل أن يعود ويستقر نهائيا بتارودانت⁶، وكذلك الشأن لمحمد شقرون بن هبة الله الوجدجي الذي انتقل من تلمسان لفاس، فنال بها مكانة مرموقة عند عبد الله الغالب⁷ الذي نصب له كرسيًا للتدريس داخل قصره بمراكش، كما قلده الإفتاء ورياسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب⁸ قبل أن يعود إلى فاس ويتوفى بها سنة 1575م⁹، وقد كان يلقب بفارس المنابر وعروس الكراسي وعالم الزمان¹⁰، وكان السلاطين السعديون يحضرون دروسه¹¹.

ولما تولى عبد الملك المعتصم السلطة ربط علاقات متينة مع كل القادمين من الجزائر - والتي ساندته كثيرا في محنته مع شقيقه عبد الله الغالب - كشيوخ وفرسان قبيلة زاوارة الذين دخلوا معه برفقة الجيش التركي

¹ محمد عبد العزيز الدباغ: (جامع الأندلس بفاس)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع1، ص6، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1962م، ص18، عبد الرحمان الفاسي: ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم، تحقيق أحمد الصقلي، ط1، مطبعة أنفو- برانت، فاس، المملكة المغربية، 2007م، ص127-128.

² أبي المحاسن الفاسي: مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن، فاس، المملكة المغربية، دت، ص75، محمد الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص31.

³ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص269-270، عبد الهادي التازي: القرويين...، ج2، المرجع السابق، ص512.

⁴ محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص107.

⁵ محمد الحضيكي: المصدر السابق، ج1، ص26-27.

⁶ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص156-157.

⁷ عمار هلال: (العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الملائيين)، ضمن كتاب فاس وافريقيا العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط / كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، المملكة المغربية، 1996م، ص62.

⁸ محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص5، محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص261.

⁹ محمد القادري: المصدر السابق، ص519، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص358.

¹⁰ محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج2، المرجع السابق، ص377.

¹¹ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص153.

وبقوا بفاس في خدمته¹، ومن جملة هؤلاء العلماء نذكر يحيى بن سليمان الزواوي الذي اصطحبه معه من الجزائر لفاس لما دخلها أول مرة سنة 1576م²، وفي عهد أحمد المنصور الذهبي ارتفعت أسهم علماء الجزائر بشكل كبير بسبب تقدير وحب المنصور للعلم وأصحابه بغض النظر عن جنسيات وأصل هؤلاء كمحمد شقرون الوجديجي الذي كان المنصور يحضر دروسه في الفقه والتفسير والنحو وعلم الكلام بمدينة مراكش³، ومحمد بن رأس العين خطيب الجامع الكبير بمدينة الجزائر الذي زار مدينة مراكش فمدح أحمد المنصور ببعض القصائد نال بها الحظوة اللائقة والسخاء الكبير⁴.

ومحمد بن الوقاد التلمساني الذي كان المنصور يقدره ويرسل له الهدايا الثمينة بمدينة تارودانت، وإذا زار مدينة مراكش فإن المنصور يستقبله بقصره ويجلسه بمائدة أكله، وقد كان يقول فيه: (ليس عندنا أخطب من الوقاد إلا أن الله اختاره لتارودانت وإن لم تكن كرسي خلافة)⁵، وقد نال ابنه عبد الرحمن نفس مكانة والده لدى المنصور أين حاز على خطط الخطبة والإمامة والتدريس بتارودانت⁶، وكذلك الشأن لمحمد المري التلمساني الذي قصد مدينة فاس لأول مرة قبل أن يستقر بمدينة مراكش، فقلده المنصور الإفتاء والتدريس، وقد تخرج على يديه خيرة العلماء وأبناء الأمراء والوزراء على غرار محمد بن عبد العزيز الفشتالي⁷، ويبقى العلامة أحمد المقري من أكبر علماء الجزائر الذين نالوا مكانة عالية ومميزة عند المنصور نتيجة لعلمه وأخلاقه وأدبه ونسبه⁸، فقد كان جد مقرب من المنصور وحاز منه على مناصب وهدايا ومكاسب عديدة جعلته يخصص كتابه روضة الآس للمنصور إلا أن موت هذا الأخير سبقه لتحقيق مبتغاه⁹.

ولما تولى زيدان بن المنصور السلطة بالمغرب حافظ على نسق والده في تقرب العلماء، فقد كانت له قرابة وصحبة مع أحمد المقري أين وضع بين يديه مكتبة غنية بالمخطوطات النادرة في شتى الميادين، وهي التي استفاد منها المقري في تأليف كتبه فيما بعد، وقد برزت مكانة المقري عند زيدان السعدي لما قرر السفر والرحيل بشكل نهائي عن المغرب باتجاه المشرق، فترجاه زيدان بالبقاء فرد عليه المقري: (محبتي تقتضي مقامي وحالي تقتضي الرحيل)، فرد عليه زيدان: (لا أوحش الله منك قوما تعودوا صنعك الجميلا)، ولما يئس زيدان من بقاء المقري بالمغرب بعث برسالة إلى سلطان الحجاز يوصيه فيها بالمقري وينوه بشأنه

¹ عبد الرحمان الفاسي: المصدر السابق، ص 78.

² عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 153.

³ عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم، ط 2، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 2005م، ص 267.

⁴ أحمد المقري: الرسائل....، المصدر السابق، ص 330.

⁵ محمد بن الصغير الإفرائي: المصدر السابق، ص 175-176.

⁶ محمد بن الوقاد التلمساني: مقيدات تارودانت فيما بين (1658-1662م)، تحقيق نور الدين صادق، المملكة المغربية، 1998م، ص 16.

⁷ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج 1، المرجع السابق، ص 262.

⁸ محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج 2، ص 156.

⁹ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي....، المرجع السابق، ص 378.

وقدره وعلمه وفضله قائلاً: (وقيل لفاس بعده ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي، فطالما قام في نواديها العلمية مقاما محموداً، وأنفق من كنوزها المعارف على الطلبة مالا ممدوداً، وبنين شهوداً كالغيث في البلد المحل أتى على حسن الدعاء وسار على حسن الثناء)، ولم يتنكر المقري لهذه الفضائل، فقد بعث لزيدان برسائل وهو بمصر يتذكر فضله ويشكر إحسانه¹.

ولم تقتصر علاقة الود والصدقة لعلماء الجزائر مع سلاطين المغرب فقط بل تعدوها إلى الأمراء وشيوخ القبائل، فقد ربط سعيد قدورة علاقة وطيدة بالفقيه ابن أبي محلي الذي أعلن ثورة كبيرة بمدينة سجلماسة ضد حكم زيدان سنة 1610م حيث زاره عالم مدينة الجزائر سعيد قدورة بالمغرب الأقصى ليقيم له التهانى على انتصاراته، وكان يعتبره السلطان الشرعي للمغرب²، وخلال الفترة المدروسة ميز العلاقة بين علماء الجزائر وسلاطين المغرب العلويين والود والاحترام المتبادل بين الطرفين على اعتبار أن أغلب هؤلاء العلماء كانوا معارضين للوجود العثماني بالجزائر، وهو ما رفع أسهمهم لدى العلويين، ولعل أبرز هؤلاء من دون منازع الشاعر والأديب السياسي سعيد المنداسي³ الذي فر إلى المغرب الأقصى سنة 1650م، فبعد مكوته لمدة بكل من فاس ومراكش انتقل إلى مدينة سجلماسة، والتي مكث بها إلى غاية وفاته سنة 1677م، وقد دخل المنداسي في خدمة محمد الشريف العلوي⁴، وعاش بالقصر العلوي باعتباره المعلم الخاص لمولاي اسماعيل هذا الأخير بمجرد مسكه زمام السلطة بالمغرب جعل المنداسي من أكبر المقربين له، وقد منحه جراً قصيدة مدح حوالي خمسة وعشرون رطلاً خالصاً من الذهب⁵ يقول في أحد أبياتها:

لولا أنت بالله ما صلح فساد الغرب ... وأشفيت الجروح بالطب الشافي⁶

وبعدما استبعده مولاي اسماعيل من مجلسه بسبب بعض الوشاة تقدم له المنداسي ببعض الأبيات

قائلاً:

¹ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص 129، 132، 136، 169، 473-474.

² أحمد البوني: التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تعليق سعيد دحماني، دار الهدى، الجزائر، 2001م، ص 93.

³ سعيد المنداسي: هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي نسبة إلى قرية منداس ولاية مستغانم درس ونشأ بمدينة تلمسان على خيرة علماءها، وتخصص في الشعر السياسي ارتحل للمغرب الأقصى بعد حملة محمد الشريف العلوي على تلمسان سنة 1650م باعتبار أن المنداسي يبغض الأتراك، وكان من أشد المعارضين لوجودهم بالجزائر بصفة عامة وتلمسان بصفة خاصة، وتنقل بين فاس ومراكش حتى استقر نهائياً بسجلماسة وبها توفي سنة 1677م، ولعل من أشهر مؤلفاته قصيدته المعروفة بالعقيقة أو النونية - الإعلام فيما وقع للإسلام من قبل الترك في تلمسان - وقد شرحها أبي راس الناصري وسماها الدرّة الأنيقة في شرح العقيقة، أنظر: (محمد أبي راس الناصري: الحل السندسية...، المصدر السابق، ص 89).

⁴ محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج 2، ص 155-158.

⁵ إبراهيم حركات: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط 2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1994م، ص 49.

⁶ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص 372.

صاحب سرك ما دحاني فعل قذير... سال عليا ضميرك إذا كنت تسال
عشر سنين نتبعك وانتي شير... صبتك ما تفقه مع الجلاس مقال
واليوم توليت وأنا صرت حقير... ويين أمثالي حتى نجهال

وقد حاول الأتراك استغلال هذه العلاقة السيئة بين المنداسي ومولاي اسماعيل حيث استمالوه وطلبوا
منه العودة للجزائر من أجل ربح قبيلته سويد المعادية للأتراك، فرد عليهم المنداسي بأبيات من الشعر
الملحون يقول فيها:

بو بياضة والعزم معاه ... خير من منداس وقمحه
خير ياسر والذل علاه ... طرف عيني ما تلمحه
عز في قفرا نهواه ... بالقليل والهنا نفرحوا
نترجى مولاي بغناه ... حد غيره ما نمطرحه¹

ولم يكن سعيد المنداسي وحده من داهن العلويون ومدحهم وذم الأتراك بل تبعه في ذلك عديد العلماء
الذين هاجروا للمغرب الأقصى فيما بعد، وعلى رأسهم العربي المشرفي الذي مدح العلويون في مؤلفاته، وقد
كان يلعب على وتر الشرف حيث قال فيهم: (إن من منن الله تعالى على هذا القطر المغربي أن المولى جل جلاله
أتحفه وحلاه بهذه الدولة العلوية إذ هي بعد الدولة الادريسية أشرف الدول، ولها من الفضائل والفواضل ما
فاقت به ملوك العصر الأول بمحاسنه مما تزين بها، وجنات الطروس ويستحق أن تودع في بطون الدفاتر
خشية الدروس ..)²، ولا نعرف هل هذا المدح الذي تقدم به المشرفي للعلويين نابع من قناعة شخصية باعتبار
أنه ينتمي للأشراف أيضا أو من أجل التقرب إليهم ونيل رضاهم، وبذلك نيل العطايا والهدايا والمناصب؟،
وبسبب شهرة العلامة والشيخ أبو عبد الله المغراوي التلمساني (ت1681م)، والذي كان من أبرز شيوخ جامع
القرويين قام محمد الشريف العلوي مؤسس الدولة بإرسال ولده مولاي عبد الله ليتلمذ على يد هذا الشيخ
القدير.³

كما ربطت علاقة محبة بين الفقيه والأديب محمد بن عبد الكريم الجزائري (ت1690م) والسلطان
مولاي اسماعيل⁴ حيث كان معجبا به ورحب به بمدينة مكناسة ترحابا كبيرا، وقد أكرمه وأحسن إليه لمكانته

¹ محمد أبي راس الناصري: الدرّة الأنيقة في شرح العقيقة، تحقيق أحمد أمين دلالي، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2007م، ص02.

² العربي المشرفي: تمهيد الجبال وما وراءها من الجبال وإصلاح حال السواحل والثغور، دراسة وتحقيق بن فاطمة حليلة، القسم الثاني، مذكرة ماستر، جامعة تيارت، 2014م، ص93.

³ عبد الهادي التازي: جامع القرويين...، ج3، المرجع السابق، ص794.

⁴ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج3، ص185.

العلمية الكبيرة وكان يقربه في مجلسه¹، وبعد حلول عبد الرزاق بن حمادوش بمدينة تطوان صادف وجوده هناك ثورة أحمد الريفي سنة 1743م، فناصر السلطان مولاي عبد الله باعتباره ينتهي لفئة الأشراف، وهاجم في المقابل أحمد الريفي، ووصفه بالنطفة الفاجرة المفسدة في الأرض²، ولما كان ابن حمادوش بمدينة فاس قدم السلطان مولاي عبد الله للمدينة فتقدم له ابن حمادوش بقصيدة تهنئة على انتصاره في ثورة الريفي يقول فيها:

أمولاي عبد الله بشرك الهنا ... بكل الذي تبغي من الفتح والنصر
وساقت رياح السعد جارية الهنا ... لساحل بحرك المفيض على اليسر
كأنك بحر في العطاء ومن يكن ... كمثلك حق أن ينال من الظفر
وذلك لك الأعداء حتى كأنها ... أرانب لا تعدوا خطاها عن الحجر
كأنك سيف سل عن معشر الردى ... وغيث يروي الطائعين أولي الفقر
وأنت الذي يرجاك كل مؤمل ... وأنت الذي يخشاك من حاد في السير
فأنت كصبح للحبيب تزينه ... ولا شك أن النفس تفرح بالفجر
فهاك حسان الفكر وجهتها لكم ... فجد بالقبول يا كريم على الشعر
فلازلت ممدوحا ولازلت باذلا ... ولازلت منصورا حياتك في الدهر

وقد تأسف كثيرا ابن حمادوش لأن هذه القصيدة لم تصل للسلطان مولاي عبد الله بسبب شدة وغلظة حجاب السلطان ومنعه من لقاء مراده، فاحتفظ بها ابن حمادوش وجعلها في رحلته التي خطها بعد عودته للجزائر، وقد وضع ابن حمادوش قصيدة مدح أخرى في السلطان مولاي عبد الله لما أتحت له فرصة اللقاء به يقول فيها:

وجبت بلاد الترك والعرب والعجم ... على قدمي طورا وطورا على الحمر
فلو نظرت عيناك فلكي سابجا ... ورأسي يميّد ثم عيناء كالجمر
لأجلكم يا من مكارم فضله ... تعالت عن الاحصاء والعد والحصر
خصوصا بمولانا الخليفة توجت ... رؤوس بني هاشم وقامت إلى الفخر
أمولاي عبد الله طبت أبوة ... وأما فهل مثل الخليفة في العصر
أيا ابن الليوث العاديات على العدا ... ويا ابن الكرام الراحمين لذي الفقر
أبوك النوى للفاسقين وأنه ... لغيث على أرض المساكين بالخير

¹ أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا ... المرجع السابق، ص 91، أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 264-265.

² أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ... ج 1، المرجع السابق، ص 237.

وأنت لعمر الله سيف مهند ... وفي الوجود بحر إلا أنه للأجر
عليكم سلام الله يا مجمع الرضى ... وألف تحيات تدوم مدا الدهر¹

ويذكر ابن حمادوش بأنه لم يتزلف في حياته لحاكم ولم يمدح أمير سوى عبد الله، وقال في هذا الصدد: (فكان من فضل الله علي أن لم أجعل علي سلما للدنيا، ولم أنل به شيئا ولم أمدح أحدا لطمع ولا مدحت سلطانا قط غير هاتين القصيدتين، ولم أتكلف لوصولهما ولم يراهما، وإنما بنيت ديواني على الغزل والنسيب والمراثي ومدح المصطفى عليه الصلاة والسلام ...) ²، ومن خلال هذه الجمل لابن حمادوش في علاقته بالأمرء والحكام طرح علامة استفهام حول علاقته بالحكام الأتراك للجزائر، وعن الأسباب التي جعلته يتعلق بالسلطان مولاي عبد الله ويصفه بكل هذه الأوصاف، فهل كان متعلقا ومؤمنا بمشروع العلويون في الخلافة مثلا؟، وبمجرد وصول أبو راس الناصري لمدينة فاس، والذي فاقت شهرته منطقة المغارب حتى استقبله السلطان سليمان العلوي في قصره فقلده لقب الحافظ، ومنحة قيمة بعدما أهدى له أبو راس الناصري مصنفاته الدرّة الأنيقة في شرح العقيدة، وشرحه لمقامات الحريري، وروضة السلوان المؤلفة بمرسى تطوان، كما دعاه لتحرير الثغور المغربية واسترداد سبتة وبريرا وثغر ابن عكاشة ومليلية من الاسبان كما حرر الأتراك مدينة وهران³.

ولما قرر السلطان مولاي عبد الله تعيين ولي عهده محمد حضر العملية تسعة فقهاء من كبار أعلام المغرب كشهود كان من بينهم العلامة عبد الرحمن المنجرة التلمساني، وهو ما جعل السلطان محمد لما تولى العرش يعتمد عليه في مختلف القضايا التي تخص دولته إضافة للفقهاء محمد التلمساني (ت1778م) الذي أصبح من كبار مقربيه⁴، ولا ننسى بأن عبد الرحمن المنجرة كان معلما لمحمد بن عبد الله العلوي، وهو الذي حبه في العلم والعلماء وأخذ عنه المبادئ الأولى في العلم، ولما تقلد مولاي محمد بن عبد الله الحكم كان يعقد مجلسا علميا كل يوم جمعة ويحضره عديد العلماء، ومن أبرزهم الشيخ عبد الرحمن بن ادريس المنجرة، وشقيقه عبد الله بن ادريس المنجرة، فكان يقربهما ويحرص على قضاء حوائجهما، ويغدق عليهما بالعطايا والهدايا⁵، ونجد أحد أفراد عائلة المنجرة من المشاركين في خلع البيعة عن مولاي سليمان سنة 1820م، ونخص بالذكر العلامة والفقهاء أبو بكر المنجرة بن إدريس بن عبد الرحمن (ت1825م)⁶، وهذا دلالة

¹ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص 97-98.

² عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص 116-118.

³ محمد أبي راس الناصري: الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة، تحقيق أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010م، ص 12، أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ... ج1، المرجع السابق، ص 102.

⁴ السعيد بوركبة: دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1996م، ص 302-303.

⁵ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص 12، 18.

⁶ محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار...، المرجع السابق، 256-257، آيت الغازي عبد القادر: المرجع السابق، ص 83-84.

على المكانة التي وصل لها علماء الجزائر حيث ذابوا تماما في المجتمع المغربي بل وأصبحوا من كبار أعيانه وفقهائه ومؤرخيه.

ولم يكتفي علماء الجزائر الذين عاشوا بالمغرب بالأقصى منذ العصر المريني والوطاسي مرورا بالعهد السعودي وصولا للعهد العلوي بمساندة وتأييد ومبايعة هؤلاء السلاطين والحكام فقط بل تعدوه لتأليف كتب ومصنفات تشيد بهم وبإنجازاتهم مثلما حدث مع ابن مرزوق الجد الذي وضع مصنفا حول سيرة أبي الحسن علي المريني سماه **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، وقد برر ابن مرزوق فعلته هذه بأن الأمير المريني يستحق ذلك لأعماله ومنجزاته الحضرية في خدمة الإسلام وأهله¹، لما وصل محمد أبو راس الناصري لمدينة تطوان بالمغرب الأقصى ألف كتابه **روضة السلوان المؤلفة بمرسى تطوان والجرية من عند أميرها تأتيني بأمر السلطان سليمان تطرق فيه لتاريخ هذه المدينة وسيرة مولاي سليمان العلوي**².

هذه العلاقات الودية والحميمية بين علماء الجزائر والسلاطين المغاربة لم تخلوا من الخلافات والمعارضة، والتي وصلت حد القتل والاعتقال مثلما حدث مع العلامة عبد الواحد الونشريسي، فرغم ما كان يحظى به من علم وأدب وأخلاق لما خلف والده أحمد على الإمامة والتدريس والخطابة والإفتاء بالقرويين. إلا أن ولائه التام للوطاسيين جعل منه العدو للودود للسعديين، فلما وصل محمد الشيخ لمدينة فاس وأراد دخولها سنة 1549م راسل أهلها وقال لهم: (إن دخلت فاس صلحا ملأتها عدلا، وإن دخلتها عنوة ملأتها قتلا)، فرد عليه عبد الواحد بأبيات:

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ... ولا نصك المولى بفضل وأولى
وما أنت إلا مسرف ومعاند ... تمثل للجهاال ما سمة المعلى

وقد نزلت هذه الأبيات كالصاعقة على محمد الشيخ إلا أنه حاول استدراج الونشريسي لصفه بسبب مكانته العلمية ومكانة والده أحمد عند علماء وسكان فاس والمغرب ككل إلا أن رد عبد الواحد كان واضحا: (تعهدت بالوفاء لعاهلي ولا شيء غير موجب شرعي يستطيع أن يحررني من قسسي، وهذا الموجب غير موجود)، وهذا ما كلفه حياته على يد مجموعة من الأشخاص المبعوثين من طرف محمد الشيخ³، ونفس الأمر عاشه محمد بن عبد الرحمن بن الوقاد التلمساني الذي كان معارضا للسلاطين ومواليا للحاحيين

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج1، المرجع السابق، ص51.

² محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته... المصدر السابق، ص164.

³ الصالح بن سالم: (نكبة عبد الواحد الونشريسي مع السلاطين السعديين)، ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، ج2، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019م، ص36-37.

بمدينة تارودانت، فكانت النتيجة مصادرة بستانه لشجر الزيتون والتضييق عليه¹، وقد كان محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني صريحا في مواقفه من الحكام حيث قال فيهم:

كل التراب ولا تعمل لهم عملا ... فالشر أجمعه في ذلك العمل²

كما اتخذ بعض علماء الجزائر أسلوب التحفظ ومسك العصي من الوسط في علاقتهم ببعض السلاطين المغاربة مثلما حدث مع أحمد المقري في قضية العرائش، فبعدها قام السلطان محمد الشيخ المأمون السعدي بتسليم ميناء العرائش للبرتغاليين سنة 1613م أمر علماء فاس بإصدار فتوى تجيز له هذا العمل³، ورغم معارضة المقري لهذه الخطوة لكن خشيته من الموت على يد المأمون قرر أن يختفي عن الأنظار لمدة حتى صدرت الفتوى من غيره وبذلك نجى من الموت بصعوبة بالغة⁴، ومن خلال ما تم تقديمه خلال هذا العنصر نستنتج بأن سلاطين المغرب الأقصى سواء السعديون أو العلويون عرفوا كيف يستقطبوا أحسن وأفضل علماء الجزائر من خلال سخائهم في تقديم الهدايا والعطايا ومنحهم مختلف المناصب العليا على حساب علماء مغاربة، ورغم الخلافات السياسية بين حكام البلدين إلا أن العلاقات التي كانت بين العلماء تميزت بالحميمية وتنوعت بين الكرم والمدح وحسن المعاملة وحرارة الاستقبال.

II- علماء الجزائر بالحواضر المغربية:

ان تواجد علماء وطلبة الجزائر بالحواضر المغربية بدأ مع القرن الثالث عشر الميلادي بعد انتصاب الحكم المريني، وقبل ذلك كانت الوجهة الأساسية لعلماء وطلبة الجزائر هي تونس، وذلك بسبب تواجد القيروان التي كانت حاضرة ثقافية، وسياسة الأغلبية المرتكزة على تشجيع العلم والاهتمام والاعتناء بالعلماء والفقهاء ومنحهم المناصب والهدايا⁵.

أولا- الحواضر الداخلية:

ترتبط مدن المغرب الأقصى ارتباطا وثيقا بماضيها وتاريخها الحضاري سواء الانتماء الديني أو القبلي، فمدينة مثل فاس ارتبطت ثقافتها بالأشرف الأدارسة الذين أسسوها. أما مراكش فترتبط حضاريا بالمرابطين مقابل ارتباط مدينة مكناسة بالثقافة الزناتية البربرية التي تنتمي إليها قبيلة مكناسة أما تطوان فانعكست عليها الثقافة الأندلسية بعد هجرة هؤلاء إليها⁶، وقد عرفت المدن المغربية وبالخصوص الداخلية صحوة

¹ محمد ابن الوقاد: المصدر السابق، ص 17.

² أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 189.

³ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص 134-135.

⁴ محمد بن معمر: المرجع السابق، ص 95-98.

⁵ عمار هلال: المرجع السابق، ص 43.

⁶ إدريس أبو إدريس: دراسات في تاريخ مدينة مكناس وأهمية التاريخ الجهوي، مطبعة المتقي بريتر، المحمدية، المملكة المغربية، 1999م، ص 19.

ثقافية وعلمية كبيرة منذ عهد المرينيون مروراً بالوطاسيون وصولاً إلى السعديون والعلويون، وتجسد ذلك في تشييد مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية التي أصبحت قبلة ومحجاً للطلبة والعلماء من مختلف المناطق العربية والإسلامية.

* مدينة فاس:

تعتبر مدينة فاس من أبرز الحواضر والمدن المغاربية تاريخاً وإراثاً وثقافة¹. أما تاريخ تأسيس المدينة فيرتبط أساساً بالأمير إدريس الأول الذي فر من العباسيين بالمشرك إلى المغرب الأقصى، فاحتوته قبيلة أوربة البربرية وبايعته أميراً سنة 789م، واتخذ في البداية من مدينة وليي عاصمة أولى لدولته قبل أن يشرع في بناء مدينة فاس²، أما تاريخها الثقافي فقد عبر عنه دلفان في كتابه فاس وجامعتها والتعليم الإسلامي العالمي بأنها أثينا إفريقية أما المؤرخ شارمس في كتابه سفارة في المغرب فقد أكد بأنها المدينة المقدسة بعد مكة، وهي العاصمة الفكرية والثقافية للغرب الإسلامي، ومنبع الإشعاع الذي أنار كل من غرناطة وقرطبة وإشبيلية بالأندلس³.

هذه الشهرة والمكانة الثقافية والعلمية التي اشتهرت بها مدينة فاس يعود لمؤسساتها العريقة بداية بجامع الأندلس الذي كان يسمى بمسجد الأشياخ⁴، وقد تكفلت السيدة مريم الفهري القروي سنة 859م في توسعته تحت مسمى الأندلس نسبة إلى الجالية التي كانت تسكن بالقرب منه وتصلي به⁵، ونفس الشيء بالنسبة لجامع القرويين الذي كان يسمى بمسجد الأشراف من قبل، وقد تكفلت السيدة فاطمة الفهري بتوسعته سنة 859م تحت مسمى القرويين نسبة إلى الجالية القيروانية التي كانت تسكن هناك⁶، وقد زادت شهرة هذا الجامع في العهد المريني الذين جعلوا منه منارة علمية عربية وإسلامية بارزة حتى قيل فيه كان قرّة عيون المرينيين⁷، ويذكر عبد الهادي التازي بأن مدينة فاس العتيقة كان بها في كل حارة جامع أو زاوية أو مدرسة يأوي إليها التاجر والصانع والعامل والعالم⁸.

¹ أحمد المقري: نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطيب، ج6، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الأبحاث، الجزائر، 2008م، ص144.
² أحمد جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 2001م، ص45، محمد حجي: (قضايا في سيرة ادريس الأزهر وتأسيس مدينة فاس)، ضمن كتاب متنوعات محمد حجي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص177-184.

³ عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص131.

⁴ عبد العزيز الدباغ: المرجع السابق، ص14.

⁵ أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص78، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص91.

⁶ علي الجزنائي: جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، ط3، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 2008م، ص45، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط2، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، المملكة المغربية، 1999م، ص69، أحمد بن شقرون: أرجوزة من زهرة الأس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1994م، ص12.

⁷ رشيدة برادة: (الحياة الاجتماعية والثقافية لطلاب مؤسسات التعليم العالي العتيق - جامعة القرويين وابن يوسف نموذجاً -)، مجلة البحث العلمي، ع50، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 2008م، ص10.

⁸ عبد الهادي التازي: جامع القرويين... ج3، المرجع السابق، ص682-685.

وإلى جانب المساجد والزوايا المنتشرة في مختلف ربوع المغرب الأقصى لعبت المدارس والمكتبات دورا بارزا في نشر الثقافة والعلوم بفاس، ويمكن القول بأن تشييد المدارس بالمغرب الأقصى عرف وتيرة متصاعدة منذ عهد المرينيين الذين شيّدوا بها أربعة عشر مدرسة تحيط بالقرويين وهي بمثابة أحياء جامعية¹ مرورا بالوطاسيين وصولا للسعديين والعلويين، فبعد زيادة الضغط على القرويين والأندلس خفف عنهما السلاطين المرينيين بعدة مدارس، وقد كانت مزودة بخزائن من الكتب وغرف لإيواء الطلبة الأجانب²، وقد أخذت هاته المدارس شهرتها العالمية، وأصبحت تستقطب مختلف الطلبة والعلماء من خارج المغرب الأقصى، فإلى جانب القرويين والأندلس ظهرت كل من مدرسة الصفارين سنة 1285م، ومدرسة الصهريج 1321م، ومدرسة العطارين 1325م، والمدرسة المصباحية 1346م، والمدرسة البوعنانية 1385م³. حيث يذكر مرمول كرفخال بأن عدد مدارس مدينة فاس لوحدها وصل لمائتي مدرسة⁴، ويزيد عنها الحسن الوزان إحدى عشر مدرسة مخصصة للأجانب بها أقسام داخلية⁵.

ورغم أن فاس عانت كثيرا خلال العهد السعدي بعدما همش دورها على حساب مراكش التي أصبحت العاصمة السياسية والعلمية، وكذلك الشأن خلال عهد الدولة العلوية حيث قام مولاي اسماعيل بنقل عاصمته إلى مدينة مكناسة لكن السلطان محمد بن عبد الله فعل دور مدينة فاس الثقافي والحضاري، وخلال فترة حكم مولاي سليمان أعاد لمدينة فاس بريقها وتوهجها العلمي والثقافي والديني والسياسي، فقد أصبحت مصدرا للفتاوي السياسية والاجتماعية والدينية⁶، ونتيجة لهذا الازدهار فقد أصبحت فاس فسيفساء من مختلف الحضارات العربية والإسلامية والغربية حتى قيل عنها: (أمدها العربي بنبله، والبربري بصلابته وصموده، والأندلسي بريقته، والقيرواني بحذقه ومهارته، والمهودي بحيلته وتجارته)⁷، كما قيل فيها: (ومدينة فاس لم تزل من يوم أسست مأوى الغرباء من دخلها أو سكنها واستوطنها صلح حاله بها)⁸ هذه الأقوال تجسدت في علماء الجزائر أين كانت فاس بمثابة بلدهم الثاني بل أن الكثير منهم اختاروها كسكن نهائي وبها توفوا ودفنوا، ويذكر أحمد المقري في هذا الصدد: (حللت الحضرة الفاسية حيث المجالس غاصة

¹ عبد العزيز بنعبد الله: فاس عاصمة المملكة...، المرجع السابق، ص 129-130.

² عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج 2، ص 357.

³ محمد العيادي: (دور جامع القرويين في تكوين الشخصية الثقافية المغربية التقليدية). ضمن كتاب محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1996م، ص 18.

⁴ عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 131.

⁵ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج 2، ص 414.

⁶ محمد منقعة: (التعليم بمدينة فاس في عهد السلطان سليمان)، ضمن أعمال ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة، المملكة المغربية، 1995م، ص 71.

⁷ عبد الهادي التازي: جامع القرويين ...، ج 2، المرجع السابق، ص 369.

⁸ محمد الكتاني: المصدر السابق، ج 1، ص 03-04.

بالعامية والخاصة، والمساجد أهلة معمورة، والمشاهد بالزوار مغمورة، وحللا لمعارف فضفاضة، والعوارف الجليلة مفاضة، حضرة ديباجها ربيعي، وامتزاجها بالنفوس طبعي ...¹.

لقد كان أعلام الجزائر يفتخرون برحلاتهم العلمية نحو مدينة فاس، ويرسخونها في مختلف مؤلفاتهم، فهذا أحمد المقري يضع في مقدمة كتابه *نفع الطيب* تعريفا بنفسه: (أحمد بن محمد بن أحمد الشهرير بالمقري المغربي المالكي الأشعري التلمساني المولد والمنشأ والقراءة نزيل فاس الباهرة ثم مصر القاهرة)²، ويذكر محمد القاسي في بداية تحقيقه لكتاب أنس الفقير لابن قنفذ القسنطيني بأن هذا الأخير لما قصد فاس كان يعتقد بأنها كبقية الحواضر التي زارها في المغربين الأوسط والأدنى، ولم يعتقد بأنه سيمكث بها مدة معتبرة بعدما وجد بها ضالته في مختلف العلوم من الفقه والتفسير والحديث إلى العقائد والمنطق والرياضيات، وهو ما ساهم في بناء شخصيته الفكرية فيما بعد³، كما يرى محمد مزين بأن العنصر التلمساني بصفة خاصة، والجزائري بصفة عامة ساهم بشكل كبير بتزويد الثقافة الفاسية والمغربية بعلوم ومعارف جديدة، وبالخصوص علم المنطق والعقائد والبلاغة، وقد تركت أثرا كبيرا في الساحة الثقافية الفاسية⁴.

ولعل من أبرز علماء الجزائر الذين حلوا بفاس خلال العهد المريني نذكر أبناء الامام التلمساني عبد الرحمن (ت1341م)، وعيسى (ت1347م)، ومحمد الآبلي التلمساني (ت1356م)، ومحمد بن مرزوق الخطيب (ت1380م)، ومحمد بن قنفذ القسنطيني (ت1406م)، ومحمد بن مرزوق الحفيد (ت1438م)، ومحمد الهواري الوهراني (ت1439م)، وأحمد العبادي التلمساني (ت1463م)⁵، وفي العهد الوطاسي شهدت مدينة فاس زيارة كل من محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت1503م)، وأحمد بن يحيى الونشريسي (ت1508م)، ومحمد بن علي ابن أبي الشرف التلمساني (ت1514م)، وأحمد بن يوسف الملياني (ت1521م)، ومحمد شقرون بن أبي جمعة الوهراني (ت1523م)، وعبد الله بن إبراهيم الخياط (ت1532م)⁶، وطاهر بن زيان الزواوي

¹ محمد بوشناني: (هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني 1520-1830 م)، *مجلة المواقف*، ع4، جامعة معسكر، الجزائر، 2009م، ص104.

² أحمد المقري: *نفع الطيب ...*، ج1، المصدر السابق، ص13.

³ أحمد ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحفير، نشر واعتناء محمد القاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1965م، ص05.

⁴ محمد مزين: فاس وبدايتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، ج2، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1986م، ص577.

⁵ عبد القادر زمامة: (المقري الجد)، *مجلة دعوة الحق المغربية*، ع2، ص9، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1965م، ص96-100، محمد ابن الصعد: روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحيى بوعزيز، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م، ص53-54، أحمد بن قنفذ: الوفيات، تحقيق عادل نويض، ط4، دارالآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983م، ص6-17، عبد السلام بن سوادة: سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، تحقيق محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ص134.

⁶ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص172-173، عبد المنعم القاسي الحسيني: المرجع السابق، ص336.

(ت1533م)، وأحمد بن أبي جيدة الوهراني (ت1544م)، وأبو الحسن علي بن هارون المطغري (ت1545م)،
وعبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت1548م)، وأبو علي احسن بن منديل المغيلي، وخلال العهد السعودي
عرفت مدينة فاس استقطاب لا مثيل له لأعلام وطلبة الجزائر بداية بالعلامة علي بن عيسى الراشدي
(ت1574م)، ومحمد بن علي الخروبي (ت1556م)¹.

وأحمد العقباني (ت1571م)، وعيسى بن محمد البطيوي الوهراني، ومحمد بن الوقاد التلمساني
(ت1593م)، والقاضي عبد العزيز بن علي المغراوي (ت1605م)، والحسن بن يوسف بن مهدي الزيادي
(ت1614م)²، ومسعود بن محمد الشراط (ت1621م)، وأبو الحسن علي بن عمر البطيوي (ت1629م)³، وكان
آخرهم سعيد قدورة (ت1656م) الذي قصدها ومكث بها مدة تقارب سبعة سنوات قبل أن يعود لمدينة
الجزائر ولاشك أنه درس هناك على خيرة أعلام مدينة فاس⁴، وقد استقرت بمدينة فاس عديد العائلات
والأسر العلمية الجزائرية بل وتمكنت من فرض نفسها من خلال حارات تسمى باسمها كحارة مغراوة وحارة
التلمساني⁵، ومن أبرز بيوت العلم الجزائرية التي وفدت على مدينة فاس نذكر بيت بني الزواوي، وبيت الأوربي،
وبيت المغيلي، وبيت بني جلال، وبيت بنو المري، وبيت بني زكون، وكل هذه الأسر والبيوت العلمية وفدت من
بجاية وتلمسان في فترات زمنية مختلفة⁶.

لكن أشهر هذه البيوت التي تركت اسهامات ثقافية كبيرة بفاس نذكر أسرة المقري التلمسانية بداية
بمحمد المقري (ت1357م) خلال العهد المريني، وسعيد بن أحمد المقري (ت1611م) الذي ولد وتعلم بمدينة
تلمسان وقضى بها حوالي ستون سنة مفتيا وخطيبا بجامعة الأعظم قبل أن يحط رحاله بمدينة فاس،
وبعدها مهد الطريق لابن أخيه الحافظ أبو العباس أحمد المقري (ت1631م)، كما سطع نجم أسرة ابن
جلال التلمسانية، والتي تعد من أبرز البيوت والأسر العلمية العريقة التي هاجرت إلى مدينة فاس، وهناك
نالت مختلف المناصب العلمية والدينية بل وحازت على أملاك عديدة بالمدينة⁷ بداية بمحمد بن عبد
الرحمن بن جلال (ت1574م) الذي حاز مناصب الإفتاء والتدريس والخطبة بجامعة القرويين والأندلس قبل
أن يترك هذه المناصب لابنه محمد المرابط (ت1599م) من دون أن ننسى شقيقه أحمد (ت1635م) الذي

¹ أحمد المنجور: المصدر السابق، ص74، محمد الحضيكي: المصدر السابق، ج2، ص446، محمد الإفرائي: المصدر السابق، ص68، ص356،
محمد حسين القذافي: (حياة أبي عبد الله الخروبي في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب)، ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار
المغرب العربي تنقلات العلماء والكتيب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1995م، ص257.

² محمد القادري: المصدر السابق، ص208.

³ عبد الهادي التازي: جامع القرويين...، ج2، المرجع السابق، ص515، محمد الشراط: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس،
دراسة وتحقيق زهراء النظام، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، 1997م، ص103-104.

⁴ سعيد عيادي: المرجع السابق، ص38، أحمد المقري: روضة الأسم العاطرة الأنفاس...، المصدر السابق، ص316.

⁵ محمد الشراط: المصدر السابق، ص303-304.

⁶ عبد الرحمن الفاسي: المصدر السابق، 2007م، ص17، 13، 8، 67، 44.

⁷ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص71، عبد الرحمن الفاسي: المصدر السابق، ص67، 127.

كان فقيها وخطيبا بمدينة فاس، وكان آخر فقهاء هذه الأسرة أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد المرابط بن محمد بن عبد الرحمن بن جلال (ت1669م)¹، ونظرا لشهرة هذه الأسرة بعلمها وفقهها فقد مدحها العلامة المغربي أبو سالم العياشي بقوله:

ومن بعده الشيخ ابن جلال الذي ... غدا في سماء المجد تاج الأهله
سلالة أهل الفضل والدين وارث ... مقامهم في كل علم وحكمة
فمنذ الصبا قد ساد بالعلم والحجى ... وما زال ينمو في وقار وهيبة
إلى أن غدا وهو المبرز وحده ... فمن كل علم نال أكبر حصه
له همة من دونها النسر خاضع ... فلا زال في جاه حصين وعزة²

كما استقرت بفاس عائلة علم جزائرية شهيرة هي أسرة المنجرة، وهي من الأسر التلمسانية الشريفة التي يعود نسبها للأدراسة³، وانتقلت لفاس أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، ومنهم سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الحسيني المنجرة التلمساني (ت1705م)، وقد كان محترفا بالنجارة التي ورثها على أجداده بمدينة تلمسان، ولذلك لقبت العائلة بالمنجرة كان كثير التلاوة وله رحلة حجازية، وقد كان رجلا مصلحا بين الناس وخادما بالحضرة الإدريسية، وتوفي بمدينة فاس ودفن بالقرب من هذه الحضرة إلى جانب العلامة ابن عاشر، وترك ولدا فاقه علما وشهرة هو الإمام المقرئ العلامة إدريس بن محمد المنجرة (ت1723م) كان شيخ القراء بمدينة فاس والمغرب ككل، ولم يوجد في ذلك الوقت من ينافسه على القراءة من طرابلس الغرب للمحيط، ومن شيوخه هناك محمد بن عبد الله السرخيني، وأحمد بن ناصر الدرعي⁴، وقد كان متفرغا للتدريس منذ مطلع الفجر إلى آخر ساعات الليل انتقل إلى مصر ومنها إلى مكة والمدينة المنورة كما كان من أعلام التصوف بالمغرب⁵، وتوفي بفاس ودفن قرب المصلى بجوار عبد الواحد بن عاشر، وقد حضر جنازته جمع غفير من عامة وخاصة الناس⁶.

ومن الاشارات القوية على شهرة وقيمة هذا العالم لما وضع مولاي اسماعيل سنة 1704م حوالات أحصى فيها مختلف علماء المغرب الأقصى الذين حركوا الثقافة المغربية حيث ضمت هذه الحوالات حوالي واحد وعشرون عالما وفقهيا وكان من بينهم عالمين جزائريين وهما العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني (ت1705م)، والفقيه والعلامة أبو العلاء إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الحسيني التلمساني

¹ أبو المحاسن الفاسي: المصدر السابق، ص75، أحمد ابن القاضي: المصدر السابق ج1، ص66.

² عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص102.

³ عبد السلام بن سودة: صل النصال...، المصدر السابق، ص151.

⁴ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص307-310.

⁵ إبراهيم حركات: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط2، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1994م، ص29.

⁶ رزق بن عبد العليم: أعلام المالكية، ط1، دار مبرة الآل والأصحاب، الكويت، 2011م، ص79-80.

(ت1723م)¹، وقد ترك العلامة إدريس المنجرة وراءه مجموعة من الأولاد كانوا كلهم علماء وفقهاء منهم مولاي أحمد بن إدريس المنجرة التلمساني (ت1728م)، وكان من أعلام مدينة فاس وبها توفي، ومنهم مولاي العربي بن إدريس المنجرة التلمساني، وكان أستاذا مدرسا بفاس وانتقل لمدينة آسفي ورجع لفاس وبها توفي، ومنهم مولاي محمد بن إدريس المنجرة التلمساني، وكان هو الآخر من أعلام مدينة فاس، ومنهم المقرئ مولاي عبد الله بن إدريس المنجرة (ت1761م)، وكان يدرس القراءات وعلم النحو والفقه والحديث وانتقل بعدها لمدينة مراكش².

ومنهم العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرة التلمساني (ت1765م) شيخ الجماعة بفاس وإمام الحرم الإدريسي وخطيبه، وقد ولد عبد الرحمن سنة 1700م بحومة المخفية بفاس وأخذ عن والده الفقيه ادريس المنجرة والعلامة المسناوي، وقد أصبح شيخ المغرب الأقصى ككل في القراءات وأحكام الروايات بالقراءات العشر، وله علم كبير في الفقه والمنطق والبيان والأصول والتفسير والحديث والتصوف، وقد تولى الإمامة والخطابة والتدريس بمسجد الشرفاء لمدة خمسة عشر سنة، كما كان يدرس البخاري والتفسير بقبة مولاي إدريس، ويتولى تدريس القراءات والتجويد بالقرويين والمدرسة الرشيدية، وقد أخذ عنه كل من محمد بن عبد السلام الفاسي، ومحمد التادلوي، ومحمد بن أحمد الهبطي، ومولاي العربي الدرقاوي الذي قرأ عليه القرآن كاملا، وقد ترك عديد المصنفات منها حاشية صغرى على فتح المنان، وحاشية كبرى على الجعبري، وحاشية على المرادي، وفهرسة لشيخوخه سماها الاسناد للشفيح يوم التناد، وشرح دالية اليوسي، وقد توفي بمدينة فاس وصلى عليه الإمام سيدي أبا مدين الفاسي بجامع القرويين، ودفن خارج باب الفتوح بفاس، وقد حضر جنازته جمع غفير من الطلبة والعلماء³.

كما اشتهرت بمدينة فاس عائلة الأبار التلمسانية، والتي تولى أحد أفرادها أحمد بن حمدون ابن محمد بن موسى الأبار (ت1660م) الخطابة بجامع الأندلس، كما شاع علم ابن أخيه محمد بن الحسين الأبار (ت1701م)، وقد اهتمت هذه العائلة بعلم الفرائض والحساب ومن آثارهم بمدينة فاس مسجد الأبارين بحومة الشرشور الذي يتولى فيه أفراد العائلة الإمامة والتدريس والخطابة⁴. وكذلك الشأن لبيت الزواوي الذين قدموا من زاوة بجاية، وبيت الملياني الذين قدموا من مليانة بالغرب الجزائري، وقد أنجب هذين البيتين العشرات من الأعلام والفقهاء خلال العصر السعدي والعلوي⁵، وسنحاول في الجدول التالي تتبع أهم

¹ السعيد بوركبة: دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1996م، ص212-214.

² محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص309.

³ عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية بين القرنين 9-20م، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص123، محمد الأخضر: المرجع السابق، ص286-287، عادل نويهض: المرجع السابق، ص84.

⁴ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص28.

⁵ إسماعيل ابن الأحمر: ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم، دار المنصور للطباعة والوراقة، المملكة المغربية، 1972م، ص10، 48.

وأبرز البيوتات العلمية الجزائرية التي زارت مدينة فاس خلال العهد المريني والوطاسي والسعدي والعلوي، والتي توارثت نصيحة أجدادها الأوائل بضرورة الهجرة والارتحال لمدينة فاس للنهل من أعلامها ومساجدها ومدارسها:

المرحلة التي هاجروا فيها	تاريخ الوفاة	أعلام هذه الأسر	الأسر العلمية الجزائرية
الدولة المرينية	1357م	محمد المقري	أسرة المقري
الدولة السعدية	1611م	سعيد المقري	
الدولة السعدية	1631م	أحمد المقري	
الدولة العلوية	1677م	محمد شقرون المقري	
الدولة المرينية	1380م	ابن مرزوق الخطيب	أسرة المرزوقة
الدولة المرينية	1438م	ابن مرزوق الحفيد	
الدولة الوطاسية	1514م	ابن مرزوق السبط	
الدولة المرينية	1305م	سليمان الونشريسي	أسرة الونشريسي
الدولة المرينية	1386م	الحسن بن عثمان	
الدولة المرينية	1431م	عمر بن عثمان	
الدولة الوطاسية	1509م	أحمد أبو العباس	
الدولة الوطاسية	1549م	عبد الواحد بن أحمد	
الدولة المرينية	1341م	عبد الرحمن ابن الامام	بيت أبناء الامام
الدولة المرينية	1347م	عيسى ابن الامام	
الدولة المرينية	1394م	ابراهيم بن ع الرحمن	
الدولة المرينية	1441م	محمد بن ابراهيم	
الدولة العلوية	1660م	أحمد بن حمدون	أسرة ابن الآبار
الدولة العلوية	1701م	محمد بن الحسين	
الدولة السعدية	1594م	أحمد بن يوسف	أسرة الزياتي
الدولة السعدية	1645م	عبد العزيز بن الحسن	
الدولة السعدية	1574م	محمد بن عبد الرحمن	أسرة ابن جلال
الدولة السعدية	1599م	محمد المرابط	
الدولة السعدية	1635م	أحمد بن محمد	
الدولة العلوية	1669م	أحمد بن عبد الرحمن	

الدولة المرينية	1408م	سعيد العقباني	أسرة العقباني
الدولة السعدية	1571م	أحمد العقباني	
الدولة المرينية	1370م	محمد الشريف	أسرة الشريف التلمساني
الدولة المرينية	1390م	عبد الله بن محمد	
الدولة المرينية	1422م	عبد الرحمن بن محمد	

وخلال الفترة المدروسة (من منتصف القرن السابع عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي) تسجل لنا كتب التراجم بالخصوص المئات من علماء الجزائر الذين حطوا رحالهم بمدينة فاس، والبداية مع محمد بن عبد الكريم الندرومي الذي كان من مشاهير الخطاطين بمدينة فاس، وقد وجد اسمه على عديد المصنفات الدينية المشرقية¹، والشيخ محمد الصغير المستغاني أصله من مدينة مستغانم، وحط رحاله بمدينة فاس أين تتلمذ على يديه كل من الشيخ محمد بن يوسف السوسي (ت1638م)، والشيخ عبد الرحمن بن القاضي (ت1671م)، والعلامة أبو عبد الله المغراوي (ت1681م) الذي كان فقيها ونحويا وحسن الصوت بالقراءة تولى التدريس بإحدى كراسي القرويين، وأخذ عن عبد القادر الفاسي، وكان يتولى قراءة دروسه، وقد تميز بالذكاء والفتنة، كما كان يدرس ويتولى الإمامة بضريح ادريس بمدينة فاس، وترك كتاب في القراءات يسمى بالدالية في القراءات²، وقد كان أستاذا للسلطان مولاي عبد الله العلوي³.

وفي إطار رحلاته الاستطلاعية والاستكشافية داخل المغرب الأقصى انتقل الشاعر سعيد المنديسي لمدينة فاس قادما إليها من مراكش وسجلماسة لكن المصادر المغربية لم تذكر لنا شيء عن هذه الزيارة من حيث الشيوخ والتلاميذ الذين أخذوا عنه هناك⁴، وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد التيجيني (ت1687م) الذي تتلمذ بتلمسان على يد سيدي دحو بن زرفة، وانتقل لمدينة فاس وتفرغ للتصوف أيضا، وهو صاحب كتاب العقد النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس⁵، ومن أعلام مدينة ندرومة الذين قصدوا فاس خلال القرن السابع عشر الميلادي الشيخ والفقير محمد الحرشايي الندرومي مدرس الجامع الأعظم بتلمسان، فبعدهما تابع تعليمه بمدينة مازونة انتقل لفاس، ورغم أنه فقد بصره في سنواته الأخيرة إلا أن الله أعطاه بصيرة ثابتة وبها توفي⁶.

¹ محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1991م، ص160.

² محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص243، 291، 322.

³ عبد الهادي التازي: جامع القرويين... ج3، المرجع السابق، ص794.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص370.

⁵ محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار...، ج2، المصدر السابق، ص207.

⁶ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص196.

وكذلك الشأن للفقهاء عبد الرحمن بن عبد القادر المجاجي (ت1685م)¹، فبعدما تتلمذ على يد محمد بن علي أهلول المجاجي، وأبي علي بزاوية مجاجة، ومنها حظ رحاله بتلمسان² أين تتلمذ على خيرة شيوخها، ومنها إلى فاس والتي يحتمل بأنه توفي ودفن بها، وترك بها بعض المصنفات العلمية³ في الفقه والحديث أشهرها كتاب التبريج في أحكام المغارسة، والتصيير والتوليج، وشرح مختصر خليل وابن الحاجب⁴، كما زارها أيضا الفقيه محمد بن مبارك المغراوي التلمساني (ت1681م) الذي كان إماما بضريح مولاي إدريس بمدينة فاس، كما كان مدرسا بالقرويين تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وتميز بالذكاء والفظنة⁵، ويذكر أبو القاسم سعد الله بأن الشيخ محمد بن سعيد الهبري (ت1682م) الذي ولد بمدينة مستغانم كانت له رحلة للمغرب الأقصى لكنه لم يحدد المدينة المزاراة إلا أن تخميننا يميل نحو مدينة فاس باعتبارها المقصد الرئيسي لكل علماء المغرب الأوسط، ومنها إلى مدينة مكناسة باعتبارها العاصمة السياسية للدولة العلوية قبل أن ينتقل لتونس وطرابلس الغرب وهناك توفي، وقد ترك مصنفا في التصوف سماه أجوبة ورسائل ونصائح وتفسير بعض كلام الأئمة وتفسير ما أشكل من كلام أهل الحقيقة⁶، ولا نعرف إن وصل هذا المؤلف للمغرب الأقصى أم لا ؟

ومن علماء مغراوة الذين حطوا رحالهم بفاس نجد العلامة الحسن بن الصغير المغراوي وولده محمد المجاجي (ت1692م)، والذي كان قاضيا ومفتيا وخطيبا بجامع القرويين والأندلس أيام السلطان مولاي الرشيد، ومن شيوخه بفاس نجد العلامة عبد القادر الفاسي الذي يعتبر عمدته في الدراسة، وكان يستشيريه قبل إصدار الفتاوى، ومن أبرز تلاميذه الذين لازموه وأخذوا عنه نذكر محمد بن أحمد الفاسي⁷، كما زارها أيضا الشيخ والأديب محمد بن عبد الكريم الجزائري (ت1701م) الملقب بأبو الجمال لأنه كان جميل الطلعة⁸. ولد ونشأ بمدينة الجزائر أين أخذ عن شيخها سعيد قدورة قبل أن ينتقل لمدينة فاس سنة 1672م

¹ عبد الرحمن المجاجي: نسبة لقبيلة مجاجة بأحواز الشلف بالغرب الجزائري والتي اشتهرت بزوايتها، والتي درس بها الكثير من العلماء وشيوخ الجزائر أمثال سعيد قدورة وأبو راس الناصري، وقد ولد عبد الرحمن سنة 1630م ودرس بزاوية القرية على يد الشيخ محمد بن علي أهلول وشقيقه الشيخ أبي علي أهلول ثم سافر إلى تلمسان ومنها إلى فاس توفي سنة 1685م، وترك عديد المصنفات أبرزها التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتصيير، ومؤلف في الحديث سماه فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث، أنظر: (أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ص29).

² عبد الرحمن المجاجي: رحلة المجاجي، دراسة وتحقيق آل سيد الشيخ سعاد، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2008م، ص03.

³ عبد القادر أوقاسي: (فقهاء منطقة شلف خلال العهد العثماني عبد الرحمن المجاجي نموذجا). مجلة عصور، ع04-05، جامعة وهران، الجزائر، 2003-2004م، ص10.

⁴ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ص29.

⁵ محمد الحضيكي: المصدر السابق، ج1، ص303.

⁶ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2، المرجع السابق، ص154.

⁷ محمد بن أحمد الفاسي: المورد البني بأخبار الإمام مولاي عبد السلام الشريف القادري الحسني، تحقيق عبد الرحمن سعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص65-66.

⁸ محمد مخلوف: المرجع السابق، ص327.

ويكمل تعليمه على يد الشيخ عبد القادر الفاسي، والحسن اليوسي، وأبو عبد الله السوسي¹، وقد اشتغل الشيخ محمد بن عبد الكريم بتدريس صحيح البخاري بمدينة فاس، وقد كان حسن المجالسة، وذاكرا للأدب والتاريخ، وممتع المحاضرة مما جعل السلطان مولاي اسماعيل يقربه إليه، ويكرمه ويجله ويعظمه في مجلسه²، وقد وصل عدد مشايخه بالمغرب والمشرق ما يقارب سبعين في شتى العلوم³، وتوفي بمدينة فاس ودفن بروضة ابن جلون⁴، ومن أشهر تلاميذه محمد الصغير الفاسي صاحب المنح البادية في الأسانيد العالية⁵.

ومن أعلام قسنطينة الذين زاروا فاس واستقروا بها نجد الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني (ت1704م) تتلمذ على يد أبي عبد الله محمد المغربي الجزائري بجبل زاوة، وبمدينة الجزائر عن محمد بن سعيد قدورة، وأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن⁶، وبعدها شد رحاله نحو فاس، وقد تكون حادثة تهديم منزله بمدينة قسنطينة قد تركت أثرا في نفسيته، وهو ما جعله يقرر الهجرة للمغرب المعروف بمنافسته للأتراك، وسرعان ما برز اسمه بمدينة فاس حيث جلس يدرس جمع الجوامع للسبكي، وعلم الكلام والمنطق والحديث والفقه، وقد أدهش علماء المغرب بقوة الحفظ، فلم يعرفوا عالما قبله ولا بعده يمتلك هذه القوة الخارقة في الحفظ حيث كان يقول عن نفسه بأنه متمكن من اثني عشر علما -، وقد كانت دروسه تشهد زحمة كبيرة من طرف الطلبة والوزراء والسلطين، وقد أجزل الحكام في نفقاتهم عليه⁷.

وقد حجز لنفسه كرسيًا بالقرويين لتدريس البخاري بالإضافة لتدريس الفقه والتفسير والمنطق وكانت له نوازل عديدة⁸، ومن أبرز تلامذته بالمغرب كل من الشيخ الامام محمد بن أحمد المسناوي الدلائي (ت1723م)، والشيخ عبد الرحمن بن علي السلاسي (ت1706م)، والفقيه أحمد بن العربي الفاسي (ت1728م)، والشيخ أحمد بن مبارك الفلالي اللمطي (ت1743م)، وأحمد بن عبد الحي الحلي (ت1708م)، والمفتي محمد يعيش ابن الرغاي (ت1737م)، والامام الفقيه محمد بن قاسم ابن زاكور (ت1708م)، والشيخ محمد بن أحمد التماق (ت1738م)، وعبد الرحمن الجامعي والفقيهين محمد بن عبد السلام بناني وادريس بن محمد المنجرة⁹، وكانت له صحبة طويلة مع الفقيه أبي عبد الله بن قريش¹⁰، وأحمد بن مبارك

¹ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص185.

² محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج3، ص185.

³ أحمد البوني: الدررة المصونة في علماء وصلحاء بونة...، المصدر السابق، ص167.

⁴ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص344-345، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص185.

⁵ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص131-132.

⁶ محمد مخلوف: المرجع السابق، ص329.

⁷ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص187-189، 349.

⁸ عمار هلال: العلماء الجزائريون في فاس...، المرجع السابق، ص66. محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص360-361.

⁹ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص35، 140، ج3، ص220، 257، 360.

¹⁰ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص36، 359-360.

السجلماسي حيث أخذ عنه صحيح البخاري والبعض من التفسير ومختصر خليل وعقيدة السنوسي الصغرى¹ توفي بفاس ودفن بالقرب من ضريح سيدي أبي غالب وبنيت عليه قبة وصلى عليه الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي².

وعنه يقول تلميذه محمد بناني في كناشته: (شيخنا العديم النظير ذو الفهم الرائق والحفظ الدافق والبحث والتحرير أبو عبد الله سيدي ومولاي محمد بن أحمد القسنطيني الشهير بالكمدان) فقد أخذ عنه البناني مختصر وكبرى وصغرى ومقدمات السنوسي، وتهذيب السعد للشمسي في المنطق، وصحيح البخاري والتفسير³، كما درس عنده مولاي محمد بن اسماعيل العلوي والذي أعجب به كثيرا ونظم فيه قصيدة مدح قائلا:

فمن بلغ عني رسالة شقيق ... إلى عالم الأعلام صدر الأكاير
إلى شيخنا أسمى السمي محمد ... أحملها هوج الرياح العواطر⁴

كما زارها العلامة والشيخ محمد بن علي الشريف الشهير بالرماصي نسبة لقرية رماصة بأحواز مدينة مستغانم، وانتقل لمدينة فاس وأخذ عن أعلامها الكبار كمحمد الفاسي صاحب المنح البادية وأجازه في هذا المصنف كله سنة 1719م⁵، ونفس الشيء بالنسبة لمحمد بن علي الشريف الجعدي من مدينة الجزائر، فبعدهما أخذ عن مشايخ وعلماء المدينة التقى الشيخ الرماصي بموطن الراشدية وأخذ عنه وأجازه في مروياته وأكمل مساره نحو فاس في حدود سنة 1720م قاصدا أسرة الفاسي أين أخذ عن محمد الصغير الفاسي وأجازه واطلع على مصنفاته⁶، والشيخ محمد بن عطية التلمساني (ت1749م)، وكان رجلا صالحا مواظبا على قراءة دلائل الخيرات بضحريج ادريس بمدينة فاس، وكان ملازما لكراسي العلم والوعظ، ومن أتباع الشيخ سيدي محمد بن يوسف الحسنواوي، ولما توفي دفن بزاوية شيخه في جنازة كبيرة حضرها العلماء والشرفاء وأعيان مدينة فاس⁷.

¹ أحمد بن مبارك السجلماسي: رد التشديد في مسألة التقليد، تحقيق الحسين بن الحسن أحيان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2010م، ص14.

² محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص35-36.

³ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص43-44.

⁴ عبد القادر بكاري: منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2016م، ص228، المفضل الكونوني: محمد بن زاكور الفاسي دراسة في الشخصية والإنتاج، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ظهر المهرافاس، المملكة المغربية، 1998م، ص127.

⁵ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص397-400.

⁶ قدور بوجللال: المرجع السابق، ص92-93.

⁷ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ص278-279.

ومن علماء الجزائر الذين مروا على مدينة فاس نجد الرحالة والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحاج منصور العامري التلمساني (ت1757م) وفد على فاس من بني عامر بأحواز تلمسان وأخذ عن شيوخها قبل أن يستقر نهائياً بمدينة تازة ومنها أخذ لقب التازي، وله رحلة شهيرة تعرف بالرحلة العامرية¹، وفي سنة 1743م وبعد رحلة لمدينة تطوان ومكناسة حط الطبيب الجزائري عبد الرزاق ابن حمادوش بمدينة فاس، وهناك التقى بعالم جزائري آخر متخصص في التنجيم هو محمد القسنطيني، وقد انتقده ابن حمادوش لأن شهرته العلمية تفوق علمه بكثير، كما التقى بالطبيب الخاص بمولاي إسماعيل سيدي الحاج عبد الوهاب أدراق، وقد جالسه ابن حمادوش حيث سلم عليه وقبل يده احتراماً لشخصيته العلمية والسياسية، وقد قدم له قصيدة في المدح يقول فيها:

أيا سيدي عبد الوهاب تحية ... وبشرى لكم أهدي وأندى من الطل
سلام عليكم طول الله عمركم ... ولا زالت ترقى في المكارم والفضل
أتيتك يا ملجأ البرية كلها ... تنولني علما فنبراً من الجهل
وخلفت أمي العيال وصبية ... كأنها أفراخ الحمام لدى الوصل
وجبت بحارا والغمار دخلتها ... وفقراء لا أنس ولا مأوى للظل
ويممتمكم كي أستنير بنوركم ... وألبس من حذوا خباكم على قل
فكن لي يكون الله عونك كلما ... سألت ويهديك القويم من السبل²

ولما مرض عبد الرزاق بن حمادوش بمدينة فاس بالجحى قصد الطبيب والحكيم عبد الوهاب أدراق قصد طلب العلاج، وقد شكى ابن حمادوش مرضه نظماً قائلاً:

أيا شيخنا عبد الوهاب سعادة ... لتعلم ما حاز الفؤاد من الحدس
لك الهيبة التي يبذل لها الفتى ... واسد الشرى والمارقين من الإنس
خرجت بها حى تفور كأنما ... أزيز مراجيل العروس لدى العرس
وكنت بها ملقى كأنى تأمل ... أو أنى مثمول كـرعت من الكأس
فقلت إله العرش رب وخالقي ... تعافني من دائي وباعد عن النحس
وكن لي على ريب الزمان وغريتي ... وليا نصيراً لا تكلي إلى النفس
وجنبي طارق البلاء وأهله ... وما يلقيه الشيطان في الروع بالخنس³

¹ محمد المنوني: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، المملكة المغربية، 1953م، ص88.

² عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص80-82.

³ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص82.

وفي مدينة فاس التقى ابن حمادوش أيضا بالشيخ أحمد بن مبارك، وأخذ عنه مختصر السنوسي في المنطق وكان من أبرز مدرسيه، كما تقدم له بقصيدة ثناء واستجازه، وقد رد أحمد بن المبارك على ابن حمادوش تواضعا بأنه لم يبلغ كل هذه المكانة بعد لكن هذه الدروس لم تطل حتى توفي شيخه هذا وقد حزن عليه ابن حمادوش كثيرا ورثاه بقصيدة يقول فيها:

أقلت يا شمس الغرب في حجب الثرى ... وأبقيت فاسا في الظلام والغم
 أيا شيخنا شيخ الجماعة أحمد ... أنجل مبارك وصلت ذو الرحم
 لقد كنت في علم الحديث إمامه ... وأنت على أهل التفاسير كالنجم
 عليك يحق النوح والحزن والبكا ... وفيك تباح لي المراثي من الإثم
 رثيتك محزوننا وكل الورى مثلي ... وأنى لنا شخصا مثلك في الحلم
 يحق لنا أن نبكي العمر بالدماء ... على العالم النحرير إذ ثوى في الرم
 أيا مالك قد مات من نشر اللوى ... لمذهبك المنصور بالغرب في الحكم¹

وسنحاول في الجدول التالي إبراز أهم شيوخ عبد الرزاق بن حمادوش بالمغرب الأقصى وطبيعة هذه الاستفادة:²

طبيعة الاستفادة العلمية من هؤلاء العلماء	شيوخ ابن حمادوش
قرأ عنه صحيح البخاري ومسلم وتفسير القرآن الكريم ومختصر خليل وعقائد السنوسي والحكم العطائية ودلائل الخيرات والاكتفاء للكلاعي والرسالة والتهذيب ومختصر ابن الحاجب وألفية العراقي...	محمد بناني الفاسي
قرأ عليه مختصر خليل والألفية والتسهيل وقواعد الاعراب للأزهري وصحيح البخاري ومسلم والرسالة ومختصر ابن الحاجب والشمائل والموطأ والإحياء للغزالي والأصول في الحديث للديبع والحكم العطائية...	أحمد ابن العربي المرداسي الفاسي
تلقى عنه كتب الحديث والفقهاء من البخاري ومسلم ومالك ابن أنس والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبي داود وأحمد بن حنبل ...	أحمد بن محمد الورززي الفاسي
أخذ عنه التسهيل لابن مالك وتلخيص المفتاح ومختصر ابن الحاجب والموطأ وصحيح البخاري وتفسير القرآن الكريم والحكم العطائية والرسالة والمدونة	محمد العربي الفاسي
قرأ عليه صحيح البخاري ومسلم ومختصر السنوسي في المنطق بشروحه وقصيدة الدالية الشهيرة وشرحها والموطأ وكتاب الشفا وجامع الأصول...	الحسن اليوسي

¹ المصدر نفسه، ص 83، 88.

² عبد القادر بكاري: المرجع السابق، ص 230-234.

أبو مدين بن الحسن السوسى المكناسى	أخذ عنه الشمائل وشرح المسلم المرونق للأخضرى...
عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى	قرأ عليه الألفية وتلخيص المفتاح والخزرجية وأشعار وقصائد متنوعة...
أبو الحسن علي التطوانى الأندلسى	أخذ عنه الأربعين النووية وصحيح البخارى ومسلم والموطأ والشمائل ومجموعه قصائد وأشعار...
سعيد بن أبى القاسم العميرى	استفاد منه فى الألفية وتلخيص المفتاح ومختصر ابن الحاجب بشروحه وتفسير القرآن الكريم وصحيح البخارى وألفية العراقى وكتب الحديث الستة وعيون الأثر والاكتفاء وقصائد عديده...
أحمد بن المبارك السجلماسى اللمطى	قرأ عليه مختصر السنوسى فى المنطق وبعض القصائد الشعرية...
عبد المالك بن محمد التاجموعى	درس عليه الموطأ وصحيح البخارى ومسلم وجامع الترمذى سنن أبى داود وسنن النسائى
محمد بن الطيب الفاسى	قرأ عليه عقائد السنوسى وشرح المحلى على الجمع وجواهر العضد ومختصر ابن الحاجب بفروعه وصحيح البخارى ومسلم والشمائل...

وبمدينة فاس استقر الشيخ أبو الوفاء عبد الخالق الندرومي الذي تتلمذ عن محمد الصغير الفاسى، وقد ترك فهرسة لشيوخه اطلع عليها المؤرخ عبد الحى الكتانى، وزارها أيضا العلامة والأديب والرحالة محمد بن عبد الله بن أيوب المنور التلمسانى (ت1759م) احتك بالشيخ محمد الصغير الفاسى وأجازة، وارتحل بعدها لمصر وهناك توفي، ومن أشهر تلاميذه هناك مرتضى الزبيدي¹، وقد زار مدينة فاس خلال القرن الثامن عشر الميلادى العلامة محمد بن عبد الله الزجاجى التلمسانى الذي كانت له مراسلات مع الباي محمد الكبير بعدما سمع بأن الأتراك صادروا أوقاف مدارس مدينة تلمسان، وقد طلب من محمد الكبير توقيف هذا العمل الشنيع، وقد لى محمد الكبير موقفه وأعاد أوقاف المدرستين بتلمسان، وقد كانت له مكتبة ثرية ضاعت أثناء ثورة درقاوة، وترك عديد المصنفات فى التصوف والتفسير والنحو²، وكان من أهل التصوف وصاحب كرامات، وله تأليف فى التفسير والنحو والتصوف، وقد اعتنق طريقة الجنيد بفاس وترك مصنفات فى التصوف يسمى بالمراثى المكية فى آداب الطريق والأدعية، وشرح أسماء الله الحسنى، وله شرح على ألفية السيوطى

¹ محمد الصغير الفاسى: المصدر السابق، ج1، ص66-67.

² عبد المنعم القاسمى الحسنى: المرجع السابق، ص328-329.

في النحو، وشرح على التسهيل لابن مالك، وشرح على لامية الأفعال في التصريف، وقد خلد رحلته هذه إلى مدينة فاس في كتاب سماه الرحلة الفاسية¹.

وقد قام العلامة محمد أبي راس الناصري بزيارة مدينة فاس في أكثر من مرة، فبعد وفاة والده انتقل لمدينة فاس برفقة شقيقه عبد القادر وبن عمر، وهناك حفظ القرآن الكريم ومختلف العلوم الشرعية واللغوية على خيرة شيوخ مدينة فاس كالطيب بن كيران، وعبد القادر بن شقرون الفاسي² ثم زارها مرة ثانية لما أصبح فقيها مشهورا حيث يقول: (واشتهرت في مدينة فاس ولقبوني بالحافظ)، ويقول أبي راس أيضا عن هذه الرحلة والسفريّة: (ورحلت إلى مدينة فاس محل العلم والإيناس والتقريب والتباعد لأناس، وهي قبة الاسلام والسلم والاتلام المقام الأعلى والمثابة الفضلى، فهي أم قرى المغرب الوافرة وخزائن المزاير والشهرة الساحرة والأنباء المسافرة ذات الأرجاء الدانية والقاصية والأطواد الراسخة الراسية والمباني الباهية والأزهار الزاهية والمحاسن الشاهية ... ينبع العلم من صدور أهل العرفان كنبع مائها من الجدران حفظا وأذكارا ...، ولما لقيت علماءها وعرفني فقهاؤها، وقالوا يا أهلا ومرحبا وسهلا طلب مني أحد علمائها الكبار استعارة درة الحواشي على شرح الشيخ الخراشي).

ومن جملة علماء فاس الذين التقى بهم أبي راس نذكر العلامة الكبير الطيب بن كيران حيث قال عنه: (الطائر صيته في الأفاق بالاتفاق حتى سارت به الرفاق إلى أقاصي مصر والشام والعراق وإلى مجالس غانة وفرغانة العالم الصالح الزاهد أوتي الحفظ واللفظ والعلم والفهم صبيا وحل من رئاسة العلوم والزهد مكانا عليا ... اهتزت لموته فاس وحزن لموته كل الناس)³، كما زارها أيضا العلامة الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي رئيس رباط وهران قبل فتحها سنة 1792م ومدير مدرسة المحمدية، وقد درس برفقة أحمد التيجاني بفاس، وبقي على صلة به حيث اختار كل منهما طريقه، فبينما اختار أحمد التيجاني بيعة العلويون وخدمة السلطان سليمان نجد الجيلالي في المقابل اختار ولائه للأتراك، وكان مستشارا خاصا للباي محمد الكبير⁴، وعنه يقول أحمد بن سحنون الراشدي: (نشأ رضي الله عنه بين علم يقتبسه وأدب يلتمسه ثم رحل إلى حضرة فاس، وحل بهاتيك الساحة الطيبة الأنفاس فالتقى بعلمائها الأكابر، واستفاد عنهم ما تقصر عن

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص291، 299، 302، ج2، ص171، 157، 20، 399.

² عبد القادر بكاري: المرجع السابق، ص255.

³ محمد أبي راس الناصري: الإصابة فيمن غزا المغرب ...، المصدر السابق، ص12، محمد أبي راس الناصري: شمس معارف التكليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف، تحقيق محمد بوركبة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع89، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2015م، ص193.

⁴ محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار...، ج2، المصدر السابق، ص201، المهدي البوعبدلي: تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص245.

جمعه أهل المحابر، وشهد له أكابره بأنه اجتنى من الفتح الرباني أطيب الثمر ثم رجع وقد ظهر وبهر وحل فرقه من دارة القمر¹.

والعلامة الطاهر بن عبد القادر المشرفي قاضي مدينة وهران الذي انتقل لفاس بعدما أخذ عن والده المؤرخ مسلم بن عبد القادر، وبفاس تتلمذ عن عبد الله بن شقرون، والطيب بن كيران، وقد طلب منه الباي حسن العودة لوهران وتولى منصب القضاء، وترك عديد المصنفات بداية بشرح النصيحة الزروقية، وشرح نظم والده عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط²، وابنه محمد بن الطاهر المعروف باسم ابن حوا درس التفسير والفقه والآداب والحديث والسيرة والعروض والمنطق، وقد كان سريع الحفظ قوي الذاكرة، وهو ما جعله محط أنظار من طرف مشايخ فاس، وكان كلما أنهى من دراسة علم حتى يضع عنه مؤلفات، ولما عاد من فاس عينه الباي محمد الكبير مدرسا بالمدرسة المحمدية وقاضي القضاة بمعسكر ثم رقيه لنائب رئيس رباط وهران، وكانت مهمته تحريض الطلبة وشخذ همهم ضد النصارى الألبان، وهو ما جعله يتعرض لقصف إسباني سقط شهيدا على أثرها سنة 1791م³.

ومن أعلام الجزائر الذين نزلوا بمدينة فاس نذكر الفقيه والقاضي أبو عبد الله محمد العربي بن علي القسنطيني (ت1793م)، وبعد دراسته بمدينة فاس على خيرة أعلامها انتقل للرباط ومكناسة، وتولى مناصب رفيعة هناك من قضاء وفتوى وتدریس وخطابة وإمامة⁴، ومن خلال تفقد إحدى الوثائق المتعلقة بركب الحج المغربي لسنة 1823م والتي نشرها الباحث خليفة حماش نجد بأن بعض الحجاج الفاسيين من أصول جزائرية منهم الحاج مصطفى التلمساني الفاسي وزوجته وأولاده أحمد ومحمد، وانتقاله للحج في عائلة يتبين بأنه شخصية ميسورة الحال من جهة، وشخصية دينية وعلمية من جهة ثانية هاجرت لفاس مع نهاية القرن الثامن عشر ميلادي⁵، ومن أعلام الجزائر الذين رحلوا لمدينة فاس وتصدروا للتدریس بها نذكر الشيخ أبو عبد الله محمد فتح بن طاهر الهواري (ت1806م) من قلعة هواره كان ذا بلاغة عظيمة وذكاء كبيرا أخذ عن أبو حفص الفاسي، وقد تقلد خطة القضاء بفاس، ومن أبرز تلاميذه عبد القادر الكوهن الفاسي توفي بمدينة

¹ أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص228.

² عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص177-178.

³ قدور بوجلال: المرجع السابق، ص99-100.

⁴ محمد بوجندار: (تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط)، مجلة قطر الندى، ع1، جمهورية إيرلندا، 2008م، ص294، 298.

⁵ خليفة حماش: (وثيقة جزائرية من العهد العثماني حول موكب الحجيج المغاربة في عام 1823م)، المجلة التاريخية المغربية، ع91-92، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1998م، ص622.

فاس ودفن بضريح سيدي أنوار من درب سيدي العواد¹، والقاضي والمفتي محمد بن العنابي الذي قصد فاس سنة 1817م في رحلة سفارية نحو السلطان سليمان العلوي مبعوثا من طرف الداوي عمر باشا².

وبعد نهاية ثورة درقاوة بالغرب الجزائري انتقل العشرات من الشخصيات العلمية والدينية التي كانت تتبع هذه الطريقة إلى فاس - خشية من انتقام باي وهران - كشارف بن عبد الله تكوك الدرقاوي الذي رحل بعد الثورة مع عائلته، وبعد نهاية الحكم العثماني بالجزائر عاد لمدينة مستغانم سنة 1832م وأسس زاوية هناك، وكذلك الشأن لمحمد بن سعيد بن الحاج التلمساني الذي كان قاضيا بتلمسان قبل أن يفر إلى فاس بعد الثورة الدرقاوية وتولى التدريس وبها توفي سنة 1846م، ومحمد بن الخضر الإغريسي الذي هاجر من بلدته غريس بمعسكر إلى فاس بعد الثورة، وتولى التدريس بجامع الرصيف والإمامة بمسجد عقبة بن صوال وتوفي بفاس سنة 1875م، وبوعزة التلمساني المهاجي الذي هاجر إلى وجدة ومنها إلى فاس والتي بها توفي سنة 1861م، والبوجلاي المعسكري الذي هاجر لفاس بعد الثورة، وتولى التدريس بالمدرسة المصباحية وكان صديقا للعربي الدرقاوي، ومحمد بن محمد بن ملوك التلمساني هاجر إلى فاس وتولى التدريس بالقرويين ومسجد أبي الجنود وتوفي هناك بالطاعون³.

كما حظ بها الرحال العلامة والفقير أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي الجليلي الحسني التلمساني (ت1850م)، فبعدهما ولد بتلمسان سنة 1797م وتلمذ على يد والده الشيخ عبد الكريم المجاوي وشقيقه الحاج أحمد المجاوي قرر الترحال لمدينة فاس أين أخذ عن حمدون بن الحاج السلمي، وسليمان الحوتي، والطيب بن كيران، ورجع لتلمسان أين تولى بها القضاء لمدة خمسة وعشرون سنة، ومنها قرر العودة لفاس أين تفرغ لتدريس الفقه بالقرويين، كما تولى قضاء مدينة طنجة قبل أن يعود لفاس مدرسا وقاضيا وخطيبا لغاية وفاته بها، وقد أخذ عنه بالمغرب كل من الشيخ قنون الحاج صالح الشاوي، والحاج محمد بن عبد الواحد ابن سودة، ومحمد العلوي قاضي فاس، وجعفر الكتاني والد محمد صاحب سلوة الأنفاس، وأحمد بن حسنون قاضي وزان، وترك قصائد بديعة، وخلفه ابنه الفقيه عبد الله، وحفيده العلامة الشهير عبد القادر المجاوي⁴.

ومن أبرز أعلام تلمسان الذين رحلوا إلى مدينة فاس في بداية القرن التاسع عشر ميلادي نجد القاضي أبو عبد الله محمد بن سعد المناوي اليبدي الحسني التلمساني (ت1848م)، فعلى اثر ثورة قبيلة ولهاصة

¹ عبد القادر الفاسي: إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والاسناد، تحقيق عبد الرحمن سعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص8-9.

² فوزية لزغم: المرجع السابق، ص50-55.

³ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص33-34.

⁴ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص293-297، سمية أولمان: دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه ارشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، الجزائر، 2013م، ص07-08.

بأحواز تلمسان التي رفضت دفع الضريبة للباي حسن آخر بايات وهران سنة 1828م حاول القاضي محمد بن سعد حل النزاع الذي تحول إلى اقتتال بين القبيلة والجنود الأتراك، وبعد إبادة الكتيبة التركية اثر كمين خشي العلامة محمد من ثأر الأتراك واتهامه بالتقصير والتعاطف مع ولهابة، فارتحل إلى فاس مع عائلته، وقد استقبله السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام وأكرم مئواه، وقد أخذ هناك عن سيدي حمدون ابن الحاج الفاسي، ولما بايع أهالي تلمسان سنة 1830م السلطان المغربي عين هذا الأخير على مدينة تلمسان محمد بن سعد قاضيا لكن سرعان ما عاد لفاس بعد الضغط الفرنسي¹، ومنها لمدينة تازة حيث تولى بها الإمامة والخطابة بجامعة الأعظم وعاد بعد مدة لفاس وبها توفي ودفن داخل قبة سيدي علي ابن حرزهم، وقد خلف سلالة توارثت العلم بفاس وأصبحت تسمى ببيت أولاد بن سعد².

وزارها أيضا العلامة والفقير الشيخ أبو محمد الحاج الداودي التلمساني (ت1854م) هو فقيه ومتصوف له اهتمامات بالمنطق والفقه والحديث والنحو والعروض ولد ونشأ بمدينة تلمسان قبل أن يرتحل إلى فاس، ودرس على خيرة أعلامها وتفرغ للتدريس بها، ومن أشهر تلاميذه هناك الشيخ أحمد بناني الفاسي، ومنها انتقل للقاهرة والحجاز قبل أن يعود لفاس التي توفي بها ودفن بالزاوية الناصرية³، وترك عديد المصنفات أبرزها شرح الهمزية للبوصيري، وشرح البردة، وحاشية على السعد، وشرح على صحيح البخاري، وله أيضا رحلة حجازية⁴، ولم تقتصر عملية الرحلة العلمية نحو مدينة فاس على علماء وطلبة المدن الساحلية والداخلية الجزائرية فقط بل تعداها للمدن الصحراوية كتوات وأدرار والساورة وورقلة وبسكرة، وكنماذج عن هذه الرحلات نذكر الشيخ عومر بن الصالح التواتي (ت1589م)، وهو من علماء توات الذين زاروا مدينة فاس وجامعها القرويين، والشيخ محمد فتحا بن أبي محمد الأمازيغي التواتي (ت1600م)⁵، وسيدي أمحمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون (ت1599م) سافر للدراسة بفاس وأخذ عن محمد بن مجير، والشيخ محمد العدي، والشيخ يعقوب البدري، وقد كان من الشخصيات العلمية البارزة في علم الحديث بفاس⁶.

واستقر بمدينة فاس أيضا الشيخ الحاج عبد الرحيم بن محمد التواتي (ت ق17م) زار مدينة فاس، وقرر الاستقرار بها لمدة تفوق عشرين سنة صال وجال خلالها بعديد المدارس والمساجد وحلقات العلم بين خيرة

¹ العربي المشرفي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، تحقيق حسن الفرقان، منشورات التوحيدي، المملكة المغربية، 2014م، ص17، فوزية لزغم: المرجع السابق، ص313-314.

² محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص97-98.

³ أحمد بناني: الفهرسة، تحقيق عبد الرحمن سعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص111، عادل نوهمض: المرجع السابق، ص60.

⁴ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص367-368.

⁵ زينب سالي: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرنين 10-08هـ، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2012م، ص68.

⁶ أحمد بابا الصافي الجعفري: الحركة الأدبية في أقاليم توات بين القرنين 13-07هـ، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص33-74،36،44،46،55،56.

علماء المدينة كما قام برحلة حجازية قبل أن يعود لمدينته توات مدرسا كبيرا¹، والشيخ سيدي أحمد بن محمد الونان الشهير بأبي الشمقمق (ت1667م) الذي مكث بفاس لسنوات طويلة، وترك مؤلفا عرف بأرجوزة الشمقمقية²، ومن علماء أدرار الذين حطوا رحالهم بفاس وأصبحوا من أعلامها البارزين نذكر محمد السالم البرياعي (ت1708م) ينتمي لقرية برقع بأدرار حط رحاله بفاس، وصار من أساتذة التجويد والقراءات في القرويين³، وسيدي أحمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الذي تنقل لفاس ودرس على يد سيدي الجيلالي الحمياني، والشيخ عبد الواحد القدوسي، والشيخ ابراهيم مليخاف، والعلامة أحمد بن ناصر الدرعي⁴.

وفي سنة 1705م زار مدينة فاس عالم مدينة توات الكبير الشيخ عمر بن الحاج عبد القادر التلاني التواتي (ت1739م)ن وقد مكث بها اثني عشر سنة طالبا للعلم بمختلف مدارس ومساجد المدينة وعلى خيرة أشياخها وعلمائها، وكان يدرس طلبته بالمدرسة المصباحية وبالقرويين كل من ألفية ابن مالك والأجرومية في النحو والصرف والسلم المرونق بشرح سعيد قدورة، ومختصر السنوسي في المنطق، وتلخيص المفتاح في البيان، وجمع الجوامع في الأصول، والرسالة في الفقه، وقد وضع له طلبته كرسي خاص به بجامع القرويين رغم رفضه القاطع لهذه الفكرة احتراما لقيمة الكراسي العلمية بالقرويين بعدما وصل عدد طلابه حوالي ثلاثمائة فرد حتى جلب له المشاكل مع أعلام فاس وفي مقدمتهم القاضي البوعناني، ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ عمر بن عبد القادر التواتي بمدينة فاس نذكر⁵:

اسم الشيوخ الذين أخذ عنهم عمر التواتي في هذا العلم	العلم المستفاد منه
محمد السالم بن محمد البرياعي	القراءات والتجويد
محمد العربي الفاسي، مهدي بن عبد السلام الفاسي، محمد بن عبد الله السجلماسي، عبد السلام الهروشي، إدريس المشاط الفاسي، محمد بن عبد السلام بناني، أحمد السقاط، سيدي محمد بن زكري	النحو والصرف
محمد الطيب بن عبد الرحمن الفاسي، إدريس المشاط	العروض
محمد بن عبد السلام بناني	المعاني والبيان
أحمد بن مبارك السجلماسي، محمد ميارة، محمد المسناوي	أصول الفقه
محمد المسناوي، محمد بن عبد الله السجلماسي، إدريس المشاط	المنطق

¹ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس، تحقيق عبد الكريم طموز، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010م، ص38.

² عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى الحج عام 1774م، دراسة وتحقيق خير الدين شترة ودرار عبد الرحمن، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م، المصدر السابق، ص138، 253، أحمد بابا الصافي الجعفري: المرجع السابق، ص33-56، 44، 46، 74.

³ عمر بن عبد القادر التواتي: المصدر السابق، ص74.

⁴ أحمد بابا الصافي الجعفري: المرجع السابق، ص33-56، 44، 46، 74.

⁵ عمر بن عبد القادر التواتي: المصدر السابق، ص73-88.

العقائد	محمد السجلماسي، أحمد السجلماسي، محمد بن زكري الفاسي
الفقه	محمد المسناوي، محمد بن زكري، الحسن بن رجال المعداني، أحمد بن مبارك السجلماسي، محمد العربي بردلة، محمد المشاط الفاسي،
الحديث	محمد المسناوي، الحسن بن رجال، محمد بن زكري، أحمد بن مبارك السجلماسي، علي الحريشي الفاسي، محمد بناني، محمد السجلماسي
التفسير	محمد بن أحمد المسناوي، الحسن بن رجال المعداني
التصوف	محمد بن زكري
التوقيت	محمد بن عيسى، مسعود جموع الفاسي، أحمد بن شتوف
الحساب	محمد بن عيسى

ومن أعلام توات الذين زاروا مدينة فاس نجد الشيخ والفقير أبو محمد عبد السلام بن الحاج محمد التواتي الفاسي (ت1741م)، وهناك تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن معاذ الفاسي، والشيخ عنتر الخلطي، والشيخ التهامي الوزاني، والشيخ عزوز بن مسعود، وتوفي ودفن برحبة قنديل من طلعة فاس وبني عليه قبة قرب سيدي أبي الرجاء¹، كما زارها أيضا العلامة سيدي عبد الرحمن بن ابراهيم الجنتوري القوراري (ت1747م) وأخذ عن خيرة أعلامها، والحسن الشاذلي بن عمر التواتي (ت1759م) الذي حط رحاله بفاس وبها توفي²، والشيخ عبد الرحمن بن ادريس التواتي (ت1767م) حيث أخذ عن عالمها سيدي عبد القادر بن شقرون، والشيخ أبو زيان محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر التواتي (ت1767م) كان إماما وفقها، وأخذ عن عديد أعلام فاس عاش وتوفي بها³.

كما زارها من أعلام توات عبد الرحمن بن إدريس التنيلاوي التواتي (ت1775م) حيث قرر الترحال نحو مدينة سجلماسة سنة 1754م، فأخذ عن الفقيه محمد بن علي الدرعي، ومحمد المكي بن الصالح السجلماسي، والشيخ صالح بن محمد الغماري، والشيخ أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، ومنها مر لمدينة فاس قبل أن يعود إلى توات⁴، والشيخ محمد بن محمد العالم الزجلالوي (ت1797م) الذي سافر لمدينة فاس بين 1782-1790م، ودرس بالقرويين على يد الشيخ عبد القادر بن شقرون⁵، وكذلك الشأن للشيخ القاضي أحمد بن محمد بن موسى بن صابر البداوي الجعفري الملقب بأحمد الزروق (ت1829م) نشأ وترعرع

¹ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص33-29.

² عمر بن عبد القادر التواتي: المصدر السابق، ص50، 04-54، 127.

³ عبد الرحمن التواتي: المصدر السابق، ص138، 253، أحمد بابا الصافي الجعفري: المرجع السابق، ج1، ص33-56، 55، 46، 44، 36، 74. عمر بن عبد القادر التواتي: المصدر السابق، ص59.

⁴ عبد الرحمن التواتي: المصدر السابق، ص290-291.

⁵ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م، دراسة خير الدين شترة، دار كردادة، قسنطينة، 2015م، ص70، 293.

بتوات قبل أن يشد الرحال لفاس، وهناك درس على خيرة شيوخها، وتولى القضاء بها قبل أن يعود إلى قريته فأصبح فقيها وإماما وقاضيا وشاعرا¹، ومن أعلام مدينة القنادسة الذين حطوا رحالهم بمدينة فاس محمد بن أبي القاسم القندوسي (ت1861م) ولد وترعرع بمدينة القنادسة، وفي سنة 1790م ارتحل نحو مدينة فاس، وهناك أكمل مشواره التعليمي وقد برز أكثر في فن الخط حيث أصبح من مشاهير الخطاطين بمدينة فاس أين ترك مصحف شريف في اثني عشر مجلدا فخما، كما كتب اسم الجلالة بشكل بديع بجامع ضريح ادريس، وتوفي بمدينة فاس ودفن خارج باب الفتوح².

* علماء الجزائر والكراسي العلمية بمدينة فاس:

ويقصد بالكراسي العلمية هي المنابر التي يقدم ويخطب منها العلماء، وكانت هذه الكراسي غير ثابتة وتتغير حسب الأيام والعلوم والعلماء الجالسين عليها³، وكانت ولاية الكراسي العلمية بمدينة فاس ولاية رسمية كولاية القضاء والفتوى والوزارة بتعيين من السلطان المغربي أو من يقوم مقامه، ولا يسند ولاية الكراسي إلا للعلماء البارزين في ذلك العلم⁴، وأول من وضع نظام الكراسي العلمية بجامع القرويين هم بنو مرين خلال القرن الثالث عشر الميلادي، وفي البداية انتشرت كراسي الوعظ والتذكير قبل أن تحل محلها الكراسي العلمية أين وضع كرسي لكل كتاب، ويدرس عليه أحد أشهر العلماء المتخصصين في ذلك الكتاب والعلم، ويأخذ أجره من الأعباس الموقوفة خصيصا على ذلك الكرسي، والكرسي دلالة على الرفعة والسمو التي وصلها ذلك الشخص الذي يجلس عليه مقارنة بالطلبة المستمعين رغم المعارضة التي وجدها بنو مرين من طرف بعض الفقهاء أين اعتبروا هذه الفعلة بدعة غير مسبوقه من السلف الصالح.

ورغم معارضة بعض الفقهاء والعلماء المغاربة لظاهرة الكراسي بالمساجد لما فيها من تكبر وتعالى العالم والشيخ على طلبته لكنها سرعان ما تحولت لمناصب رفيعة يسعى إليها هؤلاء الشيوخ والعلماء لما فيها من رفعة وامتيازات مادية ومعنوية، وقد كان الحكام والسلاطين الميرانيين والوطاسيين ومن بعدهم السعديون والعلويون يجلسون على هذه الكراسي أوقافا ضخمة، وتنقسم هذه الكراسي إلى قسمين كراسي التوريق وهي مخصصة للوعظ والتذكير والارشاد وتخصص لعامة الناس، وكراسي التدريس وتخصص لمختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية وهي متاحة لطلبة العلم⁵، وقد كانت هذه الكراسي العلمية موزعة على كل من

¹ أحمد بابا الصافي الجعفري: المرجع السابق، ص33-36، 44، 46، 55، 56، 74، عبد الرحمن بن حسان: المرجع السابق، ص33، 55.

² محمد تحريشي: (الخطاط محمد بن أبي القاسم القندوسي المتوفي عام 1861م)، ضمن منشورات ملتقى دور علماء الساوره في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص18-19.

³ عبد الهادي التازي: جامع القرويين... ج2، المرجع السابق، ص371-373، 397-402.

⁴ نعيمة بوكريديبي: (دوافع رحلة علماء تلمسان إلى فاس خلال القرن 14م)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، ع16، جامعة الشلف، الجزائر، 2016م، ص35.

⁵ الحسين أسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط بين القرنين (ق 07-15م)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المملكة المغربية، 2004م، ص79-80.

القرويين والأندلس ومدرسة الصفارين والقطارين والمصباحية والمتوكلية، وكانت في البداية ثلاثة كراسي فقط من بينها كرسي العلامة أبو الربيع سليمان الونشريسي (ت1305م) بالأندلس وكان مخصصا لتدريس الفقه¹.

لكن سرعان ما ارتفع عددها إلى مائة وأربعون كرسيًا بأحواز القرويين والأندلس فقط يحضرها الصناع والتجار والعمال والعامّة من رجال ونساء، وهذا ما خلق جو من النقاشات العلمية في مختلف الشوارع والحارات تعقيبًا أو نقداً لمختلف الدروس المقدمة على هذه الكراسي، وقد بدأت هذه المجالس والكراسي مع المرينيين حيث يقول ابن بطوطة بأن أبا عنان المريني كان يعقد مجلساً علمياً بعد صلاة الصبح مباشرة بحضور نخبة من الفقهاء والعلماء والأدباء، وقد كان المجلس يضم نخبة من علماء الجزائر في شتى التخصصات، فقد كان يحضرها المفتي محمد المقرئ التلمساني، والرياضي علي بن أحمد الصنهاجي، والإمام محمد بن أحمد الحسني، والفقير محمد ابن مرزوق، والقاضي سعيد بن محمد العقباني، ويذكر الحسن الوزان بأن هذه الكراسي العلمية تمتد على طول جدران المسجد وفي صدره، وكانت مقسمة بين كراسي التعليم العالي، وكراسي الدروس الثانوية، وكراسي الدروس الأولية²، وفي الجدول التالي قمنا بإحصاء حوالي ثلاثة وعشرون كرسيًا بأحواز مدينة فاس لوحدها ارتبطت بالجزائر سواء من حيث العلماء أو المصنفات والعلوم المدرسة بها:

اسم الكرسي	العلم المتخصص فيه	العالم الجزائري الذي جلس عليه	مصنف جزائري درس به
كرسي الإمام الورياغلي	التفسير والحديث والفقہ والعقائد	أحمد بن أبي جيدة الوهراني (ت1544م) والشيخ محمد ابن الكماد القسنطيني (ت1704م) وولده الفقيه أحمد	صغرى السنوسي
كرسي مستودع ابن عباد	علم الفلك والمواقيت	محمد الندرومي (ت1452م)	/
كرسي مدرسة الصفارين	علم الفقه والنحو	محمد الندرومي (ت1452م)	/
كرسي القبلة	علم الفقه	محمد الندرومي (ت1452م)	/
كرسي الثريا الكبرى	علم الحديث والتفسير	محمد الندرومي (ت1452م)	/
كرسي ظهر خصبة العين	علم الفقه	محمد المري التلمساني (ت1609م) وأحمد الحفيد (ت1720م)	وقف عليه كتاب تفسير الثعالبي

¹ محمد المنوني: (كراسي الأساتذة بجامعة القرويين)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع4، ص9، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1966م، ص93.

² عبد الهادي التازي: جامع القرويين... ج2، المرجع السابق، 371، 402، محمد المنوني: المرجع السابق، ص93-97.

/	أحمد الونشريسي وولده عبد الواحد الونشريسي	علم الفقه والنحو	كرسي المدرسة المصباحية
/	محمد بن أحمد بن زكري	كتاب التسهيل والتقريب للرصاع	كرسي مسجد ابن صكون
/	سيدي محمد الشريف التلمساني	علم الحديث	كرسي مسجد سيدي السفياي
/	سيدي محمد الشريف التلمساني	علم الفقه	كرسي مسجد درب البواق
صغرى السنوسي	محمد ابن الكماد القسنطيني (ت1704م)	العقائد وعلم الحديث	كرسي عين القبة
/	محمد ابن الكماد القسنطيني (ت1704م)	علم الحديث والتفسير	كرسي مسجد الأبارين
/	أبي الربيع سليمان الونشريسي (ت1305م)	علم الفقه	كرسي مسجد الأندلس
/	عبد الواحد الونشريسي	علم الفقه والنحو	كرسي مسجد رحبة الزبيب
/	أبو الفتوح التلمساني (ت1415م) ومحمد المقري الجد (ت1356م)	علم النحو والحديث والتفسير	كرسي المدرسة المتوكلية
/	الفقيه الحسن ابن هارون التلمساني (ت1504م)	علم الفقه والنحو	كرسي مدرسة العطارين
/	الفقيه الحسن ابن هارون التلمساني (ت1504م)	علم الفقه والنحو	كرسي مدرسة الوادي
/	نسبة للفقيه سليمان الونشريسي (ت1305م)	علم الفقه والنحو	كرسي الونشريسي
/	أحمد التيجاني (ت1814م)	علم التصوف	كرسي زاوية التيجاني
نظم أحمد بن زكري وصغرى السنوسي	/	علم الفقه والنحو	كرسي مستودع باب الحفافة

كرسي ظهر الصومعة	علم الحديث والتفسير	/	تفسير الثعالبي
كرسي محمد ابن غازي	علم الفقه والحديث	أحمد بن أبي جيدة (ت1547م)	/
كرسي محصل المقاصد	علم التوحيد	نسبة لابن زكري التلمساني	/

وكذلك الشأن لجامع الأندلس بمدينة فاس، والذي كان به عديد الكراسي العلمية، وقد جلس عليها عديد العلماء والفقهاء الجزائريين، بداية بكرسي مسجد ابن صكوم الذي يدرس عليه العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن زكري التلمساني (ت1740م)، ومسجد الأبارين والذي كان به مجلس لقراءة الحديث والتفسير، وجلس عليه العلامة الفقيه محمد بن أحمد الكماد القسنطيني (ت1704م)، ولما تولى محمد بن عبد الله العلوي السلطة بالمغرب استحدث بعض الكراسي العلمية مثل كرسي القبة بالضريح الادريسي، وقد جلس به العلامة التلمساني عبد الرحمن بن ادريس المنجرة¹، وتعتبر الخطابة بجامع القرويين من المناصب الرفيعة التي لها مكانة عالية، وهو المنصب الذي يتبع السلطان مباشرة، وقد تولى هذا المنصب منذ تأسيس جامع القرويين حوالي ثلاثة علماء جزائريين بداية بالعلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني الذي تولى المنصب لمدة طويلة، وبعد وفاته خلفه في المنصب ابنه محمد المرابط لمدة ستة أشهر قبل أن يتم نقله لجامع الأندلس، كما تولى هذا المنصب العلامة الكبير أحمد المقري إلى غاية سفره للمشرق، وهو آخر خطيب يجلس على منبر جامع القرويين من فقهاء وأعلام الجزائر².

* مدينة مكناسة:

لقد برز اسم مدينة مكناسة بالمصادر الجغرافية والتاريخية مع مطلع القرن التاسع الميلادي نسبة إلى قبيلة مكناسة الزناتية التي كانت تسكن المنطقة، وأضيف إليها اسم الزيتون مع مطلع القرن الحادي عشر الميلادي لتصبح مكناسة الزيتون³، وقد أخذت المدينة طابعها الحضاري مع الموحديين أين كانت تلقب بمدينة الأربعمائة مسجد، ورغم تأثرها لقربها من العاصمة المرينية فاس إلا أنها نالت هي الأخرى نصيبا معتبرا من اهتمام السلاطين المرينيين، فقد شيد بها يعقوب المريني مدرسة القاضي ثم بنى بها أبا الحسن المريني زاوية الفورجة وزاوية باب المشاورين والمدرسة الجديدة⁴، وبعد وصول الوطاسيين للحكم فقدت مكناسة بريقها الثقافي خاصة لما نقل علامتها محمد بن غازي المكناسي إلى القرويين بفاس، فلحق به طلبة وعلماء مكناسة،

¹ السعيد بوركبة: المرجع السابق، ج1، ص224-226، 307.

² محمد بن عبد الهى الكتاني: ماضي القرويين ومستقبلها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص52-56.

³ عبد الرحمن ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج1، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008م، ص44-46، أحمد المقري: نفع الطيب...، ج6، المصدر السابق، ص211-213، محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص71-72.

⁴ إدريس أبو إدريس: المرجع السابق، ص10-12.

فأصبحت خاوية من العلم والعلماء إلى غاية وصول زيدان بن المنصور إلى السلطة، فأحيا معاهدها العلمية، وشحن مكتباتها بأنفس الكتب والمؤلفات¹، وفيها قال الشاعر ابن عبدون:

إن تفخر فاس بما في طيها ... وبأنها في زيتها حسناء
يكفيك من مكناسة أرجاؤها ... والأطيبان هوائها والماء²

ومع وصول الأشراف العلويون لسدة الحكم بالمغرب جعل السلطان مولاي اسماعيل العاصمة في مدينة مكناسة سنة 1727م، وذلك لاعتبارات عديدة أهمها أن مراكش كانت عاصمة للسعديين، والعلويون أرادوا طمس هذه المرحلة التاريخية من ذهنية المغاربة خاصة فترة أحمد المنصور الذهبي، ومدينة فاس كانت معارضة نوعا ما لحكم العلويون، وبعدها عارضوا بشدة قرار مولاي اسماعيل إنشاء جيش عبيد البخاري، وبذلك قرر مولاي اسماعيل أن يجعل مقر جيشه الذي يقدر تعداده بأكثر من خمسين ألف جندي في مدينة مكناسة وأحوازها، ويضيف لطفي عيسى سبب آخر فبعد مقتل مولاي الرشيد قرر أهالي وساكنة فاس ومراكش وسجل ماسة الوقوف لجانب مولاي محمد بن محرز ابن شقيق مولاي اسماعيل، وفي المقابل وقف ساكنة وأهالي مكناسة مع مولاي اسماعيل، وبذلك قرر نقل العاصمة السياسية من فاس لمكناسة بل أعلن عن مشروع انمائي كبير لهذه المدينة³، فشيّد بها القصور والبساتين، وحصنها بسور عظيم يصل طوله لأربعين كيلومترا تتخلله بوابات ضخمة، وأصبحت تلقب مكناسة بالمدينة الملكية⁴، وهذا ما ساهم في احياء المدينة ثقافيا وعلميا، فقد شيّدت بها المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات، وانتقل إليها العلماء والفقهاء تقريبا وتزلفا من السلطان اسماعيل⁵.

ورغم أن مدينة مكناسة عرفت استقطاب العديد من أعلام الجزائر عبر أزمنة مختلفة إلا أن عددهم يبقى قليلا مقارنة بمدينة فاس ومراكش، وذلك لعدة اعتبارات بداية بفقدانها لمؤسسات ومراكز علمية كبيرة في شاكلة القرويين والأندلس يجعلها تغري أعلام الجزائر بالهجرة إليها، وحتى خيرة علمائها كابن غازي هاجر إلى فاس، ومن أبرز أعلام الجزائر الذين زاروا هذه المدينة خلال العهد المريني والوطاسي نذكر: ابراهيم ابن قرقول (ت1173م)، والحسن الونشريسي (ت1379م)⁶، وابراهيم المصمودي (ت1402م)، ويونس الونشريسي

¹ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص244.

² إدريس أبو إدريس: المرجع السابق، ص12.

³ لطفي عيسى: كتاب السير مقاربات لمدونات المناقب ...، المرجع السابق، ص136-137.

⁴ محمد كمال شبانه: (مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع52، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2006م، ص108.

⁵ محمد حجي: المرجع السابق، ص245.

⁶ أحمد بن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، المملكة المغربية، 1952م، ص14.

(ت1413م)، ومحمد ابن الفتوح التلمساني (ت1415م)¹، وعبد الله بن إبراهيم الخياط (ت1532م)²، وفي العهد السعودي شهدت مدينة مكناسة زيارة كل من محمد شقرون بن هبة الله الوجدجي (ت1576م)³، وحمزة بن أحمد المغراوي المديوني (ت1589م)⁴، ومحمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني (ت1593م) أين تولى بها خطط الخطابة وقضاء الجماعة⁵، ومحمد ابن مريم التلمساني (ت1612م)⁶.

كما زارها أيضا الشيخ محمد بن صالح المشهور بعريان الرأس أين تتلمذ على يد الولي الصالح أبو عبد الله محمد أبي الرواين وذلك في نهاية القرن السادس عشر الميلادي⁷، وخلال العهد العلوي شهدت مدينة مكناسة زيارات بالجملة من قبل أعلام الجزائر باعتبارها عاصمة سياسية للدولة بداية بالشاعر الكبير أبو عثمان سعيد المنداسي التلمساني (ت1677م) الذي زار المدينة لما تولى مولاي اسماعيل السلطة بالمغرب وحول عاصمة حكمه من فاس لمكناسة، وقد كان مولاي اسماعيل تلميذا لدى الشاعر سعيد المنداسي لما كان بمدينة سجلماسة، وهو ما جعله يرد له الفضل والكرم من خلال تقريبه وجعله أحد مستشاريه بالقصر⁸، والعلامة محمد بن عبد الكريم الجزائري، فبعد رحيله لمدينة فاس وأخذه عن خيرة شيوخها هناك استدعاه السلطان المغربي مولاي اسماعيل ورحب به ترحابا كبيرا، وقد أكرمه وأحسن إليه لمكانته العلمية الكبيرة⁹.

ومن علماء مغراوة الذين زاروا مدينة مكناسة نجد العلامة والفتي والخطيب والقاضي محمد المجاصي المغراوي (ت1692م)، والذي كان قاضيا ومفتيا وخطيبا لجامع القرويين والأندلس أيام السلطان مولاي الرشيد العلوي، ولما تقلد مولاي إسماعيل الحكم قام بنقل العلامة والمفتي محمد المغراوي إلى مدينة مكناسة وولاه عليها خطة القضاء لغاية وفاته أين دفن بروضة الولي الشهير سيدي عبد الله بن حماد المكناسي¹⁰،

¹ أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج - في تراجم المالكية -، ط1، ضبط وتعليق أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2002م، ص98، عمارهلال: العلماء الجزائريون...، المرجع السابق، ص57.

² زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية...، المرجع السابق، ص412.

³ محمد بن عسكر: المصدر السابق، ص106.

⁴ محمد بن مريم: المصدر السابق، ص118، محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج2، ص115.

⁵ محمد الحضيكي: المصدر السابق، ج1، ص287، محمد ابن الوقاد: المصدر السابق، ص15، عبد الرحمن ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس...، ج4، المصدر السابق، ص48.

⁶ ابن مريم التلمساني: هو أبو عبد الله محمد بن مريم المديوني التلمساني ولد بتلمسان من عائلة تنسب لأشراف مليطة، وتلقى تعليمه بمدارس تلمسان أين أخذ عن أبيه مبادئ اللغة والفقه قبل أن يتحول لمدينة مكناسة المغربية لإكمال تعليمه، وبعد عودته لتلمسان اشتغل بالتدريس والتأليف إلى غاية وفاته سنة 1612م، وترك حوالي ثلاثة عشر مؤلفا أبرزها البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أنظر: (أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص175-190).

⁷ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص38.

⁸ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص370.

⁹ أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا...، المرجع السابق، ص91.

¹⁰ محمد بن أحمد الفاسي: المورد الهني بأخبار الإمام مولاي عبد السلام الشريف القادري الحسني، تحقيق عبد الرحمن سعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص66.

ومن أعلام مدينة توات الذين حطوا رحالهم بمدينة مكناسة بين (1705-1717م) الشيخ عمر بن الحاج عبد القادر التواتي الذي زار المدينة بعد احتكاكه بمعظم علماء فاس، ومن شيوخ مكناسة الذين استفاد منهم التواتي الشيخ سعيد العميري الذي أخذ عنه كتاب الشفا للقاضي عياض وبعض من التفسير، وكذلك الشأن للفقهاء محمد بن الحسين السنوسي وأحمد بن يعقوب المكناسي¹، وفي سنة 1743م وبعد رحلة من تطوان وفاس وصل الرحالة والطبيب عبد الرزاق بن حمادوش لمدينة مكناسة، وهناك التقى بمجموعة من أعلام المدينة في شاكلة عبد السلام القباب عالم المواقيت، وعبد القادر الفاسي الذي تبادل معه بعض المؤلفات في المواقيت².

كما انتقل لمدينة مكناسة الشاعر الجزائري والرحالة أبو عبد الله محمد بن مسايب التلمساني (ت1776م) أين فر إليها خوفاً من بطش الحاكم التركي بمدينة تلمسان بعدما تغزل بزوجته وهو المعروف بشعر الغزل حيث حظي باستقبال وتكريم يليق بمقامه العالي، وقد دخل في خدمة مولاي اسماعيل وأولاده لكن حينه لتلمسان جعله يتواصل مع أخواله من عائلة بن حاجي المعروفين بعلاقتهم الجيدة مع أتراك تلمسان من أجل التوسط له والعضو عن أفعاله، وهو ماتم حيث رجع لمدينة تلمسان سنة 1737م وتفرغ للزهد والتصوف، وأدى مناسك الحج وبقي على هذا المنوال لغاية وفاته سنة 1776م ودفن بالقرب من ضريح وزاوية الإمام الشيخ محمد بن يوسف السنوسي³، كما زار مدينة مكناسة العلامة أحمد بن هطال في سفارة من الباي محمد الكبير قبيل فتح مدينة وهران سنة 1792م مع قاضي المحلة من أجل طلب المساعدة من مولاي سليمان⁴.

ومن أعلام الجزائر الذين حطوا رحالهم بمدينة مكناسة بعد مرورهم بفاس والرباط نذكر الفقيه والقاضي محمد العربي بن علي القسنطيني (ت1864م) الذي تولى الخطابة والافتاء والتدريس بالمسجد الأعظم لمدينة الرباط، كما تولى بها القضاء قبل أن ينتقل لمدينة مكناسة ويتولى بها القضاء وتوفي بها بعد مرض عضال ألم به⁵، وبعد حملة إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816م قام الداوي عمر باشا بتكليف مفتي الحنفية بالجزائر العلامة والفقيه الحاج محمد ابن العنابي بقيادة سفارة لمولاي سليمان بمدينة مكناسة من أجل طلب المساعدة في إعادة تكوين الأسطول الجزائري المحطم على إثر هذه الحملة، وقد

¹ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس، تحقيق عبد الكريم طموز، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010م، ص89.

² عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص77-78.

³ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ...، المرجع السابق، ص405-406.

⁴ أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص15.

⁵ عبد السلام ابن سودة: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، دراسة وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ص76، محمد بوجندار: (تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط)، مجلة قطر الندى، ع1، جمهورية إيرلندا، 2008م، ص294، 298.

استقبله مولاي سليمان استقبالا يليق بسمعة ابن العنابي واستجاب لطلب داي الجزائر من خلال ارسال مركبين من نوع كربيط وبلاندره، كما زوده بأموال وهدايا وأوصاه بتوزيعها على مجاهدي الجزائر¹.

ولم تكن وجهة طلبه وعلماء الجزائر نحو المدن الكبرى فقط في شاكلة فاس ومكناسة بل ترجمت لنا كتب الفهارس على أنواعها عديد العلماء والطلبة الذين قصدوا مدن ومراكز داخلية أخرى كوجدة وتازة ودكالة.

* مدينة وجدة:

ويعود تاريخ تأسيس هذه المدينة لسنة 994م على يد زيري بن عطية زعيم قبيلة مغراوة الزناتية إلا أن قدور الورطاسي يرى بأن مدينة وجدة تأسست قبل هذه الفترة على يد بنو يفرن ملوك تلمسان، وهذا ما يؤكد بأن مدينة وجدة كانت تتبع للمغرب الأوسط منذ أقدم العصور²، وقد كانت محل تجاذب سياسي وعسكري بين الزيانيين والمرينيين، وذلك لوقوعها في خط التماس بين البلدين، ومع مطلع القرن السابع عشر الميلادي استولى عليها العلويون بقيادة المولى اسماعيل بعد حملته العسكرية على تلمسان، ومن أجل تأمينها نقل إليها قبائل زرارة والشبانان من مراكش، وعززها بحامية عسكرية لصد الحملات التركية لكن سرعان ما عادت للسيطرة العثمانية إلى غاية تولي مولاي سليمان الحكم أين أعادها للحكم المغربي بشكل نهائي سنة 1795م³، وقد عرفت هذه المدينة استقطابا كبيرا للأعلام وطلبة الجزائر كمحطة أولى لبقية الحواضر والمدن المغربية بالشمال والجنوب، كما كانت تعتبر محطة مهمة في ركب الحجيج والقوافل التجارية المارة من وإلى سجلماسة بعمق الصحراء المغربية.

فقد عرفت مدينة وجدة هجرات جزائرية عديدة عبر فترات زمنية مختلفة منذ العصر الوسيط، وقد تزايدت هذه الهجرات مع الوجود العثماني بتلمسان والغرب الجزائري، وبالخصوص بعد ثورة درقاوة، ومن بين هؤلاء العلماء نذكر بوعزة التلمساني المهاجي أحد أصحاب العربي الدرقاوي تنقل بعد نهاية الثورة إلى وجدة، وأسس بها زاوية قبل أن ينتقل لمدينة فاس، وكذلك الشأن لأسرة سي الهاشمي بن بومدين بروخ التي تعود أصولها لمعسكر واستقرت بمدينة وجدة سنة 1809م، وأسرة آل الصابونجي التي حطت رحالها بوجدة قادمة من تلمسان سنة 1807م، وعائلة آل ابن الكندوز والتي قدمت لوجدة من مستغانم سنة 1813م، وأشهر أفرادها الفقيه محمد بن الكندوز المستغانمي، وعائلة آل القرموني التي هاجرت من تلمسان سنة 1817م، وكذلك الشأن لعائلة آل التومي، كما عرفت معسكر هجرة خيرة أسرها العلمية في شاكلة آل النكروف المعسكري والتي حطت بوجدة، وأشهر منها الفقيه محمد النكروف البوعناني الذي تولى خطة

¹ أبو القاسم سعد الله: رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص35، أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص158.

² لتفاصيل أكثر عن تاريخ مدينة وجدة وجغرافيتها، أنظر: (قدور الورطاسي: معالم من تاريخ وجدة، مطبعة الرسالة، الرباط، المملكة المغربية، دت، ص3-4، عبد الحميد العلوي: المرجع السابق، ج1، ص11-17).

³ جلول مكي: المرجع السابق، ص43-44.

القضاء بالمدينة وخلفه ادريس بن صالح النكروف، وعائلة آل بن زاوية الغريسي التي هاجرت لوجدة سنة 1827م، وبرز منها الفقيه الطيب بن زاوية المعسكري والفقيه سيدي محمد الحاج أحمد بن زاوية، والحاج محمد بن زاوية وولده الحاج مصطفى¹.

كما وصل للمدينة كل من أسرة آل سيدي الحبيب بن المصطفى، وهم أشرف يقطنون سهل غريس بمعسكر حيث اشتهر والدهم بالفقه والتقوى والعلم الغزير، وقد ترك ثلاثة أولاد من خيرة أعلام مدينة وجدة خلال القرن التاسع عشر الميلادي وهم القاضي الحاج العربي، والفقيه الحاج أحمد، والشيخ سيدي محمد الضير، وأسرة أولاد أمباصو وهم من أحواز تلمسان استقروا بمدينة وجدة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وأشهر منهم الفقيه مصطفى بن محمد باص، ولحق بهم خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي كل من العلامة جلول بن رورو المستغاني، وكان فقها ونحويا كبيرا تعود أصوله لمدينة مستغانم، وابن عمه الفقيه أحمد بن عيسى الذي كان يعقد حلقات الذكر بالجامع الكبير لمدينة وجدة، والفقيه البشير المشرفي المعسكري، وولده الفقيه عبد الله المتخصص في اللغة العربية ومختصر خليل²، وبوصول القوات الفرنسية للمنطقة عرفت وجدة أرقام قياسية من حيث هجرة الجزائريين نحوها، فتشير الإحصائيات المغربية بأن مدينة وجدة في سنة 1952م كان بها ثمانون ألف نسمة من بينهم أربعة عشر ألف وخمسمائة جزائري أي خمس سكان المدينة وهو عدد كبير جدا³.

* مدينة تازة:

فرغم أنها من المدن الصغيرة بالمغرب الأقصى إلا أنها عرفت استقطابا لطلبة وعلماء الجزائر أمثال أبو عبد الله المقري⁴، ومحمد الأبلي التلمساني، وحسن بن علي الفكون، وأحمد بن يوسف الملياني الراشدي الذي بقي على تواصل مع مريديه بالمدينة بعد عودته للجزائر، كما كانت لمحمد السنوسي بتلمسان مراسلات مع شاعرها الصوفي ابن يجش التازي⁵، ويرى محمد حجي بأن الاتصال الوثيق الذي كان بين علماء تلمسان وعلماء تازة خلال العهد المريني جعل خزانة الجامع الكبير لمدينة تازة تحتوي على مخطوطات تاريخية وأدبية نفيسة لأعلام تلمسانيين⁶.

¹ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص32-37.

² عبد الحميد إسماعيلي: (علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19م)، ضمن أعمال ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الأول بوجدة، المملكة المغربية، 1995م، ص73-79.

³ سعاد بوسوفي: المرجع السابق، ص94.

⁴ الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص500-506.

⁵ محمد الأمراني: (مكانة تازة العلمية من خلال النصوص التاريخية والإنتاجات الأدبية)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع5، ص32، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1991م، ص119-120.

⁶ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص125-126.

ومن مشاهير علماء الجزائر الذين تركوا بصمة بالمغرب الأقصى عموما وبمدينة تازة خصوصا خلال القرن الثامن عشر الميلادي الرحالة والشاعر أبو عبد الله محمد بن الحاج بن منصور العامري التلمساني (ت1757م)، وتعود أصوله لقبيلة بني عامر بأحواز تلمسان التي ولد بها وهاجر بعدها لمدينة فاس أين تتلمذ بالقرويين على يد اللغوي أحمد بن علي القضاعي الأندلسي، فأخذ عنه الألفية والتسهيل بالمدرسة المصباحية بجامعة الأندلس قبل أن يستقر بمدينة تازة¹، ورغم أنه كان ملما بالفقه والتفسير والحديث وأصول الفقه إلا أنه اشتهر أكثر في اللغة والنحو وهو ما ترجم في رحلته الحجازية الشهيرة برحلة العامري، وقد أصبح بعدها إماما وكتبا خاصا للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي التازي، وقد قام العامري برحلتين الأولى للحجاز بغية الحج والثانية للمشرق بغية التزود بالعلم، وهو ما جعله يصبح من كبار مشايخ وعلماء مدينة تازة²، ومن مشاهير أعلام المغرب الأقصى الذين تتلمذوا على يد محمد بن الحاج العامري التلمساني نذكر المؤرخ محمد بن الطيب القادري الذي زاره بتازة وأخذ عنه الحديث والفقه وأجازته في جميع مروياته وشيوخه سنة 1750م³.

* مدينة تادلة:

وقد اشتهرت هذه المدينة أكثر بزوايتها المشيدة سنة 1566م، والتي أصبحت مع الوقت قوة سياسية واقتصادية وعلمية ودينية كبيرة بل وقد تحولت في بعض المراحل التاريخية إلى كيان سياسي داخل الدولة العلوية من خلال ربط علاقات سياسية مع دول أوروبية ومع الجزائر العثمانية، وما وافقها من تبادل للمراسلات وتبادلات تجارية وتعاون عسكري، وقد عرفت هذه المدينة زيارة عديد الطلبة والعلماء الجزائريون للنهل من أعلامها البررة أبرزهم أحمد المقري الذي زار الزاوية الدلائية ودرس بها واحتك بأبرز مشايخها، وبعد رحيله إلى المشرق بقي على تواصل مع شيوخ الزاوية، ومن بين رسائل أحمد المقري في شوقه لمدينة الدلاء وشيخ زاويتها محمد الدلائي يقول فيها:

خليلي إن جئت الدلا وجرى ذكري ... لدى حضرة الشيخ الرضى ابن أبي بكر
نتيجة سر الأولياء محمد ... معرف كلييات فضل بلانكر
فأخبره أني لم أحل عن وداده ... ولم يوهن البين الملم قوى صبري⁴

وقد كان يعيش بهذه المدينة أيضا الفقيه سيدي أحمد بن حمدان التلمساني الذي توفي ودفن بها سنة 1681م¹، وكانت الزاوية تدرس عديد المصنفات الجزائرية كتفسير عبد الرحمن الثعالبي في علوم القرآن

¹ عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص56.

² محمد ماكامان: المرجع السابق، ص235-236 محمد المنوني: من حديث الركب المغربي...، المرجع السابق، ص88، مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص226-228.

³ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص63.

⁴ محمد حجي: الزاوية الدلائية ...، المرجع السابق، ص116.

وعقائد السنوسي وبالخصوص الكبرى في التوحيد، ومختصر السنوسي في المنطق، وهناك قام الحسن اليوسي أحد شيوخ الزاوية بشرحه وتدرسه للطلبة²، ومن علماء مدينة توات الذين زاروا مدينة تادلة الحاج بلقاسم بن الحسين الأولسي في التواتي الذي درس بمدينة تادلة على يد الشيخ علي ابن ابراهيم، وهناك تتلمذ على يديه علماء أجلاء في شاكلة الحاج أبو محمد الجزولي خلال القرن السادس عشر الميلادي³.

* مدينة دكالة:

تعد من أهم المدن الأصيلة بالمغرب الأقصى فأغلب سكانها أمازيغ⁴، وكبقية المدن المغربية كانت مدينة دكالة قبلة لعلماء الجزائر حيث زارها العلامة والقاضي أحمد بن قنفذ القسنطيني، وتولى بها خطة القضاء لمدة سبع سنوات قبل أن يعود إلى قسنطينة ويتولى بها خطط القضاء والإفتاء والخطبة والتدريس⁵، وهناك بعض المدن المغربية الداخلية التي عرفت في العهد المريني والوطاسي استقطابا لبعض أعلام الجزائر إلا أنها غابت تماما خلال العهد السعدي والعلوي بسبب وقوعها في مرمى المدافع الإسبانية والبرتغالية من جهة، وبروز أقطاب ثقافية وعلمية أخرى سرقت منها الأضواء من جهة ثانية كمدينة القصر الكبير التي تقع بالشمال الغربي للمغرب الأقصى⁶، وعرفت زيارة عبد الله بن محمد الأشيري (ت1165م) الذي تولى بها خطة الكتابة⁷.

ثانيا/- الحواضر الصحراوية:

لقد عرفت المدن الصحراوية للمغرب الأقصى توهجا علميا وثقافيا خلال الحكم السعدي ومن بعده العلوي، وذلك لاعتبارات سياسية بحت بعيدا عن المدن الساحلية والشمالية المستهدفة من قبل الإسبان والبرتغاليون تارة، وأتراك الجزائر تارة أخرى. هذا التوهج الثقافي تجسد في تشييد مختلف المؤسسات الدينية والعلمية واستقطاب أبرز العلماء من داخل وخارج المغرب الأقصى، وبالخصوص من الجارة الشرقية الجزائر، فرغم أن مدينتي أغمات ودرعة لم تعرفا زيارات كبيرة لطلبة وعلماء الجزائر إلا أن مدن كتارودانت وسجلماسة ومراكش عرفت زيارات عديدة لخيرة علماء الجزائر.

¹ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص169.

² محمد حجي: المرجع السابق، ص76-78.

³ زينب سالمي: المرجع السابق، ص68.

⁴ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م، ص459.

⁵ عمار هلال: العلماء الجزائريون...، المرجع السابق، ص56، عادل نوهمس: المرجع السابق، ص20-21.

⁶ معلومات تفصيلية عن مدينة القصر الكبير أنظر: (الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ط2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص303، مارمول كرفخال: إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1984م، ص190-191، عبد العزيز بن عبد الله: القصر الكبير أول حاضرة في المغرب، مجلة المناهل، ع1، ص1، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المملكة المغربية، 1974م، ص43-46).

⁷ عمار هلال: المرجع السابق، ص47.

تعتبر من أهم المدن الحضارية المغربية بعد مدينة فاس، ويعود تاريخ تأسيسها إلى حدود 1077م على يد يوسف بن تاشفين¹، وازدهرت المدينة ثقافيا أيام الموحدين ثم المرابطين إلا أنها همشت أيام المرينيين والوطاسيين على حساب مدينة فاس²، وبمجرد وصول السعديون لحكم المغرب في منتصف القرن السادس عشر ميلادي نقلوا العاصمة من فاس إلى مراكش، وبذلك استرجعت المدينة بريقها وازدهارها الحضاري والثقافي³، فأصبحت مقصدا للطلاب والعلماء بعدما شيد بها السلاطين السعديون الأوائل مجموعة من المؤسسات الثقافية والدينية، وتعميرها بخزائن الكتب النفيسة خاصة أيام المنصور الذهبي⁴، ولعل أشهر مؤسسة دينية وثقافية كانت بمدينة مراكش جامع ابن يوسف الذي شيد سنة 1118م، فبعدهما فقد بريقه أيام بني مرين وبني وطاس على حساب القرويين والأندلس بفاس تمكن السعديون من إعادة الاعتبار له من خلال تزويده بأنفس المصنفات والمخطوطات وإعادة ترميمه، فأصبح قبلة لأبرز العلماء والشيخ، وتقام به المناظرات الفكرية بحضور السلاطين أنفسهم⁵، وقد شيد السلاطين السعديون مساجد أخرى بالمدينة على غرار جامع المواسين أو الشرفاء، وجامع باب دكالة، وجامع الحرم العباسي⁶.

هذه المغريات الثقافية الموجودة بمدينة مراكش هي التي جعلت علماء الجزائر يحطون الرحال بها عبر مختلف الأزمنة، ففي العصر المريني زارها كل من أبو علي الحسن بن الفكون صاحب القصيدة الياثية الشهيرة⁷، ومحمد الآبلي، وأحمد بن قنفذ القسنطيني، وسعيد العقباني، وفي العهد الوطاسي برز بمدينة مراكش اسم العلامة محمد بن عبد الله العنابي (ت1516م)، وابنه عبد الرحمن هذا الأخير الذي وصفه عبد العزيز الفشتالي بالفقيه الأجل ونجم العلماء العاملين، وكان من كتاب أحمد المنصور فيما بعد⁸ لكن الفترة الذهبية التي عاشها علماء الجزائر بمدينة مراكش كانت خلال الحكم السعدي بداية بمحمد الخروبي (ت1556م) الذي زارها مرتين⁹ في مهمة سفارية أين استغل هذه الزيارات في احتكاكه بطلبة وعلماء مدينة

¹ للتفصيل أكثر في تاريخ وجغرافية مدينة مراكش، أنظر: (دبيقو دي طوريس: تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1988م، ص55، محمد رابطة: الموحدون واختيار مراكش، ضمن كتاب متنوعات محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص185، ليفي بروفنصال: تأسيس مراكش 462-1070م، ضمن أعمال ملتقى مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحد، ترجمة أحمد التوفيق، مطبعة فضالة، المحمدية، المملكة المغربية، 1989م، ص22-25).

² محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج2، المرجع السابق، ص375.

³ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص151.

⁴ محمد حجي: (تجديد الدراسة بالقرويين أيام السعديين)، ضمن كتاب محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1996م، ص40.

⁵ رشيدة برادة: المرجع السابق، ص22، 230.

⁶ محمد حجي: المرجع السابق، ص40.

⁷ علال بن عمر: الحركة العلمية وبيوتات العلماء في قسنطينة خلال القرنين 13-16م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2011م، ص72.

⁸ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص154.

⁹ نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص58-60، أبو العباس السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص27.

مراكش، وفي نفس الفترة تقريبا كان بمدينة مراكش علامة وفقهه من تلمسان وهو عيسى بن محمد أبي معزة¹.

ومحمد شقرون الوجدجي التلمساني (ت1576م) الذي حظ رحاله بمدينة مراكش سنة 1560م² أين رحب به السلطان عبد الله الغالب، وقلده الإفتاء ورياسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب³، وجعل له كرسيًا للتدريس بمشور القصر بل وكان يحضر دروسه برفقة الأمراء، وكان في نفس الوقت خطيبًا بجامع المنصور يدرس الفقه والمنطق والتفسير والحساب والفرائض، وقد احتفى فقهاء وعلماء مراكش بحضوره إلى المدينة وانتفعوا بعلومه⁴، وكذلك الشأن لمفتي مدينة الجزائر أبي الطيب الخضر البسكري الذي زار مراكش مرتين المرة الأولى سنة 1571م مبعوثًا من طرف السلطان سليم الثاني لتسوية الخلاف بين الأخوين عبد الملك المعتصم وعبد الله الغالب، والمرة الثانية سنة 1578م لما اختاره السلطان العثماني لرأس سفارة لهيئة أحمد المنصور على انتصاره بمعركة وادي المخازن لجلوسه على العرش، وقد وصفه الوزير عبد العزيز الفشتالي بالشيخ العالم والمصدر الكبير والخطيب الشهير⁵.

كما زارها العلامة أحمد العبادي التلمساني (ت1577م)، فبعد هجرته من تلمسان حظ رحاله بمدينة فاس وانتقل بعدها لمراكش أين اشتغل بالتدريس، فكانت حلقات دروسه مكتظة بالطلبة لحسن عباراته وتحقيقه في النقل⁶، وأبو سعيد الشريف التلمساني (ت1591م)، وهو من ذرية أبي عبد الله الشريف التلمساني، وتولى الخطبة بجامع الكتبية بمدينة مراكش، ومحمد بن أحمد المري الشريف التلمساني (ت1609م) الذي قصد مدينة فاس لأول مرة ثم استقر بمراكش أين قلده المنصور الإفتاء والتدريس، وقد أخذ عنه محمد بن عبد العزيز الفشتالي، وكذلك الشأن للعلامة عبد الرحمن العنابي الذي وفد على مدينة مراكش قادما إليها من مدينة درعة التي أقامت فيها عائلته الشهيرة فهو ابن الفقيه محمد بن عبد الله العنابي، وقرر الاستقرار بمراكش وأصبح من كتاب المنصور⁷، ومحمد بن رأس العين الذي زار مدينة مراكش ومدح ملكها أحمد المنصور⁸.

ويعد أحمد المقري (ت1631م) من أبرز علماء الجزائر الذين حظوا رحالهم بمدينة مراكش خلال العهد السعودي، فبعد زيارته لمدينة فاس توجه إلى مراكش باعتبارها عاصمة للسعديين وقبلة للعلماء من كل حذب

¹ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص171، عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص90.

² عمار بن خروف: المرجع السابق، ص152-153.

³ محمد القادري: المصدر السابق، ص519، محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص71.

⁴ محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص105، محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص261.

⁵ محمد نبيل ملين: المرجع السابق، ص333، زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية...، المرجع السابق، ص416.

⁶ محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج2، المرجع السابق، ص377.

⁷ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص153-154.

⁸ محمد حجي: ألف سنة من الوفيات...، المصدر السابق، ص153 - 154، ص325.

وصوب وتقلد بها مختلف المناصب الدينية والعلمية¹، كما عاش بها أيضا العلامة يحيى بن عاشور التلمساني، ومن أبرز تلاميذه هناك الشيخ محمد بن محمد بن عطية السلوي الفاسي²، كما كانت مراكش محطة مهمة في زيارة العلامة عبد الكريم التواتي، فبعد سجنه في فاس حط رحاله بمراكش، والتي كانت خاتمة لزيارته المغربية قبل عودته لتوات كفقيه كبير³، وعبد العزيز الزياني (ت1645م)، ويعود أصله إلى بني عبد الواد بتلمسان درس بفاس ثم تطوان وحط رحاله بمراكش أين أخذ علم القراءات وأصبح من كبار المتخصصين فيها⁴،

وخلال الفترة المدروسة زار مراكش من أعلام الجزائر كل من الفقيه الحاج محمد بن علي الحضري المزرغاتي، والشيخ عبد الله النفزي سنة 1654م في إطار الرحلة السفارية التي بعث بها محمد باشا مولاي محمد الشريف، وبطبيعة الحال كبقية السفارات التي قادها العلماء من قبل كانت تتخللها مناقشات علمية مع أعلام مراكش⁵، وكذلك الشأن للشاعر سعيد المنداسي التلمساني (ت1677م) الذي زار المدينة في إطار رحلاته الاستطلاعية داخل المغرب الأقصى⁶، كما زارها أيضا المقرئ والعلامة عبد الله بن إدريس المنجرة (ت1761م)، فبعدما تولى تدريس القراءات والنحو والفقه والحديث بمدينة فاس انتقل لمراكش وتولى الإمامة والتدريس بالجامع الكبير والمعروف بجامع الشرفاء أو جامع المواسين لمدة طويلة⁷، وقد أصبح شيخ الجماعة بها، وكان له كرسي علم وحلقات يحضرها جمع غفير من الطلبة والشيخوخ⁸، ويذكر الرحالة أبو القاسم الزياني بأنه لما تولى السلطان محمد بن عبد الله الحكم بالمغرب وزع مختلف العلماء الذين كانوا متمركزين بفاس ومكناسة على بقية الأقطار والحواضر وكان من بينهم الشيخ عبد الله المنجرة، والذي بعث به لمدينة مراكش لنشر العلم بها⁹، وفي سنة 1790م توفي بمدينة مراكش العلامة والمفتي النوازي محمد العبادي التلمساني الذي كان يتولى منصب القضاء بالمدينة¹⁰.

¹ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص126.

² محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص422.

³ عبد الله كروم: الرحلات باقليم توات، دار دحلح للنشر، الجزائر، 2007م، ص104-106.

⁴ محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج2، المرجع السابق، ص421.

⁵ عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج3، ص141.

⁶ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص370.

⁷ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص309.

⁸ أحمد متفكر: (جامع الشرفاء بمراكش)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع8، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية، 1992م، ص239.

⁹ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص63.

¹⁰ عبد السلام ابن سودة: إتحاف المطالع...، المصدر السابق، ص80.

وتقع بالجنوب الشرقي للمغرب الأقصى تأسست سنة 758م وتدعى أيضا بإقليم تافيلالت¹، وتعتبر من أهم المراكز الاستراتيجية بالنسبة للقوافل التجارية والحجازية، وهذا ما أدى إلى ازدهارها ثقافيا وحضاريا فانتشرت بها حركة نشطة للزوايا والطرقية سواء داخل المدينة أو بالقرى القريبة منها في صورة درعة وتمجروت²، وقد زادت شهرة المدينة أكثر خلال العهد العلوي باعتبارها مسقط رأسهم، فمن خلال رسالة محمد الشريف العلوي لداي الجزائر سنة 1655م نجده يمدح مدينة سجلماسة بقوله: (فقد كاتبناكم من غرة جبين الصحاري، وصرة نصر شؤون الشرق والغرب، ومغنمهم من غاية الغوالي، وتجار ثغر البربر والعرب لقبها قديما كنز البربر حالي السكون والحركة، فنبه المهيمن ناسها وسموها واسعدها سجلماسة ليست حاضرة البحر فتعاب بجدود العمارة، ولا بجريحة الحمى فتعوزها أمور الامارة صان الله بأسوار السر أبوابها وأسكن العز والسعد أمصارها ومصاربها ومناجها ...)³.

وهذا ما جعل علماء ومتصوفة الجزائر يزورونها بل ويتخذها البعض مستقرا نهائيا له، فقد زارها خلال العهد المريني والوطاسي كل من عبد الرحمن بن علي المقري، ويوسف ابن النحوي التلمساني (ت1119م)، وعثمان بن علي بن الحسن التلمساني (ت1147م)⁴، ومحمد المقري (ت1158م)، وأحمد الملياني (ت1521م)، وعبد العزيز القسنطيني (ت1533م)⁵. أما في العهد السعودي فقد كانت مدينة سجلماسة قبلة لعلماء الجزائر لكثرة مساجدها وزواياها من جهة، وبسبب العلاقة القوية التي جمعت بين حكام الجزائر والثائر على حكم السعديون ابن أبي محلي من جهة ثانية، كمحمد بن الوقاد التلمساني (ت1593م) الذي زارها برفقة عبد الله الغالب وتولى الخطبة والقضاء بمساجدها لمدة سنة قبل أن يعود إلى تارودانت⁶، ويعتبر سعيد قدورة⁷ من أبرز أعلام الجزائر الذين زاروا سجلماسة ضمن وفد لتقديم التهاني للشيخ ابن أبي محلي بعد افتكاكه المدينة

¹ زكرياء القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص42، حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص85-87، محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص96، أبو القاسم الزباني: المصدر السابق، ص86.

² عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص155-156.

³ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص107-114.

⁴ محمد الشراط: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق زهراء النظام، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، 1997م، ص266، الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين (6-7هـ/12-13م)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص283.

⁵ الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص500-506، محمد الحضيبي: المصدر السابق، ج2، ص434.

⁶ عمار بن خروف: المرجع السابق، ص156-157.

⁷ سعيد قدورة: هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التونسي الأصل والجزائري من حيث المولد والنشأة، والمعروف باسم قدورة نسبة لقرية قدورة قرب مدينة جربة انتقلت عائلته لمدينة الجزائر من أجل ممارسة التجارة، وقد تتلمذ على يد خيرة أعلام مدينة الجزائر كمحمد المطامطي ثم تنقل لتونس ودرس بزوايا المجاجي على يد الشيخ محمد المجاجي ثم ارتحل لتلمسان وأخذ عن سعيد المقري، كما تنقل للمغرب الأقصى ودرس بفاس وسجلماسة، وعاد للجزائر أين نال خطة الافتاء لمدة وورثه أولاده في هذا المنصب بعد وفاته سنة 1656م، وترك عديد المؤلفات، أنظر: (ابن المفتي: المصدر السابق، ص95-98، محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص73).

من يد السلطان السعدي زيدان سنة 1610م¹، وهناك كان سعيد قدورة يقدم دروسا في الحديث بمسجد المدينة مع شيخه²، وكان يدرس تلامذته صحيح البخاري وعليه سنده المتصل بعلماء تلمسان، ونعتقد بأنه هو من شجع علي بن عبد الواحد السجلماسي بزيارة مدينة الجزائر فيما بعد³.

زارها أيضا عبد الكريم التواتي (ت1632م) الذي انتقل إلى سجلماسة وأخذ عن علماءها كأحمد بن أبي محلي، ودرس أيضا عند أحمد بابا التنبكتي ثم عاد إلى توات والتي بها توفي⁴، وفي إطار السفارات السياسية بين حكام الجزائر والمغرب الأقصى بعث داي الجزائر بسفارة لمحمد الشريف العلوي سنة 1655م على إثر هجوم هذا الأخير على مدينة تلمسان وأحوازها، وقد قاد هذه السفارة نحو مدينة سجلماسة كل من الفقيهين عبد الله النفزي والحاج محمد المزغناوي، ولا شك أن هذين الفقيهين كان لهما لقاءات واحتكاكات مع فقهاء وعلماء المدينة وهي عادة كل العلماء السفراء بين البلدين⁵، ومن زيارات أعلام الجزائر لمدينة سجلماسة نجد هجرة سعيد المنداسي (ت1677م)، فبعد حملة محمد الشريف العلوي على تلمسان عاد سعيد برفقته إلى سجلماسة، ودخل في خدمة العلويين من خلال تعليم مولاي اسماعيل وتقديم قصائد الاطراء والمدح لحكام هذه الدولة، وقصائد الذم والقدح لخصومهم الأتراك، وقد جعل المنداسي من مدينة سجلماسة مستقرا نهائيا له إلى غاية وفاته بها⁶، ومحمد بن مبارك المغراوي السجلماسي (ت1681م)، وهو فقيه نحوي يعود أصله لمغراوة استقر به المقام بسجلماسة، وهناك التقى بالشيخ أبو سالم العياشي وتحادث معه⁷.

ومن أعلام الحواضر الصحراوية الجزائرية الذين زاروا سجلماسة الشيخ محمد بن بوزيان (ت1732م) من أجل نيل الطريقة الشاذلية على يد شيوخها أبوبكر بن عزة، ومحمد بن ناصر الدرعي قبل أن يعود للقنادسة مسقط رأسه ويؤسس لزاويته وطريقته الشهيرة باسم الطريقة الزيانية⁸، والشيخ الأديب محمد المزمري (ت1747م) الذي أخذ عن عديد شيوخ سجلماسة ومنها انتقل للسودان، والعلامة عبد الرحمن التواتي (ت1775م) أين تتلمذ هناك على يد صالح الغماري، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي، وعاد مفتيا لتوات، وكذلك الشأن لمحمد بن عبد الرحمن التواتي (ت1817م) الذي زار سجلماسة من أجل أخذ القراءات

¹ صلاح مؤيد العقيبي: المرجع السابق، ص 477-478.

² ابن أبي محلي: هو أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن محلي السجلماسي الفلالي نائير ومتصوف ولد سنة 1560م بسجلماسة وتنقل لفاس لطلب العلم، وقام برحلة حجازية وخلال العهد السعدي واثر الفوضى التي حدثت بعد وفاة أحمد المنصور سيطر أبي محلي على مدينة سجلماسة وأعلن نفسه سلطانا، وقد وصلته وفودا من الجزائر من أجل تهنئته، وعلى رأسهم سعيد قدورة، وبعد أخذ ورد قتل أبي محلي على يد يحي الحاحي وقطع رأسه سنة 1613م، أنظر: (أحمد البوني: التعريف ببوثة... المصدر السابق، ص 93، خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج 1، ص 161).

³ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص 23-26، محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج 2، المرجع السابق، ص 627.

⁴ عبد الله كروم: المرجع السابق، ص 55-57.

⁵ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج 1، ص 107-114.

⁶ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 2، المرجع السابق، ص 275.

⁷ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج 1، ص 33.

⁸ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 512.

والتجويد على يد الشيخ الصالح الغماري والشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي، والشيخ أحمد الأمين الشنقيطي، والشيخ محمد بن علي الدرعي الذي أخذ عنه صحيح البخاري ومسلم وكتاب الشفا والجامع الصغير للسيوطي وبعض المتون كما أجازته فيها أيضا¹، وكذلك الشأن لولده محمد التواتي (ت1817م) الذي تلقى تعليمه الأول على يد والده قبل أن ينتقل لمدينة سجلماسة، ودرس على يد أحمد بن عبد العزيز السجلماسي وأجازته، وقد أعجب كثيرا بمستواه العلمي بل وراسل والده بيت شعري يقول فيه:

إن الهلال إذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيكون بدرا كاملا².

صحيح أن مراكش وسجلمااسة نالتا الحظ الأوفر من حيث استقطابها لأبرز وأفضل أعلام الجزائر بحكم المكانة السياسية لهما وموقعهما المهم إلا أن تارودانت ودرعة شكلتا بديلا مهما للعديد من طلبة وعلماء الجزائر الذين وجدوا فيهما الراحة والطمأنينة والسكينة خاصة العلماء الزاهدين للسياسة وأحوالها.

* مدينة تارودانت:

وكانت تسمى في القديم بتردنت، وهي كلمة أمازيغية أصلها أرودان أي المرتفع، وقد حملت هذا الاسم خلال القرن التاسع للميلادي³، وكانت مدينة مغمورة ومجهولة إلى غاية فترة حكم محمد الشيخ السعدي الذي جعلها عاصمة له وسماها بالمحمدية وأعاد تخطيطها وترميم بناياتها، كما أقام بها مساجد ومدارس وحصون وصك اسمها على العملة النقدية للدولة⁴، ورغم تواجدها بالجنوب الغربي للمغرب الأقصى إلا أنها أصبحت المدينة الثالثة بعد فاس ومراكش⁵، وهذا ما جعلها تستقطب الكثير من أعلام الجزائر⁶ بداية بالعلامة محمد بن عبد الرحمان بن جلال (ت1574م)، فبعد رحيله عن تلمسان برفقة السلطان محمد الشيخ نحو مدينة فاس ونصب خطيبا ومدرسا ومفتيا بجامع الأندلس والقرويين⁷ انتقل إلى مدينة تارودانت بصحبة محمد الشيخ دامت سنة كاملة تولى خلالها تدريس مختلف العلوم الدينية والأدبية بجامعها الكبير⁸. لكن أكبر أثر ثقافي جزائري بهذه المدينة هو ما تركه أفراد أسرة ابن الوقاد التلمسانية.

فقد ساهمت هذه الأسرة في رسم صورة مشرفة عن الجزائر أين احتكر أفرادها أعلى وأرق المناصب كالخطبة والإمامة والتدريس والقضاء والإفتاء، كما نالت حب سكان تارودانت وإقليم السوس والحكام السعديون سواء محمد الشيخ أو أولاده بداية بمحمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد (ت1593م)

¹ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس، المصدر السابق، ص35-36، 63-64.

² عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر...، المصدر السابق، ص284، 304.

³ ديقو طوريس: المصدر السابق، ص166-168، الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص117.

⁴ محمد ابن الوقاد: المصدر السابق، ص41.

⁵ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص126.

⁶ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص154.

⁷ أبي المحاسن الفاسي: المصدر السابق، ص75، أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص66.

⁸ عمار بن خروف: المرجع السابق، ص155.

الذي ولد ونشأ بمدينة تلمسان فأخذ بها عن الحافظ التنسي، وقرأ عليه حوالي ستة عشر مرة صحيح البخاري¹ قبل أن يشد الرحال إلى مدينة فاس سنة 1561م أيام عبد الله الغالب²، ومنها إلى تارودانت التي تولى بها القضاء لمدة ستة أشهر إلا أن جهله للبربرية وهي لهجة السكان المحليين جعلته يتوجه إلى سجلماسة ثم مكناسة ثم فاس وتولى هناك خطط القضاء والخطبة قبل أن يعود إلى تارودانت³ أين رفع التحدي بنشر مبادئ اللغة العربية بين سكانها⁴، كما تولى خطط القضاء والإفتاء والإمامة والخطبة بجامعها الكبير لمدة طويلة⁵.

وقد خلفه على هذه الخطط ابنه عبد الرحمان بن محمد التلمساني ابن الوقاد (ت1649م)⁶، وكذلك الشأن لمحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد التلمساني الذي اكتسب شهرة والده وجده العلمية إلا أنه لم ينل الخطط الثلاثة التي كانت حكرا على أسرته - الإفتاء والخطابة والتدريس -، وتخصص في القضاء أين كان يحضر المواثيق والشهادات، كما كان فصيح اللسان ويتمتع بخط جميل وراقي، وقد ترك مؤلفا عن تاريخ مدينة تارودانت، واشتهر أيضا أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الوقاد التلمساني الذي كان من عدول مدينة تارودانت، وترك عديد الوثائق الشرعية الحبسية لمدينة تارودانت آخرها وثيقة كانت موقعة سنة 1701م⁷.

* مدينة درعة:

وهي مدينة صغيرة بالجنوب المغربي بينها وبين سجلماسة حوالي أربعة فراسخ⁸، ورغم أنها لم ترتقي إلى مستوى ومصاف المدن المغربية العريقة بالشمال عبر التاريخ إلا أنها استطاعت أن تبرز على الساحة الثقافية المغربية بوصول الأشراف السعديون للسلطة، باعتبارها موطنهم الأول بالمغرب وبها استقر مؤسس الدولة الأول محمد القائم بأمر الله⁹، وهذا ما جعلها تستقطب بعض علماء الجزائر في شاكلة محمد المقري خلال العهد المريني، وخلال فترة بنو وطاس برز العلامة محمد بن عبد الله العنابي (ت1516م)¹⁰ الذي كان مقربا ومحبويا لدى السلاطين الوطاسيين أين تولى مهمة افتداء الأسرى من الأندلس، وقد توفي غرقا بالبحر

¹ محمد الحضيكي: المصدر السابق، ج1، ص289.

² عمار بن خروف: المرجع السابق، ص154-157.

³ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق ص175.

⁴ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص155.

⁵ محمد ابن الوقاد: المصدر السابق، ص15، محمد الحضيكي: الطبقات...، المصدر السابق، ج1، ص287-288.

⁶ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص176.

⁷ محمد ابن الوقاد: المصدر السابق، ص17-19.

⁸ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص118-120، محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص56.

⁹ أبو القاسم الزباني: تحفة الحادي المطرب في أخبار رفع نسب شرفاء المغرب، تحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 2008م، ص72-75، محمد رزوق: جوانب من النشاط الفكري...، المرجع السابق، ص50-51.

¹⁰ محمد رزوق: المرجع السابق، ص52-54، الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص500-506.

المتوسط لأجل هذه المهمة النبيلة¹، وخلال العهد العلوي زار مدينة درعة من أعلام الجزائر كل من الشيخ محمد بن الفتوح، والذي تتلمذ على يديه العلامة أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت1715م)²، وزارها أيضا محمد السنوسي فبعد زيارة قاداته لمدينة فاس سنة 1805م انتقل بعدها لمدينة سلا قبل أن يحط رحاله بمدينة درعة، وهناك تتلمذ على يد الشيخ عبد السلام الناصري الدرعي الذي أجازه في مروياته، وكذلك الشأن لولده محمد المدني الدرعي³.

وعلى غرار مدن مراكش وسجلماسة ودرعة وتارودانت برزت مدن صحراوية أخرى كانت قبلة لأعلام الجزائر خلال العهد المريني ونخص بالذكر مدينة أغمات، فهي مدينة صغيرة تقع بالقرب من مراكش وتبعد عنها بحوالي ثلاثة فراسخ، ومشهورة بدبغ الجلود وكثرة الخضر والفواكه⁴، ومن أشهر علماء الجزائر الذين حطوا الرحال بها نجد أبو العباس أحمد بن علي الملياني (ت1315م) برفقة عمه أبو علي بن أحمد الملياني فرارا من سلاطين الدولة الحفصية قبل أن يعودا لاحقا لمدينة تلمسان، كما زارها أيضا العلامة أبو عبد الله محمد المقرئ التلمساني (ت1358م) إلا أن هذه المدينة لم تعرف زيارات مذكورة من قبل علماء الجزائر خلال العهد الوطاسي والسعدي والعلوي⁵.

ثالثا/- الحواضر الساحلية:

على عكس المدن الداخلية والصحراوية لم تحظ المدن الساحلية الأطلسية والمتوسطية للمغرب الأقصى بأهمية حضارية وثقافية كبيرة، ويعود السبب بالأساس لوقوع هذه المدن في مرمى المدافع الأوروبية بصفة عامة، والاسبانية والبرتغالية بصفة خاصة، وبذلك فقد كانت بعيدة نوعا ما عن الطموح العلمي والثقافي لطلبة وعلماء الجزائر لزيارتها، كما أن افتقارها لمؤسسات علمية بارزة جعل علماءها يهجرونها نحو المدن التاريخية الكبرى كفاس ومراكش ومكناسة، ويمكن تقسيم هذه المراكز الساحلية إلى قسمين مدن توقفت عملية الهجرة إليها من طرف طلبة وعلماء الجزائر مع العهد المريني في شاكلة سبتة والعرائش بسبب وقوعها تحت قبضة العدو الاسباني والبرتغالي خلال العهد الوطاسي والسعدي والعلوي، ومراكز استمرت عملية الهجرة إليها وزيارتها خلال العصر الحديث من طرف علماء الجزائر كتطوان وسلا والرباط وطنجة وأسفي وبلاد غمارة.

¹ عمار بن خروف: المرجع السابق، ص157.

² محمد بن الصغير الإفرائي: المصدر السابق، ص365.

³ الحاج صادوق: الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن التاسع عشر ميلادي وأثرها على البيئة الحجازية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012م، ص77.

⁴ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص225.

⁵ عادل نويهض: المرجع السابق، ص31، يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة...، ج2، المرجع السابق، ص161-164.

هي مدينة تقع بأقصى غرب المغرب الأقصى على ضفاف المحيط الأطلسي بينها وبين مدينة مراكش حوالي عشرة مراحل، وكانت تسمى في القديم مدينة شالة¹، وقد ازدهرت هذه المدينة أكثر مثلها مثل تطوان بسبب الهجرة الأندلسية²، وخصوصا بعد قرار فليب الثاني سنة 1609م القاضي بطرد جميع مسلمي الأندلس حيث اختارها الآلاف من الأندلسيون كمستقرا لهم بل أصبحوا يشكلون حوالي ثمانين بالمائة من سكان المدينة³، فقد نقلوا إليها خبرتهم في الصناعة والحرف والتعليم والثقافة والزراعة، كما اتخذوها وكرا للجهاد ضد السفن الإسبانية والبرتغالية خاصة بعد التخاذل الذي رآه من الوطاسيون والسعديون والعلويون وعجزهم في حماية الثغور المغربية، ولم تكفي سلا باستقبال الأندلسيون فقط بل سكن بها حوالي ألف من الأتراك أرسلت بهم الأستانة لمساعدة الدكالي ضد النصارى ودعم الأندلسيون سنة 1570م⁴.

هذه العملية ساهمت في ربط علاقات قوية بين مدينة سلا ومدينة الجزائر، وبالخصوص العلاقات البحرية أو كما يسميها مؤرخو الغرب بالقرصنة، فقد كان رياس البحر الجزائريون ينسقون مع رياس البحر السلاويون ويهاجمون السفن الأوروبية مع بعض ويقتسمون الغنائم، وقد كان السلاويون يبيعون السلع والبضائع الخاصة بهم بأسواق الجزائر، وذلك بسبب الخلاف المستمر مع الحكام المغاربة سواء السعديون أو العلويون، وكذلك الشأن بالنسبة للسلع والتجارة الجزائرية التي تعرض بقوة في أسواق مدينة سلا، ففي سنة 1585م لجأ مراد راييس إلى مدينة سلا بعدما هاجمه الأسطول الإسباني وهو برفقة ثلاث سفن صغيرة وذلك لعلاقته القوية مع رياسها⁵ بل كان له بسلا أسطولاً خاصاً وربان سفن سلاويين وصل بهم لجزر الكناري والسواحل البريطانية، وفي سنة 1627م شن سليمان راييس السلاوي هجوماً على آيسلاندا بأسطول يتكون من ثلاث سفن جزائرية وسفينة سلاوية، والغنائم المحصلة كانت على الشكل التالي اثني عشر بالمائة لباشا الجزائر وحوالي عشرة بالمائة لحاكم سلا والباقي لملاك السفن، وخلال العصر الحديث كان ولاء سلا لأتراك الجزائر أكثر منه لسلطين المغرب بل كانت مستقلة جزئياً عن السعديون والعلويون سواء لما كانت بيد الدكالي أو العياشي أو الزاوية الدلائية، واستمرت على هذه الوضعية لغاية فترة المولى الرشيد الذي أعادها للحكم العلوي⁶.

¹ حمدي عبد المنعم محمد: مدينة سلا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1993م، ص3، زنيبر محمد: (شذرات تاريخية عن مدينة سلا)، ضمن كتاب في النهضة والتراكم، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1986م، ص243-245.

² عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص83.

³ حسن أميلي: الجهاد البحري بمصعب أبي رقرق خلال القرن 17م، ط1، دار أبي رقرق، الرباط، المملكة المغربية، 2006م، ص29.

⁴ وهيبه بولصباغ: المرجع السابق، ص56، 42.

⁵ روجي كواندرو: قرصنة سلا، ترجمة محمد حمود، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1991م، ص59، 40.

⁶ وهيبه بولصباغ: المرجع السابق، ص136-137، 146-148.

ورغم هذه العلاقة الجيدة بين سلا والجزائر إلا أنها لم تعرف استقطابا كبيرا لطلبة وعلماء الجزائر، وذلك بسبب وقوعها تحت قصف المدافع الأوروبية من جهة، وافتقارها لمؤسسات علمية وثقافية وأعلام بارزين من جهة ثانية، ومن جملة من زارها من أعلام الجزائر خلال العهد المريني والوطاسي نذكر كل من إبراهيم بن قرقول الوهراني (ت1173م)، وأبو الربيع سليمان التلمساني (ت1183م)¹، ومحمد بن حماد الصنهاجي (ت1230م)، ومحمد بن أحمد بن الدراج التلمساني (ت1294م)²، وحسن بن عثمان الونشريسي (ت1386م)، وابن قنفذ القسنطيني (ت1406م)، وسعيد العقباني (ت1408م)³، ومن أبرز العائلات العلمية الجزائرية التي هاجرت إلى مدينة سلا خلال العصر الحديث نجد عائلة أولاد بوعلو، وهي أسرة تلمسانية الأصل قطنت فاس قبل أن ترتحل إلى سلا، وقد أنعم عليهم مولاي الرشيد بمنزل وفرن ورحى، ومن أشهر أفراد هذه الأسرة كل من محمد الصبيني ومحمد السنوسي حيث تولا نشر العلم والتدريس، كما كلفا بجمع الزكاة والعشور من قبيلة عامر⁴، وبعد زيارة محمد السنوسي لمدينة فاس سنة 1805م انتقل لمدينة سلا أين أخذ عن الشيخ أحمد بن المكي السدراتي الذي أجازه في جميع مروياته، وهو المعروف بشرح موطأ الامام مالك بن أنس⁵.

ولم يكن علماء الجزائر فقط من وصل لمدينة سلا بل كان بها التجار والبحارة، فمن خلال تفقد كناش البحارة السلويين لسنوات 1776-1779م نجده يتضمن عديد الأسماء الجزائرية كأحمد القسنطيني، وأحمد التلمساني، ومحمد المستغاني، ومصطفى المستغاني⁶، ولا يمكن أن ننفي فرضية أنهم إلى جانب اشتغالهم بالبحر كانوا طلبة علم.

* مدينة تطوان:

وتعد من المدن الساحلية الشمالية للمغرب الأقصى⁷، وتسمى أيضا بتطاوين وهو الأصح على رأي محمد حجي تعرضت المدينة لتخريب كبير بعد وقوعها بيد الغزاة الاسبان⁸، وبعد سقوط غرناطة سنة 1492م شرعت الوفود الأندلسية تحط رحالها بالمدن المغربية، وقرر هؤلاء أن تكون لهم مدينة خاصة يجسدون

¹ أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص517-518، الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر... المرجع السابق، ص283.

² أحمد بن قنفذ: الوفيات...، المصدر السابق، ص311، عمار هلال: العلماء الجزائريون...، المرجع السابق، ص52.

³ راجع بونار: (سعيد العقباني التلمساني)، مجلة الأصيل، ص01، ع06، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972م، ص66 - 67، أبو عمران الشيخ وآخرون: المرجع السابق، ص396-398.

⁴ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص27.

⁵ الحاج صادوق: المرجع السابق، ص77.

⁶ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني...، ج1، المرجع السابق، ص105.

⁷ لتفاصيل أكثر عن تاريخ المدينة وجغرافيتها، أنظر: (أبو القاسم الزباني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص86، جون لوي ميبج وآخرون: تطوان الحاضرة الأندلسية المغربية، المرجع السابق، ص49، عبد العزيز السعود: تطوان في القرن الثامن عشر، منشورات جمعية تطوان أسمير، تطوان، المملكة المغربية، 2007م، ص17-25).

⁸ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص246، عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، ص150.

عليها طموحاتهم وآمالهم في الحرف والصناعات والملاحة والفلاحة وال عمران، وقد سمح لهم السلطان الوطاسي بالاستقرار في مدينة تطوان وتجديد عمرانها بعدما كانت شبه خالية ومخرّبة، ومن هناك بدأت عملية التجديد والبناء، فأصبحت مدينة أندلسية بامتياز، وقد حكمت المدينة عائلة النقسييس وهي من أصول أندلسية، وهي التي شجعت الأندلسيون بالترحال إلى تطوان بعد صدور قرار فليب الثالث سنة 1609م¹، وقد عرفت مدينة تطوان ازدهارا ثقافيا وعلميا كبيرا بعد تشييد الزاوية الفاسية على يد أبو المحاسن الفاسي (ت1604م) الذي استقر بها، وكذلك الشأن لولده محمد العربي الفاسي (ت1642م)².

وبالإضافة لسلا فقد ربطت علاقات قوية بين الجزائر وتطوان، ومن الأسباب التي ساهمت في تقوية هذه الرابطة أن غالبية سكان تطوان من الأندلس بصفة عامة وغرناطة بصفة خاصة³، وبحكم موقف الأتراك من الأندلسيون والاسبان جعل ولاء ساكنة تطوان يميل للجزائر أكثر على حساب حكام المغرب الأقصى المرطيين حتى في سبتة ومليلية ما بالك بمساعدة الأندلسيون في استعادة حكمهم، فقد كان ميناء تطوان يستقبل السفن الجزائرية باستمرار في إطار الشراكة والتعاون في عملية الجهاد البحري، فمن خلال تفقد بعض الرسائل لسفير إنجلترا في مدريد سنة 1621م نجده ينبه لوجود سفن جزائرية عديدة بميناء تطوان⁴، ومن أبرز أعلام الجزائر الذين زاروا تطوان قبل وأثناء الفترة المدروسة نذكر محمد المقري (ت1358م) خلال العهد المريني⁵، كما زارها أبو علي منصور الحاج البجائي خلال العهد الوطاسي بعد احتلال مدينة بجاية من طرف الاسبان سنة 1510م، ويعد ابن عسكر الشفشاوني من أبرز طلبته⁶.

وفي العهد السعودي شهدت تطوان زيارة العديد من علماء الجزائر كان على رأسهم أبو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت1591م) الذي كان فقيها معقوليا من قسنطينة قصد فاس وتلمذ على يد أحمد المنجور ثم استقر بتطوان، فأصبح خطيبا وأستاذ الفقه والمعقولات بها، وقد أعجب به ابن القاضي ووصفه بالفقيه المعقولي والرجل الزاهد⁷، وترك مؤلفا مهما حول الطائفة الظاهرية في مجلدين⁸، ومن أهم الأسر العلمية

¹ أحمد الكامون وهاشم السقلي: التأثير المورسكي في المغرب، ط1، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، المملكة المغربية، 2010م، ص94-95.

² محمد حجي: المرجع السابق، ص246.

³ غيرمو غوثالبيس بوستو: الموريسكيون في المغرب، ترجمة مروة محمد إبراهيم، ط1، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2005م، ص279-282.

⁴ خليفة حماش: كشاف ورائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني ...، ج1، المرجع السابق، ص127-128.

⁵ الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص500-506.

⁶ عمارين خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص151.

⁷ محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج2، المرجع السابق، ص418، عمارين خروف: المرجع السابق، ص150-151.

⁸ حمزة بوقادوم: الحراك الفكري لعلماء المغرب خلال القرن 16م - الشيخ أبي عبد الله محمد الخروبي الطرابلسي أنموذجا -، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م، ص87.

الجزائرية التي استقرت بمدينة تطوان وكان لها صيت علمي وثقافي كبير هي أسرة الزياتي¹، والتي تعود أصولها لمدينة تلمسان انتقل جدهم يوسف بن مهدي الزياتي إلى تطوان ومنها لبني زيات بجبال غمارة²، ومن أفراد هذه الأسرة نذكر أحمد بن يوسف الزياتي (ت1594م)، فبعدهما تخرج من مدينة فاس في علم النحو والفقه عاد إلى تطوان وخطب بمساجدها وكان عالمها الأول بلا منازع³، وشقيقه الحسن بن يوسف الزياتي (ت1614م) الذي ولد بمدينة فاس ونهل من مدارسها وأعلامها أبرزهم العلامة والشيخ أبو المحاسن الفاسي الذي لازمه لمدة طويلة قبل أن يتزوج ابنته، وترك عديد المؤلفات أهمها كتاب شرح الصلاة المشيشية، وحاشية على صغرى السنوسي، وحاشية على شرح ضبط التفسير⁴.

وولده عبد العزيز الزياتي (ت1645م) الذي درس بتطوان ثم بفاس على يد خاله محمد العربي الفاسي، وتخصص في القراءات التي أخذها بمراكش ثم سافر إلى المشرق، وبعد عودته لتطوان تصدر للتدريس والتأليف⁵، والتي توفي ودفن بها خارج باب المقابر وبنيت على قبره قبة، ومن أهم مؤلفاته كتاب النوازل المختارة مما وقفت عليه من نوازل بجبال غمارة⁶، واستقرت بالمدينة أسر علمية جزائرية أخرى كأسرة الثعالبي الشهيرة، والتي تعود أصولها لدلس وتنتسب لعبد الرحمن الثعالبي، وقد استقرت بتطوان بين (1630-1734م)، وعائلة القسنطيني ومن أفرادها الفقيه هاشم القسنطيني الذي كان أحد عدول المدينة سنة 1745م، وعائلة المتيجي التي سكنت المدينة في حدود 1778م، وعائلة التلمساني ومن أعلامها محمد التلمساني (ت1787م)، وهو أحد شيوخ السكيرج الذي قرأ عليه مختصر خليل، وعائلة العنابي التي سكنت المدينة في حدود 1799م، وعائلة ابن مرزوق والتي تولى أحد أفرادها الإمامة وهو محمد بن عبد القادر بن مرزوق، وكان له علم بالفقه والنحو والبيان والتفسير، وعاش خلال القرن الثامن عشر الميلادي⁷.

وعائلة ابن الزاير التي كانت تتواجد بتطوان سنة 1800م واختفت بعدها تماما وهي من مدينة تلمسان، وعائلة الرايس وكانت تتواجد بتطوان سنة 1824م من شخصياتها أحمد الحجام، وكانوا يشتغلون في البحر إلى جانب المناصب العلمية⁸، وعائلة اسماعيل ولعل من أفرادها أحمد بن محمد اسماعيل الذي تولى خطة العدالة بتطوان بين (1776-1793م)، ومحمد اسماعيل وهو أحد الموقعين على بيعة مولاي سعيد بن اليزيد

¹ أسرة الزياتي: من أبرز الأسر العلمية التلمسانية التي قطنت المغرب الأقصى ينتسبون للملك بنو زيان انتقلت لمدينة تطوان ثم لبني زيات بجبال غمارة، وقد أنجبت ثلاثة فقهاء تمكنوا من فرض وجودهم بتطوان ثم فاس وهم: أحمد بن يوسف الزياتي وشقيقه الحسن وولده عبد العزيز، أنظر: (محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص208).

² محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص418.

³ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص284.

⁴ محمد القادري: المصدر السابق، ص208.

⁵ محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج2، المرجع السابق، ص421.

⁶ محمد القادري: المصدر السابق، ص418-419.

⁷ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص34-35.

⁸ سعيد الحاجي: (الجزائريون في شمال المغرب خلال القرن 19م)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص678-680.

سنة 1821م وهذا يدل على مكانته بالمخزن المغربي¹، ومن أعلام الجزائر الذين نزلوا بمدينة تطوان خلال العصر العلوي نذكر محمد بن أحمد القسنطيني الشهير بالكماد (ت1705م) أخذ عن أعلام مدينة الجزائر وحل بمدينة تطوان، وقد ربطت بينه وبين قاضي المدينة الفقيه عبد الله بن قريش علاقات وطيدة².

كما زارها الطبيب عبد الرزاق بن حمادوش في مناسبتين الأولى سنة 1732م والثانية سنة 1743م، ومن علماء المدينة الكبار الذين التقى بهم ابن حمادوش وأخذ عنهم وكانت معه صحبة كبيرة الشيخ أحمد الورززي، فأخذ عنه صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك وقد أجازته في مختلف مروياته، كما التقى بالشيخ محمد البناني الفاسي، ويذكر ابن حمادوش بأنه جلب له هدية من الجزائر، وهو ما يؤكد بأن العلاقة بينهما قديمة، وقد حضر دروسه بجامع زاوية سيدي أحمد بن ناصر، وكان الشيخ الحاج محمد بوزيع التلمساني (ت1778م) هو من يتولى قراءة نصوص متن الكتب، وقد تفرغ ابن حمادوش بمدينة تطوان لتدريس المقنع في علم أبي مفرع لمحمد السنوسي، كما كان له لقاء مع العلامة عبد الله الجنان المكناسي، وأصبحت بينهما صحبة ويدرسان مع بعض، كما أخذ عن الشيخ أحمد السرائري، والذي كان من كبار علماء تطوان في السيرة النبوية حيث قرأ عليه ألفية العراقي بزواية علي بن مسعود الجعيدي³.

وكذلك الشأن للحافظ محمد أبي راس الناصري الذي زار تطوان، فألتف حوله طلبة وشيوخ المدينة وطرحوا عليه أسئلة فقهية عديدة⁴، ومن أعلام الجزائر الذين تركوا بصمتهم بمدينة تطوان نجد الفقيه محمد التلمساني (ت1778م)، والذي تتلمذ على يديه العلامة عبد السلام السكيري مؤرخ مدينة تطوان الأول (ت1834م) حيث أخذ عنه مختصر الشيخ خليل بشرح الزرقاني ورسالة أبي زيد القيرواني وألفية ابن مالك ولامية المجراد والأجرومية وصحيح البخاري، ويقول عنه تلميذه السكيري، (الشيخ الإمام العارف الهمام الفقيه المحدث الأديب عالم الأعلام وشيخ الإسلام مآثره كأنها علم في رأسه نار ومفاخره كصبح أو نهار ... له سمة عالية وثمار العلم قطوفها دانية كان إمام برباط الشيخ العاني سيدي مولاي محمد الوزاني وكان له خط رائق ...)⁵.

¹ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص36.

² أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا ... المرجع السابق، ص92، محمد الطمار: المرجع السابق، ص257-258.

³ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص31-35، 69، 103، أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ... ج1، المرجع السابق، ص236.

⁴ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص90.

⁵ عبد السلام السكيري: نزهة الإخوان وسلوة الأحران في الأخبار الواردة في بناء تطوان ومن حكم فيه أو تقرير من الأعيان، تحقيق يوسف احناة، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المملكة المغربية، 2005م، ص93-94، عبد السلام ابن سودة: إتحاف المطالع ... المصدر السابق، ص45.

وهي من أشهر المدن المغربية الساحلية بصفة البحر المتوسط مقابلة للجزيرة الخضراء بإسبانيا، ومرساها يعتبر من أجود وأحسن المراسى بالبحر المتوسط¹ إلا أن هذا الموقع الاستراتيجي الممتاز للمدينة أصبح نقمة عليها حيث دخلت الدول الأوروبية الكبرى في صراع للسيطرة عليها خاصة بين إسبانيا والبرتغال، وهذا ما جعلها عرضة للهجمات العسكرية حتى وقعت بيد البرتغال سنة 1415م إلى غاية سنة 1580م أين أصبحت سبتة إسبانية بعد ضم البرتغال لإسبانيا أيام الملك فليب الثاني²، ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا الحالي وهي مدينة إسبانية، وهذا ما جعلها من المدن الممنوعة على علماء الجزائر خلال العصر الحديث إلا أن الفترة التي سبقت هاته المرحلة عرفت استقطابا كبيرا لعلماء الجزائر.

ولعل من أبرزهم عبد الله بن حمو المسيلي (ت1080م)، والحسن بن علي التيهري (ت1107م)، وإبراهيم بن قرقول الوهراني (ت1173م)، وعبد الله بن أحمد التميمي (ت1223م)، وأبو عبد الله محمد البطوي (ت1228م)، وأحمد بن إبراهيم التلمساني (ت1258م)، ومحمد بن إبراهيم الغساني (ت1263م)، وعلي الضير الكتامي (ت1277م)، وأبو الحسن التلمساني (ت1279م)، وأبو اسحاق التلمساني (ت1281م)³، وإبراهيم التلمساني (ت1294م)، ومحمد بن أحمد بن الدراج التلمساني (ت1294م)، ومحمد بن مسعود الكتامي (ت1298م)، وعبد العزيز بن إبراهيم الهواري (ت1301م)، ومحمد بن خميس التلمساني (ت1309م)، ومحمد المقري التلمساني (ت1358م)، ومحمد بن السكاك العياضي (ت1476م)⁴.

* مدينة أسفي:

من المدن الساحلية المغربية التي كانت عرضة للغارات الإسبانية والبرتغالية حتى سقطت بيد البرتغاليين سنة 1508م، وأهم علماء الجزائر الذين زاروها نذكر العلامة محمد بن إبراهيم الغساني (ت1264م) وبها توفي⁵، كما دخل المدينة العلامة محمد بن مرزوق التلمساني (ت1378م)، والفقيه أحمد بن قنفد

¹ لمعرفة تفاصيل أعمق عن تاريخ وجغرافية مدينة سبتة، أنظر: (أحمد المقري: نفع الطيب...، ج6، المصدر السابق، ص120، عبد اللطيف الخطيب: المرجع السابق، ص43، الطيبي أمين توفيق: دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار القلم، تونس، 1989م).

² عبد الحق المريني: المرجع السابق، ص67.

³ أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص88، أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، 294، أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ص2، ص237، الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص143.

⁴ عبد السلام شقور: (من بيوتات سبتة في القرن الثامن)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع5، ص32، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1991م، ص105، عمار هلال: العلماء الجزائريون...، المرجع السابق، ص51، محمد السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1983م، ص19، خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص314، رشيد خالدي: دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 13-14م، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2011م، ص93، 58.

⁵ عمار هلال: المرجع السابق، ص51، أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص166.

القسنطيني (ت1407م)، ومن الأسر الجزائرية التي حطت رحالها بهذه المدينة بيت الحاج عبد الله التلمساني، وقد كانت له بنت تسمى السيدة زينب الغانمية (ت1766م) اشتهرت بمدينة أسفي بالتقوى والعلم والصلاح وكانت مقصودة للكرامة والبركة، كما زارها الشيخ العربي بن ادريس بن محمد بن أحمد المنجرة التلمساني، وتصدر بها للتدريس ومكث بها لغاية وفاته بعد سنة 1784م¹.

* مدينة الرباط:

وكانت تسمى برباط الفتح وهي عاصمة المغرب الأقصى حاليا يعود تأسيسها إلى الموحدون إلا أنها لم تحظى بأهمية تاريخية كبيرة مقارنة بالمدن المغربية الأخرى²، وقد زادت شهرة المدينة مع وجود ضريح القطب والشيخ عبد الله الجزولي، وبذلك كانت محج للمتصوفة والمريدين من داخل وخارج المغرب الأقصى. لكن ازدهارها السياسي بدأ مع زيدان بن أحمد المنصور فبعد الهجرة الأندلسية المكثفة نحو المغرب الأقصى جعل زيدان السعدي الآلاف منهم في جيشه وجعل من الرباط مقرا لهذا الجيش وهو ما ساهم في ازدهار عمرائها، ومع وصول العلويون لسلطة المغرب الأقصى جعلوا من مدينة مكناسة عاصمة لهم ثم فاس إلى غاية تولي محمد بن عبد الله الذي بنى قصرا له بمدينة الرباط، ومنذ ذلك الحين تحولت لعاصمة سياسية بامتياز للملوك العلويون إلى وقتنا الحالي³.

وقد زارها من أعلام الجزائر كل من العلامة محمد بن إبراهيم الأبلي (ت1356م)⁴، والأديب والشاعر التلمساني محمد الحاج (ت1766م) والذي توفي بها، والفقيه والقاضي أبو عبد الله محمد العربي بن علي القسنطيني (ت1793م) الذي تولى الخطابة والافتاء والتدريس بمسجدها الأعظم، كما نال بها خطة القضاء لمدة قبل أن ينتقل لمدينة مكناسة وتوفي بها بعد مرض عضال ألم به، والعلامة والشاعر أحمد التلمساني (ت1795م) الذي كان مفتيا بفاس قبل أن ينتقل للرباط، وأصبح من مشاهير شعرائها في المدائح الدينية الصوفية، وبها توفي ودفن قرب الجامع الكبير⁵، كما عرفت مدينة الرباط شهرة كبيرة للعلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن القاضي التلمساني (ت1805م) الذي أسندت له رئاسة العلم بهذه المدينة، واحتكر مناصب الإمامة والخطابة والتدريس والافتاء والشهادة والقضاء، وينتمي لبيت علم ودين، فوالده العلامة

¹ محمد الكانوني: المصدر السابق، ص206، 114، 102-207، 209.

² للتعلم في طيونيميا وتاريخ مدينة الرباط أنظر: (أبو عبد الله محمد بوجندار: مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2012م، ص52-56، سحر السيد: مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1996م، ص15-03).

³ عبد الكريم كريم: (المدخل التاريخي لقصة رباط الفتح)، جمعية آفاق الثقافة والتراث، ع07، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 1994م، ص16-18.

⁴ يحي بوعزیز: أعلام الفكر والثقافة...، ج2، المرجع السابق، ص26-32.

⁵ عبد السلام ابن سودة: إتحاف المطالع...، المصدر السابق، ص25، 81.

الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي أبي العباس التلمساني صاحب الزاوية التلمسانية بمدينة الرباط¹.

* مدينة طنجة:

ونظرا لاستهدافها المتكرر من طرف السفن الغربية فان أعلام الجزائر كانوا يتفادون زيارتها سواء خلال العهد المريني والوطاسي أو خلال العهد السعودي والعلوي، ومن أبرز الاستثناءات المسجلة في انتقال علماء الجزائر لمدينة طنجة نجد أسرة سيدي ابراهيم الراشدي نسبة للشيخ ابراهيم بن راشد بن يحيى بن علي الذي حظ رحاله بمدينة طنجة وكان ذلك في حدود القرن الخامس عشر الميلادي²، وعائلة المجاوي الشهيرة، وكانت البداية مع العلامة والفقير محمد بن عبد الكريم المجاوي التلمساني (ت1850م) الذي ولد ونشأ بتلمسان وتلمذ على يد والده الشيخ عبد الكريم المجاوي وشقيقه الحاج أحمد المجاوي، وبعدها قرر الترحال لمدينة فاس أين أخذ عن حمدون بن الحاج السلمي، وسليمان الحوتي، والطيب بن كيران، ورجع لتلمسان أين تولى بها القضاء لمدة خمسة وعشرون سنة، ومنها قرر العودة لفاس أين تفرغ لتدريس الفقه بالقرويين، وبعدها ارتحل لطنجة أين تولى القضاء بها، وقد تلمذ على يديه هناك كل من محمد بن سودة، وجعفر الكتاني، وترك قصائد بديعة³.

وهناك ولد حفيده العلامة الشهير عبد القادر المجاوي سنة 1848م قبل أن تنتقل هذه العائلة لمدينة تطوان ومنها إلى فاس قبل أن تدخل للجزائر لاحقا⁴، وبتاريخ 09 أكتوبر 1829م نجد السلطان المغربي مولاي عبد الرحمن بن هشام يرسل عامله في طنجة القائد عبد السلام السلوي يطلب منه منع الشيخ أحمد التلمساني الذي يقيم بالقرب من ضريح القطب عبد السلام بن مشيش بمنطقة الريف التابعة لإقليم مدينة طنجة من الفتوى، وذلك لأنه لم يأخذ الاذن بتقديم الفتاوى للناس وأكثر من التلبيس على الناس وان تجاوز ذلك فيجب معاقبته⁵، وهذا ما يؤكد بأن هذا الشيخ والمفتي التلمساني كان مقيما بالمنطقة منذ مدة.

* مدينة العرائش:

هي مدينة ساحلية تقع على شواطئ المحيط الأطلسي تأسست في العهد المريني سنة 1258م كقلعة ورباط في مواجهة الخطر القادم من البحر، وكانت مطمعا للدول الأوروبية حتى وقعت بيد الاحتلال البرتغالي سنة

¹ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج2، ص623، محمد بوجندار: (تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط)، مجلة قطر الندى، ع1، جمهورية إيرلندا، 2008م، ص294، 298.

² عبد الرحمن التوجيني: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005م، ص16.

³ عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، 323-324.

⁴ عبد القادر المجاوي: المرصاد في مسائل الاقتصاد، تقديم وتحقيق علي تابلت، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012م، ص07.

عبد القادر المجاوي: إرشاد المتعلمين، تحقيق عادل بن الحاج همال، دار ابن حزم، لبنان، 2008م، ص21.

⁵ خليفة حماش: وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب - المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط -، المرجع السابق، ص24.

1505م، ولم يتم تحريرها إلى غاية 1689م على يد السلطان اسماعيل العلوي¹، وقد زارها القاضي وعالم مدينة وهران الشيخ محمد الهواري (ت1374م) وتولى بها القضاء².

* بلاد غمارة:

وتقع بشمال المغرب الأقصى على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، ولعل من أشهر بطونها نذكر قبيلة بنو زيات، وهي فرع من قبيلة غمارة الصنهاجية التي كانت تقطن أحواز مدينة تلمسان، وهاجرت للمغرب الأقصى وامتزجوا مع أبناء عمومتهم الصنهاجيين في قبيلة بني زيات، وقد أنجبت هذه القبيلة عديد العلماء والفقهاء خاصة فرع بنو الشيخ يوسف بن مهدي الزياتي، وأشهرهم الشيخ محمد بن يوسف الزياتي (ت1582م) الذي انتقل لبلاد السودان ينشر العلم والدعوة الإسلامية وهناك توفي، وشقيقه الحسن بن يوسف الزياتي الذي تنقل لمدينة فاس وصاهر الشيخ أبي المحاسن الفاسي، وقد كان مدرسا للقراءات والحديث والفقه والمنطق بالقرويين، وألف عديد الشروح والحواشي في مختلف العلوم التي كان يدرسها، وأنجب بمدينة فاس ولده عبد العزيز وهو من أشهر وأنجب أفراد عائلة الزياتي، فقد ترك العشرات من المؤلفات في النحو والصرف، كما ترك مصنفه النوازل الكبير والموسوم بالجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، والذي أصبح من أبرز المصادر الفقهية والاجتماعية حول منطقة الريف المغربي³.

III- علماء المغرب بالحواضر الجزائرية:

مع انتصاب الحكم العثماني بالجزائر سنة 1519م تغيرت الخارطة السياسية والادارية والاقتصادية والثقافية داخل ايةال الجزائر، فبعدها كانت تلمسان وتيهرت وبجاية عواصم حضارية بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط برزت كل من الجزائر وقسنطينة كحواضر سياسية وعلمية تمكنت من استقطاب خيرة أعلام الجزائر وتعدتها لأعلام منطقة المغرب بصفة عامة والمغرب الأقصى بصفة خاصة.

* مدينة الجزائر:

من خلال اطلعنا على مختلف كتب الجغرافيا الخاصة بالمغرب القديم والمغرب الاسلامي فان اسم مدينة الجزائر كان مغيبا تماما من فهارسها، وقد تجسد هذا الغياب في انعدام سلطة سياسية حاكمة بل كانت مجرد كيان قبلي أو عشائري تدعى بجزائر بني مزغنة وتخضع لحكم أسرة الثعالبة الشهيرة⁴، وبمطلع القرن السادس عشر الميلادي زال هذا الدور الثانوي، وأصبحت مركزا ثقافيا مزدهرا بعد تحولها إلى عاصمة

¹ إبراهيم حركات: المغاربة والبحر، منشورات المندوبية العامة، المملكة المغربية، 1998م، ص11.

² يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ... المرجع السابق، ص102.

³ محمد حجي: جولات تاريخية، ج1، المرجع السابق، ص138.

⁴ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص37-40، مارمول كرفخال: المصدر السابق، ج2، ص362.

للأتراك تحت مسمى دار السلطان¹، وبذلك تحولت مدينة الجزائر من مدينة مغمورة غير مقصودة من الأجانب والرحالة العرب والمغاربة إلى مدينة كبيرة حتى سميت بإستنبول الصغرى على حد وصف الرحالة المغربي التمجروتي (ت1590م)، فقد قفز عدد سكانها من ثمانية وعشرون ألف نسمة حسب رأي الحسن الوزان² بمطلع القرن السادس عشر الميلادي إلى حوالي مائة وعشرون ألف نسمة بمطلع القرن التاسع عشر الميلادي حسب الرحالة الإيطالي بنانتي³، كما أن نشاطها التجاري المكثف خاصة في مرحلة البيلربايات جعلها تخذل في كتب الرحالة والقناصل والعسكريين والتجار والأسرى الأوروبيين، كما تميزت مدينة الجزائر في هذه المرحلة بالتمازج والتنوع الديموغرافي من السكان الأصليين (قبائل صنهاجة الأمازيغية) ثم العرب الهلالية (قبيلة الثعالبة)، والأتراك والكراغلة والأندلسيين واليهود والمسيحيين والأعلاج والأسرى الأوروبيين والزنج الأفرقة⁴.

وإذا انتقلنا لتاريخ المدينة الثقافي فإن المؤرخ الإسباني هايدو يذكر بأن عدد مساجد مدينة الجزائر بين (1578-1781م) قدر بحوالي مائة مسجد بينما ذكر الأسير البرتغالي جاو ماسكارينهاس بأن عددها بين (1621-1626م) حوالي مائة وعشرة مسجد، وفي المقابل فان فونتيري دي بارادي يذكر بأن مساجد مدينة الجزائر ما بين (1788-1790م) كان يقدر باثني عشر جامع كبير وعدد معتبر من المساجد والكتاب⁵ أما العالم الألماني هابنسترايت الذي زار المدينة سنة 1732م فأكد بأنها تحتوي على عشرة مساجد كبيرة وحوالي خمسون مسجدا صغيرا أو يفوق⁶، وبحلول سنة 1830م يقر المؤرخ الفرنسي دفولكس بأن مدينة الجزائر كان بها ثلاثة عشر جامع كبير وحوالي مائة وتسعة مساجد صغيرة، واثنين وثلاثين ضريح، واثنى عشر زاوية، وبذلك فالمجموع كان بها مائة وستة وسبعون مؤسسة دينية⁷.

ويؤكد أبو القاسم سعد الله بأن مساجد مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي كانت تقدر بحوالي واحد وسبعون مسجد وخمسة جوامع كبرى مستدلا برواية الورثيلائي⁸، وارتفع عددها خلال القرن السابع عشر الميلادي إلى تسعة وسبعون مسجد حسب رأي عبد القادر دحدوح الذي يقدم لنا قائمة لأسماء

¹ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية... المرجع السابق، ص160.

² الحسن الوزان: الحسن بن أحمد الوزان الزياني الفاسي من مواليد غرناطة سنة 1488م ثم هاجر مع أسرته إلى فاس وتقلد بها الكثير من المناصب حتى أصبح سفيرا للسلطان محمد الشيخ الوطاسي، أنظر: (ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي... المرجع السابق، ص290).

³ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص177-178.

⁴ مختار حساني: المرجع السابق، ص12.

⁵ عبد الرزاق قسوم: عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص32، فاتح بلعمري: مدينة الجزائر في القرن 18م من خلال الرحالة العرب والأوروبيين دراسة مقارنة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009م، ص191، 200.

⁶ جون أولف هابنسترايت: رحلتي إلى الجزائر وتونس وطرابلس سنة 1732م، ترجمة وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ص37.

⁷ المهدي البوعبدلي: تاريخ المدن... المرجع السابق، ص56.

⁸ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج5، ص178.

هاته المساجد¹، ويعد الجامع الأعظم أبرز مؤسسة ثقافية وعلمية بمدينة الجزائر رغم أنه يتبع المذهب المالكي²، ويروي كاثارت بأن هذا المسجد كان بمثابة زعيم لبقية مساجد وجوامع مدينة الجزائر فالآذان يرفع به أولا ويرفع علم يكون بمثابة إشارة لبقية المساجد من أجل الشروع في الآذان³.

وقد شهد هذا المسجد عديد المحطات والشواهد التاريخية الرمزية للجزائر، فبداخله حررت الرسالة التي بعث بها أعيان مدينة الجزائر للسلطان العثماني من أجل تنصيب خير الدين بربروس بيلربايا على الجزائر سنة 1519م، ومن هذه اللحظة أصبح هذا المسجد محل اهتمام واعتناء من طرف الحكام الأتراك، وبهذا المسجد كان ينعقد المجلس العلمي والذي يعتبر الهيئة الدينية والعلمية والقضائية العليا بالجزائر ككل، كما كان لهذا المسجد أوقافا عديدة تتمثل في مائة وخمسة وعشرون منزلا، وثلاثة أفران، وتسعة وثلاثون دكانا، وتسعة عشر بستانا تفوق كل أوقاف المؤسسات الدينية والثقافية على قطر الجزائر⁴، وفي مقابل الجامع الأعظم التابع للمذهب المالكي كان هناك الجامع الجديد التابع للمذهب الحنفي الذي شيد سنة 1660م، وقد تكفلت مؤسسة سبل الخيرات الحنافية بتشييده على يد مهندسين أتراك وبمساهمة أيضا من جند الانكشارية⁵، وإلى جانب هذا المسجد نجد حوالي ثلاثة عشر مسجدا حنفيا بمدينة الجزائر تتميز أغلبها بالهندسة المزدوجة بين التركية والبيزنطية، والتي كانت أكثر جمالا وجاذبية من المساجد المالكية⁶.

وهناك إلى جانب المساجد نجد مؤسسة الكتاتيب، وتتواجد عادة بالزوايا أو ملاصقة للمساجد من أجل تجنب نجاسة الصبيان وللمحافظة على وقار ونظافة وسكينة المساجد وتسمى بالمسيد وتمزكدا بالأمازيغية، وتسمى في مناطق أخرى بالمحضرة والمعمرات والشريعة⁷، وتكون في الغالب على شكل دكاكين صغيرة تشيد عادة من طرف أحد المحسنين، وقد يشيد على يد أحد المعلمين من أجل تعليم الصبيان مقابل أجر معين⁸، وتنقسم إلى قسمين كتاتيب عامة وهي مخصصة لأطفال العامة، والكتاتيب الخاصة وهي مخصصة لأبناء العلماء والتجار والأغنياء والحكام والشيوخ ويخصص لهم أحسن المعلمين في المدينة⁹، وقد وصل عدد الكتاتيب بمدينة الجزائر إلى مائة مكتب ومسيد أشهرها مسيد عبدي باشا، ومكتب الركروك، ومسيد القهوة

¹ عبد القادر دحدوح: (معالم عمران مدينة قسنطينة من خلال مخطوط دفتر الأحياس)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع12، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2011م، ص89-91.

² مصطفى بن حموش: المدينة والسلطة... المرجع السابق، ص120-121.

³ هاملتون كاثارت: المصدر السابق، ص98.

⁴ Abd Eljelil Temimi: (Pour une histoire de la Grande Mosquée d'Alger), Revue d'Histoire Maghrebine, n19-20, publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 1980, p.178,180.

⁵ مولاي بلحميسي: الوزير الزياني في الجزائر العاصمة...، المرجع السابق، ص143، نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص161.

⁶ محمد أوجرتي: المرجع السابق، ص34-35.

⁷ الحسين أسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط بين القرنين (ق15-07م)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المملكة المغربية، 2004م، ص91.

⁸ عبد الرحمن التجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص17.

⁹ علال بن عمر: المرجع السابق، ص89-90، أحمد مريوش: المرجع السابق، ص18-19.

الكبيرة، ومسجد جامع خضر باشا، ومسجد العطارين...¹، وفي سنة 1840م قامت الإدارة الفرنسية بإحصاء ما يقارب أربعة وعشرون مسيد بمدينة الجزائر لوحدها يدرس بها ما يقارب ستمائة تلميذ²، وارتفع العدد إلى ألفين مسيد سنة 1871م موزعة على التراب الجزائري حوالي كل واحدة منها حوالي ثمانية وعشرون صبي لتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة قبل التحاقهم بالمدارس والمساجد والزوايا.³

وبالنسبة للمدارس فقد كانت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حسب كورين شوفالييه تضم المدرسة العنانية - ولا نعرف لماذا سميت بهذا الاسم وهل أن أبا عنان هو الذي شيدها وقد بني على أنقاضها الجامع الجديد الحنفي -، ومدرسة ابن السلطان، ومدرسة ابن الملك لكنه لم يذكر لنا مكان هذه المدارس بالضبط⁴، أما كاتكارت والذي كان أسيرا بمدينة الجزائر فيقر بأن هذه الأخيرة كان بها أربعة مدارس، وأطلق عليها اسم مدارس عمومية أي أنها تحت اشراف الدولة تعلم القراءة والكتابة والحساب، والمعلمون ينالون أجره سنوية من طرف الحكومة، وأغلب هذه المدارس تعلم التفسير والقرآن الكريم اعتمادا على وسائل تقليدية كاللوحه والأقلام الخشبية والصلصال.⁵

والشيء الذي أعابته مختلف الدراسات الغربية على التعليم بالجزائر العثمانية هو الغياب التام لمدارس البنات، فحتى المساجد والزوايا كانت ممنوعة عن الاناث لغاية 1850م أي بعد دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر أين عرفت الجزائر افتتاح ستة مدارس للبنات في كل من الجزائر وقسنطينة والبليدة وعنابة ووهران ومستغانم⁶، ولا يمكن أن نتجاهل المكتبات التي كانت منتشرة بمدينة الجزائر، وأبرزها على الاطلاق تلك التي كانت بالجامع الأعظم، وبعد تعرض المدينة للقنبلة الفرنسية سنة 1682م تم نقل المكتبة إلى برج مولاي حسن خارج باب الجديد، وقد دامت عملية النقل ثلاثة أيام وهذا يدل على العدد الضخم لهذه الكتب لكن عملية النقل انجر عنها ضياع المئات من الكتب بين التلف والسرقة، ولم يبقى منها سوى ثلاثمائة كتاب⁷، وإلى جانب المكتبات يذكر لنا محمد بن ميمون بأن مدينة الجزائر عرفت بعض المؤسسات الثقافية الأخرى على غرار الدكاكين التجارية التي تستعمل نهارا للبيع والشراء وفي الليل للمسامرات الأدبية، كما انتشرت الأندية

¹ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص99.

² عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص213.

³ الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1993م، ص14.

⁴ Corinne Chevallier: *Les trente premières années de l'Etat d'Alger 1510-1541*, Office des publications universitaires, Alger, 1986, p.12.

⁵ هاملتون كاتكارت: المصدر السابق، ص98.

⁶ Zénaïde Tsourikoff: *L'enseignement des filles en Afrique du Nord*, éditions à Péroné, Paris, France, 1935, p.37.

⁷ ابن المفتي: المصدر السابق، ص29.

المتزلية أين تقام دروس وحلقات للعلم في بيوت العلماء والأعيان وحتى الحكام¹ مثل ما كان يحدث في قسنطينة برئاسة يحيى بن محجوبة².

ويذكر أحمد بابا التنبكي في خاتمة كتابه كفاية المحتاج بأن اسمه أصبح مشهورا في كل من مدينة بجاية والجزائر، وهذا دليل على أهمية المدينة عند علماء المغرب الأقصى بعدما كانت تلمسان هي مقصدهم الأول³. هذه المكانة التي وصلتها مدينة الجزائر جعلها مقصدا لعلماء المغرب الأقصى ومحطة من محطاتهم سواء العلمية أو الحجازية أو السفارية⁴، وقد ترك بها علماء المغرب الأقصى آثارا عديدة كزاوية سيدي علي الفاسي نسبة للولي الصالح سيدي علي الذي قصدها من مدينة فاس واستوطنها خلال القرن السابع عشر الميلادي⁵، ومن مجموع العلماء المغاربة الذين زاروا مدينة الجزائر قبل العهد العثماني نذكر الرحالة محمد العبدري (ت1325م) الذي عرج عليها أثناء رحلته الحجازية ووجدها خالية من العلم والعلماء، فقال فيها: (فلم يبق بها من هو من أهل العلم محسوب، ولا شخص إلى فن من فنون المعارف منسوب، وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربة، وأديب يؤنس غربة، فكأنني أسأل عن الأبلق العقوق - الحصان الحامل - أو تحصيل بيض النوق)⁶.

ومن أعلام مدينة مكناسة الذين زاروا مدينة الجزائر قديما نجد الشيخ أبو جمعة بن حسين المكناسي أحد شيوخ العلامة عبد الرحمن الثعالبي حسب ما ذكره الرحالة عبد الرحمن الجامعي⁷، وخلال مرحلة البيلربايات زارها كل من العلامة يحيى بن مخلوف السوسي (ت1520م) فقيه ونحويا من فاس استقر به المقام بمدينة الجزائر قبل أن يتوجه إلى مدينة بجاية⁸، والحسن الوزان (ت1550م) والذي يعتبر من المؤرخين الذين عاصروا فترة الدخول العثماني للجزائر أين نزل بها ضيفا عند أحد أعيان المدينة، وخرج مع الوفد المفاوض مع الحاكم الإسباني ببجاية⁹، كما كان شاهدا على حادثة شراء أحد السفراء الإسبان لحوالي ثلاثة آلاف مخطوط من مدينة الجزائر وعاد بها إلى بلاده¹⁰، وكذلك الشأن لعبد الله الفاسي (ت1579م) الذي ولد ونشأ بفاس واستقر بمدينة الجزائر وبها توفي¹¹، وعبد الواحد المكناسي (ت1580م) فقيه ونحوي¹² من

¹ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص59-60.

² محفوظ رموم: المرجع السابق، ص106.

³ أحمد بابا التنبكي: المصدر السابق، ص516.

⁴ دلندة الأرقش وأخران: المرجع السابق، ص301.

⁵ مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص42.

⁶ محمد العبدري: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، غنابة، الجزائر، 2007م، ص7-9-49.

⁷ نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص203.

⁸ أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص544.

⁹ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص291، 297-298.

¹⁰ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص37-40.

¹¹ عبد العزيز بن عبد الله: فاس منبع الحضارة...، ج1، المرجع السابق، ص233.

¹² عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص160.

مكناسة ترعرع ودرس بفاس ثم قصد مدينة الجزائر واستقر وتوفي بها¹، واهتم بمختصر ابن الحاجب والنحو والفرائض².

وفي سفارة سنة 1579م من أحمد المنصور للباب العالي مر على مدينة الجزائر كل من الكاتب أحمد بن يحي الهوزالي إلا أنه لم يترك شيء عن احتكاكه الثقافي والعلمي بالمدينة³، ونفس الشيء في السفارة الثانية سنة 1581م والتي كانت برئاسة قاضي القضاة أبي القاسم ابن علي الشاطبي⁴، وقد شهدت مدينة الجزائر زيارات عديدة لطلبة وعلماء المغرب الأقصى خلال فترة الباشوات بداية بعلي التمجروتي (ت1594م) في سفارة لأحمد المنصور نحو الباب العالي برفقة الكاتب محمد بن علي الفشتالي أين دخلا مدينة الجزائر سنة 1588م، ومكثا بها حوالي عشرون يوماً، كما مرا بها أثناء عودتهما للمغرب الأقصى، وقد أعجب التمجروتي بها وأطلق عليها اسم استنبول الصغرى أين زار مساجدها المالكية والحنفية، كما زار مجموعة من أضرحة الأولياء الصالحين كعبد الرحمن الثعالبي، وأحمد الجزائري وأبي النور⁵، وكذلك الشأن للفقير محمد السوسي الفاسي (ت1614م) الذي تفرغ للتدريس بمدينة قسنطينة قبل أن ينتقل لمدينة الجزائر، وكان قريب من الباشا حسين الشيخ طالبا من وراء ذلك منصب الإفتاء حسب رأي الفكون، وقد برز أكثر في تدريس صغرى السنوسي ومتن الأجرومية⁶.

وخلال هذه الفترة زارها علامة المغرب الكبير عبد القادر شقرون الفاسي في إطار رحلته الحجازية ولقي أعلام وشيوخ المدينة⁷. لكن أبرز علماء المغرب الأقصى الذين ارتبط اسمهم بمدينة الجزائر خلال فترة الباشوات هو علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي (ت1645م)⁸، فقد أجمعت كل المصادر على أن أصله من سجلماسة واستقر بالجزائر وبها توفي لكن أحمد توفيق المدني يقر بأن أصله من الجزائر ومولده فقط كان بسجلماسة⁹، فقد برع في شتى العلوم كالتفسير والحديث والأصول والطب والفرائض والمعاني والبيان والمنطق والتاريخ¹⁰، وترك مصنفات عديدة كنظم أصول الشريف التلمساني، وشرح منظومة وفيات الأعيان، وتفسير القرآن، ونظم السيرة النبوية، ومسالك الأصول في مدارك الوصول، والمنح

¹ محمد حجي: ألف سنة من الوفيات... المصدر السابق، ص317.

² حمزة بوقادوم: المرجع السابق، ص89.

³ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية... المرجع السابق، ص117.

⁴ عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي...، ج3، المرجع السابق، ص24-26.

⁵ علي التمجروتي: المصدر السابق، ص3-18، 4.

⁶ عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص72-74.

⁷ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص450.

⁸ علي السجلماسي: هو أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي نشأ وتعلم بمدينة فاس ثم استقر بمدينة الجزائر وبها توفي سنة 1645م بمرض الطاعون، أنظر: (محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص243).

⁹ أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا...، المرجع السابق، ص88.

¹⁰ رضا كحالة: المرجع السابق، ج2، ص471.

الإحسانية في الأجوبة التلمسانية، ومن أبرز تلاميذه نجد مفتي وخطيب مدينة الجزائر أبو عبد الله الموهوب، والعلامة يحيى الشاوي (ت1684م)¹، والشيخ عيسى الثعالبي (ت1669م)².

كما تتلمذ على يديه كل من العلامة عمر المنجلاتي (ت1693م)، والذي يقول عنه: (وكنت قرأت على مشايخ جلة أعلام، ومن أجلمهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته أربع عشرة سنة نهارة وليلا في أغلب الأوقات أبو الحسن علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري قدس روحه في دار النعيم)³، ومن جملة ما أخذه عنه جمع الجوامع للسبكي في الأصول، ومختصر ابن الحاجب، ومختصر خليل في الفقه، وتلخيص المفتاح في البيان، ومختصر السنوسي، والجمل للخونجي، والسلم المرونق للأخضري، وألفية العراقي في المصطلح، وصحيح البخاري في الحديث، ونظم ابن عاصم في الأحكام، وكتاب الشفا للقاضي عياض، والبردة للبوصيري في المديح النبوي، وعقائد السنوسي في التوحيد⁴، كما تتلمذ عليه أيضا القاضي محمد بن علي أقوجيل (ت1680م)، والذي مدح شيخه الأنصاري بأبيات جميلة يقول فيها:

مسرات إخوان الصفا تدوم ... وطائرنا الميمون جاء يحوم
فأقبل بالبشرى وأعلن بالمنى ... وان إمام العصر فينا مقيم
إمام حوى علما وفضلا وسؤددا ... وأصلا سما في المعلومات صميم
إمام بهت حيا علوم تضعضعت ... جوانها فاختل منه رسوم
تصدى لتفسير الحديث وفقهه ... فصرف من نحو المعاني علوم
طما بحره الفياض فينا بعلمه ... فألقى إلينا الدر وهو نظيم
هنيئا لكم أهل الجزائر فزتم ... وحق لكم فخر بذاك عظيم
فلا زالت تسمو في المعالي لأوجها ... وضدك يهوي في الحضيض يهوم
ودمت لبث العلم ما لاح بارق ... وأزهر في جو السماء نجوم
وما غنت الورقاء في غصن أيكة ... وما وهب في زهر الرياض نسيم⁵

¹ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص72-73.

² عيسى الثعالبي: هو جار الله أبو مكتوم عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي الزواوي نسبة إلى قبيلة الثعالبة بسهل متيجة ولد بزواوة ونشأ بها، وأخذ عن أعلام الجزائر وأصبح من خواص الحاكم يوسف باشا ثم رحل إلى المشرق، وجاور مكة إلى أن توفي بها سنة 1669م، أنظر: (أبو عمران الشيخ وآخرون: المرجع السابق، ص110).

³ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر... المرجع السابق، ص129.

⁴ محمد ابن زاكور الفاسي: نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، دراسة مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، دارالمعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص47.

⁵ أحمد البوني: الدرّة المصونة ... المصدر السابق، ص165.

كما عرفت مدينة الجزائر خلال عهد الدايات زيارة كل من الشيخ محمد المغربي (ت1677م) الذي كان صاحب علم ومكارم وأخلاق حسب نور الدين عبد القادر¹، والرحالة محمد بن سليمان الروداني (ت1683م)² الذي مكث بها لمدة أثناء رحلته الحجازية، واحتك بالشيخ سعيد قدورة بل ويعتبره عمدته في مختلف العلوم رغم أنه تتلمذ على أيدي شيوخ كبار في فاس ومراكش والمدينة المنورة ومكة المكرمة والشام³، وقال عنه: (شيخنا شيخ الإسلام صدر أئمة الأنام)، فقد أخذ عنه أصول الفقه والفقه والحديث⁴، كما تتلمذ أيضا على يد الشيخ الطيب بن أحمد البوعناني الجزائري⁵، وزارها أيضا الشيخ أبو المكارم أحمد بن عيسى آدم (ت1683م) القادم من مدينة سلا⁶ الذي حل بمدينة الجزائر، وأخذ عن شيخها وعالمها سعيد قدورة⁷، وفي إطار رحلته الحجازية عبر الطريق الساحلي نزل محمد بن علي الرافعي التطواني بمدينة الجزائر سنة 1684م، ومكث بها مدة عشرة أيام، وكان له لقاء مع قاضي المدينة محمد بن عبد المؤمن، ودفع له نسخة من كتاب نشر أزاهير البستان لابن زاكور التي نسخت بمدينة تطوان، كما زارها مجددا أثناء عودته للديار ومكث بها مدة⁸.

وكذلك الشأن للفقير والقاضي محمد الهشتوكي (ت1687م) الذي حط رحاله بمدينة الجزائر وأخذ عن عالمها سعيد قدورة⁹، ومن أعلام فاس البررة الذين زاروا مدينة الجزائر نجد العلامة محمد الطيب الفاسي سنة 1691م في إطار رحلة سفارية من طرف مولاي اسماعيل لتهدئة الأمور بين الجزائر والمغرب الأقصى، ورسم الحدود بين البلدين وشاركه في هذه الرحلة العلامة محمد بن الطيب الشرقي، ومولاي عبد الله بن اسماعيل، ومجموعة من أكابر البلاط المكناسي¹⁰، وقد استغل العلامة محمد الطيب هذه الزيارة في الاحتكاك بمفتي وقاضي الحنفية العلامة مصطفى بن رمضان العنابي (ت1718م)، وقدم له إجازة حيث يقول: (أجزت الفقيه مصطفى التركماني)¹¹، وفي نفس الرحلة كان برفقته العلامة والكاتب محمد الغساني صاحب رحلة

¹ نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص198.

² سليمان الروداني: هو أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني نسبة إلى مدينة تارودانت التي ولد بها سنة 1627م انتقل إلى فاس ومراكش لأخذ العلم ثم قام برحلة حجازية، وتوفي بالشام سنة 1683م، أنظر: (عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات...، ج1، المرجع السابق، ص221).

³ عبد الله الترغي: فهارس علماء المغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المملكة المغربية، 1999م، ص208-210.

⁴ محمد الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص453، 31، 21، 465.

⁵ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص331-333.

⁶ محمد الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص128.

⁷ محمد القادري: المصدر السابق، ص175.

⁸ محمد ماكامان: المرجع السابق، ص214، مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص281.

⁹ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص339.

¹⁰ أحمد حدادي: (تاريخ المغرب من خلال الرحلات في عصر الدولة العلوية). ضمن أعمال ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى

أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة، 1995م، ص320، 338.

¹¹ ابن المفتي: المصدر السابق، ص16-17.

الوزير في افتكاك الأسير¹. من دون أن ننسى سفارة الشيخ عبد الواحد بن أبو عنان (ت1694م) نحو باشا الجزائر، وقد استغل هذه الزيارة في التقاء الطلبة والعلماء².

ويعتبر العلامة محمد ابن زاكور الفاسي (ت1708م) من أبرز أعلام المغرب الذين زاروا مدينة الجزائر في نهاية القرن السابع عشر الميلادي، فقد ولد ونشأ بمدينة فاس أين تتلمذ على خيرة شيوخها كعبد القادر الفاسي، والحسن اليوسي³، وله اهتمامات في اللغة والشعر والفقه والحديث والأصول والتاريخ⁴، وتجسدت هذه العلوم في مختلف المصنفات التي تركها ابن زاكور كشرح الحماسة في ثلاثة أجزاء، وشرح القلائد للفتح بن خاقان، وشرح البديعة لصفي الدين الحلي، وشرح قصيدة ابن مالك في المقصور والممدود، وشرح لامية العرب، وله حاشية على الخزرجية، والروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض، وكلها في اللغة والنحو كما ترك كتاب نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان وكتاب عن أخبار مدينة فاس⁵، وقد اختلف في سبب زيارته للجزائر سنة 1683م، فمولاي بلحميسي يرى بأنه قصدها من أجل العلم أما المفضل الكنوني فيرجح بأن ابن زاكور قصد مدينة الجزائر لزيارة عائلته حيث يقربان آل ابن زاكور كانوا يتواجدون بكثرة بمدينة الجزائر أما عبد الوهاب بن منصور فيعتبر سبب قدومه للجزائر كان من أجل التجارة⁶.

وقد أعجب ابن زاكور كثيرا بمدينة الجزائر فقال عنها: (مدينة الجزائر ذات الجمال الباهر وحلول مغانيها النواضر التي غص ببهجتها كل عدو كافر فلذلك يتربصون بها الدوائر في الموارد والمصادر)، وعن أعلامها يقول ابن زاكور: (غرر أعلام ينجلي بهم الإظلام وشموس أئمة تنفرج بهم كل غمة وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة من رجال كالجبال وأحبار كالأقمار طلوعوا في بروج سعوها بدورا ألبسوها رواء ونورا فاهتديت بأنوارها السنية إلى قطف ما راق من أنوارها الجنية ... وكرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت وهصرت من أفنان براعتهم ما هويت ونسيت ببشرهم وتأنيسهم وما اقتبسته من المعارف في تدريسهم ما عانيت من رهج القفار وقاسيته في لجاج البحار ...)⁷، ومن أبرز أعلام مدينة الجزائر الذين احتك بهم ابن زاكور ونهل من علمهم العلامة عمر المنجلاتي (ت1692م)، ورغم كبر سنه إلا أن ابن زاكور أعجب به لأخلاقه وعلمه، وقد ختم عنه جمع الجوامع للإمام السبكي، وأجازه في جميع مروياته، وقد قدم ابن زاكور لشيخه قصيدة مدح لما انتهى من الأخذ عنه يقول في بعض أبياتها:

¹ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص44-46.

² شهرزاد بوترة: الحضور المغربي في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015م، ص75.

³ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص220.

⁴ محمد القادري: المصدر السابق، ص353، رضا كحالة: المرجع السابق، ج3، ص598.

⁵ محمد بن أحمد الفاسي: المصدر السابق، ص94-95.

⁶ المفضل الكنوني: محمد بن زاكور الفاسي دراسة في الشخصية والإنتاج.... المرجع السابق، ص291-293، مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال

رحلات المغاربة.... المرجع السابق، ص19.

⁷ محمد ابن زاكور الفاسي: المصدر السابق، ص40-41.

حبر الجزائر والدينيا برمتها ... من عالـج العلم حتى ذاع وانتشرا
بدر الجلال ومصباح الكمال ومق ... باس الجمال الذي كل الورى بهرا
شيخ أحاط بأنواع المديح فما ... أبقي لمن بعـده شيئاً وما ذرا
من يبلغ الأهل أني بعد بينهم ... جالست بدر هدى بالشمس معتجرا
وقد ظفرت بما قد كنت آمله ... لما قضت منيتي من نوره وطرا
بحر العلوم التي غاضت مناهلها ... منذ زمان وسيل الجهل فيها جرا
إن الإمام أبا حفص الرضى عمرا ... أضحي يطرز ما حكى وما ابتكرا
بدر الجزائر صان الله بهجته ... عن أن يرى بخسوف البدر مستترا
وبحرها العذب لازالت جداوله ... تروض العالمين البدر والحضرا

وقد كان الشيخ عمر المنجلاتي كثير الغياب والتأخر عن مجلس العلم لكبر سنه ومرضه، وهو ما جعل ابن
زاكور يرأسله بهذه الأبيات:

يا أيها المولى الإمام ... ومن حوى أعلى مقام
لقد غدونا في ظلام ... مذ غبت يا حبر الأنام
اطلع علينا نقتبس ... سناك يا برد التمام¹

وبعدما استفاد ابن زاكور من العلامة عمر المنجلاتي انتقل للشيخ محمد بن عبد المؤمن الحسني
الجزائري (ت1682م)، وقد استفاد منه هو الآخر في عديد العلوم حيث ختم عليه نظم التلمسانية في
الفرائض، ولما أراد ابن زاكور الانصراف لبلده طلب من شيخه الإجازة في جميع مروياته، وقد لبي الشيخ بن
عبد المؤمن طلبه، وكهدية له قدم ابن زاكور للشيخ بن عبد المؤمن قصيدة مدح يقول في بعض أبياتها:

أمسيت صبا بالجزائر لا ... أعدم شجوا ذبت من لفحته
لولا ابن عبد المؤمن المرتضى ... قضى فؤادي من لظى لوعته
جعلته قصدي ونعم الذي ... يقصده الإنسان في غربته
العالم النحرير من دأبه ... أن ينقذ الملهوف من كربته
ويسعف الطالب في قصده ... ويسعد الـراغب في رغبته
أفادنا علم الفرائض في ... أدنى مدى ارقـل في مشيته
من درسه النظم الذي صاغه ... نجل التلمساني في صنعته
ماذا يقول المرء في مدحه ... وقد تناهى الدهر في خدمته

¹ محمد ابن زاكور الفاسي: المصدر السابق، ص42-44.

بدر الهدى والعلم يا من غدت ... تسجد أمداحي إلى قبلته
والله يبيحك إمام هدى ... ما غرد القمري على دوحته¹

والشيخ الثالث الذي استفاد منه ابن زاكور الفاسي بمدينة الجزائر هو الفقيه محمد بن سعيد قدورة (ت1695م)²، وقد فرح ابن زاكور كثيرا بقاء هذا الشيخ، والذي كان في نفس الوقت مفتي المدينة وعالمها الأول بامتياز باعتبار أنه ابن العلامة الكبير سعيد قدورة ذائع الصيت بمنطقة المغرب ككل، وقد استفاد ابن زاكور من هذا الشيخ في كتاب الجامع الصغير وصحيح البخاري، كما مدحه بقصيدة مستعظفا إياه بإجازة حيث قال فيها:

قد أن أن ينجز الوعد الذي وعدا ... من لا نرى حازما قد حازه أحدا
سعي خير الورى مفتي الجزائر من ... من بحره اغترفت أحبارها مددا
مولاي أسرفت في انتظار منتظر ... إجازة وهي أسنى ما به اعتضدا
وأنت أعلم أهل العصر قاطبة ... بها ومن لم يقل هذا فقد جحدا
أجز وأنجز فلا عريت من شرف ... إجازة لــــم تغادر لكم سندا
أبقاك ربي ذا حال يغص بها ... من راح يضمربغضا لــــكم وغدا
ولا يزال سلام كالعبير شذا ... يأتيك ما هاج طيرا شجـــــوه فشدا³

وبعد الشيخ محمد قدورة انتقل ابن زاكور للأخذ عن الشيخ محمد بن خليفة الجزائري (ت1682م) إلا أنه لم يكن محظوظا في النهل من هذا العلامة بسبب وفاته، وقد قال عنه ابن زاكور: (الشيخ المسن البركة الحائز قصب السبق في فنون مشتركة شيخ المشايخ الذي له في تحقيق العلوم قدم راسخ أبو عبد الله بن خليفة ...)، وقد التقى به ابن زاكور في أكثر من مرة وأخبره عن شرح للسلم المرونق في المنطق للأخضري، ولمكانة هذا الرجل قدم ابن زاكور في حقه أبيات مدح يقول فيها:

ما للبيان خليفة ... إلا الرضى ابن خليفة
بين لنا مقتضاه ... يا ربــــه وحليفه
بقيت فذا مفيدا ... غر المعاني الشريفة
يا بحر علم طمى في ... برود حلم كثيفة⁴

¹ المصدر نفسه، ص49-55.

² محمد بن سعيد قدورة: من أعلام مدينة الجزائر خلف والده على رأس الافتاء المالكي والخطابة بالجامع الأعظم، وتوفي سنة 1695م، أنظر: (فوزية لزغم: المرجع السابق، ص27-28).

³ محمد ابن زاكور الفاسي: المصدر السابق، ص69-70.

⁴ المصدر نفسه، ص71-73.

وكان ابن زاكور بهذه الأبيات يستعطف الشيخ ابن خليفة لكي يجيزه في جميع مروياته وقد وعده الشيخ بذلك بعدما يكمل تفسيره للقرآن الكريم لكن الأجل سبقه لتحقيق هذا الوعد، وقد تأسف ابن زاكور لهذه الفرصة الضائعة كما حزن عليه لعلمه وأخلاقه ومكانته العالية بمدينة الجزائر، وقد كان هذا العلامة آخر من استفاد منهم ابن زاكور قبل أن يعود لبلده، ولما حان وقت الرحيل حزن ابن زاكور بمغادرة مدينة الجزائر بعدما ارتبط بأزقتها وشوارعها ومساجدها ومدارسها وطلبها وأعلامها ويقول في هذا الصدد: (ثم امتطيت للنوى عن ذلك المأوى ثبج ذلك البحر البعيد الهوى، وحصل لي من الوجد عن فراق تلك الجزيرة ... فلم أزل في مطاها أتلو باسم الله مجراها ومرساها والريح يركضها في ميادين الأهوال ويجريها في موج كالجبال والبحر تارة يروقنا ابتهاجا كأنما كسي ديباجا ...)¹.

وبمناسبة تحرير مدينة وهران الأول سنة 1708م زارها العلامة المغربي عبد الرحمن بن عبد الله الفاسي الشهير بالجامعي (كان حيا في 1719م)، وهو أديب ورحالة ولد بفاس سنة 1676م وارتحل لتونس وامتحن التدريس بالزيتونة، وقد أعجب الجامعي بالحياة العلمية والثقافية التي كانت سائدة بمدينة الجزائر²، وتعتبر رحلته هذه ضمن الرحلات المفقودة وقد سماها التاج المشرق الجامع لمواقيت المغرب والمشرق، ولحسن الحظ فان الجامعي تدارك بعض المعلومات الموجودة برحلته هذه في كتاباته اللاحقة كشرح أرجوزة فتح وهران³، فقد وصف مدينة الجزائر قائلا: (دار الجوهر الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل، ومنبتة العلماء والصالحين، كما تنبت السماء البقل ... هذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء، ولعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة، ولعمائم الأخيار كلهم متحلون بأحسن الصفات، متضلعون بعلم النحو والفقه والحديث، وإحياء ليلة المولد النبوي الشريف)⁴، كما أعجب بأبراجها الأربعة - برج الكيفان وبرج تامنفوست وبرج عزون وبرج الحراش -، وأنشد فيها قائلا:
والله أبراج بشاطئ بحرها ... تحاكي النجوم الزهر في عين خازر⁵

وقد جمعت بالجامعي صحبة كبيرة مع شيوخ المدينة في شاكلة العلامة مصطفى الرماصي فقال فيه:
(العلامة الدراكة الفهامة الدراية الناقد سراج التحقيق الوقاد منهل العلوم)⁶، والأديب محمد بن ميمون الجزائري، والذي قال عنه الجامعي: (... هو عالم فقيه مشارك في عدة فنون من المعارف والعلوم ماهر في علم اللسان له ممارسة بعلم القوم وطريقتهم تصدر للإقراء مرارا وتولى خطابة بعض جوامع الجزائر سنة

¹ محمد ابن زاكور الفاسي: المصدر السابق، ص76-77.

² محمد أوجرتي: المرجع السابق، ص161، فاتح بلعمري: المرجع السابق، ص79.

³ عبد الله المرابط الترغي: أدب الرحلة في المغرب 1082-1139هـ دراسة في الاتجاهات والمكونات، سليكي أخوين للنشر والتوزيع، طنجة، المملكة المغربية، 2020م، ص101-102.

⁴ نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص203-204.

⁵ Moulay Belhamissi: *Alger la ville aux mille canons*, éditions ANEP, Alger, 2009, p.19.

⁶ محمد أوجرتي: المرجع السابق، ص161، فاتح بلعمري: المرجع السابق، ص79.

1692م، فأدار فيها على الناس كؤوس المواعظ فتركهم سكارى وقد استوفى حق تحليلته بالعلوم وتحصيل المنطوق والمفهوم الأديب الأريب أبو عبد الله محمد بن ميمون¹، فرد ابن ميمون في مدح صديقه الجامعي بالقول: (هو رجل وحيد الدهر بل فريد العصر لا أعلم أني لقيت مثله في طريق الآداب ولا أشد كاهلا منه في الانتخاب، ولو أدركه الصاحب والبديع لأخذ عنه كل معنى بديع، وإذا قصد وأخذ للشعر بمرصد وشرط وصرع وجنس وصرع وطابق وقابل ووازن ومائل واقتنص ولمح وأوماً وملح ووشح واستعار ورشح وكمل وتمم وفوق وسهم وأوضح وأدمج ... صدر عنه الشعر المعجب ان لم نقل المعجز والنظم الذي هو لوعده صدق براعته منجز ...)².

ومن جملة ما لقيهم الجامعي بمدينة الجزائر الفقيه والشاعر محمد بن محمد المعروف بابن علي (ت1755م) حيث قال عنه الجامعي: (أديب العلماء وعالم الأدباء محي طريقة لسان الدين بن الخطيب ذي القدر العلي أبقى الله وجوده بالألطف محفوفاً، وبالنفحات الأدبية منفوحاً متحوفاً ...، فشاهدت منه لطافة لو تجسدت لكانت ماء زلالاً، وعايينت فيه ظرافة لو تعللت لود النسيم أن يكون لها اعتلالاً، فتصافحنا مصافحة الأغصان والأنهار)، وقد تبادلنا قصائد في المدح والثناء والشكر حيث بادر ابن علي بقصيدة مطلعها:

بأبي غز إلا سيف مقلته شهر ... قاسيت فيه من الصبابة ما اشتهر
ورد عليه عبد الرحمن الجامعي بقصيدة مطلعها:

أخمائل الأزهار هبت في سمر ... أم نفثة من شاذن عقلي سحر

ولما أراد الجامعي مغادرة مدينة الجزائر وصفها كالتالي: (فركبنا من مرسى الجزائر حرسها الله على بقاء حاتمته الجؤجؤ والأضلاع ذات جنحة مثنى وثلاث ورباع يلعب بها الريح فتطاوعه لا راحة للنسيم ويسقم بها الصحيح فلا يتمكن من التسقيم ...)³ كما أنشد فيها قائلاً:

بلاد برأس الغرب تاج مكلل ... وخلخال سوق الشرق غير
بدت بمنصات الزمان كأنها ... عروس تجللت في أعال المناير
ولاح بها باب الجزيرة مثلما ... تبسم ثغري وجوه البشائر
والله أبارج بشاطئ بحرها ... تحاكي النجوم الزهر في عين خازر
كأن الرياض الخضمر محدقة بها ... ذوائب أصدغ الوجوه النواضر
غصون وأنهار وتلك لهذه ... تحن فتحنوا لاسـتلام الغزائر
فدعني من غرناطة وربوعها ... وشنيل فالحسن انتهى للجزائر

¹ أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة ... المرجع السابق، ص423.

² محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص186-187.

³ أحمد البوني: الدررة المصونة ... المصدر السابق، ص216.

فما تفضل الحمراء بيضاء عادة ... مقرطفة بالبدر ذات غدائر
وهذي ربوع حاطها بإحاطة ... مؤلفة من ستره خير ساتر¹

وزار العلامة أحمد بن محمد الورززي الدرعي التطواني (ت1765م) مدينة الجزائر في مناسبتين الأولى كانت في 1746م والثانية سنة 1748م، وقد تتلمذ عليه شيوخ وعلماء مدينة الجزائر، وبالخصوص عبد الرزاق بن حمادوش، وأحمد بن عمار هذا الأخير يقول عنه: (لما جمعنا المقادير مع شيخنا الأستاذ النحرير حبر صاغة الآداب وقطب ذوي الفصاحة والبلاغة والأقطاب سيدي أحمد بن محمد الورززي عالم قطر المغرب قاطبة ومدرسه وباني ركن العلم ومؤسسه ببلدتنا الجزائر المحروسة بعين الملك القادر أواخر رمضان سنة تسع وخمسين ومائة وألف من هجرة من له العز والشرف)، كما كان يحضر دروسه أيضا الشيخ عبد الرحمن بن علي الشارف المازوني الذي قال عن الورززي: (الشيخ البركة المتبرك به العالم العلامة النحرير سيدي أحمد الورززي)، وكذلك الشأن لأبو القاسم بن يوسف الحسني الذي كان كاتباً للورززي فيقول عن شيخه: (العالم العلامة البركة أبي العباس سيدي أحمد الورززي)، كما تتلمذ عنه عبد الملك بن محمد البرنوصي السليمانى، والشيخ الحاج أحمد بن مسعود وغيرهم، وكان الشيخ الورززي يقدم دروسه بالجامع الكبير بمدينة الجزائر، وكان يحضرها جمع غفير من الطلبة خاصة دروس التفسير².

ومن جملة من التقاهم الشيخ أحمد الورززي بمدينة الجزائر مفتي المدينة ابن علي، والذي استقبله بمجموعة من الأبيات يقول فيها:

خليلي عاد الأنس والعود أحمد ... فقد زارنا شيخ المشائخ أحمد
رأينا محياه السعيد وباله ... محيا بدت أنواره تتوقد
فاشهد أن الشمس قد طلعت لنا ... من المغرب الأقصى ولا أتردد
وقد فتحت أبواب توبتنا بها ... وذا عكس ما قد كان للشمس يعهد
فما لك قد أصبحت مالك علمه ... في خلدي أنت الإمام المجدد
فجد لي بما أرجوه منك فإنني ... رأيتك كنزا للذخائر يقصد³

وفي سفارة للسلطان مولاي عبد الله سنة 1768م للتوسط بين الجزائر وإسبانيا نزل السفير والأديب والعلامة أحمد المهدي الغزال (1777م) بمدينة الجزائر، وقد استغل هذه السفارة الرسمية في الاحتكاك

¹ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث - الجزائر والمدينة ومليانة -، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص154-155.

² عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص258-263، فوزية لزغم: المرجع السابق، ص63-65.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2، المرجع السابق، ص282-283.

بأعلام المدينة كمحمد الشاهد الذي مدح الغزال بقصيدة بديعة، كما حضر الغزال إحدى دروس العلامة

أحمد بن عمار بالجامع الكبير¹، وقدم فيه قصيدة مدح يقول فيها:

هلموا إلى طرد المكارم والندا ... هلموا إلى سبط الرسول محمد
هلموا إلى مأوى المفاخر والعللا ... هلموا إلى الأسمى ابن عمار أحمد
فما سمعت أذني ولا العين أبصرت ... شببها له غربا وشرقا بمعهد

فرد عليه محمد بن الشاهد تلميذ أحمد بن عمار على لسان شيخه:

فتى قد تناهى في محاسنه غدا ... رسول أمير المؤمنين المؤيد
أغزال هذا العصر من رق غزله ... له الغدر إن لم يكفه غير عسجد
كمدحك مولانا وقطب بلادنا ... وبدر علاها بين نسر وفرقد
فيا فخر أفاق الكمال وأنتما ... معا قمــــراها لائحــــين لمهتد
فأنت إذا جليت غير منازع ... وإني إذا صاــــيت غير مفند
ولازل ذاك المجد والله حافظ ... له موردا يحلو على كل مورد²

وفي سنة 1785م زارها الرحالة المغربي محمد بن عبد الوهاب المكناسي أثناء عودته إلى المغرب الأقصى من رحلته الحجازية، وبسبب وجود مرض الطاعون بالمدينة تعذر على المكناسي المكوث بالمدينة لمدة أطول، واكتفى بزيارة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي والتبرك به³، ومن مشاهير المغرب الأقصى الذين حطوا رحالهم بمدينة الجزائر سنة 1793م نجد الرحالة أبو القاسم الزياني⁴، والذي نزل بها بعدما مر بكل من وهران وتلمسان ومستغانم وتنس وشرشال والمدية والبليدة ومعسكر، وقد استقبله بمدينة الجزائر مجموعة من الفاسيين ربما كانوا تجار بالمدينة، وبعدها استقبل من طرف الفقيه محمد بن مالك، والذي يذكر الزياني

¹ محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار...، ج2، المصدر السابق، ص219، أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص202، أحمد العراقي: (أحمد الغزال حياته وأثاره)، ضمن كتاب زهرة الآس في فضائل العباس، ج3، دار المناهل، المملكة المغربية، ص1027، أبو القاسم سعد الله: تجارب الأدب والرحلة، ط3، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص107-108.

² أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص148-150.

³ محمد بن عبد الوهاب المكناسي: المصدر السابق، ص330.

⁴ أبو القاسم الزياني: هو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني وينسب لقبيلة زيان بالأطلس المتوسط لكنه من مواليد مدينة فاس سنة 1734م، وتفقه على يد خيرة علماء المغرب الأقصى في ذلك الوقت في شاكلة أحمد بن الطاهر الشرقي ومحمد بن الطيب القادري وعبد القادر بوخريص ومحمد بناني وأبي حفص عمر الفاسي، وقد تولى عدة مناصب سياسية في البلاط العلوي منها كاتب في القصر العلوي وسفير للمغرب الأقصى بإستنبول أيام السلطان عبد الحميد (1774-1789م) لمدة قاربت ثلاثة أشهر في عهد المولى محمد بن عبد الله، وقد عزله السلطان مولاي يزيد بن محمد (1790-1792م) ثم عاد للسفارة في عهد مولاي سليمان (1792-1822م)، وكانت للزياني ثلاث رحلات مر خلالها عبر الجزائر الأولى نحو الحج كانت بين (1755-1757م)، والمرة الثانية إلى استنبول سنة 1785م، والثالثة إلى الحج سنة 1791م، أنظر: (ليفي بروفنصال: مؤرخو الشرفاء، ترجمة عبد القادر الخلافي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1977م، ص103-104).

بأنه من أصول مغربية حيث استقبله بيته، وكان برفقته كاتب وحاجب وصهر الداوي حسن باشا، وقد مكث خلالها الزياني بمدينة الجزائر حوالي أربعة وعشرون يوما، وبعد عودته من الحجاز سنة 1796م مر أبو القاسم الزياني ثانية على مدينة الجزائر، وكان في انتظاره الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك، وعرج به إلى مكتبه بالمحكمة الشرعية، وقد منح أربعين سلطاني حتى يقضي بها حوائجه¹.

وقد صادف وجوده بمدينة الجزائر يوم الجمعة فاتجه للصلاة بالجامع الجديد الذي شيده حسن باشا وقد ترك أبياتا شعرية يمدح فيها هندسة الجامع والداوي حسن باشا إلا أن الزياني وقع في لبس كبير فحسن باشا شيد مسجد كتشاوة سنة 1794م، وليس الجامع الجديد الذي يعود تاريخ تشييده لسنة 1660م من طرف الفرقة الانكشارية، كما ذكر الزياني بأن هذا المسجد الجميل بني على أنقاض مخمرة، والأصح أن الجامع الجديد شيد مكان المدرسة البوعنانية، وهو ما يؤكد بأنه كان يقصد مسجد كتشاوة²، ومن الرحلات المغربية التي حطت رحالها بمدينة الجزائر نذكر رحلة محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت1823م)، ونخص بالذكر رحلته الصغرى وليس الكبرى التي كانت عبر الصحراء، وبمجرد دخول محمد الناصري لمدينة الجزائر كانت وجهته ضريح كل من عبد الرحمن الثعالبي، ومحمد بن علي الخروبي بسبب شهرتهما الواسعة بالمغرب الأقصى حسب ذكر الدرعي، وقد وصف مساجدها واعتبرها فخمة ومزينة ونظيفة، ومكث الناصري يومين بمدينة الجزائر نزل ضيفا لدى محمد بن محمد أبو الشمائل التطواني، والحاج العربي بن عمر الفاسي، والحاج محمد مزور، وكلهم تجار مغاربة، ويذكر الناصري بأنه طيلة اليومين لم يجد من أهل العلم بمدينة الجزائر سوى إمام الجامع العتيق، وقد انتقده بسبب عدم معرفته وفهمه الجيد للأمور الفقهية³.

* مدينة بجاية:

على عكس مدينة الجزائر فان حاضرة بجاية عرفت حضورا قويا في مختلف قواميس ومعاجم البلدان، فقد كانت بجاية⁴ عاصمة ثانية للحمايين والحفصيين خلال العصر الوسيط⁵، ويعود سبب ازدهار المدينة ثقافيا وعلميا قبيل الدخول العثماني إلى مدارسها وزواياها المشهورة وعلمائها الكبار كعبد الرحمن الوغليسي، وهذا ما جعلها محطة رئيسية لأبرز علماء المغرب كعبد الرحمن ابن خلدون وعبد الرحمن الثعالبي، وأحمد

¹ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى... المصدر السابق، ص 374-379.

² مولاي بلحميسي: (الوزير الزياني في الجزائر العاصمة ووصفه للجامع الجديد)، مجلة الأصالة، ع24، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975م، ص 136-143.

³ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص 259-260.

⁴ لتفصيل أكثر عن تاريخ مدينة بجاية وأصل تسميتها يرجى الاطلاع على (ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص339، الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص50-51، السعيد عقبة: الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن 7هـ/13م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009م، ص01-06، بوتشيش أمينة: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين 06-07هـ، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2008م، ص01-07).

⁵ أحمد أبو عصيدة البجائي: رسالة الغريب إلى الحبيب، ط1، تعريف وتلخيص وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م ص22.

الزروق الفاسي، ومحمد الهواري الوهراني، وعبد الرحمان الأخضر، وأحمد بن يوسف الملياني¹ من دون أن ننسى الاهتمام الذي أبداه السلاطين الحفصيين بهذه المدينة، وخاصة عثمان بن محمد المنصور (ت1487م) الذي اشتهر بالعدل والعلم، وشيد بها العشرات من المدارس والزوايا والمساجد².

إلا أن صيتها الحضاري بدأ بالأفول مع حلول القرن السادس عشر الميلادي بسبب التحرشات الأجنبية، ووقوعها بيد الاحتلال الإسباني الذي دمر معظم معالمها الحضارية، وانتقال الزعامة إلى مدينة قسنطينة كعاصمة لبايك الشرق من جهة، وهجرة نخمها إلى كل من تونس والمشرق والمغرب الأقصى وفرار طلبتها وشيوخها إلى البوادي - زواوة - من جهة ثانية³، فقد زارها الرحالة الأستكتلندي ويليم ليثجر سنة 1615م، ووصفها بالمدينة المخربة جراء حملة بيدرو نافار سنة 1508م إلا أنه أقرب بعمارة مساجدها ومدارسها⁴، ورغم تراجع زخمها الثقافي والعلمي فان مدينة وحاضرة بجاية كانت محطة مهمة لدى الكثير من علماء وطلبة المغرب الأقصى سواء لطلب العلم أو محطة في رحلاتهم الحجازية والسفارية. حيث يقر الحسين الورثياني في هذا الشأن بأن أول من حط الرحال بمدينة بجاية من أهل المغرب الأقصى كان جده الأول، وهو من أشرف تافيلالت قبل أن ترتحل عائلته إلى منطقة بني ورثيلان وهناك شيدوا بها زاويتهم المشهورة⁵.

كما زارها كل من عثمان بن عبد الله الفاسي، وعبد الرزاق الجزولي، ومحمد السجلماسي، وعبد الرحمن اليزناسي، وأبو سعيد بن تونارت الدكالي⁶، وعبد الله الأغماتي، وصالح الماجري، وعلي بن أحمد التجيبي، ومحمد بن عمر السبتي⁷، والرحالة محمد العبدري، وأبا الحسن الصغير المغربي، ومحمد بن أحمد المراكشي، وعبد الرحمن الفاسي، والرحالة ابراهيم بن الحاج النميري صاحب فيض العباب⁸، والعلامة الشهير أحمد بن أحمد الزروق الفاسي⁹، وخلال حكم البيلربايات زارها الفقيه النحوي يحيى بن مخلوف السوسي (ت1520م) الذي قدم من مدينة فاس والتقى بولي بجاية أبو عبد الله محمد التواتي الذي نصحه بعدم

¹ المهدي البوعبدلي: (الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وأثارها)، مجلة الأصالة، ص04، ع19، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1974م، ص140-141.

² أحمد أبو عصبدة البيجائي: المصدر السابق، ص22.

³ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص180.

⁴ ميشال آبار: المرجع السابق، ص44-45.

⁵ أحمد ظريف: المرجع السابق، ص25.

⁶ أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص119، الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص181-182.

⁷ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص259.

⁸ أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص91.

⁹ محمد العبدري: المصدر السابق، ص49-50، أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص310، 310، 414.

ركوب البحر، فأخذ بنصيحته وكانت النتيجة غرق السفينة التي كانت تقل السوسي وهلك كل من كان بالسفينة¹.

كما حظ الرحال بها أيضا الرحالة الحسن الوزان، وأبا علي بن ابراهيم المريني، والذي أصبح من أعيان مدينة بجاية بل وحرر كتاب عن الدخول العثماني للمدينة بقيادة صالح رايس سماه عنوان الأخبار فيما مر على بجاية، وهو مؤلف في حكم الضياع حاليا²، كما مر بها خلال حكم الباشوات العلامة علي بن محمد التمجروتي صاحب النفحة المسكية أثناء سفريته للباب العالي ذهابا وايابا أين وصفها بالمدينة العظيمة ودار العلم والعلماء³. أما في فترة الدايات فقد شهدت المدينة مرور العشرات من أعلام المغرب الأقصى لأغراض متباينة بين السفارات السياسية والحج والتجارة والعلم كمحمد بن ابراهيم الهشتوكي (ت1687م) الذي زار المدينة ونهل من بعض أعلامها⁴، والرحالة أبو القاسم الزياني سنة 1792م لما كان في طريقه للحجاز إلا أنه لم يذكر أشياء كثيرة عن المدينة⁵.

* مدينة تلمسان:

رغم أقول نجم بعض المدن الجزائرية التاريخية إلا أنها حافظت على بصيص من اللمسة الثقافية، وتمكنت من جلب بعض من طلبة وأعلام المغرب الأقصى، ونخص بالذكر مدينة تلمسان والتي فقدت بريقها ومجدها الحضاري مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي نتيجة للصراعات الداخلية على الحكم والحملات الحفصية والمرينية⁶، كما ساهم في تراجع مكانتها الحضارية التدخل الإسباني في السواحل الجزائرية وعجز الزيانيين في الدفاع عنها فأدى إلى تفكك الدولة قبل أن تسقط نهائيا بحلول 1555م على يد الأتراك⁷، وعلى المستوى الثقافي كانت تلمسان من أبرز المراكز والحواضر الثقافية بالجزائر، فقد كانت تعج بالمساجد التي تأخذ على عاتقها مهمة التدريس أبرزها جامع سيدي الحلوي الذي شيده أبا عنان المريني سنة 1353م، والجامع الكبير أو الأعظم ويعود تاريخ تشييده لسنة 1136م على يد علي بن يوسف بن تاشفين، وكان بمثابة الرمز الديني الأول للمدينة، ومسجد سيدي زكري الذي شيد سنة 1494م نسبة للعلامة التلمساني أبي العباس أحمد بن زكري، ومسجد المشور المشيد خلال القرن الرابع عشر

¹ أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص544، محمد حجي: ألف سنة من الوفيات...، المصدر السابق، ص278.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص345.

³ علي التمجروتي: المصدر السابق، ص19-24.

⁴ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص340.

⁵ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص163.

⁶ محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج1، ص94.

⁷ محمد الطمار: تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة وحضارة الجزائر)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص234.

الميلادي على يد أبو حمو موسى الأول، وقد جدده الأتراك نظرا لرمزيته الدينية والثقافية الكبيرة، ومسجد المنصورة الذي شيده السلطان أبا يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 1302م¹.

وعشية الدخول العثماني للمدينة كان بها حوالي ستون جامعا، وخمسة مدارس على الأقل²، كما كانت تلمسان تعج بالكتاتيب التي تضمن التعليم الأولي للصبى من حفظ القرآن الكريم والحساب والتدرب على القراءة والكتابة³، وبالنسبة للمدارس فقد ورثت تلمسان عن العهد الزياني العشرات من المدارس حيث يقر أبو القاسم سعد الله بأن عدد مدارسها عشية الدخول العثماني كان حوالي خمس مدارس كبرى على الأقل⁴، كما قدر عددها المؤرخ الفرنسي مارسيل في منتصف القرن التاسع عشر ميلادي حوالي خمسين مدرسة بها أكثر من ألف تلميذ، ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي بهما حوالي ستمائة تلميذ⁵، ولعل أشهر المدارس التي كانت تضمن التعليم بمدينة تلمسان مدرسة أبناء الامام، والتي تعتبر أول مدرسة بتلمسان شيدت سنة 1318م على يد أبو حمو موسى الزياني، والتي اعتبرها المهدي البوعبدلي أول مدرسة بالجزائر⁶، بالإضافة إلى المدرسة اليعقوبية، والمدرسة التاشفينية، ومدرسة أبي مدين الغوث وتسمى بمدرسة العباد، والمدرسة الخلدونية⁷، وإلى جانب المساجد والكتاتيب والمدارس كان بمدينة تلمسان حوالي عشرون مكتبة أواخر العهد العثماني تنوع بين المكتبات العامة كمكتبة أبو حمو موسى الثاني والتي أقامها سنة 1359م بالجامع الأعظم للمدينة، ومكتبة أبوزيان محمد الثاني سنة 1394م بالجامع الكبير قبل أن تنقل للمدرسة الدولية، وكان بها أنفس المخطوطات والمكتبة العامة وكانت تابعة أيضا للجامع الكبير⁸، والمكتبات الخاصة التابعة للأسر العلمية والدينية كمكتبة المقرئ، ومكتبة الشيخ محمد بن اسماعيل التي كان بها ما يزيد عن ألف وخمسمائة كتاب⁹.

هذا الازدهار الثقافي جعل الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل (ت1514م)، والذي زارها لدراسة علم الطب يذكر في كتابه الروض الباسم بأن شيوخها وأطبائها يتفوقون على نظرائهم في هذا العصر¹⁰، ومن

¹ يعي بوعزير: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري. دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص130-138.158-159، هوارية بكاي: العلاقات الزبانية المرينية سياسيا وثقافيا، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2008م، ص244-248.

² أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص175، محفوظ رموم: المرجع السابق، ص97-98.

³ الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2005م، ص105.

⁴ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص175.

⁵ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص144.

⁶ المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص26.

⁷ فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص161، 169، صالح بن قرية وآخرون: تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص170-171.

Djilali Sari: Tlemcen la zyanide, éditions Casbah, Alger, 2011, p.105-107.

⁸ محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج2، ص66-67.

⁹ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص104-105.

¹⁰ خالد بلعربي: المرجع السابق، ص165.

التقاليد التي تركها سلاطين الدولة الزيانية بتلمسان هي استقطاب الطلبة والشيخ من مختلف الحواضر والمدن الجزائرية والمغربية والاسلامية من خلال توفير كل الظروف المواتية لهم، ومنحهم المناصب والهدايا جراء المنافسة الشرسة التي كانت تلقاها من نظيرتها فاس¹، فلا عجب إذا وجدنا في كتب التراجم المئات من علماء المغرب الأقصى تحج لمدينة تلمسان خلال العصر الزياني طلبا للعلم تارة، ومحطة في رحلاتهم الحجازية تارة أخرى، ولعل أبرز هؤلاء كل من علي بن محمد بن الخيار، وميمون بن جبارة البردوي، ومحمد بن حسين بن حبوس، وعتيق الصنهاجي الفصيح²، وعمر بن عبد الله السلمي، ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي، وابراهيم بن يحيى المكناسي، ومحمد بن موسى المراكشي³، ومحمد الأوسي المراكشي، ومحمد العبدري، ومحمد بن الصباغ المكناسي، وابراهيم السلوي⁴، وحسن البسوتي، وعلي المكناسي، وأبو محمد المهيمن السبتي، ومحمد بن أحمد المراكشي، وابراهيم بن موسى المصمودي، وعبد الله بن منصور الوجدي⁵، وعيسى بن أحمد الماواسي، والعلامة ابراهيم بن هلال السجلماسي وابنه عبد العزيز، وعبد الله الورياجلي⁶.

كما قدم إليها كل من ابراهيم بن حكم السلوي (ت1336م) الذي توفي بعدما أخذ عن خيرة أعلامها، ومحمد ابن السكاك المكناسي (ت1397م) الذي قدم من فاس وقرر الاستقرار بتلمسان⁷، وقد استمرت الزيارات المغربية لمدينة تلمسان خلال الحكم العثماني أين زراها في فترة البيلربايات والباشوات كل من أحمد بن مهدي الوجدي، والرحالة الشهير الحسن الوزان⁸، ومحمد بن أحمد اليستيبي الذي قصدها للنهل من أعلامها في شاكلة محمد بن موسى الوجديجي، وسعيد المقرري، وسعيد المنوئي⁹، ومحمد بن سليمان الجزولي الذي مكث بتلمسان معتكفا عند العلامة موسى بن علي الملالتي التلمساني، وقد شرح نظمه وسماه كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على عقيدة حزب العارفين¹⁰، كما استفاد أيضا من علامة تلمسان محمد بن محمد بن رحمة من دون أن ننسى أيضا العلامة أبا سعيد عيسى الهنتاتي الذي ارتحل من فاس قاصدا تلمسان للتبرك بأولياؤها الصالحين، وطلب العلم من بقية أعلامها البررة¹¹.

¹ فاطمة الزهراء عمارة: المدارس العتيقة بتلمسان خلال القرنين 14-15م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2010م، ص17-18.

² أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج2، 455 - 483، أحمد الغبريني: المصدر السابق، ص95.

³ رضا كحالة: المرجع السابق، ج1، ص81، خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص118.

⁴ أحمد العبدري: المصدر السابق، ص27-28، أحمد بابا التنيكتي: المصدر السابق، ص318.

⁵ محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج2، ص89، الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص476.

⁶ أحمد المنجور: المصدر السابق، ص18، أحمد بن عسكر: المصدر السابق، ص34-37.

⁷ مصطفى عيد أحمد القيم: المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني 1240-1464م، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2000م، ص164.

⁸ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص17-24، محمد القادري: المصدر السابق، ص193.

⁹ محمد مخلوف: المرجع السابق، ص283، عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية... المرجع السابق، ص159.

¹⁰ أبو القاسم سعد الله: (كعبة الطائفين مخطوط جزائري من القرن السابع عشر)، المجلة التاريخية المغربية، ع7-8، منشورات مؤسسة

التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1977م، ص61-62.

¹¹ محمد الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص62، أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج3، المرجع السابق، ص223-224.

كما زارها أيضا الأديب إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (ت1547م)، وهو من مدينة فجيج المغربية درس ونشأ بها قبل أن يحط رحاله بفاس، وسافر لتلمسان وأخذ عن أعلامها قبل أن يعود لفكيك، ويجلس بها للتدريس والقضاء، وشقيقه محمد بن عبد الجبار الفجيجي (ت1549م)، فبعد دراسته بفكيك وفاس حط رحاله بمدينة تلمسان، وعاد مدرسا لمدينته فكيك، وابن هذا الأخير أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار الفجيجي (ت1603م)، وهو من مشاهير مدينة فكيك تعلم بمدينة فاس ومراكش قبل أن يزور مدينة تلمسان أين أخذ من أعلامها وشيوخها، وانتقل بعدها للمشرق وعاد لفكيك قاضيا ومفتيا ومدرسا، وقد شارك في معركة وادي المخازن سنة 1587م على رأس مجاهدي فكيك، وكانت مكتبته ومكتبة عائلته من أشهر وأغنى المكتبات المغربية ومن أشهر تلاميذه العلامة ابن أبي محلي السجلماسي¹، والشيخ أحمد بن إبراهيم الراسي البطوي (ت1630م)، وهو من مدينة بطوية بريف المغرب تلقى تعليمه الأول بمدينة تازة قبل أن يحل بمدينة تلمسان، وأقام بها سنوات عديدة، وعاد بعدها لبلدته بطوية سنة 1588م واعتكف بها للتدريس².

ونزل بتلمسان من أعلام المغرب الأقصى الشيخ أحمد بن أبي بكر السوسي، وهو من منطقة السوس بالمغرب الأقصى مر عليها قاصدا الحج، وقد توقف بها أين أخذ عنه بعض أعلام تلمسان كعيسى البطوي (ت1630م) أين قرأ عنه القرآن الكريم وبعض العلوم الشرعية³، وعلامة مراكش الشهير محمد بن إبراهيم الهشتوكي (ت1687م)⁴، وفي سنة 1708م دخلها العلامة والرحالة عبد الرحمن الجامعي أين تتلمذ على مفتي مدينة تلمسان أحمد الحلفاوي صاحب القصيدة الشهيرة التي حررها بمناسبة تحرير مدينة وهران، وتتألف من اثنين وسبعون بيتا، وقد قام تلميذه عبد الرحمن الجامعي بشرحها نثرا فشاع استعمالها بالجزائر⁵، ويقول الجامعي عن فتح وهران: (وقد كنت أوان هذا الفتح بتلمسان أتذاكر مع بعض الإخوان في علمي النحو والبيان، فصدر من أحدهم قول ينبئ بقصوره، فأعملت الجهد في إصلاح خطئه وجبر مكسوره)⁶.

وقد حاول الجامعي أخذ بعض الشهادات الحية ممن عايش عملية الفتح، ومن أبرز هؤلاء الأديب أبو عبد الله محمد بن جابو التلمساني الذي زوده ببعض أسماء العلماء والفقهاء الذين شاركوا في عملية الفتح واستشهدوا في ميدان الشرف، ومن بينهم الفقيه محمد بن أبي عبد الله التلمساني، وأبو عبد الله محمد الموفق التلمساني حيث قال عنه الجامعي: (الفقيه العالم الأستاذ السالك الناسك الحاج بيت الله المجاهد في سبيل الله كان أكثر الناس حرصا على الظفر بالشهادة والفوز بالسعادة ... حتى أدرك المنهى في وقت

¹ عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1979م، ص143-144.

² زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية ...، المرجع السابق، ص409، ص411.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2، المرجع السابق، ص128.

⁴ محمد الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص62، أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، ج3، المرجع السابق، ص223-224.

⁵ محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ...، ج2، المصدر السابق، ص208.

⁶ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص282.

سعيد)¹، وقد عرفت مدينة تلمسان خلال القرن الثامن عشر الميلادي نوعا من الانفراج الثقافي بعد تولي كل مصطفى بوشلاغم، ومحمد الكبير سلطة بايلك الغرب من خلال ترميم بعض مدارسها العتيقة².

وفي سنة 1785م زار العلامة والرحالة المغربي محمد بن عبد الوهاب المكناسي مدينة تلمسان في طريق عودته للمغرب الأقصى، وقد تأسف كثيرا عن حالها بعدما انتشرت الأوبئة ولجوء ساكنتها لنظام المقايضة من خلال تقديم الزرع والحبوب لاقتناء البضائع الأخرى، كما وصف الحكام الأتراك بالظلم والاستبداد بينما يغيب الوصف الثقافي تماما للمدينة، وفي نفس السنة عاد محمد المكناسي لزيارة تلمسان مرة ثانية، وذلك في إطار مهمة سفارية للسلطان محمد بن عبد الله لتسليم أسرى الجزائر لحاكم مدينة تلمسان، وقد استغل هذه الرحلة لزيارة مختلف الأعلام والصالحين بالمدينة من دون أن يذكر أسمائهم، كما زار أضرحة أعلامها كابني الإمام، ومحمد السنوسي، وشعيب الغوث، وبقية أضرحة مدينة العباد³، كما نزلت بمدينة تلمسان أسرة تعود أصولها للأندلس لكنها مكثت لمدة طويلة بين فاس ووجدة قبل أن تنتقل لتلمسان، وبالضبط بحي باب الزير، وهي أسرة بن المسايب، ومن أشهر أعلامها الرحالة والشاعر أبو عبدالله محمد بن مسايب التلمساني (ت1776م)⁴، وفي طريق عودة محمد بن عبد السلام الناصري (ت1823م) للمغرب الأقصى عرج على مدينة تلمسان، وقد تأسف لحالها الثقافي قائلا: (لم يبقى بها من العلم إلا اسمه ولا من الدين إلا رسمه)، واستعان بقصيدة سعيد المنداسي المسماة بالنونية في ذم الأتراك، فذكر منها ما يقارب أربعة وتسعون بيتا شعريا، وقد تنقل الناصري للعباد، فزار أضرحة الشيوخ والمتصوفة أبرزهم محمد السنوسي، وأبو مدين الغوث، وختم هناك صحيح البخاري⁵.

كما زارها الفقيه والشيخ عبد الله بن عزوز المراكشي الذي استقر بها وأصبح يلقب بالتلمساني، وترك كتاب سماه ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة، وهو مصنف مزيج بين الطب والفلسفة⁶، وفي سنة 1792م فر والي مدينة وجدة العلامة أبو القاسم الزياني نحو مدينة تلمسان، وقد تفاجئ من بعض المشاهد بهذه المدينة العريقة بعلمها وأعلامها، فلم يجد بها شيوخ ولا أعلام يذكرهم بل وجد قاضي المواريث الذي عامل الزياني بكبر، وقد اغتاض الزياني لهذا الموقف، وقرر بعدها التوجه لمدينة العباد والاعتزال عن الناس، وقد ترك قصيدة مطولة عن هذا القاضي وتعجرفه، ولما شاعت هذه القصيدة بين

¹ عبد الرحمن الجامعي: المصدر السابق، ص88-89.

² فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص159.

³ محمد بن عبد الوهاب المكناسي: المصدر السابق، ص331، 334.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي ...، المرجع السابق، ص405.

⁵ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص262-269.

⁶ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2، المرجع السابق، ص434.

طلبة وشيوخ تلمسان قصدوا الزياني بالعباد، وقد استفاد كثيرا من تجربته هناك أين حصل على مصنفات نادرة في التاريخ من قبل خطيب مسجد أبي مدين بالعباد¹.

وفي المقابل قدم الزياني أوصاف بعيدة عن المنطق عن طلبة تلمسان بعدما وصفهم بأنهم ولا أحد منهم يحسن اللغة ولا العربية ولا المنطق ولا يتعاطون الفروع الفقهية ولا الأحاديث النبوية، وقد كانت مدة مكوثه بالعباد ما يقارب سنة ونصف، وبعدها قدم الزياني وصفا تاريخيا لمدينة تلمسان، ومنها خرج لمدينة الجزائر، وفي طريق العودة للمغرب الأقصى من رحلته الحجازية عرج الزياني ثانية على مدينة تلمسان سنة 1796م، وتوجه مباشرة لقرية العباد، وكان يريد المكوث بها قبل أن يصله كتاب من مولاي سليمان يستعطفه بالرجوع للمغرب وله الأمان، وهو ما استجاب له الزياني وعاد لمدينة فاس²، وترك هذه الأبيات عن مدينة تلمسان:

وكانت تلمسان بالأعلام ... صائلة وبالجياد ولم تربط بها الحمر
أصاها المسخ إذا عادت تباع بها ... مناصب العلم للأجلاف والخور
وكيف لا وجند الترك حولكم ... تسوقكم بعصي الخسف ولا تذر³

ومن أبرز المناطق المزارة من طرف طلبة وأعلام المغرب الأقصى بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني قرية العباد⁴، والتي اشتهرت بمساجدها العشر أشهرها مسجد سيدي أبي مدين الغوث بالقرب من ضريح الشيخ أبي مدين (ت1197م)، وبجانب المسجد شيدت مدرسة سيدي بومدين سنة 1347م، والتي تخرج منها أشهر علماء المغرب كابن مرزوق وابن خلدون والسنوسي وهدمت من طرف السلطات الفرنسية⁵، وقد زارها الرحالة المغربي أبو القاسم الزياني، وقرر الاعتكاف والعزلة بالقرب من ضريح أبي مدين⁶، كما زارها قبل الزياني الرحالة ابن الحاج النميري أين أقام بها مدة خمس سنوات بين (1351-1356م) متفرغا للزهد والعبادة⁷.

¹ عبد الله كنون: أبو القاسم الزياني...، المرجع السابق، ص23.

² أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص142-148، 380-381.

³ علال معكول: المرجع السابق، ص197.

⁴ العباد: هي قرية عتيقة تقع بالجنوب الشرقي لمدينة تلمسان، وأشتق اسم العباد من العبادة حيث كانت قرية مخصصة للزهد والعباد والنسك يقصدونها للانقطاع لعبادة الله والجهاد في سبيلهن وارتبطت أكثر بشخصية أبو مدين شعيب بن الحسين الغوث المتوفي بها سنة 1197، أنظر: (محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج1، ص234).

⁵ يحي بوعزيز: المساجد العتيقة...، المرجع السابق، ص116-121.

⁶ علال معكول: المرجع السابق، ص197.

⁷ إبراهيم ابن الحاج النميري: فيض العباد وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص26.

بسبب موقعها الاستراتيجي على الساحل الجزائري فإن مدينة عنابة كانت دائما حاضرة في مختلف الحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر¹، وبعد انتصاب الحكم العثماني وخلق البياليك الثلاثة أصبحت عنابة العاصمة الثانية لبايلك الشرق بعد قسنطينة بل أن ميناءها كان المنفذ الخارجي الرئيسي لبايلك الشرق²، وفي الجانب الثقافي ارتكزت المدينة على رصيد أسرها العلمية، وأبرزها أسرتي ابن العنابي والبوني، كما كان بالمدينة مدارس ومساجد عديدة مسخرة للتدريس، وبالخصوص مسجد سيدي أبي مروان³، والباي الذي شيده صالح باي سنة 1792م⁴. هذا التوهج العلمي والثقافي جعل العلامة عبد الكريم الفكون يعتبر بأن بلد العناب - كما كانت تلقب - خير من بلاد الشام⁵، وفي العصر الوسيط كانت مدينة عنابة تتبع الدولة الحفصية، وقد زارها عديد العلماء والمغاربة كالرحالة محمد العبدري ومحمد المراكشي الضرير الذي قرر الاستقرار بها، وكان مدرسا بجامعها أبي مروان، كما ترك بها مؤلفات عديدة في البيان والتفسير والنسب أهمها إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم⁶.

وخلال العهد العثماني زار مدينة عنابة من علماء المغرب الأقصى كل من الرحالة الحسن الوزان، ووصف عمرانها كمسجد أبي مروان، وأبو الحسن علي التمجروتي أين زار المدينة وصلى بجامعها الشهير وأعجب به كثيرا⁷، وكذلك الشأن للشيخ علي خنجل الذي نزل بعنابة في ضيافة شيخها وعالمها الكبير محمد ساسي البوني⁸، وتناقش معه في أمور علمية عديدة⁹، والعلامة الفقيه علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي (ت1656م)، وقد رحب به العلامة أحمد بن قاسم البوني وقال فيه:

بسيدي علي الأنصاري ... العالم الحافظ ذي الأسرار
وكان قد أجاز للغوراري ... المتقدم بلا اضطرار
أخذ من سجادة للجد ... شيئا تبركا كأهل الجد
وقال ذا يصحبي في سفري ... لعله ينفعني من ضرر

¹ محمد جندي: عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا، ج1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2008م، ص33-43، اسماعيل سامعي: (الحركة الاقتصادية والعلمية في بونة ابان العصر الاسلامي من خلال المصادر العربية)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع13، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2012م، ص397-418.

² أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص179-180.

³ أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة...، المصدر السابق، ص80.

⁴ بن بلة خيرة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008م، ص86-87.

⁵ أحمد بن قاسم البوني: المصدر السابق، ص80.

⁶ محمد العبدري: المصدر السابق، ص65، أحمد بن قاسم البوني: الدررة المصونة...، المصدر السابق، ص38، 65، التعريف ببونة...، المصدر السابق، ص61.

⁷ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص61-62، علي التمجروتي: المصدر السابق، ص23-25، 86.

⁸ محمد ساسي البوني: من أكبر علماء الصوفية بمدينة عنابة ينتهي إلى أسرة عريقة كانت له مراسلات مع يوسف باشا الذي كان يستشيريه في أمور بايلك الشرق، وهو من ساهم في إخماد ثورة ابن الصخري، أنظر: (أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة...، ص121)

⁹ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص166.

جعله في وسط العمامه ... لذلك كان من ذوي الإمامه

وزارها أيضا الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم المراكشي المعروف والشهير بالفلوس، وقد كانت له معرفة بالفقه والطب، ومن أبرز شيوخه العلامة عبد القادر الفاسي¹، وحط الرجال بها أيضا العلامة علي بن الحسن المغربي (ت1688م)، ومحمد بن سليمان الروداني الذي استفاد منه أحمد بن قاسم البوني، وأعجب بشرحه للصحيحين بل ويعتبره أحسن من شرح ابن حجر العسقلاني²، وسيدي أبي الحسن علي عزوز الفاسي الزغواني الذي استفاد منه قاسم البوني والد العلامة أحمد، وفي سنة 1708م زارها الرحالة عبد الرحمن الجامعي، وقد التقى بالشيخ أحمد بن قاسم البوني أين لازمه بمنزله وحضر دروسه واستفاد منه في علم الحديث وصحيح البخاري ومسلم³، وأنشد فيه:

لشيخ بونة أحمد الحبر ذو الفهم ... الذي يرتقي إليه النيل
وأخو البذل والتفضل والجو ... د على من به يضيق السبيل
إن تشاء الصدق فيه قل بونة مص ... ر و ب ح ر ن د ا ه و ا ل ع ل م ن ي ل⁴

وتعتبر هذه الزيارة الثانية للجامعي نحو الجزائر، ففي رحلته الأولى نحو مدينة الجزائر والتي سماها التاج المشرق الجامع لمواقيت المغرب والمشرق عاد مرة ثانية وكانت وجهته عنابة وبعدها تونس، وسماها نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية⁵، ويذكر عبد الرحمن الجامعي تفاصيل زيارته لمدينة عنابة: (فأطلقنا على أطلال بونة ثم رأينا بيوتا انتظمت ذات محاسن غير منهوكة ولا مخبونة، وأوجدنا الله برؤيتها من العدم ثانيا، وخرجنا من البحر إليها خروج الجنين من الرحم...)، وأول بيت علم زاره الجامعي بمدينة عنابة بيت محمد ساسي البوني حيث يقول: (... أما دار الشيخ الرباني والعالم العرفاني الذي بنيت في هذه الرحلة المباركة على قواعد بركاته أساسي أبي العباس أحمد بن الولي الصالح البر الناجح أبي عبد الله القاسم ابن الولي الصالح أبي عبد الله محمد المعروف ساسي رحم الله عددهم وقوى مددهم فتيسر في الحال لقاؤه ...، وأنزلني بمنزل لإكرام اضيافه عليه مهيا، فأقمت عنده ينزهني كل يوم في رياض تآليفه الحديثية وغيرهما، وكنت أحضر أثناء تلك المدة مجلس رواية الصحيحين بين يديه مع مشايخ بلده وولديه، ومما رويت عنه فسح الله في أجله وأسهب أن تآليفه بلغت ما ينيف على المائة ما بين مختصر ومسهب، ولما وقفت منه في علم الحديث على البحر العباب والعجب العجاب سألته الإجازة ...)⁶.

¹ أحمد بن قاسم البوني: الدرر المصونة ...، المصدر السابق، ص165-166، 172.

² أحمد بن قاسم البوني: الفتاوى والإجازات، مخطوط خاص، ورقة 25-26.

³ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص181، 182-183.

⁴ أحمد بن قاسم البوني: الدرر المصونة ...، المصدر السابق، ص154.

⁵ عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص103-104.

⁶ أحمد بن قاسم البوني: الدرر المصونة ...، المصدر السابق، ص217، محمد لخضر بوبكر: الجواهر المكنونة في التعريف بمعالم ومتصوفة بونة، منشورات الرجاء، قسنطينة، الجزائر، 2018م، ص116.

وفي المقابل فان العلامة أحمد البوني ذكر الجامعي في سياق عده للأعلام الذين زاروا عنابة قائلا: (ومنهم العلامة المشارك النحرير السرسور شاعر العصر ونابغة الوقت بالحصر سيدي عبد الرحمن الجامعي المغربي ثم الجزائري ثم التونسي أدام الله توفيقه ...)، كما زار مدينة عنابة أيضا العلامة والرحالة والسفير أبو القاسم الزياني أثناء رحلته الحجازية سنة 1792م بعدما حط رحاله بقسنطينة لكنه لم يذكر عن مدينة عنابة شيء¹، وقد جمع مؤرخ مدينة عنابة أحمد بن قاسم البوني مختلف علماء المغرب الأقصى الذين زاروا عنابة عبر العصور في منظومته المشهورة بالدرة المصونة حيث قال فيها:

بالعبدري العالم الرحاله ... وكان ذمها بشر حاله
بالصالح القطب علي خنجل ... كل همومي وغمومي تنجاي
واسأل بعبد الكريم آغبال ... تعط عطاء لم يكن قط ببال
وبسليمان أي المجذوب ... الصالح المخبر بالغيوب
وقبره في رحبة في حرم ... الشيخ حرز الله يا ذا الكرم
بابن سليمان وبالمزطاري ... وبالمطاعي فزت بالأوطار
ربي سألتك بعبد الله ... صهر ابن للوشة كمل جاهي
بسيدي محمد المعروف ... بذني القرون أكثروا معروفي
سألت أيضا بعلي فلوس ... ربي يجلي عني كل بؤس
بعابد العزيز يدعى الداعي ... وهو التلمساني بلا نزاع
وعابد الرحمن أعني الجامعي ... تلذذت بشعره مسامعي²

ومن خلال هذا النظم نجد بأن العديد من أعلام المغرب الأقصى مروا على مدينة عنابة خلال العهد العثماني منهم ما هو معروف كعبد الرحمن الجامعي، وعلي خنجل، ومحمد بن سليمان الروداني، وعلي فلوس المراكشي، وأبو القاسم الزياني، ومنهم من لم نجد عنه ترجمة لا في المصادر الجزائرية ولا في المصادر المغربية ونخص بالذكر العلامة عبد الكريم آغبال، وسليمان المجذوب، والشيخ حرز الله، والشيخين المزطاري والمطاعي، وأبو القاسم بن للوشة الفاسي، وسيدي محمد ذي القرون، وعبد العزيز التلمساني.

* مدينة وهران:

رغم الموقع الجغرافي الممتاز لمدينة وهران¹ بوقوعها على الساحل الغربي للبحر المتوسط إلا أنها كانت بعيدة عن الأحداث السياسية التي شهدتها الجزائر عبر العصور، فقد كانت تتبع مدينة تلمسان في أكثر من حقبة

¹ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص163.

² أحمد بن قاسم البوني: الدرّة المصونة ...، المصدر السابق، ص169-173.

تاريخية خاصة خلال الحكم الزياني²، فقد كان هذا الموقع نقمة عليها أكثر منه نعمة لأنها كانت مطمعا للدول الأوروبية بداية بالحملات البرتغالية ما بين (1415-1437م)³ ثم الحملات الإسبانية المتكررة حتى سقطت بأيديهم نهائيا سنة 1509م⁴، وفي المجال الثقافي اشتهرت وهران بالمسجد الجامع الذي شيد سنة 902م، ومسجد البيطار الذي أقيم سنة 1347م. أما المساجد الصغيرة فعددها كبير حسب الحسن الوزان⁵، كما شيد بها جامع الباشا سنة 1792م من طرف الداوي حسن باشا⁶، ويذكر حمدان خوجة بأن العديد من الأسر المغربية كانت تقطن بوهران عشية تحريرها من القبضة الإسبانية⁷، وهذا ما سهل عملية التواصل بين علماء البلدين، كما كانت بها جالية مغربية معتبرة، وبالضبط من فكيك ووجدة تشتغل في ممارسة التجارة وحفر الآبار وبناء المنازل وتعليم الصبيان في مختلف القرى والمداشر الوهرانية، كما ضم الباي محمد الكبير العديد من هؤلاء لجيشه⁸.

وقوعها بيد الاسبان جعل مدينة وهران مغيبة من كتب الرحلة خلال القرون الخامس والسادس والسابع والثامن عشر الميلادي، وبذلك لم تكن مقصدا ومزارا لطلبة وعلماء المغرب الأقصى باستثناء الرحالة والجغرافي الكبير الشريف الادريسي الذي زار المدينة، ورغم أنه أعجب بعمارتها ومهارة سكانها ومياهها العذبة إلا أنه لم يشر إلى الجانب الثقافي، كما زارها الرحالة محمد العبدري الذي لم يذكر شيء هو الآخر عن الجانب الثقافي⁹. لكن أبرز عالم مغربي ترك بصمة كبيرة بمدينة وهران بل وأصبح من أعلامها البارزين هو ابراهيم بن علي التازي¹⁰ الذي لازم الشيخ والقطب الكبير محمد الهواري¹¹ لمدة خمسة وعشرون سنة، وقد أنشأ زاوية لتعليم الصبيان، وبها توفي ودفن إلى جوار شيخه، ومن أشهر أعلام الجزائر الذين قصدوه وتعلموا على يديه بمدينة وهران الشيخ محمد بن يوسف السنوسي¹².

¹ لتفاصيل أكثر عن أصل تسمية مدينة وهران يرجى الاطلاع على (ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص385، الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص30، محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص307-327، وردة شرقي: المرجع السابق، ص134-145).

² أحمد ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص185-186.

³ يحي بوعزيز: (ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية)، مجلة الثقافة، ع52، ص9، وزارة الإعلام، الجزائر، 1979م، ص31.

⁴ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص175-178.

⁵ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص36.

⁶ خيرة بن بلة: المرجع السابق، ص88.

⁷ حمدان خوجة: المرأة...، المصدر السابق، ص96.

⁸ عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص112.

⁹ محمد العبدري: المصدر السابق، ص211، يحي بوعزيز: وهران عبر التاريخ...، المرجع السابق، ص29.

¹⁰ ابراهيم التازي: هو الشيخ إبراهيم بن علي بن مالك التازي من مدينة تازة دخل وهران واستقر وتوفي بها سنة 1462م، أنظر: (محمد ابن الصعد: المصدر السابق، ص143-151، محمد الأمراني: المرجع السابق، ص113).

¹¹ محمد الهواري: هو الشيخ محمد بن عمر الهواري المغراوي الوهراني درس بوهران وفاس ثم عاد وتصدر للتدريس بوهران التي توفي بها سنة 1439م، أنظر: (يحي بوعزيز: ماضي مدينة وهران...، ص40، يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر العصور...، ص32-37).

¹² محمد بن عمر الماللي: المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، تحقيق علال بوربيق، دار كردادة، الجزائر، 2011م، ص77، محمد القادري: المصدر السابق، ص283.

وخلال عهد البيلربايات زارها الرحالة الحسن الوزان الذي منعه وقوعها بيد الاسبان من زيارة معالمها والالتقاء بأعلامها، واكتفى بوصف موقعها الجغرافي معتمدا على الرحالة والجغرافيين الذين سبقوه، وفي مرحلة الباشوات حاول الرحالة والسفير علي التمجروتي برفقة الفشتالي زيارتها ودخولها إلا أن الاحتلال الاسباني لها منعه من ذلك¹، ومن أعلام المغرب الأقصى الذين زاروا مدينة وهران، وكان شاهدا على تحريرها الأول من الاحتلال الاسباني سنة 1708م نجد عبد الرحمن الجامعي، والذي أخذ عن العلامة مصطفى الرماصي وقال عنه: (وكنت وفدت على العالم الرواية النقاد منهل العلم الأصفى أبي عبد الله سيدي محمد المصطفى الرماصي، فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعرقرب غابة في رأس الجبل يأوي إليهم ليلا ويظل بالنهار في داره ومسجده يطالع كتبه ويقرئ طلبته، فسألته عن ذلك فقال كنا على هذه الحالة على عهد الاسبانيين خوفا منهم، فإننا كنا لا نأمن في الدور من أن يصلونا ليلا، فخرجنا لبيوت الشعر ليسهل علينا الفرار لغاية الجبل)².

وبعد التحرير الثاني للمدينة سنة 1792م وفد عليها الرحالة أبو القاسم الزياني فارا من قبائل الأتراك التي طاردها بعدما كان واليا على مدينة وجدة، ومن جهة ثانية خشي من عقاب مولاي سليمان لتقصيره في حكم هذه المدينة الحدودية والاستراتيجية لدى المغاربة باعتبار أنها المنفذ الشرقي لهم، وقد استقبله محمد الكبير وتعهده له بالانتقام من هذه القبائل، فأكرمه بقصره وأمر كاتبه بالتجول مع الزياني بمدينة وهران، وقد وصف الزياني مدينة وهران والمراحل التاريخية التي مرت بها قبل الاحتلال الاسباني وتحريرها من قبل الأتراك، ورغم أن الباي محمد الكبير كان يريد من الزياني المكوث بوهران إلا أن هذا الأخير قرر الانتقال لمدينة تلمسان لمكانتها العلمية والثقافية³، وبعيدا عن الحواضر والمدن الساحلية الكبرى كتلمسان وبجاية والجزائر ووهران وعنابة نجد أن بعض المدن الساحلية الصغيرة عرفت ازدهارا ونشاطا ثقافيا وحضاريا بسبب مساجدها وزواياها ومدارسها التي أقامها الأندلسيون⁴، ومن بين هاته المدن نذكر:

* مدينة مستغانم:

هي مدينة ساحلية بالغرب الجزائري ترك عنها العلامة محمد بن حوا (كان حيا سنة 1762م) تأليفا مهما سماه سبيكة العقيان فيمن حل بمستغانم وأحوازها من الأعيان، وقد ساهمت الهجرة الأندلسية لمدينة مستغانم في ازدهار المدينة اقتصاديا وثقافيا، فقد زادت شهرة المدينة بعدما أصبحت عاصمة لبايك الغرب في عهد مصطفى بوشلاغم سنة 1732م أين شيدت بها العديد من المنشآت الثقافية والدينية⁵، ومن أبرز

¹ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص30، علي التمجروتي: المصدر السابق، ص17.

² قدور بوجلال: المرجع السابق، ص92.

³ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى.... المصدر السابق، ص140-141، مولاي بلحميسي: الوزير الزياني في الجزائر....، ص136-143،

⁴ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء....، ج5، المرجع السابق، ص176.

⁵ منصور درقاوي: الموروث الثقافي العثماني ما بين القرنين 16-19م بين التأثير والتأثر، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2015م، ص38-39.

مؤسساتها العلمية جامعها الأعظم الذي أسسه أبا الحسن المريني سنة 1340م¹، وخلال القرن الثامن عشر الميلادي قدر عدد مساجد مدينة مستغانم بحوالي إحدى عشر مسجداً²، وقد لعبت بعض المساجد الساحلية بالمدينة أدوار الربط في بعض المراحل التاريخية الحاسمة على غرار مسجد سيدي يحي الراشدي الذي شيد خلال القرن الثالث عشر الميلادي، وكان منارة للتعليم، كما أدى دورا مهما في الجهاد ضد الحملات الاسبانية، وكذلك الشأن للمسجد الأعظم الذي كان مصد إلهام للمجاهدين ضد الغارات الاسبانية سنة 1558م أين تمكن سكان مستغانم وبتحريض من هذا المسجد أن يقتلوا حاكم وهران الكونت ألكوديت وأسر ابنه دون مارتان وعدد من جنوده³.

وبالنسبة للمدارس فقد أحصت السلطات الفرنسية بعد دخول المدينة سنة 1834م تواجد حوالي ثمانية مدارس واحدة منها مخصصة لليهود⁴، كما كان بالمدينة أواخر الحكم العثماني حوالي عشرون مكتبة⁵، ومن أبرز أعلام المغرب الأقصى الذين زاروا المدينة نذكر محمد العبدري، والحسن الوزان، وعلي التمجروتي⁶، كما زارها الرحالة والعلامة المغربي محمد بن علي الرافعي التطواني (ت بعد 1698م)، وقد ذكر في رحلته الشهيرة المعارج المرقية في الرحلة المشرقية بأن أهالي وطلبة مستغانم استقبلوه بحفاوة وفرحوا بهذه الزيارة التي لم تدم طويلا قبل أن ينتقل لمدينة شرشال ومنها لمدينة الجزائر⁷، وزارها أيضا الرحالة والمؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني سنة 1792م إلا أنه لم يذكر عنها الكثير باستثناء أنها من تأسيس الرومان وكانت تابعة للدولة الزيانية⁸.

* مدينة تنس:

هي مدينة ساحلية تقع بإقليم الشلف⁹، وقد زادت شهرة المدينة بعد تشييد زاوية مجاعة الشهيرة، والتي كانت قطب ديني وثقافي قصده الطلبة والعلماء من داخل وخارج الجزائر، وقد شيد هذا المركز الديني من طرف محمد بن علي المجاجي (ت1594م) المعروف باسم الشيخ أبلهول، والذي يعود نسبه لعبد السلام بن مشيش الولي الصالح المغربي الشهير¹⁰، وهو ما جعل المدينة تعرف استقطاب العشرات من طلبة وعلماء

¹ يحي بوعزيز: المساجد العتيقة... المرجع السابق، ص183-188.

² فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص168.

³ يحي بوعزيز: المساجد العتيقة... المرجع السابق، ص183-195.

⁴ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص102-103.

⁵ فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص170.

⁶ علي التمجروتي: المصدر السابق، ص18.

⁷ مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص282.

⁸ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى... المصدر السابق، ص148.

⁹ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص48-49، محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص77.

¹⁰ أبو حامد العربي المشرقي: ياقوتة النسب الوهاجة والتعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاعة، تحقيق بن عمر حمدادو والعربي بوعمامة، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2011م، ص248.

المغرب الأقصى¹، فكانت محطة بحرية وساحلية مهمة في رحلات كل من محمد العبدري، والحسن الوزان، وأبو الحسن علي التمجروتي²، كما زارها ومر عليها أيضا الرحالة والمؤرخ أبو القاسم الزياني لما كان في طريقه من تلمسان نحو مدينة الجزائر ولكنه لم يذكر عنها شيئا سوى أنها من تأسيس أمير يفرن³.

ثانيا/- الحواضر الداخلية:

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي تغيرت الخارطة الثقافية بالجزائر، فبعدما كانت تلمسان وبجاية تحتكران العلم والثقافة لعقود طويلة تغيرت قاطرة التعليم ومقصد الطلبة نحو المدن الداخلية هروبا من الفتن والاضطرابات السياسية، وتماشيا واستجابة لنداء العلامة أحمد البجاوي الذي دعى للفرار بالنفس من الفتن في أرض الله الواسعة بعد أن سدت المسالك وغاب المعلم الناصح والصبر الجميل⁴، فصحيح أن المدن الساحلية كان لها دور وأهمية لدى الأتراك منذ حلولهم بالجزائر باعتبار أنها ثغور تعرضت للاحتلال الاسباني وجب تحصينها والاهتمام بها إلا أن المدن الداخلية هي الأخرى لاقت اهتماما معتبرا لدى الحكام الأتراك باعتبار أن تقوية وجودهم بالجزائر يمر عبر هذه المدن والتي لها علاقة مباشرة بالرعية، فبعد وصول حسن باشا للسلطة قسم الجزائر إلى أربعة مقاطعات واحدة بالساحل وهي مدينة الجزائر - دار السلطان - بينما جعل بقية المقاطعات الثلاثة في المناطق الداخلية في كل من قسنطينة والمدينة ومازونة، وبذلك بدأت الحركة السياسية والثقافية تدب في هذه المدن من جديد أين شيدت بها عديد المؤسسات التعليمية والثقافية، وبذلك أصبحت محل استقطاب وجذب لمختلف الطلبة والعلماء من داخل وخارج الجزائر.

* مدينة قسنطينة:

لقد كان لمدينة قسنطينة - سيرتا - حضور كبير في المشهد التاريخي للجزائر⁵ فبعدما كانت عاصمة لمملكة نوميديا الشرقية خلال العصر القديم تحولت لعاصمة ثانية للحفصيين خلال العصر الوسيط⁶ قبل أن تصبح عاصمة لبابك الشرق خلال الحكم العثماني بداية من سنة 1567م⁷، وكانت بذلك تحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مدينة الجزائر سياسيا واقتصاديا وثقافيا، فهي لم تعرف نفس مصير تلمسان من حيث الانحطاط الثقافي على حد وصف أبو القاسم سعد الله بسبب امتلاكها لمؤسسات ثقافية متنوعة بين الزوايا والمساجد والمدارس والمكتبات العامة والخاصة من جهة، وموقعها الاستراتيجي بحكم أنها نقطة

¹ أبو عمران الشيخ وآخرون: المرجع السابق، ص 415-416، أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج 5، المرجع السابق، ص 176.

² علي التمجروتي: المصدر السابق، ص 18.

³ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص 148.

⁴ حمزة بوقادوم: المرجع السابق، ص 21.

⁵ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 4، ص 349، مارمول كرفخال: المصدر السابق، ج 3، ص 11.

⁶ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 5، ص 178.

⁷ محمد العنتري: المصدر السابق، ص 39-45.

تقاطع للقوافل التجارية وركب الحجيج المغربي والذي جعلها قبلة للطلبة والعلماء من داخل وخارج الجزائر من جهة ثانية¹. زد على ذلك أن أسرها العلمية فضلت الاستقرار في المدينة ولم تهجر مثلما فعلت الأسر العلمية التلمسانية.

ولم تنتظر قسنطينة من الحكام الأتراك تشييد المؤسسات الثقافية وإحياء ونشر العلوم بها بقدر ما اعتمدت على أسرها العلمية المحلية²، كأسرة وابن باديس، وابن قنفذ³، وابن جلول، وابن البجاوي، وابن نعمون، وباش تارزي، وأولاد ابن الشريف، وأولاد نعمان، وأولاد زكري، وأولاد سيدي مالك، وأولاد كجك علي⁴ إلا أن أهم عائلتين توارثت واحتكرت أعلى وأرقى المناصب العلمية بالمدينة منذ القرن السادس عشر ميلادي هما أسرة ابن عبد المؤمن التي سيطرت على كل المناصب أيام الحكم الحفصي من مشيخة الإسلام إلى رئاسة ركب الحج لمدة قرن وربع⁵ قبل أن تقوم أسرة ابن الفكون بقلب الطاولة عليها، وتحتكرهاته المناصب خلال الحكم التركي بعدما عارضت أسرة ابن عبد المؤمن الوجود العثماني بالمدينة⁶، فقام الأتراك أيام الباشا أحمد أعراب بإلقاء القبض على ابن عبد المؤمن وأعدم سنة 1573م⁷، فبسطة أسرة ابن الفكون سيطرتها على إدارة الشؤون الاجتماعية للمدينة، ومنصب شيخ الإسلام، وأمير ركب الحج، وإمامة المسجد الجامع الكبير، والخطابة، وإدارة الحبوس، وتوارثتهاته المناصب أبا عن جد⁸.

وقد قامت هذه الأسر العلمية بتشيد المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات، ومن خلال بعض الاحصائيات المقدمة من طرف الدراسات الفرنسية فان عدد مساجد قسنطينة قدر بحوالي خمسة وسبعون جامع داخل المدينة فقط من خلال لجنة صالح باي. أما الكتاتيب فقد وصل عددها لتسعون مكتب⁹، وبالنسبة للمدارس يذكر عبد القادر دحدوح وفقا لدفتر أحباس يعود إلى القرن السابع عشر الميلادي بأن قسنطينة كان بها حوالي أربعة عشر مدرسة¹⁰ أبرزها المدرسة الكتانية، ومدرسة سيدي بوقصيعة، ومدرسة سيدي خلوف، ومدرسة صالح باي، ومدرسة مسجد حفصة¹¹. أما المصادر الفرنسية فتذكر بأن مدينة

¹ عمارين خروف: العلاقات الاقتصادية... المرجع السابق، ص 161.

² أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام... المرجع السابق، ص 28-29.

³ للاطلاع على تفاصيل أكثر عن هذه البيوتات - أصلها، أهم علمائها، علاقتها بالسلطة، المناصب التي تقلدها، مصنفاتها... أنظر (علال بن عمر: المرجع السابق، ص 177-245).

⁴ أحميذة عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص 138-140.

⁵ محمد شغيب: المرجع السابق، ص 133-134.

⁶ كمال فيلاي: (الهجرة العلمية والطلابية إلى قسنطينة في عهد عبد الكريم الفكون علامة العصر 1580-1662م)، ضمن أعمال ندوة سوسولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة،

جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008م، ص 14.

⁷ محمد شغيب: المرجع السابق، ص 133-134.

⁸ عبد الله حمادي: المرجع السابق، ص 285.

⁹ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص 97-99.

¹⁰ عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص 92-93.

¹¹ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص 102-103.

قسنطينة أثناء الدخول الفرنسي لها سنة 1837م كان بها ما يناهز تسعون مدرسة ابتدائية، وحوالي سبعة مدارس للتعليم الثانوي والعالى¹.

وإلى جانب المدارس العادية كان بقسنطينة ما يسمى بالمعاهد العليا، وهي بمثابة جامعات أو مدارس عليا كمدرسة آل الفكون، ومدرسة الخنقة²، وقد كانت المدارس القسنطينية خلال العهد العثماني تنقسم إلى قسمين المدارس الداخلية، والتي توفر الاطعام والمبيت والمكتبة للطلبة، ويدرس بها الطلبة الوافدون على المدينة من مختلف القرى والمدن الجزائرية والمغربية أشهرها مدرسة آل الفكون، والتي درس بها كل من عيسى الثعالبي، وأبو سالم العياشي، وبركات بن باديس، وهم تلاميذ لدى الشيخ عبد الكريم الفكون الحفيد، والنوع الثاني هي المدارس الخارجية، والتي يتلمذ بها طلبة مدينة قسنطينة وهي لا توفر المبيت³، ولا يمكن الحديث عن مراكز ومؤسسات ثقافية وتعليمية بقسنطينة دون التطرق للمكتبات والتي انقسمت إلى قسمين مكتبات عامة التي تتبع المراكز والمؤسسات الثقافية الحكومية كالمساجد و الزوايا والمدارس، وبها كتب ومخطوطات نفيسة جلبت معظمها من خارج الجزائر كالمغرب الأقصى وتونس ومصر والحجاز واستنبول، فقد أشار الفكون بأن الجامع الكبير للمدينة كان به خزانتي من أنفس المصنفات. أما المكتبات الخاصة فهي التي تخص العائلات العلمية المشهورة، وهي مفتوحة للجميع، ومزودة بأنفس الكتب ويقدر عدد هذه المكتبات بحوالي سبعة عشر مكتبة أبرزها مكتبة أسرة الفكون التي تجاوز عدد كتبها أربعة آلاف مصنف منها ألفين وخمسمائة مخطوط⁴.

ومكتبة عائلة باش تارزي التي تضم خمسمائة مخطوط حسب دي كلان الذي زار المدينة سنة 1845م، وأغلبها تعرضت للسرقة والنهب من طرف الحاميات الفرنسية لأغراض مختلفة، كما أن السلطة العثمانية لا تتوانى في مصادرة المكتبات التابعة للمتمردين على سلطتها مثلما فعلت مع مكتبة ابن الصخري ومكتبة ابن سحنون، وقد كانت تجارة الكتاب رائجة بالمدينة (بيع، شراء، نسخ، تخطيط)، فقد كانت بها دكاكين متخصصة تعرف بالوراقين، وقد ساهم في ذلك تشجيع واهتمام الحكام خلال الحكم الحفصي، وهجرة الأندلسيين المهرة في النسخ والخط كابن الأبار البلنسي وأبو المطرف بن عميرة، وكذلك الشأن لمحمد العطار القسنطيني (ت1536م)، والمعروف بجودة خطه⁵. كل هذه المعطيات العلمية والثقافية المتوفرة بقسنطينة جعلها محطة مهمة لدى علماء المغرب الأقصى سواء في رحلاتهم الحجازية أو مقصدا لتيل العلم، فهي تقع بطريق الحج ومحطة آمنة ومستقرة سياسيا ومركزا للراحة والتسوق إلى جانب تواجد المجلس العلمي

¹ أحمد مريوش: المرجع السابق، ص16.

² محفوظ رموم: المرجع السابق، ص103.

³ علال بن عمر: المرجع السابق، ص100.

⁴ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص60-67، 61، علال بن عمر: المرجع السابق، ص84-86.

⁵ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص104-105، أحميدة عميراوي: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص137، علال بن عمر: المرجع السابق، ص84-86، 177-205.

للمدينة، والذي كان يضم نخبة من العلماء كالعطار (ت1543م) وعمر الوازن (ت1553م)، وعبد اللطيف المسيح (ت1572م)، وأحمد المسيح (ت1573)، وأبو محمد بكرات (ت1574م)، وعبد الكريم الفكون الجد (ت1588م)¹.

ويؤكد الرحالة المغربي محمد بن عبد الوهاب المكناسي (ت1785م) بأن مدينة قسنطينة هي مدينتهم المفضلة في الجزائر للراحة، فقد مكث بها شخصيا مدة أسبوع أثناء عودته من القسطنطينية إلى المغرب الأقصى²، فخلال الحكم الحفصي للمدينة زارها كل من الفقيه أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المراكشي (ت1222م) الذي استقر وتوفي ودفن بها وبني على ضريحه مسجد سمي باسمه³، والرحالة ابراهيم بن الحاج النميري (ت بعد1373م) صاحب رحلة فيض العباب وإجازة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب⁴، والرحالة محمد العبدري (ت1325م) الذي عرج في رحلته الحجازية على مدينة قسنطينة، وبقدر اعجابه ببنائها إلا أنه اندهش من فقرها للعلماء باستثناء الشيخ حسن بن باديس⁵، كما زارها الأديب والفقيه محمد بن عبد الرحمن المراكشي الضيرير (ت1338م) الذي قرر الاستقرار بها بل ونال لقب القسنطيني، وترك عدة مؤلفات أشهرها تاريخ مراكش، وإسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم، وقد نالت قسنطينة شرف زيارة الشيخ الصوفي أحمد الزروق الفاسي (ت1493م)، والذي كانت له صحبة بوالد عمر الوازن⁶ القسنطيني بل أن الزروق الفاسي حضر يوم مولد الشيخ عمر الوازن ودعى له بالبركة والعلم والولاية⁷.

كما عرفت مدينة قسنطينة استقرار أسرة علمية مغربية وهي أسرة الخلوف، وأبرز علمائها الأديب والرحالة والرياضي أحمد بن محمد الخلوف الحميدي (ت1494م)⁸ صاحب مصنفات نظم التلخيص،

¹ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية... المرجع السابق، ص161-162.

² محمد بن عبد الوهاب المكناسي: المصدر السابق، ص329.

³ مجهول: دفتر أوقاف مدينة قسنطينة القرن 16-17م، دراسة وتحقيق عبد القادر دحدوح، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م، ص282، محمد شغيب: المرجع السابق، ص233.

⁴ ابراهيم ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص26-27.

⁵ محمد العبدري: المصدر السابق، ص58-59.

⁶ عمر الوازن: هو أبو حفص عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني عرف بالوازن ولد بقسنطينة وأخذ العلم عن شيوخها وأعلامها كالظاهر بن زيان القسنطيني، وقد برز في مختلف العلوم العقلية والنقلية وأخذ عنه كل من أبو الطيب البسكري وعبد الكريم الفكون ويعي بن عمر الزواوي واليستيبي توفي سنة 1553م ودفن بقسنطينة ترك عديد المؤلفات مثل البضاعة المزجة وحاشية على شرح صغرى السنوسي ومجموعة من الفتاوى في الفقه وعلم الكلام، أنظر: (أحمد بابا التنبكي: المصدر السابق، ص232، محمد حجي: ألف سنة من الوفيات...، المصدر السابق، ص298).

⁷ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص35-37، أحمد بابا التنبكي: المصدر السابق، ص416.

⁸ أحمد الخلوف: هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الفاسي الخلوف أصله من فاس ومولده بقسنطينة، أنظر: (خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج1، ص231).

ومواهب البديع في علم البديع، وأرجوزة في الفرائض سماها عمدة الفارض في علم الفرائض¹، وبرز من هذه العائلة أيضا الشيخ أبو القاسم شهاب الدين الخلوف²، ورغم أن مدينة قسنطينة شهدت زيارة الرحالة الحسن الوزان سنة 1518م في وجهته نحو استنبول إلا أنه لم يتطرق للحياة الثقافية والعلمية للمدينة³، وبعد خضوع المدينة للحكم العثماني عرفت قسنطينة زيارة عديد العلماء المغاربة بداية بسعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي والمعروف باسم الحاج أبو جمعة الذي حط رحاله بمدينة قسنطينة أثناء رحلته الحجازية، وتتلذذ على يد الشيخ عمر الوزان، ومحمد العطار، ومحمد الغربي⁴، كما احتك بالشيخ عبد الكريم الفكون الجد أين قرأ عليه مختصر خليل ومختصر ابن الحاجب الأصلي، وأثناء مغادرة المدينة طلب إجازة عامة من الشيخ الفكون⁵.

ثم عرفت المدينة زيارة خاصة للفقهاء محمد بن أحمد اليسيتي (ت1552م) الذي قصد قسنطينة قادما إليها من فاس خصيصا للنهل من شيخها وعالمها عمر الوزان، فقرأ عليه شرح الفهري للمعالم الدينية للفخر والبيان والأصليين، ويصف أحمد المنجور تلميذ اليسيتي بأن الشيخ عمر الوزان كان آية الله مهرا للعقول في تحقيق فنون المعقول والمنقول ومن عباد الله الصالحين⁶، واستغل اليسيتي تواجده بقسنطينة لينهل أيضا من علم الشيخ أبي عبد الله محمد العطار أين قرأ عليه طوابع البيضاوي حتى ختمها عليه، ويصفه المنجور أيضا - العطار - بالفقيه الأصولي الكلامي المتفنن⁷، كما زارها أيضا كل من الفقيه والأديب واللغوي أبي جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي (ت1607م)، وأخذ عنه أعلامها قبل أن ينتقل للحجاز والقسنطينية⁸، والشيخ عبد الله بن عمر المضغري الذي أخذ عن عبد العزيز القسنطيني⁹، والفقيه والشاعر أبو عبد الله محمد السوسي الفاسي (ت1612م) الذي قدم من فاس ونال خطة التدريس بقسنطينة حيث درس صغرى السنوسي و متن الأجرومية، ولرغبة منه في نيل مناصب أعلى من طرف الباشوات حسب رأي الفكون انتقل محمد السوسي إلى مدينة الجزائر، وتولى التدريس بجامعة الأعظم ومدح باشواتها¹⁰.

وقد ترك آراء فقهية في حكم شرب الدخان وسماع الطرب، ورغم أن الفكون احتك به وأخذ عنه مسائل في الاسطرلاب وبعض من علم الفرائض، واعترف له بتفوقه في العلوم العقلية إلا أنه انتقد قصوره في

¹ محمد قويدم: (علماء الرياضيات في مدينة قسنطينة خلال العصر الوسيط)، ضمن أعمال بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ لعيميد عبد العزيز، مطبعة نواصري، الجزائر، 2017م، ص115.

² رضا كحالة: المرجع السابق، ج1، ص273.

³ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص55-60.

⁴ أحمد المقرئ: روضة الأسماء...، المصدر السابق، ص209.

⁵ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص162.

⁶ أحمد المنجور: المصدر السابق، ص31-32.

⁷ أحمد بابا التنيكتي: المصدر السابق، ص473.

⁸ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية...، المرجع السابق، ص410.

⁹ ودان بوغفالة: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، ط1، مكتبة رشاد، الجزائر، 2009م، ص50.

¹⁰ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص72-74.

مسائل العلوم الشرعية، كما كانت بينهما مساجلات شعرية، فبعدها مر السوسي بالفكون وهو يجدد منزله ويطله بالجير أعجب بهذا المنزل، وقدم قصيدة للفكون سماها بهجة التكحيل في العين ورونق الشيب في مصوغ التبر واللجين يقول في مطلعها:

ألا عج إلى البطحا ترى البرق يومض ... على دار علم بالعلوم تنضنض
فرد عليه الفكون بقصيدة سماها إزالة الكدر والشين بجواب التكحيل في العين يقول فيها:
لك الحمد تعطي من تشاء وتقبض ... فصل على من كان للدين يعرض¹

كما مر بها الشاعر أحمد الفاسي الذي نال خطة التدريس بقسنطينة، وكان يتقرب من البايات بشعره، ويعتبر أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي (ت1621م) من خيرة أعلام المغرب الذين زاروا قسنطينة خلال القرن السابع عشر الميلادي، وتعود أصوله لقبيلة الرواشد المغربية - شفشاون -، وكان مشهوراً بعلم النحو حيث لقب بسبويه زمانه، وتولى تدريس علوم النحو والأصول والبيان والمنطق²، فقد تتلمذ على يديه عشرات التلاميذ، فمن خارج قسنطينة قصده من مدينة الجزائر كل من إبراهيم الجزيري، ويحي الشاوي الذي أخذ عنه علم النحو ثم رحل للحجاز، وكذلك الشأن لأحمد بن عمار خطيب الجامع الكبير لمدينة الجزائر الذي درس عند التواتي إلى غاية هجرته لتونس³، ومن منطقة زاوة تتلمذ عنه كل من محمد الهلولي، ومحمد العربي، ومحمد بن راشد الذي يعد من كبار تلامذة التواتي في علم النحو قرأ عليه المرادي حتى أتقنه، وهذا ما أهله لتدريس كتاب التوضيح بمدينة قسنطينة قبل أن يعود لزاوة وأصبح من أكبر النحويين في عصره، وأبو العباس أحمد بن ثلجون الذي قصد الشيخ التواتي وقرأ عليه ابن الحاجب وعقائد السنوسي وعلم النحو، ومن ميلة قصده أحمد الميلي ولازمه حتى أصبح من علماء وشيوخ المدينة⁴.

ومن قسنطينة لازم التواتي عديد الشيوخ والعلماء بداية بعاشور بن عيسى القسنطيني الذي تتلمذ عليه قبل أن يسافر لتونس ويستوطن بها⁵، وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الريف الحسني مفتي قسنطينة وجد عبد الكريم الفكون من أمه قرأ عليه بعض من المرادي، وأبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحي بن باديس، وأبو إسحاق إبراهيم الجزيري صاحب وظيفة كتابة الوثائق الشرعية بقسنطينة، وأبو عبد الله محمد البوزيدي الذي لازم مجلس التواتي حتى أصبح يقرأ ويدرس عقائد السنوسي وابن الحاجب بجامع القصبة بقسنطينة، وأبو عمران موسى الفكيين الذي أخذ عن التواتي فروع ابن الحاجب وعقائد السنوسي

¹ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص99.

² عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص57-58، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص164-165.

³ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص205، 336.

⁴ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص95، 164-165، 208، حسين بوخلوة: عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وأثاره 1580-1663م،

رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2009م، ص56.

⁵ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص74، محمد مخلوف: المرجع السابق، ص310.

والألفية وأصبح مدرسا ومفتيا لمدينة قسنطينة¹، ويعتبر العلامة عبد الكريم الفكون² من أكبر وأنجب تلامذة التواتي بشهادة هذا الأخير، فقد لازمه في جميع دروسه فقرأ عليه شرح ألفية ابن مالك للمرادي وعقائد السنوسي بشرحها وابن الحاجب والتذكرة للقرطبي وتفسير القرآن الكريم وصحيح مسلم وحاشية على جمع التفسير للمرادي وإعراب السيوطي³.

وكذلك الشأن للرحالة أبو سالم العياشي (ت1679م)⁴ الذي زار مدينة قسنطينة في إطار رحلاته الحجازية أين تزود بمختلف البضائع كما زار معهد الفكون⁵، وهناك احتك بشيخ المدينة الأول عبد الكريم الفكون واستفاد منه في الموطأ والصحيحين والسنن الأربعة والأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي والشفاء للقاضي عياض والشهاب للقضاعي وبعض من رباعيات أبي عوانة ومن نظم أصول السلمي وغنيمة الوافد للثعالبي⁶، والرحالة المغربي محمد بن عبد الوهاب المكناسي سنة 1785م أين أقام بها مدة سبعة أيام حيث أعجب بتوفر مختلف حاجيات الناس بها إلا أنه لم يتطرق لأعلامها ولا لمؤسساتها الثقافية والدينية⁷.

وفي طريقه للحجاز سنة 1791م عرج الرحالة الشهير أبو القاسم الزياني على مدينة قسنطينة أين أقام بها خمسة عشر يوما التقى خلالها بعدد الشيوخ والعلماء والفقهاء بالمسجد العتيق لقسنطينة كالفقيه القاضي أبو عبد الله الحفصي العلمي، والإمام والخطيب سيدي مبارك بن عمر الصائغي الذي قدم عديد النصائح للزياني في ذكر الله عند ركوب البحر، والفقيه أبي الحسن علي بن مسعود الوينيسي الذي أعجب الزياني بمحاضراته ومآسناته، ومفتي المدينة الفقيه أبو القاسم المحتالي، وكان يتذاكر معه طوال أيام مكوثه بقسنطينة، وقد أعجب الزياني بأخلاقه وعلمه، والمفتي الشيخ أحمد بن المبارك العلمي الذي تحاور معه الزياني وأعجب بمحاضراته، والشاعر الأديب ونيس البوزنياري الذي قدم قصيدة في مدح الزياني، وأعجب بها هذا الأخير كثيرا من دون أن يذكر لنا أبيات عنها، وقد زاره بالمنزل الذي كان يقيم به الفقيه محمد المجاري الخوجة، ويعتبر كاتب صالح باي الأديب محمد بن كشك علي كرغلي من أبرز أعلام قسنطينة الذين أعجب بهم الزياني لسببين الأول لكرمه وخلقه وعلمه، والثاني لأنه يشبه حاله في محنته مع الحكام، فبعدهما كان ذا

¹ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص214-213، 68، 93، 209.

² عبد الكريم الفكون: هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني ولد بمدينة قسنطينة سنة 1577م وتوفي بالطاعون سنة 1662م وتسمى باسم جده عبد الكريم لأنه ولد في نفس سنة وفاة جده، وقد تبوأ مناصب عليا في قسنطينة ودعم الأتراك في حكمهم، أنظر: (محمد شغيب: المرجع السابق، ص265، أبو عمران الشيخ وآخرون: المرجع السابق، ص377-380).

³ أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام... المرجع السابق، ص62.

⁴ عبد الله العياشي: هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي نسبة إلى قبيلة آيت عياش قرب مدينة سجلماسة جنوب المغرب الأقصى ولد سنة 1628م وقام بمجموعة من الرحلات نحو الحجاز حتى توفي بالطاعون سنة 1679م، ومن أشهر مؤلفاته الرحلة العياشية الكبرى والمسماة ماء الموائد، وكتاب اقتفاء الآثار بعد ذهاب أهل الأثر، ومنظومة في التصوف سماها تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية، أنظر: (مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة... المرجع السابق، ص18، عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص84-88).

⁵ كمال فيلاي: الهجرة العلمية والطلابية... المرجع السابق، ص19-20.

⁶ حسين بوخلوة: المرجع السابق، ص58.

⁷ محمد بن عبد الوهاب المكناسي: المصدر السابق، ص329.

مكانة عالية وكتب خاص لدى صالح باي أصبح في عداد المهتمين بمجرد مقتل هذا الباي، وقد نصح الزياني بعدم العودة لخدمة السلاطين والحكام من باب التجربة¹.

وقد عاد الزياني مرة أخرى لمدينة قسنطينة أثناء عودته من الحج سنة 1796م لكنه لم يجد الباي حسن فاستقبله خليفته بالمدينة وأكرمه بمنزله، وقد مكث الزياني بها حوالي عشرة أيام لكنه لم يذكر عنها شيئاً هذه المرة²، ومن الرحلات المغربية التي حطت رحالها بقسنطينة نذكر رحلة محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت1823م)، وتعتبر قسنطينة المدينة الوحيدة التي حظيت بإعجاب وتقدير الناصري في الجانب الثقافي، فقد لقي ترحاباً كبيراً من طرف طلبتها وشيوخها، واحتك ببعض منهم بداية بشيخ المدينة ورئيس ركب الحج الجزائري محمد بن بدر الدين الفكون، والذي كان برفقته في الرحلة الحجازية، فقد استقبله بزواية الأسرة فانهر الناصري بخزانة كتب الأسرة أين اطلع على كتب لم يشاهدها من قبل كمسالك الامام ابن العربي على الموطأ، وتهذيب ابن الأزرق، وشرح الخطابي لسنن أبي داوود، وكشف الظنون لحاجي خليفة، والمعلم للمازري، والاكمال للقاضي عياض، وحواشي الشيخ يحيى الفكون على مدونة ابن سحنون، وهي المؤلفات التي لاشك بأن الناصري نسخها وأخذها معه لمدينة درعة، كما التقى بالشيخ علي الونيسي وأعجب الناصري بعلمه ووصفه بالماهر الحاذق العالم الفاضل وقد تذاكر معه في أمور عديدة ومنحه إجازة في الطريقة الناصرية، كما تذاكر مع أحد الطلبة يدعى بسعد بن علي الشماطي الكافي، وقد أجاب عن بعض المسائل الفقهية التي طرحها عليه قبل أن يجيزه، كما زار قبر الإمام ابن باديس صاحب نظم البادسية الشهيرة بالمغرب الأقصى قبل أن يخرج شيوخ وطلبة قسنطينة في وداع محمد الناصري³.

ومن أبرز العائلات المغربية التي فرضت منطقتها في مدينة قسنطينة بل اندمجت مع سكانها وأصبحت من الأسر القسنطينية العريقة هي أسرة ابن جلول التي وصلت لقسنطينة خلال القرن السابع عشر الميلادي، ولا يعرف أصلها بالضبط وعلى الأرجح تكون فاسية، وكانت أسرة علمية شهيرة أين فرضت نفسها وتولت عديد المناصب، كقاضي الحنفية الذي كان بيد الحاج شعبان بن عبد الجليل بن جلول خلال حكم صالح باي، ومنصب وكيل الباي والباش كاتب والذي سبق وأن فصلنا في الشخصيات التي تولته من العائلة، كما أن تشييد مسجد سوق الغزل الشهير بالمدينة سنة 1730م كان على يد الحاج عباس بن جلول الجد⁴.

¹ مولاي بلحميسي: الوزير الزياني في الجزائر.... المرجع السابق، ص136-143.

² أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى.... المصدر السابق، ص374.

³ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص253-258.

⁴ فاطمة الزهراء قشي: مقالات من تاريخ قسنطينة وتراثها.... المرجع السابق، ص145-148.

هي منطقة جغرافية تمتد من دلس غربا إلى عنابة شرقا، والبحر المتوسط شمالا إلى الأوراس والمسيلة جنوبا تقطنها قبائل أمازيغية من بطن كتامة¹، وقد كانت زواوة من أكبر القبائل الأمازيغية المناصرة لحكم الحفصيين بالمغرب الأوسط قبل أن تدعم النفوذ العثماني بالجزائر وخارجها²، فقد انخرط أفرادها في البحرية والجيش البري العثماني، كما اشتغلوا في الزراعة والصناعات التقليدية³، وقد حاولت العديد من المصادر الغربية تشويه هذه المنطقة والتشكيك في هويتها الإسلامية على غرار الأسير الإسباني هايدو الذي أشار بأن أغلب نساء وصبيان زواوة يحملون أوشام للصليب بأجسادهم في إشارة ضمنية منه أنهم مسيحيين وليسوا بالمسلمين⁴، وبعد تعرض مدينة بجاية للاحتلال الإسباني سنة 1510م ازدهرت الحياة الثقافية والعلمية بمنطقة زواوة بعد فرار سكان وعلماء بجاية إلى بوادي زواوة، كما ساهمت الهجرة الأندلسية في تنشيط المنطقة اقتصاديا وثقافيا بعدما قصدوا المنطقة بحثا عن الأمن والاستقرار، وذلك بسبب بعدها عن الخلافات السياسية خاصة أنها كانت منطقة شبه مستقلة عن السلطة العثمانية⁵.

وقد انتشرت في منطقة زواوة عديد الزوايا والمعاهد الدينية التي استقطبت خيرة أعلام المغرب في شاكلة محمد الهواري، وأبو مدين شعيب الغوث، وعبد الرحمن الثعالبي، وأحمد الزروق الفاسي وغيرهم، ولعبت دورا ثقافيا ودينيا رائدا في العصر الوسيط والحديث وحتى المعاصر، ومن أبرز هذه المعاهد نجد زاوية يحي العيدلي، وزاوية علي بن موسى، وزاوية أمحمد السعدي الهلولي، وزاوية سيدي منصور الجنادي، وزاوية علي بن الطالب، وزاوية عبد الرحمن الأيلولي، وزاوية سيدي الموفق وغيرها⁶، كما انتشرت بها المدارس والمساجد والكتاتيب والمعمرات التي ساهمت في خلق حركية علمية وثقافية ودينية مما شجع العديد من طلبة العلم بمختلف الحواضر الجزائرية والمغربية أن يرتحلوا نحوها للنهل من علمائها بداية بأبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي، والتي كانت زواوة أول محطة زارها عند حلوله بالجزائر حيث مكث بها سنة كاملة معتكفا عند العلامة النحوي أبي محمد عبد الله بن مصباح الزواوي وقرأ عليه السبع وابن الحاجب⁷.

¹ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص155، أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق بوراي اسماعيل، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008م، ص31-40.

² المهدي البوعبدلي: (تراجم بعض مشاهير علماء زواوة - القبائل الصغرى والكبرى -)، مجلة الأصالة، ع14-15، ص03، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م، ص267.

³ مختار حساني: المرجع السابق، ص15-16.

⁴ Fray Diego Haedo: *Topographie et Histoire générale d'Alger*, 3 édition, traduction Berbrugger et Monnereau, édition Grand Alger Livres, Alger, 2007, p.49-51.

⁵ محمد سي يوسف: (نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر)، ضمن كتاب الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م، ص193-194.

⁶ أحمد ساحلي: المرجع السابق، ص32.

⁷ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص57-58.

وكذلك الشأن للعربي الفاسي (ق17م) الذي قصد منطقة زواوة لطلب العلم، وبعدها قرر الاستقرار بها مدرسا بزواياها¹، كما مر بالمنطقة المؤرخ والأديب محمد بن سليمان الروداني السوسي سنة 1653م، والذي اندهش لكثرة الأسر والبيوتات العلمية بها كما أجاز البعض من أفرادها²، وكذلك الشأن لأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهشتوكي (ت1687م)، فبعد مروره على كل من تلمسان والجزائر انتقل لجمال زواوة للنهل من أعلامها، وبقدرا ما كانت قسنطينة وزواوة أقطاب ثقافية وفكرية، وتمكنت من جلب العديد من أعلام المغرب لزيارتها من أجل النهل من أعلامها بقدر ما ظهرت مدن داخلية أخرى تمكنت من منافسة المدن الكبرى في خلق جو من النشاط الثقافي والعلمي، وذلك من خلال مدارسها ومساجدها على غرار:

* مدينة مازونة:

لقد كان لمدينة مازونة³ دورا سياسيا وثقافيا كبيرا بالجزائر خلال العصر الوسيط والحديث خاصة بعدما اختيرت لتكون عاصمة لباليك الغرب الجزائري بين (1563-1701م)⁴ قبل أن تنقل العاصمة لمعسكر ثم وهران بعد تحريرها نهائيا من القبضة الإسبانية سنة 1792م، وقد ساهم أكثر في بروز المدينة تلك الغارات الإسبانية المتتالية على مختلف المدن السواحلية الغربية في شاكلة مستغانم ووهران وتنس، وهذا ما أدى لهجرة نخبها نحو المدن الداخلية، كما أصبحت مقصدا للأندلسيين الفارين من غرناطة كالشيخ محمد بن الشارف الذي خلق حركة فكرية كبيرة بالمدينة⁵ من خلال تشييد مدرسة سنة 1619م والتي أصبحت ذائعة الصيت داخل وخارج الجزائر، وقد بنيت هذه المدرسة على أنقاض المدرسة القديمة للمدينة التي تعود للقرن الخامس عشر الميلادي⁶، كما كان بها مكتبة ثرية بالمخطوطات⁷، وقد شهدت هذه المدرسة - القديمة والجديدة - تخرج العديد من أعلام الجزائر في شاكلة يحيى بن موسى المازوني، والعلامة أبو راس الناصري، والعلامة مصطفى الرماصي، والشيخ محمد بن علي السنوسي صاحب الطريقة السنوسية⁸.

وقد كانت هذه المدرسة متخصصة في تدريس الفقه المالكي بصفة عامة وفقه النوازل بصفة خاصة، وقد أنتج علماء مازونة عديد المصنفات الفقهية التي انتشرت في مختلف المدن والحوضر الجزائرية والمغربية، ولعل أشهرها الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكرياء المازوني، وكتاب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق للعلامة موسى المازوني، وحاشية الرماصي على شرح التتائي لمختصر خليل وغيرها من

¹ عمارين خروف: العلاقات الاقتصادية... المرجع السابق، ص163.

² المهدي البوعبدلي: تراجم بعض مشاهير علماء زواوة... المرجع السابق، ص267.

³ لتفاصيل أكثر عن أصل تسمية مازونة يرجى الاطلاع على (غنية عباسي: مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012م، ص16-40، المهدي البوعبدلي: تاريخ المدن... المرجع السابق، ص242).

⁴ غنية عباسي: المرجع السابق، ص155.

⁵ سفيان شبيرة: (دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي)، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، جامعة وهران، 2014م، ص187.

⁶ غنية عباسي: المرجع السابق، ص180.

⁷ سفيان شبيرة: المرجع السابق، ص190-191، فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص161-169-170.

⁸ يحيى بن موسى المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م، ص13.

المصنفات، وهذا ما جعل طلبة المغرب الأقصى يقبلون على مازونة لنيل الفقه المالكي على يد أعلامها قادمين من فكيك ووجدة وغيرهما قبل وبعد الاحتلال الفرنسي، وقد كانت السلطات المغربية تعين الطلبة الحاصلين على الاجازة من مدرسة مازونة بوظائف القضاء لقيمة الشهادة الخاصة بها¹، ولعل من أبرز أعلام المغرب الذين حطوا الرحال بمازونة ومدرستها خلال العهد العثماني نذكر الرحالة أبو القاسم الزياني²، والشيخ أبو العباس أحمد التادلي (ت1820م) الذي وفد من تادلة بالمغرب، وتلمذ على يد الشيخ محمد بن أبي طالب المازوني (ت1818م)³.

* مدينة مليانة:

تعتبر من أهم المدن الحضارية بالغرب الجزائري، وبعد التقسيم الإداري سنة 1541م أصبحت تابعة لدار السلطان لكن مدينة مليانة كانت في كثير من الأحيان تتبع حكم القبائل والامارات المحلية أبرزها إمارة حميد العبد شيخ قبيلة سويد في منطقة تنس، كما عرفت مليانة ثورة ريغة، وثورة الشيخ بوطريق، شيخ قبيلة سماتة الذي تمكن من اغتيال حسن قائد الحامية التركية بمليانة سنة 1544م، وفر لمدينة فاس خشية من انتقام الأتراك، وفي سنة 1813م عرفت المدينة ثورة أخرى وهي ثورة بني مناد، وقد زادت شهرة المدينة على المستوى المغاربي بحكم أنها مسقط رأس العلامة الصوفي الكبير أبي العباس أحمد الملياني صاحب الطريقة المليانية أو اليوسفية الذي أسس بها زاوية أصبحت مزارا لطلبة وعلماء المغرب الأقصى⁴، فقد زارها من قبل أحمد بن عبد الله ابن عميرة (ت1258م) الذي تولى القضاء بها⁵، والحسن الوزان الذي زارها خلال القرن السادس عشر الميلادي، وأشار لمسجدها الجامع وبعض المساجد المتناثرة بالمدينة⁶.

كما زارها أيضا كل من أبو محمد عبد الله الخياط الزرهوني (ت1523م) من جبل زرهون بالمغرب الأقصى، وهو من مشايخ الصوفية تنقل لمدينة مليانة وتلمذ على شيخها الصوفي أحمد بن يوسف الملياني، وكذلك الشأن لمحمد بن علي الشطبي (ت1552م) من بني زروال بفاس نزل ضيفا بزواية رأس الماء بمدينة مليانة لنهل العلم والتصوف من الملياني⁷، وعبد الله بن عمر المضغري الذي نزل بالمدينة بنية الأخذ عن عالمها أحمد بن يوسف ثم انصرف إلى مدينة قسنطينة⁸، ومن أكبر تلامذة أحمد الملياني من المغرب الأقصى نذكر أبو الحسن علي بن عبد الله الفيلاي الذي قصده بمدينة مليانة واحتك به لسنوات طويلة قبل أن يعود

¹ المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر.... المرجع السابق، ص41-42، عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص112.

² أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى.... المصدر السابق، ص148.

³ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص320-321، 323.

⁴ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية.... المرجع السابق، ص163.

⁵ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج1، ص159.

⁶ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص36.

⁷ محمد القادري: المصدر السابق، ص187، عمار بن خروف: المرجع السابق، ص104.

⁸ ودان بوغفالة: المرجع السابق، ص50.

للمغرب ويتولى نشر الطريقة المليانية لكنه أتهم بالزندقة واتباع مذهب الاباضية في عهد عبد الله الغالب السعدي، وأثناء عودة الرحالة والفقير محمد بن عبد السلام الناصري (ت1823م) للمغرب الأقصى عرج على مدينة مليانة، وقد وصفها اعتمادا على الروض المعطار قبل أن يزور ضريح شيخها وعلامة المغارب ككل أحمد بن يوسف الملياني¹.

* مدينة معسكر:

وتعتبر من أبرز قلاع العلم والثقافة والجهاد بالغرب الجزائري خلال العهد العثماني، وبالخصوص بعدما تحولت لعاصمة بايلك الغرب خلال فترة حكم محمد الكبير الذي شيد بها عديد المؤسسات الثقافية، وقد أنجب سهل غريس² التابع لها المئات من العلماء الذين أثبتوا وجودهم العلمي والثقافي بتلمسان ومختلف الحواضر المغربية، ومن أبرز مؤسساتها الثقافية نذكر مسجد الجامع الكبير الذي شيد سنة 1747م على يد عثمان باي والد محمد الكبير من خلال اللوحة التذكارية التي كانت بمدخل الجامع والذي كان يضم مكتبة ضخمة، وكذلك الشأن لجامع محمد الكبير ويسمى أيضا بجامع المبايعات وجامع عين البيضاء الذي شيد سنة 1780م وفقا إلى اللوحة التي كانت بداخله³.

كما اشتهرت معسكر بمدرسة المحمدية التي شيدها الباي محمد الكبير، وعرفت تجهيزا لا مثيل له بالمصنفات والكتب، وقد أصبحت من أفضل المدارس الجزائرية خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وهذا ما جعلها قبلة للطلبة والعلماء من مختلف المناطق الجزائرية⁴، ومن المغرب الأقصى زارها الرحالة والمؤرخ أبو القاسم الزياني سنة 1792م، وقد اكتفى بذكر مؤسسها أمير توجين الزناتي وتاريخ التأسيس، وفي المقابل فان الزياني تجاهل تماما تاريخها الثقافي خلال العهد العثماني رغم أنه كان جد مزدهرا وبالخصوص في فترة الباي محمد الكبير⁵.

ثالثا/- الحواضر الصحراوية:

رغم الدور المحوري الذي لعبته المدن الصحراوية الجزائرية خلال العهد العثماني كمحطات مهمة لاستقبال القوافل التجارية والحجازية المغربية إلا أنها لم تحظ بالدراسة والعناية اللازمة من قبل الباحثين، واقتصر الحديث عن الحواضر الكبرى فقط كتلمسان وبجاية والجزائر وقسنطينة على اعتبار أن أغلب

¹ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص261.

² سهل غريس: يقع هذا السهل جنوب شرق معسكر يحده شرقا جبل المناور وغربا جبل كرسوط وشمالا قلعة بني راشد وجنوبا وادي البنيان، أنظر: (يعي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب... المرجع السابق، ص139).

³ خيرة بن بلة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008م، ص84-85، محفوظ رموم: المرجع السابق، ص104-105.

⁴ فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص161-162، 170.

⁵ أبو القاسم الزياني: الترجمة الكبرى... المصدر السابق، ص148.

المصادر الغربية من مذكرات الأسرى والقناصل والعسكريون والتجار زارت المدن المهمة والرئيسية فقط، وهذا ما يجعلنا نلجأ للمصدر المحلي خاصة الرحلات الحجازية المغربية التي غطت نقص المادة العلمية لهذه الحواضر والمدن خلال العهد العثماني، فقد كانت كل من بسكرة وورقلة وتقرت والأغواط وبوسمغون ووادي سوف من أهم المحطات التي يستريح بها الرحالة والحجاج المغربية ذهابا وإيابا، وهو ما جعل طلبة هاته المدن وعلمائها يدخلون في مناقشات ومناظرات حول مسائل دينية وعلمية مختلفة مع نظرائهم المغاربة¹.

ومن خلال الدراسات السوسولوجية للمجتمع الصحراوي الجزائري خلال العهد العثماني فقد كانت هناك أربعة أنواع من القبائل الصحراوية بداية بالقبائل النبيلة، وهي قبائل عربية ذات أصل شريف وفدت على المنطقة مع الزحف الهلالي، وقبائل مهاجرة وهي التي تنتقل باستمرار في شكل بدو رحل بحثا عن الكلاء والماء لماشيتهما، وقبائل محاربة والتي تغير على مختلف القبائل وعلى القوافل التجارية الحجازية لسلب حاجاتهم، وقبائل دينية وفي العادة تنتمي لاحدى الشخصيات الدينية والصوفية وتعيش في منطقة مسقط رأسه فتقيم عليه قبة وزاوية ويصبح مزارا من الداخل والخارج²، ومن الناحية الثقافية فقد انتشرت بالمدن الصحراوية العشرات من المكتبات خلال العهد العثماني، فمدينة تندوف كان بها خزانة ثرية للكتب تابعة لزاوية محمد الجكاني بها حوالي خمسمائة مخطوط، كما كانت زاوية القنادسة ببشار تضم حوالي ثلاثة آلاف وخمسون مخطوط لكنها للأسف أحرق أغلبها بمجرد وصول الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وكذلك الشأن للمكتبات المتواجدة بمدينة غرداية والمتنوعة بين مكتبات العشائر والمساجد والمدارس الحرة والزوايا والأسر العلمية والدينية الميزابية بالخصوص، وببسكرة نجد خزائن ثرية بالكتب والمخطوطات تابعة للزاوية المختارية بأولاد جلال، وزاوية طولقة، وزاوية سيدي ناجي، وزاوية عبد الرحمن الأخضرى والتي جمعت من طرف العائلات والأسر البسكرية³.

* مدينة ورقلة وواحاتها:

هي مدينة تقع بعمق الصحراء الجزائرية⁴، وقد كانت محطة مهمة في طريق قوافل الحج المغربية، وقد أصبحت تابعة للحكم العثماني بعد حملة صالح ريس في منتصف القرن السادس عشر الميلادي لكن هذه التبعية كانت شكلية فقط تتلخص في دفع الضريبة والدعاء للسلطان العثماني وباشا الجزائر، وهو ما اطلع عليه أبو سالم العياشي الذي كان حاضرا بأحد مساجد المدينة لما دعا إمام المدينة للسلطان العثماني ثم

¹ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص163.

² أحسن دواس: صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2008م، ص38-40.

³ علي آجقو وشوقي بركة: (محفوظات زوايا الجنوب الجزائري)، أعمال الملتقى الوطني للمخطوطات في الجزائر الواقع والرؤية المستقبلية، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012م، ص18-20.

⁴ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص371.

لسلطان بلادهم مولاي علاهم¹، ولم تكن مدينة ورقلة وواحاتها تخلوا من المدارس والزوايا والمساجد، فقريّة سيدي خويلد التابعة لها كان بها مدرسة قرآنية تضم أكثر من ثلاثين طالبا²، وبحكم الموقع المهم لهذه المدينة بعمق الصحراء الجزائرية، فقد كانت ملتقى القوافل التجارية والحجازية المغربية، وبها تلتقي قوافل الحج المغربية بقوافل التجارة المتجهة نحو بلاد السودان³، وبذلك يحدث نوع من التلاقح والاحتكاك التجاري والثقافي باعتبار أن هذه القوافل لا تخلوا من طلبة العلم والشيخوخة خاصة قوافل الحج المغربية، ومن أبرز الرحلات المغربية التي حطت رحالها بورقلة، وقدمت لنا وصفا مهما لحالها السياسي والثقافي خلال العهد العثماني نذكر رحلة أبو سالم العياشي الذي مر على المدينة في ثلاثة مناسبات ووثق هذه المعارف في رحلته الموسومة بماء الموائد.

فمن الناحية السياسية والإدارية أشار العياشي بأن مدينة ورقلة خلال العهد العثماني كانت خاضعة لحكم أسرة علاهم المغربية الذين استضافوه بمنزلهم وأكرموه، واندھش من خزانة الكتب التي وجدها بالقصر أين عثر على كتاب التوضيح وبهرام والتتائي وحواشي على صغرى السنوسي وغيرها من المؤلفات كما طرحوا عليه مجموعة من الأسئلة الفقهية⁴. ثم زار بيت إمام وخطيب المدينة والذي يعرف عند قومه بسيدي ابن الفقيه منصور، وشاهد بخزانة بيته مؤلفات فقهية عديدة كالموطأ والبخاري والإكمال والمختصر والرسالة، وعن حال الثقافة بمدينة ورقلة فإن العياشي كان قاسيا في نعت سكانها بالجهلة والأميين حتى إمام المدينة لم يسلم من انتقاداته، فهو لا يعرف عن الأحكام والعلوم الشرعية إلا اليسير منها حسب وصف العياشي⁵.

كما ذكر بأن ورقلة كان بها تعدد مذهبي يتمثل في مسجدين الأول مالكي والمعروف باسم جامع سيدي عبد القادر الجيلاني يجتمع به أهل البلد من الأعيان وتقام به صلاة الجمعة، والمسجد الثاني إباضي الذي أعجب العياشي بهندسته⁶، ومن أبرز واحات ورقلة نجد مدينة تماسين⁷، والتي يعتبر مسجدها من أبرز المؤسسات الدينية بالجنوب الجزائري. شيده العلامة أحمد بن محمد الفاسي سنة 1414م⁸، وتعود أصوله لمدينة فاس المغربية كان في طريقه للحجاز لكنه فضل الاستقرار بها وشيد هذا المسجد الجميل على حد

¹ مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة... المرجع السابق، ص 84-86.

² رضوان شافو: المرجع السابق، ص 102.

³ رشيد حفيان: المرجع السابق، ص 34.

⁴ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج 1، ص 72.

⁵ مولاي بلحميسي: مدينة ورقلة في رحلة العياشي... ص 69-70، مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال الرحلات المغربية... المرجع السابق، ص 86-87.

⁶ ناصر الدين سعيدوني: ورقلة ومنطقها في العهد العثماني... المرجع السابق، ص 74.

⁷ للتعرف على أصل تسمية تماسين وتاريخها، أنظر: (محمد حناي: الحياة الثقافية في زاوية تماسين التيجانية 1803-1954م، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، 2014م، ص 24-25).

⁸ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج 1، ص 74.

وصف العياشي لنشر تعاليم الدين الإسلامي¹، ومن أشهر الأسر العاملة بمدينة تماشين الحاج علي التماسيني مقدم الطريقة التيجانية بالجزائر بعد هجرة شيخ الطريقة أحمد التيجاني إلى مدينة فاس، ويعود أصل العائلة إلى مدينة سجلماسة المغربية وفد جده الثاني محمد بن موسى على المدينة سنة 1705م واستقر بها بعد عودته من الحجاز².

* مدينة تقرت وواحاتها:

هي مدينة تقع بأحواز ورقلة أخضعها صالح رايس لحكمه سنة 1552م إلا أن هذا الخضوع كان اسمياً فقط بحكم أنها لم تكن تدفع سوى بعض الإتاوات المفروضة على بقية المدن الجزائرية³، وفي سنة 1760م قام يوسف باشا بحملة عسكرية على تقرت ترتب عنه التزام أمراء هذه المدينة بدفع ضريبة سنوية لدار السلطان تتمثل في خمسة وأربعين فرداً من رقيق السودان. أما بايات قسنطينة فقد شن صالح باي عليها حملتين عسكريتين الأولى سنة 1783م وكانت فاشلة، والثانية سنة 1788م⁴ انتهت بدخول صالح باي للمدينة وتغيير حاكمها عمر الجلابي المعارض للأتراك وتعيين ابن عمه أحمد وفرض غرامة مالية تقدر بحوالي ألف بوجو كتعويض لخسائر الحملة بين قسنطينة وتقرت⁵، وقد أعاد أحمد باي المملوك الكرة سنة 1818م أين دخل المدينة وخرّب نخيلها بقطع حوالي مائتي نخلة، وفرض على حاكمها محمد جلاب ضريبة سنوية تقدر بمائة ألف ريال، وقد استمر أمراء المدينة بدفعها إلى غاية سقوط قسنطينة بيد الفرنسيون سنة 1837م⁶.

وبسبب موقعها الجغرافي المهم للقوافل التجارية والحجازية المغربية وأصول حكامها بني جلاب المغربية كانت مدينة تقرت من أبرز المدن الصحراوية الجزائرية زيارة من قبل حجاج وعلماء المغرب الأقصى، ولعل أبو سالم العياشي يعتبر من أهم الرحالة الذين مروا بها وتركوا عنها وصفاً دقيقاً، فقد التقى هناك بالشيخ محمد بن عبد الكريم التواتي الذي كان له علم في العروض والفقه والنحو والذي تناقش مع العياشي في أكثر من مسألة فقهية، وقد كان للعياشي لقاء مع حكام هذه المدينة واعتبرهم من أعدل الأمراء الذين التقاهم في حياته، وبأحواز تقرت توجد قرية أوكيرت، وتشتهر بكثرة زواياها كزاوية محمد بن عمر الخزرجي الشامي (ت1599م)، وزاوية عبد الله بن طمطم⁷، وغيرها من الزوايا التي أعجب بها العياشي وأجزل في وصف شيوخها وطلبها.

¹ مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص 89-91.

² محمد حناي: المرجع السابق، ص 47-48.

³ أوجين فايسات: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي، ترجمة صالح نور، منشورات قرطبة، الجزائر، 2010م، ص 43.

⁴ أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص 80.

⁵ عبد القادر موهوبي: مضامير تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريف وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر، الجزائر، 2011م، ص 55.

⁶ رضوان شافو: المرجع السابق، ص 76، محمد حناي: المرجع السابق، ص 37-38.

⁷ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج 1، ص 40، 74، 77.

وتعتبر الأغواط وواحاتها وبالخصوص عين ماضي من أهم المراكز والحوضر الصحراوية التي كانت محطة في طريق القوافل التجارية والحجازية المغربية، وهو ما جعل الحاج ابن الدين الأغواطي في رحلته بشمال إفريقيا والسودان سنة 1825م يؤكد بأن العملة الفاسية كانت تتداول بقوة بين سكان مدينة الأغواط خلال القرن التاسع عشر الميلادي وقبله¹، فقد زارها محمد بن عبد السلام الناصري (ت1823م) في طريقه للحجاز والتقى خلالها بعديد الطلبة والشيخ كالسيد أمجودي وأحمد بن أبي القاسم وأحمد النوي وأولاد الشيخ إسماعيل وقد فرحوا به وطرحوا عليه عديد الأسئلة الفقهية²، ومن أبرز الرحلات المغربية التي مرت على مدينة الأغواط وواحاتها نجد رحلة الشيخ الحسن اليوسي (ت1690م) الذي أعجب بحب طلبة عين ماضي وشغفهم بالعلم فهم يسألون في التفسير والتجويد والتفخيم والترقيق³، والشيخ أحمد بن ناصر الدرعي الذي عرج على عين ماضي والأغواط سنة 1709م في طريقه للحجاز، وقدم أوصافا مهمة عن مدينة عين ماضي وطلبتها، فذكر بأن أهلها كلهم طلبة علم يحفظون مختصر خليل في الفقه، كما التقى بشيوخ وفقهاء المدينة كأحمد بن الدهصاء، وأولاده عبد الرحمن ومحمد زروق، وأبو حفص، ومحمد بن عيسى، وأبو القاسم، وعبد الرحمن بن دلس، وعيسى بن يحيى، وبلقاسم بن عيسى، وعيسى بوعكاز⁴.

وقد حاول الدرعي التخفيف من صدمة السكان اتجاه الأمير عبد الملك العلوي الذي أغار عليهم ونهب ممتلكاتهم حيث يقول: (وسلط الله عليهم مولاي عبد الملك فمزق أعراضهم وكسر عليهم الهيبة، وأخذ خزائن الأعراب وسط ديارهم زرعا وسمنا وثمرًا، وأخذ منهم ألف ريال ولم يترك لهم شيئا، وكانوا من قبل موقورين ولم يألّفوا ذلك وكبر ذلك عليهم)، وقد صلى الدرعي ومن معه بمسجد المدينة، كما طلبوا منه طلبة المدينة تزويدهم بنسخة من كتاب والده محمد الدرعي المعروف بالغنيمة فقدم لهم نسخة منه، وفي المقابل فقد انتقد الدرعي كغيره من الرحالة المغاربة ظاهرة النساء بعين ماضي من خلال ترك الحجاب وعدم التستر والاختلاط مع الرجال وممارسة التجارة وعدم الاغتسال من الجنابة، وقد حاول تقديم شروحات ونصائح لهن، ومن قرية عين ماضي توجه الراكب المغربي نحو مدينة الأغواط، وقد لقي الدرعي مجموعة من فقهاء المدينة في شاكلة محمد بن كسيمة، وأحمد بن إدريس، ومحمد بن خليفة، والحاج عبد الرحمن الفجيجي، وإسماعيل العين ماضي، وأحمد بن أبي زيان، وتناقش معهم في بعض القضايا التي لم يذكرها.

¹ الحاج ابن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة، الجزائر، 2011م، ص88.

² محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص146-147.

³ مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص352.

⁴ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص130-131.

ولما عاد الركب المغربي من الحجاز سنة 1710م ودخل مدينة الأغواط النصف طلبه المدينة بالشيخ الدرعي وطرحوا عليه سؤال حول مسح الجبهة بعد الصلاة، كما استفسره البعض عن الذكر الوارد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم إجازته لمن طلب هذا الذكر¹، وقد كان طلبه المدينة متعلقين به كثيرا حيث يذكر الدرعي بأنه فارقهم ودموعهم على الخدود تسيل، كما زارها أيضا الرحالة والعلامة أحمد الهشتوكي (ت1715م)، وقد ذكر بأن طلبه عين ماضي حفاظ متحكمون في الفقه والحديث والتجويد²، وقد حظ الرحال بمدينة عين ماضي والأغواط الشيخ أحمد القادري (ت1720م) صاحب رحلة نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس، وقد كان وصف القادري كسابقه ولحقه من الرحلات المغربية من خلال التنبيه من نساء عين ماضي الغير متحجبات والذين يمارسون التجارة ولا يغتسلن تماما بالماء، وأن أهل هذه القرية فقهاء وطلبة علم متمكنون.

كما زار مدينة عين ماضي الرحالة عبد القادر محمد الشرقي الاسحاقى (ت1737م) برفقة زوجة السلطان إسماعيل العلوي وحفيده محمد بن عبد الله، وقد أعجب الاسحاقى بخيرات هذه المدينة حيث اقتنى الركب بعض مستلزمات الطريق، كما عبر عن فرح وسرور ساكنة هذه القرية بزوجة السلطان وحفيدها ورحبوا بالركب، وقد اجتمع الاسحاقى بفقهاء وقاضي هذه المدينة إلا أنه اتهمهما بالجهل³، وقد زار مدينة عين ماضي سنة 1737م ركب الحج المغربي والذي كان به الرحالة أبي العباس الهلالي السجلماسي، وقد التقى الركب بشيوخ المدينة سيدي الحاج عيسى من أولاد سيدي الشيخ، والشيخ سيدي حمر حفيد الشيخ أحمد بن سالم قبل أن ينزل الركب بمدينة الأغواط⁴، وكذلك الشأن لأبو مدين عبد الله الدرعي (ت1747م) الذي أقر بأن طلبه عين ماضي كانوا محافظين على طلب العلم والشغف به⁵، كما زارها الرحالة المغربي محمد الطيب الفاسي (ت1757م)، وقد أعجب بأخلاق سكان عين ماضي وانهر بحفظ أغلب أفرادها للقرآن الكريم، وما حز في نفس الرحالة محمد الطيب هو عدم اغتسال النساء بالماء واستعمال التيمم فقط معتبرين بأن الماء يضر بأبدانهم، وقد تقدم أحد أفراد عين ماضي للعلامة محمد الطيب بفتوى حول ذلك مبررا بأن ماء المدينة يتسبب في إسقاط حمل المرأة، وكان جواب الشيخ بأن في هذه الحالة فقط يسمح فيها للمرأة الحامل عدم استعمال الماء أما بقية النسوة فمن واجهن استعمال الماء وليس التيمم في العبادة، ومن عين ماضي نزل الركب بالأغواط أين التقى بمجموعة من طلبه المدينة خاصة وأن الركب يضم إلى جانب الشيخ محمد الطيب الفاسي كل من الفقيه أحمد بن ناصر الدرعي، والشيخ عبد الرحمن الفجيحي، وقد تناول الطرفان

¹ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص718، 719.

² محمد ماكامان: المرجع السابق، ص280-281.

³ مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص307، 352.

⁴ صالح بوسليم وعمر بن قايد: المرجع السابق، ص273.

⁵ محمد ماكامان: المرجع السابق، ص280-281.

عديد المسائل الفقهية، ومن بين هذه المسائل التستر في التبول خاصة وأن المنطقة صحراوية ولا يوجد فيها حواجز¹.

وعلى اثر الرحلة الحجازية للفيقيه محمد الحضيكي السوسي (ت1775م) قام الربي المغربي بزيارة قرية عين ماضي، وقد وصف الحضيكي كسابقه من الرحلات المغربية كل من أسواق ونساء المدينة وذكر بعض مظاهر العلم بالمدينة، وأن لأهلها نوع من مخالطة العلم، وبعدها نزل الربي بمدينة الأغواط والتي لم يذكر عنها شيء في الجانب الثقافي²، وعرفت مدينة عين ماضي زيارة الرحالة والفيقيه محمد بن عبد السلام الناصري (ت1823م)، وقد تأسف على حالها في ذلك الوقت باعتبارها بلدة علم في ما مضى من الزمن استنادا للرحلات الحجازية المغربية التي كانت تصف طلبة وشيوخ المدينة، ولم يجد بها شخصا واحدا من أهل العلم سوى السيد عبد القادر بن أحمد بن يحي الذي لم يذكر عنه شيء، كما أقر الناصري بوجود بعض الكتب بالمدينة مع بقاء نسوة المدينة على حالهم السابق من خلال الزينة والتبرج والبيع في الأسواق وعدم الاغتسال خوفا من المرض³.

* منطقة الساورة وواحاتها:

وقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب استعمال سكان المنطقة للأساور، كما ربطها البعض بوادي الأساور الذي يعتبر من أطول الأودية في المنطقة، وقد أصبحت الساورة بصفة عامة والقنادسة بصفة خاصة من أبرز المناطق الصحراوية الجزائرية استقطابا للعلماء والتجار والحجاج المغاربة بسبب كثرة الزوايا كزاوية الشيخ أحمد بن موسى الكرزازي، وزاوية الشيخ سليمان بن أبي سماحة، وزاوية الشيخ عبد المالك بونقاب⁴ لكن أبرز زاوية بالمنطقة ككل هي الزاوية الزيانية نسبة للشيخ محمد بن أبي زيان القندوسي الشريف الادرسي، والتي لعبت أدوار عديدة، فإلى جانب وظيفتها الدينية والصوفية فقد كانت محطة مهمة للقوافل التجارية المارة نحو السودان ومحطة لراحة ركب الحج المغربي، وقد تحولت هذه الزاوية إلى طريقة صوفية مستقلة تسمى بالطريقة الزيانية⁵، ومن أبرز الرحلات المغربية التي حطت رحالها بمنطقة الساورة رحلة

¹ محمد الطيب الفاسي: رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار العراب، سوريا، 2014م، ص89-91.

² محمد الحضيكي: الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق عبد العالي لمدير، مركز الدراسات والأبحاث واهياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، 2011م، ص84-85.

³ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص146.

⁴ بوبكر بن علي: (منطقة الساورة تفاعل ثقافي وتواصل تاريخي)، ضمن منشورات ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص30-31.

⁵ روس دان: المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، ترجمة أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 2006م، ص110-111.

الشيخ والعلامة أبي العباس الهلالي السجلماسي سنة 1737م برفقة الشيخ ابن عبد الله بن عبد الكريم أين نزل الركب بالزاوية الزيانية، والتقوا بشيخ الطريقة محمد بن محمد بن أبي زيان¹.

كما مر بالمنطقة الرحالة المغربي عبد الله العياشي سنة 1661م، وكان برفقته كل من العلامة والرياضي الكبير الشيخ إبراهيم بن محمد السوسي، والفقيه محمد الحفيان السجلماسي، والقاضي أبو العباس أحمد الخطيب المراكشي إلا أن العياشي لم يتحدث عن المنطقة باستثناء الإشارة بأنها كانت مقر للفقيه أبو العباس أحمد بن أبي محلي (ت1613م)²، ومن أعلام المغرب الأقصى الذين مروا عبر القنادسة نذكر الرحالة والفقيه محمد الحضيكي السوسي (ت1775م) الذي وصف المدينة بأنها ذات نخيل وأشجار وفواكه وثياب رخيصة الثمن وبها قبب وشيوخ دين وعلم، ويذكر الحضيكي بأن القنادسة في هذه الفترة كانت خاضعة للحكم العلوي وتبعد عن فكيك المغربية بمسيرة خمسة أيام³.

ويعتبر الشيخ والعلامة أحمد بن أبي محلي السجلماسي (ت1613م) المعروف بابن القاضي - بسبب توارث أجداده لمنصب القضاء بمدينة سجلماسة لمدة طويلة - من أبرز أعلام المغرب الأقصى الذين ارتبط اسمهم بمنطقة الساورة ككل وقرية بني عباس بصفة خاصة، فلما عزم ابن أبي محلي على الرحلة للحجاز مر على وادي الساورة وبوسمغون والغاسول وعين ماضي والأغواط، ولما عاد من الحج قرر الاستقرار بوادي الساورة ببشار بعدما صاهر شيخ المدينة وفقهها عبد القادر بوسماحة لكن هذه المصاهرة لم تدم سوى أشهر بسبب خلاف ديني بين الشيخين، وبعدها عزم ابن أبي محلي المكوث بقرية بني عباس للتدريس بعدما أسس معهداً لتعليم الصبيان، فأصبح مقصداً لطلبة الجزائر والمغرب الأقصى، ومن شيوخ الجزائر وعلمائها الذين زاروا الشيخ ابن أبي محلي بمعهد بني عباس العلامة والمفتي سعيد قدورة بل وناصره في حربه مع زيدان بن المنصور الذهبي⁴ هذه الشهرة العلمية أغرت ابن أبي محلي لطموحات سياسية، فلما سمع بخبر وفاة أحمد المنصور سنة 1603م قرر الانتقال لمدينة مراكش وإعلان نفسه خليفة على المسلمين، وقد استنجد زيدان بن المنصور بالشيخ يحيى بن عبد المنعم الحاحي الذي زحف على مراكش وتمكن من قتل ابن أبي محلي سنة 1613م، وانتهت قصة هذا الرجل الغريب.

وعن قرية بني عباس يذكر ابن أبي محلي: (وكل أصولي في السلفية مع إخواني لأبي وأمي وبني عمي حتى الآن ببلد سجلماسة، ولكن دار هجرتي هي هذه القرية العباسية بالوادي المبارك ...، وأما بنو عباس فهي قرية

¹ صالح بوسليم وعمر بن قايد: المرجع السابق، ص273.

² عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص36.

³ محمد الحضيكي: الرحلة الحجازية... المصدر السابق، ص83.

⁴ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ... المرجع السابق، ص181.

مشهورة بوادي الساورة، فما نزلتها عام الألف فقط ثم تزوجت فيها بابنة سيدهم الصفي الوفي الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن شمس الدين العباسي¹.

* مدينة بسكرة وواحاتها:

كانت بسكرة وواحاتها محطة مهمة لدى المغاربة أثناء رحلاتهم الحجازية وذلك لموقعها الاستراتيجي من جهة، وكثرة معالمها الدينية من مساجد وزوايا ومدارس من جهة ثانية، لكنها تأثرت خلال القرن السابع عشر الميلادي من حدثين حسب العياشي بداية بوباء الطاعون الذي فتك بحوالي سبعون ألف شخصاً²، والحدث الثاني يتمثل في التواجد العثماني حيث يقول: (وبالجملة فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقاً وغرباً أحسن منها، ولا أحصن ولا أجمل إلا أنها ابتليت بتخالف الترك عليها، وعساكر العرب)³، ويعتبر المؤرخ ناصر الفزاري البسكري المعروف بابن مزني (ت1420م) من أبرز رموز التواصل الثقافي بين البلدين، فهو من مواليد مدينة بسكرة لكنه من أصول مغربية اتصل بابن خلدون ولازم الحافظ ابن حجر وله كتاب تاريخ الرواة⁴، وخلال العهد العثماني زار بسكرة العشرات من أعلام المغرب الأقصى بداية بعبد الله العياشي الذي أشار لأسماء أضرحة بسكرة التي كانت محل زيارة وتبرك من قبل علماء وطلبة المغرب الأقصى كضريح الولي الصالح أبي الفضل، وضريح الولي الصالح محمد بن بوعلي⁵، وضريح الولي الصالح أبي الفضل⁶.

كما أشار لأعلام المدينة كالشيخ بوطيب نصير الذي أعجب العياشي به بل وقال بأنه لم يرى أحد قبله ولا بعده مثل هذا الرجل في هديه وسمته تخشع القلوب لوعظله وتلين لكلامه، ولو كانت أقسى من الحجر وقد توفي بوباء الطاعون، والفقير عبد الواحد الرماني الذي قرأ على العياشي صحيح البخاري⁷، ومحمد المرابط الدلائي (ت1679م) صاحب الرحلة الحجازية المسماة بالرحلة المقدسة، ونظراً لأن هذه الرحلة لم تحقق بعد وهي متواجدة بالخزائن المغربية فإننا لم نتمكن من معرفة مختلف المعطيات التاريخية والثقافية التي ذكرها الدلائي عن مدينة بسكرة لكن من خلال المعطيات المتوفرة حول هذه الشخصية والتي يغلب عليها الطابع الصوفي، فإننا نجمع بأن المحطات الرئيسية التي زارها الدرعي ببسكرة هي نفسها التي عرفها الرحالة المغاربة قبله وبعده كسيدي عقبة، وأولاد جلال، وضريح عبد الرحمن الأخضر، وضريح خالد بن سنان، وخنقة سيدي ناجي⁸.

¹ محمد ماكامان: المرجع السابق، ص143-144، 188-189.

² عبد الله العياشي: المصدر السابق، ص524.

³ ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص381.

⁴ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص347.

⁵ محمد القادري: المصدر السابق، ص333.

⁶ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي....، المرجع السابق، ص381-382.

⁷ محمد القادري: المصدر السابق، ص333.

⁸ مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص226-228.

وفي سنة 1730م في اطار ركب الحج المغربي زار مدينة بسكرة الوزير المغربي عبد القادر الاسحاقى (ت1737م) الذي ذكر أمور سياسية تتعلق بموقف سكان وأهالي بسكرة من الحكم العثماني وعلاقتهم بالعلويين حيث ذكر بأن أعراب بسكرة دخلوا تحت طاعة مولانا نصره الله وألستهم يودون لو وصلهم عماله¹، وكان الاسحاقى برفقة زوجة السلطان اسماعيل العلوي وحفيده مولاي محمد بن عبد الله، وقد خرج عامل مدينة بسكرة مع أعوانه للترحيب بالوفد المغربي إلا أنه لم يذكر أشياء في الجانب الثقافي والعلوي²، وفي سنة 1737م زارها الرحالة أحمد الهلالي السجلماسي برفقة ركب الحج السجلماسي، والتقى خلالها بالشيخ سيدي محمد المودع، كما تأسف على عدم زيارة ضريح سيدي أبي الفضل³، وقد زارها أيضا الرحالة محمد الطيب الفاسي (ت1757م)، وكان برفقته الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي حيث دخلوا مسجدها يوم الجمعة وأعجب الفاسي بمنارته الواسعة والعالية، وقد أعجب أيضا بخطبة الشيخ عبد الواحد الرقاني، كما وجدوا بمدينة بسكرة الشيخ عبد الحفيظ من أولاد سيدي ناجي وأخوه الفقيه محمد بن الطيب، وقد اعتمد الفاسي على العياشي في وصف معالم هذه المدينة⁴.

وزارها الفقيه محمد بن أحمد الحضبيكي السوسي (ت1775م)، فعدد مقولة السابقين عن بسكرة بأنها بلدة الصالحين ومأواهم، وفيها سادات قبروا هناك وزرهم تغنم والله ينفعنا وإياك وبركاتهم⁵، وفي سنة 1779م مر العلامة عبد القادر الفاسي بمدينة بسكرة وهناك التقى بالشيخ خليفة بن حسن القماري المهتم بالفقه المالكي، والذي وضع نظم على مختصر خليل، وقد أثنى عليه الفاسي حيث قال فيه: (وقد أطلعني على نظمه الجليل لمختصر خليل المكتوب على أول ورقة منه، فطالعت منه البدء والختام ومواضع منه ... على أنه مقدم من فرسان البراعة وأئمة البراعة إذ هو نظم عذب الموارد مهذب المقاصد سلس العبارة رائع الإشارة ...)، وكان القماري يخرج من قرية قمار بوادي سوف نحو بسكرة كل سنة للقاء ركب الحج المغربي والاحتكاك والنهل من علم شيوخه، وفي السنة الموالية أي 1780م وفد على المدينة العلامة أحمد بن ناصر الدرعي والتقى بالقماري وقال فيه (الفقيه الفاضل الجامع لأشتات الفضائل المشارك المتقن والبارع المتفنن ذا الخلق الحسن سيدي خليفة بن حسن)⁶، كما زارها أيضا محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت1823م)، وهناك التقى بمجموعة من الأعلام كالسيد بركة، وصهره مصطفى بن رمضان، ومحمد بن الصالح، كما زاره بالمدينة كل من قاضي سيدي عقبة محمد بن الشيخ والذي كانت بينهما معرفة وصدقة

¹ رشيد زين العابدين: المرجع السابق، ص203.

² مصطفى العياشي: المرجع السابق، ص308.

³ صالح بوسليم وعمر بن قايد: المرجع السابق، ص273-274.

⁴ محمد الطيب الفاسي: المصدر السابق، ص99.

⁵ محمد الحضبيكي: الرحلة الحجازية... المصدر السابق، ص86.

⁶ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج1، المرجع السابق، ص450.

من قبل، والشيخ الفقيه سيدي ناجي بن محمد بن مبارك، وقد تذاكر معه الشيوخ والطلبة بعدد الأسئلة الفقهية، وأغلبها تتمحور حول بيع وشراء النخيل والتمر¹.

ومن أبرز مدن بسكرة التي كانت محل زيارة من قبل طلبة وعلماء المغرب الأقصى خلال العهد العثماني قرية سيدي عقبة بسبب تواجد ضريح الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري وأصحابه، ففي سنة 1662م وبعد عودة الركب المغربي من الحجاز والذي كان به الرحالة الفقيه عبد الله العياشي عرج الركب على سيدي عقبة أين زار ضريح وقبر عقبة بن نافع، كما استفسره سكان المنطقة حول المكوث أو الفرار من منطقة أصابها الوباء والطاعون، ومنها سار الركب المغربي حيث حط بقرية أولاد جلال وقد ذكر العياشي بأن هذه القرية الكبيرة كان بها مدرسة للطلبة المهاجرين²، وفي سنة 1710م عاد الركب المغربي من الحجاز أين حط الشيخ محمد بن ناصر الدرعي ومن معه بقرية سيدي عقبة أين وقف على قبره ودخل المسجد القريب منه وقدم وصفا تاريخيا لحملة عقبة بن نافع على بلاد المغرب وواقعة استشهاده، وقد لقي بها مفتي مدينة بسكرة سيدي أبا القاسم البسكري منفيًا من طرف عاملها، ومنها لقرية أولاد جلال وهناك التقى الشيخ أحمد بن ناصر بالفقيه سيدي عبد المعطي، وسيدي عبد الباقي، وسيدي محمد، وخرج سكانها يطلبون منه الدعاء³.

وفي سنة 1737م زار الرحالة أحمد الهلالي السجلماسي برفقة ركب الحج السجلماسي قبر وزاوية الصحابي الجليل عقبة بن نافع، وكان لهم هناك لقاء مع الشيخ سيدي مولاي عبد الرحمن⁴، كما زارها الرحالة والفقيه محمد الحضيكي السوسي (ت1775م)⁵، وفي سنة 1780م زار قرية سيدي عقبة الرحالة أحمد بن ناصر الدرعي، وهناك التقى مجدداً بالشيخ خليفة بن حسن القماري بعدما التقى به في بسكرة من قبل وقال فيه: (وكان ممن اجتمعنا به في هذه البلدة المباركة العلامة المسن البركة سيدي خليفة بن حسن السوفي نسبة إلى سوف قرية صحراوية على خمس مراحل من بسكرة)، وكانت بينهما مطارحة شعرية حول نظم وضعه الشيخ خليفة القماري على مختصر خليل سماه جواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل، وقد أعجب به الدرعي مع إبداء بعض التحفظات قائلا: (وأوقفني على نظمه لأبي المودة خليل، وزاد عليه بعض القيود والتنبيهات، وهو نظم سلس ولا بأس به غير أن صاحبه غير متمكن في الصناعة العروضية، وإنما للنظم سجية وهو زهاء ثمانية آلاف بيت)⁶.

¹ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص153.

² عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص522-524، 529.

³ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص710-713.

⁴ صالح بوسليم وعمر بن قايد: المرجع السابق، ص273-274.

⁵ محمد الحضيكي: الرحلة الحجازية، المصدر السابق، ص86.

⁶ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص83.

كما زارها أيضا محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت1823م) ودخل مسجد عقبة وقرأ به بعض من صحيح البخاري وتطرق لبعض كرامات وفتوحات هذا القائد العسكري¹، وبالإضافة إلى سيدي عقبة كانت قرية سيدي خالد تعتبر من أهم المحطات العسكرية المزارة من قبل الرحالة المغاربة خلال العهد العثماني، والهدف هو نيل البركة من ضريح خالد بن سنان، ففي سنة 1709م وصل الشيخ والعلامة محمد بن ناصر الدرعي لمدينة بسكرة، وكانت أول محطة له هي قرية سيدي خالد، وكان الدرعي يريد زيارة ضريح خالد بن سنان لكن تعذر عليه ذلك بسبب قطاع الطرق، فاكتفى بوصف العياشي لهذا الضريح وهذا الرجل الصالح الذي كان بمثابة النبي²، كما زارها الرحالة أحمد الهلالي السجلماسي سنة 1737م، ونزل بضريح خالد بن سنان وقال فيه: (وقد أشكل أمره علي ... فلم أجد عند أحد ما يشفي ولا رأيت خبره في تاريخ ولا تقييد ...)، ثم أنشد فيه شعرا:

إن ركب الحجيج يا ابن سنان ... خيموا منك في قريب مكان
ديدن الأسخيا وإنك منهم ... بذل جزل القراء للضيفان
وعليك السلام ما حل ضيف ... بكريم ففاز بالتحلان³

وعلى اثر الرحلة الحجازية للفقير محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت1775م) قام الراكب المغربي بزيارة قرية سيدي خالد ببسكرة، وقبر الولي خالد بن سنان واعتبره الحضيكي من أنبياء الله⁴، وكان الراكب المغربي بعد كل من بسكرة وسيدي عقبة وسيدي خالد يتوجه نحو قرية بنطيوس مسقط رأس العلامة والولي عبد الرحمن الأخضر، والذي كان له صيت واسع بالمغرب الأقصى خاصة كتابه السلم المرونق في المنطق، ففي سنة 1709م زار الشيخ والعلامة أحمد بن ناصر الدرعي ضريح الأخضر، وقدم فيه وفي مؤلفاته وصفا ومدحا⁵، كما عرج عليها الرحالة أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي سنة 1737م أين زار ضريح الأخضر وقال فيه: (... زرناه بالقلوب لعد تأتي الوصول إليه، وقبره مزارة عظيمة كان الحجاج قبل هذا يصلون إليه ويزورونه ...) ⁶، وكذلك الشأن لمحمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت1823م) الذي زار ضريح سيدي خالد، وتطرق لمسألة نبوة هذا الرجل التي يسردها العلامة عبد الرحمن الأخضر⁷.

¹ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص155.

² أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص134-158.

³ صالح بوسليم وعمر بن قايد: المرجع السابق، ص273-274.

⁴ محمد الحضيكي: الرحلة الحجازية... المصدر السابق، ص86.

⁵ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص134-158.

⁶ صالح بوسليم وعمر بن قايد: المرجع السابق، ص273-274.

⁷ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص150.

ومن أبرز واحات مدينة بسكرة خلال العهد العثماني خنقة سيدي ناجي¹، والتي عرفت استقطاب العديد من الرحالة والعلماء المغاربة بسبب زاوية المدينة الشهيرة، والتي كانت تسير من طرف أسرة علمية ودينية من أصول فاسية هي الأسرة الحافظية، ومن أشهر أفرادها أحمد بن محمد الهجرسي (ت القرن 18م) الذي صال وجال في الأوراس والزيبان قبل أن يحط رحاله بزريبة الوادي ببسكرة، والتي أسس بها زاوية ينشر فيها العلم والتصوف، وانتقل بعدها لخنقة سيدي ناجي أين أسس زاوية ثانية هناك، وتركها لأولاده وأحفاده بداية بعبد الحفيظ (ت 1850م) الذي تزعم الطريقة الرحمانية في المنطقة، وكان من أبرز المشاركين في ثورة الزعاطشة سنة 1848م²، ويذكر عبد الله العياشي لما زارها خلال القرن السابع عشر الميلادي بأن أهلها من أكرم الناس ولهم شغف بالعلم³، كما زارها الشيخ محمد بن ناصر الدرعي سنة 1710م والتقى بشيخ الزاوية عبد الحفيظ بن الطيب الذي فرح بهذه الزيارة ورافق الراكب إلى غاية مدينة بسكرة⁴.

كما حل بها أيضا الرحالة أحمد الهلالي السجلماسي سنة 1737م، ويعتقد بأنه تزوج بها وخلف أولادا، فقد ظهر بخنقة سيدي ناجي خلال القرن التاسع عشر أحد أحفاده وهو الشيخ عاشور بن محمد بن عبيد بن محمد المسعود بن أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي الذي ترك مصنفين منار الأشراف، والمنشور في رجال الشيخ عاشور⁵، وزارها الشيخ محمد الطيب الفاسي (ت 1757م) في طريقه للحجاز أين التقى مع أولاد وأحفاد شيخ الزاوية عبد الحفيظ بن سيدي ناجي⁶، وفي سنة 1780م وصلها ركب مغربي مهم يقوده الشيخ والفقير أحمد بن ناصر الدرعي، وقد خرج شيوخ وطلبة الزاوية لاستقباله والترحاب به كسيدي بلقاسم بن محمد بن المبارك، وسيدي محمد بن الهاني بن الحفيان، وسيدي عبد الحفيظ بن الطيب، وسيدي ناجي شيخ الزاوية، وسيدي محمد بن الطيب، وسيدي المبروك، وسيدي مسعود، والإمام سيدي أحمد بن عمرو، وسيدي رمضان⁷.

* مدينة توات:

وتعتبر من أهم المراكز الحضارية بعمق الصحراء الجزائرية⁸، كما كانت محطة مهمة للقوافل التجارية والحجازية المغربية¹، ومن الناحية الادارية والسياسية قام أترك الجزائر سنة 1579م بالزحف جنوبا نحو

¹ خنقة سيدي ناجي: نسبة إلى الشيخ الصالح الورع المبارك بن قاسم بن ناجي الحسني الإدريسي الذي قام بتشييد مدينة خنقة سيدي ناجي بشرق بسكرة خلال القرنين 16-17م، أنظر: (صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 489).

² فوزية لزغم: المرجع السابق، ص 227-229.

³ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج 2، ص 170، 121-122.

⁴ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص 710-713.

⁵ الهلالي عاشور: المنشور في رجال الشيخ عاشور، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1914م، ص 01.

⁶ محمد الطيب الفاسي: المصدر السابق، ص 102-103.

⁷ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص 159-160.

⁸ لتفاصيل أكثر عن تسمية مدينة توات وتاريخها الثقافي والديني، أنظر: (عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس، المصدر السابق، ص 16-17، عبد الله كروم: المرجع السابق، ص 21-29).

توات على اثر أمر هيمايوني من السلطنة العثمانية يطلب منهم فتوحات جديدة في إفريقيا جنوب الصحراء، ورغم علاقة المنصور الجيدة بالأتراك إلا أن الطرفين وقعا في احتكاك سنة 1583م، وكادت أن تتطور الأمور بينهما لولا تدخل السلطان العثماني، وهو ما جعل المنصور يأخذ قرار بالزحف على منطقة السودان وبذلك افتكاكها قبل أن تمتد أيادي الأتراك إليها²، وبقيت المنطقة تراوح مكانها بين الأتراك والسعديون لغاية سنة 1645م أين زحف الجيش المغربي على مدينة توات وضمها للدولة العلوية وإمارة سجلماسة حيث دخلها مولاي محمد الشريف ومكث بها حوالي أربعة أشهر، وبعد عودته للمغرب كلف القائد علي بجباية الضرائب منها لكن سكانها سرعان ما تمردوا على العلويون، وخلال القرن الثامن عشر الميلادي أخضعت توات للحكم التركي وفرضت عليها ضريبة سنوية تقدر بعشر محصول التمر، والذي كان يقدر بحوالي ثلاثمائة وتسعة حملا³.

وفي سنة 1800م توجهت سفارة من توات تتكون من أعيان المدينة نحو المغرب الأقصى يعترفون للسلطان سليمان العلوي بالتبعية حيث قدموا أعشراهم وزكواتهم لبيت المال المغربي، وهي إشارة بتمردهم على الحكم التركي بالجزائر⁴، وفي الجانب الثقافي انتشرت بمدينة توات العديد من الزوايا، والتي كانت تستقطب الطلبة والعلماء المغاربة لزيارتها والتبرك بأولياءها كزاوية المغيلي نسبة لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت1505م)، وقد عرفت هذه الزاوية بنشر الاسلام ومختلف العلوم الشرعية في افريقيا⁵، وضريح الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف باسم عريان الرأس تلميذ أبو عبد الله المكناسي المغربي، وزاوية أحمد بن موسى بقرية بني خلف بتوات⁶، وزاوية أوقروت التي شيدت سنة 1599م على يد الشيخ سيدي عمر بن صالح الوجرتي، وكانت تستقبل الطلبة والتجار والحجاج المغاربة⁷.

وقد عرفت مدينة توات منذ العصر الوسيط وفود عديد الشيوخ والأسر العلمية المغربية، فقد حظ الرحال بها الشيخ مولاي سليمان بن علي الحسني (ت1271م)، وقد أمره الشيخ علي بن حرزهم بالسفر لتوات ونشر العلم بها، وهو أول شريف إدريسي يزور توات وأول من شيد بها زاوية سنة 1208م، وقد تفرغ لتدريس اللغة العربية والقرآن الكريم والتصوف بهذه الزاوية، وبعد وفاته شيد سكان المدينة قبة على

¹ نور الدين بن عبد الله: (العمارة التقليدية بإقليم توات - القصر أنموذجا -)، مجلة كان التاريخية، ع 15، ص5، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الإمارات العربية المتحدة، 2012م، ص122-123.

² عبد الرحمن المودن: (تساؤلات حول موقف العثمانيين من الغزو السعودي للسودان)، ضمن ندوة المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص16.

³ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى الحج عام 1774م، ... المصدر السابق، ص124-125.

⁴ محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين ... المرجع السابق، ص121.

⁵ صلاح مؤيد العقي: المرجع السابق، ص343.

⁶ مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال الرحلات المغربية ... المرجع السابق، ص68-70.

⁷ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م، ... المصدر السابق، ص71-72.

ضريحه داخل الزاوية، وقد أصبحت مزارا لمختلف الطلبة والعلماء والمتصوفة المغاربة خلال العصر الوسيط والحديث¹، وقد رثاه أحد أعلام المدينة بعد وفاته قائلاً:

سيدي سليمان نجل علي ... وفسيل ابن حرزهم في الطريقة
قد حلت توات كالبدر يسي ... تهزم الظلمات منهم الشريقة
وملكت أزمة العز والتصريف ... فيها مع الصفات الأنيقة
وبسطت يديك بالوجود تعطي ... كل ذي أمال شيابا صفيقة
ومنحت الزوار كل مرام ... دوحه سر الغصون الوريقة
وهديت من الخلائق جما ... للهدى بعد هونهم بسحيفة²

كما زارها أيضا العلامة أبو يحيى بن محمد المنياري (ت1437م) نسبة لقبيلة منيارة بالمغرب الأقصى الذي نزل بتمنطيط سنة 1412م وتولى قضاء الجماعة بها، وفي سنة 1485م نزلت بتوات عائلة الباز الفاسية فرارا من سلاطين الدولة الوطاسية، ونخص بالذكر عمر بن محمد الباز وولده الفقيه ميمون بن عمرو الباز (ت1496م)³. هذا الأخير يعتبر أول من أدخل مختصر خليل لتوات وعاصر الشيخ العصنوني وصاهره، وقد دار خلاف بينه وبين طلبة توات حول إحدى النوازل الفقهية، فعاد الشيخ ميمون لفاس وجاء لهم بمختصر خليل وأجوبة ابن غازي في هذه النازلة، ومن هناك زادت شهرة هذا العالم بالمنطقة، وقد توارث أولاده وأحفاده العلم والفقه والتصوف واشتهرت زاويتهم المعروفة باسم البكريين بتمنطيط⁴، وخلال القرن الخامس عشر الميلادي وفد على منطقة توات القاضي أبو يحيى بن محمد من المغرب الأقصى⁵.

كما عرفت توات أيضا وصول عائلة شريفة مغربية سنة 1522م تسمى بعائلة هاشم وأقامت بقصر بويحي بتوات، وفي 1705م قرر أحد أحفاد هذه العائلة القاطنين بالمغرب الأقصى القيام برحلة إلى توات وتقصي أخبار أجداده هناك، ويسمى بالشريف مولاي أحمد بن هاشم، وقد زار زاوية الكنتة وأقرأ بها بعض من صحيح البخاري وتاريخ الأشراف بالمغرب، وبعدها توجه نحو زاوية محمد بن عبد الكريم المغيلي، وقد اطلع على مؤلفات المغيلي بمكتبة الزاوية⁶، وبنهاية القرن السادس عشر الميلادي وصل لتوات الشيخ ابن عمر الجزولي أحد أبناء محمد بن سليمان الجزولي الشهير أين شيد بها زاوية بدرين، وكانت هذه الزاوية تابعة

¹ فتيحة حلوي: فن فهرسة المخطوطات العربية الإسلامية خزنة كوسام بمنطقة أدرار نموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2016م، ص254، 257.

² أحمد بابا الصافي الجعفري: الحركة الأدبية في أقاليم توات بين القرنين 07-13هـ، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص68.

³ زينب سالمي: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرنين 08-10هـ، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2012م، ص37-40، عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى الحج عام 1774م.... المصدر السابق، ص225.

⁴ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس.... المصدر السابق، ص41، عبد الرحمن بن حسان: أدب الإجازة في إقليم توات خلال القرنين 19-20م، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 2014م، ص32.

⁵ أحمد بابا الصافي الجعفري: المرجع السابق، ص30.

⁶ محمد ماكامان: المرجع السابق، ص101-102.

للطريقة الجزولية¹، ومن علماء وشيوخ المغرب الأقصى الذين حطوا رحالهم بالزاوية الرقادية الكنتية بتوات نذكر كل من الشريف عبد الله بن محمد البوشنتوفي، والشيخ أبو عبد الله بن عبد الجبار الفجيجي، والشيخ الصديق بن عبد الله الوجدي².

وفي سنة 1630م وفدت على مدينة توات قافلة مغربية متجهة للحجاز، وقد مكث هذا الوفد بمدينة توات حوالي سبعة عشر يوماً، وكان تضم كل من الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج والملقب بابن مليح، والفقيه محمد بن أحمد بابا التنبكتي القادم من بلاد السودان والفقيه محمد بن عبد العزيز الدرعي³، وفي إطار رحلات أبو سالم العياشي الحجازية مر بمدينة توات سنة 1661م، ومكث بها مدة ستة أيام من أجل التجارة وتغيير العملة وراحة القافلة، وكان برفقه الشيخ إبراهيم بن محمد السوسي، والشيخ محمد بن محمد الحفيان السجلماسي، وقد صلى الوفد صلاة الجمعة بمسجد المدينة، ويذكر العياشي بأنه لم يجد رجل علم هناك ليتناقش معه، كما أقرب بحسن خطبة إمام مسجد توات، وقد تقدم طلبه توات للعياشي بسؤال فقهي حول تطليق الرجل لزوجته من أجل كسر شدتها وقسوتها مع بقاء هذه المرأة تحت عصمته ومنعها من الزواج، وأن بعض فقهاء توات أجازوا بصحة هذا الطلاق، وهو ما عارضه العياشي مستنجداً برأي الشيخ والفقيه عبد القادر الفاسي.

كما زار العياشي قبر ولدها الصالح محمد بن صالح عريان الرأس⁴، ومن أعلام درعة الذين حطوا رحالهم بمدينة توات سنة 1734م الشيخ أبو عبد الله الدرعي أين التقى بالشيخ عبد الرحمن بن عمر التواتي، وأخذ عنه صحيح البخاري وصحيح مسلم وكتاب الشفاء والجامع الصغير وبعض المتون الأخرى، كما أجازته في كل مروياته⁵، ومن أعلام مدينة توات الذين يعود أصولهم للمغرب الأقصى نجد الشيخ والفقيه محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم الشهير باسم أبا حيدة ولد سنة 1770م، وترك مؤلفاً يسمى القول البسيط في أخبار تمنطيط⁶، ومن أعلام سجلماسة الذين حطوا رحالهم بتوات خلال القرن الثامن عشر الميلادي نجد الشيخ عبد الرحمن السجلماسي الذي أسس زاوية بالمنطقة، ورغم رحيله إلى السودان والحجاز إلا أنه عاد للمنطقة

¹ فتيحة حلوي: المرجع السابق، ص 254، 257.

² عمر بن عبد القادر التواتي: المصدر السابق، ص 44.

³ محمد السراج: المصدر السابق، ص 29.

⁴ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج 1، ص 38، 43.

⁵ سالم بوتدارة: (الرحلات والمناظرات العلمية بالجزائر الحديثة - منطقة توات أنموذجاً -)، مجلة الحوار المتوسطي، ع 12-13، جامعة سيدي بلعباس، 2017م، ص 67.

⁶ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م، المصدر السابق، ص 76.

وتولى أولاده وأحفاده تسيير هذه الزاوية، وكانت مهمتها استقبال الحجاج والقوافل التجارية وتعليم الصبيان العلوم الشرعية، وقد سميت الزاوية بأحد أولاده وهو محمد بن الحاج بن أبي نعام¹.

* قصر بوسمغون:

يقع هذا القصر بمنطقة البيض بالجنوب الغربي للجزائر نسبة إلى أحد الأولياء الصالحين وهو أحمد أبي سمغون، وهو رجل صالح من المغرب الأقصى كان في طريقه إلى الحج قبل أن يقرر الاستقرار هناك بطلب من أعيان وساكنة المنطقة، وبعد وفاة أحمد أبي سمغون خلفه سيدي عبد القادر بن محمد المكنى بسيدي الشيخ (ت1630م) الذي وفد من المغرب الأقصى على القصر، وأسس زاوية أصبحت بمثابة الإشعاع الثقافي والديني الكبير، ومحطة لدى الرحالة والحجاج المغاربة²، ومن الناحية السياسية قام مولاي اسماعيل بالزحف على قصر بوسمغون وتمكن من السيطرة عليه وأقام به حامية عسكرية لمدة ثلاث سنوات (1710-1713م)، وقد شهد هذا القصر حدث تاريخي ساهم في شهرته أكثر وهو تأسيس الطريقة التيجانية على يد الشيخ أحمد التيجاني سنة 1782م الذي مكث به مدة سبعة عشر سنة (1781-1798م)، وبعد عودة ولديه محمد الكبير ومحمد الصغير من مدينة فاس اثر وفاة والدهما سنة 1815م قرر محمد الكبير الاستقرار بعين ماضي بينما فضل محمد الحبيب أو الصغير الاستقرار بقصر بوسمغون، ومنه أعلن الثورة على الأتراك سنة 1826م³.

وقد شيدت بهذا القصر العديد من المؤسسات الثقافية والدينية وبالخصوص المساجد والزوايا، وهو ما جعله محطة للرحلات الحجازية المغربية⁴. حيث يذكر عبد الله العياشي في الرسالة التي خطها لتلميذه المجيلدي والمعروفة بالرحلة العياشية الصغرى يوصيه فيها بالتزود بالمؤونة من بوسمغون⁵، وفي سنة 1709م وفي رحلة حجازية للشيخ محمد بن ناصر الدرعي عرج على مدينة بوسمغون، فاستقبله الشيخ بن مرابط مفتاحي الذي أكرم الركب بداره ذهابا وإيابا، وقد ذكر الدرعي بأنه صديق لوالده محمد من قبل إلا أنه لم يذكر شيء عن علمه وفقهه، وكذلك الشأن للشيخ محمد بن عيسى بأحواز بوسمغون الذي استقبل الركب وأكرمهم لكنه لم يذكر عنه معطيات كثيرة، وفي المقابل فقد التقى الدرعي بطالب علم من بوسمغون كان يشتغل كدليل في الصحراء وكان حافظا للقرآن وملما ببعض العلوم، كما كانت له سفريات عديدة بين الحواضر الجزائرية والمغربية كفاس ومراكش وتارودانت وتادالا، ولما عاد الدرعي من الحجاز سنة 1710م حط

¹ مختار حساني وبشار قويدر: فهرس مخطوطات ولاية أدرار، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، 1999م، ص22.

² منى دحمون: قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثرية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005م، ص26، 23، 13.

³ محمد الكبير فريقي: المرجع السابق، ص310-311.

⁴ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص532-533.

⁵ محمد الكبير فريقي: المرجع السابق، ص308-309.

رحاله بمدينة بوسمغون، وقد مكث بها بعض الوقت وتمكن من الاصلاح بين قبائل أولاد سليمان وأولاد موسى وأولاد نقي بعد سنوات طويلة من التناحر والخلاف، وهي نقطة تحسب لهذا الرحالة الفقيه¹.

كما مر على بوسمغون الرحالة والعلامة أحمد الهشتوكي (ت1714م) صاحب رحلة هداية الملك العلام إلى البيت الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، وقد أعاب كثيرا على نسائهن الخروج ليلا ونهارا للبيع والشراء متبرجات من دون حجاب شرعي²، وزار أيضا الرحالة والعلامة أحمد الهلالي السجلماسي سنة 1737م³، وهناك التقى ببعض طلبة بوسمغون وطرحوا عليه أسئلة فقهية مختلفة⁴، ومربه الفقيه والرحالة محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت1775م) إثر رحلته الحجازية، فبعد سجلماسة وفكيك والقنادسة حط الركب المغربي رحاله بقصر بوسمغون، وهي بلاد ذات أشجار ومياه على حد وصف الحضيكي⁵، وبأحواز بوسمغون نجد مدينة فكيك الجزائرية التابعة لمنطقة البيض، والتي اشتهرت بزواية سيدي الشيخ نسبة لعبد القادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ (ت1615م) والملقب بقاضي الصحراء، وقد خلفه على رأس الزاوية ابنه الشيخ أبو حفص الذي عرف بالزهد والورع وحب الجهاد وكثرة التردد على الحرمين الشريفين⁶، ونفس الشيء يقال عن مدينة سوف، وهي إحدى واحات الصحراء الجزائرية، والتي كانت محطة مهمة ضمن الرحلات المغربية الحجازية⁷.

¹ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص128-129، 726.

² مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص288.

³ صالح بوسليم وعمر بن قايد: المرجع السابق، ص273.

⁴ أحمد بحري: الجزائر في عهد الدايات دراسة في الحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج3، دار الكفاية، الجزائر، 2013م، ص135-136.

⁵ محمد الحضيكي: الرحلة الحجازية... المصدر السابق، ص83.

⁶ صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص359.

⁷ ابراهيم محمد العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م، ص41-43.

الفصل الثالث:

مظاهر الصلات الحضارية بين البلدين

- انتقـال المصنـفات العلمـية
- II- الرسائل والإجازات مصدر لتبادل الثقافات
- III- حركة الـجدل والمناظرات العلمـية

ارتبطت ظاهرة التواصل والتلاقح الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى عبر انتقال المصنفات على مختلف أنواعها - علوم عقلية أو نقلية، قديمة أو حديثة، مغربية محلية أو مشرقية وافدة -، وذلك عبر طرق مختلفة بداية بأصحاب هاته المؤلفات أنفسهم بعد تحريرها ونسخها في المدن التي زاروها أو استقروا بها، أو عبر تلامذتهم حفظا في الصدور أو نقلا عبر الأوراق والسجلات¹ حيث تمكنت هذه المصنفات من فتح فضاء واسعاً لمختلف التيارات الفكرية والمذهبية والعلمية بين البلدين، وقد غلب على هذه المصنفات المتداولة بين البلدين خلال العصر الحديث تلك المؤلفات المعروفة بالشروح والحواشي والأذيال والطرر في مختلف الفروع العلمية الفقهية والصوفية أو الأدبية واللغوية على حساب الاجتهاد والإبداع الذي كان سائداً قبل ذلك².

أولاً/- طبيعة المصنفات المتداولة بين البلدين:

لا يقتصر مفهوم الوحدة بين الجزائر والمغرب الأقصى في وحدة الجغرافيا والتاريخ والدين واللغة والعادات والتقاليد بل يتعدها للوحدة الفكرية والثقافية من خلال المصنفات والمؤلفات السائدة في حواضر البلدين والتي تترجم بحق ذلك التمازج الحضاري³.

* ظاهرة المصنفات التقليدية بمنطقة المغرب:

إذا كان التقليد وصل لبلاد المغرب مع القرن الرابع والخامس عشر الميلادي، فإن المشرق عرف هذه الظاهرة مع القرن الحادي عشر الميلادي، وزادت حدته مع القرن الثالث عشر الميلادي وبالضبط بعد سقوط الدولة العباسية. هذه النكبة السياسية كان لها انعكاس كبير في المجال الثقافي والفكري⁴، ولما وصلت ظاهرة التقليد لبلاد المغرب حذر العلامة محمد المقرئ منه حيث يقول: (ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها ...، فكثرت التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوى تنقل من كتب لا يدرى ما يزيد فيها ما نقص منها ...)⁵، وإذا عرفنا بأن محمد المقرئ عاش في القرن عشر الميلادي فإننا ندحض بذلك الفكرة التي تروج بأن المختصرات الفقهية والعلمية ظهرت مع القرن السادس عشر الميلادي أي مع الأتراك، كما يعتبر محمد السنوسي من كبار علماء القرن الخامس عشر الميلادي الذين حاربوا ظاهرة التقليد واعتبره أحد الأسباب التي ساهمت في تراجع الحركة الفكرية والمعرفية، وقد أدى إلى كسل وخمول العلماء وبذلك تراجع الاجتهاد والتجديد، وقد اعتبر السنوسي التقليد باب يؤدي

¹ الحسن الصادق: المرجع السابق، ص251-252.

² عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص46-47.

³ رشاد الحمزاوي: (وحدة المغرب العربي كما تظهر من الآثار الأدبية الكلاسيكية)، ضمن أعمال ملتقى بناء المغرب العربي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1985م، ص109.

⁴ محمد عبد السلام كفاي: الحضارة العربية طابعها ومقوماتها العامة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1970م، ص83.

⁵ محمد أبو الأجناف: الإمام أبو عبد الله محمد المقرئ التلمساني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م، ص185.

بصاحبه إلى الكفر ما لم يكن عارفا مدركا بمقتضيات الأحوال، وجعل بذلك التقليد من الشبهات التي يجب على العلماء تجنبه بل وقد ربط التقليد بالجهل وقال بأنهما عاملين خطيرين ومتساندين¹.

ويعتبر ابن مريم التلمساني بأن ظاهرة التقليد بمنطقة المغرب ظهرت مع وفاة الشريف التلمساني (ت1422م) الذي يعتبر آخر الأئمة الراسخين المجتهدين²، وبحلول القرن السادس عشر الميلادي ساد بمنطقة المغرب مصنقات التيار الشعبي التي تهتم بحياة العامة والعلماء من كتب التراجم والمناقب والطبقات والأنساب إضافة لكتب الفقه والنوازل والرحلات والشروح والمختصرات على حساب التيار الكلاسيكي المشهور بالتيار الرسمي، وهو الذي كان سائدا من قبل خلال العهد الموحدى وبعده المريني والزياني المهتم بإنجازات السلطة والحكام على حساب العامة والعلماء³، وأثناء رحلة الورثياني الحجازية عرج على خنقة سيدي ناجي بأحواز بسكرة، وما لاحظته هناك هو شيوع تدريس الفقه والحديث والنحو مقابل اهمال تام لعلم الكلام والمنطق، ويعتبر الورثياني ذلك حرمانا بينا وخذلانا متمكنا وقساوة جلية، فالدليل العقلي ضروري لإدراك ومعرفة الكثير من الحقائق التي لا يكفي فيها الدليل النقلى⁴.

ويقر كل من أبو القاسم سعد الله وأحمد توفيق المدني بأن ما ميز الحياة العلمية والثقافية بالجزائر العثمانية هو شيوع ظاهرتين أساسيتين تتمثلان في انتشار العلوم النقلية المتعلقة بالعلوم الشرعية على حساب العلوم العقلية، وظاهرة انتشار التصوف الذي تحول إلى دجل ودروشة. هذا النوع من الظواهر الثقافية أدى إلى تدهور الحياة العلمية وعطل من درجات الاجتهاد لدى العلماء لكن أحمد المقري يرى بأن انتشار ظاهرة العلوم النقلية على حساب العلوم العقلية لم يكن وليد القرن السادس عشر الميلادي وإنما سبقه بقرون، كما عمت كل البلدان العربية والإسلامية وليس الجزائر فقط⁵، ويذكر العلامة ابن ميمون الغماري الذي درس بالقرويين نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بأن طالب القرويين الذي لا يحفظ النص يقال له من لم يحفظ النص فهو لص وبذلك انكب الطلبة على علم الرواية وهمشوا علم الدراية⁶، ويدعم رأيه هذا عبد القادر الراشدي في مؤلفه علم الاجتهاد والأصول فيقول:

خبر عني المؤول بأني ... كافر بالذي قضته العقول
ما قضته العقول ليس من الد ... ين إنما الدين ما حوته النقول⁷

¹ سعيد عيادي: المرجع السابق، ص188.

² عبد الرزاق قسوم: المرجع السابق، ص22.

³ أحمد الوارث: (موقف الحسن الوزان من الصوفية والأولياء - إرهابات لفكر مغربي متنور -)، مجلة الفكر الديمقراطي، ع11، الجزائر، 1990م، ص205.

⁴ عبد الرحمن عزي: التواصل القيمي في الرحلة الورثيانية، منشورات كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م، ص82.

⁵ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص127.

⁶ عبد الهادي التازي: جامع القرويين...، ج2، المرجع السابق، ص413.

⁷ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر...، المرجع السابق، ص127.

ويذكر المؤرخ أبيان في كتابه المغرب اليوم بأن طلبة القرويين وفاس عموما كانوا يهتمون بالعلوم النقلية على حساب العلوم العقلية لسببين، فطلبة فاس المغاربة كانوا يسارعون لدراسة العلوم الأدبية من أجل تولي مناصب حكومية بينما كان الطلبة الأجانب يدرسون العلوم الدينية لتولي مناصب الفتوى والقضاء والخطابة والتدريس والامامة بمختلف المدن المغربية¹، وقد لخص لنا عبد الله العلوي التنوع الثقافي بالمغرب الأقصى عبر العصور، فعندما سادت ثقافة الفقه خلال عهد المرابطين انتشرت الثقافة المذهبية التي حدت من سيطرة التيار السني خلال عهد الموحدين، وخلال العهد المريني عرف المغرب أوج ازدهاره الثقافي والحضاري حيث برزت ظاهرة الابداع وسادت روح الابتكار لدى الطلبة والشيوخ بينما عرف المغرب الأقصى خلال القرن السابع عشر الميلادي وما بعده منهج الإتياع والتقليد والتلخيص والشروح على حساب التعمق والاجتهاد والابداع، كما أن طريقة التدريس انحصرت بين اللقاء والاقراء والتلقين والحفظ، وخلت من المناقشات والمساجلات والمناظرات في المجالس. أما منهج التأليف فقد اعتمد على الرواية أكثر من منهج الدراية، فالرواية تعتمد على التأكد من صحة الأقوال والمتن والسند أما الدراية فهي التي تعتمد على النقد والتمحيص².

ويرى الرحالة العياشي بأن انتشار هذه الظواهر من المصنفات العلمية بمنطقة المغرب يعود إلى الانحطاط والضعف الفكري والكسل والخمول والتقليد الذي كان يدب في نفسية علماء المغرب، ونتيجة للتزلف من طرف العلماء الذين نزلوا بمستوياتهم للعامة بشرح المؤلفات واختصارها لعدم فهمها³ عكس الجدال والسجال الفكري والثقافي الذي كان يميز منطقة المشرق، وهذا ما جعله يتعد عن التأليف ومناقشة هذه المسائل لصعوبة فهمها من طرف مجتمعه المغربي، وقد عبر عبد الله العياشي عن رأيه هذا في أبيات قائلا:

يا أيها الأدب المزجي مطية ... من بلد صارفيه خامل الذكر
أني أودعك الله فلا أحد ... يبكي عليك سواي من بني الدهر⁴

* ظاهرة الشروح والمختصرات والحواشي:

يعتبر الفضيل بن سلمة الأندلسي (ت931م) أول من شرع في عملية الشروح والمختصرات حيث وضع مختصر على مدونة الإمام مالك، وهو ما فتح الباب على مصرعيه أمام العلماء والشيوخ لنهج هذا السبيل في التصنيف⁵، ولم تكن ظاهرة المختصرات والشروح مقتصرة على بلاد المغرب فقط بل كانت في مختلف

¹ رشيدة برادة: المرجع السابق، ص17-18.

² عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص46-47.

³ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص88-89.

⁴ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص107، 310.

⁵ العربي إكبينغ: دراسات في تاريخ المغرب، ط1، مطبعة أميمة، المملكة المغربية، 2008م، ص154-155.

المناطق العربية، فعبد الله بن هشام (ت1360م) بمصر ألف تسعة عشر كتاب ثمانية منها عبارة عن شروح¹، وقد استنكر العلامة محمد المقرئ انتشار ظاهرة الشروح والمختصرات خلال القرن الرابع عشر الميلادي حيث قال: (كان أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار فافتصروا على حفظ حظه وأفنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح)، وقد ارتبطت المختصرات والشروح والحواشي لأول مرة بالمصنفات الفقهية المالكية وبالخصوص المذهب المالكي خلال القرن التاسع الميلادي وذلك بسبب الصعوبات التي كان الطلبة يلاقونها في فهمها، ومع حلول القرن الرابع عشر الميلادي أصبح لهذه المصنفات رواجاً كبيراً بسبب الكسل والخمول الذي طبع طلبة المغرب واستسهالهم لهذه المصنفات²، وهو ما ساهم في ضياع المصنفات الأصلية والتي أصبحت لا تلقى اهتماماً يذكر، وهو ما عارضه كل من محمد المقرئ ومحمد بن ابراهيم الآبلي³.

ويرى بوزياني الدراحي بأن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء ظهور المختصرات والحواشي والشروح في منطقة المغرب هو النفوذ المتزايد للمتصوفة والمرابطين الذين ساهموا في نشر الكسل والخمول في نفسية الطلبة الذين تركوا المساجد والمدارس واعتكفوا في الزوايا⁴، وقد انتشرت الحواشي والمختصرات والشروح بطلب من الطلبة بعد أن صعب عليهم الأمر لقراءة وفهم بعض المؤلفات خاصة المتعلقة بالمنطق والعقائد وعلم الكلام حيث يذكر العلامة مصطفى الرماصي بأن البعض طلب منه شرح صغرى السنوسي فقال: (رغب مني بعض الاخوان جمعني الله وإياهم في فراديس الجنان ومتعني وإياهم برؤيته من غير مؤاخذه ولا امتحان أن أضع عليها شرحاً فأجبتهم فيما رغبوا وأسعدتهم فيما طلبوا)⁵، وإذا رد الرماصي على طلب تلاميذه بنثر فان عبد الرحمن الأخضرري رد على طلبته بنظم حول مؤلفه الجوهر المكنون فيقول:

وقد دعا بعض الطلاب ... لرجزيهدي إلى الصواب
فجئته برجزمفيد ... مهذب منقح سديد
ملتقطاً من درر التلخيص ... جواهرها بديعة التلخيص
سلكت ما أبدي من الترتيب ... وما ألوت الجهد في التهذيب
سميته جواهر المكنون ... في صدف الثلاثة الفنون⁶

¹ رشيدة برادة: المرجع السابق، ص12-13.

² بوزياني الدراحي: عبد الرحمن الأخضرري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، دار بلاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص31.

³ عبد العزيز فيلاي: (التيارات الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع6، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 1999م، ص294-303.

⁴ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص14-15.

⁵ محمد أبي راس الناصري: التحلل السندسية... المصدر السابق، ص75.

⁶ بوزيان الدراحي: المرجع السابق، ص31-32.

وما زاد الطين بلة هو انتشار ظاهرة شروح الشروح ومختصر المختصر والذيل على الذيل مثلما حدث مع محمد الطيب القادري الذي وضع مؤلفا سماه التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، وفي الأصل هو تذييل لمؤلف أحمد بن القاضي والمعروف باسم لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد هذا الأخير الذي ذيل به عمل ابن قنفذ القسنطيني الشهير شرف الطالب في أسمى المطالب¹، وأصدر البعض من العلماء الشروح والحواشي في محاولة منهم لإعادة المعنى الحقيقي للنص الأصلي بعد ظهور وعموم المختصرات²، وقد انتقلت ظاهرة الشروح والمختصرات إلى التصوف حيث وضع الحسين الورثيلاني شرح لقصيدة عبد الرحمن الأخضرى والمعروفة باسم القدسية، كما اهتم أحمد بن قاسم البوني بالأدعية والأذكار في مصنف سماه تلقيح الأفكار بتنقيح الأذكار³، وقد ترك العلامة عبد الرحمن الأخضرى ما يقارب ثلاثين مصنف أغلبها شروح وحواشي تنوعت بين الحساب والفلك والمنطق والعقيدة والفقه واللغة⁴، كما انتقلت المختصرات من المؤلفات الفقهية إلى القصائد أين أصبح الشعراء يختارون العبارات المنمقة المزيجة بالسجع والجناس على حساب المعنى ما ساهم في انتشار الشعر الديني المعروف بالمديح والبردة⁵.

* أصناف العلوم المدرسة بالبلدين:

ان مفهوم العلم باعتباره تحصيلاً لسن قواعد اجتماعية وإماما بمعارف ثقافية وإبداعاً لرؤى ذاتية، فقد اقترن وارتبط العلم بالدين بمنطقة المغرب خلال العصر الحديث، وبذلك أصبح كل متدين ومهتم بأمور الدين كالتفسير والحديث والأصول والفقه يسمى بالعالم والعلامة⁶.

- العلوم الدينية:

ما ميز العلوم النقلية بالجزائر خلال العهد العثماني أن التعليم الديني بمختلف علومه (القرآن والتفسير والحديث والأصول والفقه ...) كان معتمداً من طرف الدولة العثمانية ليس بالجزائر فقط. بل ببقية أرجاء الخلافة من أجل تثبيت المعتقدات السننية للصمود في وجه البدع الشيعية بالمشرق والمسيحية بالمغرب⁷، وقد كانت هذه العلوم والمصنفات تدرس بالمساجد والزوايا، ويتدرج الطالب في دراستها من البساطة المتمثلة في الحفظ القرآني نحو الأجرومية لمعرفة العربية، وفهم لمنظومة ابن عاشر الأندلسي في الفقه والعقيدة ثم

¹ محمد القادري: المصدر السابق، ص 86.

² رشيد برادة: المرجع السابق، ص 13، عبد العزيز فيلال: التيارات الفكرية... المرجع السابق، ص 303.

³ محمد أبي راس الناصري: الحلل السنديسية... المصدر السابق، ص 86.

⁴ الدراحي بوزياني: المرجع السابق، ص 18-19.

⁵ أحمد المقرئ: الرسائل... المصدر السابق، ص 88-89.

⁶ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص 41.

⁷ أحمد المقرئ: المصدر السابق، ص 83-84.

ينتقل إلى الإمام بالتفسير وعلوم القراءات والحديث والفقہ المالكي وصولاً إلى المختصرات كرسالة ابن زيد القيرواني ومختصر خليل والسنوسي والمدونة ثم علم الفرائض مقروناً بالحساب وصولاً إلى التوحيد من عقائد السنوسي ومؤلفات الأشعري والجويني¹.

التفسير:

اعتمد علماء هذا العصر على المصنفات السابقة في تدريس التفسير وبالخصوص تفسير الثعالبي، وتفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، وتفسير البيضاوي، وتفسير الطبري، وتفسير أبي حيان، وتفسير الماوردي، وتفسير القشيري، وتفسير الرازي إلى جانب تفسير الخروبي المسمى برياض الأزهار وكنز الأسرار²، وبرز في الجدول التالي أهم التفاسير المعتمدة من قبل طلبة وعلماء الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
تفسير الطبري	محمد بن جرير الطبري	923م	المشرق
تفسير الماوردي	أبو الحسن الماوردي	1058م	المشرق
تفسير القشيري	عبد الكريم القشيري	1072م	المشرق
تفسير الزمخشري	محمود الزمخشري	1143م	المشرق
تفسير ابن عطية	عبد الحق ابن عطية	1146م	الأندلس
تفسير الفخر الرازي	فخر الدين الرازي	1209م	المشرق
تفسير البيضاوي	عبد الله بن عمر البيضاوي	1286م	المشرق
تفسير الثعالبي	عبد الرحمن الثعالبي	1471م	المغرب
تفسير الخروبي	محمد بن علي الخروبي	1554م	المغرب

القراءات:

وفي علم القراءات كانت تدرس كل من كتب النووي، وابن الجزري، ومورد الظمان للخراز، وتأليف الداني، وكتاب القراءات لابن مجاهد، وكتاب البيان في القراءات السبع لأبي طاهر المقرئ، والتمهيد لابن غلبون، والشاطبية، والعقيلة للشاطبي، ودرر ابن بري، وتأليف أبي داود بن نجاح، وسنحاول في الجدول التالي إبراز المصنفات المرتبطة بعلم القراءات والتي كانت تدرس بكل من الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث:

¹ عبد المجيد ميزان: المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1986م، ص16.

² المهدي البوعبدلي: (اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات)، مجلة رسالة المسجد، ع8، ص01، سطيف، الجزائر، 2004م، ص13.

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
كتاب القراءات	أحمد ابن مجاهد البغدادي	935م	المشرق
جامع البيان	أبو طاهر عبد الواحد	960م	المشرق
الأرجوزة المنبهة	أبي عمرو عثمان الداني	1053م	الأندلس
الشاطبية	أبو محمد القاسم الشاطبي	1193م	الأندلس
مورد الظمان	محمد الخراز	1318م	المشرق
درر ابن بري	علي ابن بري التازي	1329م	المغرب
الجزرية	محمد ابن الجزري	1429م	المشرق
تحبير التيسير	محمد ابن الجزري	1429م	المشرق

الحديث:

لقد برز في علم الحديث عديد العلماء بالجزائر العثمانية كمحمد بن علي أقوجيل الذي ترك مصنفا في صحيح البخاري يسمى بعقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع¹، ومن ناحية المصنفات فقد كانت تدرس كل من صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وموطأ مالك، وسنن البيهقي، وشمائل الترمذي، والشفاه للقاضي عياض، ومسند أبي حنيفة، ومسند أحمد، ومسند الشافعي، وتآليف ابن حجر، وتآليف السيوطي، والأربعين نووية، وفي الجدول التالي قائمة لأبرز المؤلفات التي كانت تدرس بالجزائر والمغرب الأقصى في علم الحديث:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
الموطأ	مالك بن أنس	795م	المشرق
صحيح البخاري	محمد البخاري	869م	المشرق
صحيح مسلم	أبي الحسن ابن مسلم	874م	المشرق
سنن أبي داود	أبو داود السجستاني	889م	المشرق
جامع الترمذي	محمد بن عيسى الترمذي	911م	المشرق
سنن النسائي	أحمد بن شعيب النسائي	917م	المشرق
كتاب الشفا	القاضي عياض اليحصبي	1149م	المغرب
الأربعون النووية	يحي بن شرف النووي	1277م	المشرق
المسند	أحمد بن حنبل	1403م	المشرق

¹ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص75.

السير والمغازي:

وقد كانت تدرس كل من سيرة ابن هشام، وسيرة ابن اسحاق، ومغازي ابن عائد، ومغازي الواقدي، وألفية العراقي، وسيرة ابن سيد الناس اليعمري، وسيرة الحلبي، وسيرة الشامي، والخلاصة للمحب الطبري، والاكتفاء لأبي سالم الكلاعي، وفي الجدول التالي قائمة للمصنفات التي كانت تدرس بالجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
السيرة النبوية	عبد الملك بن هشام	862م	المشرق
السيرة النبوية	محمد ابن اسحاق	768م	المشرق
كتاب المغازي	محمد بن عائد	847م	المشرق
كتاب المغازي	محمد بن عمر الواقدي	822م	المشرق
ألفية العراقي	عبد الرحيم الحافظ العراقي	1403م	المشرق
سيرة ابن سيد الناس	ابن سيد الناس اليعمري	1333م	المشرق
الاكتفاء في مغازي المصطفى	سليمان بن موسى الكلاعي	1237م	الأندلس

الفقه ونوازله:

ومن أبرز المصنفات الفقهية التي كانت متداولة بكل من الجزائر والمغرب الأقصى نجد كل من المدونة، والتهذيب، ومصنفات ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، ومؤلفات ابن الجلاب، والذخيرة للشهاب القرافي، وتأليف الزرقاني، وتأليف أبي الحسن المالكي المصري، ومؤلفات التتائي، وتأليف ابن عرفة، وتأليف بن شاش، وتأليف ابن رشد، ولامية الزقاق، ومؤلفات الطرطوشي، وتحفة ابن عاصم الغرناطي، والمرشد المعين لابن عاشر، ومختصر ابن الحاجب، وجمع الجوامع للسبكي، وفي الجدول التالي قائمة للمصنفات التي كانت تدرس بالمساجد والزوايا الجزائرية والمغربية:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
الرسالة	ابن أبي زيد القيرواني	996م	المغرب
مختصر منتهى السؤل والأمل	عثمان ابن الحاجب	1249م	المشرق
الحكم العطائية	ابن عطاء الله السكندري	1309م	المشرق
المدخل إلى تنمية الأعمال	عبد الله الفاسي	1336م	المغرب
مختصر خليل	خليل بن اسحاق	1365م	المشرق
شرف الطالب	ابن قنفذ القسنطيني	1407م	المغرب

المغرب	1478م	يحي المازوني	الدرر المكنونة في نوازل مازونة
المغرب	1508م	أحمد الونشريسي	المعيار المعرب
المغرب	1631م	عبد الواحد ابن عاشر	المُرشد المعين

العقائد:

ويسمى أيضا بعلم أصول الدين وعلم التوحيد كعقائد محمد السنوسي وبالخصوص أم البراهين¹، ونظم ابن زكري، وتأليف العضد، ومصنفات الأشعري، وتأليف الدواني، والمنظومة الجزائرية لأحمد الجزائري، ومن أجمل ما قيل في علم أصول الفقه أبيات أحمد المقري:

ولعلم أصل الدين مشهور الشرف ... وخيره المنشور ماله طرف
وكيف لا وهو مفيد للورى ... علما بمن أنشأهم وصورا
وحكمه على البرايا انحتما ... وبالنجاة فاز من له انتى
لأنه بنوره ينقد من ... ظلمة تقلد كنفه ضمن²

ومن أبرز المصنفات التي كانت متداولة بالجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث في علم أصول الدين نذكر:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
مصنفات الأشعري	أبو الحسن الأشعري	936م	المشرق
شرح العضد	عبد الرحمن بن أحمد	1355م	المشرق
صغرى السنوسي	محمد بن يوسف السنوسي	1493م	المغرب
كبرى السنوسي	محمد بن يوسف السنوسي	1493م	المغرب
المقدمات	محمد بن يوسف السنوسي	1493م	المغرب
نظم ابن زكري	أحمد ابن زكري	1493م	المغرب
تأليف الدواني	جلال الدين الدواني	1502م	المشرق

¹ محمد المصري: بغية الطالبين لما تضمنته أم البراهين، عرض وتقديم عمراوي أميمة، دار الهدى، الجزائر، 2011م، ص53.31.

² فريد بن محمد الجمالي: (منهج الاعتقاد عند المقري قراءة في إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة)، مجلة قطر الندى، ع02، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الرباط، المملكة المغربية، 2008م، ص11-12.

وفيما يخص الآداب فقد ساد بمنطقة المغرب خلال العصر الحديث الشعر السياسي أو ما يسمى بشعر التوسلات والابتهالات، والذي اقترن ظهوره بظلم وجور البايات والولاة في جمع الضرائب ومختلف الاضطرابات السياسية والاقتصادية والحملات الأوروبية¹، فرغم أنه بدأ مع ابن النحوي (ت1119م) في قصيدته المنفرجة² إلا أنه برز بشكل كبير مع سعيد المنداسي³ ثم تعداه إلى النثر السياسي مع عبد الرحمن الأخضرى الذي ينتقد فيه مختلف الأوضاع السياسية للبلد⁴، كما اهتم علماء هذه الفترة بالعلوم اللغوية والنحوية، ولعل أبرز المصنفات اللغوية التي كانت متداولة بكل من الجزائر والمغرب الأقصى نذكر كتاب سبويه، وكراسة أبي موسى الجزولي، وألفية ابن مالك، ومصنفات ابن هشام، والأجرومية، وتأليف المكودي، وكتاب التسهيل، ولامية الأفعال، والخزرجية، والجواهر المكنون للأخضري، وتلخيص المفتاح لمحمد القزويني، والمطول للسعد التفتزاني، والقاموس، وفصيح ثعلب، وتأليف الزبيدي، ومؤلفات السعد، ومقامات الحريري وسائر كتبه، وشرح الخلاصة للمرادي، وأنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي للثعالبي، وفي الجدول التالي أسماء تسعة مصنفات لغوية كانت تدرس على نطاق واسع بمنطقة المغرب خلال العصر الحديث:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
كتاب سبويه	عمرو بن عثمان	796م	المشرق
المنفرجة	يوسف بن محمد ابن النحوي	1119م	الأندلس
الخزرجية (الرامزة)	عبد الله بن محمد الخزرجي	1229م	الأندلس
لامية الأفعال	محمد بن عبد الله بن مالك	1274م	المشرق
ألفية ابن مالك (الخلاصة)	محمد بن عبد الله بن مالك	1274م	المشرق
الأجرومية	محمد بن آجروم	1323م	المشرق
تلخيص المفتاح	جلال الدين القزويني	1383م	المشرق
تأليف المكودي	عبد الرحمن المكودي الفاسي	1404م	المغرب
الدالية	الحسن اليوسي	1631م	المغرب

¹ أحمد المقري: الرسائل... المصدر السابق، ص63-64.

² الطاهر بونابي: (نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط)، مجلة حوليات التراث، ع2، منشورات جامعة مستغانم، الجزائر، 2004م، ص21-22.

³ محمد أبو راس الناصري: الحلل السندسية... المصدر السابق، ص80-81.

⁴ الدراحي بوزيان: المرجع السابق، ص21-22.

لقد نشأت فكرة التراجم والفهارس تأثراً بمدرسة الحديث التي تلتزم باتباع سند الحديث وسلسلة الرواة، والفهرس أو الفهرست عبارة عن كتاب يسجل فيه العالم شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ومختلف المصنفات التي استفاد منها، ولها دلالات ومصطلحات عديدة كالتراجم والفهارس والبرامج والمعاجم والثبت وكلها تلتقي في نفس المعنى، وتتضمن الفهارس ثلاثة عناصر أساسية بداية بأسماء الشيوخ ثم المرويات أو المصنفات وأخيراً الأسانيد أو السلسلة، ويرتب صاحب الفهرسة شيوخه حسب العلوم والمصنفات أو حسب أولوية الشيوخ الذين استفاد منهم²، ويذكر ابن مريم التلمساني بأنه وضع مصنفه البستان من أجل التذكير بمناقب الصالحين أنسا للقلوب المتوحشة من شر الزمان وأهله وتنشيطا للنفوس، كما يذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن الأسباب التي تجعل الفرد يلجأ إلى التعريف والتذكير بالعلماء والأولياء والوقوف على مصنفاتهم وابداعاتهم من أجل ارتقاء الانسان بسلوكه وأخلاقه ويتأدب بأداب وأخلاق هؤلاء ويقتبس من محاسنهم وأثارهم ويمتدي وينتفع بعلمهم وحكمهم³.

وأصدر الشيخ عيسى التجيني كتاب بغية الطالب في ذكر الكواكب حيث ترجم فيه لمعاصريه من شيوخ الجزائر والمغرب الأقصى الذين أخذ عنهم خلال القرن السادس عشر الميلادي⁴، كما أصدر أحمد بن قاسم البوني كتابيه التعريف ببونة افريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، والدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، وذلك من أجل الرد على محمد العبدري الذي ذكر أشياء مشينة عن مدينة عنابة في رحلته المغربية سنة 1289م بعدما أنكر تماما وجود العلماء والصلحاء في هذه المدينة⁵، ومن أهم الأسباب التي جعلت العياشي يصنف كتابه في تراجم شيوخه والذي سماه اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر هو ما لمس من ضعف في رواية العلماء حتى شغرتهم الزمان وخلت منهم الأوطان واتخذ الناس رؤوسا جهالا، وأفتوا بغير علم استسهالا وتلقوا العلو في بطون الصحف تقليدا وصار المتشبهت بالرواية بينهم بليدا⁶، ومن أبرز المؤلفات التراجمية انتشارا بالجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث، وكانت بمثابة المصادر الأساسية لدى طلبة وعلماء البلدين نذكر:

¹ لتعمق أكثر في مصطلحي الفهارس والتراجم ومراحل ظهورها في العالم العربي والاسلامي، أنظر: (عبد الله الترغي: فهارس علماء المغرب.... المرجع السابق، ص 30-50، لطفي العيسى: كتاب السير مقاربات لمذونات المناقب والتراجم والأخبار، ط1، دار المعرفة للنشر، تونس، 2007م، ص 28-35، مارية دادي: (كتب التراجم نشأتها وتطورها من القرن الثاني الى القرن الثاني عشر الهجريين)، ضمن كتاب متنوعات محمد حجي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص 314-324، أنور محمود زنتاني: (فهارس علماء المغرب والأندلس - دراسة تحليلية)، مجلة كان التاريخية، ع11، ص4، دار ناشري للنشر الالكتروني، الإمارات العربية المتحدة، 2011م، ص 63-65).

² محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص 77-82.

³ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص 7-8، ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي.... المرجع السابق، ص 301.

⁴ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية المرجع السابق، ص 435.

⁵ أحمد بن قاسم البوني: الدرّة المصونة المصدر السابق، ص 28-30.

⁶ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص 129.

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
بغية الرواد	يحيى ابن خلدون	1378م	المغرب
الديباج المذهب	ابن فرحون اليعمرى	1397م	المشرق
كتاب الوفيات	ابن قنفذ القسنطيني	1407م	المغرب
الدرر الكامنة	ابن حجر العسقلاني	1448م	المشرق
النجم الثاقب	ابن الصعد التلمساني	1496م	المغرب
البستان	ابن مريم التلمساني	1611م	المغرب
كفاية المحتاج	أحمد بابا التنبكتي	1627م	السودان

الرحلة والجغرافيا:

تتضمن كتب الرحلة العديد من المعارف الأدبية والتاريخية فقد تتضمن مجموعة من المحسنات البديعية، وبذلك يمكن الحكم على المستوى الأدبي لذلك العصر من خلال هذه الرحلة، كما تزودنا بمادة خبرية تخص الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لذلك العصر وتلك المناطق التي يمر بها الرحالة¹، وتساهم كتب الرحلة والجغرافيا في خدمة العلم وثقافة الانسان وتثري معلوماته الجغرافية، فرحلة الادريسي الموسومة بنزهة المشتاق اعتبرت أعظم وثيقة علمية جغرافية في العصور الوسطى، فقد ساهم الادريسي بهذه الرحلة في تطوير الجغرافيا الحديثة، كما تساهم في حفظ التراث الثقافي للأمة وتوطد وتمتن جسور التواصل بين الشعوب والبلدان²، وهو ما جعل عبد الرحمن الثعالبي يناشد العلماء والرحالة بضرورة تدوين رحلاتهم وشيوخهم الذين أخذوا عنهم من أجل محاربة ثقافة النسيان لدى البشر فيقول: (وينبغي لمن ألف أن يعرف بزمانه وبمن لقيه من أشياخه، ليكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره ويسلم من الجهل به، وقد قل الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزمان، وكم من فاضل انتشرت عنه فضائل جهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشأن)³.

ومن أسباب تدوين الرحلة أيضا من طرف العلماء أثناء العودة من تنقلاتهم العلمية والحجازية هو النزول عند طلب الآخرين سواء حكام أو أصدقاء أو تلاميذ، وافادة القراء بمعلومات جغرافية عن المناطق التي زاروها أو مروا بها والتعريف بمشايخ وعلماء تلك المنطقة، واطهار مختلف المشاكل والصعوبات التي تلاقي

¹ أحمد ظريف: المرجع السابق، ص 134.

² سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص 37.

³ عبد الرحمن الثعالبي: غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تحقيق، محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2005م، ص 5

الرحالة في الطريق¹ وذلك حتى يتجنبها غيره، وأخيرا لأسباب شخصية وهي نيل الثواب من الله سبحانه وتعالى²، ولم تكن كل الرحلات تدون نثرا بل البعض منها كان يدون نظما وشعرا على غرار رحلة المرشد المعين على الضروري في علوم الدين لصاحبها شيخ الجماعة بفاس عبد الواحد بن عاشر (ت1630م) الذي رسم طريق الحجاز للقوافل المغربية في نظم رائع³، ورحلة محمد بن مسايب الجزائري والمعروفة باسم خط رحلة من تلمسان إلى مكة من مائة وعشرون بيتا شعريا وضعها خلال القرن التاسع عشر الميلادي⁴.

وقد ظهرت كتب الرحلة والجغرافيا في العالم العربي والاسلامي مع ابن خرداذبه (ت885م) وكتابه المسالك والممالك، وفي منطقة المغرب كان الشريف الإدريسي (ت1166م) أول من وضع مصنف في هذا الفن وسماه نزهة المشتاق ثم تبعه كل من محمد العبدري (ت1289م) مع كتابه الرحلة المغربية، وابن رشيد السبتي (ت1311م) صاحب ملء العيبة، وابن بطوطة (ت1374م) وكتابه تحفة النظار، وخلال العصر الحديث برز الحسن الوزان (ت1550م) مع كتابه وصف افريقيا، وعلي التمجروتي صاحب النفحة المسكية، وعبد الله العياشي (ت1679م) وكتابه ماء الموائد، ومحمد بن علي التيطواني (ت1684م) صاحب المعارج المرقية، وأحمد بن ناصر الدرعي (ت1715م) وكتابه الرحلة الناصرية⁵، وبالجزائر تعد رحلة عبد الرحمن الثعالبي من أولى الرحلات الجغرافية انطلق خلالها من واد يسر إلى بجاية ومنها إلى تونس ومصر وذلك في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي⁶، ونحاول في الجدول التالي إحصاء أشهر تسعة رحلات كانت متداولة بين الطلبة والعلماء بالجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
المسالك والممالك	عبد الله البكري	1094م	الأندلس
نزهة المشتاق	الشريف الادريسي	1166م	المغرب
رحلة ابن جبير	محمد ابن جبير	1217م	الأندلس
ملء العيبة	ابن رشيد السبتي	1311م	المغرب
تحفة النظار	محمد ابن بطوطة	1377م	المغرب
رحلة ابن خلدون	عبد الرحمن ابن خلدون	1406م	المغرب

¹ من أبرز هذه الصعوبات التي تصادف الرحالة في طريقه: قطاع الطرق واللصوص المتربصة بالقوافل، والأمراض الفتاكة ومختلف الأوبئة خاصة الطاعون، والطرق المتوحشة والصعبة تضاريسيا، وقلة الزاد والمياه وان وجدت فأغلبها مالحة وغير صالحة للشرب، أنظر: (أحمد ظريف: المرجع السابق، ص56).

² سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص34-36.

³ عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات...، ج1، المرجع السابق، ص183-187.

⁴ عمر بن قينة: المرجع السابق، ص53.

⁵ سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص40-45.

⁶ عبد الرحمن الثعالبي: الرحلة، تحقيق، محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2005م، ص107.

المغرب	1550م	الحسن الوزان	وصف افريقيا
المغرب	1663م	عبد الله العياشي	ماء الموائد
المغرب	1717م	محمد بن ناصر الدرعي	الرحلة الناصرية

التاريخ والأنساب:

وهي المؤلفات التي تهتم بذكر تاريخ وسير الشعوب والمدن والبلدان، ولعل من أبرز المصنفات التي كانت متداولة بكل من الجزائر والمغرب الأقصى في هذا المجال خلال العصر الحديث نذكر:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
تاريخ الرسل والملوك	محمد الطبري	922م	المشرق
مروج الذهب	علي المسعودي	957م	المشرق
الاكتفاء في أخبار الخلفاء	ابن الكردبوس التونسي	1214م	المغرب
تاريخ مختصر الدول	أبو الفرج اللمطي	1286م	المغرب
الإحاطة في أخبار غرناطة	لسان الدين ابن الخطيب	1374م	الأندلس
كتاب العبر	عبد الرحمن ابن خلدون	1406م	المغرب
حسن المحاضرة	جلال الدين السيوطي	1505م	المشرق
تاريخ أنس الجليل	عبد الرحمن المقدسي	1521م	المشرق
مختصر الجمان	عبد الله الشطبي	1556م	الأندلس
نفح الطيب	أحمد المقري	1631م	المغرب

- العلوم العقلية:

لقد كانت منطقة المغرب تعاني من نقص فادح في الاهتمام بالعلوم العقلية مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي، ويرجع محمد المنوني أسباب تراجع تدريس العلوم العقلية بالمغرب كالحساب والهندسة والفلك والطب والمنطق إلى تراجع مستوى العلماء والمدرسين والكسل والخمول الذي طبع التلاميذ والطلبة من جهة، وتدهور الوضع السياسي بالبلد والذي لا يشجع على دراسة هذا النوع من العلوم من جهة ثانية، ويحصر المؤرخ الفرنسي دلفان العلوم التي كانت تدرس بالقرويين في الفقه والفرائض والأصول والتوحيد والنحو والحديث والتصوف والبلاغة والصرف والعروض والمدائح النبوية¹، وقد

¹ رشيدة برادة: المرجع السابق، ص 15-17.

كانت بعض المدارس المغربية تشكل الاستثناء في تدريس العلوم العقلية كالحساب والفيزياء والفلسفة والفلك والكيمياء، والسبب يعود إلى العلماء والشيوخ الأندلسيون الذين استقروا بالمنطقة¹.

المنطق:

ولعل من أبرز المصنفات التي كانت متداولة بقوة في كل من الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة نجد كتاب السلم المرونق للأخضري والجمل للخونجي ومختصر السنوسي ومحصل المقاصد لابن زكري واسياغوجي لعبد الرحمن الثعالبي.

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	موطنه
الجمل في المنطق	أفضل الدين الخونجي	ت124م	المشرق
إسياغوجي	عبد الرحمن الثعالبي	1471م	المغرب
مختصر السنوسي	محمد بن يوسف السنوسي	1493م	المغرب
محصل المقاصد	أحمد ابن زكري	1493م	المغرب
السلم المرونق	عبد الرحمن الأخضري	1545م	المغرب

الحساب والفلك:

لقد كان حظ العلوم العقلية بمنطقة المغرب خلال العصر الحديث زهيدا، فقد كانت دراسة الرياضيات والعلوم الطبيعية من آخر اهتمامات الطلبة والعلماء مع تسجيل بعض الاستثناءات كعبد الرحمن الأخضري الذي ترك عديد المصنفات في علم الفلك والمنطق والحساب²، والمتصفح لرحلة ابن حمادوش ومؤلفاته الأخرى يجده اعتمد على كتب كثيرة في العلوم العقلية كالطب والفلك والفيزياء والرياضيات كابن سينا واقليدس والفرايبي وغيرها، وهذا ما يؤكد بأن هذه المصنفات كانت متوفرة بالجزائر، والسبب في عدم الاهتمام بها يعود للمناهج المعتمدة في تلقين الدروس التي تميل للعلوم النقلية وبالخصوص العلوم الشرعية والأدبية، وما قيل عن الجزائر نفسه تقريبا بالمغرب الأقصى فلما زار عبد الرزاق بن حمادوش تطوان وفاس ومكناسة لم يجد بها متخصصين كثر في علم الفلك والحساب والطب والهندسة³.

وقد أشار أغلب الرحالة الأوروبيون لهذه الاشكالية بأن مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي كانت تعلم الأطفال القراءة والكتابة فقط، والقرآن هو المصدر الأساسي في مقررات ومناهج التعليم، كما

¹ عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ج6، ص289-290.

² الدراجي بوزيان: المرجع السابق، ص26-27.

³ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص71.

تعلم بعض المدارس مبادئ الرياضيات والفلك (الأشهر القمرية)¹، ويذكر القنصل الأمريكي بالمغرب كاثكارت والذي كان أسير لدى داي الجزائر بأن العلوم العقلية بمدينة الجزائر تكاد تكون منعدمة، فالصبيان يتعلمون القراءة والكتابة والحساب البسيط في المدارس والمساجد بينما التجار والبحارة فهم لا يعرفون إلا الحساب عن طريق الأصابع فقط معتمدين في ذلك على الذاكرة القوية بينما علم الفلك غائب تماما، فظاهرة الكسوف والخسوف مجهولة التحليل لديهم، والبحارة لا يستعملون سوى خرائط بسيطة، ولا يتحكمون تماما في علم الملاحة الذي كان متطور في ذلك الوقت بالغرب²، ويمكن تلخيص أسماء المصنفات التي كانت تدرس في علم الفلك والحساب بكل من الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث في كتاب تلخيص ابن البناء والتلمسانية في الفرائض، وأرجوزة تعديل الكواكب لعرض بلد الجزائر، وقصيدة علي بن أبي الرجال القيرواني في الفلك، وشرح السراج والدرة البيضاء في الفرائض والحساب لعبد الرحمن الأخرزي.

الطب والصيدلة:

تقر مختلف الرحلات الأوروبية التي زارت الجزائر خلال العهد العثماني كهيدو والدكتور شو ودي تاسي وشالر بأن المنظومة الصحية بمدينة الجزائر وبقية المدن كانت شبه منعدمة، فمدينة الجزائر حسب رأي الرحالة الألماني مارسبول لم يكن بها سوى صيدلية واحدة بها أعشاب وعقاقير والباش جراح القائم عليها يجهل تماما مواصفاتها وفوائدها الطبية³، ويذكر الأسير الإسباني هايدو في هذا الصدد بأن دراسة الطب تكاد تنعدم بمدينة الجزائر إلا القلة القليلة فقط، والذين يطلق عليهم مجازا مصطلح أطباء أين يعتمدون على الأعشاب البرية كأدوية ويعتبرون المرض قضاء وقدر وعقاب من الله على ذنوب البشر⁴، وهي تقريبا نفس ملاحظة الرحالة والطبيب الإنجليزي شو الذي يرسم لنا صورة سوداوية عن الطب بالجزائر العثمانية وهو اختصاصه الأول، فقد لاحظ بأن معارف الطب لدى أشباه الأطباء بالجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي بدائية جدا ولا تخرج عن الأعشاب البرية⁵.

ويذكر الطبيب الألماني شونبيرغ أثناء زيارته للجزائر مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بأن الطبيب الجزائري خلال العهد العثماني لم يكن يحسن القراءة ولا الكتابة حيث يعتمد على الحجامة والأعشاب⁶. هذه الملاحظات من قبل الرحالة خلال العصر الحديث تختلف كلياً لما سجله بعض الرحالة الذين زاروا

¹ فاتح بلعمري: المرجع السابق، ص 205، 208، 364-365.

² هاملتون كاثكارت: المصدر السابق، ص 98-99.

³ ناصر الدين سعيدوني: (الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي)، مجلة الثقافة، ع 92، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1986م، ص 102.

⁴ زكريا العابد: الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2007م، ص 87.

⁵ فاتح بلعمري: المرجع السابق، ص 364-365.

⁶ أ.ف شونبيرغ: الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ص 40-41، محمد بوراس الناصري: الحلل السنديسية... المصدر السابق، ص 81.

الجزائر قبيل الدخول العثماني، فالرحالة المصري عبد الباسط بن خليل (ت1514م) صاحب الروض الباسم يرى بأن مدينة تلمسان كانت تشتهر بعلم الطب وبأن شيوخ وأطباء تلمسان يتفوقون على نظرائهم في هذا العلم¹، ونتيجة لنقص الدراسات والمؤلفات الخاصة بالطب ومعهم الأطباء فقد تحول مجرى هذا العلم إلى التصوف، فكل مصاب بمرض معين كان ينظر إليه على أنه مصاب بالعين والحسد والسحر أو مسكون من الجن، وما على هذا المريض إلا التوجه للزوايا وأحد الأضرحة وتناول بعض الخلطات التي يقدمها شيخ ومقدم تلك الطريقة أو الزاوية مع كثرة التسبيح والدعاء والابتعاد عن المعاصي، ولا بد عليه أيضا من الهدايا والهبات لهذه الزوايا والأضرحة إن أراد الشفاء السريع، وإن قدر وأن مات هذا المريض من شدة مرضه فهو يعود إلى بالقضاء والقدر².

ويتحمل الحكام الأتراك الجزء الأكبر من المسؤولية فهم لم يضعوا الثقة في الطبيب الجزائري مهما وصل مستواه كعبد الرزاق بن حمادوش بينما لجأوا للأطباء الأجانب، فمن خلال تفقد مختلف الرسائل التي كانت بين بايات الشرق بقسنطينة والباستيون الفرنسي بالقالة نجد بأن عديد بايات الشرق كانوا يستنجدون بالطبيب الفرنسي لمعالجة البايع وعائلته، وفي بعض الأحيان يستنجدون بالطبيب البيطري لمعالجة حيواناتهم، فقد راسل صالح باي الفرنسيون لهذا الغرض في أربعة مناسبات، وعلي باي في ثلاثة مناسبات وأحمد باي في مناسبة واحدة، وفي بعض الأحيان للجوء للأطباء الأجانب الذي اعتنقوا الإسلام ومكثوا بالجزائر³، كما اشترى صالح باي طبيب أوروبي وقع بالأسر بثمان باهض، وكذلك الشأن لحسين باشا الذي كان له طبيب أوروبي خاص، وعلي باشا الذي استبقى أحد الأطباء الأسرى بقصره ليداويه⁴.

ويمكن القول بأن المنظومة الصحية الجزائرية كانت الأضعف في منطقة المغرب، فمن خلال إحصائيات قدمها الباحث التونسي بوبكر صدوق حول الطاعون بالمنطقة المغاربية بين 1500-1822م نجد بأن الطاعون مس تونس لمدة ثلاثة وخمسون سنة متفرقة، والمغرب الأقصى لمدة خمسة وخمسون سنة بينما ضرب الجزائر لمدة مائة وسبعة وخمسون سنة أي أنه يحل مرة واحدة على الأقل خلال سنتين، وهذا ما يؤكد بأن المنظومة الصحية والمراقبة الطبية وشروط النظافة كانت شبه غائبة والتي تكون مضمونة طبعا من طرف السلطة الحاكمة⁵، ونتيجة لضعف المنظومة الصحية بمنطقة المغرب من جهة وانتشار الأوبئة والمجاعات

¹ خالد بلعربي: المرجع السابق، ص165.

² عثمان بوحجرة: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م مقارنة اجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2015م، ص92.

³ خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين ...، المرجع السابق، ص47-75، 228.

⁴ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ...، ج3، المرجع السابق، ص187.

⁵ Sadok Boubaker: (La peste dans pays du Maghreb attitudes face au fléau et impacts sur les activités commerciales 16-18^e siècles),Revue d'Histoire Maghrébine, n 78-80, publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 1995, p.312.

من جهة ثانية ظهرت في المجتمع المغربي عديد الممارسات التي لا تمت للدين الاسلامي بأي صلة حيث لجأ الناس للشعوذة والسحر بل للشرك والنصرانية لدى البعض هروبا من الآلام التي كانت تسكنهم¹.

ثانيا/- المصنفات الجزائرية بالحواضر المغربية:

لقد ارتبط انتقال المصنفات الجزائرية إلى المغرب الأقصى منذ العهد المريني والوطاسي مرورا بالعهد السعودي والعلوي ارتباطا وثيقا بظاهرة هجرة العلماء، ويمكن تمييز أربعة طرق انتقلت من خلالها المصنفات العلمية من الجزائر إلى المدن والحواضر المغربية، فهناك مصنفات مشرقية انتقلت للمغرب الأقصى عن طريق علماء جزائريون، وهناك مصنفات جزائرية تعود لما قبل القرن السادس عشر الميلادي وصلت للمغرب الأقصى خلال العهد السعودي والعلوي، وهناك مصنفات جزائرية تعود للعصر الحديث سافرت للمغرب الأقصى مع أصحابها في مختلف الهجرات والرحلات العلمية، وهناك مصنفات جزائرية ألفها أصحابها هناك بالمغرب الأقصى خلال الفترة المدروسة، كما تم ترويج المصنفات الجزائرية عن طريق الفتاوى والرسائل، فرغم أن عبد الكريم الفكون لم يزر المغرب الأقصى لكن من خلال رسالة بعث بها أحمد المقري لمجموعة من طلبة المغرب الأقصى يجيبهم فيها على شرح قوله تعالى: (ولأتم نعمتي عليكم) أين استعان المقري بشرح الفكون للقرآن الكريم، وهو ما جعل طلبة المغرب الأقصى يتسابقون للحصول على مصنفات الفكون وبالخصوص فتاويه وتفسيره للقرآن الكريم²، ومن جملة ما جاء في كلام المقري حول الفكون مايلي:

ودام عبد الكريم فردا ... في العلم والزهد والولاية
فهو الذي حاز خصل سبق ... وحاز في ذا الزمان آية
والله يبقيه ذا سمو ... يفوق في الحفظ والدراية
بجاه خير الورى المرجى ... من خصه الله بالعناية
عليه أزكى الصلاة تترى ... لدا ابتداء وفي نهاية³

* المصنفات الدينية:

وتحتل المصنفات الدينية التي انتقلت للحواضر المغربية المرتبة الأولى من حيث الكم والنوع، وقد تنوعت هذه المصنفات بين علوم تفسير القرآن الكريم والقراءات والحديث والسيرة النبوية والفقه والأصول...⁴.

¹ برنار روزنبرجي وحميد التريكي: المرجع السابق، ص 167.

² محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص 339.

³ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص 412-420.

⁴ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص 12.

من أبرز المؤلفات الجزائرية التي وصلت للمغرب الأقصى حول تفسير القرآن الكريم وقد شاع بكل من مدينتي فاس ومراكش تقييد أحمد المسيلي (ت1143م) في تفسير القرآن¹، وتفسير الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت1470م)² المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن³ الذي نال شهرة واسعة هناك وكان معتمدا بكل المدارس والمساجد المغربية⁴، ومن جملة علماء المغرب الأقصى الذين كان لهم اهتمام بتفسير الثعالبي نجد الرحالة الروداني فقد أخذه عن شيخه سعيد قدورة بمدينة الجزائر وعاد به للمغرب الأقصى⁵، وقد لاقى تفسير الثعالبي اهتمام كبير خلال العصر العلوي حيث قام السلطان اسماعيل بوقفه على كرسي ظهر خصه العين بجامع القرويين، وبعده قام السلطان عبد الله بوقفه على خزنة جامع القرويين⁶، وعن تفسير العلامة محمد الشريشي المسمى بمورد الظمان في ضبط القرآن ترك الحافظ محمد التنسي عنه شرح شاع استعماله بالمغرب الأقصى، فقد ترك عنه عبد الواحد ابن عاشر طرر سماه طرر عجيبة على شرح الإمام أبي عبد الله محمد التنسي لذييل مورد الضمان في الضبط⁷، ونفس الشيء لمؤلف العلامة محمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني (ت1523م) الذي ترك تقييدا على مورد الضمان وانتشر بمختلف المدن المغربية خلال العصر الحديث⁸.

كما وصلت للمغرب الأقصى تفاسير كل من محمد الخروبي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي المسمى بالبدر المنير في علوم التفسير⁹، وبمدينة فاس انتشر تفسير العلامة أحمد المقرئ المسمى بالمقصورة حول سور من القرآن الكريم وقد استفاد منه الشيخ الهشتوكي (ت1636م)¹⁰، وفي علم القراءات وصل للمغرب الأقصى كتاب منظومة الدالية في القراءات لصاحبها الشيخ والفقير محمد بن مبارك المغراوي التلمساني (ت1681م)¹¹، وقد شرحه ابن بلدته عبد الرحمن بن إدريس المنجرة (ت1766م) وسماه بالمقاصد النامية في

¹ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص327.

² عبد الرحمن الثعالبي: هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي ولد سنة 1384م بمنطقة وادي يسر (بومرداس حاليا)، ويعود نسبه إلى جعفر بن أبي طالب ترك الكثير من المصنفات أهمها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أنظر: (عبد الرزاق قسوم: المرجع السابق، ص29، ابن المفتي: المصدر السابق، ص94).

³ المهدي البوعبدلي: اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات...، المرجع السابق، ص11-12.

⁴ محمد الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص255.

⁵ محمد الروداني: المصدر السابق، ص176.

⁶ السعيد بوركبة: المرجع السابق، ج1، ص288.

⁷ عبد المغيث مصطفى بصير: الفقيه عبد الواحد بن عاشر حياته وأثاره الفقهية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2007م، ص126.

⁸ عادل نويح: المرجع السابق، ص79.

⁹ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية...، المرجع السابق، ص427.

¹⁰ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص139.

¹¹ محمد الحضيكي: الطبقات...، المصدر السابق، ج1، ص303.

شرح الدالية¹، وهو ما جعل محمد بن عبد السلام بن محمد الفاسي يترك شرح على مؤلف المنجرة وسماه بالقطوف الدانية في شرح الدالية، وقد كان عبد الرحمن المنجرة التلمساني المتخصص الأول في علم القراءات على مستوى مدينة فاس والمغرب ككل، فقد ترك حاشية على شرح الخراز التونسي المسمى بمورد الظمان في رسم القرآن وسماه بالطراز في شرح ضبط الخراز، كما ترك حاشية على شرح مورد الظمان لعبد الواحد بن عاشر (ت1631م)²، وفي فن الخط المرتبط بالمصحف الشريف ترك الخطاط الجزائري محمد بن أبي القاسم القندوسي (ت1861م) مصحف شريف بخط يده في اثني عشر مجلدا بمدينة فاس ويتواجد اليوم بالخزانة الملكية بالرباط³.

- كتب الحديث والسيرة النبوية:

وهو العلم الذي يهتم بما تركه النبي عليه الصلاة والسلام من أقوال وأفعال وتقارير، وأشهر ما صنف في علم الحديث من قبل علماء الجزائر نجد مؤلفات الحافظ التنسي (ت1493م)⁴، فرغم أنه لم ينتقل إلى المغرب الأقصى إلا أن مؤلفاته نالت اهتماما كبيرا من طرف المغاربة بل أن حكام بني وطاس وضعوا كرسي بالقرويين لصحيح البخاري بشرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني بخط الحافظ التنسي منقولاً من خط ابن حجر، وكان من أبرز كراسي علم الحديث بجامع القرويين⁵، كما شاع استعمال كتاب شرف الطالب في أسمى المطالب لأحمد بن قنفذ القسنطيني (ت1407م) بعد هجرته من مدينة قسنطينة إلى فاس، وقد صرح ابن قنفذ بأن المؤلف يمثل مدخل لعلم الحديث حتى يسهل على الطلبة فهمه وتحصيله⁶، واعتمدت أيضا المنظومة الميمية في الدعاء والإبهال لصاحبها محمد بن مرزوق الكفيف (ت1495م) وقد وجد مخطوط لهذه المنظومة بمدينة سلا⁷، كما ترك العلامة عبد الواحد الونشريسي تعليقا على صحيح البخاري بمدينة فاس⁸.

¹ Levi Provençal: Les manuscrits arabes de Rabat - Bibliotheque Générale du Protectorat Francais au Maroc, éditions Ernest Leroux, Paris, France, 1921, p.55, 64.

² محمد الأخضر: المرجع السابق، ص286-287.

³ محمد تحريشي: (الخطاط محمد بن أبي القاسم القندوسي)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساوردة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص18.

⁴ الحافظ التنسي: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ التنسي التلمساني أخذ عن أشهر علماء تلمسان كالتنوسي وابن زكري والعقباني وأهم مؤلفاته الدرر والعقيان، أنظر (محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج2، ص149).

⁵ محمد المنوني: كراسي الأساتذة بالقرويين... المرجع السابق، ص94.

⁶ عبد الرحمن بلفرح: ابن قنفذ القسنطيني حياته وأثاره (1339-1407م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2007م، ص109.

⁷ حسن الصادقي: المرجع السابق، ص270.

⁸ محمد مخلوف: المرجع السابق، ص282-283.

ومن المؤلفات الجزائرية في علم الحديث التي عم انتشارها بمختلف الحواضر المغربية نذكر مؤلفات محمد بن مرزوق التلمساني (ت1495م) وخصوصا شرح صحيح البخاري¹، وكتاب شرح البردة الذي اعتمد عليه العياشي في تأليف رحلته المشهورة ماء الموائد²، كما وصلت مؤلفات عبد الرحمن الثعالبي لمدينة مراكش خلال القرن السابع عشر الميلادي والمتمثلة في النصائح والعلوم الفاخرة، فقد اطلع عليهما أحمد بابا واعتمد عليهما في تحرير كتابه تحفة الفضلاء³، ونفس الشيء لمصنف مفتاح النظر في علم الحديث لمحمد بن عبد الكريم المغيلي في شرح الحديث النبوي الشريف، ووصل أيضا كتاب المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا لمحمد بن علي بن أبي الشرف التلمساني في عدة أجزاء في شرح صحيح البخاري⁴، وشاع استعمال رجز أحمد بن زكري التلمساني في الحديث الشريف، فقد كان يدرسه الشيخ عبد القادر الفاسي وعنه استفاد العلامة محمد بن ابراهيم الهشتوكي (ت1686م)⁵.

كما ساهم علماء الجزائر في وصول بعض المؤلفات المشرقية في علم الحديث للمغرب الأقصى مثلما حدث مع أحمد المقرئ الذي منح نسخة من كتاب توضيح ابن مالك على صحيح البخاري لصاحبه محمد بن أحمد المنوفي المصري للطلبة المغاربة بعدما زاروه بمصر فنقلوه للمغرب الأقصى⁶، وفي السيرة النبوية انتشرت بالمغرب مؤلفات أحمد المقرئ وبالخصوص مصنف فتح المتعال في مدح النعال أين قام السلطان عبد الله العلوي بوقفه على خزانة القرويين سنة 1743م⁷، والنسخة الأصلية من كتاب أزهار الكمامة في شرف العمامة المتكون من ثلاثمائة وعشرون بيتا شعريا في مدح عمامة النبي عليه الصلاة والسلام ألفه المقرئ لما كان بجوار قبر النبي عليه الصلاة والسلام، ولما أكمله أرسل به لشيخه محمد الدلائي بالمغرب⁸، كما ترك العلامة عبد الرحمن المجاجي (ت1685م) مصنفا في الحديث سماه فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها العارف بالله ابن أبي جمرة من صحيح البخاري، وتوجد منه عديد النسخ بالمغرب الأقصى حاليا⁹.

¹ المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر...، المرجع السابق، ص22.

² عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص228.

³ أحمد بابا التنبكتي: تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق سعيد سامي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص51.40.

⁴ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية...، المرجع السابق، ص427.

⁵ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص339.

⁶ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص402.

⁷ السعيد بوركية: المرجع السابق، ج1، ص289.

⁸ محمد حجي: الزاوية الدلائلية ودورها الديني...، المرجع السابق، ص116، 119.

⁹ عبد القادر أوقاسي: المرجع السابق، ص11، المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر...، المرجع السابق، ص22.

ويعتبر من أبرز العلوم التي نالت اهتماما من قبل علماء الجزائر قبل وبعد القرن السادس عشر الميلادي، فقد تركوا عنه مجموعة من المصنفات التي تتنوع بين العبادات والمعاملات، وعنه قال ابن قنفذ القسنطيني:

الفقه إن فكرت فيه رأيتَه ... قد دارين قواعد متتالية
فأطلبه في القرآن أو في السنة ... وأعقده بالإجماع وأترك تاليه¹

فقد دخلت أشهر المصنفات الفقهية المشرقية لأول مرة إلى المغرب الأقصى كشامل بهرام وشرح المختصر له وحواشي التفتازاني على العُضد وشرح ابن هلال على ابن الحاجب الفرعي عن طريق العلامة محمد بن إبراهيم التلمساني (ت1441م)²، ونفس الشيء لكتاب شرح التهذيب الذي دخل إلى المغرب الأقصى بفضل أبناء الإمام التلمساني حيث نسخوه بأموالهم الخاصة وتكفلوا بنشره بمختلف أقطار المغرب³، ومختصر ابن الحاجب حيث يعتبر أبو علي ناصر الدين الزواوي المشدالي (ت1330م) أول من أدخله لبلاد المغرب بعدما مكث بالمشرق عشرون سنة ودرس عند تلاميذ ابن الحاجب⁴، ومختصر خليل أين يعتبر محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت1415م) أول من أدخله إلى مدينة فاس⁵، وكتاب جوهرة التوحيد لصاحبه إبراهيم اللقاني شيخ المالكية بمصر والذي وصل إلى المغرب الأقصى وبالضبط إلى مدينة تطوان خلال الحكم السعودي عن طريق فقيه جزائري هو محمد بن يحيى العالم المذبوح⁶.

أما المصنفات الفقهية الجزائرية التي دخلت للمغرب الأقصى فهي عديدة على غرار المقدمة الوغليسية في الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك لعبد الرحمن الوغليسي (ت1384م)⁷، ويعتبر أشهر مصنف في فقه الإمام مالك، ويعتبر الشيخ أحمد الزروق الفاسي أول من اهتم به ونشره في مختلف المدن المغربية⁸، وبعد رحيل الشيخ محمد الهواري الوهراني نحو مدينة فاس سنة 1374م ترك مصنفها فقها حول الصلاة سماه السهو والتنبيه في أحكام الطهارة والصلاة، وقد أصبح هذا المصنف مرجعا مهما في أحكام الغسل

¹ عبد الله حمادي: المرجع السابق، ص280.

² العيد مسعود: المرجع السابق، ص51.

³ الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص93-94.

⁴ المهدي البوعبدلي: الحياة الفكرية ببجاية... المرجع السابق، ص138-139.

⁵ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص383، أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص317.

⁶ محمد حجي: جولات تاريخية... ج1، المرجع السابق، ص319.

⁷ عبد الرحمن الوغليسي: هو أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي نسبة إلى بني وغلبيس جنوب بجاية تولى منصب الإفتاء ببجاية والتي توفي بها سنة 1384م، أنظر: (أحمد بابا التنبكي: الكفاية المحتاج ... المصدر السابق، ص180، يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة ... ج1، المرجع السابق، ص292-293).

⁸ أحمد الزروق الفاسي: النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، ط1، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م، ص14، محمد الشراط: المصدر السابق، ص75.

والصلاة بالمغرب الأقصى خلال العصر الحديث¹، كما خلف بفاس العلامة ابن قنفذ القسنطيني (ت1407م) عديد المصنفات حول الفقه وأصوله بداية بتفهم الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب وهو كتاب يشرح مختصر ابن الحاجب للطلبة المبتدئين²، كما يذكر الرحالة سليمان الروداني بأن من جملة ما أخذه بالجزائر عن شيخه سعيد قدورة هو تقريب الدلالة في شرح الرسالة لابن قنفذ³، وقد اعتمد على هذا المصنف عديد العلماء المغاربة منهم محمد بن أحمد الحضبيكي (ت1775م) في تأليف كتابه الطبقات⁴.

كما شاعت مؤلفات محمد بن مرزوق الحفيد بمدينة فاس أشهرها كتاب النصح الخالص، والذي استدل به أحمد بابا في تأليف كتابيه تحفة الفضلاء وكفاية المحتاج لما كان بمدينة مراكش، ووصلت للمغرب الأقصى مصنفات فقهية جزائرية أخرى كتحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق لصاحبه إبراهيم بن فايد بن هلال الزواوي القسنطيني (ت1453م) حيث قام بشرح مختصر خليل وقد رأى أحمد بابا السوداني نسخة منه بخزانة جامع الشرفاء بمدينة مراكش⁵، وبمدينة تطوان ترك أبي القاسم بن سلطان القسنطيني مؤلفا حول الطائفة الأندلسية سماه الانتصار للسنة والرد على الطائفة الأندلسية⁶ في مجلدين، وقد لاقى رواجاً وإشادة من قبل علماء المغرب أمثال أحمد بن القاضي⁷، وكذلك الشأن لأرجوزة أبي إسحاق التلمساني في الفرائض⁸، ويعتبر يعقوب بن عبد الله السيتاني المغربي أول من شرح هذه المنظومة والتي سماها منتهى الباني وموثق المعاني في شرح فرائض أبي إسحاق التلمساني⁹، وبعدها شاع استعمال شرح محمد بن يحيى المكناسي (ت1424م)، وكذلك الشأن لمحمد بن هبة الله الوجدجي (ت1575م) الذي شرحها ونشرها بكل من فاس ومراكش¹⁰، وقد كانت تدرس أيضا في مدينة درعة بالجنوب المغربي¹¹.

¹ محمد ابن سعد التلمساني: المصدر السابق، ص53-54.

² عبد الرحمن بلفح: المرجع السابق، ص101.

³ محمد الروداني: المصدر السابق، ص182.

⁴ محمد الحضبيكي: الطبقات...، المصدر السابق، ص83.

⁵ أحمد بابا التنبكي: تحفة الفضلاء...، المصدر السابق، ص40، 99-100، كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ص516-517.

⁶ الطائفة الأندلسية: هي طائفة دينية انتشرت بالمغرب الأقصى خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين، وتنسب لشخص محمد الأندلسي الذي وفد من الأندلس على المغرب الأقصى بأفكار ابن حزن الظاهري وقد حارب المذهب المالكي، وهذا ما جعل شيوخ وفقهاء المالكية بالمغرب يردون عليه بعدد المؤلفات، أنظر: (محمد بن شريف: حول الطائفة الأندلسية في عهد السعديين، ضمن أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، شفشاون، المملكة المغربية، 2000م، ص110-113).

⁷ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص284، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص143.

⁸ أبي إسحاق التلمساني: هو إبراهيم ابن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني (ت1299م)، وترك المنظومة الشهيرة في الفرائض والمعروفة بالتلمسانية، أنظر (حسن الصادقي: المرجع السابق، ص260-262).

⁹ مصطفى عيد أحمد القيم: المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني 1240-1464م، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2000م، ص135.

¹⁰ أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص325، رضا كحالة: المرجع السابق، ج3، ص771.

¹¹ محمد رزوق: جوانب من النشاط الفكري...، المرجع السابق، ص53.

وقد وصل مؤلف محمد بن عبد الكريم المغيلي في شرح مختصر خليل المسمى بمغني النبيل في شرح مختصر خليل وحاشية عليه سماها إكليل المعنى، كما ترك عبد الواحد الونشريسي (ت1549م) خلفه بفاس مجموعة من المصنفات الفقهية التي نالت اهتمام الطلبة والعلماء من بينها كتاب سنا المقتبس لفهم قواعد الإمام مالك بن أنس، وهو عبارة عن أرجوزة من ألف وخمسمائة بيتا شعريا، وقد قام تلميذه أحمد المنجور الفاسي بوضع شرح لهذه الأرجوزة¹، وشرح مختصر ابن الحاجب في أربعة أسفار وشرح مطول على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وقد قام أحد طلبته وهو عبد الرحمن الكلالي بجمع المسائل الفقهية التي كان يناقشها عبد الواحد معهم بالقرويين²، كما شاع استعمال مؤلف مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس لمحمد بن علي الخروبي، وبعد هجرة محمد بن أبي جمعة الوهراني (ت1523م) إلى مدينة فاس ألف كتابه المسمى بالجيش الكمين في الرد على من يكفر عوام المسلمين الذي نال شهرة هو الآخر بمختلف الحواضر المغربية³.

كما وصلت للمغرب الأقصى نسخة من كتاب الفكون المسمى بمحدد السنان في نحور إخوان الدخان فقام أبو سالم العياشي بتلخيصه⁴، كما نسخه الحاج محمد بن عبد الرحمن الحسني التادلي سنة 1764م، وهي النسخة الوحيدة التي بقيت من هذا المصنف وحفظت بالخزانة الملكية بالرباط⁵، ومن فتاوى العلامة والفقيه أحمد المقري التي بعث بها لشيخه محمد الدلائي لما طلب منه الإجابة عن مجموعة من المسائل الفقهية، وقد سماها بإعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس الواردة من الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر بركة الزمان وبقية الناس⁶، وبعد هجرة العلامة والفقيه عبد الرحمن المجاجي (ت1685م) لمدينة فاس وضع مصنفه الشهير والمسمى بالتيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتصيير، وقد قدر عدد النسخ المتواجدة بمختلف الخزائن المغربية بحوالي ثلاثة عشر نسخة⁷ من دون أن ننسى فتاوى الحسن الشاذلي بن عمر التواتي (ت1759م) في الفقه التي تركها بمدينة فاس⁸، كما ترك العلامة مصطفى الرماصي حاشية حول شرح التتائي لمختصر خليل في الفقه المالكي، والذي شاع استعمالها في الأزهر والقرويين أين اعتمد عليها الشيخ البناني الفاسي في شرحه للمختصر⁹.

¹ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية ... المرجع السابق، ص431.

² أحمد المنجور: المصدر السابق، ص55، أحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ص213-214.

³ محمد شقرون الوهراني: الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، تحقيق قسم التحقيقات بدار الصحابة، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1992م.

⁴ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص498-504.

⁵ أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ... المرجع السابق، ص153.

⁶ محمد حجي: الزاوية الدلائية ... المرجع السابق، ص118، ليلي غويبي: المرجع السابق، ص223.

⁷ عبد القادر أوقاسي: المرجع السابق، ص10.

⁸ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس...، المصدر السابق، ص4.

⁹ المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر...، المرجع السابق، ص24، محمد أوجرتي: المرجع السابق، ص158.

تعتبر النوازل أو مجاميع الفتاوى من المصادر المهمة في مجال المصنفات الفقهية، ولا تقتصر أهمية كتب النوازل على رسم صورة للوضع الديني والفقي لتلك الفترة الزمنية والنطاق الجغرافي فقط بل يتعداه إلى تصور لواقع الحياة في تلك الحقبة من ابراز طبقات المجتمع وثقافة ذلك العصر ورصد مختلف المصنفات العلمية والدينية والروحية، كما تتضمن مختلف مظاهر المعاملات في المجال الاقتصادي والتربوي والاجتماعي ومشاكل الجبايات ومظاهر القهر والاستبداد التي تنشأ بين أفراد المجتمع ومؤسسات الدولة، وتضم مادة علمية جد مهمة تغيب في مختلف المصادر الأستغرافية الأخرى¹ لكن هذا النوع من المصنفات قليل جدا في منطقة المغرب، وأغلبها مصنفات جزائرية سواء في العصر الوسيط أو العصر الحديث، كالمعيار المغرب لأحمد الونشريسي، والدرر المكنونة لأحمد بن يحي المازوني، والجواهر المختارة لعبد العزيز الزياتي التلمساني، ونوازل محمد بن عبد الكريم الفكون².

ومن أولى المصنفات الفقهية التي وصلت للمغرب الأقصى في مجال النوازل نذكر كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة للعلامة يحي بن موسى المغيلي المازوني (ت1478م)، وقد دخل هذا المصنف الفقهي للمغرب الأقصى عن طريق تلميذه أحمد الونشريسي الذي كتب تقريرا على هذا المصنف ترجم فيه للمازوني وقد جمع فيه هذا الأخير فتاوي علماء تلمسان وتونس والجزائر في جزأين³، كما يعد المعيار المغرب عن فتاوي علماء إفريقية وأندلس والمغرب⁴ لأحمد الونشريسي (ت1508م) من أبرز المصنفات الفقهية المغربية على مر العصور، فبعد فراره من تلمسان إلى مدينة فاس تقلد أحمد أعلى المناصب العلمية بالقرويين من تدريس وإمامة وإفتاء وخطابة وترك الكثير من المؤلفات بالمغرب الأقصى، ويعود الفضل في تأليف هذا المصنف الفقهي إلى عائلة آل الغرديس التي كانت بيت علم وثروة بفاس، فكانت لهم مكتبة ثرية بأنفس المؤلفات والمخطوطات فتحت أبوابها للفقهاء أحمد الونشريسي حتى يستفيد منها⁵.

ويعتبر أبي الحسن علي بن أبي بكر المصمودي السكتي أول من أخرج المعيار من مبيضته وقام بنسخه وتوزيعه بمدن المغرب الأقصى⁶ ثم قام أحمد بن سعيد المجيلدي بتلخيصه وسماه الإعلام بما في المعيار من

¹ محمد الحبيب الهيلة: (مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن 11 إلى نهاية القرن 15 م)، مجلة دراسات أندلسية، ع9، تونس، 1993م، ص23-24، محمد فتحة: المرجع السابق، ص19.

² عبد العزيز فيلاي: تاريخ الغرب الإسلامي دراسة تحليلية لمصادره ومؤرخيه، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة قسنطينة، 2019م، ص318-319، 325-326.

³ يحي بن موسى المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة...، ج1، المصدر السابق، ص13، محمد حي: نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1999م، ص45.

⁴ عادل نوميض: المرجع السابق، ص49-50.

⁵ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص172، محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص81.

⁶ أحمد المنجور: المصدر السابق، ص38-39، محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية...، المرجع السابق، ص70.

فتاوى الأعلام¹، كما اختصره خلال القرن الثامن عشر الميلادي الشيخ إدريس بن عبد الرحمن العلوي²، ومن أبرز النوازل التي تضمنها معيار الونشريسي وشاع استعمالها بفاس والأندلس سنة 1495م تلك التي تدخل ضمن نوازل الجهاد والموسوم بأسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصرارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، وهو عبارة عن أجوبة لمجموعة من الأسئلة التي وردت من مسلمي الأندلس بعدما طلبوا فتوى من فقهاء المغرب حول وضعيتهم هناك بعد وقوعها بيد النصرارى بين البقاء هناك أو الهجرة لدار الإسلام³.

كما برز عبد العزيز الزياتي (ت1645م) في النوازل الفقهية، وتعود أصوله لقبيلة بني عبد الواد التلمسانية غادرت أسرته مدينة تلمسان بمجرد وصول الأتراك للمنطقة، وسكنت جبال غمارة شمال المغرب الأقصى، وهناك ولد عبد العزيز قبل أن ينتقل إلى فاس ومراكش وتطوان وتخصص في القراءات العشر، ومن أبرز مؤلفاته كتاب النوازل المختارة مما وقفت عليه من نوازل بجبال غمارة⁴، وقد تضمنت نوازله مواضيع الجهاد والأسرى والغنائم والتجارة والكنائس اليهودية بالمغرب وعلاقة المغاربة بالثغور، وقد اعتمد عبد العزيز على عدة مصادر جزائرية أبرزها البستان لابن مريم ومعيار الونشريسي ونوازل مازونة وشرح العمدة لابن مرزوق⁵، وقد أصبح كتاب النوازل المختارة للزياتي من المصادر المهمة حول الفتاوى المتعلقة بالجهاد ضد النصرارى خلال عهد السعديون ومن بعدهم العلويون⁶، كما ترك محمد بن أحمد الشريف الحسيني المعروف بابن الكماد القسنطيني (ت1704م) مجموعة من الأجوبة على نوازل مدينة فاس⁷.

- كتب التوحيد:

تعتبر المصنفات الجزائرية الخاصة بالعقائد والتوحيد من أهم الكتب التي كانت تدرس وتعتمد من طرف طلبة وعلماء المغرب الأقصى في مختلف المدارس والمساجد والزوايا⁸ بداية بأرجوزة أبو عبد الله محمد الهواري في علم الكلام التي انتشرت بمدينة فاس خلال العهد المريني⁹، ولامية أحمد بن عبد الله الزواوي

¹ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص323، عبد الهادي التازي: جامع القرويين... ج3، المرجع السابق، ص794.

² محمد المنوني: المرجع السابق، ص119.

³ أحمد بن يحيى الونشريسي: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصرارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996م، ص4-5.

⁴ محمد القادري: المصدر السابق، ص419، وتوجد نسخة من المخطوط بالخرانة العامة بالرباط تحت رقم د1698، أنظر (محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1983م، ص155).

⁵ محمد مزين: (بعض النوازل في كتاب الجواهر المختارة للزياتي)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1985م، ص330-336.

⁶ محمد حجي: الحركة الفكرية... ج1، المرجع السابق، ص214.

⁷ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص36.

⁸ عبد الهادي التازي: جامع القرويين... ج2، المرجع السابق، ص422.

⁹ عبد القادر الفاسي: المصدر السابق، ص9.

الجزائري (ت1479م) المعروفة بالجزائرية واسمها الكامل كفاية المريد في علم التوحيد، فقد قام السلطان السعدي أحمد المنصور بتحييسها بخزانة القرويين سنة 1601م، ومنذ ذلك الوقت صارت مرجعا مهما في علم التوحيد لدى طلبة وأعلام المغرب الأقصى خلال العصر الحديث¹، كما شاع مصنف أحمد بن زكري المسمى بمحصل المقاصد مما به تعتبر العقائد وهو عبارة عن نظم من ألف وخمسمائة بيتا، وقد قام أحمد المنجور بشرحه وسماه نظم الفوائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد، وكذلك الشأن لمؤلفه الآخر الشهير بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب والذي نال شهرة واسعة بالمغرب الأقصى أين قام العديد من العلماء والفقهاء بشرحه كأحمد المنجور ومحمد بن عبد الرحمن الفاسي ومحمد بن ابراهيم الجزولي².

وخلف عبد الواحد الونشريسي بمدينة فاس كتاب المنهج المنتخب، وقد لاقى اهتماما كبيرا من طرف علماء المغرب الأقصى وتركوا عنه شروحا ومختصرات وحواشي كأحمد المنجور الذي شرحه وترك عنه مختصرا³، وكذلك الشأن لكتاب مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول لصاحبه محمد الشريف التلمساني الذي أهدها للسلطان أبا عنان هذا الأخير وضعه في خزانة القرويين⁴، ومصنف إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة للعلامة أحمد المقرئ من دون أن ننسى أرجوزة محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري (ت1682م)، والتي نقلها عنه محمد ابن زاكور الفاسي (ت1708م) في الإجازة التي منحها إياه، وبها ما يقارب سبعين بيتا شعريا يقول في مطلعها:

يقول راجي رحمة المهيمن ... محمد نجل ابن عبد المؤمن
ثم الصلاة والسلام التالي ... على النبي وصحبه وآل⁵

ولعل من أشهر المصنفات الجزائرية في علم التوحيد التي انتشرت بمختلف مدن المغرب الأقصى هي مصنفات العلامة محمد بن يوسف السنوسي (ت1490م)⁶ حيث نجد ابن أبي محلي ينصح عوام المغاربة بضرورة التمسك بالتوحيد الذي جاء به السنوسي فيقول: (فمن لم يعرف التوحيد على الوجه الذي ذكره السنوسي فهو كافر لا يضرب له في الإسلام بنصيب)⁷، كما أرسل الشيخ القصار بمدينة فاس برسالة إلى تلميذه أحمد بن علي العلمي بمدينة شفشاون يوصيه فيها بضرورة التمسك بمؤلفات السنوسي، فيقول:

¹ محمد العابد الفاسي: فهرس مخطوطات خزانة القرويين، ج2، ط1، فاس، المملكة المغربية، 1989م، ص376، صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص452.

² أحمد بن زكري التلمساني: المصدر السابق، ص58-59.

³ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية... المرجع السابق، ص427.

⁴ سعيد عيادي: المرجع السابق، ص76.

⁵ محمد ابن زاكور الفاسي: المصدر السابق، ص61-58.

⁶ محمد السنوسي: هو محمد بن يوسف السنوسي الحسني من جهة الأم كبير علماء الجزائر وتلمسان في التفسير والحديث والمنطق والتوحيد ولد بتلمسان سنة 1428م وتوفي بها سنة 1490م، وترك الكثير من المصنفات في مختلف العلوم، أنظر (محمد المصري: المصدر السابق، ص31،

أحمد بابا التنيكتي: كفاية المحتاج... المصدر السابق، ص445-452، محمد ابن عسكر: المرجع السابق، ص110).

⁷ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص134.

(وفرحت غاية بختمك الصغرى فشد روحك وطالع كتب الشيخ السنوسي السبعة حتى تحفظها، وبالك تخالف السنوسي في شيء إلا بعد مشاورة غير واحد)¹، وقد عمت عقائد السنوسي مختلف المدن المغربية من فاس ومكناس إلى مراكش وسجلماسة وتارودانت ودرعة وصولاً لتطوان وسلا، ورغم أن سبته كانت محتلة من طرف الاسبان إلا أن عقائد السنوسي كانت تدرس هناك حيث يذكر العلامة يوسف بن عابد الفاسي (ت1638م) بأنه دخل مدينة سبته وهو صغير وقرأ هناك عقائد السنوسي على يد الشيخ طاهر بن علي السبتي الذي كان متخصصاً في تدريسها.²

وعقائد السنوسي خمسة المقدمة والصغرى وصغرى الوسطى والكبرى³ لكن أبرزها هي الصغرى التي تعد من أهم العقائد شهرة واهتماماً وتسمى بأمر البراهين⁴، فقد فازت بالنصيب الأكبر من اهتمام طلبة وعلماء المغرب الأقصى أين وضعت عنها شروحا ومختصرات، كما خصص لتدريسها كرسي بجامعة القرويين يختار له أحسن شيوخ وعلماء الكلام والعقائد⁵، وقد وصلت الصغرى للمغرب الأقصى على يد تلاميذ السنوسي ونخص بالذكر أحمد بن أبي جيدة الوهراني ومحمد بن عبد الرحمن بن جلال الذي جلس يدرسها بفاس فأخذها عنه أبو المحاسن الفاسي⁶، وعن هذا الأخير نقلها علي اللخمي إلى مدينة القصر الكبير⁷، وكذلك الشأن لمحمد بن الوقاد الذي تكفل بنشرها بمدينة تارودانت⁸، وقد تنوعت اهتمامات المغاربة بصغرى السنوسي بين من ترك عنها حاشية كأحمد المنجور وعبد الرحمن الفاسي وأحمد السلامي وأحمد الغنيبي والشيخ ابن خدة وعيسى السكتاني وأحمد بن علي ومحمد الشفشاوني وأحمد بن أبي المحاسن ومحمد الخرشي⁹.

ومنهم من شرحها كالحسن الهداجي الدرعي ومحمد ابن عرضون ومحمد الفجيجي وعيسى السكتاني وعلي الهداجي¹⁰، ومنهم من ترك عنها تعليق ونظم كعبد الله السملالي وعبد الرحمن الفاسي بينما كان يدرسها كل من أبو القاسم بن سودة ومحمد اليستيني وأحمد بن علي العلمي وعبد الرحمن القرني في كل من القرويين

¹ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص320.

² يوسف بن عابد الفاسي: رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت، تحقيق إبراهيم السامرائي وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م، ص7.

³ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص122.

⁴ محمد المصري: المصدر السابق، ص39.

⁵ عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية...، ج1، المرجع السابق، ص122.

⁶ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص258-259.

⁷ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص282.

⁸ محمد الحضيكي: الطبقات...، ج1، المصدر السابق، ص287.

⁹ أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص135، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص343.

¹⁰ محمد القادري: المصدر السابق، ص300، محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص207.

بفاس والقصر الكبير وشفشاون¹، ونحاول في الجدول التالي تلخيص أبرز العلماء المغاربة الذين اهتموا بصغرى السنوسي².

اسم العالم المغربي	تاريخ وفاته	مظاهر اهتمامه بصغرى السنوسي
أحمد بن علي المنجور	(ت1587م)	ترك عنها حاشية
الحسن الدراوي الدرعي	(ت1598م)	قام بشرحها
محمد ابن عرضون	(ت1603م)	ترك عنها شرح موسوم بالحفيدة في شرح العقيدة
أحمد بن أبي المحاسن	(ت1612م)	وضع عنها حاشية
أحمد السلامي	(ت1618م)	وضع عنها حاشية
أحمد بن علي	(ت1618م)	ترك حاشية على شرح الصغرى
محمد الشفشاوني	(ت1618م)	ترك عنها حاشية
عبد الرحمن الفاسي	(ت1626م)	قام بشرحها
محمد الفجيحي	(ت1628م)	قام بشرحها
أحمد الغنيمي	(ت1624م)	وضع عنها حاشية
يبيورك السملالي	(ت1638م)	قام بشرحها
عبد الله السملالي	(ت1643م)	ترك عنها تعليق
عيسى السكتاني	(ت1652م)	وضع شرح على شرح الصغرى
أبو البركات الفاسي	(ت1681م)	أخذ عنها
عبد الرحمن الفاسي	(ت1686م)	ترك عنها نظم
محمد بن الشيخ الخرخشي	(ت1689م)	قام بشرحها

وبالإضافة للصغرى شاع بالمغرب الأقصى تداول العقيدة الكبرى المسماة بعقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وزيف أهل التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد³، ومن جملة أعلام الجزائر الذين تكفلوا بنشرها بالحواضر المغربية كل من محمد بن الوقاد التلمساني بمدينة تارودانت⁴ ومحمد بن عبد الرحمن ابن جلال التلمساني⁵ وأحمد ابن أبي جيدة الوهراني بمدينة فاس، وعنه أخذها علي اللخمي وعاد بها

¹ محمد المنوني: كراسي الأساتذة... المرجع السابق، ص96، محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص320.

² الصالح بن سالم: (الأستغرافية الجزائرية بالحواضر المغربية خلال القرنين 16-17م)، مجلة المواقف، ع12، جامعة معسكر، الجزائر، 2017م، ص114.

³ كبرى السنوسي: ألفها العلامة محمد بن يوسف السنوسي في عشرة أوراق تحت مسعى عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدئ عنيد، وقد تطرق فيها لأهم عقائد الأشعرية وشرحها، أنظر (خالد بلعربي: المرجع السابق، ص166-167).

⁴ محمد الحضيكي: الطبقات...، ج1، المصدر السابق، ص287.

⁵ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص258-259.

إلى القصر الكبير أين نشرها هناك¹، وإذا كان أغلب أعلام المغرب يعتبرون الصغرى هي الأهم في عقائد السنوسي فان العلامة الحسن اليوسي (ت1690م) اعتبر الكبرى هي الأولى بالدراسة وبعدها الوسطى ثم الصغرى وصغرى الصغرى، فقد شرحها وسماها بعمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد وترك عنها أيضا حاشية²، وكذلك الشأن لأحمد المنجور (ت1587م) الذي وضع عنها حاشية سماها بالحاشية الكبرى على شرح كبرى السنوسي³، وقد قمنا بجمع مختلف الأعمال التي تركها أعلام المغرب الأقصى عن كبرى السنوسي من شرح وحاشية ومختصر وتدریس في الجدول التالي⁴:

اسم العالم المغربي	تاريخ وفاته	مظاهر اهتمامه بكبرى السنوسي
محمد القصار	القرن 16م	وضع عنها حاشية
أحمد المنجور	(ت1587م)	ترك عنها شرح وحاشية
عبد الواحد ابن عاشر	(ت1630م)	وضع عنها طرر وتقييد
الحسن اليوسي	(ت1690م)	وضع عنها حاشية
أحمد بن محمد الولاوي	(ت1715م)	ترك عنها حاشية

وإلى جانب الصغرى والكبرى كانت العقيدة الوسطى مرجعا لا بد منه لدى طلبة مدينة تطوان⁵، ولم تقتصر عملية نقل مؤلفات السنوسي إلى الحواضر المغربية من قبل علماء الجزائر بل تعدى ذلك إلى علماء المغرب الأقصى، فبعد زيارة قادت الروداني إلى الجزائر احتك بالشيخ سعيد قدورة وأخذ عنه عقائد السنوسي بشروحها وقام بنقلها إلى فاس⁶، ولعل أحسن ما قيل في عقائد السنوسي لما زار أحمد المقرئ التلمساني مدينتي فاس ومراكش ووجد بها مؤلفات السنوسي ابن بلدته منتشرة بقوة في هذه الأقطار فترك عنها تقریظا يقول فيه:

وقد طارفي الأقطار صيت عقائد ... لأعلامنا حازت خصال رهان
ولا مثل ما أبدى السنوسي إذ غدت ... عقائده تحوي خصال رهان
وقد نظم المولى الشريف محمد ... عقيدته الصغرى نظام جمان⁷

¹ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص282.

² الحسن اليوسي: حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي أو عمدة التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، تحقيق حميد حماني اليوسي، ط1، مطبعة دار الفرقان، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2008م، ص18، الحسن اليوسي: الرسائل، جمع وتحقيق فاطمة خليل القبلي، ج2، الشركة الجديدة دار الثقافة، المملكة المغربية، دت، ص471.

³ أحمد المنجور: الحاشية الكبرى على شرح كبرى السنوسي، تحقيق نور الدين عجرود، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2012م، ص7.

⁴ الصالح بن سالم: الأستغرافية الجزائرية بالحواضر المغربية...، المرجع السابق، ص115.

⁵ عبد العزيز السعود: المرجع السابق، ص283-284.

⁶ محمد الروداني: المصدر السابق، ص181.

⁷ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص328-329.

وقد تنوعت هذه المصنفات باختلاف الميول العلمي والثقافي لدى هؤلاء العلماء بين النحو والصرف والعروض والبلاغة واللغة والأدب والتاريخ ...

- كتب الآداب:

أشهر قصيدة في المدح النبوي بمنطقة الغرب الاسلامي ككل هي بردة الشيخ شرف الدين محمد بن سعيد البصيري (ت1293م)، والموسومة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية التي شرحها محمد ابن مرزوق التلمساني وسماها إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة، وقد انتشرت بمختلف الحواضر المغربية خلال العصر الحديث¹، وترك العلامة الهواري بمدينة فاس أرجوزة في أنواع الجناس سماها تحفة الجلاس في أنواع الجناس²، ويعتبر أعلام الجزائر أول من أدخل الخزرجية في العروض لمختلف المدن المغربية من خلال تلامذة الشيخ محمد بن يوسف السنوسي³، وقد شاع استعمال قصيدة العلامة والأديب الحسن القسنطيني والتي تغنى من خلالها بالمدن المغربية أثناء رحلته من قسنطينة إلى مراكش وأرسلها لصديقه أبي البدر ابن مردنيش كرمز للتواصل بين البلدين قائلًا فيها:

ولما جئت وجدة همت وجدا ... بمنخنت المعاطف معنوي
وحل رشا الرباط رشا رباطي ... وتيمني بطرف بابلي
وأطلع قطر فاس لي شموسا ... مغارهن في قلب الشجي
وما مكناسة إلا كناس ... لأحوا الطرف ذي حسن سني
وان تسأل عن أرض سلا ففيها ... ظباء صائدات للكي
وفي مراكش يا ويح قلبي ... أتا الوادي فطم على القري
فها أنا قد اتخذت الغرب دارا ... وأدعا اليوم بالمراكشي
تقسمني الهوى شرقا وغربا ... فيا للمشرقي المغربي
فلي قلب بأرض الشرق عان ... وجسم حل بالغرب القصي⁴

وألف العلامة عبد الله بن محمد العنابي المستقر بوادي درعة قصيدة شعرية حول أستاذه ابن هلال السجلماسي وسماها جواهر الجلال في استجلاب مودة ابن هلال، وقد انتشرت بكل من الجزائر والمغرب

¹ أحمد المقرئ: الرسائل.... المصدر السابق، ص405.

² عبد القادر الفاسي: المصدر السابق، ص9.

³ الخزرجية: وتنسب نسبة لأبي محمد عبد الله الخزرجي (ت1228م)، وقد وصلت للجزائر عبر أحمد بن محمد بن زاغو التلمساني، والذي أخذها عنه العلامة علي الفلصادي، وعن هذا الأخير أخذها محمد بن يوسف السنوسي، ومنه انتقلت للمغرب الأقصى عبر تلامذته، أنظر: (محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص275).

⁴ أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص184-186.

الأقصى، وقام الشيخ محمد المكي الدرعي باقتباس نص القصيدة كاملا في مصنفه الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة¹، كما ترك قصيدة أخرى بمدينة درعة تسمى بقصيدة سلسلة الأنوار العجيبة وتبتدأ ب:
سلسلة الأنوار لاحت رسائلي ... ودارت بأفلاك الصعود وسائلي².

وقد ترك علماء الجزائر بالحواضر المغربية العديد من الدواوين الشعرية في المدح والذم والثناء والغزل وغيرها، فقد قام محمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني (ت1523م) برثاء شيخه محمد بن غازي بقصيدة مؤثرة أصبحت تتناقلها الألسن جيلا بعد جيل، كما شاع استعمال شرحه للامية كعب ابن زهير الموسومة بتسهيل الصعب على لامية كعب³، وبعد مقتل عبد الواحد الونشريسي خلف وراءه بفاس أشعار موزونة وملحونة حول الموسيقى والغزل والمولد النبوي ذكرها محمد بن قاسم الزجاجي في كناشته خلال القرن السابع عشر الميلادي⁴ دون أن ننسى منظومة عبد الرحمن الأخصري في البيان التي لاقت شهرة واسعة بالمغرب الأقصى أين قام أحمد بن محمد بن يعقوب الولاوي (ت1716م) بشرحها بمدينة وليلي⁵، وتم تداول قصيدة الشيخ عبد الله البسكري في مدح المدينة المنورة خلال القرن السابع عشر الميلادي، والتي أصبحت تذكر على لسان كل الرحالة المغاربة، وتدون في مؤلفاتهم أبرزها كتاب تذكرة المحيين للعلامة محمد الرصاع ورحلة محمد القيسي السراج الموسومة بأنس الساري والسارب والتي ختم بها رحلته⁶.

ومن مؤلفات عبد الكريم الفكون التي وصلت للمغرب الأقصى عن طريق الرحالة عبد الله العياشي كتاب شرح البسط والتعريف في علم التصريف، فقد ألفه سنة 1638م وهو شرح لأرجوزة عبد الرحمن المكودي الفاسي (ت1405م)، وقد أعجب به العياشي وأشاد به كثيرا بل وفضله على شرح ابن بلده الشيخ محمد المرابط الدلاوي⁷، ونفس الشيء لكتابه الآخر في الصرف والذي سماه فتح اللطيف في علم التصريف والذي وصل للمغرب الأقصى ومدحه كل من عبد الله العياشي ومحمد القادري⁸، وكذلك الشأن لديوانه الذي يحتوي على سبعمئة بيتا شعريا، وهو من المؤلفات المفقودة حاليا حيث لم يبق منه سوى مائة بيتا نقلها العياشي وذكرها في رحلته ماء الموائد بعدما أهدى له محمد بن عبد الكريم الفكون النسخة الأصلية لكتاب

¹ محمد مخلوف: المرجع السابق، ص269.

² محمد بن عسكر: المصدر السابق، ص84-85.

³ محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص138، يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ...، المرجع السابق، ص104.

⁴ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص156-157.

⁵ محمد القادري: المصدر السابق، ص184.

⁶ محمد السراج: المصدر السابق، ص143.

⁷ عبد القادر بكار: المرجع السابق، ص176.

⁸ أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون...، المرجع السابق، ص181-182.

والده، كما استعار منه أيضا شرح أرجوزة المكودي في التصريف¹، والذي اعتمد عليه عديد النحويون والأدباء المغاربة كالشيخ محمد الحضيكي (ت1775م) في تأليف كتابه الطبقات².

ومن المصنفات النحوية التي شاع استعمالها في المغرب الأقصى شرح المرادي على ألفية ابن مالك، والتي ترك عنها بعض النحويون الجزائريون عديد الشروح والحواشي كحاشية يحيى الشاوي التي اشتهرت كثيرا خلال العهد العلوي بالمغرب الأقصى، وحاشية عبد الرحمن المنجرة (ت1766م) المسماة بفتح الهادي على بعض ألفاظ نظم ابن غازي والمرادي هذا الأخير ترك حواشي وتعليق أخرى كحاشية الجعبري الكبيرة وحاشية على فتح المنان وشرح الدالية³، وبعد وصول الشاعر والأديب سعيد المنداسي للمغرب الأقصى ترك هناك عديد القصائد التي تتراوح بين الأشعار الفصيحة والعامية أشهرها العقيقة التي تتألف من ثلاثمائة واثنتين بيتا شعريا ألفها ببلاط مولاي اسماعيل بمدينة مكناسة سنة 1677م بعد عودته من البقاع المقدسة، وهي قصيدة مطولة يمدح فيها المنداسي البقاع المقدسة والصحابة والأنصار والنبى عليه الصلاة والسلام⁴، وقد اشتهر المنداسي أيضا بقصيدته النونية الشهيرة باسم - الإعلام فيما وقع للإسلام من قبل الترك في تلمسان - في ذم وهجاء الأتراك من جهة ومدح السلاطين العلويين من جهة ثانية⁵، ويعتبر المنداسي أول من أسس الشعر الحوزي بمنطقة المغرب ككل، فأخذ عنه تلميذه الشاعر المغربي المصمودي وألف قصيدته المشهورة باسم القريحة والتي يقول في أحد أبياتها:

من عند الماهر مرتب قياسي ... قنـدوز سعيد المنداسي⁶

ورغم أن سعيد المنداسي كان من أشد المعارضين للحكم العثماني إلا أن مؤلفاته لم تكن ممنوعة بالجزائر فقد قام كل من أحمد بن سحنون الراشدي وأبوراس الناصري بشرح العقيقة، وقال هذا الأخير في صاحبها: (العلامة الرباني سيدي سعيد بن عبد الله التلمساني قدس سره وحماه ومنحه الرضوان وحرس حماه ...)⁷، وبعد رحلة أبو راس للمغرب الأقصى قدم مؤلفيه الدرّة الأنيقة في شرح العقيقة وشرحه لمقامات الحريري هدية للسلطان سليمان العلوي، وبذلك شاع استعمالهما بمدينة فاس والمغرب ككل⁸، ولما

¹ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص498-504، أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص91، 92.

² محمد الحضيكي: الطبقات...، المصدر السابق، ج1، ص83.

³ الحاج بنبرد: (الحياة الفكرية والأدبية واللغوية بفاس خلال القرنين 11-12هـ - دراسة في عوامل ازدهارها ومظاهرها -)، مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع83، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2013م، ص76، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص306، محمد الأخضر: المرجع السابق، ص287.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص371-372.

⁵ محمد أبي راس الناصري: الحلل السندسية...، المصدر السابق، ص89.

⁶ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج1، المرجع السابق، ص180.

⁷ محمد أبي راس الناصري: الدرّة الأنيقة...، المصدر السابق، ص3.

⁸ محمد أبي راس الناصري: الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة...، المصدر السابق، ص12.

كان عبد الرزاق بن حمادوش بالمغرب الأقصى ترك عدة مقامات وقصائد تتنوع بين رثاء لشيخه ابن المبارك ومدح بعض الشيوخ الذين تتلمذ عليهم¹.

ومن القصائد الجزائرية التي وصلت للمغرب الأقصى خلال العهد العلوي نجد قصيدة العصماء للعلامة محمد بن محمد ابن علي (ت1755م) في مدح الداوي محمد بكداش صاحب الفتح الأول لمدينة وهران سنة 1708م، وقد نقلها عبد الرحمن الجامعي في شرحه لمنظومة الأديب التلمساني الحلفاوي في فتح وهران، وقد نالت اعجاب الجامعي كثيرا وأشاد بها معلقا عنها بالقصيدة الفريدة الحسنة للأديب النابغ وفريد عصره والذي أجاد في مدح سيدنا ويقصد به الداوي محمد بكداش²، كما اشتهرت بمدينة تازة بالمغرب الأقصى قصيدة الهزمية للرحالة والشاعر محمد العامري التلمساني التي نظمها سنة 1748م وهي عبارة عن رحلة حجازية شعرية من تازة نحو الحرمين الشريفين مطلعها:

أزمع السير إذ دعت أدواء ... لشفيع الأنام فهو الدواء³

- كتب التربية والتعليم:

لقد انتشر التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني بقسميه التقليدي الشعبي الذي كان يقدم في المساجد والكتاتيب من أجل تعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة، والتعليم الاحترافي أو الصناعي ويعتمد على المرحلة في التدريس ويقدم في المدارس والمعاهد أين يستفيد التلميذ من مناهج دراسية متنوعة حسب الفئة العمرية التي ينتمي إليها⁴، وقد وجدت العديد من المصنفات التي تهتم بطرق ومناهج التعليم أبرزها كتاب جواهر الاختصار والبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان⁵ لأحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني (ت1524م) الذي ألفه بعدما حط رحاله بمدينة فاس حول آداب التربية والتعليم، وقد نال شهرة كبيرة بفاس وغيرها من المدن المغربية بل أصبح من أبرز المصادر المعتمدة في التدريس بالمغرب خلال العهد السعدي والعلوي⁶.

¹ ليلي غويبي: المرجع السابق، ص225.

² فوزية لزغم: المرجع السابق، ص65-67.

³ عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص56.

⁴ علال بن عمر: المرجع السابق، ص88-89.

⁵ تناول فيه المغراوي أساليب التعليم، وأجرة المعلم، وطرق تأديب الصبيان، وسلوك المعلم مع تلاميذه، وأيام الراحة لدى التلاميذ، وصفات المعلم الناجح وغيرها، أنظر: (أحمد بن أبي جمعة المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص13-56).

⁶ محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص113، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص353.

من المؤلفات الجزائرية التي وصلت للمغرب الأقصى في مجال السياسة والحكم نذكر واسطة السلوك فيما يجب على الملوك محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي شاع استعماله بالمغرب الأقصى خلال العهد السعودي والعلوي، وقد اعتمد عليه الحسن اليوسي في رسائله¹ لكن أشهر المؤلفات الجزائرية التي نالت اهتمام طلبة وعلماء المغرب الأقصى في هذا التخصص نجد كتاب نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لأحمد المقري الذي ترك عنه علي بن أحمد الفاسي مختصراً²، وكان من المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها المؤرخ محمد بن عبد السلام الشهير بالضعيف الرباطي (ت1815م) في تأليف كتابه تاريخ الدولة العلوية السعيدة³، ومن خلال تفقد كناشة الشيخ محمد الطالب الفاسي التي وضعها سنة 1820م حول شيوخه وتلاميذه فإننا نجد مؤلفات المقري تنصدر المؤلفات التي استفاد منها وبالخصوص نفع الطيب⁴.

وكذلك الشأن لكتابه الآخر أزهار الرياض الذي ألفه بالمشرق وأرسل به لبعض طلبته وشيوخه بالمغرب الأقصى، وقد أعجبوا به بل وراسلوه بقصائد مدح حول المصنف ومن بينها مراسلة المكلاطي ومراسلة الشيخ الحسين بن علي الفاسي⁵، ويذكر في هذا الشأن محمد حجي بأن المقري شرع في تأليف كتابه أزهار الرياض بمدينة فاس قبل أن يهاجر للمشرق، ويستدل في ذلك بكناشة تعود للقرن السابع عشر الميلادي حيث بعث الشيخ محمد بن يوسف التلمي (ت1668م) برسالة للمقري يطلب منه نسخة من كتابه أزهار الرياض ان أكمله⁶، وبالنسبة لتاريخ المدن فقد ترك العلامة التلمساني محمد بن الوقاد (ت1687م) مؤلفاً حول تاريخ مدينة تارودانت وهو عبارة عن تقييد لأهم الأحداث السياسية والاقتصادية التي مرت بها مدينة تارودانت ما بين (1658-1662م)، وقد أصبح المصدر الأول في دراسة تاريخ تارودانت خلال العصر الحديث⁷.

كما صدر للعلامة محمد أبي راس الناصري عديد المصنفات حول تاريخ المغرب الأقصى ودوله المتلاحقة، ويحتمل بأنه ألفها وهو في المغرب الأقصى، وقدمها لمختلف شيوخه وتلاميذه هناك، وأبرز هذه المؤلفات نذكر: العز المتين في ذكر ملوك بني مرين وهو مؤلفاً خاصاً بالدولة المرينية، وعن الدولة الوطاسية ألف كتاب ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، وعن الدولة السعودية صنف كتاب الزهرة الوردية في ملوك

¹ الحسن اليوسي: الرسائل...، ج1، المصدر السابق، ص246.

² محمد القادري: المصدر السابق، ص487.

³ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص42.

⁴ حماد الله ولد مياي: (كناشة محمد الطالب وأهميتها للتاريخ الثقافي المغربي)، مجلة آفاق الثقافة التراث، ع79، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2012م، ص27.

⁵ ليلي غويي: (التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع المغاربة في العصر الحديث)، مجلة الدراسات التاريخية، ع14، جامعة الجزائر، 2012م، ص222.

⁶ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص165.

⁷ محمد ابن الوقاد: المصدر السابق، ص5-18.

الدولة السعدية وذكر بعنوان آخر وهو الزمردة الوردية في ملوك الدولة السعدية، وعن الدولة العلوية ترك الناصري كتاب الزهرة السموية في أخبار الملوك العلوية¹، كما أُلّف بمدينة تطوان كتابه روضة السلوان المؤلفة بمرسى تطوان والجزاية من عند أميرها تأتيني بأمر السلطان سليمان تطرق فيه لتاريخ مدينة تطوان وسيرة مولاي سليمان²، كما ترك مؤلفا تاريخيا آخر سماه در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة في كراستين، ويذكر أبو القاسم سعد الله بوجود نسخ منه موجودة في مدينة مكناسة المغربية³.

- كتب الرحلة والجغرافيا:

من أبرز الرحلات الجزائرية التي وصلت للمغرب الأقصى وتداولتها المصادر المغربية ما تركه ابن قنفذ القسنطيني الذي وضع مؤلفا في فن الرحلة شرح فيه رحلة العبدري الحجازية وسماه المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية، والذي شاع استعماله بالمغرب الأقصى خلال العصر الحديث، وبعد عودة أحمد المقري من مدينة مراكش إلى تلمسان وضع مؤلفا حول رحلته المغربية، وعنونها بروضة الآس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيته بالحضرتين مراكش وفاس، وكان يريد تقديمه كهدية للسلطان أحمد المنصور حيث لخص فيه المقري سفريته إلى مدينتي فاس ومراكش والشيخ الذين تتلمذ على يديهم هناك⁴، ويمكن أيضا اعتبار قصيدة العقيدة لسعيد المنداسي التي خطها سنة 1677م رحلة حجازية لكنها في مجال النظم والشعر وليست رحلة نثرية⁵، لكن أبرز رحلة جزائرية مخطوطة شاع استعمالها بالمغرب الأقصى هي رحلة الفقيه محمد العامري التلمساني (ت1757م)، وكانت هذه الرحلة سنة 1739م خطها العامري بعد عودته من الحجاز وسماها بالرحلة العامرية، وقد تكفل محمد المنوني بنشرها ضمن كتابه من حديث الركب المغربي⁶، وهي عبارة عن منظومة وصف فيها كل محطات الرحلة من تازة إلى الحرمين الشريفين ويقول فيها:

وإذا ما أردت مشيا إلى الشام ... ففيها أئمة أنبياء
وهناك صخرة القدس في المسجد ... الأقصى حازتهما إلبياء
ومزارات عندها مثل داو ... د النبي ومريم العذراء
أهلها من أجل ناس كرام ... بهم يتأنس الغرباء⁷

¹ محمد أبي راس الناصري: شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف... المصدر السابق، ص200-201.

² محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته... المصدر السابق، ص164.

³ محمد أبي راس الناصري: الإصابة فيمن غزا المغرب... المصدر السابق، ص17، أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج1، المرجع السابق، ص101.

⁴ عبد الرحمن بلفرح: المرجع السابق، ص98.

⁵ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج1، المرجع السابق، ص180.

⁶ محمد المنوني: من حديث الركب المغربي...، المرجع السابق، ص88-104.

⁷ محمد ماكلمان: المرجع السابق، ص235-236.

وهي التي تهتم بالعلماء والشيوخ والأسانيد وتختلف تسميتها بين الفهارس والثبت والتراجم، ومن أولى المصنفات الجزائرية المتعلقة بالتراجم نذكر الإقناع في ترتيب السماع لمحمد بن عبد الحق البطوي (ت1227م)، وفهرس محمد المقري الجد (ت1357م) المسمى بنظم الآلي في سلوك الأمالي، وبعدها نجد فهرسة محمد العبادي التلمساني (ت1466م)، وكذلك الشأن لعبد الرحمن الثعالبي (ت1470م) وفهرسته غنيمة الواجد وبغية الطالب الماجد، وفهرسة محمد بن يوسف السنوسي (ت1489م)، وترك أيضا محمد التنسي (ت1493م) برنامج لشيوخه، وكذلك الشأن لمحمد المغيلي (ت1503م) الذي ترك فهرسة لشيوخه، وأحمد الونشريسي (ت914هـ) وكتابه وفيات الرجال، وترك محمد شقرون (ت1522م) فهرسة لشيوخه الذين أخذ عنهم بتلمسان وفاس، وبعده ترك علي بن هارون المطغري (ت1544م) ثبت حول شيوخه استفاد منه أحمد المنجور في تأليف فهرسته الشهيرة، وبعدها ترك عيسى الثعالبي (ت1669م) فهرسة لشيوخه سماه كنز الرواة، كما ترك عبد الرحمن بن إدريس المنجرة (ت1755م) فهرس لشيوخه سماه الإستناد للشفيح يوم التناد بما حضر من الذخائر عند الانتقال من دار الكبائر¹.

ومن أبرز المؤلفات المتعلقة بالتراجم والمناقب الجزائرية التي وصلت للمغرب الأقصى نذكر كتاب عنوان الدراية للغبريني، فقد وصلت النسخة الأصلية والوحيدة منه إلى جامع القرويين حسب رواية البوعبدلي، ولم يذكر كيف انتقلت إلى هناك وفي أي فترة زمنية بالضبط على اعتبار أن كتب التراجم المغربية خلال القرون السابع والثامن والتاسع عشر الميلادي أغلبها اعتمدت على كتاب الغبريني²، وأغلب الظن وصل خلال القرن الثامن عشر ميلادي على اعتبار أن محمد القادري (ت1773م) اعتمد على كتاب عنوان الدراية في وضع مصنفه الإكليل والتاج³، ومن جملة ما ألفه علماء الجزائر بالمغرب الأقصى في هذا الفن نجد أحمد بن قنفذ القسنطيني (ت1407م) الذي هاجر من مدينة قسنطينة إلى المغرب الأقصى وترك به مؤلفه الشهير الوفيات، وهو المصنف الذي نال نصيبا كبيرا من اهتمام علماء المغرب الأقصى كأحمد ابن القاضي الذي ترك مؤلفا سماه لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد ذيل به كتاب وفيات ابن قنفذ⁴.

ومحمد الفشتالي (ت1612م) الذي ترك منظومة في الوفيات نظم فيه وفيات ابن قنفذ⁵ سماها لامية الوفيات⁶، كما يذكر أحمد بابا في نهاية كتابه كفاية المحتاج بأنه اعتمد في تأليف كتابه على مجموعة من

¹ عبد الله الترغي: فهارس علماء المغرب ... المرجع السابق، ص 602-678.

² المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر... المرجع السابق، ص 59.

³ محمد القادري: المصدر السابق، ص 40، 43.

⁴ أحمد المقري: روضة الأس... المصدر السابق، ص 273-275، أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1، ص 155.

⁵ عبد السلام بن سودة: دليل مؤرخ المغرب... المصدر السابق، ص 280.

⁶ محمد القادري: المصدر السابق، ص 309.

المؤلفات التي كانت موجودة بمدينة مراكش أبرزها وفيات ابن قنفذ، ووفيات أحمد الونشريسي¹، وقد ترك أيضا العلامة علي بن هارون المطغري ثبت ذكر فيه مختلف الشيوخ والأعلام الذين التقى بهم وأخذ عنهم بفاس، وقد اطلع على هذا الثبت تلميذه أحمد المنجور²، كما ترك عبد الواحد الونشريسي (ت1549م) في هذا الشأن فهرسة لأهم شيوخه³، ومجموعة من الكنانيش التي أشار لها أحمد المنجور في فهرسه⁴، وعيسى بن موسى التوجيني (ت1554م) الذي رحل من قبيلة بني توجين إحدى بطون زناتة القاطنة بجبال الونشريس إلى مدينة فاس، وتلمذ على يد أحمد بن غازي وترك مؤلفا حول أهم شيوخه سماه بغية الطالب في ذكر الكواكب⁵، كما ترك العلامة محمد بن علي الزواوي (ت1533م) مصنفا سماه تحفة الناظر ونزهة المناظر⁶ ترجم فيه لمختلف المشايخ والعلماء الذين تتلمذ عليهم⁷، ولما ارتحل أحمد العبادي (ت1560م) من تلمسان نحو فاس طلب منه طلبته هناك وضع مصنفا حول شيخه محمد السنوسي فاستجاب لهم العبادي إلا أن هذا المصنف ضاع حسب أبو القاسم سعد الله⁸.

وبحكم هجرة ابن مريم التلمساني إلى المغرب الأقصى وبالضبط نحو مدينة مكناسة فقد بقي على تواصل مع تلاميذه وشيوخه هناك، وبمجرد الانتهاء من مؤلفه المعروف بالبستان سنة 1605م⁹ حتى وصلت نسخة منه إلى مختلف الحواضر المغربية، واعتمد عليه مختلف المؤرخين المغاربة خلال القرون السابع والثامن والتاسع عشر الميلادي، ولما انتهى عيسى الثعالبي من وضع مصنفة كتز الرواة المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع، وهو عبارة عن فهرسة لشيوخه الذين تتلمذ عليهم في الجزائر ومصر والحجاز قام بتقديمه لتلميذه الرحالة أبو سالم العياشي الذي اطلع عليه بل هو الذي اختار له هذا العنوان وقد ضمنه العياشي تقديمًا وقصيدة دالية في مدح شيخه الثعالبي، كما قام بنسخه ونشره بالزاوية العياشية و المغرب الأقصى ككل¹⁰، ومن أعلام الجزائر الذين وفدوا على مدينة فاس وتركوا بها فهرسة لشيوخهم نجد عبد الخالق الندرومي والتي اطلع عليها المؤرخ عبد العلي الكتاني¹¹، كما ترك العلامة ادريس المنجرة فهرس بمدينة فاس لمختلف شيوخه¹² بينما ترك ولده عبد الرحمن المنجرة (ت1765م) فهرسة لشيوخه سماها الإسناد

¹ أحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج... المصدر السابق، ص516-517.

² أحمد المنجور: الفهرس... المصدر السابق، ص41.

³ عبد السلام بن سودة: المصدر السابق، ص211.

⁴ محمد المنوني: قبس من عطاء المخطوط...، ج1، المرجع السابق، ص249، عبد العزيز بن عبد الله: (الفهرسة والكناشة في نشاط المغرب

الفكري)، مجلة التاريخ العربي، 7ع، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 1998م، ص134.

⁵ يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة...، ج2، المرجع السابق، ص230.

⁶ مخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط يحمل رقم 2049.

⁷ عبد الرحمن الفاسي: المصدر السابق، ص79.

⁸ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص372.

⁹ عبد القادر بكاري: المرجع السابق، ص128.

¹⁰ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص63.

¹¹ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص67.

¹² توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2172، أنظر (محمد الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص230).

للسفيح يوم التناد¹ من دون أن ننسى فهرسة حفيد هذا الأخير الشيخ أبي بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس الحسني (ت1824م) والذي تضمنت عديد الأشعار والقصائد المغربية².

كما شاع استعمال الآداب السلطانية من خلال ترك مصنفات مناقبية حول السلاطين والحكام، وقد كان محمد ابن مرزوق من السابقين في هذا التخصص بمنطقة المغرب ككل، وذلك من خلال تصنيف كتابا يمدح فيه السلطان أبا الحسن المريني سماه بالمسند الصحيح الحسن في مآثر السلطان أبو الحسن³، وقد أصبح بمثابة المرجع الأساسي لمختلف الراغبين في تصنيفات من هذه الشاكلة في العصر الوسيط والحديث، كما اعتمد محمد القادري في كتابه الاكليل والتاج خلال القرن الثامن عشر الميلادي على كتاب نظم الدرر والعقيان في شرف بنو زيان للحافظ التنسي والذي يدخل ضمن كتب المناقب هو الآخر⁴، وشاعت أيضا المؤلفات المناقبية حول العلماء أبرزها المناقب المرزوقية لمحمد ابن مرزوق الخطيب (ت1379م)، والذي سرد فيها سيرة أسرة ابن مرزوق وقد وصل هذا المؤلف للمغرب الأقصى نظرا للمكانة العلمية المرموقة لهذه الأسرة من جهة، وحرص أسرة ابن مرزوق على نشر هذه المناقب من باب الافتخار من جهة ثانية⁵.

* المصنفات العقلية:

وتتنوع بين المصنفات العقلية كالمنطق، والمصنفات الكونية كالرياضيات والحساب والطب والهندسة والفيزياء والكيمياء⁶.

- كتب المنطق:

لقد وصلت للمغرب الأقصى عديد المصنفات التي تتمحور حول المنطق، فرغم أن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت1470م) لم يزر المغرب الأقصى في حياته إلا أن كتابه إسياغوجي في المنطق كان يدرس في مختلف المدن المغربية⁷، فمن جملة المصنفات التي أخذها السلطان المنصور عن شيخه أحمد المنجور هو إسياغوجي في المنطق⁸، كما صنع مختصر العلامة محمد السنوسي في المنطق جدلا كبيرا هو الآخر، فقد وصل

¹ عبد العزيز بن عبد الله: الفهرسة والكناشة في نشاط المغرب الفكري...، المرجع السابق، ص127.

² محمد المنوني: قيس من عطاء...، ج1، المرجع السابق، ص266-268.

³ أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص225-227، صابرة خطيف: المرجع السابق، ص52.

⁴ محمد القادري: المصدر السابق، ص40، 43.

⁵ محمد ابن مرزوق الخطيب: المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية، المملكة المغربية، 2008م، ص139-311.

⁶ محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج2، ص61.

⁷ عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية...، المرجع السابق، ص307.

⁸ عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص266.

إلى فاس عن طريق تلامذته، ونال اهتماما كبيرا من طرف يحي السوسي، وأبو المحاسن¹، وقاضي الجماعة علي البطوئي (ت1629م) الذي ترك تقييدا عنه²، وقد ترك عنه أيضا العلامة الحسن اليوسي (ت1690م) حاشية، كما قام العلامة أحمد بن محمد الولالي (ت1715م) بشرحه، وترك عنه عبد السلام القادري رجزا وشرح هذا الرجز العلامة أحمد الهلالي السجلماسي (ت1761م)³، ونوجز في الجدول التالي أبرز علماء المغرب الأقصى الذين اهتموا بمختصر السنوسي في المنطق⁴:

اسم العالم المغربي	تاريخ وفاته	مظاهر اهتمامه بمختصر السنوسي
عبد الرحمن الفاسي	(ت1626م)	ترك عنه حاشية
علي بن قاسم البطوئي	(ت1629م)	وضع له تقييدا
أبو سالم العياشي	(ت1668م)	ترك عنه سندا
أبو علي الحسن اليوسي	(ت1690م)	ترك عنه شرحا سماه نفائس الدرر على شرح المختصر
أحمد بن محمد الولالي	(ت1715م)	قام بشرحه
أحمد الهلالي السجلماسي	(ت1761م)	شرح رجز عبد السلام القادري لمختصر السنوسي
عبد السلام القادري	(ت18م)	وضع عنه رجزا
أحمد بن محمد الدلائي	(ت18م)	صنف حوله لوامع النظر في تحقيق معاني المختصر

كما نال مصنف الشيخ أحمد بن محمد بن زكري (ت1494م)⁵ في المنطق درجة واسعة من اهتمام طلبة وعلماء المغرب الأقصى، وقد تكفل الشيخ يحي بن مخلوف السوسي بنقله من تلمسان إلى فاس⁶ وخصص لتدريسه بمسجد القرويين كرسي مستودع باب الحفأة، كما خصصت له أحباس تنفق على الشيوخ الذين يدرسونه وإيواء الطلبة الذين يقبلون على دراسته⁷، وكان العلامة عيسى السكتاني (ت1651م) من أبرز المدرسين لهذا الكتاب خلال القرن السابع عشر الميلادي وعنه أخذ العلامة الحسن اليوسي⁸، ونوجز في الجدول التالي أبرز علماء المغرب الأقصى الذين اهتموا بمصنف ابن زكري في المنطق⁹:

¹ أبي المحاسن الفاسي: المصدر السابق، ص76، عبد القادر الكوهن: إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص32.

² محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص219.

³ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص349، محمد القادري: المصدر السابق، ص184، محمد الأخضر: المرجع السابق، ص282.

⁴ الصالح بن سالم: الأستغرافية الجزائرية بالحواضر المغربية ...، المرجع السابق، ص116.

⁵ أحمد ابن زكري: هو أحمد بن محمد بن زكري المازوني التلمساني ولد ونشأ وتوفي بتلمسان سنة 1494م ودفن بروضة السنوسي، أنظر (محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص67-69، أحمد بابا التنيكتي: المصدر السابق، ص70-71).

⁶ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص271.

⁷ عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية ...، ج1، المرجع السابق، ص122.

⁸ الحسن اليوسي: الفهرس ...، المصدر السابق، ص58.

⁹ الصالح بن سالم: الأستغرافية الجزائرية بالحواضر المغربية ...، المرجع السابق، ص117.

اسم العالم المغربي	تاريخ وفاته	مظاهر اهتمامه بمصنف ابن زكري
عبد الواحد الرجراجي	(ق16م)	وضع عنه مختصرا
محمد التمنارتي	(ت1563م)	قام بشرحه
أحمد المنجور	(ت1587م)	قام بشرحه، ووضع عنه مختصرا

ومن مؤلفات علم المنطق الجزائرية التي وصلت للمغرب الأقصى نذكر كتاب لب الأبواب في رد الفكر إلى الصواب لمحمد بن عبد الكريم المغيلي وشرح الجمل في المنطق لنفس المؤلف¹، وكذلك الشأن لمصنف السلم المرونق² لعبد الرحمن الأخضر (ت1575م)³، والذي يعد من أشهر المصنفات دراسة بالمغرب الأقصى، وهو عبارة عن منظومة من مائة وأربعة وأربعون بيتا لخص فيه الأخضر علم المنطق والحكمة⁴، فقد كان يدرس بمدينة تطوان⁵، وقام بشرحه العديد من أعلام المغرب الأقصى كحسن الفاسي (ت1614م)، ومسعود بن محمد جموع (ت1706م)، وأبو مدين محمد السوسي (ت1707م)، وأحمد الولاوي (ت1716م)، وأبي بكر الغربي السلاوي (ت1726م)، والحسن اليوسي (ت1690م)⁶، وكان يدرس أيضا من طرف الأديب أحمد بن مبارك الفلاوي اللمطي (ت1743م)، ويقول محمد القادري بأنه كان يحضر هذه الدروس⁷، وأحمد بن مبارك السجلماسي الذي ترك عنه تقييدا⁸، كما ترك عنه إبراهيم بن محمد التادلي شرحا سماه القول المسلم في شرح نظم السلم⁹.

كما شاع شرح السلم المرونق لسعيد قدورة¹⁰، فقد اهتم به أحمد بن مبارك السجلماسي وترك عنه طرر¹¹، كما قام أبو عبد الله محمد بن طاهر الهواري (ت1805م) بوضع حاشية على شرح سعيد قدورة

¹ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية... المرجع السابق، ص428.

² السلم المرونق: عبارة عن منظومة من بحر الرجز أنجزها عبد الرحمن الأخضر تتألف من مائة وأربعة وأربعون بيتا لخص فيها علم المنطق والحكمة خدمة لتلاميذه وطلبته حتى يفهموا هذا العلم المستعصي عليهم، كما ترك عن نفس المنظومة شرحا لكن الشرح الذي شاع استعماله لهذه المنظومة كان لسعيد قدورة، أنظر (بوزيان الدراجي: المرجع السابق، ص295-296).

³ عبد الرحمن الأخضر: هو عبد الرحمان بن محمد الأخضر من مواليد بسكرة سنة 1512م، وبها توفي وضريحه مشهور ومزار بمنطقة زاوية بن طيوس ترك الكثير من المصنفات أهمها السلم المرونق، أنظر (عبد الرحمن الأخضر: الديوان، دراسة عبد الرحمن بترماسين، ط1، منشورات أهل القلم، الجزائر، 2009م، ص11-63).

⁴ بوزيان الدراجي: المرجع السابق، ص296-295.

⁵ عبد العزيز السعود: المرجع السابق، ص283-284.

⁶ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس... المصدر السابق، ص89-90، محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والسياسي... المرجع السابق، ص110، حنيفة هلايلي: (عبد الرحمن الأخضر رائد التصوف السلفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية)، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، ع07، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2006م، ص82.

⁷ محمد القادري: المصدر السابق، ص381، 352، 189، 184، 568.

⁸ أحمد بن مبارك السجلماسي: المصدر السابق، ص28.

⁹ Levi Provençal: Les manuscrits arabes de Rabat..., Op Cit, p.55.

¹⁰ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... ج2، المرجع السابق، ص159-160.

¹¹ أحمد بن مبارك السجلماسي: المصدر السابق، ص28.

للسلم المرونق وسماها اليواقيت المنثورة من دون أن ننسى أرجوزته في علم المنطق التي انتشرت في مختلف المدن المغربية خلال العهد العلوي¹.

- كتب الطب والحساب والفلك:

بعد هجرة العلامة ابن قنفذ القسنطيني (ت1407م) إلى مدينة فاس خلف هناك مجموعة من المصنفات التي تندرج ضمن علوم الحساب والفلك أبرزها كتاب حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب الذي ألفه بمدينة فاس سنة 1370م، وقد شرح فيه كتاب تلخيص أعمال الحساب لابن البناء المراكشي، وفي علم الفلك ترك مصنفًا سماه تيسير المطالب في تعديل الكواكب والذي شاع استعماله في مختلف الحواضر المغربية خلال العصر الوسيط والحديث²، كما ترك العلامة محمد المقري الجد بمدينة فاس كتابًا في الرياضيات سماه رسالة في ربع المقنطرات والربع المجيب³، ومن أبرز مؤلفات عبد الواحد الونشريسي التي خلفها بعد مقتله سنة 1549م بمدينة فاس كتاب نظم تلخيص ابن البنا في الحساب⁴، وإلى جانب مؤلفه السلم المرونق في علم المنطق فقد وصلت مؤلفات عبد الرحمن الأخضر في الحساب والفلك للمغرب الأقصى خلال العهد السعدي والعلوي بداية بكتاب الدرة البيضاء وهو عبارة عن رجز من خمسمائة بيتًا شعريًا⁵.

وكتاب السراج في علم الفلك وهو رجز ذاع صيته بالمغرب الأقصى لعقود طويلة بمختلف المدارس والمعاهد خلال العصر الحديث، كما وصل للمغرب الأقصى كتاب كشف الجلباب عن علم الحساب وقانون الحساب في مقدار التلخيص لعلي بن محمد القلصادي التلمساني، وقد اهتم به حسن الهشتوكي وقدم عنه شرحًا سماه كشف الأسرار عن علم حروب الغبار، كما وصل كتاب الإكسير في الحساب لابن ليون التجيبي (ت1346م) للمغرب الأقصى وقام أحمد ابن القاضي بشرحه في كتاب سماه فتح الخبير بحسن التدبير لفلك رموز الإكسير في صناعة التكسير⁶، وباعتبار أن الرحالة والطبيب الجزائري عبد الرزاق بن حمادوش زار المغرب الأقصى وربط علاقات قوية وممتينة مع بعض أعلام تطوان وفاس فلا نستغرب تداول مؤلفاته في الطب هناك أبرزها كشف الرموز، والجواهر المكنون في بحر القانون، وتعديل المزاج بسبب قوانين العلاج⁷.

¹ محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته... المصدر السابق، ص127.

² يحمل رقم 02/146 أنظر (حميد لحمير: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2009م، ص1140)، عبد الرحمن بلفرح: المرجع السابق، ص116-120.

³ تحمل رقم 03/168 أنظر (حميد لحمير: المرجع السابق، ص1145).

⁴ عبد العزيز بن عبد الله: فاس منبع الأشعاع... ج2، المرجع السابق، ص583، 702.

⁵ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية... المرجع السابق، ص437.

⁶ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية... المرجع السابق، ص437.

⁷ بشير ضيف: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ج3، منشورات ثالة، الجزائر، 2002م، ص210.

يمكننا القول في ختام هذا العنصر المتمثل في انتقال المصنفات الجزائرية إلى الحواضر المغربية وتأثيراتها العلمية والثقافية أن أبرز المصنفات التي لاقت اهتماما كبيرا من قبل علماء وطلبة المغرب الأقصى تلك التي صدرت خلال القرن الخامس عشر الميلادي، ونخص بالذكر مصنفات كل من عبد الرحمن الثعالبي ومحمد السنوسي، فقد كانت درجة تأثيرها العلمي جد بالغة رغم أن هؤلاء لم يزوروا المغرب الأقصى من قبل، وفي مجال العلوم فقد نال الفقه المكانة الأبرز من حيث المصنفات، وقد غلب على اهتمامات علماء المغرب الأقصى بالمؤلفات الجزائرية الشرح والحواشي والتذييل والمختصرات وذلك راجع لثقافة العصر السائدة آنذاك.

ثالثا/- المصنفات المغربية بالحواضر الجزائرية:

إذا كانت طرق انتقال المصنفات الجزائرية إلى الحواضر المغربية مختلفة ومتنوعة فإن طريقة انتقال المصنفات المغربية على قلتها للمدن والحواضر الجزائرية خلال العهد العثماني كانت أغلبها تتم عبر الرحلات الحجازية، فقد كانت قوافل الحج المغربية تحط رحالها بمختلف المدن الجزائرية للراحة والتزود بالمؤن اللازمة للطريق، وهناك كان تلاميذ وطلبة الجزائر يستغلون الفرصة في نسخ وأخذ هذه المصنفات عن أصحابها، وفي بعض الأحيان تصل هذه المصنفات للجزائر بعد عودة مختلف طلبة وعلماء الجزائر من الحواضر المغربية مثلما حدث مع أحمد المقرئ الذي عاد لمدينة تلمسان سنة 1601م من جولته المغربية بمجموعة كبيرة من أنفس الكتب التي اطلع عليها بخزانة الدولة المنصورية بمراكش بعدما منح له السلطان أحمد المنصور حرية الاطلاع والنسخ من مكتبته الخاصة¹، كما اطلع أيضا على مكتبة شيخه عبد الواحد الرجراجي فوجد بها كتب نفيسة لم يسبق له الوقوف عليها كحواشي اللقاني وتوضيح خليل، فأهداه الرجراجي نسخا منها وعاد بها المقرئ إلى تلمسان مسرورا، وكانت هذه المصنفات محل استغراب من طرف طلبة وعلماء تلمسان².

لكن الشيء المسجل في هذا الانتقال العلمي والثقافي المغربي للحواضر الجزائرية أن المصنفات المغربية التي حطت رحالها بالجزائر كانت شحيحة وقليلة جدا، وذلك يعود لأسباب عديدة بداية بانعدام جامعات ومراكز علمية كبيرة بالجزائر تستطيع أن تغري العالم المغربي بالقدوم إليها وترك مصنفاته بخزائنها، كما أن سياسة الأتراك لم تكن تصب في هذا الجانب من جهة واللامبالاة من طرف الرعية من حيث شراء هذه المصنفات ونسخها من جهة ثانية، فالمصنفات الجزائرية لم تلق الاهتمام اللازم من طرف طلبة الجزائر فما بالك بالمصنفات الوافدة من خارج البلد، كما ساهمت التجارة في انتقال المصنفات بين البلدين، فلما عاد عبد الرزاق بن حمادوش من سفريته بالمغرب الأقصى جلب معه مجموعة من الكتب التي اقتناها من هناك

¹ أحمد المقرئ: روضة الأس...، المصدر السابق، ص 289.

² محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج 2، المرجع السابق، ص 385.

كشمال الترمذي وشرحها لابن مخلص، ومفيد الحكام لابن هشام، ومختصر القزويني، والدوالي، ومضحكات ابن عاصم، وحاشية ميارة على لامية أحكام القضاة لعللي الزقاق، ومصنفات القاضي عياض وغيرها من الكتب المغربية والمشرقية¹.

- كتب التفسير والقراءات:

من أبرز المصنفات المغربية التي وصلت للجزائر في علم القراءات نجد كتاب مورد الظمان للخراز المغربي الشهير بالشريشي، فقد شرحه محمد التنسي وسماه بالطراز في شرح ضبط الخراز، وقام محمد شقرون الوهراني بوضع قصيدة عنه سماها بتقريب النافع في الطرق العشر لنافع²، كما انتشر بمختلف المدن الجزائرية كتاب وقف القرآن الكريم وهو تفسير لعبد الله الهبتي، وتفسير للقرآن الكريم تركه الشيخ عبد الجبار الفجيجي (ت1514م) في اثني عشر مجلدا، وكذلك الشأن لمحمد بن علي الشطيبي (ت1555م) الذي ترك تفسيراً للقرآن الكريم سماه اللباب في حل مشكل الكتاب وشرحه أيضا المسمى باللباب المختصر لأهل العبادات والنظر³ من دون أن ننسى تفسير علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري الذي خلفه بمدينة الجزائر⁴، وبمنطقة الساورة والجنوب الجزائري تداول الطلبة والشيخوخ خلال العصر الحديث قصيدة الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع في التجويد لصاحبها أبي الحسن علي بن محمد بن بري الرباطي (ت1329م)⁵.

- كتب الحديث والسيرة النبوية:

وهو من العلوم التي نالت اهتمام علماء المغرب الأقصى وتركوا عنه مصنفات عديدة عرفت طريق البعض منها إلى الحواضر الجزائرية خلال العهد العثماني، ولعل من أبرز هذه المصنفات على الإطلاق إعانة الراغبين في الصلاة والسلام على أفضل المرسلين والمعروفة بالصلاة المشيشية لعبد السلام بن مشيش (ت1225م)⁶، فبعد وصول هذا المؤلف إلى الجزائر نال اهتماما كبيرا من قبل علماء الجزائر ويعتبر محمد بن علي الخروبي أول من شرح هذا المصنف⁷، فبعد زيارة هذا الأخير إلى مسقط رأس العلامة ابن مشيش بالمغرب الأقصى طلب منه الشيخ عمر بن عيسى الحسني شرحا للصلاة المشيشية فوافق على ذلك

¹ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص111.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج2، المرجع السابق، ص22-23.

³ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية ... المرجع السابق، ص427.

⁴ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص73.

⁵ عبد الرحمن بلاغ: (العلم والعلماء في رحلة عبد الكريم بن محمد البكري التمنيطي)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص147.

⁶ عبد السلام بن مشيش: هو عبد السلام بن أبي بكر منصور بن علي الإدريسي الحسني ناسك مغربي مولده في جبل بني عروس شمال المغرب الأقصى دخل بجاية وتلمذ على يد أبي مدين شعيب الغوث وتوفي قتيلا سنة 1225م، أنظر (عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص65، خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص09).

⁷ عبد الله الترغي: (الإمام الخروبي والمواجهات الفكرية في مغرب القرن العاشر للهجرة)، ضمن كتاب التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتيب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1995م، ص263-264.

وسماه كفاية المريد وشرح تصلية القطب أبي محمد عبد السلام ابن مشيش¹، وكذلك الشأن لسعيد المقرئ الذي ترك تأليفا يشرح فيه الصلاة المشيشية²، والحسن بن يوسف الزياتي الذي ترك تصنيفا هو الآخر عن الصلاة المشيشية³.

ومن خلال تفقد رحلة أبو راس الناصري الموسومة بحلتي ونحلي في تعداد رحلتي نجد بأنه اعتمد في تأليفها على عديد المصنفات المغربية أبرزها كتاب تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبية على كثير من البدع المحدثه والعوائد المنتحلة في الحديث لصاحبه محمد العبدري (ت1336م)⁴، كما صنف المؤرخ ناصر الفزاري البسكري المعروف بابن مزني (ت1420م) - وهو من أصول مغربية - مؤلفا في علم الحديث سماه تاريخ الرواة⁵، وانتشر بالجزائر أيضا مصنف إرشاد اللبيب في مقاصد حديث الحبيب للإمام محمد بن غازي وهو كتاب في شرح الأحاديث النبوية الشريفة⁶، ومن جملة المؤلفات المغربية التي عاد بها عبد الرزاق بن حمادوش من تطوان لمدينة الجزائر في علم الحديث والسيرة النبوية نذكر حاشية سيدي عبد الرحمن الفاسي على صحيح البخاري، ونسخ من ألفية العراقي في السيرة⁷. لكن أهم مصنف مغربي في الحديث نال شهرة واهتمام من قبل علماء وطلبة الجزائر قبل وبعد انتصاب الحكم العثماني كان من دون منازع كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى مؤلفه القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت1152م)⁸.

فقد وصل للجزائر مبكرا ونال اهتماما كبيرا من قبل أعلام تلمسان والجزائر أين شرحه كل من محمد بن مرزوق الخطيب ومحمد بن محمد بن السكالك⁹، كما اهتم به أيضا محمد بن الحسن بن مخلوف (ت1463م) الذي ترك عنه ثلاثة شروح، وعبد الله بن أحمد بن يحيى الزموري (ت1483م) الذي وضع مؤلفا سماه إيضاح اللبس والخفاء عن ألفاظ الشفاء¹⁰، ومحمد بن علي التلمساني (ت1515م) الذي ترك تعليقا على كتاب الشفا وسماه بالمنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا، وقد كان هذا الشرح الضخم في جزأين اعتمد عليه محمد القادري (ت1773م) في وضع مصنفه الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج¹¹، واهتم به أيضا أبي راس الناصري وترك عنه مصنف سماه مناعم الشفا في ثلاثة أسفار¹، بينما

¹ محمد الفاسي: فهرس مخطوطات...، ج4، المرجع السابق، ص151.

² أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص348.

³ محمد القادري: المصدر السابق، ص208.

⁴ عبد القادر بكاري: المرجع السابق، ص263.

⁵ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص347.

⁶ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية...، المرجع السابق، ص427.

⁷ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص69.

⁸ القاضي عياض: هو عياض بن موسى اليحصبي ولد بمدينة سبتة 1080م، وأخذ عن مشايخها ثم دخل الأندلس وعاد إلى مراكش التي توفي بها سنة 1152م، وأهم مؤلفاته كتاب الشفا، أنظر: (عبد العلي الكتاني: المرجع السابق، ج2، ص797-804).

⁹ أحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ص377. خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص328.

¹⁰ أمين كرطالي: المرجع السابق، ص204، 202، 207.

¹¹ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص82، محمد أبو راس الناصري: الحلل السنديسية...، المصدر السابق، ص70-71.

تكفل بتدريس الشفا كل من عبد الواحد الونشريسي بجامع القرويين²، وعبد الرحمن بن محمد بن الوقاد بمدينة تارودانت وقد أجازته فيه العلامة أحمد بابا السوداني³، ولما عاد أحمد المقري من سفريته بمدينة فاس طلب منه سكان تلمسان أن يخبرهم بتفاصيل كتاب الشفا فوضع لهم مصنفه الشهير أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض⁴.

ويذكر أحمد بن قاسم البوني بأن كتاب الشفا دخل مدينة الجزائر عن طريق علي بن عبد الواحد السجلماسي وعنه أخذته العلامة عيسى الثعالبي وعن هذا الأخير أخذه قاسم البوني والد أحمد والذي أجازته فيه بمدينة عنابة⁵، وقد وصل كتاب الشفا لمختلف الحواضر الصحراوية الجزائرية بشكل عام وتوات بالخصوص عن طريق العلامة عبد الرحمن التواتي الذي جلبه من رحلته العلمية لفاس وسجلماسة وشرع في تدريسه بمختلف المراكز الثقافية بمدينة توات⁶، ومن المصنفات المغربية التي دخلت للجزائر عن طريق العلامة علي الأنصاري السجلماسي كتابه في السيرة النبوية والموسوم بالدرة المنيفة في السيرة الشريفة وقد اعتمد عليه عبد الرحمن بن محمد المجاجي في تأليف رحلته الحجازية خلال القرن السابع عشر الميلادي⁷.

ومن المصنفات المغربية المتعلقة بعلم الحديث التي وصلت للجزائر نذكر كتاب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار لصاحبه محمد بن سليمان الجزولي (ت1700م)، فقد قام العلامة محمد أبي راس الناصري بشرح هذا المصنف وسماه بالآيات البينات في شرح دلائل الخيرات⁸، كما شرح أيضا من طرف محمد بن أحمد الشريف الجزائري وسماه باستجلاب المسرات في شرح دلائل الخيرات، وشرح محمد بن محمد بن فراشة الجزائري⁹، وقد اعتمد عليه الحسين الورثيلاني في تحرير رحلته نزهة الأنظار خلال القرن الثامن عشر الميلادي¹⁰، كما وصلت للجزائر نسخة من حاشية العلامة التاودي بن سودة على صحيح البخاري واعتمد عليها الشيخ الحاج موسى علي بن أحمد الجزائري في مؤلفه ربح التجارة¹¹.

¹ محمد أبي راس الناصري: شمس معارف التكليف... المصدر السابق، ص197.

² أحمد المنجور: المصدر السابق، ص54، محمد الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص214.

³ مجموعة من الباحثين: الفقيه المنوني - أبحاث مختارة -، المملكة المغربية، 2000م، ص343.

⁴ محمد السبتي: المصدر السابق، ص29.

⁵ أحمد بن قاسم البوني: الفتاوى و الإجازات، المصدر السابق، ورقة 51-52.

⁶ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م... المصدر السابق، ص283، عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى الحج عام 1774م... المصدر السابق، ص284.

⁷ سعاد آل سيد الشيخ: (رحلة عبد الرحمن بن محمد المجاجي نموذج الرحلة الحجية التنظيمية خلال القرن 17م)، مجلة الواحات، ع20، جامعة غرداية، 2014م، ص205، محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص73.

⁸ محمد أبي راس الناصري: شمس معارف التكليف... المصدر السابق، ص197.

⁹ حسن جلاب: مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي، المطبعة والوراقة الوطنية، المملكة المغربية، 1994م، ص118-120.

¹⁰ الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص412.

¹¹ الحاج موسى علي بن أحمد الجزائري: ربح التجارة ومغرم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة على ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، 928، ورقة رقم 67-68.

ويعتبر ميمون بن عمرو الباز الفاسي (ت1496م) أول من أدخل مختصر خليل إلى مدينة توات وبقي يعتمد لدى شيوخ المنطقة لوقتنا الحالي¹، ومن مؤلفات الشيخ أحمد الزروق الفاسي التي شاع استعمالها في الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي نذكر كتاب البدع، والتي حصل الحسين الورثياني على نسخة منه واعتمده في تأليف رحلته نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، وتطرق فيه الشيخ الزروق لمختلف البدع التي شاعت بمنطقة المغرب خلال القرن الخامس عشر الميلادي وتخلى الناس عن القواعد والأصول الحقيقية للدين الإسلامي²، كما وصلت للجزائر كتب الإمام أحمد ابن غازي المكناسي في الفقه نذكر منها الكليات في أسس مذهب مالك وإتحاف ذوي الذكاء والمعرفة بتكميل تقييد أبي الحسن وتحليل تعقيد ابن عرفة علق به على مدونة الإمام سحنون³، ووصلت لمدينة قسنطينة أيضا فتاوى ابن غازي وأحمد المنجور، وقد استعان بهذه الفتاوى العلامة يحيى الشاوي حينما رد على سؤال بركات بن باديس القسنطيني قائلا:

فتاوى لأهل فاسنا كابن غازهم ... ومنجورهم بالحل يا خير فاهم⁴

وفي مجال النوازل الفقهية نجد كتاب نوازل محمد بن عبد الكريم الفكون (ت1702م) الذي يحتوي على ثلاثمائة وخمسين نازلة فقهية من مختلف أعلام قسنطينة وبقية الأقطار الجزائرية والإسلامية، ومن بين هذه النوازل نجد تسعة نوازل ومسائل فقهية أفتى فيها العلامة المغربي محمد التواتي الذي نزل بمدينة قسنطينة وكان من أشهر أعلام النحو فيها⁵، كما يعتبر الفقيه محمد السوسي المغربي (ت1614م) من أبرز علماء وفقهاء المغرب الأقصى الذين تركوا أثرهم العلمي بمدينة قسنطينة من خلال رسالته في التدخين والمسماة بكشف الغسق عن قلب دقق في التنبيه على تحريم دخان الورق، وهي الرسالة التي استعان بها عبد الكريم الفكون في تأليف مصنفه محدد السنن في محور إخوان الدخان⁶، ويرى محمد حجي بأن كتاب الفكون أصبح مصدرا مهما للباحثين المغاربة باعتبار أنه تضمن معلومات مهمة عن كتاب كشف الغسق

¹ زينب سالي: المرجع السابق، ص41.

² الحسين الورثياني: الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الخلدونية، الجزائر، 2012م، ص440.

³ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية... المرجع السابق، ص431.

⁴ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام... ج3، المرجع السابق، ص175.

⁵ فاطمة الزهراء قشي: (الحياة الفكرية في قسنطينة خلال العهد العثماني مساهمة عائلة الفكون أو عرض كتاب النوازل). ضمن أعمال ملتقى الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م، ص327-328.

⁶ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص510، أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام... المرجع السابق، ص152-158.

للسوسي الذي يصنف في حكم المفقود¹، وأثناء مرور الرحالة المغربي العياشي على مدينة تقرت وجد هناك مجموعة من المصنفات المغربية أبرزها مصنف الحلال والحرام للفتية راشد الفاسي².

كما ترك العلامة المغربي علي بن عبد الواحد السجلماسي بمدينة الجزائر مصنفًا فقهيًا مهمًا والمعروف باسم التقييد الجليل على مختصر خليل، وقد تأثر به جل تلامذته كعيسى الثعالبي ويحي الملياني³، ومن المؤلفات التي ألفها ابن أبي محلي السجلماسي حين أقام بالساورة ببشار نذكر: كتاب إصليت الخريت بقطع بلعوم العفريت النفريت، وكتاب منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور، وكتاب السيف البارق مع السهم الراشق، وكتاب سم ساعة في تقطيع أمعاء مفارق الجماعة، وكتاب مهراس رؤوس الجهلة المبتدعين ومدارس نفوس السفلة المنخدعة، وهي مؤلفات رد فيها على شيخه وصهره سابقا عبد القادر بوسماحة⁴، ومن أشهر المؤلفات الفقهية التي وصلت للجزائر كتاب المرشد المعين في الضروري من علوم الدين لصاحبه الفقيه عبد الواحد بن عاشر الفاسي في الفقه المالكي والذي يحتوي على ثلاثمائة وسبعة عشر بيتًا⁵، وقد وصل أيضا للمدن الصحراوية في شاكلة توات عبر محمد بن عبد الكريم المغيلي بعد عودته من مدينة فاس وعن طريق الرحالة والعلامة عبد الرحمن التواتي لما عاد من سفريته العلمية لفاس وسجلماسة وشرع يدرس هذا المصنف في مدينة توات وأصبح من المؤلفات الرئيسية لدى طلبة وشيوخ توات خلال العصر الحديث⁶.

ومن المؤلفات المغربية في علم التوحيد التي انتشرت في منطقة زاوة وأخذها الحسين الورثيلاني ودرسها لتلاميذه في زاوية أسرته نذكر حاشية المراكشي على صغرى السنوسي وشرح الحسن اليوسي لكبرى السنوسي، وهذا ما يؤكد بأن هذه المصنفات المغربية كانت متداولة في المنطقة⁷.

- كتب الآداب:

من أبرز المصنفات المغربية في النحو التي وصلت للجزائر وشاع استعمالها في مختلف المدارس والمساجد والزوايا هو كتاب الأجرومية التي ألفها محمد بن داود الصنهاجي المعروف باسم ابن أجروم الفاسي (ت1323م)، وقد ترك عنها علماء الجزائر عديد الشروح والمختصرات والحواشي خلال العصر الحديث أبرزه

¹ محمد حجي: الحركة الفكرية في عهد السعديين...، ج1، المرجع السابق، ص258.

² عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص119.

³ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص73.

⁴ عبد المجيد القدوري: (ابن أبي محلي نموذج الفقيه الثائر على الوضعية والمناوي بالوحدة)، ضمن كتاب في النهضة والتراكم، ط1، دار تونقال، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1986م، ص281-282.

⁵ الحاج بنيرد: (الحياة الفكرية والأدبية واللغوية بفاس خلال القرنين 11-12هـ - دراسة في عوامل ازدهارها ومظاهرها -)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع83، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2013م، ص74.

⁶ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م...، المصدر السابق، ص283، زينب سالمي: المرجع السابق، ص71.

⁷ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص208-210.

شرح الحسن الزياتي الذي انتشر بمدينة فاس¹، كما وصلت لمدينة قسنطينة عديد المؤلفات اللغوية والتي اعتمد عليها عبد الكريم الفكون في شرح بعضها كأرجوزة عبد الرحمن المكودي الفاسي (ت1405م) في علم التصريف التي شرحها الفكون سنة 1638م وسماها شرح البسط والتعريف بعلم التصريف، كما شرح أيضا لامية الجمل النحوية للعلامة محمد السلوي المعروف بان المجراد (ت1377م) وسماها شرح لامية الجمل النحوية للمجراد السلوي²، وقد تخصص بتدريسها مصطفى الرماصي (ت1724م) بمازونة ووهران حيث أجاز فيها الشيخ محمد الجعدي الجزائري³، ومن القصائد المغربية التي انتشرت بالجزائر خلال القرنين 16-17م نجد قصيدة المرادية أو اللامية لصاحبها إبراهيم التازي والتي يفتتحها بـ:

مرادي من المولى وغاية آمالي... دوام الرضى والعفو من سوء أعماله

وقد عرفت هذه القصيدة شروحات عديدة منها شرح محمد الصباع القلعي خلال القرن السادس عشر الميلادي والتي سماها بالشفاء الغليل والفؤادي في شرح النظم الشهير بالمرادي، كما شرحها أيضا العلامة ابن مريم صاحب البستان⁴، وإلى جانب المرادية انتشر كتاب إبراهيم التازي المسمى بالنصح التام للخاص والعام فقام ابن مريم التلمساني بشرحه وسماه بفتح العلام لشرح النصح التام للخاص والعام⁵، ولما استقر الشيخ ميمون بن عمرو الباز الفاسي (ت1496م) بمدينة توات ترك بها ألفية في اللغة العربية⁶، كما خلف علي السجلماسي بمدينة الجزائر كتاب شرح الأجرومية ومنظومة في النحو، وفي علم البلاغة ترك كتاب شرح منظومة المعاني والبيان⁷، يعتبر العياشي من أكبر علماء المغرب الأقصى جليا للمصنفات المغربية نحو الحواضر الجزائرية خاصة الصحراوية منها سواء للبيع بسوق عين ماضي بالأغواط⁸ أو الهدية كما فعل مع مؤلفه في اللغة معاني لو الشرطة لما قدمها للمفتي سيدي محمد بن إبراهيم بمدينة تقرت⁹، ولما زار الشيخ الضرير المراكشي مدينة تلمسان ترك بها رجزا في علم البيان، فقام أبو البركات بن أبي يحيى الماللي التلمساني بشرحه ونشره¹⁰، كما قام الشيخ محمد بن محمد بن رحمة التلمساني (ت1635م) بتحميم قصيدة سيدي إسماعيل المغربي يقول في مطلعها: إلى كم تمادى في غرور ونحفلة... وكم هكذا نوم إلى غير يقظة¹¹

¹ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية... المرجع السابق، ص434.

² عبد القادر بكاري: المرجع السابق، ص176.

³ قدور بوجلال: المرجع السابق، ص93.

⁴ محمد ابن الصعد التلمساني: المصدر السابق، ص35.

⁵ عادل نوميض: المرجع السابق، ص184، ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي... المرجع السابق، ص299-300.

⁶ زينب سالي: المرجع السابق، ص40.

⁷ بشير ضيف: المرجع السابق، ج3، ص131، 93.

⁸ مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة... المرجع السابق، ص110-111.

⁹ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص76.

¹⁰ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص270.

¹¹ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء... ج3، المرجع السابق، ص223-224.

كما ترك محمد ابن زاكور الفاسي (ت1708م) عديد المؤلفات في اللغة والبيان أبرزها كتاب أنفع الوسائل في أبلغ الخطب وأبدع الرسائل، وحاشية على الخزرجية وشرح على حماسة تمام في ثلاثة أجزاء سماه عنوان النفاسة في شرح الحماسة، وديوان شعر سماه الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض، وشرح على لامية العرب، وكتاب الحسام المسلول في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول¹، ومن القصائد التي شاع استعمالها بالجزائر وتعود للرحالة عبد الرحمن الجامعي المغربي قصيدة النونية، وقد ذكرها أحمد بن قاسم البوني في مصنفه الدررة المصونة وهذا ما يؤكد فرضية وصولها لمدينة عنابة ومختلف المدن التي زارها الجامعي².

- كتب التاريخ والسير:

ولعل من أبرز المصنفات المغربية في هذا الجانب نجد مؤلف عنوان الأخبار فيما مر على بجاية لصاحبه الشيخ إبراهيم المريني البجائي والذي تعود أصوله لبني مرين، فقد دون عليه تاريخ مدينة بجاية عبر العصور وحملة صالح رايس على مدينة بجاية وتحريرها من القبضة الاسبانية إلا أن هذا المؤلف يعد ضمن الكتب الضائعة³، وأثناء رحلة عبد الرحمن الجامعي (ت1729م) عبر الجزائر كان شاهدا على فتح مدينة وهران واسترجاعها من يد النصارى سنة 1709م فألف فيها مصنفه فتح مدينة وهران⁴، وهو عبارة عن شرح لقصيدة شيخه أحمد الحلفاوي في فتح مدينة وهران سنة 1708م تضم تسعة وسبعون بيتا شعريا، ولم يتوقف الجامعي عند شرح هذه القصيدة بل زودها بمعلومات مهمة عن المدينة وفتحها واستقاها من شخصيات علمية معاصرة لعبت دورا بارزا في عملية الفتح، وتضم خمسة فصول تطرق في الفصل الأول لسيرة الداوي محمد بكداش، وفي الفصل الثاني تحدث عن تجهيز الجيش والعدة للفتح، وتناول في الفصل الثالث تفاصيل الحصار لمدينة وهران، وفي الفصل الرابع ذكر نهاية المعركة والتي آلت للمسلمين وفرار النصارى، والفصل الخامس ختمه بالثناء على النبي عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام⁵.

كما ضم المصنف ملحقين عبارة عن قصيدتين لابن أبي محلي السجلماسي يستصرخ فيها العرب والأتراك لإنقاذ مدينة وهران وتحريرها من قبضة النصارى⁶، وبقدر ما أعجب الجامعي بمنظومة شيخه الحلفاوي بقدر ما وجه له انتقادات أبرزها اعتماد الحلفاوي على المحسنات البديعية، وهذا ما جعله يقع في أخطاء

¹ محمد القادري: المصدر السابق، ص353، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص221.

² أحمد بن قاسم البوني: الدررة المصونة ...، المصدر السابق، ص154.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص345.

⁴ فاتح بلعمري: المرجع السابق، ص79.

⁵ عبد الرحمن الجامعي: المصدر السابق، ص07، عبد القادر فكاير: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية 1505-1792م، دار هومه، الجزائر، 2012م، ص412-413.

⁶ محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب...، ج1، المرجع السابق، ص162، محمد السعيد بوبكر: العلاقات السياسية الجزائرية الاسبانية بين 1708-1792م، رسالة ماجستير، غرداية، 2011م، ص86.

شعرية كما انتقده بأنه أهمل مدح السلطان العثماني أحمد الثالث باعتبار أنه صاحب الفضل الأكبر في الفتح الكبير لمدينة وهران، وهو ما جعله يضيف بعض الأبيات الشعرية في مدح آل عثمان والسلطان العثماني¹.

- كتب التراجم والرحلة:

لما عاد أحمد المقري لمدينة تلمسان سنة 1601م جلب معه عديد المصنفات في التراجم والمناقب والفهارس التي أهداها له الشيخ محمد بن علي الوجدي الملقب بالغمد (ت1623م) كتميمة الألباب ورتيمة الآداب والألباب الطائشة في مناقب أم المؤمنين عائشة والعنبر الشحري فيما أنشدنيه صاحبنا أبو العباس المقري، وبقيت هذه المصنفات تدرس في تلمسان وبقية المدن الجزائرية الأخرى خلال العهد العثماني²، ويعتبر مؤلف عيسى الثعالبي كنز الرواة في إحصاء الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم والتقاها في حياته من أبرز المؤلفات الجزائرية في مجال الفهرسة والتراجم خلال العهد العثماني إلا أن الفضل الكبير في هذا المصنف يعود للرحالة المغربي أبو سالم العياشي، فهو من اختار عنوان الكتاب بطلب من الشيخ الثعالبي وبذلك يمكن اعتباره مساهم في هذا المصنف³.

كما ترك في هذا الشأن العلامة المغربي علي السجلماسي شرح لوفيات الأعيان لابن قنفذ القسنطيني⁴، وأثناء زيارة محمد ابن زاكور الفاسي لمدينة الجزائر سنة 1683م جلب معه مصنفه عن القطب عبد السلام بن مشيش المسمى بالاستشفاء من الألم بذكر آثار صاحب العلم أين شرح فيه السيرة الذاتية لابن مشيش⁵، وبعد عودته لمدينة تطوان خط رحلته الشهيرة نشر أزهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، ولما سمع شيخه بمدينة الجزائر محمد بن عبد المؤمن بخبر تحرير هذه الرحلة بعث لتلميذه ابن زاكور يترجاه ببعث نسخة منه، وقد استجاب لطلبه من خلال ارسال نسخة من الكتاب مع العلامة والرحالة محمد بن علي الرافعي التطواني سنة 1684م وأصبح المؤلف متداول بمدينة الجزائر وبقية المدن الأخرى⁶، ومن خلال الاطلاع على قائمة المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الرحالة الجزائري الحسين الورثيلاني في تأليف كتابه نزهة الأنظار نجده اعتمد على عديد الرحلات المغربية، وهو ما يؤكد فرضية تواجد هذه المصنفات المغربية بالجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي كرحلة العياشي وأحمد بن ناصر الدرعي التي

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج2، المرجع السابق، ص348.

² محمد القادري: المصدر السابق، ص313.

³ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص138.

⁴ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص73.

⁵ محمد القادري: المصدر السابق، ص353.

⁶ مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص281، محمد ماكامان: المرجع السابق، ص214.

اقتبس منهما الورثيلاني حوالي سبعة عشر صفحة حول وصف بعض الحواضر الجزائرية كبسكرة والأغواط وسوف، وأيضا رحلة العبدري وابن بطوطة وابن رشيد السبتي¹.

واعتمد محمد أبو راس الناصري في تأليف رحلته حلتي ونحلي في تعداد رحلتي على كتاب مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن للعلامة محمد العربي الفاسي (ت1605م) الذي كان متداولاً بالجزائر²، ومن المخطوطات التي وجدت في خزائن المكتبات القسنطينية غداة احتلالها سنة 1837م مخطوطة نزهة المشتاق للإدرسي، وهو ما يؤكد بأنها كانت معلومة ويتدارس بها بمدينة قسنطينة والجزائر ككل خلال العهد العثماني لأهميتها بالنسبة للحجاج والتجار والعلماء³، وفي منطقة الساورة وتوات وقورارة تداول الطلبة والشيخوخ كتاب الفقيه والصوفي ابن أبي محلي السجلماسي المسمى بإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرح ونفحة الفرغ إلى سادة مصر وقادة العصر، والذي بعث به خصيصا لطلبة وشيوخ الأزهر يفصل فيه شيوخه في التصوف والفقه ورحلاته الحجازية والمغربية⁴.

- كتب المنطق وعلوم الكلام:

من المؤلفات التي خلفها العلامة علي السجلماسي بمدينة الجزائر في علم المنطق نذكر شرح منظومة الجدل وشرح منظومة المنطق⁵، كما ترك العلامة محمد بن عبد الرحمن الضير المراكشي عديد المؤلفات بمدينة عنابة أبرزها منظومته في علم الكلام والتي اطلع عليها العلامة يحيى الشاوي خلال القرن السابع عشر الميلادي ويقول في بعض أبياتها:

والعلم بالإمكان والإحالة ... هو المسمى العقل لا محاله
إن أن من ليس له يتصف ... كالطفل والمجنون لا يكلف⁶

- كتب الطب والحساب وال عمران:

راج بالجزائر مصنف ابن البناء المراكشي (ت1321م) في الحساب والمعروف باسم تلخيص ابن البناء أين شرحه العديد من أعلام الجزائر قبل وأثناء العهد العثماني، فقد ترك عنه علي بن موسى البجائي (ت1413م)

¹ الحسين الورثيلاني: نزهة الأنظار ... المصدر السابق، ص88، 106، 151، 182، 446، عبد القادر بكاري: المرجع السابق، ص213-214. مختار فيلالي: رحلة الورثيلاني عرض ودراسة، دار الشهاب، الجزائر، 1998م، ص59.

² عبد القادر بكاري: المرجع السابق، ص266.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج1، المرجع السابق، ص307.

⁴ عبد الله حمادي: (كتابات ابن أبي محلي نزلة الساورة من مصادر تاريخ هذه البلاد وتخومها المجاورة)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص79-80.

⁵ بشير ضيف: المرجع السابق، ج3، ص204.

⁶ أحمد البوني: الدرّة المصونة ... المصدر السابق، ص98.

شروحا وتقييدات، وشرحه أيضا محمد الحباك التلمساني (ت1462م)¹، كما وصل للجزائر كتابه الآخر تنبيه الألباب على مسائل الحساب، وفي علم الفلك وصلت كتب ابن البناء المراكشي للجزائر بداية بكتاب منهج الطالب في تعديل الكواكب، والمستطيل واليسارة في تقويم السيارة والذي شرحه ابن الحباك التلمساني²، كما وصل مؤلف مغربي جد مهم وهو كتاب جامع المبادئ والغايات في علم الميقات لصاحبه الحسن بن علي المراكشي الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، ويتناول هذا الكتاب الحساب والعمل بالآلات والتمارين الفلكية، وقد استفاد منه عبد الرزاق ابن حمادوش في تأليف رسالته حول الكرة الفلكية، ولا نعرف هل وصل هذا الكتاب لمدينة الجزائر أم أن عبد الرزاق ابن حمادوش اعتمد عليه لما زار المغرب الأقصى وجلب نسخة منه للجزائر³.

ولما عاد الفلكي والطبيب الجزائري عبد الرزاق بن حمادوش من سفريته العلمية والتجارية من المغرب الأقصى جلب عديد الكتب المغربية في علم الفلك والطب أبرزها كتاب روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار لصاحبه عبد الرحمن الجادري (ت1415م) والذي كان مؤقت جامع القرويين، وشرح هذا الكتاب أيضا لعبد الرحمن البوعقلي السوسي (ت1611م) وقد تمكن ابن حمادوش من حفظهما ونسخهما وشرع في تدريسهما بمدينة الجزائر بعد عودته⁴، ومن المؤلفات التي شاع استعمالها بالجزائر خلال العهد العثماني تلك التي تعود للشيخ عبد الله بن عزوز المراكشي بمدينة تلمسان والمسعى بذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة وهو مصنف مزيج بين الطب والفلسفة⁵، وكذلك الشأن لمؤلفات العلامة علي الأنصاري السجلماسي في العلوم العقلية والمتنوعة بين منظومة في التشريح ومنظومة في الطب⁶.

ومن المصنفات المغربية التي تركها محمد ابن زاكور الفاسي (ت1708م) بمدينة الجزائر في مجال الطب نظم ذيل به أرجوزة ابن سينا في الطب وسماه الدرّة المكنوزة في تذييل الأرجوزة، وفي ميدان الفلك ترك نظم في فصول السنة وأيامها وأوقات الصلاة⁷، كما وصل لمدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي كتاب في علم الكيمياء لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت1685م) في صنع المتفجرات والقنابل وقد اطلع عليه عبد الرزاق بن حمادوش واعتمد عليه كمرجع في وضع مصنفه حول نفس المجال - المتفجرات -⁸، وفي خاتمة هذا العنصر نستنتج بأن المصنفات المغربية لم تصل بالشكل الكبير والوفير مثلما حدث مع

¹ أمين كرتالي: المرجع السابق، ص210.

² إبراهيم حركات: (شخصية ابن البناء خارج المغرب)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع8، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية، 1992م، ص157.

³ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء... ج4، المرجع السابق، ص172-174.

⁴ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص103.

⁵ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... ج2، المرجع السابق، ص434.

⁶ بشير ضيف: المرجع السابق، ج3، ص211.

⁷ محمد القادري: المصدر السابق، ص353، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص221.

⁸ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص254.

المصنفات الجزائرية التي وصلت للحواضر والمدن المغربية، فطلبة وشيوخ الجزائر الذين يهتمون بهذه المصنفات أصلاً كانوا موجودين بالمدن المغربية، وقد غلب على المصنفات المغربية التي وصلت للجزائر الطابع الصوفي وذلك يعود للنشاط الكبير الذي ميز الجزائر العثمانية في هذا الجانب، وبالأخص مؤلفات عبد السلام بن مشيش وأحمد الزروق الفاسي باعتبار أنهما زارا مدينة بجاية ومكثا بها لمدينة طويلة، وفي الجدول التالي يمكن أن نوجز أبرز المصنفات المغربية التي وصلت للجزائر خلال العهد العثماني وطبيعة الاهتمام بها من قبل طلبة وعلماء الجزائر:

اسم المصنف	صاحبه	طبيعة الاهتمام به
كتاب الشفا	القاضي عياض	دخل للجزائر ولقى شروحات وحواشي عديدة
معاني لو الشرطية	أبوسالم العياشي	نشر في مدينة تفرت وورقلة
رجز في علم البيان	الضهير المراكشي	شرح من طرف أبو البركات الملاي التلمساني
أرجوزة المكودي	عبد الرحمن المكودي	شرحها عبد الكريم الفكون بقسنطينة
لامية الجمل	ابن المجراد السلواوي	شرحها عبد الكريم الفكون بقسنطينة
أنفع الوسائل	ابن زاكور الفاسي	تم نشره بمساجد ومدارس مدينة الجزائر
عنوان النفاسة	ابن زاكور الفاسي	تم نشره بمساجد ومدارس مدينة الجزائر
حاشية على الخزرجية	ابن زاكور الفاسي	تم نشره بمساجد ومدارس مدينة الجزائر
ديوان شعر	ابن زاكور الفاسي	تم نشره بمساجد ومدارس مدينة الجزائر
شرح لامية العرب	ابن زاكور الفاسي	تم نشره بمساجد ومدارس مدينة الجزائر
الحسام المسلول	ابن زاكور الفاسي	تم نشره بمساجد ومدارس مدينة الجزائر
ديوان شعر	ميمون الباز الفاسي	ألفه ونشره بمدينة توات
عنوان الأخبار	ابراهيم المريني	ألفه بمدينة بجاية حول تاريخ المدينة
فتح مدينة وهران	عبد الرحمن الجامعي	ألفه بمدينة وهران بعد فتحها سنة 1708م
شرح وفيات الأعيان	علي السجلماسي	ألفه بعد استقراره بمدينة الجزائر
النصح التام	ابراهيم التازي	قام ابن مريم التلمساني بشرحه ونشره في تلمسان
المرادية	ابراهيم التازي	شرحها ابن مريم التلمساني ونشرها بتلمسان
الاستشفاء	ابن زاكور الفاسي	أدخله ابن زاكور لمدينة الجزائر
ماء الموائد	عبد الله العياشي	انتشرت بالجزائر واعتمد عليها الورثيلاني
الرحلة الناصرية	أحمد بن ناصر الدرعي	انتشرت بالجزائر واعتمد عليها عديد الرحالة
مرآة المحاسن	محمد العربي الفاسي	دخل للجزائر واعتمد عليه أبو راس في مؤلفاته

رسالة في التدخين انتشرت بمدينة قسنطينة	محمد السوسي المغربي	كشف الغسق
استعان بها يحي الشاوي في مراسلاته	ابن غازي المكناسي	فتاوى ابن غازي
استعان بها يحي الشاوي في مراسلاته	أحمد المنجور	فتاوى المنجور
نشره بعد استقراره بمدينة الجزائر	علي السجلماي	التقييد الجليل
كان من المراجع المهمة لدى طلبة الجزائر	عبد الواحد ابن عاشر	المرشد المعين
أدخله العياشي لمختلف الحواضر الصحراوية	راشد الوليدي الفاسي	الحلال والحرام
ألفه بمدينة الجزائر لما قرر الاستقرار بها	علي السجلماي	تفسير القرآن الكريم
شاع استعماله بالجزائر وشرحه عديد العلماء	عبد السلام بن مشيش	الصلاة المشيشية
صنفه بمدينة بسكرة بعدما استقر بها	ناصر الفزاري	تاريخ الرواة
صنفه بمدينة الجزائر	علي السجلماي	الدرة المنيفة
اعتمد عليه أبو راس الناصري في مؤلفاته	محمد العبدري	تنمية الأعمال
أدخله بعد زيارته لمدينة الجزائر	ابن زاكور الفاسي	الدرة المكنوزة
لقى اهتمام بالجزائر وشرح أكثر من مرة	ابن البناء المراكشي	تلخيص ابن البناء
شرحه العلامة الجزائري علي الراشدي	ابن غازي المكناسي	التفصيل في الطرق
ألفه بمدينة الجزائر لما استقر بها	علي السجلماي	مسالك الأصول
ألفه بمدينة الجزائر لما استقر بها	علي السجلماي	المنح الإحسانية
ألفه بمدينة الجزائر لما استقر بها	علي السجلماي	اليواقيت الثمينة
ألفه بمدينة الجزائر لما استقر بها	علي السجلماي	جامع الأسرار
ألفه بمدينة الجزائر لما استقر بها	علي السجلماي	نظم أصول الشريف
ألفه بمدينة الجزائر لما استقر بها	علي السجلماي	شرح التحفة
لقت انتشارا واهتماما في مختلف المدن الجزائرية	أحمد الزروق الفاسي	الوظيفة الزروقية
يعتبر من المراجع الرئيسية في مختلف الزوايا	أحمد الفاسي	محاسن المجالس
أدخله علي السجلماي إلى مدينة الجزائر	صالح الماجري الآسفي	شرح الرسالة القشيرية
أدخله علي السجلماي إلى مدينة الجزائر	صالح الماجري الآسفي	شرح المقصد الأسنى
أدخله علي السجلماي إلى مدينة الجزائر	صالح الماجري الآسفي	تلقين المرید
أدخله علي السجلماي إلى مدينة الجزائر	صالح الماجري الآسفي	بداية الهداية
ألفه الجزولي بتلمسان وهو من أصول مغربية	محمد الجزولي	كعبة الطائفين
انتشر على نطاق واسع في مختلف المدن الجزائرية	أحمد الزروق الفاسي	أصول الطريقة

II- الرسائل والإجازات مصدر لتبادل المعارف والثقافات:

لم تقتصر عملية التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى على تنقلات العلماء والمصنفات فقط بل تعداها لمظاهر أخرى كتبادل الرسائل ومنح الاجازات وإقامة المناظرات، فصحيح أن هذا النوع من مظاهر التواصل الثقافي كان سائدا خلال العصر الوسيط وبالخصوص خلال العهد الزياني والمريني إلا أنه عرف نشاطا مكثفا خلال العصر الحديث.

أولا/- ماهية وأنواع الرسائل:

تلعب الرسائل والإجازات دورا مهما في تقريب المسافات بين الطلبة والعلماء حيث تعد من أبرز مظاهر التواصل الأدبي والثقافي بين الشعوب، وقد ازدهر هذا النوع من التلاقح العلمي بين الجزائر والمغرب الأقصى على مر العصور والسنين، وازداد نشاطها أكثر بعد بروز الخلافات السياسية وظهور ما يعرف بالحدود خلال القرن السادس عشر الميلادي، والتي أصبحت تشكل عائقا نوعا ما أمام تنقلات الطلبة والعلماء فعوضت الرسائل والإجازات هذا العائق بل واختصرت المسافات والجهود على هؤلاء.

وتنقسم الرسائل إلى عدة أصناف بداية بالرسائل الديوانية وهي الرسائل الصادرة عن الديوان الملكي أو الحكومي، وبذلك فهي رسائل دبلوماسية أكثر منها ثقافية، ورغم أنها كانت شبه غائبة بين حكام الجزائر الأتراك ونظرائهم السعديون بسبب تواصل الأشراف مباشرة مع الباب العالي معتبرين الجزائر مجرد إيالة عثمانية فقط لكن بوصول العلويون للسلطة نشطت الرسائل الديوانية أكثر بين حكام سجلماسة والباشوات خاصة في عهد يوسف باشا ومحمد باشا¹، وكان لهذه الرسائل مستوى أدبي كبير على اعتبار أن المشرف على تحريرها بالجزائر كان كل من الفقهاء محمد بن مبارك الحسني وأحمد التجموعي وأبي النعيم ورضوان بن عبد الملك والمحجوب الحضري²، وقد تكلفت هذه الرسائل برسم الحدود بين البلدين سنة 1654م³.

أما الرسائل الإخوانية فتكون بين العلماء والطلبة وهي رسائل أدبية واجتماعية تتنوع بين الإجازات والألغاز والتهاني والعتاب والتعازي والمدح والاستفتاء⁴، فرسائل الإجازة تتم بين الطلبة وشيوخهم من أجل الحصول على الإجازة في مرويات الشيخ⁵. أما رسائل التلغيز وتسمى بالرياضة الأدبية أو بالأحاجي فهي التي

¹ صالح عباد: المرجع السابق، ص125-126.

² محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص113-114.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص200-201، حسن أميلي: (مقاربة في الموروث الثقافي بالمغرب)، ضمن كتاب متنوعات محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص399.

⁴ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص219.

⁵ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص135-136.

يتسلى بها الأدباء من جهة وتقيس درجة الذكاء والرسوخ في العلم لدى كل طرف من جهة أخرى¹، وتتنوع مضامينها بين النحو والصرف والفقه والوصف، وقد قيل في الألباز أنها: (تشخذ القريحة وتحد الخاطر لأنها تشتمل على معان دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن والسلوك في معاريج خفية من الفكر)²، ومن أبرز أنواع الرسائل الاخوانية تلك المتعلقة بطلب الفتوى أو الاستفسار عن جديد علمي من الطرف الآخر، وقد انتشرت أيضا الرسائل الشخصية بين العلماء كصنف من أصناف الرسائل الاخوانية والتي تتنوع بين الثناء والشوق والعتاب والمدح.

1/- رسائل الفتاوى والأحكام الشرعية:

من أبرز أنواع الرسائل التي كانت متداولة بين العلماء والطلبة تلك المتعلقة بالفتاوى والأحكام الشرعية³، فقد كانت لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني⁴ مراسلات عديدة مع علماء مدينة فاس، فبعدما هاجر المغيلي إلى مدينة توات واكتشف هناك المعاملات المغشوشة لليهود في ممارسة التجارة استفتى علماء تلمسان وفاس وتونس لمحاربة هؤلاء، وقد وصلت رسالته إلى مفتي فاس عيسى الماوسي الذي وافقه على ذلك إلا أن معارضة البعض من علماء فاس لهذا العمل جعل المغيلي يقرر الارتحال للمغرب لتوضيح موقفه أكثر⁵، ومن أشهر الرسائل المتعلقة بالفتاوى والأحكام الشرعية ما جمعه العلامة محمد ابن غازي المكناسي (ت1513م) في كتابه المسائل الحسان المرفوعة إلى برفاس والجزائر وتلمسان، وهي عبارة عن مراسلات بينه وبين علماء الجزائر وتلمسان حول مواضيع مختلفة في الدين⁶، كما بعث الشيخ عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف برسالة للشيخ محمد الخروبي بالجزائر تتضمن عشرة أسئلة حول الفقه والتصوف وقد أجابه عنها الخروبي كاملة⁷.

وفي سنة 1527م واثرت فتنة وقعت بفاس حول منع الأسر الفاسية الشريفة لليهود الذين دخلوا الاسلام حديثا من ممارسة التجارة بمدينة فاس، وهذا ما جعل علماء فاس ومكتاسة يتدخلون ويصدرون ثلاثة عشر فتوى فقهية أما الفتوى الرابعة عشر فقد صدرت من الجزائر وبالضبط من طرف محمد الخروبي، وهو ما

¹ أحمد المقري: المصدر السابق، ص222.

² عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص344.

³ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص219.

⁴ محمد المغيلي: هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ولد ونشأ بقبيلة مغيلة بأحواز تلمسان ثم فر إلى الجنوب واستقر بتوات، وكرس حياته في نشر الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء حتى توفي سنة 1503م، أنظر (أحمد بابا التنيكتي: كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ص455-457، محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص8-10).

⁵ محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص272-276، بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص196.

⁶ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص44.

⁷ حمزة بوقادوم: المرجع السابق، ص165.

يؤكد الصلة الثقافية للخروبي مع أعلام المغرب الأقصى قبل زيارته السفارية¹، ولما كان أحمد المقري بالمشرق وصلته بعض المسائل الفقهية من المغرب الأقصى لصاحبها أبي بكر السوسي المغربي حيث طلب من المقري فتاوى حول الصلاة والحج، وقد كانت هذه المراسلة شعرية سماها بإعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس الواردة من الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر بركة الزمان وبقية الناس²، كما وصلت لأحمد المقري وهو في مصر أيضا مجموعة من الأسئلة الفقهية من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي يطلب منه الإجابة عنها وقد راسله أحمد المقري بمختلف الأجوبة التي يراها مناسبة لهذه الفتاوى³.

وفي عهد عبد الكريم الفكون الجد وقعت حادثة اليهودي المسمى بالمختاري بقسنطينة أين تناول على النبي عليه الصلاة والسلام بالسب والشتم، وكاد أن يقع اقتتال بين المسلمين واليهود بمدينة قسنطينة لولا تدخل السلطة السياسية الحاكمة، وقد صدرت عدة فتاوى حول مقتله من بينها فتوى الفكون والشيخ محمد الولي الحنفي الذي أفتى بإحراقه في رسالته الشهيرة باسم السيف الممدود في عنق من أعان اليهود، وقد وصلت رسائل لعلماء وفقهاء فاس أين قدموا عديد الفتاوى من أجل وضع حد لهذه الفتنة⁴، كما كانت تصل رسائل عديدة من طلبة وعلماء فاس إلى قسنطينة لكل من الشيخ محمد العطار وعمر الوزان حول مسائل فقهية متنوعة ويردون عليها⁵، كما كان لعبد الكريم الفكون مراسلات عديدة مع الشيخ محمد السوسي المغربي الذي سبق له زيارة مدينة قسنطينة ثم الارتحال نحو مدينة الجزائر⁶.

هذه العلاقة الودية لم تخلوا من مشاحنات بين علماء البلدين مثلما حدث بين عبد الكريم الفكون والشيخ أحمد الفاسي والذي كانت بينهما رسائل عتاب عديدة، وقد انتصر علماء مدينة فاس للفكون معتبرين الفاسي رجل فاسق وخارجي المعتقد مما جعل هذا الأخير يتراجع عن مواقفه ويعتذر من الفكون⁷، وكذلك الشأن لأحمد بن عبد الله المغربي الذي ادعى المهدوية وأعلن الثورة ضد الأتراك بتلمسان فتولى الشيخ عبد الكريم الفكون الرد عليه⁸، كما راسل العلامة محمد بن عبد الكريم الفكون الشيخ القصار بمدينة مراكش من أجل مسألة تخص وقف لعائلة الفكون⁹، وهذا ما يؤكد بأن محمد بن عبد الكريم الفكون كانت له علاقة مع الشيخ القصار وممكن جدا أنه التقى به في رحلة حجازية، وكانت للعلامة مصطفى

¹ عبد الله المرابط الترغي: الامام الخروبي... المرجع السابق، ص260.

² محمد حجي: الزاوية الدلائية... المرجع السابق، ص118، ليلي غويني: المرجع السابق، ص223.

³ عبد الرحمن كضيبي: (من صور البر بالشيخ وفاء المقري لشيخه الدلائي)، ضمن كتاب زهرة الآس، ج3، المرجع السابق، ص1220.

⁴ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... ج2، المرجع السابق، ص86-87.

⁵ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص38-40.

⁶ أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام... المرجع السابق، ص98-100.

⁷ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص99-101.

⁸ ابن المفتي: المصدر السابق، ص48.

⁹ فاطمة الزهراء قشي: (الأرشيف المحلي لقسنطينة في العهد العثماني)، ضمن أعمال ندوة العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطة، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2005م، ص148.

الرماسي مراسلات فقهية عديدة مع طلبة تازة حيث يوجد اليوم بمسجدها الأعظم رسائل مخطوطة بيد الرماسي أبرزها رسالة العتاب بخصوص مسائل فقهية، وأجوبة فقهية¹، وفي إحدى رسائل الرماسي لتلميذه أحمد بن عامر البرجي لما سمع بأنه يفتي من دون الرجوع إليه فراسله يؤنبه على فعلته هذه قائلاً: (أحللت نفسك للفتوى ولم تسألني عن مسألة ولم تباحثني في قضية، والأئمة ترد علي أسئلتهم من تلمسان والمغرب الأقصى والجزائر، والإخوان عن يمينك وشمالك تباحثني مكاتبة ومشافهة وكتابة بجودة الأبحاث)، وهذا ما يؤكد بأن الرماسي بمازونة كانت تصله رسائل للفتوى من شيوخ وطلبة المغرب الأقصى².

2/- رسائل النقد العلمي والأدبي:

وهي رسائل أدبية تتنوع بين الإجازات والألغاز والنقد لكل ما هو جديد علمي³، فرسائل الإجازة تتم بين الطلبة وشيوخهم من أجل الحصول على الإجازة في مرويات الشيخ، وقد بعث في هذا الشأن أحمد بن القاضي رسالة إلى سعيد المقرئ بتلمسان يطلب منه إجازة في مروياته فوافق هذا الأخير وأجازته في كل مسموع ومقروء⁴. أما رسائل التلغيز فقد سجلت لنا كتب التراجم العديد من الأمثلة عنها بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى مثلما حدث بين محمد الوجدي الغماد وأحمد المقرئ، وقد جمع الغماد هذه الرسائل بينه وبين المقرئ في كتاب سماه العنبر الشجري فيما أنشدنيها صاحبنا أبو العباس المقرئ، ويقول في إحداها:

فلازلت في فن البلاغة كعبة ... ولازلت في حل اللغز وسيلتي
وعش سالما ما أنشد القوم منشد ... نعم بالصبا قلبي صبيا صبا لأجتي
فرد عليه أحمد المقرئ بنظم :

أيا ماجدا قد حاز أشرف خطة ... ببلدة فاس في سرور وغبطة
أتيت بلغز كالآلي منظم ... قصدت به من حل في أرض طيبة⁵

كما كانت بين أحمد ابن الحاج الورنيدي التلمساني ومحمد بن غازي المكناسي رسائل عديدة في التسلية والتلغيز يقول ابن غازي في إحداها:

¹ سعاد نكاع: (الحركة الصوفية بالجزائر حاضرة مستا - غنم أنموذجا)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر

الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م، ص166.

² المهدي البوعبدلي: تاريخ المدن... المرجع السابق، ص242.

³ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص219.

⁴ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص135-136.

⁵ أحمد المقرئ: روضة الأس...، المصدر السابق، ص95،83.

وميت قبر طعمه عند رأسه ... إذا ذاق من ذاك الطعام تكلم
يقوم فيمشي صامتا متكئاً ... ويأوي إلى القبر الذي منه قوما
فلا هو حي يستحق زيارة ... ولا هو ميت يستحق ترحماً
فأجابه ابن الحاج برسالة يقول فيها:

بمحمد الإله أبتدي ثم بعده ... أصلي على خير الأنام مسلماً
هو القلم القبر الدواة وطعمه ... ممداد كلامه الكتابة فأفهمها
وكاتب هذا أحمد بن محمد... عفا الله عنه كل من كان أجراً¹

وتعد رسالة الغريب إلى الحبيب لصاحبها أحمد أبي عصيدة البجائي إلى صديقه العلامة أبي الفضل
المشدالي خلال القرن الخامس عشر الميلادي من أولى الرسائل في فن النقد العلمي بالجزائر، فقد ابتدأ
البجائي رسالته بالإشادة والثناء على صديقه المشدالي والتذكير بمكانته العلمية في بجاية، كما ذكر رحيله من
مصر نحو الحجاز وأحواله هناك، وأهم شيء تضمنته الرسالة هو الجديد العلمي للبجائي والمتمثل في كتابه
أنس الغريب وروض الأديب، ولولا هذه الرسالة لما عرفنا شيء عن هذا المصنف الأدبي²، ومن الرسائل
المتعلقة بالاستفسار العلمي بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى تلك التي أرسل بها العلامة محمد السنوسي
إلى الشيخ محمد التازي يشرح فيها عقيدته الصغرى بمجرد صدورها ليطلع عليها، فرد عليه التازي بقصيدة
شعرية يمدح فيها هذا الشرح³.

وكذلك الشأن لعبد الواحد الونشريسي والذي كان يستشار من طلبة وعلماء المغرب الأقصى في كل
صغيرة وكبيرة، فبمجرد وصول تلميذه علي بن ميمون الغماري الحسني (ت1611م) إلى الشام راسل شيخه
الونشريسي بفاس يخبره فيها بمدى تحصيله لعدة علوم كاللغة وغيرهما من الفنون⁴، كما كان أبو
سالم العياشي يرسل شيخه أحمد بن عبد الرحمن بن جلال ويستفسره في جديده، فبمجرد انتهاء العياشي
من مؤلفه إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب راسل ابن جلال بنسخة يطلب رأيه فاطلع عليه ابن
جلال وأعجب به⁵، وبعد صدور كتاب أزهار الرياض لأحمد المقري بالمشرق راسل به علماء المغرب الأقصى
وقد اطلع عليه هؤلاء العلماء وأعجبوا به بل وراسلوا المقري بقصائد مدح حول المصنف، ومن بينها مراسلة

¹ محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص37، محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج2، ص94-95.

² أحمد أبو عصيدة البجائي: المصدر السابق، ص34-40.

³ أحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ص461، محمد الأمراني: المرجع السابق، ص119-120.

⁴ محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص33.

⁵ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص135.

المكلاطي الذي راسل المقري بقصيدة من خمسة عشر بيتا بين اشادة بأزهار الرياض ومدح لصاحبه، وكذلك الشأن للشيخ الحسين بن علي الفاسي الذي راسل هو الآخر المقري بقصيدة مدح للكتاب والكتاب¹.

وبعد زيارة سعيد قدورة إلى مدينة سجلماسة وتدرسه بها ثم رحلته إلى فاس وعودته إلى الجزائر بقي طلبة المغرب الأقصى في مراسلات علمية معه، والتي جمعها في مؤلف إلى جانب مراسلاته مع طلبة المدن الجزائرية²، كما كانت بين علامة المغرب الأقصى الشيخ محمد بناني الفاسي وعلماء مدينة الجزائر أحمد بن عمار وابن الشاهد مراسلات اخوانية وعلمية، ومنها تلك الرسالة التي بعث بها البناني من فاس للأديب ابن الشاهد عبارة عن حاشية على الزرقاني، فرد عليه ابن الشاهد بقصيدة يشكره فيها ويخبره بأن هذه الحاشية انتفع بها أعلام مدينة الجزائر كلهم³، وقد كانت بين عبد الرزاق بن حمادوش بمدينة الجزائر وأعلام المغرب الأقصى عديد الرسائل الإخوانية ورسائل أخرى في التلغيز إحداها تتعلق بأبيات شعرية يقول فيها:

ألا فاحملن بالله عني وصية ... تحاجي بها أهل المدارس في غد
لها فخذنا بكرور جلا نعامة ... وقادمتا نسروجـوـجـوـضـيغـم
حبتها أفاعي الرمل بطئا وأنعمت ... علمها جيد الخيل بالوجه والفم
ونارتا فيل إلى قرن أيل ... وفي الثور جيد للجرادة فأعلم⁴

وبعدما قام الزياني بتأليف كتابه الشهير باسم الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب اطلع عليه العلامة إدريس بن عبد الرحمن المنجرة التلمساني وقد أعجب به كثيرا حيث قال في رسالة للزياني: (الحمد لله وقفت على هذا التقييد المصنف، والتأليف المقرط المشنف، وأمنعت في بعض مسائله النظر، وأنعمت وسائله كي ألتقط الخبر، فاذا هو كامل في فنه ومعناه ... وناهيك به من مصنف مرونق، ومستعطف منمق عقد معانيه تالأت درره ... قاله وكتبه عبد ربه الراجي عفوه وغفرانه أبو بكر إدريس بن عبد الرحمن المنجرة الحسيني أحسن الله خاتمه)⁵.

3/- رسائل المدح والثناء والشوق:

وهناك نوع آخر للرسائل كان جد متداول بين الطلبة والعلماء وهي المتعلقة بتقديم التهاني والعتاب والتعازي والمدح والشوق⁶، وهي أكثر الرسائل شيوعا بين علماء وطلبة الجزائر والمغرب الأقصى، وقد حفظت لنا كتب الفهارس والتراجم أجمل المراسلات الإخوانية بين أعلام الجزائر والمغرب الأقصى وتجسدت في علاقة

¹ ليلي غويبي: المرجع السابق، ص 222.

² سعيد عيادي: المرجع السابق، ص 41.

³ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 150.

⁴ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص 132-133.

⁵ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص 555.

⁶ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص 219.

إبراهيم بن هلال السجلماسي بعبد الله بن محمد العنابي هذا الأخير الذي نزل بوادي درعة واستقر بها، وهناك تعرف على إبراهيم ابن هلال فكانت بينهما مودة وصحبة ترجمت إلى مراسلات¹، وقد قال عنها ابن عسكر: (كان ينبغي أن تكتب هاته المراسلات بماء من ذهب لحسن بلاغة كل منهما)²، فقد امتدح العنابي الشيخ ابن هلال في قصيدة عنونها بجواهر الجلال في استجلاب مودة ابن هلال، فرد عليه هذا الأخير بقصيدة رائعة مطلعها:

يا نخبة العلماء والفضلاء ... وبقية الأعلام والنبلاء
وبراعة وفصاحة وبلاغة ... أعيت جميع ألسن الفصحاء
دانوا أقروا أذعنوا لزعيمهم ... فاسحب ذيول العزة القعساء
قسما بمن سواك شخص سيادة ... وجلالة ونزاهة وذكاء
ووجاهة ونباهة ومهابة ... وشجاعة وسماحة وسخاء
وديانة وطهارة وصيانة ... وأمانة وتعفف وحياء
لكن جميل الذكرمي لم يزل ... ما عشت موصولا مع الأبناء
لازلت مشكورا وسعدك دائم ... يا جهيد العلماء والنبلاء³

من دون أن ننسى الرسائل التي كانت بين أحمد المقرئ وبعض أساتذته وتلامذته بالمغرب الأقصى، فقد كتب عبد العزيز الفشتالي برسالة إلى أحمد المقرئ لما عزم الرحيل إلى الحجاز⁴ يثني عليه فيها بقوله: (سيادة العالم الذي تمشي تحت فتياه العلماء والأعلام، وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام وحملة الأقلام ... سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا ومالك المملكة في المنقول والمعقول ...)⁵، كما وصلته رسالة أخرى من طرف أحمد بن علي البوسعيدي يقول فيها: (هو العالم الحافظ الكبير الرواية الواعية الشهير المبرز في إنشاء الخطب، وله اليد الطولى في النقول والأدب أفتى وأجاد ودرس وأفاد ثم رحل إلى المشرق وخلت البلد عن مثله ومضاهيه في المجتمع والمفترق)⁶، وقد وصلت لأحمد المقرئ وهو في مصر أيضا مجموعة من الرسائل الإخوانية بين مدح وشوق من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي بمدينة تادلة، ومن مدينة سلا وصلته رسالة من تلميذه علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي يعبر له فيها بحنينه واشتياقه إليه وإلى مجالسه، ويقول فيها (إمام مذهب مالك والأشعري والبخاري والواقدي والخليل)⁷.

¹ محمد الحضيكي: الطبقات...، ج1، المصدر السابق، ص276-277.

² محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص84.

³ أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص97-98.

⁴ محمد مخلوف: المرجع السابق، ص298.

⁵ فريد بن محمد الجمالي: المرجع السابق، ص07.

⁶ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص168.

⁷ عبد الرحمن كطيبي: المرجع السابق، ص1220، فريد بن محمد الجمالي: المرجع السابق، ص08.

ولم ينسى أحمد المقري أولاد الشيخ محمد الدلائي بزوايتهم تعبيرا منه على عرفانه بدور الزاوية وشيخه محمد الدلائي في بروز إسمه بالساحة المغربية ثم العربية الإسلامية¹، فقد كان يطربهم برسائل الشكر والثناء والمدح، كما كانت له رسائل عديدة مع أعز أصدقائه بالمغرب الأقصى وهو أبو الحسن علي الشامي الخزرجي هذا الأخير الذي تأثر كثيرا بخبر مغادرة المقري للمغرب فقال فيه:

أشمس الغرب حقا ما سمعنا ... بأنك قد سئمت من الإقامة
وأنت قد عزميت على طلوع ... إلى الشرق سموت به علامة
قد زلزلت منا كل قلب ... بحق الله لا تقم القيامة

ومن رسائل الشكر تلك التي بعث بها أحمد بن القاضي إلى العلامة سعيد المقري يمدحه فيها ثم يشكره على هديته لمدينة فاس والمتمثلة في ابن أخيه أحمد المقري فيقول:

سعدت بغرة وجهك الأيام ... يا سييدا دانت له الأعلام
يا بحر علم إن طمت أمواجه ... قد ذفت بدر شاده الإسلام
أرسلت للغرب القصي بدرة ... قد أبهرت وغلت لها الأسوام
جمع العلوم على حداثة سنه ... قد بارك الله به الأعلام
أكرم به من عالم علامة فجزيت ... جمع العلى وزكيت به الأحلام
خيرا يا سعيد عن الـورى ... بـابن الأخ العلامة الصمصام
أدبته هذبته علمته ... ما أن يقاس بعلمه بهرام
ضاءت بكم يا مقري سما العلا ... وعلت بكم بين الورى أقوام²

كما جمعت علاقة متينة بين علامة ومفتي مدينة الجزائر الشيخ محمد المهدي بن رمضان العالج (ت1661م) وشيخه علي الأنصاري السجلماسي المغربي، وهو ما تجسد في رسائل إخوانية تتمثل في قصائد مدح تقدم بها محمد المهدي لشيخه³، كما جمعت بين أبو سالم العياشي وشيخه أحمد بن عبد الرحمن بن جلال مودة كبيرة جسدها العياشي في هذه الأبيات التي راسل بها شيخه ابن جلال قائلا:

ومن بعده الشيخ ابن جلال الذي ... غدا في سماء المجد تاج الأهلة
سلالة أهل الفضل والـدين وارث ... مقامهم في كل علم وحكمة

¹ محمد حي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص302.

² أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص130-131، 126-128.

³ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص60-61.

فمنذ الصبي قد ساد بالعلم والحجى ... ومازال ينمو في وقار وهيبة
إلى أن غدا وهو المبرز وحده ... فمن كل علم نال أكبر حصه¹

وقد كانت بين عيسى الثعالبي وعبد الله العياشي صحبة تجسدت أكثر في الرسائل التي كانت بينهما
فبعدهما وصلت للثعالبي رسالة مدح وثناء وشوق من العياشي يقول فيها:
فحرفته التقوى وصنعتة الندى ... ومكسبه التفويض خير المكاسب
فهو الفذ في كل العلوم وإنه ... لأفضل من مدت له كف راغب
رئيس المعالي نخبة الدهر ماجد ... وعقد لألى الحمد تاج المواكب²

أراد الثعالبي أن يرد عليه نثرا حيث قال له: (الحمد لله يقول كاتب الأحرف المسمى نفسه آخر أن
صاحبنا الأديب البليغ الناظر الناثر ربحانة الآداب، وواسطة الحساب سيدي العياشي وصل الله اكرامه،
وبلغه من محمود المقاصد مرامه خاطب العبد الفقير بقصيدة متمكنة الاعجاز والصدور مسبوقه بأسجاع
متناسقة ولا تناسق القلائد في النجور على الصدور، فجرى قلم فكري الفاتر، وذهني القاصر شاكرا لفضله
بهذه الأبيات المتأخرة عن مباراة صاحب الأرضي البائنة عن صوب معاهد البلاغة ان لم تنظر بعين
المسامحة)³، كما جمعت بين علامة قسنطينة محمد بن أحمد الشريف الحسني المعروف بابن الكماد
(ت1704م) وعلامة المغرب أبي عبد الله بن قريش صحبة ومودة كبيرة بمدينة فاس ترجمها ابن الكماد في
أبيات شعرية بعث بها لابن قريش قائلا:

لهف نفسي على كسوف ... شمس العلماء وذلة الغرباء
لهف نفسي على زمان عبوس ... قمطيرذي قسمة ضيضاء
فأنا للعلا سموت وحزت ... رتبة لا تسام بالجوزاء
وورث العلوم قديما يقينا ... عن آباء قساور نجباء
فأنا شمسها ونجم سماها ... حافظ العصر سيد النبلاء
وكفى من رأى دروسي دليلا ... قاطعا على صحة أنباء
والذي لم يركفاه يقينا ... خبر الناظرين للإقراء
فيا حبر الورى ويا قاضي المصر ... ويا فائقا على النجباء
بالذي رفع السما ما لمثلي ... حامل الذكر في غنى وشقاء⁴

¹ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص102.

² عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص271.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2، المرجع السابق، ص205.

⁴ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص360-361.

وإلى جانب ابن قريش كانت لابن الكماد القسنطيني علاقات متميزة مع مختلف طلبة وعلماء فاس بداية بالعلامة محمد القادري صاحب نشر المثنائي الذي راسل شيخه القسنطيني برسائل مدح وثناء عديدة¹، ونفس الشيء مع الشيخ عبد الله التغلبي الفاسي (ت1779م) الذي بعث برسالة مدح وثناء لابن الكماد يقول فيها:

يا ماجدا قد حوى في الناس مكرمة ... ومن محاسنه جلت عن العدو
اسمع بفضلك ما قد قلت مرتجلا ... في بسط مسألة قد أثقلت عضدي
إني سألت حكيمًا عاقلا فطنا ... عن علّة قد عرت رأسي بذنا البلد
فقال لي ومقال الصدق متضح ... أدفئه بالملف أو عمم ولا تزد
فقلت ها ذا قريب ليس يعوزني ... فإن لي عدة من أعظم العدد
فقال من ذا الذي ترجى فضائله ... لدفع مابك من ضر ومن كمد
فقلت بالكاتب الكماد قد علقت ... كفي ونلت المنى رغما لذي حسد
فقال لي سلّه إن الفضل شيمته ... ما إن يماثلّه في العصر من أحد
إن كان يا أملي ما قال لي حسنا ... فعجلن لي بالاثنتين أو فزد²

ولما وفد كل من عبد الرحمن الجامعي وأحمد الوردزي التطواني على مدينة الجزائر استقبلهما الأديب والشاعر الجزائري محمد بن محمد ابن علي (ت1755م) وقدم لهما قصائد شعرية في المدح والثناء والترحاب³، كما ربطت علاقة صداقة بين الشيخ عبد القادر المشرفي (ت1778م) صاحب بهجة الناظر والشيخ الحبيب الفيلاي من منطقة تافيلالت تجسدت في مراسلات إخوانية عديدة بينهما، وقد حفظت نسخ من هذه المراسلات بالخرزانة العامة بالرباط تحت رقم 258 د على حسب ذكر ناصر الدين سعيدوني⁴، ولما انتقل محمد بن عبد الرحمن التواتي (ت1817م) للدراسة بسجلماسة التقى بالعلامة والشيخ أحمد بن عبد العزيز السجلماسي (ت1761م) فجلس عنده وأخذ عنه وأجازه، وقد أعجب كثيرا بمستواه العلمي فراسل والده عبد الرحمن (ت1781م) ببيت شعري يمدح فيه ولده محمد قائلا: إن الهلال إذا رأيت نموه ... أيقنت أنه سيكون بدرا كاملا⁵

وقد انتشرت الرسائل الشخصية بين علماء البلدين كصنف من أصناف الرسائل الإخوانية مثلما كان عليه الحال بين أحمد المقرئ وبعض من علماء المغرب الأقصى، فقد بعث أحمد المقرئ برسالة إلى محمد بن

¹ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص161-163.

² أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص426.

³ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص63-65.

⁴ سعيدوني ناصر الدين: من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص412-413.

⁵ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م...، المصدر السابق، ص284، 304.

أبي بكر الدلائي سنة 1631م يوصيه فيها على زوجته المغربية وابنته، ويخير زوجته التي لا يستطيع النفقة عليها بالبقاء زوجة له أو الطلاق، ومراسلة ثانية من أحمد المقري إلى محمد الدلائي في نفس السنة يخبره فيها بنيته بالاستقرار النهائي في الشام، ولما ازدان فراشه ببنت من زوجته المغربية وصلت رسالة إلى أحمد المقري من الشيخ علي بن أحمد الفاسي يخبره ويمناه فيها بهذا النبأ السار، كما راسل أحمد المقري الشيخ أحمد الدلائي يخبره فيها بضرورة التكفل بزواج ابنته التي تركها بالمغرب، وقد كلف الفقيهين عبد الواحد بن عاشر ومحمد بن سودة ببيع كتبه بالمزايدة ودفع ثمنها لابنته حتى تتكفل بإتمام الزواج، وفي رسالة أخرى نجد أحمد المقري يخبر طلبته بالمغرب الأقصى بخبر طلاقه من زوجته المصرية ويشكو لهم حاله من سكان مصر حيث يقول: (فلما طلقها لم يبق في مصر أحد يسلم علي إلا رجل حداد)¹، كما كانت هناك مكاتبات إخوانية عديدة بين الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن التواتي (ت1806م) والشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي².

ثانياً/- الإجازات بين الماهية والنوع:

الإجازة هي شهادة تثبت بأن ذلك الطالب له رسوخ في ذلك العلم المجاز فيه، وإذن له بنشر ذلك العلم عن طريق التدريس والتأليف أو حتى إجازة غيره في ذلك العلم³، وهي إعطاء الأذن بالرواية أو الاسناد من طرف المجاز على لسان المجيز وطلب الإجازة يسمى استجازة، وأركان الإجازة أربعة المجيز وهو الشيخ والأستاذ والمجاز وهو التلميذ والمجاز به وهي الرواية أو العلم أو المصنف والصيغة وتكون إما باللفظ أو بالكتابة، وللإجازة نوعان الإجازة المعينة وتسمى بالإجازة الخاصة وتكون في علم أو كتاب واحد، والإجازة العامة وهي الغير محددة فالشيخ يجيز الطالب والتلميذ في كل علومه ومروياته⁴، ومع مرور الوقت شاع استعمال إجازة المراسلة والتي تقدم للطالب البعيد الذي لم يسبق له وأن التقى بذلك الشيخ أو العالم⁵، ويؤكد العلامة أبو العباس أحمد الونشريسي بأن الأصل في الإجازة هو الرواية عن السابقين في هذا العلم، وقدوتنا في ذلك النبي عليه الصلاة والسلام الذي أخذ القرآن الكريم عن جبريل عن الله سبحانه وتعالى، فيقول الونشريسي عن ذلك:

كتاب الله أفضل كل قيل ... رواه محمد عن جبرئيل

¹ أحمد المقري: الرسائل.... المصدر السابق، ص114-120.

² عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى الحج عام 1774م.... المصدر السابق، ص262.

³ عبد الجليل قريان: السياسة التعليمية للدولة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004م، ص200-203.

⁴ عبد الرحمن بن حسان: أدب الإجازة في إقليم توات خلال القرنين 19-20م، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 2014م، ص11-14.

⁵ عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص200-203.

عن اللوح المحيط بكل علم ... من العلم الرفيع عن الجليل¹

وأقدم إجازة سجلتها لنا كتب التراجم هي إجازة المؤرخ والحافظ ابن أبي خيثمة لتلميذه أبي زكريا يحيى بن أبي مسلمة سنة 889م، وقد فتحت المجال للشيخ والعلماء من أجل منح وطلب الإجازة²، كما ترك العلامة ابن ميمون الغماري سنة 1511م مصنفًا حول الإجازة وأهميتها العلمية وسماه الرسالة المجازة في معرفة الإجازة³، وقد استعملت الإجازات في البداية عند المحدثين للإذن بأخذ الرواية أو الحديث لفظًا أو كتابة ثم عمم استعمالها إلى بقية العلوم والفنون، وكان المجيز يتصف بالأمانة فلا يجيز إلا صاحب الكفاءة والاستحقاق غير مبالي بأصحاب السلطة والجاه⁴، كما ارتبطت الإجازات بظهور كتب التراجم والفهارس، وهي عبارة عن مجموعة من الإجازات التي أخذها المؤلف عن شيوخه أو إجازته لتلاميذه، وهذا ما حافظ على أسماء الشيوخ والتلاميذ والمصنفات والمراكز الثقافية الخاصة بتلك المرحلة التي كتب فيها هذا المصنف الفهرسي أو التراجمي⁵، ويرى ابن مريم التلمساني بأن طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم معرفة أفضل الأمة من الصحابي والتابعي والعالم والفقير ومعرفة تاريخ ولادتهم وموتهم⁶.

وهذا ما يساعد الباحث لاستخراج معارف جد مهمة في الجانب الثقافي عن تلك الحقبة التي خطت فيها تلك الإجازة من أسماء العلماء والفترة التي عاشوا فيها، والمصنفات المنتشرة والعلوم المدرسة والمساجد والمدارس والزوايا والمدن التي كانت قبلة للطلبة والشيخ، وقد كانت للإجازات العلمية أهمية كبيرة في ربط جسور التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى عبر الحقب التاريخية، فمن خلال تفقد هاته الإجازات نستطيع أن نتعرف على المناخ الثقافي في عهد المجيز والمجاز له، والمستوى الثقافي الذي بلغه المجيز والمعاهد والمراكز الثقافية لتلك الحواضر والمدن، واسم الشيوخ والمصنفات المنتشرة في ذلك الوقت، كما تمكننا من تتبع العلاقات التي كانت سائدة بين العلماء، ومظاهر التأثير والتأثر بينهم، وتقربنا من فهم دور هؤلاء العلماء في تمكين جسور التواصل الثقافي بين البلدان⁷، ويرى محمد ماكلمان بأن أهمية الإجازات العلمية تكمل في المحافظة على الأمانة العلمية وبت العلم ونشر المعرفة، والمحافظة على الإسناد وتبادل الروايات بين العلماء، والاعتراف بتحصيل الشيوخ والطلبة لذلك العلم، والطموح في مقارعة الشيخ واتباع مسارهم العلمي⁸.

¹ أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية، تحقيق محمد حجي وآخرون، ج11، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م، ص15.

² محمد عبد الغني حسن: المقري صاحب نفع الطيب، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، د.ت، ص60-61.

³ عبد الهادي التازي: جامع القرويين ...، ج2، المرجع السابق، ص412.

⁴ عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني...، ج2، المرجع السابق، ص355-356، محمد شاوش: المرجع السابق، ج2، ص69.

⁵ محمد الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص10.

⁶ محمد ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص307-308.

⁷ عبد الله الترغي: فهارس علماء المغرب...، المرجع السابق، ص70-72، محمد الروداني: المصدر السابق، ص30.

⁸ محمد ماكلمان: المرجع السابق، ص292-293.

وتعتبر الإجازة بمثابة شهادة الكفاءة أو التأهيل التي تسمح للطالب بتدريس ما أخذه عن شيوخه، وهي تصريح بأهلية المستجاز في تولي مناصب القضاء والإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة¹، فيمر طالب الإجازة في لقاء شيخه بعدة مراحل قبل حصوله على الإجازة بداية باللقاء والمجالسة والسماع²، ويمكن أن يكون بالمكاتبة أو المراسلة من دون لقاء مباشر بين المجيز والمجاز³ أما نص الإجازة فيبدأ بالبسملة والحمدلة والصلاة والدعاء ثم ذكر مميزات وصفات المجاز من صبر وموهبة والمدة التي قضها إلى جانب شيخه ثم يمر إلى ذكر المصنفات والعلوم التي أخذها منه، وأخيرا منحه الإذن بالتدريس بها ونشرها وذكر اسم الشيخ المجيز له⁴، ومن خلال تفقد مختلف كتب التراجم والفهارس نجد بأن طلب الإجازة كان شائعا بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى منذ العصر الوسيط مع بنو زيان وبنو مرين مرورا بالعصر الحديث مع الوطاسيين والسعديون والعلويون.

1/- الإجازات الجزائرية لطلبة وعلماء المغرب:

تنقسم الإجازات إلى قسمين إجازة نثرية وإجازة شعرية، وذلك باختلاف الشخص المجيز فإذا كان شاعرا وأديبا فعادة تكون إجازته شعرا، وإذا كان فقيها أو نحويا فإجازته تكون نثرا، وهي الأكثر شيوعا بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى.

* الإجازة النثرية:

من أهم الإجازات التي منحها علماء الجزائر لطلبة وأعلام المغرب الأقصى نذكر إجازة العلامة ابن مرزوق الكفيف التلمساني لشيخ الجماعة بفاس محمد ابن غازي المكناسي مكاتبة من تلمسان بدون أن يلتقيا مباشرة⁵، وأجاز أيضا عالم سجلماسة عبد العزيز بن إبراهيم بن هلال بعدما تنقل إليه إلى تلمسان حيث أجاز ابن مرزوق الكفيف إجازة عامة له ولوالده إبراهيم وشقيقه عبد الرحيم⁶، كما أجاز الشريف سليمان البوزيدي التلمساني قاضي مدينة فاس عبد الواحد الورياجلي الفاسي بعدما تنقل هذا الأخير إلى تلمسان فأجازه بالإفتاء والتدريس⁷، وأجاز الشيخ أحمد الونشريسي العلامة عثمان بن عبد الواحد المكناسي اللمطي⁸. أما في العهد الوطاسي فقد أجاز العلامة أبو الحسن علي بن هارون العديد من علماء وفقهاء المغرب الأقصى

¹ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص 222-223، رشيدة برادة: المرجع السابق، ص 20.

² أحمد ظريف: المرجع السابق، ص 14.

³ محمد القادري: المصدر السابق، ص 31.

⁴ مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة...، المرجع السابق، ص 34.

⁵ عبد العي الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص 421-422.

⁶ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص 175، عبد العي الكتاني: المصدر السابق، ج 2، ص 1107.

⁷ أحمد بابا التنيكتي: كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ص 169.

⁸ محمد مخلوف: المرجع السابق، ص 282.

في صورة الفقيه النوازلي يعقوب بن يحيى اليدري¹، والشيخ عثمان بن عبد الواحد المكناسي²، والشيخ محمد العربي ابن القاضي وتعتبر من أطول الإجازات بالقرويين، فقد ختم ابن القاضي على شيخه ابن هارون حوالي أربعة ختمات للقرآن الكريم في يوم واحد³.

والعلامة أحمد المنجور الذي أجازته عامة لكل مروياته من شيوخه، ومن جملة ما أجازته (ثلاث ختمات للقرآن الكريم وصحيح البخاري ومختصر خليل ومقامات الحريري وبردة البصري والموطأ...)⁴، كما نسجل أيضا إجازة محمد بن مرزوق الخطيب السبط لما قدم إلى مدينة فاس للعلامة عبد الوهاب بن محمد الزقاق⁵، وفي العهد السعودي وهو الحافل بالإجازات العديدة المتبادلة بين علماء البلدين نسجل إجازة محمد شقرون بن هبة الله الوجدي للشيخ محمد بن عسكر الشفشاوني حيث يذكر هذا الأخير بأنه التقى الشيخ شقرون مرارا وأجازته بمدينة فاس، ومن جملة ما أجازته فيه عقائد السنوسي بشروحها ومحصل المقاصد لابن زكري ثم يذكر ابن عسكر بأنه التقى شيخه شقرون بمكناسة وطلب منه أن يقيد له أسماء شيوخه وعلومهم ففعل ذلك إلا أن هذا التقييد ضاع منه، كما طلب أيضا ابن عسكر الإجازة من علامة تلمسان أحمد العبادي في سلسلة مشايخ الصوفية وفي الحاجبين الأصلي والفرعي⁶.

كما قام عبد الكريم الفكون الجد بإجازة الشيخ سعيد بن مسعود الماغوسي، فبعد رحلة طويلة قادت الماغوسي من مراكش إلى مدينة قسنطينة⁷ التقى بعالمها وشيخها عبد الكريم الفكون ودرس عنه ونال إجازته في مختصر خليل وابن الحاجب الأصلي⁸، وإجازة علي بن عيسى الراشدي للعلامة أحمد المنجور⁹، ولما انتقل محمد بن علي الخروبي للمغرب الأقصى أجاز هناك العديد من العلماء كمحمد الحضري الوزروالي¹⁰، والشيخ محمد بن يوسف الترغي حيث يذكر أحمد ابن القاضي بأنه عاين إجازات الخروبي بنفسه¹¹، كما طلب ابن القاضي إجازة من العلامة التلمساني الكبير سعيد المقري بعدما بعث له برسالة إلى تلمسان يطلب الإجازة قائلاً فيها: (... السيد الكامل أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري القرشي ... أن يتفضل بالإجازة العامة الجامعة التامة فيما لسيدنا من مروى ومقروء ومجاز ومسموع، وأن يتفضل بذكر مشيخته الأعلام من حماة

¹ أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص559، محمد القادري: المصدر السابق، ص530.

² محمد مخلوف: المرجع السابق، ص282.

³ عبد الهادي التازي: جامع القرويين...، المرجع السابق، ص432-433.

⁴ أحمد المنجور: المصدر السابق، ص45.

⁵ محمد ابن مريم: المصدر السابق، ص276-277، محمد الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص392.

⁶ محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص106-107.

⁷ أحمد المقري: روضة الآس...، المصدر السابق، ص209.

⁸ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص162.

⁹ أحمد المنجور: المصدر السابق، ص15.

¹⁰ أحمد ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص322.

¹¹ عبد الله الترغي: الإمام الخروبي...، ص261-262.

الدين لأهل الإسلام ...)، ولم يتأخر سعيد المقرئ في الرد أين أجابه بنظم يجيزه فيه، كما طلب منه التبادلي أيضا إجازة عبروساطة ابن أخيه أحمد المقرئ¹.

لكن أكبر الاجازات التي نالها طلبة وعلماء المغرب الأقصى كانت من طرف العلامة أحمد المقرئ، فقد أجاز كل من سعيد بن مسعود الماغوسي، والعلامة علي بن عبد الواحد السجلماسي²، والشيخ محمد بن يوسف السوسي³، والشيخ محمد بن أبي القاسم بن القاضي ابن عم أحمد ابن القاضي صاحب الجدوة⁴، ومن أبرز الشيوخ المغاربة الذين ولعوا بجمع الاجازات من أعلام المغرب والمشرق الرحالة عبد الله العياشي، وقد كان العياشي يحصل على الاجازة بأي طريقة من الشيخ أو العالم سواء بالاحتكاك والتفقه والدراية أو بالسمع والرواية حيث يقول في هذا الشأن: (فمن أمكنني الأخذ عنه تفقها ودراية لم أعدل عن ذلك إذ هو الغاية فان ذاك الوقت عن ذلك عدلت إلى الأخذ سماعا ورواية لما وقر في سمعي)⁵.

فقد أجازته من أعلام الجزائر كل من الشيخ عيسى الثعالبي الذي لازمه بالمشرق واحتك به فقام الشيخ الثعالبي بإجازته في جميع مروياته⁶، وكذلك الشأن لعاشور بن عيسى القسنطيني فقد التقاه العياشي بطرابلس الغرب وتبرك به وطلب الإجازة منه، فأجازته الشيخ عاشور⁷ لفظا واعتذرله عن إجازته كتابة، وذلك لقرب رحيله فكاتبه العياشي يقول:

للشيخ عاشور الامام الأمجد ... حاوي الكمالات التقى الأرشد
مدت يدي لتنال كل فضيلة ... علما وذوقا من إمام مرشد
حاشا ترد يد إليك مددتها ... يا حائزا أقصى العلا والسؤدد⁸

وفي مكة المكرمة كان عيسى الثعالبي متصدرا للتدريس وكان علماء وطلبة المغرب الأقصى يقصدون مجلسه ويطلبون منه الإجازة، وقد أجاز منهم عبد الله العياشي وأحمد بن سعيد الدلائي سنة 1657م، وقد عدد فيها شيوخه الذين أخذ عنهم في الجزائر ومصر والحجاز⁹، ومن علماء الجزائر بمدينة فاس نجد الفقيه الأديب محمد بن عبد الكريم الجزائري (ت1690م) فقد لازمه الشيخ محمد الفاسي صاحب المنح البادية في الأسانيد العالية وأجازته في جميع مروياته¹⁰، ومن الإجازات التي منحها أعلام الجزائر لأعلام المغرب الأقصى بمدينة تازة نذكر إجازة محمد بن الحاج التلمساني (ت1756م) التي منحها لمحمد القادري الذي قصده وأخذ

¹ أحمد المقرئ : روضة الآس...، المصدر السابق، ص232، 246-247، 275-278.

² المصدر نفسه، ص112-113، 220.

³ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص243-244.

⁴ محمد القادري: المصدر السابق، ص314.

⁵ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص99، 341.

⁶ محمد مخلوف: المرجع السابق، ص314.

⁷ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص74.

⁸ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص488-489.

⁹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2، المرجع السابق، ص60.

¹⁰ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص131-132.

عنه علم الحديث والفقه فأجازه في جميع مروياته وشيوخه سنة 1750م¹، ولما زار الرحالة المغربي عبد الرحمن الجامعي مدينة عنابة سنة 1708م زار بيت الشيخ أحمد بن قاسم البوني وأخذ عنه بعض من علم الحديث وطلب منه الإجازة حيث يقول الجامعي: (وسألته الإجازة فيما وقفت عليه وغيره من تصانيفه)².

وبعد زيارة العلامة المغربي ابن زاكور الفاسي (ت1708م) لمدينة الجزائر أخذ عن خيرة أعلامها بداية بالعلامة عمر المنجلاتي (ت1692م)، ولما أراد ابن زاكور العودة لبلده طلب من شيخه المنجلاتي إجازة في جميع مروياته وقد لبي له شيخه هذا الطلب، ومن جملة ما جاء في هذه الإجازة: (... اجتمعت بالشاب الأديب الأريب الحاذق اللبيب السيد محمد بن قاسم بن زاكور مفتتح عام أربعة وتسعون وألف - 1682م -، وقرأ علي جمع الجوامع للإمام السبكي من حفظه مع جماعة من الطلبة، فمكثنا في قراءته من أوله إلى آخره نحو أربعة أشهر ... فطلب مني أن أجيزه، فامتنعت لأنني في نفسي لست من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان ذلك الميدان فألح علي المرة بعد المرة ... فأجزته أن يروي عني ما رويته عن أشياخي من الفنون التي أسردها بشرطه المعتبر عند أهل النظر ... وكتب عن عجل والقلب في وجل ... عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الجزائري الدار والمنشأ المانجلاتي نسبا أصلحه الله، وكان له ولدنريته وليا ونصيرا أمين أمين والحمد لله رب العالمين)³.

ولعل من أبرز النقاط المستنبطة من هذه الإجازة التي قدمها الشيخ عمر المنجلاتي لتلميذه ابن زاكور الفاسي بداية بتاريخ زيارة ابن زاكور لمدينة الجزائر سنة 1682م أين مكث ما يزيد عن أربعة أشهر كاملة، كما ذكر ما أخذه عنه طيلة هذه المدة، وهو كتاب جمع الجوامع للإمام السبكي بمختلف حواشيه وشروحه، وكذلك ذكر شيوخ المنجلاتي وأبرزهم سعيد بن ابراهيم قدورة وعلي بن عبد الواحد السجلماصي المغربي، والإجازة الثانية التي حصل عليها ابن زاكور (ت1708م) بعد إجازة عمر المنجلاتي تلك التي أخذها عن الشيخ محمد بن عبد المؤمن الجزائري (ت1682م)، ومن أبرز ما جاء في هذه الإجازة: (.... وإن ممن ضرب فيه بنصيب وافر وحصل منه القدر المفيد الظاهر الفقيه النبيه العالم الوجيه ... أبا عبد الله الشيخ محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي ... قرأ معنا صدرا من كتاب جمع الجوامع للتاج السبكي، وبعضها من تلخيص المفتاح من باب الفصل والوصل وأرجوزة ابن التلمساني في الفرائض ... فالتمس مني أن أجيزه فيما قرأ معي أو سمعه مني ... فأجزته بذلك على شرطه المعتبر عند أهله ... وكما أجزته أن يروي عني هذه المنظومة، ويشرحها إن أمكنه أو من أهله الله لذلك، وله الأجر التام والفضل السابع العام ... الحمد لله

¹ محمد القادري: المصدر السابق، ص63.

² أحمد بن قاسم البوني: الدررة المصونة ... المصدر السابق، ص31، فوزية لزغم: المرجع السابق، ص182-183.

³ محمد ابن زاكور الفاسي: المصدر السابق، ص45-49.

قد أتمها كاتبها بحضرة كاتبه محمد بن محمد بن عبد المؤمن وفقه الله بمنه في ضحى يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة عام أربعة وتسعين وألف)¹.

والإجازة الثالثة التي نالها العلامة ابن زاكور (ت1708م) بمدينة الجزائر تلك التي أخذها عن الفقيه محمد بن سعيد بن ابراهيم قدورة الجزائري (ت1695م)، وقد رفض قدورة في البداية منح هذه الإجازة لكن ابن زاكور استعطفه بمجموعة من الأبيات، وما كان من محمد قدورة إلا أن استجاب لهذا الطلب وقدم له إجازة جاء فيها: (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، وقد أجبت الفقيه النبيل الأصيل ... العلامة النحرير السيد أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد الفاسي المعروف بابن زاكور ... وأجزته إجازة مطلقة تامة عامة على شروطها المتعارفة عند العلماء القائلين بها في جميع مقروءاتي معقولا ومنقولا توحيدا ونحوا، فليحدث بذلك ان أحب عن أشياخي وأشياخهم إلى المؤلفين نفعني الله وإياه بهم آمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين، وكتب العبد الفقير إلى الله شاكره دائما على ما أسداه وأولاه محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري وفقه الله لما يحبه ويرضاه أوائل رجب سنة أربع وتسعين بعد الألف)².

* الإجازة الشعرية:

إلى جانب الإجازة النثرية بين علماء وطلبة الجزائر والمغرب الأقصى شاع أيضا استعمال وتداول الإجازة الشعرية رغم قلتها مثلما حدث مع الفقيه محمد بن عبد الواحد الرجراجي المراكشي الذي أرسل برسالة إلى أحمد المقرئ التلمساني يطلب منه إجازة حيث قال فيها:

يا نخبة الفقهاء والفضلاء ... ونتيجة الأعلام والكبراء
وهو الوسيلة لي المعظم قدرها ... إنسان عين السادة العلماء
هذا محبكم العفيف بباكم ... إذا أنت حقا ملجأ الضعفاء

والشيخ أبو بكر السوسي الذي طلب إجازة من أحمد المقرئ فرد عليه هذا الأخير بالإجازة نظما يبين فيها تواضعه واحترامه للعلماء حيث قال فيها:

الفاضل المحصل النحرير ... المقرئ الذي له التحرير
المغربي المراكشي السوسي ... ذو المبحث المعقول والمحسوس
ورام مني مع ظهور جهلي ... إجازة لست لها بأهل
إذ هو أولى أن يجيز مثلي ... والنخل لا يحكيه دوح الأتل³

¹ المصدر نفسه، ص55-62.

² محمد ابن زاكور الفاسي: المصدر السابق، ص71.

³ أحمد المقرئ: الرسائل....، المصدر السابق، ص470-471، 471، 497.

وقد تقدم الشيخ محمد بن يوسف التادلي من العلامة أحمد المقرئ التلمساني سنة 1617م بالمغرب الأقصى يطلب منه الإجازة قائلاً:

ويرقب منكم إجازتكم له ... بمرويكم عسى تكون له زلفى
وينشركم بيتاً تقادم عهدہ ... لصاحب ود إذ ينادي به ألفاً
وقد رد المقرئ بإجازة شعرية من اثنين وعشرون بيتاً يقول في مطلعها:
وها أنا أشهدت أني أجزتكم ... على السنن المعلوم والمقصد الأوفى
جميع تألوفي ونظمي وإن هي ... ونثري وإن جاز الـركاكة والضعفا
وكل الذي أرويه عن لقيت من ... أساتذة الغرالألي أحسنوا الرصفا¹

2/- الإجازات المغربية لطلبة وعلماء الجزائر:

أما الإجازات التي نالها علماء وطلبة الجزائر من أعلام المغرب الأقصى فهي كثيرة ومتنوعة خلال العهد المريني والوطاسي مروراً بالعهد السعدي وصولاً للعهد العلوي.

* الإجازة النثرية:

بداية بإجازة عيسى بن أحمد الماواسي للشيخ أبي عمران موسى الزواوي إجازة عامة لجميع مروياته عن كل شيوخه الأفاضل، وإجازة محمد ابن غازي للعلامة أبو الحسن علي بن هارون المطغري الذي لازمه طيلة تسعة وعشرون سنة²، فأجازته في جميع مروياته حيث ختم عليه القرآن الكريم عشرون ختمة وصحيح البخاري عشر ختمات والموطأ والمدونة والمختصر ختمتين³، كما نال أحمد المقرئ عديد الإجازات من علماء المغرب الأقصى كإجازة عبد العزيز الفشتالي وأحمد التادلي ومحمد بن قاسم القصار في الصحيحين والشفاء والموطأ والبردة والإحياء ومختصر ابن الحاجب الفرعي والأصلي والرسالة، وأحمد بن القاضي في جميع مصنفاته ومروياته وعلومه وسلسلة شيوخه بالمغرب والمشرق⁴.

وإجازة علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي للشيخ عيسى الثعالبي، فقد لازم الثعالبي شيخه السجلماسي لمدة تفوق عشرة سنوات فأجازته في جميع مروياته بل وزوجه ابنته، ولم يفارق الثعالبي الجزائر إلا بعد وفاة شيخه السجلماسي⁵، وقد حصل العلامة والقاضي الحنفي لمدينة الجزائر مصطفى العنابي (ت1717م) على إجازة من طرف شيخه محمد الطيب بن عبد القادر الفاسي لما زار مدينة الجزائر سنة

¹ ليلى غويني: المرجع السابق، ص216.

² أحمد المنجور: المصدر السابق، ص44، 18.

³ عبد العي الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص1105.

⁴ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص105-108-295-301، عبد العزيز بن عبد الله: الفهرسة...، المرجع السابق، ص123.

⁵ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص74-75، محمد مخلوف: المرجع السابق، ص311.

1691م¹، وبعد زيارة العلامة الطاهر بن عبد القادر المشرفي لمدينة فاس أخذ العلم عن عبد الله بن شقرون والطيب بن كيران، ومنهما أخذ الإجازة في جميع مروياتهما²، ومن أعلام الجزائر الذين وفدوا على مدينة فاس وأجازهم الشيخ محمد الفاسي في جميع مروياته نذكر كل من الفقيه محمد بن علي بن أحمد الجعدي الشريف سنة 1720م والشيخ عبد الخالق الندرومي والعلامة محمد بن عبد الله المنور التلمساني (ت1759م)³.

وبمدينة تطوان أخذ الطيب عبد الرزاق بن حمادوش الإجازة من شيخه أحمد الورززي نثرا في كل من الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم وسند أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل وشمائل الترمذي وفهرسة الروداني، ومما جاء في هذه الإجازة: (الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله يقول الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي دارا ومنشأ الديلمي الحميري نسبا ... أن الشريف الفاضل العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن أحمدوش الجزائري دارا ومنشأ رغب أن يسمع مني ما سهل الله سبحانه من الحديث ... وكتب أحمد المذكور ضحى الخميس سابع عشر المحرم عام 1156هـ بمدينة تطوان أمنها الله وحرسها منه أمين)، كما نال أيضا بن حمادوش بمدينة تطوان إجازة من شيخه أحمد السرائري يقول فيها: (الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ونبيه ومصطفاه وبعد، فقد طلب مني الفقيه النجيب الأديب الأريب العلامة الأوحى سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري دارا ومنشأ طلب مني الإجازة ... فأجزته فيما سمع إجازة تامة ... وكتب الفقير إلى رحمة مولاه أحمد بن محمد السرائري كان الله له وفي أواخر محرم من عام ستة وخمسين ومائة وألف)⁴.

كما نال ابن حمادوش في مدينة تطوان إجازة أخرى من الشيخ محمد بناني الفاسي يقول فيها: (الحمد لله الذي شيد بصحيح الاسناد منار الاسلام ورفع دعائمه على كواهل صدور أئمة الأعلام ... وبعد فان الفقيه الأجل العلامة الأفضل المدرس الأحفل الشريف الأتمثل السيد عبد الرزاق الجزائري المالكي ... قد تردد إلي في طلب العلم الشريف ... أجزت الفقيه المذكور في جميع ما يجوز لي وعني ... قاله وكتبه محمد بن عبد السلام البناني غفر الله له أواخر محرم الحرام 1156هـ)⁵، وبعد زيارة الشيخ عمر بن عبد القادر التواتي (ت1739م) لمدينة فاس نال بها عديد الإجازات من علماء المدينة، كالحسن بن رجال الفاسي الذي أجازته في علمي الحديث والتفسير⁶، ومن أعلام الجزائر الذين زاروا مدينة سجلماسة وتعلموا على شيخها أحمد بن

¹ ابن المفتي: المصدر السابق، ص16-17.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج2، المرجع السابق، ص38، عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص177-178.

³ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص66-67.

⁴ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص37-38، 67-68.

⁵ المصدر نفسه، ص62-63.

⁶ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس...، المصدر السابق، ص84-86.

عبد العزيز الهلالي السجلماسي نجد كل من الشيخ عبد الرحمن التواتي (ت1775م) وولده محمد (ت1817م) حيث أخذنا عنه وأجازهما في مختلف مروياته¹.

ولما قصد العلامة محمد بن علي الشريف الرماصي مدينة فاس التقى هناك بالفقيه محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وبعدهما أخذ عنه مختلف العلوم طلب منه الإجازة في مصنفه المنح البادية في الأسانيد العالية فقام الفاسي بإجازته في كل المرويات والمصنفات التي أخذها عن شيوخه وأفراد عائلة الفاسي²، وبعدهما مر العلامة عبد القادر بن شقرون الفاسي بمدينة بسكرة سنة 1779م قاصدا الحج التقى بالشيخ والفقيه حسن بن خليفة القماري فطلب هذا الأخير إجازة من الشيخ الفاسي فاستجاب لطلبه³، وبعد زيارة محمد السنوسي للمغرب الأقصى سنة 1805م أين مكث بها ما يقارب أربعة عشر سنة انتقل خلالها بين عدة حواضر مغربية كفاس وسلا ودرعة، وقد تلقى العديد من الاجازات عن شيوخ هذه المدن، ومن أبرز هذه الإجازات نذكر إجازة الشيخ أحمد بن المكي السدراتي السلوي بمدينة سلا، وإجازة الشيخ عبد السلام الدرعي وولده محمد المدني بمدينة درعة، وفي فاس نال السنوسي عديد الاجازات على يد الشيخ حمدون بن الحاج الفاسي، ومحمد بن عامر المعداني، ومحمد بن أبي بكر اليازعي، والشيخ الطيب بن هداج، والشيخ أبو بكر الادريسي القيطوني، والشيخ عبد الرحمن العراقي الحسني⁴.

ولما زار العلامة والشيخ محمد الطيب الفاسي مدينة الجزائر سنة 1691م في إطار الرحلة السفارية التي كلفه بها السلطان مولاي اسماعيل التقى هناك بشيوخ وأعلام مدينة الجزائر وأجازهم بداية بالفقيه والقاضي والمفتي مصطفى بن رمضان العنابي (ت1718م) حيث يقول الفاسي في هذا الصدد: (أجزت الفقيه مصطفى التركماني)⁵، ومن أعلام عنابة الذين أجازهم علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي المغربي بمدينة الجزائر نذكر علي بن ابراهيم بن محمد البوني عم قاسم البوني⁶، وبمدينة تونس التقى محمد أبي راس الناصري المعسكري بالشيخ أحمد بن عبد الله السوسي المغربي سنة 1790م وقد درس عنه وأجازه أيضا ويقول عن هذه الإجازة: (شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن عبد الله السوسي المغربي نجارا التونسي دارا ووفاتا واقبارا ... فأجازني في جميع ما يتعلق بالدين ووصائله وفروعه وأصوله ومسائله، وكتب لي بخط يده حفاظ كأنها عقيان أو درر فهي عندي من نفائس ما يقتنى ويدخر)⁷، ولما زار محمد بن عبد السلام بن

¹ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م، ... المصدر السابق، ص304.

² أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص399-400.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج2، المرجع السابق، ص52.

⁴ الحاج صادق: المرجع السابق، ص77.

⁵ ابن المفتي: المصدر السابق، ص16، فوزية لزغم: المرجع السابق، ص44-45، محمد لخضر بوبكر: المرجع السابق، ص155.

⁶ أحمد بن قاسم البوني: الدرّة المصنونة...، المصدر السابق، ص132.

⁷ محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته...، المصدر السابق، ص50-51.

ناصر الدرعي (ت1823م) مدينة قسنطينة التقى خلالها بمجموعة من الطلبة والشيخ فأجاز البعض منهم كعلي الونيسي وسعد بن علي الشماطي الكافي¹.

* الإجازة الشعرية:

وعن الإجازة الشعرية يقول أحمد المقري عندما طلب الإجازة من الوزير عبد العزيز الفشتالي: (وقد طلبت منه أن يجيزني في جميع نظمه ... فأجازني جميع ذلك بلفظه من غير كتابة لأن المقام ضاق عن ذلك)²، وإجازة أحمد بن محمد الدقون للشيخ محمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي، وذلك لما قدم هذا الأخير إلى مدينة فاس فطلب من شيخه الدقون الإجازة فاستجاب هذا الأخير لطلبه قائلا:

أجاز لك الدقون يا نجل سيدي ... أبي جمعة المغراوي كل الذي روى فحدث بما استدعت فيه إجازة ... وسلم على من خالف النفس والهوى³

وقد كان بعض العلماء يصرون على الإجازة الشعرية كعبد الله العياشي الذي راسل الشيخ عاشور القسنطيني يترجاه بإجازة مكتوبة قائلا:

للشيخ عاشور الامام الأمجد ... حاوي الكمالات التقى الأرشد
مدت يدي لتنال كل فضيلة ... علما وذوقا من إمام مرشد
حاشا ترد يد إليك مددتها ... يا حائزا أقصى العلاء والسؤدد⁴

وقد جمعت علاقات قوية بين الشيخ ومفتي الحنفية بمدينة الجزائر محمد المهدي (ت1661م) بشيخه العلامة علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي (ت1647م)، وقد ترجمها الشيخ محمد المهدي في رسائل وقصائد حب وغزل في شيخه السجلماسي، ومن بين هذه القصائد التي يتودد محمد المهدي فيها مستجيزا شيخه السجلماسي قائلا:

فيا ربة الحسن الذي ملك النهى ... عسى عطفة يحيا بها المتنشق
عديني بوصل وامطلي بنجازه ... فوعد جميل منك لا شك يصدق
وان لم أكن أهلا لما أنا أمل ... فحبي شفيح بالوسائل أسبق
فيا قلبي المضني رويدك فائد ... فملبوس ذاك الشوق لا يتخرق
أأخشى اندراسا للعلي وزعيمها ... علي بن عبد الواحد المتصدق⁵

¹ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص254-258.

² أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص108، أحمد المقري: روضة الأسماء...، المصدر السابق، ص152، 107.

³ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص353، ج2، ص1065.

⁴ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج2، ص488-489.

⁵ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص60.

ولما وصل الرحالة والعلامة محمد الطيب بن عبد القادر الفاسي لمدينة الجزائر احتك به مصطفى بن العنابي مفتي الحنفية بالجزائر، وقد أجازته الفاسي في إجازة تتألف من سبعين بيتا جاء في أحد أبياتها:
أقول مجيبا مفصحا بلساني ... أجزت الفقيه المصطفى التركماني

وقال فيه أيضا: (الفقيه النبيه العلامة الدراكة المشارك النحرير أبو الخير مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي ...)¹، ولما وفد العلامة أبو العباس أحمد الورززي الدرعي التطواني (ت1765م) على مدينة الجزائر في مناسبتين الأولى سنة 1746م والثانية سنة 1748م التقى بالأديب الشاعر محمد بن محمد ابن علي (ت1755م) وطلب هذا الأخير من الورززي الإجازة، وبما أنه مدحه بقصيدة شعرية فأكد أن ابن علي طلب الإجازة شعراً²، وبعد زيارة الطبيب الجزائري عبد الرزاق بن حمادوش مدينة فاس سنة 1743م لقي بها الشيخ أحمد بن مبارك، وقد أخذ عنه مختصر السنوسي في المنطق وبعض العلوم الأخرى ثم تقدم له بقصيدة مدح طالبا من خلالها الإجازة إذ يقول فيها:

أيا شيخنا شيخ البرية كلها ... أسيد أحمد المبارك في الدهري
ومن مثلكم في الكون يقصد بابه ... ومن أين للإسلام مثلك كالنيري
وأنت إمام بالعلوم محققا ... بساحتكم فلك النجاة من البحري
وأني طلبت الله أن أرى وجهكم ... وأسجد عن تلك الأكف على البري
وها أنا قد نلت الذي كنت أشتهي ... وقد بقيت لي الإجازة في النشري
فضع خطك المرفوع في نصب صفحتي ... وعقب به من قد لقيت من الغري
وخلد به تلك المحاسن كلها ... وأشياخك أولوا المكارم في الذكري
ورضوانه عنكم وكل مشائخي ... إلى سيدي الأكوان ذي البرواليسري

لكن ابن حمادوش لم ينل مراده بسبب وفاة شيخه ابن المبارك قبل أن يعطيه هذه الإجازة، وهو ما جعل ابن حمادوش يبحث عن من يشهد له بهذه الإجازة، وقد قبل قاضي المدينة الشيخ عبد القادر بن العربي بوخريص السجلماسي أن يشهد على أخذ ابن حمادوش عن أحمد بن المبارك فرد عليه ابن حمادوش بيتين شاكرا:

قد أحسن القاضي الشهادة ناقلا ... عن الشيخ أن يجيزني في الطرس
ويشفعها بإذنه لي مطلقا ... في كل الذي يروي عن الغربالحمس³

¹ أبو القاسم سعد الله: رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص25.

² فوزية لزغم: المرجع السابق، ص63-65.

³ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص83، 90.

ومن أعلام مدينة تطوان الذين أجازوا عبد الرزاق بن حمادوش سنة 1743م الشيخ محمد البناني الفاسي، وقد قدم ابن حمادوش قصيدة مدح وثناء في شيخه محمد بناني طالبا فيها الإجازة:

سموت فلم يكن بقربك نازل ... فكنت في أوج العز تمطر بالسؤال
فأنت هو الشمس المنيرة في الورى ... لكهفك قد تأوي الركائب للظل
طلعت بأرض الغرب كنت نهارهم ... ففي نورك الإسلام تذهب في السبل
وقد حسد الشرق المغارب فيكم ... فأرسلني نروي الرواية بالنقل
أيا شيخنا البناني الاسم محمد ... فقد شهدت لك الأكابر بالفضل
كأنك لقمان في علمك والهدى ... أو أنك حسان إذا فهت بالقول
أجزني وأطلق لي رواية كلما ... رويته عن أشياخ غرأولي الطول
ووشح بخطك الشريف إجازتي ... فذاك لها الزهر النضيد مع الفل
عليكم سلام الله في كل لحظة ... وأتباعك النجل الشريف على الفعل
وصل إله العرش عن خير مرسل ... وأفضل من حاز الشفاعة في الرسل

فيرد البناني بأبيات إجازة لابن حمادوش يقول فيها:

أجزت لكم مروينا مطلقا وما ... لنا سائلا أن تتحفوا بدعاء¹

* قيم الصلوات الحضارية من خلال المجالس العلمية:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر بعقول ومدارك متباينة وأفكار وألسن مختلفة، وإن مجال الحياة واسع ومصالح الناس تتضارب ما يجعل الفرد يدخل في نزاع وجدال وحوار مستمر مع بقية أفراد المجتمع، وهو ما يعرف بالمناظرة أو المجادلة، فمن الناحية اللغوية المناظرة حسب لسان العرب هو النظر والتأمل في الشيء بالعين ومعاينته بالفكر والتقدير والقياس مفردا مناظرة وتعني المحاوررة بين فريقين حول موضوع معين، ولكل منهما وجهة نظر مختلفة مع محاولات إظهار وجهة النظر الأولى وإبطال وجهة النظر الثانية مع شرط إبداء الرغبة الصادقة في الوصول للحقيقة والاعتراف بها لدى ظهورها²، وفي كتاب ضوابط المعرفة فإن المناظرة هي جدال كلامي يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر ويعرض

¹ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص39.

² علي مدلل: المناظرات النحوية بين البصريين والكوفيين، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1999م، ص35،38.

فيه كل طرف منهما أدلته التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الأدلة التي تنير له بعض النقاط التي كانت غامضة عليه¹.

1/- ماهية المجالس والمناظرات العلمية:

المناظرة عموماً هي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في إظهار الحق، ولها عديد التسميات بين المناظرة والنظر وآداب البحث والمساجلة وتكمل فائدتها في إظهار الصواب والعصمة من الخطأ في المحاجة ورد شبه المبطلين وقمع الضال ومعرفة حال المستدل وحال المجيب ومحل وجوب السكوت ومحل وجوب الكلام، والاستعانة على فهم أبحاث العلوم ومعرفة طرق البحث والمناقشة مع الخصوم²، والمناظرة في الاصطلاح تعني المحاورة بالبينه والدليل، وتقوم المناظرة على مقارعة الحجج والبراهين فكلا الطرفين يرغب في نصرة رأيه وإبطال رأي خصمه وكلاهما يطمح للوصول للحقيقة، وقد مارسها الأنبياء والرسل مع خصومهم وأعدائهم مثلما حدث مع إبراهيم عليه السلام مع النمرود³، والمجالس العلمية هي تلك المنافسات والمسابقات التي تعقد بين العلماء والأدباء وتسمى أيضاً بالمطارحات والمساجلات العلمية⁴، وللمناظرة أركان ثلاثة المتناظران وموضوع المناظرة والجمهور أو الحكم⁵.

إن فكرة المجالس العلمية لم تخلق بالمغرب بل تعود للملوك الهند والصين أين كانت مجالسهم تعج بالحكماء والمنجمين، وخلال العهد البيزنطي كان البلاط يهيمن عليه الرهبان وتجرى به مناقشات علمية ودينية وسياسية، وفي عهد الدولة الإسلامية فتح النبي عليه الصلاة والسلام مع صحابته الكرام باب المناقشة والمشاورة في جميع المواضيع والقضايا التي تخص الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وسار على هذا المنوال الخلفاء الراشدون وبنو أمية وبنو العباس، وفي بلاد المغرب عرف الأدارسة والمرابطون ظاهرة المجالس العلمية لكنها برزت أكثر خلال عهد الموحدون أين أصبحت المدن ومختلف المجالس العلمية والدينية لا تخلوا من هذه المساجلات والمطارحات الفكرية، وهو ما ساهم في ارتقاء مستوى تفكير وطرح العلماء كما ساهم في استقطاب العلماء من خارج منطقة المغرب لهذه الفضاءات العلمية الراقية، والتي كان يحضرها حكام الموحدون بل ويساهم البعض منهم في تنشيطها⁶.

¹ نور الدين صغيري: (الحوار والمناظرة في منظور الشارع)، مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع36، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2002م، ص19.

² أحمد طاشكبري زاده: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، تحقيق حاييف النهان، ط1، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت، 2012م، ص7.

³ زينب مزاري: المناظرة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2000م، ص4-7.

⁴ أحمد المقري: الرسائل... المصدر السابق، ص90.

⁵ علي مدلل: المرجع السابق، ص35-38.

⁶ علي عشي: المغرب الأوسط في عهد الموحدون 1139-1235م، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2012م، ص151.

وكتسمية رسمية ظهرت المجالس العلمية مع بني مرين وبرزت أكثر خلال عهد أحمد المنصور السعدي ثم مع سلاطين الدولة العلوية مولاي الرشيد واسماعيل ومحمد بن عبد الله وسليمان¹، وتعود حركة الجدل والمناظرات بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى إلى العصر الوسيط خلال عهد الدولتين المرينية والزيانية، فقد جرت مناظرة فقهية بين العلامة التلمساني سعيد العقباني (ت1408م) ونظيره أحمد القباب المغربي (ت1376م) في مدينة سلا حول الضرائب المفروضة على التجار من طرف الدولة المرينية، وقد جمعها ابن قنفذ القسنطيني في مؤلف سماه لب اللباب في مناظرة العقباني والقباب، وأصبحت من المراجع الرئيسية في أسس وقواعد المناظرات الفقهية بين علماء البلدين خلال العصر الحديث².

2/- فحوى المناقشات العلمية بين أعلام البلدين:

لقد رافق انتقال العلماء والمصنفات بين الجزائر والمغرب الأقصى حوارات ومناظرات ومجالس علمية بين العلماء والفقهاء في مختلف المسائل، وقد كان نقاشا وجدلا متواصلًا يتراوح بين الحدة والتوتر والتنافس الشريف، وكل ذلك أدى إلى تلاقح وتواصل ثقافي بين رجال العلم بالبلدين لكن ما يغلب عن هذه المناظرات في الكثير من الأحيان التطابق والتشابه في وجهات النظر، وذلك راجع إلى وحدوية التكوين ومناهج وطرق التدريس وعناوين المصنفات المقروءة، كما كان ينتج في بعض الأحيان عن هذه المناظرات مصنفات فقهية خاصة من طرف الطلبة المتتبعين لهاته المناطحات الفكرية والثقافة بين علماء البلدين.

ثانيا/- المناظرات العلمية بالحواضر المغربية:

ما يمكن ملاحظته من خلال النماذج التي ستقدم أن معظم هاته المناظرات جرت بالمغرب الأقصى، وذلك راجع لتشجيع السلاطين السعديون والعلويون لهذا النوع من الثقافة من جهة، ووجود جو مناسب لها من كبار الشيوخ والمصنفات والمراكز الثقافية الراقية من جهة ثانية³، وللمناظرات والمساجلات العلمية صنفين مناظرات رسمية ومناظرات إخوانية.

ونقصد بالمناظرات الرسمية هي تلك التي تعقد بحضور الحكام والسلاطين، فقد ورثت المدن والحواضر المغربية فن المناظرات والمساجلات العلمية عن المرينيين أين كان السلطان أبا عنان ينضم المناظرات العلمية بين العلماء في حضرته، وقال لأحد أساتذة المدرسة العنانية يوما: (انما أمرت بالمناظرة لكي تعلم ما عندك وعند الناس، وتعلم أن دار المغرب - فاس - هي كعبة كل قاصد)⁴، فإلى جانب مناظرة العقباني والقباب

¹ إبراهيم حركات: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب ... المرجع السابق، ص 52-53.

² عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، ج 2، المؤسسة الوطنية للفتون المطبعية، الجزائر، 2002م، ص 412، محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين... المرجع السابق، ص 390، أبو الأحنان محمد: (العلاقات بين فقهاء المغرب العربي خلال القرون الثامن والتاسع والعاشر هجري)، ضمن أعمال ملتقى بناء المغرب العربي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1985م، ص 130-131.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، المرجع السابق، ص 13.

⁴ عبد الهادي التازي: جامع القرويين...، ج 2، المرجع السابق، ص 369.

الشهيرة اشتهرت في بلاد المغرب الأقصى أيضا المناظرة الرسمية التي أشرف عليها السلطان أبا عنان المريني بين الشيخ والفقير الصرصري مدرس الفقه بالمدرسة المتوكلية حيث أخذه الكبر بعلمه، ولما سمع السلطان الزياني بذلك أرسل له الفقيرين أبو موسى عيسى ابن الإمام والشريف التلمساني وقد حاوراه وناظرهما مما جعله ينسحب من كرسيه بالمدرسة المتوكلية¹، وتطورت أكثر هذه المساجلات والمجالس العلمية بالمغرب الأقصى خلال العهد الوطاسي ومن بعده السعدي والعلوي، فقد شهدت الحواضر والمدن المغربية مناطحات فكرية وثقافية كبيرة وعديدة بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى، فقد احتضنت مدينة فاس مناظرة بين فقهاء مغاربة والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي هذا الأخير حل بفاس من أجل اقناع بعض من علمائها الذين رفضوا تقديم رخصة للمغلي من أجل محاربة اليهود بمدينة توات².

وقد كان السلطان أبي زكريا الوطاسي أبرز الحاضرين فيها³، وأمام معارضة مفتي فاس عيسى الماواسي وقاضيه ابن غازي غادر المغيلي إلى بلاد السودان⁴، ولما وصل أبي راس الناصري لمدينة فاس طلب أحد أعلام هذه المدينة - لم يرد أن يذكر اسمه تقريبا من شأنه - من أبي راس أن يعيره كتاب درة الحواشي على شرح الشيخ الخراشي أين قام هذا الأخير بتوجيه نقد شديد لأبي راس الناصري حول مستواه في تأليف هذا الكتاب، وهو ما جر الطرفين لمناظرة ومساجلة شهيرة بالمغرب الأقصى حيث اعتبر أبي راس بأن هذا الشيخ قد أثارته الغيرة من شهرة أبي راس خاصة بعد نبيله لقب الحافظ، وقد تدخل السلطان المغربي مولاي سليمان وكبار علماء وفقهاء مدينة فاس وعلى رأسهم الطيب بن كيران، وقد أزموا هذا الشيخ المغربي بالاعتذار من أبي راس، وهو ما وقع حيث يذكر أبي راس: (حتى سمع السلطان نصره الله وجملة الاخوان فعتبوه وذموه، وقالوا له تعمد إلى كتاب من هو بالفهم والحفظ خليقا وتصير دره عقيقا ... فأحضر أطعمة كثيرة حافلة، وفاكهة أثيرة نافلة، وأحضر العلماء الأعيان وشيوخهم حافظ العصر السيد والسند الطيب بن كيران ...)⁵.

ولعل من أشهر المناظرات التي جرت بين علماء تلمسان وعلماء فاس تلك التي حدثت في سنة 1830م إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر أين سارع أهالي وعلماء مدينة تلمسان لمبايعة السلطان المغربي المولى عبد الرحمن بن هشام، فثار جدال فقهي كبير بين علماء تلمسان وعلماء فاس حول شرعية هذه البيعة حيث أصدر علماء فاس فتوى تقر ببطلان بيعة أهالي الجزائر للسلطان المغربي لأن لهم بيعة للأتراك ولا يجوز تقديم بيعة على بيعة أخرى، فرد فقهاء تلمسان برسالة بتاريخ 30 سبتمبر 1830م للسلطان عبد الرحمن بن هشام يقولون

¹ مصطفى لغشيم: هجرة العلماء بين المغرب الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية وثقافية خلال القرنين 13-15م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2013م، ص 152-153.

² يحي بوعزيز: أعلام الفكر... ج 2، المرجع السابق، ص 151.

³ هبة الشاذلي: المرجع السابق، ص 196.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي... المرجع السابق، ص 269-270.

⁵ محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته... المصدر السابق، ص 101-102.

فيها: (اعتقدوا - علماء فاس - بأن في عنقنا للإمام العثماني بيعة، فلو وقع هذا لكان علينا حجة، وليس الأمر كذلك فهو مجرد اسم فقط) حيث شرحوا موقفهم هذا بأن الحكم العثماني للجزائر كان اجبارا ومفروضا ولم يستشر أهالي الجزائر في هذه التبعية، وهو ما يتعارض مع البيعة الشرعية حيث توجب حضور الرعية والحاكم سويا، وتتم البيعة بالرضا والقبول بين الطرفين¹.

أما المناظرات الاخوانية فهي التي تقام بين الطلبة والعلماء داخل المساجد والمدارس والزوايا وعبر الرسائل من دون حضور رسمي من طرف الحكام، وتكون عادة حول مسائل فقهية مختلف في أحكامها الشرعية، وقد سجلت لنا كتب التراجم العشرات والمئات من المناظرات والمطارحات العلمية والفقهية بين أعلام الجزائر والمغرب الأقصى داخل المدن المغربية، وقد كانت بعض من هذه المناظرات تتطور أحيانا لمشاحنات لكنه يدل على درجة عالية من السجلات والمناظرات مثلما حدث مع محمد شقرون الوهراني ويحي بن محمد السراج، فقد كان الوهراني يحضر مجالس السراج فطرح عليه يوما سؤالا فقهيا فصاح عليه السراج أهذا كلامك وأنت تقرأ على كرسي الشيخ الأشقر وكان يقصد عبد الواحد الونشريسي²، وحدث ذلك أيضا بين عبد الواحد الونشريسي ومحمد الزقاق حيث يذكر أحمد المنجور بأنه كان يحضر برفقة الونشريسي والونشريسي، فتجادل كل من عبد الواحد والونشريسي حتى وصل الأمر إلى حد المشاتمة، فتدخل الشيخ ابن مجبر وأصلح بينهما³، وقد وقف عبد الواحد الونشريسي في وجه القاضي الورياجلي حيث طالب هذا الأخير بالحصول على مرتبه كاملا خلال سنة رغم أنه لم يدرس سوى ثلاثة أشهر بمدرسة الرخام بمدينة فاس، فعارض الونشريسي ذلك واعتبر أن المال الزائد لمدة تسعة أشهر بالغير حلال، وهذا ما جعل علماء وطلبة كل من فاس وتلمسان ينتصرون لكل شيخ⁴.

كما اشتهرت أيضا مناظرة طلبة سبتة لابن خميس التلمساني في عديد القضايا الفقهية⁵، وعندما حل المقري لأول مرة بفاس حضر درس أبي الحسن علي بن عمران السلاسي حول بعض المسائل الفقهية، فقام أحمد المقري وصحح له مسألة في الميراث، ورغم معارضة تلاميذ السلاسي للشيخ أحمد المقري باعتباره طالبا غربيا وجديدا، فإن السلاسي وافقه وأعجب به ومنذ ذلك الوقت ذاع صيته بفاس⁶، كما جرت مناظرات عديدة مع طلبة وعلماء فاس ومراكش كان بطلها محمد بن علي الخروبي حيث زار الخروبي مدينة فاس سنة 1552م ودخل في مناظرات فقهية مع طلبة وعلماء المدينة، ونفس الشيء حدث له مع أتباع الطريقة

¹ خليفة حماش: كشاف ورائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني ...، ج1، المرجع السابق، ص93، أحمد العماري: المؤثرات الحقيقية...، المرجع السابق، ص101.

² محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب...، ج2، المرجع السابق، ص362.

³ أحمد المنجور: المصدر السابق، ص53-54.

⁴ عبد الهادي التازي: القرويين...، ج2، المرجع السابق، ص441.

⁵ مصطفى لغشيم: المرجع السابق، ص152-153.

⁶ أحمد المقري: روضة الألس...، المصدر السابق، ص305-306.

الجزولية في زيارته لمدينة مراكش سنة 1554م¹ من دون أن ننسى المناظرة الفقهية بين عبد الرحمن بن محمد بن الوقاد التلمساني وأبي مهدي السجستاني حول تملك إحدى أراضي تارودانت².

ولما عاد عبد الله العياشي من الحجاز جلب معه عديد المؤلفات التي صنعت جدلا كبيرا بالحواضر المغربية، ولعل أبرزها مصنف مسلك السداد إلى مسألة خلق أفعال العباد لصاحبه نور الدين الكوراني، والذي يتحدث عن أفعال العباد هل هي من خلق العبد أو من تقدير الله سبحانه وتعالى، وقد عارض هذا الكتاب مجموعة من علماء مدينة فاس، وعلى رأسهم العلامة محمد بن أحمد الشريف الحسني المعروف بابن الكماد القسنطيني (ت1704م)، وهو ما جعل الكوراني يرد عليه بمصنف من الحجاز سماه نبراس الايناس بأجوبة أهل فاس³، وفي مدينة تطوان سنة 1743م وقع سجال علمي بين عبد الرزاق بن حمادوش وشيخه أحمد الورززي بجامع باب الملاح، وكان موضوع النقاش حول تفسير بعض الآيات القرآنية، وقد غضب الورززي لما استشهد بن حمادوش بالأشعري حيث رد عليه بأن حبه - الأشعري - أشرب في قلوبكم، وسبب هذا الخلاف الانتماء العقدي لكليهما فابن حمادوش أشعري العقيدة بينما الورززي كان من أتباع المعتزلة⁴.

ولما وصل أبي راس الناصري لمدينة تطوان بالمغرب الأقصى استفسره بعض من طلبة وشيوخ المدينة حول بعض المسائل الشرعية وتفسير بعض الآيات القرآنية، وقد ألف أبي راس هناك كتابه روضة السلوان المؤلفة بمرسى تطوان والجرية من عند أميرها تأتيني بأمر السلطان سليمان⁵، وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حط العلامة الشيخ محمد بن عبد الله الجليلي بمدينة فاس وتناظر مع شيوخها وعلمائها⁶، كما قاد الشيخ عمر بن عبد القادر التواتي (ت1739م) سجالات فقهية بمسجد القرويين مع شيوخ المغرب الأقصى كمحمد بن أحمد المسناوي حول جواز الذبح لغير الله، ومع الشيخ الحسن بن رحال المعداني حول مسألة الحضانة، ومع الشيخ الحسن بردلة في مسألة كلامية تخص مؤلف محصل المقاصد للعلامة التلمساني أحمد بن زكري، ومع العلامة محمد بن زكري في مسألة منطقية حول كتاب السلم المرونق للأخضري وفي مسألة نحوية تخص واو الحال⁷.

¹ عبد الله الترغي: الإمام الخروبي...، المرجع السابق، ص260، عبد الهادي التازي: جامع القرويين...، ج2، المرجع السابق، ص511.

² محمد الحضيكي: الطبقات...، ج2، المصدر السابق، ص398-399، محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص272.

³ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص105-106.

⁴ عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص65-66.

⁵ محمد أبي راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته...، المصدر السابق، ص164.

⁶ محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار...، ج2، المصدر السابق، ص201، المهدي البوعبدلي: تاريخ المدن...، المرجع السابق، ص245.

⁷ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس...، المصدر السابق، ص91-119.

ما يمكن قوله حول المناظرات والمجالس العلمية بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث والتي جرت وقائعها بالجزائر تكاد تكون منعدمة، وإن وقعت تكون طبعاً في غياب الحكام والمسؤولين¹، فعلى عكس المغرب الأقصى لم تسجل لنا كتب التراجم والتاريخ بأنواعها مناظرات ومجالس ومطارحات علمية جرت بالجزائر خلال العهد العثماني بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى بحضور رسمي سواء البايات أو الباشوات والدايات، واقتصرت هذه المجالس العلمية بين العلماء والطلبة في مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية التي كانت محل زيارة من طرف أعلام المغرب الأقصى باستثناء حادثة وقعت بعد فتح مدينة وهران الأول سنة 1708م حين وقع خلافاً فقهياً بين العلماء حول القبائل الجزائرية التي كانت متحالفة مع الأسباب وكيفية التعامل معها، أين أفتى صاحب أرجوزة فتح وهران أحمد بن محمد الحلفاوي بإباحة دماء ومال كل من كان يقطن بالقرب من حصون العدو بوهران ولم يفعل شيء رغم استطاعته الاغارة ومجاهدة العدو، فتدخل العلامة المغربي عبد الرحمن الجامعي وأدلى برأيه في القضية حيث رأى بأن كل من ثبت مساندته للعدو تجوز إباحتة دمه وماله بينما يعفى البقية من لم يخالطهم ويتعامل معهم، وهو ما أخذ به الباي مصطفى بوشلاغم في الأخير².

كما كانت مدينة قسنطينة شاهدة على عديد المناظرات العلمية بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى، كالمناظرة التي حدثت بين محمد بن راشد الزواوي وشيخه أبو عبد الله التواتي المغربي، وقد جرت هذه المناظرة في علم النحو بحضور عبد الكريم الفكون³ هذا الأخير الذي دخل في نقاش فقهى مع الشيخ التواتي أين طرح عليه تسعة مسائل فقهية أجاب عنها التواتي كلها، وقد نشرها محمد بن عبد الكريم الفكون في كتابه النوازل⁴، كما دخل الفكون في مجادلات ومراجعات فقهية مع الشيخ محمد الفاسي الذي حل بمدينة قسنطينة قادماً إليها من مدينة فاس، وأبرز المسائل التي كانت محور النقاش بينهما حول عقائد السنوسي وشرح الحوفي⁵، ولما حل أيضاً بمدينة قسنطينة الشيخ محمد السوسي من مدينة فاس وقعت بينه وبين الفكون مناقشات ومشاحنات حول تعليق ابن غازي على المرادي والتسهيل لابن مالك وأرجوزة القرطبية في الفقه⁶.

¹ عبد الهادي التازي: جامع القرويين...، ج2، المرجع السابق، ص369، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص13.

² عبد الرحمن الجامعي: المصدر السابق، ص86-87.

³ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص107-109.

⁴ فاطمة الزهراء قشي: الحياة الفكرية في قسنطينة...، المرجع السابق، ص328.

⁵ أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام...، المرجع السابق، ص61.

⁶ عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص72-74.

كما كانت لأبو سالم العياشي مجلدات ومجالس علمية مع طلبة وشيوخ الحواضر الصحراوية الجزائرية أثناء رحلاته الحجازية الثلاثة، فبعد نزوله بمدينة أوكيرت التقى بفتوة محمد بن محمد الأكراتي فطرح على العياشي سؤاليين حول نازلة في الأحباس وأخرى في البيوع، كما تناقش مع الشيخ أحمد بن مبارك التواتي بمدينة بسكرة في بعض المسائل خاصة حول وباء الطاعون بين المكوث بالبلد أو الفرار منه، ولما نزل بمدينة تقرت التقى بمحمد بن عبد الكريم التواتي الذي طرح عليه عدة أسئلة فقهية¹، وكذلك الشأن لطلبة تقرت الذين استفسروه حول ثلاث أسئلة فقهية في شكل أبيات شعرية السؤال الأول حول صلاة الرجل على بساط رخوي لا صلابة فيه، والثاني حول رؤيا النبي عليه الصلاة والسلام وتطبيق أوامره، والثالث حول تقصير الرجل للصلاة في بلاد كان ينوي البقاء فيها ثم غير نيته²، ولما زار الشيخ ميمون بن عمرو الفاسي مدينة تمنطيط بالصحراء الجزائرية دخل في مناظرة مع تلامذة الشيخ الغصنوني حول إحدى النوازل الفقهية، فعاد الشيخ ميمون لفاس وجاء لهم بمختصر خليل - هو أول من أدخل هذا المصنف لتوات وتمنطيط - ومعها أجوبة ابن غازي في هذه النازلة، وتمكن من اقناع مناظريه بل وأصبح من أعيان وعلماء المدينة³.

ولما مر العلامة والرحالة المغربي أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي (ت1761م) في طريقه للحجاز على مدينة بوسمغون بالصحراء الجزائرية طرحت عليه عديد المسائل الفقهية من طلبة المنطقة، ولما وصل الهلالي لمنطقة الغاسول سئل هناك أيضا حول جواز تجارة التبغ، وعن الطهارة من استعمال البارود⁴، ولما تمت عملية فتح مدينة وهران سنة 1708م بدأ الشعراء والأدباء في تأليف واصدار قصائد في الثناء والمدح لهذا الفتح، وفي هذا الصدد كان العلامة عبد الرحمن الجامعي المغربي بمدينة تلمسان، وقد دخل في جدال أدبي حول بعض الأخطاء التي تضمنتها بعض هذه القصائد، وبين لهؤلاء الشعراء مكنم النقص والخطأ⁵.

ولم تقتصر المناظرات والمجالسات العلمية والفقهية بين علماء البلدين داخل منطقة المغرب بل تعداها إلى الحجاز فقد جرت مناظرة فقهية بين أحمد المقرئ ومحمد الحاج الدلائي بمصر⁶، كما تناقش أحمد المقرئ أيضا مع الفقيه أبو بكر السوسي لما قدم إلى مكة المكرمة في بعض المسائل الفقهية⁷، كما كانت المدينة المنورة شاهدة على مناظرة كبيرة بين يحيى الشاوي وأبو سالم العياشي حول أفكار الشيخ نور الدين الكوراني، فرغم أن كليهما درس عنده إلا أن يحيى الشاوي لم يقتنع به بل وراسل أهل المغرب ينصحهم بتجاهل أفكار الكوراني، وفي مقابل ذلك نجد العياشي من أشد المعجبين والمتأثرين بأفكار الكوراني بل وحاول نشرها

¹ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص40، 74-170، 75، 121-122.

² أحمد بحري: المرجع السابق، ج3، ص133-134.

³ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس...، المصدر السابق، ص41.

⁴ أحمد بحري: المرجع السابق، ص134-136.

⁵ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص282.

⁶ أبو القاسم الزباني: الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص100.

⁷ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص424.

بالمغرب الأقصى، وهذا ما جعل يحي الشاوي يصف في مؤلفه النبل الرقيق الرحالة العياشي بالمغرر به والجاهل والشيطان، وقد دخل محمد بن سليمان الورداني على الخط ووقف إلى جانب ابن بلده عبد الله العياشي ضد يحي الشاوي¹.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص145.

الفصل الرابع:

حركة المريدين والطرقية بين البلدين

- I- التصوف والطرقية بمنطقة المغرب
- II- حضور الصوفي الجزائري بالمغرب
- III- حضور الصوفي المغربي بالجزائر

1- التصوف والطرقية بمنطقة المغرب:

لقد ساهم الغزو المسيحي للسواحل المغربية مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي في تمدد نفوذ التصوف والطرقية بالمنطقة أين لعب المرابطين والأولياء الصالحين دورا بارزا في التصدي لهذه الحملات من خلال شخذ الهمم واصدار الرسائل وحتى المصنفات التي تحث على الجهاد في سبيل الله، مثلما حدث مع عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر ومحمد التواتي بمدينة بجاية، وهو ما جعل الشاذلية والقادرية بالخصوص تجد منفذا روحيا في نفسية المغاربة خلال القرن السادس الميلادي باعتبار أنهما من أكبر الطرق الصوفية الداعية للجهاد¹.

أولا/- نمو الحركة الصوفية بالمغرب:

يعتبر إبراهيم القادري بوتشيش بأن التصوف المغربي ارتبط منذ البداية بالوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني، فمتى انتشرت المجاعات والأوبئة والاضطرابات السياسية والغزو الأجنبي ودب الضعف والوهن في الدولة المركزية يزداد التصوف توهجا، وذلك بعد لجوء العامة لهؤلاء المرابطين والمتصوفة الذين ينظرون لهم على أنهم منقذين ومخلصين للشعب من هذه النكبات، ومتى كانت الدولة قوية ومزدهرة سياسيا وثقافيا واقتصاديا حتى تبتعد العامة عن هؤلاء المتصوفة ويضمحل دورهم².

1/- التصوف والطرقية مصطلحات ومفاهيم:

الطريقة في اللغة هي الوسيلة والمنهج والسبيل الذي يسير عليه الشخص حتى لا يضيع³، والطريقة في الاصطلاح الصوفي تعني تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها مع البشر والاقبال على الله تعالى، وهي منهج حياة روحية يمكن من خلالها معرفة الله تعالى حق المعرفة. أما المرابط فهو مصطلح أطلق في بداية الأمر على الشخص والرجل التقى الذي يربط ويلتزم الثغور لمراقبة العدو من جهة، والزهد والتعبد والخلوة من جهة ثانية ثم تطور أين أصبح يطلق على الرجل الذي يثير إعجاب الناس بورعه وتقواه⁴، وقد اختلف المهتمين بظاهرة التصوف بمنطقة المغرب حول تاريخ النشأة والظهور الفعلي لهذه الظاهرة الدينية، فليفي بروفنسال يعتقد بأن ظاهرة التصوف بمنطقة المغرب هي استمرار للمعتقدات الوثنية

¹ عائشة غطاس وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 18-19.

² إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين - المجتمع والذهنيات والأولياء -، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993م، ص 125.

³ للتعلم أكثر في مصطلح التصوف من حيث المفاهيم والنشأة والتطور ووصوله لمنطقة المغرب، أنظر: (ساعد خميسي: حول حقيقة التصوف... المرجع السابق، ص 74-95، الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر... المرجع السابق، ص 34-36).

⁴ حنان لطرش: السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م، ص 40.

بشمال افريقيا، ونتيجة لحركة الجهاد الاسلامي ضد حركة الاسترداد المسيحي. بينما يعتبر الفرد بل بأن ظاهرة التصوف تولدت نتيجة البذخ والترف والتفسخ الأخلاقي الذي انتاب المجتمع المغربي في عصر المرابطين¹.

ويرى عبد الله العروي بأن التصوف ظهر مع نهاية عهد الدولة الموحدية وظهور الامارات المحلية في منطقة المغرب، والتي اعتمدت على العصبية القبلية وحد السيف لا على الكفاءة والعلم، وهذا ما جعلها تشجع مثل هذا النوع من الممارسات الدينية حتى تكسب المشروعية، وفي المقابل فقد حاولت هذه الكيانات السياسية الجديدة - المرينيين والحفصيين والزيانيين - التحكم في ظاهرة التصوف وضبط اتجاهاتها لردع التطرف سواء في العقيدة أو التعبد لكن استتباب الفوضى في المنطقة أخرج ظاهرة التصوف من يد السلطة في المدينة إلى العوام بالجنال والبوادي²، وهو ما جعل عبد المؤمن بن علي الموحد يعلن حالة الحرب المطلقة عليهم بعدما قامت ضده أكثر من ثورة تبناها المتصوفة، ولكن سياسة حفيده يعقوب المنصور اختلفت كلياً عن هذا الخيار من خلال الانفتاح على هؤلاء المتصوفة والتقرب منهم لنيل رضاهم وبذلك اتقاء شرهم وتمرداتهم، وهي السياسة التي ساهمت في استقرار فترة حكمه وخلوها من التمردات والثورات المحلية³.

وبعد انتشار التصوف في مختلف المدن والقرى والبوادي المغربية أصبحت العامة لا تفرق بين الصوفي العالم الورع والزاهد التقي، والصوفي الجاهل الأمي المشعوذ والدجال، وهو ما جعل العلماء في كل من الجزائر والمغرب الأقصى يعلنون الحرب على هذه الظاهرة كالحسن الوزان الذي اشترط في الرجل المتصوف العلم والعرفان في العلوم الشرعية والزهد في الحياة والأخلاق والتقوى والورع⁴، كما حاربهم عبد الكريم الفكون بالجزائر وألف فيهم مصنفه الشهير منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، وإذا عدنا لأصل هذه الظاهرة فانه يمكننا القول بأن الرحلات الحجازية الأولى للمغاربة ساهمت بشكل كبير في جلب التصوف للمنطقة من المشرق، فقد وصل كتاب أبو عبد الله المحاسبي البصري (ت857م) والمسعى بالرعاية لحقوق الله والقيام بها إلى مدينة أغمات بالمغرب الأقصى عن طريق عبد العزيز التونسي وهو أول

¹ أمال لدرع: الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006م، ص2

² عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب من الغزو الأيبيري إلى التحرر، ط1، منشورات المركز الثقافي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1999م، ص39.

³ محمد بن عبد الكريم التميمي: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يلها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المملكة المغربية، 2002م، ص61، 41.

⁴ أحمد الوارث: المرجع السابق، ص207-208.

كتب التصوف بمنطقة المغرب، وقد شاع استعماله حيث تكفل بتدريسه فيما بعد أبو مدين شعيب الغوث¹.

* الجذور التاريخية للتصوف بالمغرب:

لقد مر التصوف المغربي بمرحلتين المرحلة الأولى والذي عرف بالتصوف المرابطي قبيل القرن السادس عشر الميلادي، وكان فيها التصوف مقترن بالرباط والمرابطين وكانت السلطة السياسية معتمدة على عصبية القبيلة، كما أنه ارتبط برفع لواء الجهاد وطرد الأجنبي المسيحي من السواحل المغربية. بينما المرحلة الثانية للتصوف والذي يعرف بالتصوف الطريقي أين ظهرت قوى سياسية جديدة اعتمدت على الانتماء الشريف في المغرب الأقصى وتوحيد أقطار الاسلام بالجزائر، وقد تبنت هذه الكيانات السياسية الجديدة سياسة المهادنة والتحالف مع الزوايا والطرق الصوفية التي تنامي دورها السياسي والاجتماعي والثقافي والديني وسط المجتمع، وقد شكلت هذه الطرق في بعض المراحل بديلا لهذه الكيانات السياسية. بينما يرى عبد الحميد حاجيات بأن التصوف في بلاد المغرب الاسلامي مر بثلاث مراحل تطور خلالها من تصوف الزهد في الحياة الدنيا والانعزال عن المجتمع في ممارسة الشعائر الدينية إلى تصوف المرابطين والأولياء الصالحين وأخيرا تصوف الطرقية، وبقدروا ما ساهم التصوف في بعض المراحل التاريخية في انتشار الجهل والخرافات والشعوذة بقدر ما ساهم في مراحل تاريخية أخرى في انتشار الاسلام وامتداده في إفريقيا جنوب الصحراء².

كما ساهمت التركيبة القبلية للمجتمع المغربي الخاضع في نمط تفكيره للموروث المناقبي والباحث عن صاحب الكرامة والبركة في انتشار الحركة الصوفية بشكل واسع وكبير، وقد وجد فيها حلا سحريا لكل أزماته ومشاكله الاجتماعية باعتبار أن الولي أو المرابط هو المنقذ من خلال التكفل بحل هذه المشاكل واعطاء دواء مسكن ولو لفترة مؤقتة، وهو ما ساهم في تغلغل هذا التيار الروحي في وجدانية المغاربة وقلوبهم قبل أجسادهم وعقولهم، وقد أصبح الخطاب والفعل الصوفي في بلاد المغرب مهيمنا على المستوى الفكري والعملية بسبب الظروف الاجتماعية المزرية التي كانت تطبع حياته اليومية هذا من جهة، وبسبب الترهل السياسي للحكم العثماني والعلوي من جهة ثانية، وهو ما أهل المتصوفة للعب دور السلطة المرجعية والمناخ الذي يهرع ويلجأ إليه العامة من خلال توفير المبيت والطعام والتعليم القرآني من دون إغفال العامل

¹ حسين سيد عبد الله مراد: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين 1062-1269م، المطبعة الإسلامية الحديثة، مصر، 1994م، ص18-19.

² Abdelhamid Hadjrat: *Rôle du sufisme dans l'évolution des peuples du Maghreb*, Actes du deuxième congrès international d'étude des cultures de la méditerranée occidentale II, Societe nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1978, p.439-443.

الطبيعي، فالتضاريس المغربية والتي يغلب عليها الجبال والصحراء تشجع وتخلق في الانسان روح التأمل والتفكير والانطواء والعزلة عن الناس والزهد في الدنيا وكلها صفات للتصوف¹.

كل هذه العوامل وأخرى استغلها بعض المشعوذين والدجالين في اللعب بعقول العامة، فقد سجلت لنا المصادر التاريخية المغربية خلال القرن السابع عشر الميلادي عديد الحالات من التحايل على العامة بعدما ادعوا الشرافة تارة والولاية والتصوف تارة أخرى، فقد ظهر رجل بمنطقة هسكورة سنة 1650م يدعي المهديوية والصالح، فبعدهما كان فقيرا بعدما أصبح في مدة قصيرة غنيا وذلك بسبب كثرة الهدايا والصدقات، وقد اكتشف هؤلاء بعدها أنه فاجرا ومحتالا، كما حل بسجل ماسة رجل ادعى القداسة وأنه يحمل الناس للحج والعمرة في طرفة عين ورغم هذه الخرافة إلا أنه وجد العديد من المصدقين². أما الطريقة فقد ظهر كمصطلح خلال القرن السادس عشر الميلادي ثم أخذ يتبلور شيئا فشيئا في وسط المجتمعات المغربية خلال القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، وقد أصبح خلال القرن التاسع عشر الميلادي هو السمة الأبرز في الحياة الدينية والثقافية المغربية حيث اختفت تماما فئة المرابطين التي اندمجت في المنظومة الطرقية، فبعدهما كان لكل قرية ومدينة مرابط وولي صالح صار لكل منطقة زاوية وطريقة صوفية خاصة بها³ حيث ظهرت العشرات من الطرق الصوفية بمنطقة المغرب تفرعت أغلبها عن الطريقة الأم - الطريقة القادرية - وبعدها الطريقة الشاذلية⁴.

ثانيا/- التصوف بالجزائر خلال العهد العثماني:

رغم أن ظاهرة التصوف انتشرت بالمغرب عموما والجزائر خصوصا قبل الوجود العثماني بقرون إلا أنها عرفت تناميا واهتماما خاصا من طرف حكام الجزائر الأتراك⁵، وقد ارتبط التصوف بالمرابطين والزوايا المنتشرة في كل المناطق والأقاليم بادية وحاضرة، وانتشرت بعض العلوم المرافقة لهذه الظاهرة كالأذكار والمواعظ والأوراد⁶، وكانت المدارس التي تعلم التصوف يطلق عليها الخانقاه أي دار الصوفية⁷، كما ساهمت الطريقة في انتشار الخمول وجماد العقول ومحاربة الإبداع والاجتهاد لدى العلماء والطلبة⁸، ولذلك نجد أبو القاسم سعد الله يصف حالة التصوف بالجزائر خلال العهد العثماني بتصوف البخل والشعوذة والجهل

¹ اسماعيل حنفوق: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1931م، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2011م، ص26.

² محمد استيتو: (ظاهرة العرافة والاحتيايل في المغرب خلال القرنين 16-17م)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 6، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، 2006م، ص301-302.

³ أحميدة عميراوي: فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، قسنطينة، 2002م، ص113.

⁴ توفيق دحماني: المرجع السابق، ص410.

⁵ أحمد المقرئ: الرسائل...، المصدر السابق، ص84.

⁶ بوزيان الدراجي: المرجع السابق، ص25.

⁷ أحمد المقرئ: المصدر السابق، ص83-84.

⁸ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر...، المرجع السابق، ص129.

وابتزاز أموال الناس¹، فقد استغلها بعض أشباه العلماء والصوفية كما وصفهم عبد الكريم الفكون وحولوها من زهد وصلاح وعمل بالعلم والابتعاد عن ملذات الدنيا وأهلها إلى شعوذة ودجل ودروشة مستغلين فجوة الجهل الكبير الذي كان لدى السكان المحليين².

وقد انتشرت الطريقة لأول مرة في الجزائر بالمدن الكبرى كجاية وقسنطينة وتلمسان ثم انتقلت للبوادي والأرياف بسبب انتشار الفتن والفساد بالمدن هذا من جهة، ولاستغلال سذاجة البدو من جهة ثانية، فالإنسان البدوي بسيطاً بطبعه وأمياً في الغالب وبذلك قد يصدق كل ما يقال له ويأخذه من دون تمعن أو تفحص وهذا ما مهد لانتشار الكرامات والخوارق بين الناس، ففي نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين كانت كل البيوتات العلمية الجزائرية تدين بالطريقة، ففي قسنطينة كانت الطريقة القادرية بيد أسرة ابن باديس، والطريقة المدينية الشاذلية بيد أسرة ابن القنفذ، وكذلك الشأن في تلمسان وبجاية وبقية الحواضر الجزائرية³، وقد تغيرت بعض المعطيات مع الدخول العثماني فمشيخة الطريقة الشاذلية في قسنطينة أصبحت بيد أسرة الفكون التي احتكرت مختلف المناصب الدينية والاجتماعية في المدينة، وقد أضحت الطريقة بالجزائر عشية العهد العثماني مختصرة في خمسة طرق مختلفة التوجهات الصوفية والسياسية.

فبينما كانت الدرقاوية منمكة في محاربة الأتراك بالغرب الجزائري كانت التيجانية منعزلة في الجنوب تتوجه أكثر نحو افريقيا جنوب الصحراء، وفي المقابل كانت الرحمانية مشلولة تنحصر في منطقة القبائل. بينما كانت الطيبية تبدي رغبتها في الطموحات السياسية ومنافسة الأتراك في حكم منطقة المغرب، وبذلك لم تبقى إلا الطريقة القادرية التي رسمت خطوطاً إصلاحية متمسكة بالتصوف السني والجهاد ضد الكفار⁴، ويذكر الرحالة الحسين الورثي بأن العلامة حسن بن علي الفجيجي قام بعملية احصائية للطرق الصوفية المنتشرة بالجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي فوجدها تناهز الأربعين طريقة رغم عدم ظهور بعض الطرق في ذلك الوقت كالتيجانية والرحمانية والعلوية والهبرية والطيبية والدرقاوية⁵ أما الاحصائيات الفرنسية عشية الاحتلال فتذكر ثلاثة وعشرون طريقة، وحوالي ثلاثمائة وتسعة وأربعون زاوية، وقد تنفذت الطريقتين التيجانية والقادرية بالخصوص بسبب أفعالهما وسلوكياتهما المساعدة للفقراء وعابري السبيل من

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص14-15.

² حنان لطرش: المرجع السابق، ص45-46.

³ الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 14-15م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009م، ص721-722.

⁴ محمد الطيبي: المرجع السابق، ص157.

⁵ أحمد ظريف: المرجع السابق، ص73.

إيواء وإطعام وتعليم الصبيان وتوفير الأمن للقوافل من اللصوص وقطاع الطرق وحتى إيواء المجرمين الفارين من القانون¹.

1/- العمران الصوفي:

يعتبر المكان ضرورة عملية في البناء الصوفي فقد اشترطوا في ممارسة طقوسهم التعبدية توفر ثلاث شروط مكانا وزمانا وإخوانا، وتتنوع المؤسسات الصوفية بين الزوايا والربط والمساجد والأضرحة والمعمرات²، ولعل أبرز هذه المؤسسات التي أعطت توهجا وتغلغلا للتصوف في المجتمعات المغاربية بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة هما مؤسستا الزاوية والربط، فماذا نعرف عنهما؟ وماهي أهم الزوايا والربط التي ظهرت بالجزائر خلال العهد العثماني؟.

* مؤسسة الزاوية:

لم تكن المساجد والكتاتيب لوحدها تغطي النشاط الثقافي والديني بالجزائر خلال العهد العثماني بل رافقتها أيضا مؤسسة الزاوية، وهي من الفعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل، وسميت بالزاوية لأن الذين فكروا في تأسيسها لأول مرة كانوا من المرابطين والزهاد الذين اختاروا الانزواء والانعزال والابتعاد عن العامة وضجيج العمران طلبا للهدوء والسكينة وممارسة الرياضة الروحية في الذكر والعبادة، والزاوية مصطلح أعجمي عرفه المشارقة باسم خانقاه أو تكية³، وقد وصل لمنطقة الغرب الإسلامي خلال القرن العاشر الميلادي⁴، والزاوية في الأصل هي ركن البناء وكانت تطلق في بداية الأمر على صومعة الراهب المسيحي قبل أن تطلق على المسجد الصغير أو المصلى ومازال هذا التعريف هو السائد لدى المسلمين في منطقة المشرق العربي حاليا، ويذكر دوماس سنة 1857م بأن الزاوية في شمال إفريقيا هي مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وهي تشبه لحد بعيد الدير في العصور الوسطى⁵، ويرى البعض بأن الزاوية كمؤسسة جاءت من أجل قبر الدجل الذي ازدهر في القرون السابقة وتعوضه بتدريس الفقه والحديث واللغة وتبسط المعارف العقلية إلى معارف نقلية وتقليدية⁶.

¹ حنان لطرش: المرجع السابق، ص 45-46، 54.

² غنية عباسي: المرجع السابق، ص 198.

³ الطاهر بونابي: التصوف بالجزائر...، المرجع السابق، ص 223-226، أحميدة عميراي: من الملتقيات التاريخية، مطبعة البعث، قسنطينة.

الجزائر، 2001م، ص 24، صلاح العقبي: المرجع السابق، ص 203.

⁴ صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 203.

⁵ محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1988م، ص 27-28.

⁶ غنية عباسي: المرجع السابق، ص 178.

ويرى أحمد توفيق المدني بأن مؤسسة الزوايا لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري خلال العهد العثماني ومن بعده فترة الاستعمار الفرنسي، فقد لعبت أدوارا عديدة من نشر العلم والثقافة إلى تعليم العلوم الشرعية واللغوية إلى مبادئ التصوف والجهاد¹، وقد اتخذت الزاوية على عاتقها إلى جانب التربية الدينية نشر العلوم خاصة بالأرياف مادام أن المدن تحتوي على المساجد والمكتبات والمدارس على حد وصف محمد ابن ميمون²، كما نجد اختلافا من حيث الوظيفة التي تقوم بها الزاوية بين الريف والمدينة، فزاوية المدينة مخصصة في تدريس علوم القرآن وبعض العلوم الشرعية فقط بينما كانت زاوية الريف تحتوي على مساكن للطلبة والمسافرين، وضريح لإحدى الأولياء الصالحين، وحمامات وأراضي تستغل لخدمة الطلبة والمقيمين عليها باعتبار أنها كانت محرومة من الأحباس³، وزيادة على تكوين الطلبة وتعليمهم فإن الزاوية الجزائرية خلال العهد العثماني كانت تشرف على تكوين الأئمة والمعلمين في الأوساط الريفية، والطلبة المقيمين بالزوايا لا يدفعون الأموال جراء مكوثهم هناك لكن في المقابل يحرصون على خدمة أراضي وممتلكات الزاوية⁴.

وما ميز الزاوية الجزائرية خلال العهد العثماني ذلك الارتباط الوثيق بالطريقة والحركة الصوفية التي ازدهرت منذ مجيء الأتراك للجزائر، وهو ما شجع على بناء هذا النوع من المؤسسات⁵، وتختلف كل زاوية عن الأخرى من حيث التسمية حيث نجد البعض من الزوايا تحمل اسم الولي الصالح الموجود بها أو زعيم الطريقة التي تتبعها أو الشخص الذي أقامها أو حتى المنطقة التي تقع بها⁶، كما استطاعت الزاوية أن توفر التعليم وتتيحه لمختلف أطياف المجتمع بكل فئاته عكس المساجد والتي كانت تعقد بها مجالس ومناظرات علمية بين الفقهاء والعلماء وما على العامة إلا الاستماع والمشاهدة فقط⁷، بل أن بعض زوايا دار السلطان خلال العهد العثماني كانت تدرس علوم الدين والتاريخ واللغة وعلم الفلك والحساب والجغرافيا، وهو ما جعلها تتفوق حتى على بعض المدارس والكتاتيب التي كان يغلب عليها العلوم النقلية فقط، ومن الأسباب التي ساهمت في انتشار الزوايا بشكل واسع بالجزائر خلال العهد العثماني هو الرحلات الحجازية المغربية بحكم انتماء أغلب هؤلاء الرحالة والحجاج لطرق صوفية متنوعة محاولين نشرها بمختلف المحطات الجزائرية التي

¹ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر... المرجع السابق، ص 128.

² محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص 58-59.

³ مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر... المرجع السابق، ص 22.

⁴ Nacereddine Saidouni: L'Algérois Rural a La Fin de l'époque Ottomane 1791-1830, 2^{ème} Edition, Dar Alam El Maarifa, Alger, 2010, p.317.

⁵ أحمد المقرئ: الرسائل... المصدر السابق، ص 62.

⁶ مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر... المرجع السابق، ص 22.

⁷ أمال لدرع: المرجع السابق، ص 253.

يمرون بها، والغزو الإسباني للسواحل الجزائرية الذي جعل المتصوفة يلجأون للقري والجبال ويؤسسون زوايا مثلما حدث بمنطقة زاوة¹.

وبالنسبة لانتشار الزوايا عبر التراب الجزائري خلال العهد العثماني كان بمدينة قسنطينة لوحدها عشية الاحتلال الفرنسي سنة 1837م حوالي مائة زاوية بين الريف والمدينة تتبع العديد من الطرق الصوفية والتي وصل عددها لستة عشر طريقة ثلاثة عشر منها تتبع الطريقة الشاذلية² أما أبو القاسم سعد الله فيذكر بأن قسنطينة كان بها حوالي ثمانية زوايا وفقا لوثيقة تعود لسنة 1598م بينما يقر عبد القادر دحدوح بوجود تسعة عشر زاوية بل ويقدم لنا قائمة بأسمائها³، وعلى مستوى تلمسان يقر مارسيل إيمريث بأن المدينة قد حوت ثلاثين زاوية مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي تتولى عملية التعليم أشهرها زاوية عين الحوت⁴، وبمنطقة زاوة حوالي أربعون زاوية وبجاية ستة وثلاثون زاوية وبمدينة الجزائر حوالي تسعة عشر زاوية⁵، كما انتشرت مؤسسة الزاوية بشكل كبير بالمدين الصحراوية في منطقة الهقار لوحدها كان بها أزيد من ستة عشر زاوية إضافة إلى الزاوية التيجانية بعين ماضي، وزاوية تماسين بورقلة، والزاوية الزيانية بالقنادسة، وزاوية سيدي أحمد بن موسى، وزاوية الشيخ بلكبير، وزاوية الشيخ سيدي أحمد الرقاني بأدرار، وزاوية سيدي عبد الله بن طمطم، وزاوية سيدي عمر بن محمد صالح الأنصاري في الأغواط، وزاوية أولاد سيدي الشيخ بالبيض⁶.

وأغلب هذه الزوايا تتبع الطريقتين القادرية والتيجانية، كما انتشرت أيضا الزوايا التي تتبع الطرق الوافدة من المغرب الأقصى كالطريقة الدرقاوية والطيبية والعيساوية⁷، ومن أشهر الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني زاوية الشيخ أهلول المجاجي⁸ بمنطقة تنس والتي كانت تدرس الحديث والأصول والفقه والتوحيد والتفسير والمنطق، وقد تخرج منها خيرة أعلام الجزائر كسعيد قدورة ويحي الملياني، وكانت تتبع الطريقة الشاذلية، وكذلك الشأن لزاوية بلقاضي أو زاوية بلحاج قرب باتنة التي أسسها أحد أبناء أحمد بن القاضي⁹، وبمدينة الجزائر نذكر زاوية الثعالبي، وزاوية الولي دادة، وزاوية شيخ البلاد، وبمدينة قسنطينة

¹ صلاح مؤيد العقي: المرجع السابق، ص206.

² أمميدة عميراوي: بحوث تاريخية، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2006م، ص101.

³ عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص93-94.

⁴ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق، ص144.

⁵ محفوظ رموم: المرجع السابق، ص101.

⁶ صلاح مؤيد العقي: المرجع السابق، ص342-343.

⁷ فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص170-171.

⁸ زاوية مجاجة: نسبة لمؤسسها محمد بن علي أهلول المجاجي (ت1599م)، ويرى أبو راس الناصري بأن أصول هذه العائلة تعود لمنطقة جيجل وهاجرت للغرب الجزائري بعد دخول الأتراك لهذه المدينة، أنظر: (عبد القادر أوقاسي: المرجع السابق، ص10)

⁹ صلاح مؤيد العقي: المرجع السابق، ص282، 323-325.

اشتهرت كل من زاوية الفكون، وزاوية عبد المؤمن، وبتلمسان نجد زاوية سيدي أبو مدين، وزاوية السنوسي، وزاوية أحمد الغماري، زاوية محمد بن عبد الجبار الفجيحي، وبزاوية نجد كل من زاوية تيزي راشد، وزاوية اليلولي، وزاوية الأزهرري، وزاوية القيطننة بأحواز معسكر، وزاوية خنقة سيدي ناجي ببسكرة، وزاوية الملياني بمليانة¹، وبوهران اشتهرت زاويتي محمد الهواري، وابراهيم التازي².

* مؤسسة الربط:

لقد ساهم الاحتلال الإسباني لبعض السواحل الجزائرية والتهديدات المتكررة للحملات الأوروبية في خلق نوعا جديدا من المؤسسات الدينية تسمى بالربط التي تقوم بنفس أدوار الزاوية، والشيء الذي يختلف عنها هو أن الربط تكون على السواحل تأوي للمجاهدين حيث تزودهم بالدعم المادي والروحي - الحث على الجهاد -، والرباط في اللغة العربية هو الالتزام والتعهد، فالرباط يعاهد الله على فعل الخير وألا يخرج عن شرعه وهو ما جعلهم محترمين أحياء وأمواتا بل وتصبح قبورهم محل تقديس وزيارة من طرف الناس³، ويفرق ابن مرزوق التلمساني بين الربط والزاوية خلال القرن الرابع عشر الميلادي حيث يرى بأن الرباط لدى الفقهاء هو مكان احتباس النفس للجهاد والحراسة ويعني عند المتصوفة المواضع التي يلتزم فيها العبادة. بينما الزوايا هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين واطعام المحتاج من القاصدين، وبذلك فأصل الزاوية هي مؤسسة اجتماعية قبل أن تتحول لمؤسسة دينية عكس الرباط الذي كان مؤسسة دينية قبل أن يتحول لمؤسسة عسكرية مع الوقت⁴، والرباط اصطلاحا يعني بيت المجاهدين المرابطين في الثغور لمحاربة العدو لكن المتصوفة غيروا مضمونه ومعناه إلى الخانقاه في مختلف المناطق العربية والاسلامية وبالخصوص التابعة للدولة العثمانية، والذي أصبح يزود المجاهدين والطلبة بتغذية روحية ويحثهم على الزهد والتعبد⁵.

كما كانت الربط في بعض الأحيان تلعب دور المسجد للصلاة بعد وفاة المؤسس وهجره من طرف المريدين والطلبة مثل رباط صلب الفتح بوهران خلال القرن الخامس عشر الميلادي⁶، وتلعب أيضا دور المدرسة في التعليم ودور الزاوية في تسليح الطلبة روحيا وتشبعه بروح الجهاد ضد النصارى، فكان الطلبة جنودا وقت الحرب وعلماء وقت السلم⁷، ويرجع تاريخ وجود الربط بمنطقة المغرب إلى القرن الثامن الميلادي، وتطورت

¹ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ج5، المرجع السابق، ص187.

² أمال لدرع: المرجع السابق، ص262-263.

³ حمدان حوجة: المرأة...، المصدر السابق، ص19، عبد المجيد ميزان: المرجع السابق، ص18-19.

⁴ الحسين أسكان: المرجع السابق، ص86.

⁵ محمد ابن مرزوق: المسند الصحيح السحن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص411-413، منى سي فضيل: الزوايا والأولياء الصالحون في الجزائر دراسة سوسيوولوجية وصفية لسيدى نايل، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011م، ص124.

⁶ وردة شرقي: المرجع السابق، ص166.

⁷ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص62.

أكثر في عهد المرابطين والموحدين ثم في عهد الزيانيين والمرينيين حيث تقام في القرى والمدن الساحلية ومهمتها الدفاع عن الثغور ضد الهجومات المسيحية، ومنذ القرن الخامس هجري الحادي عشر الميلادي تحول الربط من مكان للجهاد إلى مكان للتعبد والزهد والخلوة والتصوف، ومنذ القرن الخامس عشر ميلادي أصبح للرباط أنواعا عديدة هي رباط القصر، ورباط المرید، ورباط الذكر والسماع، ورباط الإغاثة بعدما كان رباطا واحدا فقط ألا وهو رباط الثغور¹، ويعتبر رباط عبد السلام التونسي بتمسان، ورباط ابن الزيات ورباط عبد الكريم بن عبد الملك ورباط علي بن أبي نصر بجاية من أولى الربط التي قامت بالجزائر².

وقد لعبت بعض المساجد الساحلية أدوار الربط في بعض المراحل التاريخية الحاسمة على غرار مسجد سيدي يحي الراشدي بمستغانم الذي شيد خلال القرن الثالث عشر الميلادي، وكان منارة للتعليم كما أدى دورا مهما في الجهاد ضد الحملات الاسبانية، وكذلك الشأن للمسجد الأعظم الذي شيده أبا الحسن المريني سنة 1339م بمستغانم، فقد كان مصدر إلهام للمجاهدين ضد الغارات الاسبانية سنة 1558م أين تمكن سكان مستغانم وبترخيص من هذا المسجد أن يقتلوا حاكم وهران الكونت الكوديت وأسر ابنه دون مارتان وعددا من جنوده³، وانتشرت بالجزائر خلال العهد العثماني عديد الرباطات التي لعبت دورا مهما في الجهاد ضد الاسبان بعدما كانت مراكز ثقافية وعلمية وصوفية وقت السلم، ونخص بالذكر رباط بجاية الذي كان يسيره الشيخ محمد التواتي بينما وجد رباطين في وهران ولعبا دورا محوريا في عملية تحرير المدينة من القبضة الاسبانية في مناسبتين الأولى سنة 1708م والثانية سنة 1792م، ويتعلق الأمر برباط صلب الفتح ورباط جبل المائدة⁴.

وكذلك الشأن لرباط مسرغين بمستغانم الذي لعب دورا كبيرا في مواجهة الاحتلال الاسباني وتحرير وهران والمرسى الكبير⁵، وكانت مدرسة المجاجي بتنس تلعب دور الزاوية والمسجد والمدرسة والربط في نفس الوقت⁶، ولأهمية ومكانة الأولياء الصالحين بالجزائر خلال العهد العثماني كان بمدينة الجزائر مؤسسات خاصة بالأولياء الصالحين تسهر على تسيير الأوقاف التابعة لهذه الأضرحة والمؤسسات الدينية، وقد قدر عدد أولياء مدينة الجزائر حوالي ثمانية عشر، وتعتبر مؤسسة عبد الرحمن الثعالبي هي الأضخم، فقد قدرت عدد أحباسها بحوالي اثنين وثمانون عقارا وتقدر بحوالي ستمائة فرنك فرنسي وهي مخصصة لفقراء مدينة الجزائر

¹ الطاهربونابي: التصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص596.

² أمال لدرع: المرجع السابق، ص252-253، 261-262.

³ يحي بوعزيز: المساجد العتيقة...، المرجع السابق، ص183-195.

⁴ عبد القادر فكاي: (دور العلماء والرباطات في مواجهة العدوان الاسباني على الجزائر)، مجلة المواقف، عدد خاصة، جامعة معسكر، 2008م، ص282، قدور بوجلal: المرجع السابق، ص139.

⁵ عبد المجيد مزبان: المرجع السابق، ص17-18.

⁶ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص62.

بمعدل ثلاثة فرنكات على كل فرد، وهو ما ساهم في رفع قيمة ومكانة هذا الولي الصالح في نفوس العامة¹، وكذلك الشأن لمؤسسة سيدي عمر التنسي والتي كان يقدر عدد أحباسها حوالي ثلاثين عقارا².

2/- علاقة السلطة بالمتصوفة:

يتداول المتصوفة مجموعة من المصطلحات التي تربطهم بالسلطة السياسية كالمشاركة والإكراه والانسحاب والحرية والتسامح والتعصب والمساواة والتفاوت والانتماء والاغتراب، وكل زاوية أو طريقة وموقفها من السلطة، وعادة ما ترتبط هذه العلاقة بالجانب المادي والمتمثل في الضرائب والهدايا التي تقدمها السلطة تقريبا لهذه الطرق والزوايا³، وفي المقابل فقد تنوعت علاقة الحكام بالمتصوفة بين التقديس والاحتفاء والولاء تارة وبين والتعارض والتصادم والتعنيف تارة أخرى، ويعتبر الموحدون أول سلطة سياسية بمنطقة المغرب حاولت استمالة المتصوفة لصفها من أجل كسب ود وعطف الرعية من خلال منحهم مرتبات ومكاسب وهدايا، وتقريبهم في المجالس وحضور جنازتهم وبناء أضرحتهم واستشارتهم في مختلف القضايا السياسية والدينية التي تخص الدولة، ونفس الشيء بالنسبة للحمايين بجاية الذين اعتمدوا على سياسة المهادنة واللين والتقرب من الطرق الصوفية، وذلك لاعتبارات عديدة تتراوح مجملها بين حماية الدولة وتقويتها من خلال اتقاء شر المتصوفة والأولياء الصالحين أو لاعتقاد راسخ لديهم بحب هؤلاء والايمان بأفكارهم مثلما حدث مع الزيانيين⁴، وبذلك لم تعرف الجزائر مراحل تاريخية كان فيها المتصوفة منبوذين ومحاربين من طرف السلطة السياسية مع استثناءات طبعاً.

وبعد انتصاب الحكم العثماني بالجزائر اعتمدوا على المرابطين والمتصوفة لأغراض عديدة ومتنوعة، فالبعض منهم استغل في جلب التزكية والشرعية لها في تلك المناطق التابعة لنفوذ هؤلاء المرابطين، والبعض أستغل في تحصيل الضرائب والجباية خاصة لدى القبائل القوية والجبالية، والآخر أستغل في اخماد مختلف الثورات التي تندلع هنا وهناك، كما اعتمدت على آخرين في تسهيل مهمة الجند والحاميات في تنقلاتها بين البياليك الثلاثة مثلما كان الحال عليه مع الشيخ مولود في منطقة بني يحي ومرابطي وشيوخ شلاطة في إيلولة ومرابطي أولاد مقران بجبال البيان⁵، ورغم أن الطرق الصوفية التي كانت تتبعها الدولة العثمانية بإستنبول هي البكداشية والمولوية والنقشبندية إلا أنهم تأقلموا مع الطرق الصوفية المنتشرة بالجزائر خاصة الطريقتين الشاذلية والقادرية، ولكسب ود هؤلاء قام الحكام الأتراك بزيارة أضرحتهم وزواياهم بل وقاموا بإعفائهم من

¹ أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص161.

² مصطفى بن حموش: المدينة والسلطة ... المرجع السابق، ص123-124.

³ محمد حلي عبد الوهاب: ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2009م، ص70-73.

⁴ الطاهر بونابي: عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط...، ج1، المرجع السابق، ص306، 310، 317.

⁵ نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني، دار هومه، الجزائر، 2013م، ص97.

دفع الضرائب ومنحهم امتيازات أخرى¹، فإذا مات أحد الحكام يدفن أمام أحد أضرحة الأولياء الصالحين خاصة عبد الرحمن الثعالبي لما يحتله من مكانة في نفوس مرعيه².

وقد اتبع الحكام الأتراك نفس السياسة التي اعتمدها مع الأسر العلمية والدينية حيث كانت لهم علاقات ود مع الأولياء الصالحين في مختلف المدن الجزائرية، ومن خلال تفقد المواد والبنود الخمسة والثلاثون التابعة لعهد الأمان الذي حرر سنة 1748م - وهو بمثابة دستور حكم للأتراك بالجزائر - نجد أنه يتضمن كل ما يتعلق بالدولة من سياسة واقتصاد وجيش ونظام حكم وضرائب مقابل تجاهل تام للثقافة والعلم بينما تضمنت المادة الثالث عشر علاقة الحكام بالمرابطين - سماهم دراويش - وذلك بحث الحكام باحترامهم واتباع آرائهم ونصائحهم بحكم النفوذ الروحي الذي يمتلكه هؤلاء المتصوفة لدى الرعية³، ولا يمكن لنا رصد علاقة المتصوفة بحكام الجزائر دون أن نغفل طبيعة التكوين المذهبي والعقدي لهؤلاء الحكام وأوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فتعاظم نفوذ المتصوفة عند الباشوات والدايات والبايات يعود بالأساس إلى وضع اجتماعي وسياسي واقتصادي هش ومتهلبل يحتم على هؤلاء الحكام استمالة المتصوفة والفقهاء في صفهم لصد ومواجهة مختلف التمردات والثورات الناجمة عن هذا الضعف، وفي المقابل فإن المتصوفة يعرفون جيدا من أين تؤكل الكتف فليجئ هؤلاء الحكام إليهم واستعطفهم لا يمر حتما دون أن تكون هناك مناصب ومكاسب تتجسد غالبا في أراضي واعفاءات ضريبية.

ويرى محفوظ قداش بأن الحكام الأتراك الأوائل للجزائر كانوا أذكياء في التعامل مع الطرقية والمرابطين والأولياء الصالحين فقد عرفوا وأدركوا قوة هؤلاء من خلال نفوذهم الروحي في نفسية الرعية بالجزائر، وهذا ما جعلهم يتقربون ويتوددون إليهم ماديا ومعنويا وهو ما فوت عليهم ثورات كانوا في غنى عنها في ظل الحملات الأوروبية المتزايدة، وبعض التمردات القبلية الداخلية هذه المعطيات غابت عن الحكام المتأخرين بداية من منتصف القرن الثامن عشر الميلادي أين بدأت قوة ونفوذ هذه الطرق في التزايد، وانتقلت من لعب أدوار دينية إلى أدوار سياسية تجسدت في ثورات عارمة قادتها الطريقتين التيجانية والدراوية وبعض المرابطين مما ساهم في اضعاف المنظومة التركية داخليا وخارجيا وكانت سببا مهما في سقوط حكمهم سنة 1830م⁴، وفي المقابل يرى أبو القاسم سعد الله بأن نفوذ وانتشار المرابطين والطرقيه بالجزائر خلال العهد العثماني بشكل كبير وواسع يعود بالأساس إلى إيمان الرعية بالولاية والصلاح والزهد والتصوف، فأقبل الناس على هذه الطرق والزوايا أفرادا وجماعات، وهو ما ساهم في انتشار البدع والشعوذة والخرافات وجمدت العقول على

¹ الصالح بن سالم: (الحواضر الصحراوية الجزائرية خلال القرن 17م من خلال الأستغرافية المغربية)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م، ص125.

² ابن المفتي: المصدر السابق، ص32.

³ توفيق دحماني: المرجع السابق، ص31-48.

⁴ محفوظ قداش: الجزائر في العهد العثماني، ترجمة أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2017م، ص182-183.

الابداع والاجتهاد¹ إلا أن أحمد توفيق المدني يرى بأن هذه الزوايا والطرق هي التي حفظت للشعب الجزائري هويته سواء اللغة العربية والأمازيغية أو المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية خلال الحكم التركي والاستعمار الفرنسي².

ومن أبرز الأخطار والكوارث التي خلفتها الظاهرة الصوفية بالجزائر على حد وصف سعد الله ذلك الجمود الثقافي والعلمي الذي ضرب الجزائر مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي بل أن العلماء كانوا يتسابقون في نيل بركة وسبحة ومصافحة شيوخ الطرق ويتباهون بذلك، فلا تكاد تجد عالما بالجزائر في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي لا يتبع أحد الطرق الصوفية³، ويرى إدموند دوتي بأن الذي لم يزر بلاد المغرب لا يعرف القيمة الحقيقية للأولياء الصالحين والمرابطين في نفسية العامة والتي تكاد تصل لحد التأليه، فقد كان العامة يسارعون لتقبيل لباس وطعام وراكبة المرابط، وتقاسم أخشاب لوحه لما يحمل إلى القبر، وهذه المكانة كانت تفوق بكثير مكانة السلاطين والحكام، فقد كانت نظرتهم لهؤلاء تتجاوز النظرة العادية حيث يعتبر شخصا خارقا للعادة يستطيع أن يغني ويفقر ويعطي الأولاد والرزق ويبطش بالأعداء رغم أن العديد منهم جهلة ولا علم له⁴، وقد لاحظ أغلب الرحالة الغرب الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني بأن المرابطين يتمتعون باحترام وتبجيل من الرعية والحكام على حد سواء بل أن المجرمون والمطاردون من طرف الدولة يلجأون لهؤلاء المرابطون طلبا للحماية والأمن، وهي الملاحظة التي وقف عليها العالم هابنسترايت بنفسه أثناء زيارته للجزائر سنة 1732م⁵.

وقد كانت المدن الجزائرية ترتبط روحيا وسياسيا واجتماعيا بولي صالح يحميها على حسب اعتقادهم من العين والغارات الأجنبية والمجماعات والزلازل والأوبئة، فهناك أبي مدين الغوث بمدينة تلمسان، ومحمد الهواري بوهران، وسيدي محمد التواتي ببجاية، وأبي عبد الملك مروان بعنابة، وسيدي راشد بقسنطينة، وسيدي عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر، ولم يقتصر الأمر على المدن بل أن الجماعات التي تقطن المدينة الواحدة لديها أولياء صالحين خاص بهم، فنجد حضر مدينة الجزائر يتوسلون بسيدي عبد الرحمن الثعالبي، وبنو ميزاب بسيدي بنور، والقبائل بسيدي عبد الرحمن بوقبرين، والحراطين بسيدي بلال الحبشي⁶، وقد شاع في مختلف المصادر والمراجع حول تاريخ الجزائر العثمانية مصطلح الجزائر المحروسة والذي اختلف في تشخيص مصدر هذا اللقب بين من يعتبر بأنها محروسة من طرف الأسطول العثماني

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص19.

² أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر...، المرجع السابق، ص129.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص14-15.

⁴ إدموند دوتي: الصلحاء - مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر -، ترجمة محمد ناجي بن عمر، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014م، ص35-36.

⁵ جون أوف هابنسترايت: المصدر السابق، ص38.

⁶ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص122-123.

ومنيعة في وجه الأعداء، وبين من يعتبرها محروسة من قبل الأولياء الصالحين وعلى رأسهم سيدي عبد الرحمن الثعالبي¹، وبعد تنامي ظاهرة التصوف الخرافي والدجل من طرف بعض المتصوفة أعلن مجموعة من الفقهاء الحرب عليهم، وعلى رأسهم عبد الكريم الفكون الذي ألف فيهم كتاب منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، فقدم أسماءهم للعامة حتى يتعرفوا عليهم ويتجنبونهم، كما حاربهم عبد الرحمن الأخضرى وذكرهم في مؤلفيه السلم المرونق والقدسية².

ولما رأى الأتراك مدى الحب والتقدير الذي يكنه ساكنة مدينة الجزائر للولي الصالح عبد الرحمن الثعالبي جددوا ضريحه - الذي كان غاية في الجمال والاتقان - سنة 1611م على يد مصطفى باشا ثم سنة 1627م على يد حسين باشا ثم في سنة 1696م على يد الداوي الحاج أحمد والتجديد الرابع كان سنة 1730م على يد عبدي باشا³، كما حبست عليه عديد الأوقاف لخدمة القائمين عليه وزائريه⁴، ولما توفي الداوي الحاج أحمد أمر بدفنه بالقرب من ضريح عبد الرحمن الثعالبي وهو ماتم فعلا حيث دفن على يمين مدخل الضريح رغم أن هذا الداوي كان أميا وجاهلا⁵، كما ربط الأتراك اتصالات مع سيدي علي المبارك (ت1630م) شيخ زاوية القليعة، وبعد وفاته أصبحت زاويته مزارا للطلبة والباشوات، وكذلك الشأن مع سيدي أحمد الكبير الأندلسي (ت1540م) شيخ زاوية البليدة، فقد كانت له مكانة مرموقة عند حكام الجزائر خاصة خير الدين بربروس الذي شيد له مسجد يسمى اليوم بمسجد الترك وأوقف عليه حماما وفرنا، وبنيت على قبره زاوية بسفح جبل بني صالح بالبليدة، وقد طلب سيدي أحمد من خير الدين بربروس اقتطاع أرض للأندلسيين الفارين من جحيم النصرى، وهو ماتم حيث وضع سيدي أحمد الكبير أساس مدينة البليدة حاليا⁶.

وقد اعتمد الأتراك بمدينة عنابة على مجموعة من الشيوخ والأولياء الصالحين في اخماد الثورات المحلية من جهة وابطال الغزوات والحملات المسيحية على المدينة من جهة ثانية، كسيدي محمد بن عبد الجليل وسيدي عيسى وسيدي بلعيد وسيدي حميدة الويشاويين، وسيدي أبي معزى، وسيدي القرمي، وسيدي الفوغالي، وسيدي الديواني البوني، وأبرزهم سيدي إبراهيم بن التومي المرادسي، والذي شيد له الباي أحمد

¹ مجهول: سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تحقيق عبد الله حمادي، دار القصبية، الجزائر، 2009م، ص20.

² بوزيان الدراجي: المرجع السابق، ص20-23.

³ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص349.

⁴ Jean Melia: *La ville Blanche-Alger et son département*, Librairie Plon-nourrit et Cie et imprimeurs-éditeurs, Paris, France, 1921, p.76.

⁵ رجاء رهيوي: المرجع السابق، ص36.

⁶ فوزي سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص133-135، عبد القادر نور الدين: المرجع السابق، ص274، عبد الله ركيبي: الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 1999م، ص180.

بن علي القلي ضريحا خاصا سنة 1768م يضم مصلى وزاوية وقد أصبح هذا المكان محطة لعابري السبيل¹، وعند زيارة العالم الألماني هابنسترايت للجزائر سنة 1732م مر على ضريح القديس أوغسطين بعناية، فعجب لما رأى الناس تزوره وتعتبره وليا صالحا ولا يعرفون أصلا بأنه رجل دين مسيحي، وهذا ما يعطينا صورة واضحة عن قوة تأثير الأولياء والمرابطين في نفسية الفرد الجزائري خلال العهد العثماني².

ويعتبر أحمد بن يوسف الملياني³ من أكبر العلماء والأولياء الصالحين الذين ركز عليهم الأتراك في كسب ودهم مستغلين خلاف الشيخ مع الزينيين لما زجوا به في السجن بين (1516-1527م) بل أن الطريقة المليانية ساهمت مساهمة فعالة في اسقاط الدولة الزيانية⁴، وبعد وصول الاخوة بربوس للجزائر اتصل الملياني بخير الدين هذا الأخير بعث للشيخ برسالة تودد وهدية قدرها أربعون ألف دينار، وفرض له منحة سنوية ثم استقبل ابنه محمد بن مرزوقة الملياني بحفاوة، وعينه على ركب الحجيج لحمل الصرة إلى الحرمين الشريفين، والتي أصبحت عادة تقليدية في ذرية الملياني ثم تنقل أحفاده إلى بايلك التيطري وتمتعوا باهتمام السلطة هناك، ويقال بأن حسين داي تزوج بإحدى حفيدات الملياني⁵، وبعد وفاته شيد له الأتراك ضريحا بمدينة مليانة⁶، وفي مدينة بجاية ربط الأتراك علاقات قوية مع ولها محمد التواتي، والذي رحب بالأتراك حين حرروا جيجل وحاولوا تحرير بجاية، كما راسل أهالي وهران يحثهم على الاستنجاد بالإخوة بربوس قائلا لهم:

ولا يحيي مرساكم ضعاف رجالكم ... ولا البدو بل تحميه أهل الجزيرة
فإن لهم بالطعن والضرب عبرة ... وكم فتكوا بالكفر أكبر فتكة⁷

وفي بايلك الغرب أوصى الباي الحاج خليل (1783-1784م) بدفنه بقبة سيدي محمد السنوسي بعد وفاته، ولما تولى الباي عثمان ابراهيم السلطة بين (1747-1755م) فر أنصار وأبناء الباي مصطفى بوشلاغم

¹ مجهول: تقرير دبلوماسي حول غزة الطوسكانيين لبونة سنة 1607م، تقديم وتعليق محمد لخضر بوبكر وسعيد دحماني، مؤسسة الرجاء، عناية، 2013م، ص 67-68، طارق بوحالة: (بونة حاضرة التسامح ومدينة التعدد والوسطية)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م، ص 140.

² جون أوف هابنسترايت: المصدر السابق، ص 94.

³ أحمد الملياني: من دوار راس الماء قرب معسكر بمنطقة بني راشد أخذ العلم بقريته قبل ان ينتقل لبجاية والتقى بالشيخ أحمد الزروق الفاسي بمعهد تامقرا ومكث بها ثمانية عشر سنة فأخذ الطريقة الشاذلية والزروقية وعاد لمسقط رأسه براس الماء وأقام زاوية لنشر العلم والتصوف كما أقام زوايا أخرى لطريقته اليوسفية في مازونة والشلف وتوفي سنة 1524م ودفن بمليانة، أنظر: (الأغا المازري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 75، الطاهر بونابي: (طريقة أحمد بن يوسف الملياني الراشدي بين ثنائية التصوف العرفاني السني والطريقة الصوفية الإصلاحية ق15-16م)، مجلة المواقف، ع6، جامعة معسكر، مطبعة الرشاد، الجزائر، 2011م، ص 391-399).

⁴ سعيد عيادي: موقع تلمسان ... المرجع السابق، ص 209، صلاح مؤيد العقي: المرجع السابق، ص 147.

⁵ Mahammed Hadj Sadok: Op. Cit, p.96-97.

⁶ أمين كرتالي: المرجع السابق، ص 184، 187.

⁷ أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 439.

خشية من الاغتيال من طرف هذا الباي، وكانت وجهتهم ضريح سيدي محمد بن عودة، وهو ما جعل الباي ابراهيم يوقف عملية المطاردة، ويعفوا عنهم احتراماً لهذا الولي الصالح، ونفس الشيء بالنسبة للباي محمد المقلش، فرغم العلاقة السيئة التي كانت تربطه بالعلماء والمتصوفة إلا أنه أوصى جنوده بعدم مطاردة الدرقاويين الفارين نحو ضريح سيدي محمد بن عودة، وقد كان الباي محمد الكبير باي وهران من مريدو الطريقة القادرية، وكان يزور مقر الزاوية الأم بالقيطنة بمعسكر ويقدم الدعم المادي والمعنوي لها¹، كما كانت زاوية عبد الرحمن الأخضر في منطقة بنطوس ببسكرة معفية الضرائب من طرف بايات قسنطينة، وذلك لما يمثله الولي والقطب الصالح عبد الرحمن الأخضر من سلطة روحية في منطقة الزيبان وضواحيها، وقد عثر بالزاوية على سبعة وثائق تتطرق إلى إعفاء زاوية الأخضر ببسكرة من الضرائب العثمانية آخرها كانت بختم أحمد باي قسنطينة².

وقد ربطت السلطة العثمانية بالجزائر علاقات ودية مع شيوخ الزوايا في مختلف المدن الجزائرية كزاوية سيدي الشيخ بالغرب الجزائري أين كان بايات الغرب يغدقون عليهم بالهدايا والأموال ويعفونهم من الضرائب بل ويكلفونهم بجمع الأموال والضرائب من مختلف القبائل الحدودية مع المغرب الأقصى، وكذلك الشأن مع الشيخ ابن المغوفل في ضواحي الشلف الذي كان يعتبر العين الساهرة للأتراك بالمنطقة، كما ربطوا علاقات جيدة مع زاوية مجاجة بمنطقة تنس التي كانت تساهم في تحفيز الطلبة على الجهاد ضد النصارى ونشر تعاليم الدين الاسلامي ومختلف العلوم الشرعية واللغوية، وقد صدر عن الداى أحمد سنة 1695م أمراً لصالح مرابطي وأشرف أولاد منصور بعين الحوت عن طريق باي الغرب اعفاءهم من الضرائب والأعشار وكل الواجبات المالية ويفرض على الناس احترامهم، ويحذر كل من يتعرض لهم مهما كانت سلطته ثم جدد لهم هذه الامتيازات الداى علي شاوش الدولاتي سنة 1712م، كما أمر علي باشا ببناء ضريح للشيخ محمد بن عبد الله بن منصور الحوتي سنة 1761م³.

وفي مدينة قسنطينة اشتهر الشيخ سليمان المجذوب والذي تعود أصوله لمدينة الجزائر، فبعد رحلة حجازية أقام خلالها مدة طويلة بمكة والمدينة المنورة عاد للجزائر واستقر بقسنطينة، وقد أصبح مكانه بمرتفعات شطابة مزاراً للعامة والبايات، كما كانت القبائل المجاورة تزوده بالهدايا والحبوب كقبائل زواوة وأولاد عراس وبني خطاب وبني ولبان وبني صبيح وأولاد الحاج وأولاد عيدون⁴، ومن مظاهر المودة التي كان

¹ قدور بوجلال: المرجع السابق، ص 177-180.

² عبد الرزاق قشوان: السلطة المحلية في بايلك قسنطينة 1592-1837م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م، ص 67، حنفي هلايلي: (عبد الرحمن الأخضر رائد التصوف السلفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية)، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، ع07، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2006م، ص 72-73.

³ توفيق دحماني: المرجع السابق، ص 424-426، ص 443.

⁴ Eugène Vayssettes: Op Cit, p.126.

الحكام الأتراك يكتونها للمرابطين والمتصوفة هو تشييد بعض الزوايا التابعة للطريقتين القادرية والرحمانية، فقد قام الحاج باشا حاكم الجزائر ببناء زاوية القبّة سنة 1645م ومنها استمد العاصبي الشهير حاليا اسمه - حي القبّة - ، وقام محمد باشا سنة 1632م بإصدار أوامر تتمثل في إعفاء زاوية سيدي عمر التنسي بمدينة الجزائر من الضرائب، كما قام مصطفى باشا قبله سنة 1611م بحبس مجموعة من الأوقاف على نفس الزاوية¹.

وفي سنة 1709م أنشأ الداوي محمد بكداش من ماله الخاص بمدينة الجزائر زاوية خاصة بفئة الشرفاء تسمى بزاوية الشرفاء وعين عليها نقيباً خاصاً، واقتصرت نقابة الشرفاء بمدينة الجزائر على عائلتين هما عائلة الزهار وعائلة المرتضى، وقد كان لهذه الزاوية حوالي إحدى عشر وقفاً لمختلف القائمين عليها²، كما شيّد الداوي الحاج أحمد العليّ سنة 1696م زاوية الشيخ عبد الرحمن الثعالبي³، ومن أعمال الباوي محمد الكبير في بايلك الغرب فيما يخص المرابطين والأولياء الصالحين قيامه بوضع مشهداً لضريح سيدي محمد بن عودة⁴، وشيّد زاوية وقبة على ضريح الملياني من طابقين⁵، وفي ضواحي غريس وبالضبط في منطقة الكرط أسس المشارفة - نسبة لمشرف بن عبد الرحمن بن مسعود - زاوية على يد يوسف بن عيسى المشرفي التي تنوعت أدوارها بين التصوف والتعليم والجهاد، فقد كان بها ما يناهز مائتي طالب علم، وقد حظيت بدعم واحترام من قبل الأتراك خاصة بعدما شارك شيخها عبد القادر بن عبد الله المشرفي (ت1778م) إلى جانب الباوي مصطفى بوشلاغم في التحرير الأول لمدينة وهران سنة 1708م⁶.

نفس الكلام الذي قيل عن العلماء ينطبق على المتصوفة والأولياء الصالحين فعلاقتهم الودية والحسنة مع الأتراك لم تخلوا من بعض النقد والمعارضة لسلوكياتهم اتجاه الرعية، فعلاقة أحمد بن يوسف الملياني بخير الدين بربروس الجيدة لم تمنعه من مصارحته برسالة ضمنية قال له فيها: (إن رهبتم أحسنتم وإن خالفتم عوقبتكم)، وهو تهديد ضمني للأتراك إن غيروا من علاقتهم الودية اتجاه السكان المحليين، ورغم أن أحمد بن القاضي كان من أبرز العلماء والأولياء الصالحين الذين اعتمد عليهم خير الدين في توطيد سلطته بمدينة الجزائر، كما قاد الوفد الخاص بأهالي الجزائر نحو السلطان العثماني من أجل منح التزكية لخير الدين بربروس وشرعية الحكم العثماني لكن بمجرد ظهور بوادر معارضة وانقلاب من أحمد بن القاضي على

¹ مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص149، 167.

² ياسين بودريعة: (زاوية الشرفاء 1709-1848م نموذج للمؤسسات الاجتماعية بمدينة الجزائر إبان العهد العثماني)، مجلة الدراسات التاريخية، ع15-16، جامعة الجزائر، 2013م، ص178-180.

Mustapha Ben Hamouche: Op Cit, p.106.

³ مصطفى بن حموش: المرجع السابق، ص151، 68.

⁴ أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص28.

⁵ ودان بوغفالة: المرجع السابق، ص191.

⁶ محمد بن محمد المشرفي: المصدر السابق، ج1، ص55-56.

خير الدين قرر هذا الأخير التخلص منه¹، وكذلك الشأن بالنسبة للولي الصالح أحمد بن ملوكة التلمساني الذي عارض حملة عروج على تلمسان، ويقال بأنه ضرب الأرض بيده وقال والله لن يرجع للمدينة²، كما عارض الولي الصالح عمر بن القاضي الوجود العثماني ببلاد زواوة وأراد التحالف مع فيليب الثالث سنة 1603م لولا تدخل المرابط سيدي منصور المؤيد للأتراك، والذي كشف المؤامرة وساهم في إفشالها³.

ومن الأسباب التي كانت وراء مقتل صالح باي سنة 1792م هو شدة عدائه للطرق الصوفية والمرابطين، وفي المقابل دعمه اللامشروط للعلماء والفقهاء وتشديد المدارس على حساب الزوايا، وهذا ما جعله مطلوب من طرف هؤلاء خاصة سيدي أحمد الزواوي وسيدي محمد الغراب الذين حرصوا العامة على الإطاحة به من على رأس بايلك الشرق⁴، وفي عهد باي قسنطينة أحمد القلي ساءت علاقته بزواوية خنقة سيدي ناجي وشيوخها مما جعله يهجم على الخنقة ويستولي على ثرواتها⁵، ويذكر محمد بن يوسف الزباني صاحب دليل الحيران بأن الباي خليل كان من أشد العداوة للأولياء الصالحين فقد نكل بالعديد من المرابطين كسيدي المدني ابن عطاء الغريسي، وأبي ترفاس محمد، والحاج بن سعيد الشقراني، ويضيف الزباني بأنه توفي بسبب دعاء هؤلاء الأولياء الصالحين⁶، وفي عهد حسن باشا نقم عليه أتباع الطريقة السنوسية بعدما قتل الشيخ محمد ابن القندوز التوجيني سنة 1829م هذا الأخير كان يتمتع بسمعة كبيرة واحترام وتبجيل من قبل المتصوفة والفقهاء عموما وأتباع الطريقة السنوسية بالخصوص حتى أن البعض ربط بين مقتله ونهاية الأتراك مستدلين بقوله: (سيصيب ابن قندوز مكروه بسبب خطئه وسيصيب مثله الأتراك بسبب ابن قندوز)⁷.

وهو ما جعل الشيخ الشارف بن الجيلالي بن تكوك المستغاني أحد أتباع الشيخ محمد بن علي السنوسي يأمر أتباع الطريقة السنوسية بالهجرة للمغرب الأقصى واللحاق به بعدما قرر أن يجعل من مدينة فاس مستقرا له⁸، وبحلول القرن التاسع عشر الميلادي انفلتت الأمور من يد الأتراك بالجزائر في علاقتهم بالمتصوفة، فأمام ضعف الدايات والبايات وازدياد جبروتهم وظلمهم للرعية الطريقتين أعلنت أغلب الطرق الصوفية بالجزائر التمرد والعصيان ضد الأتراك بداية بالطريقة الدرقاوية على يد ابن الأحرش في بايلك

¹ محمد دراج: المرجع السابق، ص372.

² محمد ابن عسكر: المصدر السابق، ص121، محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص155.

³ أحمد مريوش وأخران: المرجع السابق، ص121-122.

⁴ محمد أوجرتني: المرجع السابق، ص360.

⁵ اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص43.

⁶ محمد بن يوسف الزباني: المصدر السابق، ص259-260.

⁷ فطيمة مطهري: (دور واستراتيجية الطريقة السنوسية في إصلاح وتوحيد وإعمار الأقاليم والمجتمعات المغاربية والإفريقية)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019، ص339.

⁸ كمال فيلاي: أشكال الهجرة السرية والهجرة القصيرة.... المرجع السابق، ص68-69، سعاد نكاع: المرجع السابق، ص171.

الشرق، والشريف عبد القادر في بايلك الغرب، كما غضب أتباع الطريقة القادرية من معاملة الباي حسن لمحي الدين والد الأمير عبد القادر، وفي بايلك الشرق تحالفت الطريقة الشابية مع إمارة الحنانشة المسيطرة على الحدود الجزائرية التونسية وأعلنت الثورة على أحمد باي سنة 1828م¹.

واكتمل مسلسل العصيان الصوفي ضد الحكم العثماني بالجزائر مع الثورة التيجانية، فلما عاد ولدي أحمد التيجاني - محمد الصغير ومحمد الكبير - من مدينة فاس لعين ماضي سنة 1820م قام باي وهران بمهاجمة عين ماضي، كما قام باي التيطري بومزراق بمحاصرتها لكنه فشل هو الآخر في دخول المدينة والقضاء على التيجانيين، وفي سنة 1826م وبطلب من قبيلة هاشم بمعسكر وبدعم من قبائل الأرباع وسكان القصور وأولاد نايل انطلق التيجانيين نحو بايلك الغرب، وكان هدفهم السيطرة على وهران واسقاط الحكم العثماني في المنطقة، ورغم فشلهم في هذه المحاولة بعد جرح محمد الكبير حاولوا مرة ثانية سنة 1827م إلا أن تخلي قبيلتي هاشم والشم عن التيجانيين أدى إلى نهاية هذه الثورة بعد مصرع محمد الكبير التيجاني وأرسل رأسه إلى مدينة الجزائر وصلب بباب الجديد، وانتقلت القيادة بعده لشقيقه محمد الصغير الذي انصرف للبناء الديني والاجتماعي بالجنوب الجزائري والتوغل أكثر في إفريقيا جنوب الصحراء².

وقد ظهر بالجزائر تيار ثالث محايدا في موقفه من الأتراك سعى لتوحيد الصفوف والوساطة بين السلطة من جهة والأهالي من جهة ثانية، ومثل هذا التيار عديد المتصوفة والمرابطين أبرزهم الشيخ العبدلي وتلميذه محمد بن سليمان الجزولي صاحب كعبة الطائفين، فقد كان للعبدلي زاوية خاصة تأوي المظلومين والمضطهدين من طرف بايات الغرب الجزائري، وقد سعى للإخماد عديد الفتن بين الأتراك والأهالي أبرزها ثورة تلمسان الأولى سنة 1625م والثانية سنة 1627م، والتي توفي على اثرها وهو في طريق العودة من مدينة الجزائر³.

ثالثا/- نشأة التصوف بالمغرب الأقصى:

يمكن القول بأن التصوف بالمغرب الأقصى خلال الحكم السعدي والعلوي كان يختلف كثيرا عن مثيله بالجزائر، فمؤسسة الزاوية بالمغرب خرجت من لعب الأدوار الدينية إلى ممارسة الحياة السياسية كالزاوية الدلائية والعايشية والناصرية والفاشية، وقد ساهمت هاته الزوايا في إنقاذ المغرب من الانحطاط الثقافي وذلك باستقطابها للعلماء والطلبة ونشر المصنفات العلمية⁴، فالزاوية الدلائية بقيادة محمد بن أبي بكر

¹ أحمدية عميراي: من الملتقيات التاريخية... المرجع السابق، ص 28-29.

² أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف... المصدر السابق، ص 196-197، صالح عباد: المرجع السابق، ص 231-232.

³ قويدر قيدي: (الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر بين 1520-1830 م)، مجلة المواقف، ع 10، جامعة معسكر، 2015م، ص 114-115.

⁴ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص 11، أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص 19-20.

الدلاء وابنه محمد الحاج تحولت من مجرد مؤسسة دينية إلى حركة سياسية¹، وتنتسب الحركة العياشية إلى محمد العياشي الذي كان وليا زاهدا بمدينة سلا قبل أن يعلن الجهاد ضد البرتغاليين². أما حركة السملاليون فتنسب إلى زاوية كانت تقع في قبيلة سملالة بمنطقة السوس ثم استوطنوا تارودانت وأعلنوا الثورة ضد السعديين³، وحركة ابن أبي محلي نسبة إلى الشيخ الصوفي أبو العباس أحمد ابن أبي محلي الذي أعلن الثورة بمدينة سجلماسة على زيدان بن المنصور السعدي⁴.

1/- المؤسسات الصوفية:

يرى عبد الله العروي بأن الوضع الثقافي بمنطقة المغرب بداية من القرن السادس عشر الميلادي تحول من نظام القبيلة الهلالية التي كانت تتحكم في زمام الأمور سياسيا واجتماعيا وثقافيا منذ القرن الثاني عشر الميلادي لصالح مؤسسة الزاوية التي فرضت نفسها كنظام اجتماعي شمولي وبدوي في شتى الميادين، ويشرح لنا العروي نظام الزاوية بالمغرب حيث يجتمع عدد من الطلبة حول شيخ يتعهد بتربيتهم فكريا وخلقيا ووجدانيا، فيكون بمثابة المعلم والأب الروحي أما الطالب فيسمى بالمريد الذي يكون بمثابة التلميذ والرفيق والخادم والابن المطيع، وعندما يصل هذا المريد لدرجة التشبع الروحي من معلمه، ويكاد يكون نسخة مطابقة عنه يفترق عنه ليؤسس مركزا دينيا وصوفيا خاصا به لكن بنفس الأسس والمبادئ⁵، ويعتبر القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين منعطفًا في تاريخ التصوف بالمغرب الأقصى فقد أصبح أغلب الفقهاء والشيوخ يتبعون طريقة معينة وبالخصوص الطريقة الشاذلية بمختلف فروعها.

فالحسن اليوسي والذي يعتبر من أبرز علماء المغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر الميلادي كان من أتباع الطريقة الشاذلية وتصدر للتدريس بزاوية الدلاء قبل تهديمها من قبل مولاي الرشيد إلا أنه وضع شروطا مهمة للراغبين في طرق باب التصوف الحقيقي، فعليه بالتخلية والتحلية والتي تستند لتصحيح العقيدة والتوبة النصوح والاجتهاد في طاعة الله مع التزام التقوى، والتصوف عند اليوسي مقترن بالعلم والعمل⁶، وقد خرجت الزاوية المغربية من لعب الأدوار الدينية إلى ممارسة الحياة السياسية كالزاوية الدلائية

¹ لطفي عيسى: مدخل لدراسة مميزات الذهنية...، المرجع السابق، ص49-50؛ محمد حجي: (الدور السياسي للزاوية الدلائية)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع4، ص8، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1965م، ص93-96.

² عبد اللطيف الشاذلي: الحركة العياشية - حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م -، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1982م، ص81-140، عبد القادر الصحراوي: (البطل الشعبي محمد العياشي)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع12، ص1، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1958م، ص124-133.

³ لطفي العيسى: المرجع السابق، ص50-51.

⁴ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص24.

⁵ عبد الله العروي: المرجع السابق، ج3، ص36-39.

⁶ الحسن اليوسي: القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، تحقيق حميد حماني، مطبعة شالة الرباط، المملكة المغربية، 1998م، ص83-84.

والعياشية والناصرية والفاسية¹ مستغلة ذلك التدهور السياسي والتلهل الاقتصادي والضعف الثقافي للمجتمع خاصة بعد انتشار البدع والخرافات والفقر والمجاعات أين وفرت هذه الزوايا الأمن للقوافل والمأوى للمتشردين والطعام للفقراء والمحتاجين²، كما قادت الحركة الثقافية والفكرية والأدبية بالمغرب الأقصى، وقد اشتهرت من هذه الزوايا كل من الزاوية الجزولية التي أنشأها محمد بن سليمان الجزولي (ت1465م) وتعد من أولى الطرق الشاذلية التي ظهرت بجنوب المغرب الأقصى، وقد أعطى محمد بن سليمان للطريقة الشاذلية تنظيماً جديداً من خلال الممارسة السياسية وإعلان الجهاد ضد الغزاة، وهو ما ساهم بظهور الأشراف السعديون في الواجهة حيث اعتمدوا على هذه الطريقة واستعملوها في التأثير على العامة، وقد شيدت هذه الطريقة العشرات من الزوايا على التراب المغربي³.

والزاوية الشرقاوية والتي شيدت سنة 1601م على يدي عميدها محمد الشرقي السمييري بمنطقة أبي الجعد قبل أن تنتقل لمدينة تادلا⁴، وقد غيرت من نشاطها الديني والثقافي والاجتماعي الذي أسست من أجله إلى النشاط السياسي تقليداً للزاوية الدلائية، وهذا ما جعل مولاي محمد بن عبد الله سنة 1784م يخربها ويشتت أتباعها خوفاً من انتشار نفوذها أكثر خاصة لما أصبحت تستقبل المعارضين للحكم العلوي، وقام بنقل شيخها العربي بن المعطي الشرقاوي إلى مراكش ثم فاس، وفي عهد مولاي سليمان عفي عن شيخها وسمح له بإعادة نشاطه وهذا ما جعل الزاوية الشرقاوية تتحول من عدو إلى مناصر للعلويين⁵، وكذلك الشأن للزاوية الدرقاوية والتي تنسب للشيخ الصوفي مولاي العربي الدرقاوي التي لعبت دوراً مهماً في نشر التصوف على نطاق واسع من المغرب الأقصى ووصل امتدادها للجزائر⁶.

والزاوية العياشية وتعرف أيضاً بزاوية سيدي حمزة نسبة لجد العائلة حمزة بن أبي سالم، ويعتبر محمد بن أبي بكر العياشي (ت1657م)⁷ المؤسس الحقيقي للزاوية سنة 1634م بإشارة من شيخه محمد الدلائي، فبعد مكوثه في منطقة الدلاء لمدة طويلة يطلب العلم أمره أبي بكر وولده محمد الدلائي بتأسيس زاوية بقبيلة آيت عياش بأحواز سجلماسة بالجنوب المغربي⁸، وكانت تشرف على تعليم القرآن الكريم ومختلف

¹ محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص11، محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص35-56.

² عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص33-34.

³ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية ...، المرجع السابق، ص33.

⁴ عبد الرزاق السعدي: (الزوايا والتصوف في المغرب القرن 16م)، ضمن أعمال بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ لعميد عبد العزيز، مطبعة ناصري، الجزائر، 2017م، ص498.

⁵ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ...، ج3، المرجع السابق، ص566.

⁶ لطيفة الوارثي: (مساهمة المقامة المغربية في الحركة الإصلاحية على عهد الدولة العلوية)، مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع52، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2006م، ص80.

⁷ محمد العياشي: كان ولياً زاهداً بمدينة سلا ثم أعلن الجهاد ضد البرتغاليين، أنظر: (عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق، ص81-140، عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص124-133).

⁸ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص59، 63-64.

العلوم الشرعية، ولما تولى زعامتها ولده الشيخ عبد الله أبو سالم غلب على نشاطها الطابع العلمي أكثر من الصوفي، فقد كانت بها خزانة نفيسة من الكتب التي اقتناها العياشي من مختلف المناطق التي زارها مغربا ومشرقا وهذا ما جعلها قبلة للطلبة من مختلف أقطار المغرب، ونفس الشيء يقال عن الزاوية الفاسية التي تأسست بعدوة الأندلس بفاس على يد أبي المحاسن يوسف الفاسي، وبعد وفاته نقلها شقيقه الشيخ عبد الرحمن الفاسي (ت1626م) إلى عدوة القرويين لكن شهرة الزاوية كانت في عهد ولده عبد القادر وولديه عبد الرحمن ومحمد، فقد كانت تأوي الفقراء والطلبة الفارين من الزاوية الدلائية بعد دخولها في مواجهة ضد العلويين وانتهت بتخريب الزاوية، وقد دعمت الزاوية الفاسية الدولة العلوية بقوة، وكانت تدرس فيها عقائد السنوسي وكتب التفسير والحديث والفقه والأصول والسيرة ومختلف المصنفات الصوفية¹.

لكن أشهر الزوايا المغربية خلال العصر الحديث هما الزاويتان الناصرية والدلائية نظرا للدور السياسي والثقافي البارز الذين لعبتهما، فالزاوية الناصرية التي تأسست بمنطقة تمجروت على ضفاف وادي درعة سنة 1576م على يد أبو حفص عمر الأنصاري (ت1601م)، ومع تولى أحمد بن إبراهيم مشيخة الزاوية عرفت امتدادا كبيرا بالجنوب المغربي، وبعد اغتيال هذا الشيخ سنة 1642م تولى أنجب تلاميذه مشيخة الزاوية وهو العلامة محمد بن ناصر الدرعي، وقد أصبحت الزاوية في عهده أهم زاوية بلا منازع في الجنوب المغربي كما أخذت تسميته أيضا ألا وهي الزاوية الناصرية، وقد عرف عن الشيخ محمد بن ناصر الانصراف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتدريس ونشر مبادئ الطريقة الشاذلية والبعد عن السياسية، وإذا كان الرشيد سلسا في التعامل مع الشيخ محمد بسبب امتناع هذا الأخير عن الدعوة للسلطين العلويين على منبر زاويته إلا أن إسماعيل اعتمد طريقة أخرى في التعامل مع الشيخ حيث منعه من الحج سنة 1707م، كما أعاد فرض الضرائب التي كانت الزاوية معفاة منها سابقا، ودام هذا الشد والجذب بين الطرفين إلى غاية وفاة الشيخ محمد بن ناصر وتولى ولده أحمد شؤون الزاوية²، وكانت الزاوية تدرس مختلف العلوم من تفسير وحديث وفقه وتصوف ونحو، وكان بها خزانة من الكتب القيمة التي اقتناها محمد بن ناصر وولده أحمد بعده³، وقد كانت من أكبر زوايا المغرب الأقصى من حيث الأوقاف والممتلكات والثروات، وهذا ما جعلها تكون قريبة من العامة⁴.

¹ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص37-56، 63-64.

² أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص30-31، عبد العزيز الخليلي: (زاوية تمجروت والمخزن 1642-1914م)، ضمن كتاب الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1997م، ص121-138.

³ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص35-36.

⁴ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...، ج3، المرجع السابق، ص556-557.

أما الزاوية الدلائية وتعرف أيضا بزاوية الدلاء¹ أسسها أبي بكر بن محمد سنة 1567م بمنطقة الدلاء وقد اعتنى بها أولاده الستة من خلال تشجيع العلم والاعتناء بالعلماء والمريدين وتدريس الطلبة وبناء المدارس، وقد وصل عدد مساكن الطلبة إلى حوالي ألف وأربعمائة مسكن والبيت الواحد يضم طالبين أو أكثر، كما شيّدوا بها مكتبة ضمت ما يقارب عشرة آلاف كتاب، وقد كانت في نفس الوقت ملجأ لمختلف الشيوخ والساسنة الفارين من الفتن بفاس ومراكش، وكانت تدرس مختلف العلوم كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه والأصول والتصوف والمنطق واللغة والبلاغة والأدب²، وقد ازدهرت الزاوية أكثر في عهد محمد بن أبي بكر الدلائي (ت1636م)³.

ويرى جاك بيرك بأن الزاوية الدلائية كانت علامة فارقة في منطقة المغرب من الناحية الثقافية والدينية والسياسية، فقد كان رئيس الزاوية يلعب دور الحاكم والقاضي والإمام والفقير والمدرس، ففي الجانب الاجتماعي كانت هذه الزاوية توزع الأغذية والخيرات على الفقراء والمحرومين، فقد كان أبو بكر بن الحاج الدلائي مؤسس الزاوية يتكفل بإطعام جموع غفيرة من الفقراء اعتمادا على الأوقاف العديدة التابعة للزاوية، كما كان يتكفل بتوفير الكسوة واللباس للمحرومين سنويا⁴، ومن الناحية السياسية كانت الزاوية تمارس التحكيم والشفاعة والوساطة وتوفير الأمن من خلال محاربة قطاع الطرق واللصوص، وفي الجانب الثقافي كانت تحتضن الطلبة وتوفر لهم الجو المناسب للدراسة من مصنفات ومناهج ومأكّل ومبيت، وكل هذه المعطيات ساهم في تمتين علاقتها بالعامّة وكسبها شعبية جارفة، ويضيف بيرك بأنه لولا ظهور العلويون في الساحة المغربية - الذين راهنوا على شيء مميز يفتقده الدلائيون ألا وهو عنصر الشرف - لكانت الزاوية الدلائية هي التي أسست دولة المغرب الأقصى بعد السعديون⁵.

وإذا راهن العلويون على الشرف فإن الدلائيون راهنوا على عنصر آخر وهو إحياء العصبية القبلية، وبذلك كانت المواجهة قوية بين الدلائيون المدعّمين من قبائل الشمال البربرية والعلويون المناصرين من قبائل الجنوب العربية⁶، والنقطة الجوهرية التي شحنت العلويون في محاربة هذه الزاوية تلك العلاقات المتينة

¹ زاوية الدلاء: نسبة لمؤسسها محمد بن أبي بكر الدلاء ثم أبنه محمد الحاج تحولت من حركة دينية إلى حركة سياسية، أنظر (لطفى عيسى: مدخل لدراسة مميزات... المرجع السابق، ص49-50، محمد حجي: الدور السياسي للزاوية...، المرجع السابق، ص93-96).

² محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص35-36.

³ محمد الدلائي: هو محمد بن أبي بكر بن محمد الدلائي الصنهاجي ولد بفاس سنة 1560م، وقام برحلة حجازية أكسبته علما كبيرا في مختلف الفنون الأدبية والعلم العقلية والنقلية تزعم الزاوية بعد وفاة والده أبي بكر، وأعطاهما زخما علميا ودينيا وسياسيا كبيرا توفي سنة 1636م وترك عديد المؤلفات، أنظر (خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص59).

⁴ مصطفى بنعلة: تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 2007م، ص212.

⁵ عادل المساتي: سوسيولوجية الدولة بالمغرب - إسهام جاك بيرك -، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، 2010م، ص41-42.

⁶ دلندة الأرقش وآخران: المرجع السابق، ص26-27.

والجيدة التي كانت تربط الدلائلين بالسعديين وبذلك فقد كان العلويون يرون فيها امتدادا للحكم السعدي المنتهي سنة 1664م ولا يمكن أن يعود بصيغة أخرى¹، وفي الجانب الثقافي أشادت الدراسات التاريخية المغربية كثيرا بدور زاوية الدلاء، فهذا عبد الله كنون يذكر في كتابه النبوغ: (لقد فترت الحركة العلمية في المغرب بعد وفاة المنصور فتورا كبيرا، ولكن من الألفاظ الخفية ظهرت الزاوية الدلائية في ذلك الحين، فكأنما بعثها الله لحفظ تراث العلوم والآداب الذي كاد يضيع فقامت عليه خير قيام...)²، وفي المقابل فإن الزاوية الريسونية بالشمال لعبت دور الرباط من خلال إعلان الجهاد ضد النصارى، وهو ما جعلها تحظى بدعم مادي ومعنوي من قبل السلطة السعدية والعلوية بحكم أنها بعيدة عن الطموحات السياسية وتغطي عجز هذه الكيانات السياسية في محاربة وجهاد الأعداء في الثغور³.

والشيء المميز في زوايا المغرب الأقصى عن مثيلتها بالجزائر هو الخزائن النفيسة للكتب التي تحتويها، والتي كانت تتنافس على جليها من مختلف المناطق مشرقا ومغربا، كما ساهمت الفوضى السياسية أواخر العهد السعدي في نقل الأسر العلمية لمكتباتها نحو زوايا القرى والجبال البعيدة عن هذه الصراعات، ويذكر العلامة أحمد بن عبد العزيز السجلماسي لما زار الزاوية العياشية:

وجدت بها ما يملأ العين قرة ... ويسلي عن الأوطان كل غريب
دواوين في جل الفنون جليلة ... ينال بها الآمال كل أريب⁴

2/- علاقة السلاطين بالمتصوفة:

لقد قام المتصوفة والمرابطين خلال الحكم الوطاسي بمد جذورهم في عمق المجتمع المغربي مستفيدين من حالة الفوضى السياسية، والتي صاحبها فتن ومجاعات وتدخلات أجنبية من جهة واستغلال الجهل الذي كان يخيم على البوادي من جهة ثانية، وزاد نفوذهم خلال العهد السعدي والعلوي، فقد كان المجذوب أحمد بن علي الدوار يزور السلاطين الوطاسيين فتلقاه النسوة والصبيان يقبلون يده ورجله ويقدمون له أنفس ما يملكون، بل ويلبسه السلطان من أشرف لباس القصر رغم أنه كان مجنونا، ولما توفي تساقط الناس على نعشه وتقاسموا لباسه وسجاده وحضر جنازته الفقهاء والأعيان والسلطان والوزراء وهذا ما حدث أيضا مع يحيى بن عمر الخلطي، وقد زادت ثروة الزوايا والطرقية بشكل كبير جدا، فلما توفي المرابط عبد الله بن حسين ذبح ابنه ما يقارب سبعمائة شاة ومائتي بقرة وعشرون جمل لإطعام الزائرين والمعزين، ومقابل ذلك استغل

¹ محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي ...، المرجع السابق، ص 31-32.

² محمد بن الحاج الإفرائي: المصدر السابق، ص 11.

³ النية بنعيسى وقبوسي عياشي: (دور التصوف الروحي السني في الإصلاح الديني والإرشاد التعليمي بالمغرب)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م، ص 285.

⁴ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص 68-69.

السعديون الزاوية الجزولية لتوحيد أقطار المغرب وكانوا يستعملون مريدوها في جلب أخبار العامة - بمثابة مخبرين - مقابل امتيازات ومغريات عديدة¹.

ومن أبرز الأسباب التي كانت وراء انتصار السعديون في معركة وادي المخازن هو المشاركة الفعالة لشيخو وأتباع الطريقة الشاذلية، وهو ما جعلها تتغلغل أكثر في المجتمع المغربي وتكسب ثقة السلاطين السعديون ومن بعدهم العلويون²، فقد شجع ودعم السلطان عبد الله الغالب الشيخ سعيد الحاحي بتأسيس زاوية زداغة بمنطقة تارودانت وكانت تابعة للطريقة الجزولية³، كما أمر بإحداث زاوية الحزابين بقرب جامع القرويين بفاس سنة 1562م⁴، وبعد وفاة المنصور سنة 1603م تدهور الوضع الثقافي بالمغرب ومعه الحياة الدينية فبعدهما كان المتصوفة يحضون بأهمية بالغة لدى المجتمع المغربي أصبحت أضرحة الأولياء الصالحين تتعرض باستمرار لحركة تهديم وتخريب مثلما حدث مع ضريح أحمد الشاوي سنة 1617م وضريح الشيخ سيدي حرازهم سنة 1618م⁵، ورغم أن الزوايا والطريقة هي التي ساهمت في صعود السعديون للسلطة بالمغرب الأقصى إلا أن ممارسات بعض حكام هذه الدولة سواء في علاقتهم مع الدول الأجنبية أو الاخفاقات الاقتصادية والسياسية الداخلية، وفرضهم للضرائب على شيخو الزوايا جعل هذه الطرق والزوايا تنقلب عليهم لحساب العلويون⁶.

ويمكن القول بأن الظاهرة الصوفية الطرقية في عهد الدولة العلوية خف تأثيرها وذلك بسبب اهتمام بعض السلاطين بالتيار السلفي الوهابي الذي تمكن من غزو المغرب الأقصى، ونخص بالذكر مولاي محمد بن عبد الله وسليمان وعبد الرحمن بن هشام الذين حاربوا البدع والخرافات المتبعة من طرف بعض المتصوفة كما شددوا على زيارة القبور⁷، ورغم أن الزاوية الفاسية ساهمت في وصول العلويون للعرش من خلال شيخها أحمد بن عبد الرحمن العارف الذي توسط بين مولاي الرشيد وأعيان فاس لما منعه من دخول المدينة، وهو ما جعل مولاي الرشيد يقرب الزاوية الفاسية أكثر بل أراد أن يستميلها في مخططاته لكن شيخ الزاوية في ذلك الوقت عبد القادر الفاسي رفض هدايا السلطان ورد عليه: (قولوا له أن يشغل نفسه بغيري

¹ أحمد بوشرب: المرجع السابق، ص 87-90.

² مسعود بقادي: هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 16م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، 2014م، ص 110.

³ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص 397.

⁴ محمد بن الوليد: المرجع السابق، ص 271.

⁵ محمد مزين: المرجع السابق، ج 1، ص 221.

⁶ عبد المجيد القدوري: (عودة إلى ظاهرة الزوايا في مغرب العصر الحديث)، ضمن كتاب وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2001م، ص 404.

⁷ حسن جلاب: مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي، ط 1، المطبعة والوراقة الوطنية، المملكة المغربية، 1994م، ص 6.

فالذي رزقني من المهد إلى أن ابيضت لحيتي هو يرزقني)، كما قامت الزاوية باستقطاب طلبة وشيوخ زاوية الدلاء التي هدمها مولاي الرشيد¹.

وبعد تولي مولاي اسماعيل الحكم بالمغرب أراد التقرب أكثر من هذه الزاوية أين استقبل شيخ الزاوية عبد القادر الفاسي بمدينة مكناسة استقبالا حارا وكبيرا حيث أنزله بأحد قصوره وأكرمه وكان يقربه كثيرا، ومن شدة اعجاب مولاي سليمان بهذه الزاوية أنه ترك تأليفا عن آل الفاسي شيوخ الزاوية²، وبعد وفاة مولاي إسماعيل وتولي محمد بن عبد الله الحكم اعتمد على الوزير أبو القاسم الزياني لزيارة مختلف الطرق الصوفية والزوايا وشرح مشروع مولاي محمد بن عبد الله في توحيد أقطار المغرب الأقصى وتحرير الثغور من النصارى، وهو ما نجح فيه حيث تمكن من استقطاب مختلف الزوايا والطرق الصوفية المغربية إلى صفه³، وإذا كان هذا حال الزاوية الفاسية فإن علاقة الزاوية الوزانية بالحكم العلوي تختلف كلياً عن بقية الزوايا، وذلك لانتماء الوزانيين للنسب الشريف وهو ما جعل السلاطين العلويين يرون في الزاوية الوزانية امتدادا لسلطة الأشراف في المجتمع المغربي وتجديرا لحكمهم، وهو ما أهل هذه الزاوية للاستفادة من امتيازات عديدة مقابل تزكية أعمال السلاطين العلويين⁴. هذه العلاقة لم تكن تخلوا من بعض الخلافات بين الطرفين وبالخصوص خلال حكم المولى إسماعيل الذي دخل في صراع مع التهامي الوزاني شيخ الطريقة لأسباب عقائدية بالخصوص⁵.

ومن أعمال السلاطين العلويين التي ترمز للتقرب من المتصوفة والأولياء الصالحين وجلب عطف وود أتباعهم هو تجديد وبناء الأضرحة والقبب حيث بادر مولاي اسماعيل بتجديد أضرحة كل من مولاي إدريس الأصغر بفاس وإدريس الأول بزوهون وسيدي موسى الدكالي بمدينة سلا وسيدي يوسف أبي القناديل وأحمد الشلبي وعبد الله القصري، كما قام مولاي محمد بن عبد الله بتشديد عديد الأضرحة التي تخص كل من سيدي علي بن حرزهم وعبد الواحد ابن عاشر وسيدي محمد بن عيسى وسيدي سعيد بوعثمان وسيدي عبد الله التاودي، كما أمر بتجديد أضرحة الرجال السبعة وهم القاضي عياض اليحصبي وسيدي يوسف بن علي وعبد الرحمن السهيلي وأحمد السبتي ومحمد الجزولي وعبد العزيز التباع وعبد الله الغزواني⁶.

¹ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص56-57.

² إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ...، ج3، المرجع السابق، ص558.

³ محمد العربي الزبيري: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث...، المرجع السابق، ص46.

⁴ محمد ضريف: مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، المملكة المغربية، 1992م، ص90-92.

⁵ نجيب زيبب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 1995م، ص355.

⁶ محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص305، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ...، ج3، المرجع السابق، ص546-547، عبد العزيز

بنعبد الله: معلمة التصوف الإسلامي، ج1، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط، المملكة المغربية، 2001م، ص83-84.

هذه المهادنة مع الزوايا والأولياء الصالحين لم تستمر مطولا، فرغم أن السلطان مولاي الرشيد درس في صباه بالزاوية الدلائية برفقة الحسن اليوسي إلا أن نهاية الزاوية كان على يديه لما أصبح حاكما بعدما أحس بتعاظم نفوذ هذه الزاوية وانحرافها عن مسارها الأول من الدور الديني إلى الدور السياسي¹ حيث حرك جيشا كبيرا سنة 1668م نحو مدينة تادلا موقع الزاوية، وبعد محاصرة المدينة دخل الطرفان في حرب دموية نتج عنها تهديم الزاوية نهائيا وتفريق جموع الشيوخ والطلبة أين هاجر العشرات والمئات منهم إلى تلمسان²، وهنا زاد يقين الرشيد والعلويون بأن الزاوية كانت تتبع في ولائها للأتراك بالجزائر خصوصا بعد وقوف الأتراك لاحقا مع ثورة الدلائيين بقيادة أحمد بن عبد الله بن محمد الدلائي سنة 1677م ضد مولاي اسماعيل ودامت ثلاثة سنوات كاملة³.

وبتولي سليمان العلوي السلطة بالمغرب الأقصى تغيرت علاقة الحكام مع الطريقة وبالخصوص بعد تمرد الدرقاويين على المخزن المغربي، وهو ما جعله يستنجد بالطريقة التيجانية لضرب هؤلاء هذا من جهة وجلب المذهب الوهابي للمغرب من جهة ثانية. أين بادر بإرسال وفد يقوده ولده الأمير ابراهيم برفقة العديد من علماء فاس سنة 1811م إلى الحجاز لمقابلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتضمينه رسالة خاصة، وهو ما جعل العديد من المصادر المغربية تعتبر مولاي سليمان وهابيا خاصة بعدما منع زيارة القبور وتقديس الأولياء الصالحين وغيرها من البدع حسب رأي الوهابية⁴. حيث حرر مولاي سليمان سنة 1815م خطبته الشهيرة يبيد فيها موقفه الصريح بمعارضة زيارات الأضرحة والتبرك بالأولياء الصالحين وتجديد القبر وغيرها، ونظرا للوضع الاقتصادي الهش للبلد اعتمد مولاي سليمان سياسة الضرائب والاتاوات على مختلف كيانات المجتمع المغربي، وبالخصوص المؤسسات الثقافية والدينية التي كانت معفاة لسنوات طويلة حيث وجه أنظاره للزوايا والطرق الصوفية التي كانت تحوز أوقافا وممتلكات كثيرة، وهذا ما جعله يدخل في صراع مع هذه الكيانات الدينية ويكسب أعداء أكثران يتحاشاها السلاطين الذين سبقوه⁵.

وتعتبر معركته الشهيرة ضد زاوية سيدي علي أمهاوش بقبيلة آيت أومالوا سنة 1819م الضربة التي قسمت ظهره، فقد قاد المعركة بنفسه بجيش قوامه ستون ألف جندي لكن النتيجة كانت ساحقة لصالح أهل الزاوية بعد تحالفها مع الدرقاويين وقائد زمور الحاج محمد بن الغازي، وقد وقع السلطان في الأسر لمدة

¹ الحسن اليوسي: نفائس الدرر في حواشي المختصر، تحقيق جمعة الفيتوري، منشورات جامعة المرقب، ليبيا، 2009م، ص29.

² محمد بن البشير بوسلام: تاريخ قبيلة بني ملال 1854-1916م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1991م، ص50.

³ محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي.... المرجع السابق، ص257-263.

⁴ محمد المنصور: المرجع السابق، ص238-239.

⁵ Grey Jackson de James: *Relation de l'Empire de Maroc*, Traduction Jean-Francois Robinet, Institut des études africaines, Rebat, Maroc, 2005, p.284.

ثلاثة أيام قبل أن يتم اطلاق سراحه احتراماً لمكانة عائلته الشريفة من جهة ولقب أمير المؤمنين الذي كان يحمله من جهة ثانية، هذه الهزيمة عجلت بنهاية فترة حكمه سنة 1822م¹.

II- الحضور الصوفي الجزائري بالمغرب:

لم تقتصر حركة التنقل والهجرة من الجزائر إلى المغرب الأقصى على الطلبة والعلماء بل تعدته إلى انتقال المتصوفة والطرقية حيث تعتبر الزيارة من الواجبات والفرائض لدى المتصوفة، فلا يعقل لمريد يتبع طريقة ما دون أن يزور مسقط رأس صاحب تلك الطريقة والتبرك بضرجه، ولأهمية زيارة الأولياء الصالحين سواء أموات أو زيارة أضرحتهم والتبرك بهم صنف في هذا الشأن الحاج موسى علي بن أحمد الجزائري كتاب سماه ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة على ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف يشرح فيه سلوك وآداب المريد أثناء زيارة ضريح الولي أحمد بن يوسف الملياني²، وعن زيارة أضرحة الأولياء الصالحين يقول العامري التلمساني:

واغتنم زورة الصالحين سواء ... منهم الميتون والأحياء³.

1/- انتقال المتصوفة:

لقد كان المتصوفة أثناء تنقلاتهم يرددون قول الشيخ محمد المغربي الشاذلي خلال القرن السادس عشر الميلادي: (أطلق طريق ساداتك من القوم وان قلوا، وإياك وطريق الجاهلين بطريقهم وان جلوا، وكفى شرفا بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً)، وقد عمل بهذه المقولة العديد من علماء ومتصوفة الجزائر أين كانت المدن والحواضر المغربية شاهدة على زيارات العشرات والمئات من هؤلاء⁴، ومن أولى الزيارات التاريخية لمتصوفة المغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى قصد التزود بمبادئ التصوف وزيارة الشيوخ والأضرحة والزوايا نذكر انتقال أبو عبد الله محمد بن النجار (ت1348م)،

¹ أحمد المنصوري: كبار العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، تحقيق محمد بن لحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الكرامة، الرباط، المملكة المغربية، 2004م، ص120، محمد العروصي: (المولى سليمان والزوايا زاوية سيدي علي امهاوش نموذجاً)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بني ملال، المملكة المغربية، 2008م، ص115، محمد الخداري: (المولى سليمان بين الوهابية والتصوف)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال، المملكة المغربية، 2008م، ص94-95.

² الحاج موسى علي بن أحمد الجزائري: ربح التجارة ومغنم السعادة...، المصدر السابق، رقم928.

³ محمد ماكامان: المرجع السابق، ص167.

⁴ أبو عمرو القسطلي: هو أبي عبد الله محمد الكامل بن أبي عمرو بن أحمد القسطلي المراكشي توفي سنة 1588م وألف حوله أبي محمد قاسم الحلفاني كتاب شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة، وكان شيخاً للطريقة الجزولية بمراكش والمغرب، أنظر (عبد السلام ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى...، المرجع السابق، ص150-162).

ومحمد بن إبراهيم الآبلي (ت1365م)، وعبد الرحمن البجائي (ت1371م)، وأحمد بن إبراهيم الخياط الذين تنقلوا للأخذ والنهل من العلامة والقطب أحمد بن البنا المراكشي (ت1321م)، وكذلك الشأن لزيارة محمد المقري (ت1366م)، وابن القنفذ القسنطيني (ت1407م)¹، ويعدد محمد الهواري الوهراني فضائل زيارة المريدين لأضرحة الأولياء الصالحين فيقول:

زيارة أرباب التقى مرهم يبزي ... ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث في صدر الحلي إرادة ... وتشرح صدرا ضاق في سعة الوزر
ولا فرق في أحكامها بين سالك ... مرب ومجذوب وحي وذي قبر²

وفي سنة 1590م انتقل العلامة عيسى بن محمد البطيوي الوهراني إلى مدينة فاس لأخذ العلم والتصوف عن أعلامها بالقرويين وعاد للتدريس ببطوية، كما ترك موسوعة في التصوف سماها مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح في جزأين كبيرين يتألف من مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة³، وكذلك الشأن لمحمد بن سليمان الذي أتم المبادئ الأولى في التعليم على يد والده وعمه بنواحي البيض وانتقل بعدها إلى مدينة فاس أين أخذ عن عبد القادر الفاسي ومحمد بن عبد الرحمن السهلي الطريقة الشاذلية، وعاد إلى موطنه وأنشأ زاوية والتي أصبح لها أتباع كثر وقد تحولت إلى طريقة بعد وفاته تعرف باسم الطريقة الشيخية⁴، ومن متصوفة الجزائر الذين وصلوا للمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر الميلادي الشيخ عبد الله بن إبراهيم الخياط، فبعدهما نزل بمدينة فاس ومكناسة قرر الاستقرار بجبل زرهون أين أسس زاويته التي أصبح لها صيت وشهرة فائقة في المغرب الأقصى، وبها كان يعقد المجالس العلمية لتدريس العلوم اللغوية والشرعية وتلقين مبادئ التصوف وتخرج على يديه العشرات من الطلبة والمتصوفة المغاربة⁵.

ومن أتباع الطريقة الشاذلية بالجزائر نجد الشيخ عبد القادر بن محمد المدعو سيدي الشيخ (ت1615م)⁶، وهو من تلامذة أحمد بن يوسف الملياني قرر زيارة مدينة فاس لأخذ مبادئ التصوف عن أقطاب الشاذلية⁷، ونفس الشيء يقال عن محمد الخروبي الذي كان يتبع الطريقة الشاذلية بالجزائر واستغل

¹ الطاهر بونابي: عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط...، ج2، المرجع السابق، ص224.

² العربي المشرفي: تمهيد الجبال وما وراءها من الجبال وإصلاح حال السواحل والثغور، دراسة وتحقيق بن فاطمة حليلة، القسم الثاني، مذكرة ماستر، جامعة تيارت، 2014م، ص78.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2، المرجع السابق، ص128-130، عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص261.

⁴ فتيحة حلوي: المرجع السابق، ص282.

⁵ زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية ...، المرجع السابق، ص412.

⁶ الطريقة الشيخية: نسبة لمؤسسها عبد القادر بن محمد المدعو سيدي الشيخ ولد سنة 1544م، وأخذ الطريقة اليوسفية وانتقل لمدينة فاس للتشيع من أفكار الشاذلية، وعاد للجزائر وأسس زاوية يدعو فيها الناس للطريقة الشاذلية ثم الطريقة الشيخية توفي سنة 1615م، ودفن بالأبيض سيدي الشيخ بالبيض حاليا، وقد انتشرت هذه الطريقة أكثر في عهد ولده الحاج أبو حفص المعروف باسم الحاج باحوص (ت1660م)، أنظر:

Mahammed Hadj Sadok: Op. Cit, p9

⁷ صلاح مؤيد العقي: المرجع السابق، ص359.

تنقله للمغرب الأقصى في إطار سفارة من السلطان العثماني نحو محمد الشيخ السعدي سنة 1554م أين زار بعض الأماكن الخاصة بهذه الطريقة بمراكش، وهناك وقعت له بعض المطارحات الصوفية مع أتباع الشيخ أبي عمرو القسطلبي المراكشي في بعض المسائل، وقد أخذ عنه الوظيفة والطريقة الزروقية كل من الشيخ علي الحاج ابن البقال الأغصاوي (ت1573م) والشيخ محمد بن عبد الرحمن الزروالي (ت1635م)¹، ومن متصوفة الجزائر الذين حطوا رحالهم بمدينة مكناسة نجد الولي سيدي محمد بن صالح الشهرير باسم عريان الرأس الذي أخذ مبادئ التصوف عن الولي سيدي أبو عبد الله محمد المكناسي الشهرير بأبي الرواين².

ومن متصوفة الجزائر الذين نزلوا بمراكش وأخذوا التصوف عن الشيخ سيدي أبي عمرو القسطلبي المراكشي نذكر سيدي عيسى بن محمد التلمساني الشهرير باسم أبي معزة، وانتقل بعدها لطرابلس الغرب وشرع في نشر طريقته المسماة بالعيسية أو الصيدية نسبة لتلميذه الذي طورها وهو سيدي الصيد الشريف الحسني الإدريسي الطرابلسي³، كما تنقل سعيد بن إبراهيم قدورة (ت1656م) لمدينة سجلماسة من أجل تقديم التهاني للشيخ ابن أبي محلي بعد افتكاكه المدينة من يد السلطان السعدي زيدان سنة 1610م من جهة، وأخذ مبادئ التصوف عن شيخه من جهة ثانية⁴، كما برز بمدينة فاس العلامة محمد بن عبد الكريم الجزائري (ت1690م) والذي كان من أتباع الطريقة القادرية، ويرى محمد الصغير الفاسي بأن الطريقة القادرية ازدهرت بمدينة فاس والمغرب الأقصى خلال القرن السابع عشر الميلادي على يد أبو الجمال الجزائري⁵.

ومن أعلام التصوف الجزائري بالحواضر المغربية الشيخ سيدي عبد العزيز بن خليفة القسنطيني الذي حط رحاله بمدينة سجلماسة، وتعلم على يديه هناك كل من الشيخ أبو محمد عبد الله بن عمر المطغري وأبو عبد الله محمد بن علي التمجروتي والد السفير علي صاحب النفحة المسكية وكانت له مراسلات عديدة معهم⁶، ومن متصوفة الجزائر بالمدن والحواضر المغربية أيضا العلامة الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني (ت1668م) وقد تأثر به الرحالة أبو سالم العياشي وكان يعتبره من شيوخه⁷، ونفس الشيء بالنسبة للشيخ محمد بن سليمان الجزولي صاحب كعبة الطائفين، والذي انتقل من تلمسان التي كان يقيم بها نحو مدينة وجدة المغربية، وهناك احتك بالشيخ الصوفي محمد بن عبد الرحمن الروفاني الوجدي

¹ عبد الله الترغي: الامام الخروبي...، المرجع السابق، ص261-262.

² عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص38.

³ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص90.

⁴ صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص477-478.

⁵ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص179.

⁶ محمد الحضيكي: الطبقات...، ج2، المصدر السابق، ص434، محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص151.

⁷ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص102، عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص135، 89.

(ت1644م) وأخذ عنه¹، والشيخ المتصوف محمد بن السعيد الهبري (ت1683م) الذي تنقل للمغرب الأقصى بحثا عن شيوخ الصلاح والتصوف، وارتحل بعدها لتونس وطرابلس وبها توفي وله عديد الأجوبة لمسائل صوفية².

وقد برزت شخصية علمية وصوفية كبيرة بمدينة فاس خلال القرن السابع عشر الميلادي من أصول جزائرية ونخص بالذكر سيدي أبو سرحان مسعود بن محمد الشراط (ت1621م)، وكان ولي صالح شهير صاحب كرامات تعود أصول عائلته لمدينة تلمسان، وأخذ عن الشيخ يوسف ابن عمر وسيدي أبي الشتاء دفين أمركو، وتوفي بمدينة فاس ودفن بروضته التي كانت مشهورة في ذلك الوقت وكان يتبع الطريقة الجزولية³، وخلال القرن الثامن عشر الميلادي انتقل العلامة والمتصوف محمد بن عبد الله الزجاجي التلمساني لمدينة فاس وهناك أخذ طريقة الجنيد، وقد كانت له مكتبة ثرية ضاعت أثناء ثورة درقاوة، ومن مصنفاته في التصوف المرآة المكية في آداب الطريق والأدعية، كما زار مدينة فاس أيضا من متصوفة الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي الشيخ البكري بن عبد الكريم التواتي (ت1720م) صاحب الطريقة البكرية⁴.

ومن الشخصيات ذات الأصول الجزائرية التي برزت بمدينة فاس خلال القرن الثامن عشر الميلادي بعلمها وتصوفها نذكر الشيخ عبد الرحمن بن إدريس المنجرة التلمساني (ت1755م) أحد شيوخ العربي الدرقاوي، فقد لازمه لمدة قرأ عليه القرآن كاملا بحكم أن المنجرة كان شيخ القراءات بالمغرب كله من دون منازع، وقد ذكره الدرقاوي كأحد شيوخه في رسائله⁵، وكذلك الشأن للشيخ الهاشمي بن علي بن بوشنتوف (ت بعد 1770م) وهو من العلماء الراشدية البارزين الذي حط رحاله بمنطقة وزان بالمغرب الأقصى، وتلمذ على يد الشيخ أبي عبد الله محمد الطيب شيخ الطريقة الطيبية وقد أذن له شيخه بالعودة للجزائر ونشر هذه الطريقة وهو ما تم⁶، ومن متصوفة الجزائر الذين أصبح لهم صيت كبير بمدينة الرباط نذكر أسرة سيدي أبي العباس التلمساني الذي شيد زاوية خاصة بعائلته بهذه المدينة وتسمى بالزاوية التلمسانية تولى هو شؤونها قبل أن تنتقل إدارتها بعده لولده الإمام والخطيب والمدرس والمفتي والقاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن القاضي التلمساني (ت1805م)⁷.

¹ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر... ج3، المرجع السابق، ص219.

² عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص310.

³ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج3، ص147-148.

⁴ عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص128، 328-329.

⁵ محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص306.

⁶ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص279.

⁷ محمد بوجندار: المرجع السابق، ص298.

ولعل أشهر شخصية صوفية جزائرية هاجرت للأراضي المغربية خلال العهد العثماني كان العلامة أحمد التيجاني والذي سنتطرق له في العنصر الخاص بانتقال الطرق الصوفية، وقد لحق به العديد من متصوفة الجزائر للتعلم على يديه في شاكلة الشيخ الحاج علي المسيلي والذي وفد على مدينة فاس من قسنطينة - وتعود أصوله لمدينة المسيلة - وكان ذلك قبل وفاة التيجاني سنة 1815م، وعاد لبلدته قسنطينة لنشر الطريقة التيجانية¹، والحاج علي الينبوعي التماسيني (ت1844م) الذي ولد بتماسين وانتقل لفاس بجوار الشيخ أحمد التيجاني وأصبح ذراعه الأيمن، وبعد وفاة الشيخ التيجاني أوصى بالمشيخة لتلميذه الحاج علي كما أوصاه بولديه محمد الكبير ومحمد الصغير الحبيب وطلب منه اعادتهما للجزائر²، ونفس الشيء للمقدمين الطاهر عبد الصادق القماري وأحمد بن سليمان التاغزوتي من وادي سوف الذين تنقل لمدينة فاس لحضور جنازة شيخهم التيجاني سنة 1815م³، وبرز بفاس بعد وفاة أحمد التيجاني ولده محمد الذي ولد سنة 1797م بمدينة فاس بعد هجرة والده إليها، وخذ العلم والتصوف عن والده ومختلف شيوخ القرويين، وبعد وفاة والده عاد لعين ماضي وتولى مشيخة الطريقة وقاد ثورة كبيرة على الأتراك سنة 1827م ضد الباي حسن انتهت بمقتله⁴.

وبعد أحمد التيجاني يأتي العلامة والشيخ محمد بن علي السنوسي من حيث مشاهير متصوفة الجزائر الذين زاروا المغرب الأقصى، فقد ولد سنة 1787م بضاحية ميثا بمستغانم ويعود نسبه للعلامة العقائدي الكبير محمد بن يوسف السنوسي، وقد تتلمذ على خيرة شيوخ مستغانم ومازونة وعلى رأسهم الرحالة أبو راس الناصري، وفي سنة 1805م حط رحاله بمدينة فاس من أجل التحصيل العلمي والصوفي في نفس الوقت، ويذكر البعض بأن سبب الرحلة يعود للثورة الدرقاوية ومحاربة باي وهران لأتباعها وكان السنوسي من بينهم، وهناك أخذ عن حمودة بن الحاج الفاسي وحمدون بن عبد الرحمن الفاسي والطيب الكيراني ومحمد بن عامر المعواني وأبو بكر الادريسي وادريس بن زيان العرافي، وبالنسبة للطرق الصوفية التي تأثر بها السنوسي نجد الطريقة الحبيبية والطيبية والتيجانية، ونظرا لشهرة جده محمد بن يوسف السنوسي الكبيرة بالمغرب الأقصى فقد أصبح السنوسي ذا مكانة عالية وتقلد المشيخة الكبرى وكرسي للتدريس بالجامع الكبير بفاس، ولم يغادر مدينة فاس إلا في سنة 1819م نحو الحجاز⁵.

وبعد بروز شخصية الدرقاوي بالمغرب الأقصى هاجر إليه عديد المتصوفة والشيوخ الجزائريون للنهل من علمه، ونخص بالذكر كل من الشيخ عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي بليل الكساني بوادي العبد

¹ محمود ابن المظماطية: سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة، مطبوع بقسنطينة، الجزائر، د.ت، ص12.

² عبد العزيز شبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص141.

³ تلمساني بن يوسف: المرجع السابق، ص78.

⁴ عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص292.

⁵ سعود دحدي: البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية 1842-1931م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م، ص10-06.

انتقل للمغرب الأقصى وبالضبط لبني زروال وأخذ عن مولاي محمد العربي الدرقاوي وأجازه هذا الأخير في الطريقة الدرقاوية، كما استشاره في محاربة الأتراك الظالمين وأباح له الدرقاوي ذلك بل اعتبره واجبا بقوله: (عليك بجهادهم وقتالهم وإن الله ينصرك عليهم بكمالهم)، وعاد الشريف مرصعا بلقب الدرقاوي عازما على محاربة أتراك الجزائر¹، ونفس الشيء حدث مع الشيخ أبو زيان بن أحمد الإغريسي المعسكري (ت1853م) الذي تتلمذ على يد العربي الدرقاوي، وقد توفي بمدينة فاس ودفن بروضة أولاد ابن إدريس، والشيخ بوغزي المهاجي التلمساني (ت1860م) الذي ينتمي لقبيلة بنو عامر، وأسس زاويتين واحدة بتلمسان وأخرى بوجدة، وكان من تلامذة العربي الدرقاوي، وقد استقر بمدينة فاس وتوفي بها ودفن بمسجد أبي مدين الغوث بحومة الرميطة من عدوة الأندلس بفاس²، ومن متصوفة مدينة القنادسة ببشار الذين حطوا رحالهم بمدينة فاس في بداية القرن التاسع عشر الميلادي الخطاط والشيخ محمد بن أبي القاسم القندوسي (ت1861م)، فبعدهما تتلمذ على يد شيخه محمد بن أبي زيان صاحب الطريقة الزيانية أو القندوسية ارتحل لفاس وهناك توفي، وقد ترك كتاب في التصوف إلى جانب أعمال كثيرة في فن الخط³.

ومن متصوفة الجزائر الذين حطوا رحالهم بمدينة فاس وكانوا من أتباع الطريقة الشاذلية الناصرية نذكر الفقيه الشيخ أبو محمد سيدي الحاج الداودي التلمساني (ت1854م)، ورغم أنه صال وجال في البلاد الإسلامية إلا أنه اختار الاستقرار بالزاوية الناصرية بفاس وبها توفي ودفن⁴، كما هاجرت العديد من الأسر الشريفية بتلمسان والمنتمين للطريقة القادرية نحو مدينة وجدة سنة 1827م كشعبة سيدي محي الدين وشعبة سيدي بن عبد الله وشعبة مولاي إدريس وشعبة سيدي عبد الرزاق⁵، ونفس الشيء لأتباع الطريقة الدرقاوية فبعد نهاية ثورتهم على باي الغرب وخشية من انتقام الأتراك هاجر العشرات والمئات من هؤلاء خاصة لما قتل شيخهم بلقندوز القداري التجيني، وكان ضريرا يعلم الطلبة القرآن الكريم وقتل خنقا سنة 1829م، وهو ما جعل تلاميذه يفرون للمغرب الأقصى أبرزهم الشيخ الشارف بن الجيلالي بن تكوك المستغاني مؤسس زاوية الشفا بمستغانم، والذي مكث بالمغرب الأقصى إلى غاية وصول القوات الفرنسية لوهران وسقوط الحكم العثماني أين رجع لبلاده وأعاد نشاط زاويته لكن لصالح الطريقة السنوسية وليس الدرقاوية⁶، ومن أبيات مرثياته لشيخه بلقندوز وهجاء الباي حسن:

¹ محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص272.

² محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص409، 415.

³ محمد تحريشي: المرجع السابق، ص20.

⁴ أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص368.

⁵ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص37.

⁶ سعاد بوسوفي: المرجع السابق، ص152.

ارحم شيخي بالقندوز ... مريد الشيخ المعزوز
بالقندوز المزهد ... في وسط الطلبة عابد
لابد في الذكر يمجد ... يخدم ربي بالنية
يا رب عذب حسن ... بركة بيت الله تعيان
بالنصر ثبت يدا ... ازجر علينا الأعداء
وبسورة الإخلاص ... الفالق مع الخناس
أمنعني من الوسوس ... فلا يقرب ليا¹

وتعتبر أضرحة الأولياء الصالحين وأقطاب التصوف ومختلف الزوايا التابعة للطريقة من أهم المناطق التي تلقى زيارة من طرف المتصوفة، وذلك لنيل البركة والشوق والحنين لهذا القطب، وبالخصوص هؤلاء الذين توفوا منذ عقود من الزمن²، ويعتبر ضريح عبد السلام بن مشيش (ت1229م) بجبل العلم بمنطقة الريف شمال المغرب الأقصى من أكبر الأضرحة مزارا للمريدين والمتصوفة، وتسمى بحج المسكين باعتبار أن هذه الرحلة تعوض الرحلة الحجازية³، فقد كان متصوفة الجزائر يزورونه بمجرد حلولهم بالمغرب الأقصى لما يمتلكه هذا القطب من سلطة روحية في نفوس المتصوفة وهو يضاهي مكانة أبو مدين الغوث بالجزائر، فزاره العديد من متصوفة الجزائر وكان من ضمنهم أبو حامد العربي المشرفي أثناء رحلته إلى شمال المغرب الأقصى⁴، ومن أبرز المحطات الصوفية المزارا بمدينة فاس من طرف متصوفة الجزائر زاوية أحمد التيجاني التي شيدها سنة 1801م، فبعد انتشار صيته بفاس وكثرة طلبته ومريديه أصبح منزله لا يليق بالمقام، فشرع في بناء هذه الزاوية على خربة مهدامة اشتراها بماله الخاص، وبدعم من السلطان سليمان العلوي الذي أرسل بألفي ريال للشيخ التيجاني، وأضحت هذه الزاوية مزارا لمختلف طلبة ومريدي الطريقة التيجانية من الجزائر والعالم الإسلامي خاصة وأن ضريح الشيخ يقع بداخلها⁵.

وكذلك الشأن للزاوية الدلائية التي عرفت زيارات عديدة لطلبة ومتصوفة الجزائر، فقد سبق وأن زارها العلامة أحمد المقري وربط علاقات صداقة مع شيخها محمد بن أبي بكر الدلائي⁶، وهناك تشعب أحمد المقري بمبادئ وأصول الطريقة الشاذلية والتي كان جده محمد المقري أحد شيوخها بالمغرب الأوسط باعتبار

¹ محمد شاطو: (السلطنة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية 1792-1830م)، مجلة المواقف، ع3، جامعة معسكر، 2008م، ص168، كمال فيلاي: هجرة علماء غريس وتلمسان...، المرجع السابق، ص377-378.

² أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص163.

³ خليفة حماش: وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب - المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط -...، المرجع السابق، ص372.

⁴ العربي المشرفي: تمهيد الجبال وما وراءها من الجبال وإصلاح حال السواحل والثغور، دراسة وتحقيق حدور بختة، القسم الأول، مذكرة ماستر، جامعة تيارت، 2014م، ص92-93.

⁵ تلمساني بن يوسف: المرجع السابق، ص74.

⁶ محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص319.

أنه من تلاميذ القطب أبي مدين شعيب الغوث بمدينة بجاية¹، كما عرفت زاوية بوبريح - التي تقع بقبيلة بني زروال مسقط رأس الشيخ مولاي محمد العربي الدرقاوي التابعة للطريقة الدرقاوية - زيارة العشرات والمئات من أتباع هذه الطريقة الصوفية وبالخصوص من الغرب الجزائري²،

ثانيا/- انتقال الطريقة:

لقد وصل عدد الطرق الصوفية بالجزائر إلى ثلاثة وعشرون طريقة، وحوالي ثلاثمائة وتسعة وأربعون زاوية قبيل دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830م³، ولعل أبرزها هي: الطريقة المدينية، والطريقة المليانية، والطريقة التيجانية، والطريقة السنوسية، والطريقة الشيخية، ولم يقتصر حضور هذه الطرق بالجزائر فقط بل انتقلت للتراب المغربي، وتمكنت من فرض نفسها هناك بل ونافست الطرق الصوفية المغربية.

1/- الطريقة المدينية:

وتعتبر أولى الطرق الصوفية التي انتشرت بمنطقة المغرب نسبة لشيخها أبي مدين شعيب الغوث، وقد انتقلت للمغرب في فترات متقدمة خلال القرن الثاني عشر الميلادي من خلال تلامذته الذين أخذوا عنه في بجاية وتلمسان وأبرزهم أبا داود المزاحم (ت1182م) الذي عاد لمنطقة الريف بالمغرب بعدما أخذ مبادئ التصوف السني من شيخه أبي مدين بمدينة بجاية، وشرع في نشر هذه المبادئ بمنطقة الريف والمغرب ككل، وكذلك الشأن لأبو محمد عبد الرزاق الجزولي الذي انتفع من علم أبي مدين بمدينة بجاية وعاد للمغرب الأقصى محملا بأفكار شيخه وتكفل بنشرها في المغرب والمشرق، كما وصلت أفكار أبي مدين للمغرب الأقصى عبر تلاميذه وأتباعه الجزائريون أمثال أبو عمرو بن علي التلمساني الذي حط رحاله بسجلماسة، وأبو عبد الله موفق البجائي الذي هاجر لمراكش، وإبراهيم بن يوسف الوهراني الشهير بابن قرقول الذي زار كل من سلا ومكناسة وفاس وسبتة، وأبو الربيع سليمان الونشريسي الذي حط رحاله بسلا، وأبو عبد الله محمد اللخي الشهير بابن الحجام التلمساني الذي سافر واستقر بمراكش⁴، وإذا اعتبرنا بأن المدينية كان حضورها قويا بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط فإن ذكرها كاد يندثر خلال العصر الحديث بل ذابت في الطريقة الشاذلية.

¹ محمد بن عبد الكريم: المقري وكتابه نفع الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دت، ص298-299.

² محمد البشير الفاسي: قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، منشورات جمعية علوم الانسان، الرباط، المملكة المغربية، دت، ص17.

³ حنان لطرش: المرجع السابق، ص45-46.

⁴ الطاهر بونابي: عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط...، ج1، المرجع السابق، ص427-430.

يمكن القول بأن الطريقة المليانية هي وليدة الطريقة الزروقية باعتبار أن أحمد بن يوسف الملياني مؤسس الطريقة كان تلميذا لأحمد الزروق الفاسي ببجاية، وقد وضع أحمد الملياني لأتباعه مجموعة من الشروط التي ينبغي أن تتوفر في مريد الطريقة اليوسفية، وتمثل في إعلان التوبة من كل الذنوب وأشهره بالانتماء للطريقة والاقرار بأهمية الشيخ الملياني والزهد في الدنيا، والتزام طريق ذكر الله في كل مكان وزمان والقيام والالتزام بالإصلاح الديني والاجتماعي في الوسط القبلي الذي يعيش فيه المريد¹، وقد اختلفت الدراسات حول كيفية دخول الطريقة المليانية للمغرب الأقصى، فهناك من أشار لأبو الحسن علي بن عبد الله الفلالي السجلماسي الذي أخذ مبادئ التصوف بالجزائر عن الملياني وعاد للمغرب الأقصى وتكفل بنشرها، وقد أشار لذلك ابن عسكر الشفشاوني في دوحة الناشر² إلا أنه أتهم بالزندقة واتباع مذهب الاباضية في عهد عبد الله الغالب السعدي، كما أخذها أحمد بن موسى الجزولي السملالي (ت1563م) عن الملياني، وتكفل بنشرها بمنطقة السوس وهناك أخذها عنه محمد العياشي والد الرحالة عبد الله أبو سالم العياشي الذي أخذها هو الآخر عن والده³.

كما وصلت الطريقة المليانية لمدينة درعة حيث وجدت بها زاويتين لهذه الطريقة وهما زاوية تكريفت وزاوية أفرا⁴، وتقر بعض المصادر المغربية بأن أحفاد العلامة أحمد بن يوسف الملياني كان لهم انتشارا واسعا بالحواضر المغربية وبالخصوص قرية شرفة بين بني حسان والشراردة ومراكش⁵، كما أشار البعض لدور الأندلسيون الذين حطوا رحالهم بالجزائر بعد سقوط غرناطة سنة 1492م في نشر هذه الطريقة بالمغرب الأقصى بحكم تنقلهم المستمر بين حواضر البلدين⁶. لكن الجدل حول الطريقة المليانية بالمغرب الأقصى بدأ مع انتشار طائفة الكعاكزة على يد أحمد بن عبد الله المنزلي والمرابط سليمان بن حفصة القلعي⁷ والذين يعتبران من أبرز تلاميذ وطلبة أحمد الملياني، واخذوا تسمية الكعاكزة من العكاز الذي كان سندا لهم في المشي، ويسمون أيضا بالشراكة والراشدية لكنهم يفضلون اسم الفرقة اليوسفية انتسابا إلى أحمد بن

¹ الطاهر بونابي: طريقة أحمد بن يوسف الملياني...، المرجع السابق، ص397-398.

² عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص35.

³ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص120، محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ص142.

⁴ أحمد البوزيدي: التاريخ الاجتماعي لدرعة خلال القرنين 17-19م، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1994م، ص326-328.

⁵ Archives marocaines publication de la mission scientifique du Maroc, volum 06, Op Cit, p.7-9.

⁶ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص104.

⁷ الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص399-400، محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص105.

يوسف الملياني رغم أن هذا الأخير تبرأ منهم وقتلهم¹ بسبب استحلالهم للحرام واقتحامهم للمناكر وتشويههم لتعاليم الدين الاسلامي².

ومن أبرز المعتقدات والأحكام التي نادى بها طائفة العكاكزة انكارهم لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وتركهم للصلاة والصوم إلا عند الضرورة للتستر من المسلمين، واعتقادهم بحلية فاحشة الزنا واعتقادهم بحلية أموال ودماء المسلمين³، وهذا ما جعل عبد الله الغالب السعدي يعلن عليهم الحرب فشرد وقتل بعضهم ونفى البعض الآخر، كما حارب هذه الطائفة بعض العلماء والفقهاء الذين أفتوا بضرورة محاربتها والقضاء على أتباعها باعتبارهم زنادقة، وأبرز هؤلاء الفقهاء أحمد الهشتوكي وقاضي سجلماسة عبد الملك التجموعي وقاضي مكناسة محمد المجاصي والحسن اليوسي الذي ألف فيهم تقييدا، وأبي القاسم بن سلطان القسنطيني الذي صنّف هو الآخر كتابا عنهم سماه تأليف في العكازين الطائفة الضالة الملعونة التي لازالت لها بقية في بلاد المغرب بقبيلة بني حسن⁴، وقد عادت هذه الفرقة للنشاط من جديد خلال حكم مولاي اسماعيل العلوي، وهذا ما جعله يعلن الحرب عليهم أين حاصره في زاويتهم البوسونية وقتل منهم حوالي ثلاثة وستين رجلا وعفى عن البقية الغير متشددين⁵.

ولم تقتصر حركة الفوضى الدينية والفكرية بالمغرب الأقصى على طائفة العكاكزة أو اليوسفية فقط بل تعداها إلى انتشار ظاهرة جديدة بمنطقة المغرب، وهي الحركة المهدوية التي تزعمها محمد بن عبد القادر التاهرتي والذي تعود أصوله لمدينة تمهت الجزائرية - تيارت حاليا - الذي نشط في منطقة بتزيت ما بين (1625-1629م) وكانت له مراسلات مع التمارتي الذي حاربهم وجاهدهم بمختلف السبل⁶، وقد تفرعت عن الطريقة اليوسفية أو المليانية بالمغرب الأقصى ثلاثة طرق صوفية وتتمثل في الطريقة الغازية التي تأسست على يد أبي القاسم الغازي الفيلاي بوادي درعة سنة 1526م وهو من تلاميذ الملياني، وعن الغازي تتلمذ كل من أبي عبد الله محمد الفيلاي وشقيقه أبي العباس أحمد الفيلاي حيث شيدت مجموعة من الزوايا بمراكش تتبع الطريقة الغازية المليانية نذكر منها زاوية باب دكالة وزاوية روض العروس وزاوية أبي العباس السبتي وزاوية باب إيلان⁷، والطريقة الناصرية التي أسسها محمد بن ناصر الدرعي بمنطقة تمجروت وقد

¹ محمد القادري: المصدر السابق، ص 136.

² أحمد السلاوي: المرجع السابق، ج 5، ص 50-51، عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص 41.

³ محمد حجي: الحركة الفكرية في عهد السعديين...، ج 1، المرجع السابق، ص 238.

⁴ عبد السلام بن سودة: دليل مؤرخ المغرب...، المصدر السابق، ص 49، محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي...، المرجع السابق، ص 112.

⁵ الحسن اليوسي: الرسائل...، المصدر السابق، ص 272، محمد بن الطيب القادري: نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، ج 3، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1977م، ص 53.

⁶ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص 50.

⁷ حسن جلاب: الحركة الصوفية بمراكش - ظاهرة سبعة رجال -، ط 1، المطبعة والوراقة المغربية، المملكة المغربية، 1994م، ص 137.

درس الدرعي (ت1687م) على بعض تلاميذ الملياني بالمغرب الأقصى، والطريقة السهيلية والتي أسسها محمد بن عبد الرحمن السهيلي سنة 1540م بجبل سهول بمدينة سجلماسة بعدما درس عند الملياني¹.

3/- الطريقة السنوسية:

تعتبر الطريقة السنوسية لصاحبها محمد بن علي السنوسي الطريقة الصوفية الوحيدة التي تبنت مشروع توحيد الأقطار العربية والإسلامية، وقد اعتمد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني على مبادئ الطريقة السنوسية في بعث مشروع الخلافة الإسلامية فيما بعد²، فقد كانت تعتبر منطقة المغرب موطنها لها، وذلك لأن محمد السنوسي صال وجال في مختلف المغرب فهو من مواليد الجزائر ودرس بفاس ومر بتونس واستقر بليبيا³، فبعدهما ولد ونشأ بأحواز مستغانم بالغرب الجزائري قرر الرحيل نحو مدينة فاس سنة 1821م أين درس بها لمدة تسعة سنوات كاملة⁴ أخذ العلم خلالها عن خيرة أعلام فاس في شاكلة حمودة بن الحاج وحمدون بن عبد الرحمن والطيب الكيراني ومحمد بن عامر المعواني وأبي بكر الإدريسي وإدريس بن زيان العراقي ومحمد بن منصور ومحمد بن عمر الزروالي ومحمد البازعي.

وبالنسبة لعلم التصوف فقد أخذه السنوسي عن العربي الدرقاوي الذي كان يمثل الطريقة الشاذلية بفاس قبل أن يؤسس طريقته الخاصة والمعروفة بالطريقة الدرقاوية، وقد أصبح السنوسي مدرسا بالجامع الكبير بفاس بل ونال المشيخة الكبرى بها، كما درس لدى محمد بن الطاهر الفيلاي كل من مختصر السعد وجمع الجوامع والسلم للأخضري ومختصر خليل، ودرس لدى أبو بكر بن زياد الإدريسي الفرائض والحساب والاسطرلاب والهندسة والهيئة والطبيعة، وأخذ الموطأ والفقاه المالكي عن محمد بن عامر المعداني ومحمد بن عبد السلام الناصري، وكان من مبادئ الطريقة السنوسية تحقيق الألفة بين قلوب المسلمين واجتماعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية، ويعتبرونه من أعظم مراتب الجهاد في الحياة، وقد انتشرت الطريقة السنوسية في كل من فكيك وفاس وتطوان وطنجة ومراكش⁵.

¹ Mahammed Hadj Sadok: Op Cit, p.91.

² منى صالح: (دور السنوسية في التقارب الجزائري العثماني في نهاية القرن التاسع عشر)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع16، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014م، ص293-294.

³ عبد الرحيم تشايحي: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1982م، ص61.

⁴ عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص134.

⁵ خالد صقلي: (دور المتصوفة والزوايا في تحقيق التمازج الاجتماعي والثقافي والصوفي بين المغرب والجزائر تأكيد للهوية المشتركة)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص667، فطيمة مطهري: المرجع السابق، ص335.

4/- الطريقة الرحمانية:

تأسست هذه الطريقة على يد محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجري الشهير بالأزهري المولود سنة 1720م بقبيلة آيت اسماعيل بجرجرة، وقام برحلة حجازية سنة 1739م وهناك استقر به المقام بالأزهر الشريف بمصر لمدة قاربت الثلاثين سنة، فأخذ الطريقة الخلوتية على يد شيخه محمد بن سالم الحفناوي ثم عاد للجزائر سنة 1769م، وأسس زاويته بمدينة آيث اسماعيل مسقط رأسه كما أسس زاوية أخرى بالحامة بمدينة الجزائر لنشر الطريقة الخلوتية قبل أن يعلن عن قيام الطريقة الرحمانية، وبعد وفاته سنة 1794م وتزاحم الناس على ضريحه بأيث اسماعيل بتيزي وزو قرر الحكام الأتراك نقل جثمانه لبلكور بالعاصمة حتى يبقى قريبا من أنظار الدايات وهو ما أكسبه لقب بوقبرين، وقد انتشرت طريقته في المناطق الصحراوية وبالخصوص حواضر بسكرة من خنقة سيدي ناجي وطولقة إلى أولاد جلال وبرج بن عزوز¹ إضافة لمدن الجزائر وتيزي وزو وسطيف وقسنطينة، فقد وصل أتباعها سنة 1898م لحوالي مائتين وأربعة عشر ألف ومائة وستة وخمسون مريد².

أما طريقة انتقالها للمغرب الأقصى فقد ذكر عبد المنعم القاسمي الحسني بأن العلامة محمد بن عبد الرحمن الأزهرى مؤسس الطريقة وفي طريقه للعودة من الحجاز مر على مدينة فاس، وهناك كان له لقاء مع السلطان العلوي وقد شكره هذا الأخير على الزيارة وطلب منه المكوث بمدينة فاس حتى يعطي الأوراد ويذكر عباد الله إلا أن الأزهرى رفض ذلك وقرر العودة للجزائر، وقد كانت له زاوية بمدينة فاس وكان له أتباع كثير، وهو ما يقوي فرضية مرافقته من طرف الشيخ علي بن عيسى المغربي الذي تولى المشيخة الرحمانية بعد وفاة شيخه سنة 1793م وتلميذه الآخر سي الحاج البشير المغربي الذي تولى المشيخة أيضا بين (1836-1841م) كما ساهمت القوافل التجارية والحجازية المارة بالجزائر وبالخصوص على بسكرة في نقل هذه الطريقة للحواضر الصحراوية المغربية³.

5/- الطريقة التيجانية:

تنسب هذه الطريقة الصوفية الشهيرة للشيخ أحمد بن محمد المختار التيجاني ولد ونشأ وترعرع بعين ماضي بالأغواط سنة 1737م، وتعود أصول عائلته إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ بمدينة البيض حاليا تولى التدريس بعد وفاة والده ثم ارتحل لفاس سنة 1758م من أجل تعميق معارفه اللغوية والشرعية والصوفية أين تشبع من الطريقة القادرية على يد الشيخ محمد بن حسن، وشرب من أوراد الطريقة الناصرية على يد

¹ اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص34.

² حنان لطرش: المرجع السابق، ص50.

³ عبد المنعم القاسمي: (الزاوية الرحمانية وأثرها في الوحدة المغاربية). مجلة الدراسات الإسلامية، ع9. المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر.

2006م، ص143، 151.

الشيخ محمد بن عبد الله التزاني، وأخذ من الطريقة الطيبية على يد شيخها الطيب الوزاني، ولما عاد للجزائر حط رحاله بزواوة وأخذ الطريقة الرحمانية على يد شيخها عبد الرحمن الأزهري، وفي تونس أخذ الطريقة الخلوتية على يد الشيخ محمود الكردي، وأخذ في المدينة المنورة أوراد الطريقتين الشاذلية والزروقية، وبذلك نجد التيجاني تشعب بمختلف الطرق الصوفية المغربية والمشرقية وأصبح مهياً لتأسيس طريقة صوفية خاصة به¹، وسنحاول في الجدول التالي حصر أبرز المعارف الصوفية التي حصلها التيجاني بالمغرب الأقصى²:

الشيخ الذين أخذ عنهم	طبيعة الاستفادة
الطيب بن محمد اليملي	سمع منه الطريقة الطيبية الشاذلية الجزولية وأجازه فيها
محمد بن الحسن الوانجلي	أخذ عنه بعض من مبادئ الطريقة الشاذلية
محمد الصقلي الفاسي	استفاد منه باعتباره شيخ الطريقة الخلوتية بفاس
عبد الله ابن العربي الأندلسي	أخذ عنه بعض مبادئ التصوف
أحمد الطواش التازي	استفاد منه في الطريقة القادرية
محمد بن عبد الله التازي	أخذ عنه الطريقة الناصرية الشاذلية
أحمد الحبيب السجلماسي	أخذ عنه بعض من مبادئ الطريقة الصديقية

ومن مدينة فاس ارتحل التيجاني للحج وبعد عودته بدأ في النشاط الصوفي بتلمسان ثم فاس ومنها إلى بوسمغون بالجزائر، وهناك أعلن بصفة رسمية تأسيس الطريقة التيجانية سنة 1778م³، وهو ما جعله مقصدا للطلبة والمريدين من داخل وخارج الجزائر مستغلا ابتعاد أنظار بايات الغرب من جهة وحركة التجارة نحو السودان جنوب الصحراء من جهة ثانية. هذه الشهرة البارزة جعلت بايات الغرب الجزائري يضعون هذه الطريقة وزعيمها تحت المراقبة حيث قاد الباي محمد الكبير حملة عسكرية على عين ماضي والأغواط سنة 1784م بعدما رفض ساكنتها دفع الضريبة، وأمام التضيق المتواصل والمتكرر من طرف البايات قرر أحمد التيجاني الارتحال نهائيا من الجزائر نحو مدينة فاس برفقة أولاده وعائلته وأتباعه سنة 1798م أين استقبله مولاي سليمان العلوي بحفاوة كبيرة ومنحه منزلا من منازل السلطان بفاس وضمه إلى مجلسه، وكان السلطان ينهل من علمه كما منحه عقارات وأراضي من أجل تأسيس زاويته⁴.

¹ عبد العزيز شهي: المرجع السابق، ص 137-138.

² تلمساني بن يوسف: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1782-1900م. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1998م، ص 66-67، الغالي بن لباد: الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية دراسة أنثروبولوجية، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2009م، ص 42-43.

³ حنان لطرش: المرجع السابق، ص 51.

⁴ محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص 28-31.

ورغم أن التيجاني رفض هذا البيت إلا أن مولاي سليمان ألح عليه فقبلها التيجاني وكان يتصدق ثمن أجرتها كل شهر على الفقراء¹، وفي سنة 1799م جسد أحمد التيجاني مشروعه المتمثل في زاوية فاس وقيل أنها شيدت على أرض ملك لبيت ابن جلال التلمسانية²، وبعدها شرع في تأسيس عديد الزوايا بالمغرب الأقصى وعين لها مقدمين، كما وفد عليه عديد الأتباع من إفريقيا جنوب السودان وعادوا بعدها لموطنهم وأسسوا عديد الزوايا هناك³، وتطرح علاقة مولاي سليمان العلوي بالطريقة التيجانية عديد الاشكالات التاريخية، فلا يمكن للسلطان سليمان أن يجمع بين المتناقضين فمن جهة جلب الوهابية للمغرب الأقصى وكان من أشد الداعمين لها، والمعروف بأن الوهابية معارضة بشدة للطرقية، ومن جهة ثانية كان من أبرز التابعين والمتعاطفين مع الطريقة التيجانية⁴، ويجب حسن جلاب على هذه الاشكالية بأن قبول مولاي سليمان وانخراطه في الطريقة التيجانية ليس حبا فيها أو في التصوف بل من أجل ضرب الطريقة الدرقاوية التي بدأت تتمدد في التراب المغربي وتتحول لمشروع سياسي مثلما حدث مع الزاوية الدلائية من قبل، وبذلك رأى سليمان بأن التيجانية هي الطريقة المناسبة من أجل ازاحة الدرقاوية من الساحة الصوفية بالمغرب خاصة بعدما أعلن سليمان دخوله لهذه الطريقة مع مخزنه حتى يعطيها الصبغة الرسمية⁵.

وبالعودة للجزائر فقد ترك أحمد التيجاني مشيخة الطريقة بيد الحاج علي بن عيسى بزاوية تماسين بوادي ريع⁶، كما عبر التيجاني عن حبه وحنينه لمسقط رأسه عين ماضي والجزائر، فقبل موته بفاس أوصى شيخ الطريقة التيجانية بالجزائر الحاج علي التماسيني بضرورة نقل ولديه من فاس إلى الجزائر⁷، ومن مبادئ الطريقة التيجانية أن أتباعها يسمون بالأحباب ولا يجوز لأي أحد منهم الانخراط في طريقة أخرى، وأن يقرأ ورد الطريقة مائة مرة كل يوم، ويجب أن يحترم ويطيع حكام البلد⁸، وللطريقة التيجانية عدة وصايا تركها أحمد التيجاني لطلبته بفاس وهي طاعة الوالدين وأداء الشعائر الدينية على أكمل وجه والنصح والإخلاص في العمل وطلب العلم النافع واجتناب التدخل فيما لا يعني الفرد⁹.

¹ تلمساني بن يوسف: المرجع السابق، ص74.

² عبد الرحمن الفاسي: المصدر السابق، ص127.

³ عبد العزيز شهي: المرجع السابق، ص139.

⁴ للتعلم أكثر حول علاقة مولاي سليمان بالوهابية والتيجانية، أنظر: (الزاوية رشيد: مولاي سليمان بين الوهابية والتيجانية، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م، ص46-57).

⁵ حسن جلاب: المرجع السابق، ص135.

⁶ توفيق دحماني: المرجع السابق، ص416-418.

⁷ تلمساني بن يوسف: المرجع السابق، ص70-71.

⁸ عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص235-236.

⁹ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص48.

وعلى عكس الطريقة الدرقاوية التي كانت تدعو للتشدد والتعسف في الحياة والابتعاد عن الملذات فإن الطريقة التيجانية دعى صاحبها إلى التجميل بالحياة حيث كان يلبس أعلى وأفخم الألبسة ويركب أحسن المراكب ويسكن في قصر بهيج بمدينة فاس، وهو ما جعل أتباع الطريقة التيجانية يغلب عليهم الغنى عكس أتباع الطريقة الدرقاوية، وقد تعرضت التيجانية لهجوم شرس بالمغرب من طرف الأشراف باعتبار أن التيجاني ليس من هذه الفئة التي يحق لها وحدها ادعاء التصوف والصلاح، ومن جهة ثانية بسبب تخلي التيجانية عن أبرز مبادئ الشاذلية والجزولية في الحث على زيارة الأضرحة والاعتناء بالقبر والقبور وهو ما جعل التيجانية موازية لخط الوهابية¹، وبالنسبة لانتشار الطريقة التيجانية فيذكرين سنة 1882م بأن لها حوالي سبعة عشر زاوية ومائة مقدم وإحدى عشر ألف واثنين وثمانون مريد أما مراكزها بالجزائر فقد انتشرت في كل من عين ماضي وتمراست والأغواط وتقرت وورقلة ووادي سوف وبوسمغون...².

وبالنسبة للمغرب الأقصى فتشير الإحصائيات الفرنسية إلى أن الطريقة التيجانية كانت تتربع على عرش الطرق الصوفية هناك من حيث عدد الزوايا والأتباع، والذين وصل عددهم إلى خمسون ألف مريد، وتأتي مدينة فاس في المرتبة الأولى وتليها مدينة آسفي³، ومن أبرز زوايا الطريقة التيجانية تلك التي كانت بمدينة القصر الكبير شمال المغرب الأقصى وبالضبط بحي النيارين، وكان مريدوها من تجار فاس الوافدين على المدينة بالإضافة إلى فقهاء القصر الكبير، كما انخرط فيها رجالات الدولة بالمدينة كالباشا والقاضي ومختلف شيوخ بوادي المدينة⁴، وبمدينة مكناسة عاصمة العلويون كانت التيجانية هي الطريقة رقم واحد فقد انخرط فيها عامة الناس والفقهاء وأغلب أمراء القصر العلوي وخدامه وكتابه ووزراءه أبرزهم الأمير عبد السلام ابن السلطان سليمان العلوي⁵، وقد نشرها طلبة التيجاني في مختلف المدن المغربية كعلي حرازم وعبد الواحد بوغالي والقاضي سكيرج الفاسي ومحمد بلقاسم المكناسي ومحمد الغالي الحسني⁶، ووصلت التيجانية أيضا إلى منطقة السوس بالجنوب⁷.

ومن زوايا الطريقة التيجانية مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بالمغرب الأقصى إلى جانب زوايتها الشهيرة والرئيسية بفاس نجد زوايا مدينة مراكش كزاوية القصور وزاوية حي أبي العباس السبتي وزاوية حي

¹ محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين.... المرجع السابق، ص 289-290.

² حنان لطرش: المرجع السابق، ص 51.

³ خالد صقلي: المرجع السابق، ص 664.

⁴ سعيد الحاجي: (الزوايا والطرق الصوفية بمدينة القصر الكبير شمال المغرب أمودجا)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م، ص 64.

⁵ محمد المنصور: المرجع السابق، ص 292.

⁶ تلمساني بن يوسف: المرجع السابق، ص 110-111.

⁷ شيخ لعرج: موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2017م، ص 26.

الباب الأحمر وزاوية القصبية وزاوية باب إيلان، وانتشرت زوايا أخرى في كل من وريكة والرحامنة والسراغنة وكلاوة وسكتانة، كما نشرها الشيخ الشاهد الوزاني في منطقة وزان، والشيخ العباس الشرقاوي في شرقاوة، والشيخ عبد الله بن حمزة العياشي من حفدة أبو سالم العياشي في منطقة آيت عياش¹، وبعد وفاة التيجاني سنة 1815م تعرضت الطريقة التيجانية لهجوم شرس من قبل الطرق الصوفية الأخرى، وبالخصوص أتباع الطريقة الدرقاوية وبعض العلماء والفقهاء بعد انتشار فكر تقديس التيجاني حيث هاجمها الزياتي في الترجمانة الكبرى، والميلي في الصوارم والأسنة، ومحمد الخضر الشنقيطي في كتابه مشتهى الخارق الحاني في رد زلقات التيجاني الجاني، وعبد الحفيظ العلوي في كتابه كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع، ومن أبرز الأعلام التي دافعت عن التيجانية الوزير والأديب الكبير محمد بن أحمد الكنسوس الذي درس عند التيجاني بفاس وانضم للطريقة سنة 1822م فأسس زاوية خاصة بها بمراكش والتي أصبحت تضاهي الزاوية الأم بفاس².

كما وضع مؤلفين يدافع فيهما عن التيجانية ويهاجم الدرقاوية وهما كتاب الجواب المسكت ثم أضاف كتاب آخر عنوانه الحلل الزنجفورية، وقد كان الرد من أتباع الطريقة الدرقاوية من طرف المؤرخ الجزائري أبو حامد العربي المشرفي في كتابه درأ الشقاوة عن سادات درقاوة، وخصص مصنف آخر لمحمد الكنسوس عنوانه بالحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعفري الناطق بخرافات الجعسوس سيئ الظن الكنسوس³، وبعد وفاة الشيخ أحمد التيجاني بتاريخ 19 سبتمبر 1815م بمدينة فاس أوصى بالمشيخة من بعده لعلي بن عيسى الينبوعي شيخ زاوية تماسين بوادي ريغ بورقلة، وهي إشارة منه لبقاء مشيخة الطريقة التيجانية بالجزائر وليس بالمغرب الأقصى رغم أن طلبته بمدينة فاس كثر⁴، كما ظهر أحد أحفاد التيجاني بمدينة فاس نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ويسمى بمحمود بن البشير بن محمد بن أحمد التيجاني ولا نعرف هل هو حفيد محمد الكبير أو محمد الصغير الحبيب ولدي الشيخ أحمد التيجاني، وقد قام الشيخ محمود التيجاني برحلة من فاس إلى الرباط مروراً بمكناسة سماها غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود ألفها أحمد السكيج سنة 1911م وصف فيها مآثر الدولة العلوية بالرباط⁵، وقد نال أحمد التيجاني المدح والثناء من طرف أعلام المغرب الأقصى في شاكلة الشيخ محمد غيلان الذي ترك فيه الأبيات التالية:

¹ حسن جلاب: المرجع السابق، ص 236.

² تلمساني بن يوسف: المرجع السابق، ص 110-111.

³ العربي المشرفي: تمهيد الجبال وما وراءها من الجبال وإصلاح حال السواحل والثغور، دراسة وتحقيق حدور بختة، القسم الأول، مذكرة ماستر، جامعة تيارت، 2014م، ص 28-29.

⁴ بوداوية بلحيا: التصوف في بلاد المغرب العربي، دار القدس العربي، الجزائر، 2009م، ص 81-82.

⁵ توجد نسخة من الرحلة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1029، أنظر (بدر المقري: مساهمة بيليوغرافية في تكشيف المحور العمراني والعسكري في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 82).

هذي مطالع أنوار السعادات ... أم ذي حدائق أزهار الكمالات
إن تـرم نيل الأمانى ... فألـزم القطب التجاني
إن تـفـز منه بقرب ... لك بشـرى وتهانى¹

كما مدحه سيدي حمدون ابن الحاج وأثنى عليه قائلاً:

إن شئت تصبح في رياض أمان ... وأردت تغدو في منى وأمان
فعليك بالبدر المنير سنا أبي ... العباس أعني أحمد التجاني
شمس السيادة قطب دائرة الهدى ... بدر السعادة كوكب الإحسان
بحر النداميد لنا حكما سمت ... كفرائد في العقد والتيجان
حبر إمام قد سما بمعارج ... في الصالحات ولم يكن متوان²

6/- الطريقة الشيخية:

وتنسب للشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة البوبكري المشهور باسم سيدي الشيخ، والذي ولد بقصر الشلالة الظهرانية التابعة لولاية البيض حالياً سنة 1533م، وقد كان والده سليمان وجده أبي سماحة من الرجال الصالحين والمرابطين، فقد كانت أضرحتهم بالمنطقة مزاراً لمختلف المتصوفة من داخل الجزائر وخارجها، وقد أكمل الشيخ عبد القادر تعليمه في فكيك المغربية عند أخواله على يد الحاج بن عامر وعبد الجبار الفجيجي وأحمد بن موسى الكرزازي واتصل بعدها بشيخ التصوف المغربي محمد السهلي بسجلماسة فأخذ عنه سند الطريقتين الزروقية واليوسفية، والذي أمره بالرجوع للجزائر ونشر مبادئ التصوف وهو ماتم حيث دخل للجزائر ومنها لقرية الأبيض سيدي الشيخ التي أسس بها زاويته الشهيرة والتي تحولت لطريقة صوفية منفردة تتبع الطريقة الشاذلية وتسمى بالطريقة الشيخية، وقد انتشرت الطريقة الشيخية في المغرب الأقصى أين كان لها مقدمين في كل من فكيك وفاس ومراكش³، كما وصلت للمغرب الأقصى طرق صوفية أخرى صحيح ليست جزائرية لكن الفضل في وصولها كان على يد متصوفة جزائريين، كالطريقة الشاذلية التي تعتبر من أقدم الطرق الصوفية بمنطقة المغرب وتنسب لأحمد بن مخلوف الشاذلي (ت1482م)، وقد كانت هذه الطريقة بعيدة تماماً عن السياسية والحكم⁴.

ويعتبر نصر بن أحمد الحناشي من سوق أهراس أول من أدخلها للجزائر بعدما ذهب لتونس ودرس عند شيخ الطريقة أحمد بن مخلوف الشاذلي، وشيدت أول زاوية لهذه الطريقة بمنطقة ششار بخنشلة سنة

¹ عبد العزيز بن عبد الله: معلمة التصوف الإسلامي، ج2، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط، المملكة المغربية، 2001م، ص175-176.

² محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص199.

³ محمد الكبير فريقي: (تأسيس الطرق الصوفية في إقليم الساورة)، ضمن منشورات ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص18-19، عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص38-39.

⁴ حنان لطرش: المرجع السابق، ص53.

1618م على يد محمد المسعود بن محمد بنور وكانت بمثابة الزاوية الأم للشايبة بالجزائر، ومن الجزائر وانتقلت للمغرب الأقصى¹، وكذلك الشأن للطريقة البكداشية التي انتشرت بالجزائر مع التواجد العثماني في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ومن أبرز مريدها العلامة محمد بن علي الخروبي ولا نستبعد فكرة نشرها بفاس ومراكش أثناء زيارته السفارية للمغرب الأقصى²، ونفس الشيء بالنسبة للطريقة النقشبندية التي تنسب للشيخ بهاء الدين محمد نقشبند البخاري (ت1388م) وقد كانت من أبرز الطرق الصوفية بالدولة العثمانية³، وقد سادت هذه الطريقة الصوفية العصور الوسطى وعرفت انتشارا مع دولة السلاجقة والدولة العثمانية وانتشرت مع هذه الأخيرة في مختلف الأقطار التي توسعت فيها⁴، وقد وصلت للجزائر عبر بعض المتصوفة والفقهاء الأتراك الذين تولوا منصب القضاء والافتاء الحنفي بمختلف مساجد الجزائر، كما وصلت للمغرب الأقصى عن طريق الرحالة عبد الله العياشي الذي أخذها عن شيخه عيسى الثعالبي والذي كان من أكبر شيوخها بالحجاز بعدما أخذها هو الآخر عن الشيخ صفي الدين القشاشي⁵.

ثالثا/- الأدب الصوفي الجزائري بالحواضر المغربية:

لقد ظهر الأدب الصوفي للوجود بمنطقة المغرب بشكل مكثف خلال القرن السادس عشر الميلادي وقد انتقد الرحالة الحسن الوزان هذه الظاهرة حيث يذكر أحمد الوارث بأن كتاب دليل مؤرخ المغرب الأقصى لصاحبه عبد السلام بن سودة تضمن حوالي ألف وثمانمائة وستة وثمانون مصدرا نجد منها حوالي ألف وخمسمائة وأربعة وخمسون مصدرا تعود للقرن السادس عشر الميلادي وأغلبها في الأدب الصوفي عامة والمناقب والتراجم والرحلات بشكل خاص، وهذا ما يؤكد بأن ظاهرة التصوف كظاهرة مادية ملموسة بالمغرب الأقصى والمغرب ككل تجسدت خلال القرن السادس عشر الميلادي وذلك راجع للتغيرات السياسية التي طرأت على المنطقة من غزو أوروبي للسواحل المغربية وقيام كيانات سياسية جديدة تتنوع بين المحلي - السعديون والعلويون بالمغرب الأقصى - والأجنبي - الأتراك بالجزائر وتونس وليبيا -، فلم تقتصر عملية التواصل الروحي والصوفي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث على تنقلات المتصوفة والطرق الصوفية بل تعداها إلى انتقال مختلف المعارف والآداب الصوفية كالمصنفات والمكاتبات والاجازات والمناظرات.

¹ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص28.

² محمد أبي راس الناصري: الحلل السندسية... المصدر السابق، ص87.

³ محمد بن الطيب القادري: الإكليل والتاج... المصدر السابق، ص573، محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص172.

⁴ أنا ماري شيمل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، بغداد، العراق، 2006م، ص413-415.

⁵ صفي الدين القشاشي: هو أحمد بن محمد بن يونس الدجاني القشاشي (ت1071هـ) أصله من القدس بفلسطين، وكان من كبار شيوخ الطريقة النقشبندية في الحجاز وله ما يزيد عن سبعين مؤلفا في التصوف، أنظر: (عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر... المرجع السابق، ص263، عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص100).

تم بالمغرب الأقصى تداول مصنف ابن قنفذ القسنطيني (ت1407م) حول التصوف والذي سماه أنس الحقيير وعز الفقير، وقد ألفه ابن قنفذ خصيصا للمتصوف الكبير أبي مدين شعيب الغوث يتبع فيه سيرته وتلامذته وكراماته، وهو ما جعله ينتشر بشكل كبير وواسع في مختلف الحواضر المغربية لقيمة وأهمية أبي مدين الصوفية بمنطقة المغرب ككل، وقد ذكر ليفي بروفنصال عند تحقيقه لهذا المؤلف بأن أقدم نسخة مخطوطة له تعود للقرن الثامن عشر الميلادي وجدت بالمغرب الأقصى¹، كما يذكر أحمد بابا التنبكتي بأنه اطلع في مدينة مراكش على مصنف النصح الخالص لمحمد ابن مرزوق الحفيد التلمساني في التصوف واستدل به في تأليف كتابه تحفة الفضلاء، ولعل أشهر مؤلف جزائري في التصوف وصل للمغرب الأقصى هو كتاب العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة للشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت1470م) فقد استدل به أحمد بابا السوداني في تأليف كتابه تحفة الفضلاء، وهذا ما يؤكد بأن هذا المصنف كان متوفرا بمراكش أين كان يقطن أحمد بابا².

ومن المصنفات الصوفية المناقبية الجزائرية التي وصلت للمغرب الأقصى نذكر كتاب المواهب القدسية في المناقب السنوسية لصاحبه محمد بن ابراهيم الملاي التلمساني (ت1491م) وهو أحد تلامذة السنوسي، وقد وصل المؤلف للمغرب الأقصى ونسخه الشيخ عبد الرحمن بن الحاج علي بن سودة المري وهو الآن موجود بخزانة الزاوية العياشية³، ومن أعلام التصوف بالجزائر خلال القرن الخامس عشر الميلادي نجد محمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني (ت1505م) والذي ترك مصنفا في التصوف سماه الوسائل العظمى للمقصد الأسمى، وقد انتقل للمغرب الأقصى عبر متصوفة تلمسان وشاع استعماله في مختلف الزوايا خلال العصر الحديث وتوجد نسخة واحدة فقط من الكتاب وهي بالمغرب الأقصى⁴، كما ترك عبد الواحد الونشريسي (ت1549م) قصيدة شعرية في التصوف تتألف من تسعة عشر بيتا سماها قصيدة في التوسل بأولياء سينية ابن باديس⁵، وهذا ما يؤكد بأن سينية حسن ابن باديس القسنطيني (ت1469م) المشهورة باسم أنس الجليس عن سينية ابن باديس كانت هي الأخرى منتشرة في ربوع المغرب الأقصى عموما وبمدينة فاس بالخصوص وقد شرحها علامة المغرب محمد بن أحمد بن غازي المكناسي (ت1513م)⁶.

¹ عبد الرحمن بلفرح: المرجع السابق، ص98-99.

² أحمد بابا التنبكتي: تحفة الفضلاء... المصدر السابق، ص40، 27، 51.

³ يحمل رقم 01/289 أنظر (حميد لحمير: المرجع السابق، ص1114).

⁴ عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر... المرجع السابق، ص320.

⁵ مخطوط بالخزانة العلمية الصبيحية بمدينة سلا تحت رقم 02/307، أنظر: (الحسن الصادقي: المرجع السابق، ص269).

⁶ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص308.

كما ترك أبو القاسم بن سلطان القسنطيني خلال القرن السادس عشر الميلادي مؤلفا حول الفرقة الصوفية الضالة فرقة العكاكزة وسماه تأليف في العكازين الطائفة الضالة الملعونة التي لازالت لها بقية في بلاد المغرب بقبيلة بني حسن¹، وترك عبد الله العنابي والد الفقيه محمد العنابي (ت1516م) بمدينة درعة قصيدة في التصوف سماها قصيدة في التوسل بالمشايخ الأبرار²، ونفس الشيء لعبد العزيز القسنطيني الذي ترك بالمغرب الأقصى مصنفا حول رسائل الصوفية ذكره تلميذه الشفشاوني في كتابه دوحه الناشر³، وبحكم انتشار الطريقة المليانية بالمغرب الأقصى فان مصنفات الشيخ الملياني في التصوف كانت منتشرة بقوة في مختلف الزوايا التي تتبع طريقتة، وبالخصوص كتابه المسى برسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق وكتاب تلميذه محمد الصباغ القليعي الموسوم ببستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار⁴، وكذلك الشأن لقصيدة الياقوتة في التصوف للشيخ عبد القادر بن أبي سماحة والتي شاع استعمالها بالمغرب الأقصى، كما تداول بعض مريدوه بالمغرب أذكار خاصة بالطريقة الشيخية⁵.

ولما زار عبد الله العياشي والوفد المرافق له قبر الولي الصالح محمد بن صالح عريان الرأس بمنطقة توات اطلع على مؤلف هذا الأخير في التصوف والموسوم بالهدية، وبطبيعة الحال فقد أخذ نسخة معه إلى المغرب الأقصى⁶، ولم تشتهر بالمغرب الأقصى قصيدة سعيد المنداسي المشهورة باسم العقيقة في الأدب فقط بل اشتهرت أيضا قصيدته الصوفية المشهورة باسم الغوثية في القطب أبو مدين شعيب الغوث التلمساني وهي بالعامية الجزائرية يقول فيها:

يا إمام أهل الله ... يا الغوثي بالك تنساني
يا بومدين جيت ... في المقام نشوفك باعياني
نطوف معاك البيت ... ومع الرسول المصطفى الهادي⁷

ويذكر العلامة والمؤرخ المغربي محمد القادري صاحب الإكليل والتاج بأنه رأى بعض التقييدات الصوفية للعلامة والشيخ محمد بن سعيد الهبري المستغامي (ت1708م)، والذي كانت له مراسلات عديدة

¹ عبد السلام بن سوادة: دليل مؤرخ المغرب... المصدر السابق، ص49.

² مخطوط متواجد بخزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم ع201.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج2، المرجع السابق، ص142.

⁴ محمد أبي راس الناصري: الحلل السندسية... المصدر السابق، ص82، زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية ... المرجع السابق، ص433-434.

⁵ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص39.

⁶ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص38.

⁷ عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر... المرجع السابق، ص157-158.

مع بعض أعلام ومتصوفة المغرب الأقصى¹، ومن أبرز المؤلفات الصوفية الجزائرية التي أصبحت من المصادر المهمة لدى أتباع الطريقة التيجانية كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني، وقد حرر الكتاب تلميذه علي حرازم بن العربي برادة الفاسي، والكتاب هو خلاصة لأفكار ومعارف التيجاني الصوفية أملاها لتلميذه الفاسي، وكان ذلك سنة 1800م ويضم إلى جانب سيرة أحمد التيجاني مختلف مبادئ هذه الطريقة الصوفية²، كما ترك أحمد التيجاني بعد وفاته بفاس سنة 1815م مصنفين وقد أصبحت من المصادر المهمة في التصوف التيجاني بالمغرب الأقصى، وهما الإفادة الأحمديّة وبغية المستفيد³ بالإضافة إلى كناشه في التصوف الذي أصبح المصدر الثاني بعد القرآن الكريم لدى أتباع الطريقة التيجانية بالمغرب الأقصى وخارجه⁴.

كما شاع لدى أتباع الطريقة التيجانية بالمغرب الأقصى مصنفات الجامع لما افترق من درر العلوم الفائقة من بحار القطب المكتوم، وروض المحب الفاني في مناقب الشريف التيجاني، ونصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفا لصاحبها محمد بن المشري السائحي الأغواطي (ت1809م) والذي كان من أكبر أتباع وتلامذة أحمد التيجاني⁵، وقد ترك أحد أتباع الطريقة الدرقاوية وهو محمد بوزيان الغريسي الجزائري مصنفًا يعرف فيه بالشيخ العربي الدرقاوي وقد سماه كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار، وقد أصبح هذا المؤلف بمثابة المرجع الرئيسي لدى أتباع الطريقة الدرقاوية سواء بالجزائر أو المغرب الأقصى، ويقول فيه: (فعليك بسلوك طريقة هذا الإمام حيا وميتا ... فهو والله الآية الكبرى والغنيمة العظمى)⁶، وقد كانت الاجازة الصوفية إحدى مظاهر وأدوات التواصل الصوفي بين المرابطين والمريدين حيث يذكر محمد ابن عسكر الشفشاوني بأنه أخذ إجازة من طرف العلامة أحمد العبادي التلمساني حيث أجازته في سلسلة مشايخ الصوفية، ويقصد بهم السنوسي وأبي مدين الغوث وغيرهم من مشايخ الصوفية بتلمسان⁷.

2/- المكاتبات والمطارحات:

من صور المحبة والتواصل بين المتصوفة هي المراسلات والمكاتبات والتي تتنوع بين المراسلات الاخوانية من أجل الاطمئنان عن الأهل والصحة والثناء والشوق والمدح والنصح وطلب الدعاء، والمراسلات العلمية من

¹ محمد القادري: الإكليل والتاج...، المصدر السابق، ص351.

² عبد الكريم فريقي: حاضرة بوسمغون ...، المرجع السابق، ص305.

³ عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص98.

⁴ بودواية بلحيا: المرجع السابق، ص81-82.

⁵ عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص377.

⁶ أبي راس الناصري: الحلل السندسية...، المصدر السابق، ص83.

⁷ محمد بن عسكر: المصدر السابق، ص107.

أجل الاستفسار عن مسألة صوفية معينة، وقد تنوعت هذه المكاتبات بين الشعر والنثر¹، ولعل من أبرز هذه المكاتبات الصوفية تلك التي كانت لمحمد القلعي - وكان من أبرز تلاميذ محمد السنوسي - وتسمى بمنظومة القلعية، وهي عبارة عن خمسون سؤال في التصوف تداولها المتصوفة بتلمسان ووصلت لمدينة فاس كرسالة للعلامة أحمد الونشريسي التي أجاب عنها كلها²، وكان لأبو فارس عبد العزيز القسنطيني (ت1533م) الذي يعد من كبار الشاذلية بالمغرب مراسلات عديدة مع مختلف تلامذته بالمغرب الأقصى كالشيخ عبد الله بن عمر المضغري ومحمد بن علي الدرعي والد التمجروتي صاحب النفحة المسكية³، ونفس الشيء مع العلامة والمتصوف الكبير أحمد بن يوسف الملياني الذي كانت له عديد المكاتبات والمراسلات الصوفية مع مریدوه وطلبته بفاس ومراكش وبندس وتازة.

وكان الملياني يرد عليهم سواء بالنصح أو التوجيه أو الإرشاد، ومن بين رسائله تلك التي بعث بها لأهل مراكش يحثهم فيها إلى الطريق المستقيم ووجوب أخذ التصوف من أهله الحقيقيين بالذوق والسلوك ونهاهم عن اتباع الهوى وعدم الغفلة عن الله سبحانه وتعالى⁴، ولعل من أشهر المراسلات والمكاتبات الصوفية التي كانت بين محمد بن علي الخروبي وبعض المتصوفة بالمغرب الأقصى على غرار عبد الله الطنجي وأبو النعيم رضوان الجنوي ومحمد بن يوسف الترغي ومحمد بن عبد الرحمن الوزروالي وأبو الحسن علي الأغصاوي وأحمد بن أبي القاسم التادلي وأبو حفص عمر بن عيسى الشريف الحسني⁵، كما نالت مراسلاته مع العلامة القطب أبي عمر القسطلي المراكشي شهرة واسعة أين أثارت ضجة فكرية بالمغرب والجزائر، وكانت رسالة الخروبي معنونة برسالة ذوي الإفلاس إلى خواص مدينة فاس⁶، ولم ينسأ أحمد المقري أولاد الشيخ محمد الدلائي بزوايتهم تعبيراً منه على عرفانه بدور الزاوية وشيخه محمد الدلائي في بروز إسمه بالساحة المغربية ثم العربية الإسلامية⁷، كما كانت للعلامة محمد بن سعيد الهبري المستغاني (ت1708م) عدة مراسلات مع بعض أعلام ومتصوفة المغرب الأقصى⁸، ونفس الشيء لسيد الشيخ الذي كانت له عديد المراسلات مع تلاميذه ومريديه بالمغرب الأقصى، كما راسله السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي بمسائل صوفية أجاب عنها الشيخ عبد القادر⁹.

¹ الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي...، المرجع السابق، ص22.

² محمد بن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص287-289.

³ محمد بن عسكر الشفشاوني: المصدر السابق، ص119.

⁴ الطاهر بونابي: طريقة أحمد بن يوسف الملياني الراشدي...، المرجع السابق، ص400.

⁵ محمد الشراط: المصدر السابق، ص172، محمد حسين القذافي: المرجع السابق، ص256-257.

⁶ ناصر الدين محمد الشريف: المرجع السابق، ص156-157.

⁷ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص302.

⁸ محمد القادري: الإكليل والتاج...، المصدر السابق، ص351.

⁹ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص39.

كما كانت المدن والحواضر المغربية شاهدة على مجالس ومناظرات بين متصوفة البلدين، فبعد زيارة محمد الخروبي إلى مراكش سنة 1554م أنكر على الشيخ أبي عمرو القسطلبي المراكشي بعض المسائل بل وشبهه بالحلاج، وقضية الجدل والتناظر كانت حول موقف الشارع الحكيم من قص شعر التائب وحول ادعاء القسطلبي المشيخة العلمية والصوفية رغم بساطة علمه¹، وقد رد على الخروبي كل من ابن أبي محلي باعتباره من تلامذة القسطلبي وأحمد بن القاضي²، وبعد رسالة محمد الخروبي الصوفية لطلبة مدينة فاس المسماة برسالة ذوي الإفلاس إلى خواص مدينة فاس³ رد عليه الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي، وقد أدخلت هاته الرسالة علماء المغرب الأقصى في جدال كبير خاصة بين الهبطي من جهة ومفتي مدينة فاس محمد اليسيتي من جهة ثانية الذي وافق الخروبي في رأيه مما جعل السلطان محمد الشيخ السعدي يتدخل ويعقد مناظرة بين الشيخين⁴،

ووقعت أيضا مجادلة بين الشيخ عمر بن الحاج عبد القادر التواتي (ت1739م) وشيخه بالقرويين محمد بن زكري في مسألة تخص التصوف ذكرت في كتاب النصيحة الزروقية لأحمد الزروق الفاسي حول الذكر بالقلب واللسان⁵، وأثناء انتقال أحمد التيجاني من عين ماضي لمدينة فاس كانت فجيح المغربية من بين المحطات التي توقف بها الشيخ، وهناك تعرف على الرحالة المغربي محمد بن عبد السلام الناصري (ت1823م) الذي كان هو الآخر في طريقه للحجاز، وقد وقعت بينهما مطارحات ومساجلات صوفية وأدبية أبرزها صلاة الجمع والتقصير للفرد والجماعة أثناء السفر، وأولوية علم الشريعة والحقيقة، فقد ذكر التيجاني بأنه لا علم إلا علم الحقيقة ويقصد التصوف، فرد عليه الناصري بأن علم الحقيقة طبعاً يأتي بعد تبخر الانسان في علم الشريعة، وإلا فقد تزدق على حد وصف مالك بن أنس: (من تصوف ولم يتفقه فقد تزدق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق)⁶.

III- الحضور الصوفي المغربي بالجزائر:

يرى الحسن الشاهدي بأن مبتغى المتصوفة المغاربة بالحواضر الجزائرية كانت تنحصر في ثلاثة نقاط بداية بالاتصال بالشيوخ والأولياء الصالحين الأحياء والتبرك بهم والفوز بدعواتهم الصالحة، وثانيها لصحبة

¹ حمزة بوقادوم: المرجع السابق، ص152.

² محمد حسين القذافي: المرجع السابق، ص238-239، محمد مخلوف: المرجع السابق، ص298.

³ محمد القادري: الإكليل والتاج... المصدر السابق، ص287-288، محمد ابن عسكر الشفشاوني: المصدر السابق، ص14-18.

⁴ عبد الله الترغي: الإمام الخروبي... المرجع السابق، ص263-264، محمد القادري: المصدر السابق، ص288.

⁵ عمر بن عبد القادر التواتي: الفهرس... المصدر السابق، ص123-125.

⁶ عبد الكريم فيلاي: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج9، شركة ناس للطباعة، القاهرة، مصر، 2006م، ص68-69، المهدي الغالي: (واقع المشرق العربي من خلال الرحلة الناصرية الكبرى). أعمال ندوة ركب الحاج المغربي والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بني ملال، المملكة المغربية، 2013م، ص223-224.

هؤلاء والتعبد معهم والافتقار بهم والتخلق بأخلاقهم قبل الانطلاق في نشر دعواتهم، وأخيرا زيارة الزوايا وأضرحة الأولياء الصالحين للتبرك بها، وقد أطلق على هذه الرحلات بمصطلح السياحة الصوفية أو الروحية¹.

أولا-/- انتقال المتصوفة:

يعد الشيخ محمد بن أبي القاسم السجلماسي من أوائل متصوفة سجلماسة والمغرب الأقصى الذين حطوا رحالهم بالجزائر خلال القرن الثالث عشر الميلادي حيث سكن بقلعة بني حماد بالمسيلة وأصبح ضريحه مزارا من طرف المتصوفة لتقواه وورعه وصلاحه²، ويأتي بعده الشيخ العلامة ابراهيم التازي والذي أصبح من أعلام مدينة وهران البررة، فهو من قبيلة بني لنت بمدينة تازة المغربية وبعد تحصيله مختلف العلوم الشرعية واللغوية بالمغرب الأقصى انتقل للمشرق حيث أخذ عن خيرة شيوخ مكة والمدينة المنورة ومصر وتونس، ومنها دخل للجزائر وتوجه إلى تلمسان أين تتلمذ على يد ابن مرزوق، وبعدها قرر زيارة الولي الصالح سيدي محمد الهواري الوهراني سنة 1429م وقد مكث معه مدة عشرة سنوات كاملة، وبعد وفاة شيخه قرر التازي اكمال مسيرته من خلال تشييد زاوية لتدريس العلوم الشرعية بمدينة وهران التي أوصاه بها الهواري خيرا، ومكث بها لغاية وفاته سنة 1462م، وهناك تتلمذ على يديه خيرة أعلام تلمسان كمحمد السنوسي، وأحمد الزروق، والحافظ التنسي وغيرهم³.

وخلال القرن الخامس عشر الميلادي نزل أحد الأولياء الصالحين بمنطقة برج بوعريج وهو سيدي ابراهيم بن بوبكر قادم من منطقة سجلماسة، وقرر الاستقرار نهائيا بالمنطقة من أجل تعليم ساكنتها القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وبعد وفاته شيد مسجدا على ضريح هذا الولي الصالح بل وقد أخذت القرية تسمية هذا الولي - بلدية أولاد سيدي ابراهيم -، ويعتبر من أقدم المساجد في المنطقة⁴، ومن أولياء الله الصالحين بمدينة الجزائر سيدي علي الفاسي، ويعتقد بأنه شيخ صالح وفد على مدينة الجزائر من مدينة فاس قبل الوجود العثماني، وقد احتضنه أهالي المدينة وأصبح من أولياءها الصالحين وله ضريح بالقرب من عين مراد قورصو وزاوية ومسجد سمي باسمه، وكان مزارا من قبل المغاربة ومنهم الرحالة عبد الرحمن الجامعي، وقد اعتبره من أولياء مدينة الجزائر الصالحين ومن أعلامها البررة⁵، ومن متصوفة المغرب الأقصى الذين حطوا بقلعة بني حماد بالمسيلة نجد عبد القوي الأول الحسني وفد من مراكش وترك أولادا وأحفادا

¹ الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص72-74.

² عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر....، المرجع السابق، ص283.

³ الزهرة بن عمار: (الشيخ ابراهيم التازي ومآثره بوهران)، مجلة عصور، ع16-17، جامعة وهران، 2010م، ص67-71.

⁴ Kamel Mokhtari: **Bordj Bou Arreridj Sites et monuments**, Dexieme edition, Commissariat du festival cultural local pour les cultures et arts populaires de la willaya de Bordj Bou Arreridj, Alger, 2009, p.35-36.

⁵ نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص205.

برز منهم العلامة مصطفى بن المختار الغريسي الحسني (ت1798م) والذي أصبح من كبار دعاة الطريقة القادرية بقسنطينة قبل أن يحط رحاله بغريس بمعسكر، وبها يلقب حيث أسس زاوية سنة 1792م وجلس لتدريس العلوم الشرعية والتصوف، وقد هاجر للمشرق أكثر من مرة زار خلالها ضريح الجيلالي بالعراق مرتين، وكان الباي محمد الكبير يحبه ويحترمه ويتقرب إليه وقد توفي ببرقة بليبيا وهو في طريقه إلى الحرمين الشريفين، وأصبح ضريحه من المزارات المهمة لمتصوفة الجزائر والمغرب الأقصى على حد سواء¹.

وتذكر لنا كتب الرحلة بأن الرحلات المغربية الحجازية أغلبها كانت تصطحب معها مرابطين ومنتصوفة لالتقاء شر قطاع الطرق واللصوص الذين يخشون كثيرا من سلطة المرابطين ويخافون من دعواتهم وكراماتهم، وفي المقابل يستغل هؤلاء المتصوفة هذه الرحلة في زيارة مختلف الأضرحة والأولياء الصالحين عبر المدن الجزائرية التي يمرون بها، ولعل أبرز هؤلاء أبا عبد الله محمد الزيتوني الذي تستعين به مختلف القوافل التجارية والحجازية المغربية²، ومن أبرز متصوفة المغرب الأقصى الذين حطوا رحالهم بالجزائر الشيخ أبو البركات المبارك بن قاسم بن ناجي الشريف الإدريسي (ت1622م) مؤسس خنقة سيدي ناجي³. حيث تعود أصول أسرته للأندلس حطوا رحالهم بتونس وهناك ضريح جدهم الأول سيدي ناجي بينما قرر الشيخ المبارك أن ينتقل للمغرب الأقصى حيث نشأ وترعرع ودرس بمدينة درعة بالجنوب المغربي، وأخذ الطريقة الناصرية قبل أن يحط رحاله بالجزائر وبالضبط بمنطقة الزاب ومنه انتقل للخنقة سنة 1602م والتي كانت خالية تماما من السكان وسماها على جده، فأصبحت تسمى خنقة سيدي ناجي وبها أسس زاوية واختط المدينة التي أصبحت عامرة ومحطة مهمة لدى القوافل الحجازية والتجارية⁴.

لكن مشيخة الزاوية عادت لأسرة صوفية مغربية أخرى وهي الأسرة الحافظية التي وفدت للمنطقة من فاس، ومن أشهر أفرادها أحمد بن محمد الهجرسي، ويعود نسبه لسيدي هجرس بن سيدي علي الشريف الفاسي الذي أسس زاوية في زريبة الوادي ببسكرة لنشر العلم والتصوف أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وانتقل بعدها لخنقة سيدي ناجي لأخذ علم الفلك والرياضيات وهناك أسس زاوية ثانية بالخنقة والتي صارت مشهورة وتركها لأولاده وأحفاده أبرزهم عبد الحفيظ الحنقي (ت1850م) الذي أصبحت الزاوية تنسب إليه والذي تزعم الطريقة الرحمانية في المنطقة، وكان من أبرز المشاركين في ثورة الزعاطشة سنة 1848م⁵.

وقد كانت الزوايا التي شيدها أحمد بن يوسف الملياني في كل من رأس الماء ويبل ومازونة وسهل الشلف محجا لمختلف متصوفة المغرب الأقصى المتأثرين بطريقته والتابعين أيضا للطريقة الزروقية والشاذلية سواء

¹ عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر.... المرجع السابق، ص404-405.

² عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية.... المرجع السابق، ص72.

³ الهلالي عاشور: المرجع السابق، ص2.

⁴ عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر.... المرجع السابق، ص275.

⁵ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص227-229، عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر.... المرجع السابق، ص114.

في حياته أو بعد وفاته¹ بداية بالشيخ محمد بن علي الشطبي من بني زروال بفاس الذي نزل ضيفا بمليانة لنهل العلم والتصوف من ولما وشيخها الملياني²، وأبو محمد عبد الله الخياط نزيل جبل زرهون وهو من مشايخ الصوفية بالمغرب الأقصى الذي زار المدينة أيام الملياني³، وعبد الله بن عمر المضغري الذي نزل بالمدينة بنية الأخذ عن عالمها أحمد بن يوسف ثم انصرف إلى مدينة قسنطينة بعدما أنكر على الملياني غيابه عن صلاة الجماعة⁴، كما عرفت مدينة مليانة أيضا زيارة الشيخ أبي القاسم الغازي المغربي وسيدي الزبير بن الكبير الفاسي والشيخ أبو حفص عمر الشريف الحسيني الفاسي وأحمد بن موسى الجزولي السملالي (ت1563م)، والذي عاد لمسقط رأسه بالسوس الأقصى وشرع في نشر الطريقة المليانية⁵، ومن متصوفة المغرب الأقصى الذين زاروا مدينة تلمسان خلال القرن السابع عشر الميلادي نذكر عيسى بن موسى البطوئي (ت1630م) صاحب كتاب مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح⁶.

ولعل من أبرز الأسباب التي جعلت الرحالة المغربي محمد بن سليمان الروداني (ت1683م) يزور مدينة الجزائر هو الأخذ عن عالمها وشيخها المفتي والمتصوف القطب سعيد قدورة (ت1656م)، فقد لازمه الروداني مدة معتبرة، وأخذ عنه مبادئ التصوف على طريقة أبي مدين الغوث متبعا الخطوات المعروفة في الملازمة الصوفية بداية بلبس الخرق الصوفية المدنية ثم المصافحة وبعدها مشابكة اليدين وتناول الأسودين الماء والتمر في بيت قدورة وأخذ السبحة المباركة وأخيرا تلقين الذكر⁷، ومن أبرز متصوفة المغرب الأقصى الذين حطوا رحالهم بالجزائر بنهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلادي نجد الفقيه أحمد بن أبي محلي السجلماسي، فبعد نشأته العلمية والفقهية بمدينة سجلماسة ومدينة فاس التي تابع فيها تعليمه العالي تفرغ لتدريس الفقه والنحو واستقر في منطقة السوس لمدة ثمانية عشر سنة قبل أن ينتقل لمنطقة الساورة بشار التي مكث بها مدة عشرون سنة في تدريس الفقه والنحو والتصوف وترك بها عديد المصنفات، وترك ولد يسمى بالعربي الذي كان خير خلف لخير سلف في التصوف والفقه⁸، وبمنطقة الساورة أيضا حل الشيخ والفقيه الحاج علي بن عبد القادر التازي خلال القرن الثامن عشر الميلادي قادما من مدينة تازة،

¹ الطاهر بونابي: طريقة أحمد بن يوسف الملياني الراشدي...، المرجع السابق، ص399-400.

² محمد القادري: الإكليل والتاج...، المصدر السابق، ص187، محمد بن عسكر الشفشاوني: المصدر السابق، ص23.

³ عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص104.

⁴ ودان بوغفالة: المرجع السابق، ص49-50.

⁵ محمد القادري: المصدر السابق، ص142-146، محمد بن جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص210، ج2، ص14.

⁶ محمد حجي: جولات تاريخية...، ج1، المرجع السابق، ص135.

⁷ محمد الروداني: المصدر السابق، ص472-475.

⁸ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...، ج2، المرجع السابق، ص321، عبد الرحمن بلاغ: (العلم والعلماء في رحلة عبد الكريم بن محمد البكري التمنطيطي)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،

2010م، ص142.

فبعدهما كان ينوي السفر للحجاز قرر المكوث بالمنطقة خادما وتلميذا عند الشيخ محمد بن أبي زيان شيخ الطريقة الزيانية أين خدمه لمدة خمسة عشر سنة وترك عنه مؤلف في سيرته¹.

وبعد زحف مولاي الرشيد سنة 1668م على مدينة تادلة وتهديم الزاوية الدلائية الشهيرة تفرق جموع طلبتها وأعلامها بين فاس وتلمسان²، فقد نزل الوفد بمنطقة العباد بالقرب من ضريح أبي مدين شعيب الغوث أين تأسف محمد الحاج الدلائي لموقف سكان وعلماء تلمسان، فقد كان يتوقع استقبال الملوك لكن العكس حدث فقد تعرضوا لكل أنواع الاهانة والتضييق من ساكنة تلمسان على اعتبار أن الدلائيين هم أصدقاء للأتراك، ومعارضين للحكم العلوي وهو ما يعكس تماما موقف سكان تلمسان من الحكم العثماني، وقد وصلت العلاقة بينهما إلى حد قتل بعض أتباع الدلائيين بتلمسان وسلب أموالهم، وبتلمسان توفي الشيخ محمد الحاج الدلائي سنة 1671م ودفن بالقرب من ضريح أبي مدين بقرية العباد، وهو ما جعل ولده عبد الله الدلائي يقرر الرحيل للمشرق للبحث عن مكان مناسب لاستقرار الزاوية الدلائية، وبعد رحلة حجازية عاد لمدينة الجزائر وقرر الاستقرار بتلمسان حتى وفاته سنة 1676م ودفن بالعباد قرب ضريح والده الحاج محمد، وبعدها مباشرة عادت الأسرة الدلائية للمغرب الأقصى أين أعلن أحمد بن عبد الله بن محمد الدلائي الثورة على مولاي اسماعيل العلوي بدعم من أتراك الجزائر واستمرت الثورة لغاية مقتله سنة 1680م³.

ومن متصوفة المغرب الأقصى الذين كان لهم حضور بالجزائر نجد سيدي علي بن عيسى المغربي الذي وفد من المغرب الأقصى وسكن منطقة زاوية وبها توفي، فقد تتلمذ على يد الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية، وقبل وفاة هذا الأخير سنة 1794م وبحكم أنه لم يخلف أولاد وذرية وقع اختياره على تلميذه علي بن عيسى المغربي حتى يخلفه على مشيخة الطريقة الرحمانية بالجزائر⁴، فقد جمع أتباعه ومريديه وقال لهم: (أريد تنصيب خليفة لي وهو الشيخ علي بن عيسى المغربي، فهو من أهل الخير والصلاح والفضل، فاشهدوا بأنني قد استخلفته مكاني ومنحته كل سلطاتي، فأوصيكم بطاعته فإنه يمثل وجهي ولساني)، وقد كتب وثيقة بخط يده في شكل وصية وضع بمقتضاها كل أمواله وكتبه وأوقاف الزاوية في يد الشيخ بن عيسى وفي اليوم الموالي من تحرير هذه الوصية توفي الشيخ محمد بوقبرين⁵، وقد تولى سيدي علي المغربي مشيخة الطريقة لفترة طويلة دامت بين (1794-1836م) وهو والد فاطمة نسومر، وقد

¹ مصطفى علوي: (قراءة في مخطوط منهل الظمان ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا الحاج محمد بن أبي زيان للفقيه الحاج علي بن عبد القادر التازي)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساوردة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص 151-152.

² محمد القبلي وآخرون: المرجع السابق، ص 402، محمد بن البشير بوسلام: تاريخ قبيلة بني ملال 1854-1916م، مطبعة المعارف الجديدة، المملكة المغربية، 1991م، ص 50.

³ محمد حجي: الزاوية الدلائية...، المرجع السابق، 257-263، محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج 1، ص 142، 160.

⁴ صالح عباد: المرجع السابق، ص 164.

⁵ محمد نسيب: المرجع السابق، ص 153.

تولت زوجته السيدة لالة خديجة مشيخة الطريقة بين (1836-1842م)، كما تولى مشيخة الطريقة الرحمانية أيضا صوفي مغربي آخر وهو سي الحاج البشير المغربي¹، كما عرج الرحالة والفقير محمد بن عبد السلام الناصري (ت1823م) على بعض متصوفة الجزائر كعبد الرحمن الثعالبي ومحمد الخروبي بمدينة الجزائر، وأحمد بن يوسف الملياني بمدينة مليانة ومحمد السنوسي وأبو مدين الغوث بتلمسان².

وفي سنة 1815م وصل الحاج مبارك البخاري - من قبيلة بوطاهر بمكناسة المغربية - للجزائر متجها للحجاز، وقد شيد زاوية بوادي الزناتي بقالة وقبة لضريح شيخه الولي الصالح سيدي عمار بوسنة صاحب الطريقة العمارية وهي إحدى فروع الطريقة القادرية، وقد عين مقدا لهذه الطريقة قبل أن يصبح شيخا للطريقة العمارية ككل حيث تمكن من تنظيم هذه الطريقة واعطائها بعدا روحيا ودينيا جديدا، وقد حول مقر الزاوية الأم لهذه الطريقة من وادي الزناتي إلى عين الدفلى بقالة، وأصبحت لهذه الطريقة العديد من الفروع بمدن الجزائر شرقا وغربا³، ومن متصوفي مدينة فاس الذين كلفهم أحمد التيجاني بنشر الطريقة التيجانية بقسنطينة نذكر محمد بن المشري السايحي والذي يعتبر أول من نشر الطريقة التيجانية بمدينة قسنطينة وأحوازها، وبفضله أصبح لهذه الطريقة عديد الأتباع والزوايا في المنطقة⁴، ونفس الشيء يقال عن الشيخ محمد بن أحمد البوزيدي المستغاني (ت1813م) وهو من جبال غمارة بالمغرب الأقصى، ويعتبر من أكبر تلامذة العربي الدرقاوي فقد لازمه لمدة ستة عشر سنة، وقد زكاه الشيخ العربي الدرقاوي بقوله: (سيدي محمد بوزيد هو الفرد والفرد أكبر من القطب في العلم بالله تعالى... فوالله ما نفعني أحد ما نفعني سيدي محمد بوزيد، ولا أخذ مني أحد مثله ولا وافقني أحد مثله...)، وقد سمح له الدرقاوي بنشر طريقته في مختلف أرجاء المغرب حيث انتقل للجزائر وبالضبط إلى مستغانم والتي تلقب بها⁵.

وقد لعبت الزوايا دورا كبيرا في ربط جسور التواصل بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث، فالحدود بين الغرب الجزائري والشرق المغربي كان فضاء خصبا لمختلف المتصوفة الذين يقصدون الزوايا وأضرحة أقطاب التصوف بالمغرب⁶، فلم تكن تخلوا محطات العلماء والحجاج المغاربة بالجزائر من زيارة مختلف الزوايا والأضرحة المرتبطة بالأولياء الصالحين كعبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر ومحمد الهواري

¹ بلقاسم منصوري: (الطريقة الرحمانية وأثرها في تشكيل الوعي الوطني)، ضمن أعمال ملتقى الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة، الجزائر، 2015م، ص70-72، عبد المنعم القاسمي: الزاوية الرحمانية ... المرجع السابق، ص143.

² محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص261.259.268.

³ بودواية بلحيا: المرجع السابق، ص37-38، محمد لخضر بوبكر: المرجع السابق، ص120.

⁴ محمود ابن المظماطية: سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة، مطبوع بقسنطينة، الجزائر، دت، ص6.

⁵ البوزيدي المستغاني محمد بن أحمد: الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية، تعليق وضبط وتقديم ابراهيم عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص5-6.

⁶ عمر بوزيان: المرجع السابق، ص70.

بوهران وأبو مدين شعيب الغوث بتلمسان وأحمد الملياني بمليانة وأبي مروان بعنابة وغيرهم، ومن القرى الصوفية بالجزائر التي كانت قبلة لمتصوفة المغرب الأقصى قبيل وبعد الدخول العثماني قرية العباد بمدينة تلمسان، والتي تتواجد بها عديد الأضرحة لبعض العلماء والشيخو أهمها ضريح أبو مدين شعيب الغوث (ت1197م) الذي شيد من طرف الناصر بن المنصور الموحد، وأيضا ضريح ابن عبد السلام التونسي (ت1193م)، وأضرحة كل من سيدي ابراهيم النعار وسيدي علي بن نقيم وسيدي المجاصي وسيدي أبي اسحاق الطيار وسيدي محمد السنوسي¹، فقد زار قرية العباد كل من الرحالة ابن الحاج النميري خلال العصر الوسيط الذي مكث بها مدة خمس سنوات، والرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد السبتي (ت1321م) أثناء طريقه للحجاز، كما زارها أيضا أحمد الزروق الفاسي (ت1494م)²،

وفي سنة 1785م زار الرحالة المغربي محمد بن عبد الوهاب المكناسي مدينة تلمسان أثناء عودته للمغرب الأقصى من المشرق، فمر خلالها على كل من ضريح محمد السنوسي وضريح أبو مدين شعيب الغوث ثم قام بزيارة ثانية لمدينة تلمسان في نفس السنة لمهمة سفارية من السلطان محمد بن عبد الله العلوي لتقديم أسرى الجزائر لحاكم مدينة تلمسان التركي، وقد استغل الفرصة لزيارة ضريح السنوسي وشعيب الغوث، وأيضا بقية أضرحة مدينة العباد، كما استفسر عن أضرحة ابني الإمام عبد الرحمن وعيسى³، وإذا بقينا في الغرب الجزائري فان المتصوفة المغاربة كانوا يستغلون طريق الحج والتجارة عبر الجزائر لزيارة مختلف الزوايا التابعة للطريقة اليوسفية والتي أنشأها أحمد بن يوسف الملياني في كل من مليانة والشلف ومازونة...⁴ أما مدينة وهران فقد كان متصوفة المغرب الأقصى يحجون نحو ضريح الشيخ محمد الهواري الوهراني وضريح الشيخ ابراهيم التازي بالاضافة إلى ضريح الشيخ غانم بن يوسف الملقب بالتركي الغمري (ت ق 16م) دفين جبل ماخوخ وهو من سلالة الأشراف الأدارسة⁵، وإذا انتقلنا لمدينة الجزائر فأشهر ضريح مزار من طرف متصوفة المغرب الأقصى ذلك الذي يعود للعلامة والقطب عبد الرحمن الثعالبي، فقد كان متصوفة ورحالة المغرب لا يفوتون الفرصة لزيارة ضريحه بمجرد مرورهم على مدينة الجزائر، ففي سنة 1785م مر الرحالة محمد بن عبد الوهاب المكناسي بمدينة الجزائر أثناء عودته للمغرب الأقصى حيث زار ضريح عبد الرحمن الثعالبي وتبرك بتربته الطاهرة ودعى الله سبحانه وتعالى في حضرة الثعالبي⁶.

¹ يحي بوعزير: المساجد العتيقة... المرجع السابق، ص116-121، محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج1، ص234، 245.

² إبراهيم ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص26، الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص155، ج2، ص352.

³ محمد المكناسي: المصدر السابق، ص331، 334.

⁴ الطاهر بونابي: طريقة أحمد بن يوسف الملياني...، المرجع السابق، ص400.

⁵ الأغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ج1، ص84.

⁶ محمد المكناسي: المصدر السابق، ص330، رحيمة بن الصغير: (الشيخ عبد الرحمن الثعالبي والإشعاع العلمي في حضرة الجزائر العاصمة)،

ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م، ص84.

وعند مرور الرحالة عبد الرحمن الجامعي لمدينة الجزائر قام بزيارة لأضرحة رجالها الصالحين، وقدم عنهم نبذ تاريخية حيث ذكر كل من سيدي عبد الرحمن الثعالبي وسيدي سليمان الشريف وسيدي عبد اللطيف وسيدي أبو يعلى الشريف وسيدي أبو حفص عمر بن منصور ووالي داده وأبو النور وسيدي هلال وأحمد الجودي وابن منصور الحلبي والحمزي وسيدي فليح وأبو شريحة وسيدي محمد الشريف وسيدي رمضان وأبو نحلة وسيدي إبراهيم التكروري وسيدي بوقدور ومحمد الخروبي وسيدي أحمد بن علي وأبو التقى وسيدي علي الزواوي وسيدي أحمد بن عبد الله¹، ومن متصوفة المغرب الأقصى الذين زاروا الجزائر نجد سيدي أبي جمعة بن حسين المكناسي وكان قبره وضريحه مزارا بمدينة الجزائر باعتباره من شيوخ الوالي الصالح عبد الرحمن الثعالبي²، ونفس الشيء يقال عن ضريح سيدي علي الفاسي وهو ولي صالح من مدينة فاس يقع ضريحه بحومة البطحاء، وآخر وكيل لهذا الضريح هو أحمد بن الصبار والمعين من طرف حسن باشا سنة 1791م، وبعد دخول المحتل الفرنسي تم نقل جثمان الوالي علي الفاسي سنة 1841م إلى زاوية العباسي، وإلى جانب الضريح شيدت زاوية تحمل اسم هذا الوالي الصالح وقد كان لها أحباس عديدة³، وتحول مقر الزاوية والضريح لحومة وسوق للحرف والصناعات بمنطقة باب الجزيرة⁴، ومن الأبيات الشعرية التي خلدت انتصار الجزائر على الدانمارك وتم فيها ذكر هذا الوالي الصالح:

هاذوما صور حرمها ... والي فيها رجال قايمة
سيدي الفاسي ما يهونها ... والجودي بحماه سالمة⁵

وإذا انتقلنا لبابك الشرق فان مدينة قسنطينة كانت تضم عديد الزوايا المزارة من طرف متصوفة المغرب الأقصى أبرزها الزاوية التيجانية الفكونية نسبة لأسرة الفكون التي تضم ضريح الشيخ عبد الكريم الفكون الجد، وزاوية سيد علي التلمساني التي شيدت في عهد حسن آغا، وهي عبارة عن زاوية ومسجد بنيت على يد الوالي الصالح سيد علي التلمساني سنة 1539م، وكانت هي الأخرى محطة مهمة لدى متصوفة ورحالة المغرب الأقصى⁶، ونفس الشيء يقال عن مدينة عنابة التي عرفت زيارات متكررة وعديدة لمتصوفة المغرب

¹ نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص204.

² محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص357.

³ عبد الجليل التميمي: وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، ط1، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1980م، ص25.

⁴ Mustapha Ben Hamouche: (*Souqs et métiers d'Alger à l'époque Ottomane*), *Actes des symposium d'études ottomanes international la marine et les routes commerciales ottomanes*, Publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 2000, p.36.

⁵ بوردية ياسين: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007م، ص53.

⁶ صلاح مؤيد العقي: المرجع السابق، ص226، 212.

الأقصى، وذلك بسبب تواجد قبر وضريح الولي الصالح أبي مروان عبد الملك الأسدي¹، فقد زاره الرحالة التمجروتي والوفد المرافق له في سفارته نحو استنبول، وقد تحدث التمجروتي على صلاحه وتقواه استناداً على ما ذكره القاضي عياض اليحصبي². كذلك الشأن لضريح يدي حميدة بن بولعيد (ت1657م) وضريح سيدي طراد الذيابي (ت1618م)³، ومن شيوخ وعلماء مدينة عنابة الذين تزعموا الطريقة بها الشيخ سيدي محمد ساسي البوني (ت1649م)، والذي ينتمي للطريقة القادرية، وكذلك الشأن لولديه قاسم وعلي شيخ العلامة عيسى الثعالبي، وحفيده العلامة أحمد بن قاسم البوني صاحب مائة وخمسة وسبعون مؤلفاً⁴.

وباعتبار أن الحواضر الصحراوية الجزائرية كانت من المحطات المهمة في ركب الحج المغربي، وبالخصوص مدينة توات التي تنزل بها القوافل لتغيير العملة، وهناك يوجد ضريح العلامة والصوفي الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت1503م)، وبحكم علاقاته وشهرته الواسعة بعلماء المغرب الأقصى فقد كان الحجاج المغاربة يسارعون لزيارة ضريحه والتبرك به⁵، ففي سنة 1630م وصل وفد من المغرب الأقصى قاصداً الحجاز حيث حل بمدينة توات لمدة سبعة عشر يوماً، وكان بهذه الرحلة الفقيه والرحالة محمد بن أحمد القيسي السراج الذي زار عديد الأولياء الصالحين بالمنطقة كسيدي علي بودريالة، كما قاموا بزيارة ضريح الولي الصالح سيدي محمد بن عمر وضريح والده سيدي عمر طالبين البركة⁶، وفي سنة 1662م وأثناء رحلة العياشي قام الراكب المغربي بزيارة ضريح الولي سيدي محمد بن صالح الشهرير بعريان الرأس بتوات، والذي عاش خلال القرن السادس عشر الميلادي وترك عديد المؤلفات أبرزها كتاب الهدية، وبقرية أوكرت التابعة لتوات زار العياشي زاوية عبد الله بن طمطم، وقد اعترف بزهد وتقوى هذا الولي الصالح، كما زار العياشي أيضاً زاوية محمد بن عمر الشامي هذا الأخير استقبل العياشي والوفد المرافق له وأكرمهم وقال فيه العياشي:

ببابك قوم يطلبون زيارة ... لكي ما ينالوا دعوة منك رابحة
أحبوك لا عن رؤية قد تقدمت ... ولكن لأخبار أتت عنك صالحة⁷

وبمدينة بسكرة كانت الرحلات الحجازية المغربية تعرج على ضريح الشيخ أبي الفضل وبه مسجد في غاية الاتقان على حد وصف العياشي الذي زاره سنة 1662م، وبعدها عرج الوفد لزيارة الولي الصالح الشيخ

¹ أبي مروان عبد الملك الأسدي: هو أبي مروان عبد الملك بن محمد ولد ونشأ بالأندلس وسكن بمدينة قرطبة انتقل إلى مدينة بونة وبرز كرجل علم وصلاح وعقل ولسان وحفظ وبيان وتوفي بعناية، وترك شرحاً على الموطأ، أنظر (عبد الرحمن الجيلالي: مسجد سيدي بومروان العتيق بعنابة، مجلة الأصالة، ع34-35، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1976م، ص185-198).

² علي التمجروتي: المصدر السابق، ص25.

³ محمد جندلي: المرجع السابق، ج1، ص18.

⁴ أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة...، المصدر السابق، ص34-35، الدرّة المصنونة...، المصدر السابق، ص158.

⁵ عبد الرحمن التواتي: رحلتي إلى الحج عام 1774م...، المصدر السابق، ص437.

⁶ محمد السراج: المصدر السابق، ص30.

⁷ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص38-39، ص42.

سيدي محمد بن بوعلي، ومنه إلى زاوية سيدي عبد الرحمن الأخضرى الذي أشاد به العياشي وبمصنفاته في مختلف العلوم¹، وضريح خالد بن سنان الذي كان مزارا من طرف الرحالة والمتصوفة المغاربة كمحمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت1775م) الذي زاره برفقة وفد الرحلة، ومنه شدوا الرحال نحو ضريحي العلامة عبد الرحمن الأخضرى وعقبة بن نافع الفهري²، وهي نفس المحطة التي قام بها الرحالة محمد الطيب الفاسي (ت1757م) أين عرج على ضريح خالد بن سنان وبعدها ضريح الصحابي الجليل عقبة بن نافع الذي يعتبره محمد الطيب الفاسي من المزارات المهمة في ركب الحج المغربي، وحتى للذين لم يتمكنوا من زيارته على الأقل يستنشقون من بعيد ريحه الطاهرة والزكية، وفي طريق العودة قام الراكب المغربي بزيارة ضريح العلامة والصوفي الكبير عبد الرحمن الأخضرى ببنيطوس، والذي كان أشهر من نار على علم في المغرب الأقصى بسبب مؤلفه في المنطق السلم المرونق الذي كان من المصادر المهمة لدراسة المنطق في مختلف المدارس المغربية³.

وبالنسبة لبقية الحواضر الصحراوية الجزائرية نجد زيارة أبو سالم العياشي سنة 1661م برفقة الولي الصالح سيدي محمد بن محمد الحفيان السجلماسي لقربة بني خلف بأحواز الساورة ببشار أين قاموا بزيارة زاوية سيدي أحمد بن موسى، وقد استقبلهم شيخ الزاوية وأكرمهم وزاروا خلالها ضريح شيخ الزاوية مع طلب البركة⁴، كما نزل محمد الطيب الفاسي أثناء رحلته الحجازية بقربة المشرية أين قام بزيارة ضريح محمد العمري الملقب بمولى الخلوة وضريح عبد الرزاق المجلد⁵، كما عرج الفقيه محمد الحضيكي السوسي في رحلته الحجازية على مدينة بوسمغون أين زار ضريح ولها الصالح الذي تسمت باسمه ألا وهو سيدي بوسمغون⁶.

ثانيا/- انتقال الطريقة:

ظهرت بالجزائر حوالي سبعة عشر طريقة صوفية بين القرنين (13-19م) بداية بالطريقة القادرية والطريقة المدينية، والطريقة الزروقية، والطريقة المليانية، والطريقة الشاذلية، والطريقة العيساوية، والطريقة الكرزائية، والطريقة الشيخية، والطريقة الحبيبية، والطريقة الشايبية، والطريقة الطيبية، والطريقة الحنصالية، والطريقة الزيانية، والطريقة التيجانية، والطريقة الرحمانية، والطريقة الدرقاوية، والطريقة السنوسية⁷، وإذا عرفنا بأن ستة طرق نشأت بالجزائر وهي الطريقة المدينية والمليانية والتيجانية

¹ المصدر نفسه، ج2، ص523-526.

² محمد الحضيكي: الرحلة الحجازية... المصدر السابق، ص86.

³ محمد الطيب الفاسي: المصدر السابق، ص320، 88، 95.

⁴ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص37.

⁵ محمد الطيب الفاسي: المصدر السابق، ص320، 88، 95.

⁶ محمد الحضيكي: الرحلة الحجازية... المصدر السابق، ص83.

⁷ يحي بوغزير: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص133.

والرحمانية والسنوسية والشيخية وطريقة وفدت من تونس ألا وهي الطريقة الشاذلية فان بقية الطرق الصوفية وفدت من المغرب الأقصى، وسنتطرق إليها بالتفصيل في هذا العنصر:

1/- الطريقة القادرية:

تعد أولى الطرق الصوفية التي ظهرت بالعالم الاسلامي نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني واسمه الحقيقي محي الدين أبو محمد بن أبي صالح جنجي دوست، وينسب إلى قرية جيلان التي ولد بها وتقع جنوب بحر قزوين بايران والمتوفي ببغداد العراقية سنة 1167م¹، وتعتبر طريقة وكيفية وصولها لمنطقة المغرب من القضايا الشائكة والمختلف فيها بين الدراسات المهمة بشأن التصوف المغربي، فالدراسات المغربية تعتبر بأن الطريقة القادرية انتقلت للأندلس لأول مرة قبل أن تنتقل لفاس ومنها شقت طريقها للجزائر وبالضبط نحو منطقة منعة بالأوراس أين شيدت لها أول زاوية بالجزائر²، ويخالف بونابي الطاهر هذه الرواية، ويعتبر بأن القادرية وصلت للمغرب الأوسط خلال القرن الثاني عشر الميلادي عن طريق أبي مدين شعيب الذي عاد من المشرق جالبا معه أرواد الطريقة القادرية التي أخذها مباشرة من شيخه عبد القادر الجيلاني ونشرها في مدينة بجاية، ودليله في ذلك أن أبا الحسن بن باديس القسنطيني (ت1385م) قد ذكر في قصيدته السينية الشهيرة خصائص الطريقة القادرية التي كان ينتمي إليها بعد انتقالها من بجاية لقسنطينة خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين³.

وتقوم الطريقة القادرية على أربعة أسس هي العلم والأخلاق والصبر والاتقان. أما تعاليمها فهي ستة ذكر الله والصدق والزهد في الدنيا والخوف من الله ومحبة الله والاحسان⁴، وأول فرع للطريقة القادرية بالجزائر كان بزاوية القيطنة بمعسكر على يد الشيخ مصطفى بن محمد بن المختار الغريسي سنة 1785م، ومنه انتقلت المشيخة إلى محي الدين والد الأمير عبد القادر الذي ورث المشيخة سنة 1834م، وثاني فرع لهذه الطريقة كان بزاوية يلل بغليزان الذي أسسها سيدي غاشم سنة 1784م⁵، ومن أبرز المناطق بالشرق الجزائري التي كانت تتبع الطريقة القادرية نجد كل من قسنطينة وتبسة وقالمة وسوق أهراس وسكيكدة والميلية ومسكيانة وأم البواقي والقالة ومنعة. بينما انتشرت في الغرب الجزائري في كل من معسكر ومستغانم وتلمسان وندرومة والرمثي وسيدي بلعباس، وفي الجنوب نجد وادي سوف ورويسات وورقلة وتوات

¹ أحميذة عميرايوي: رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003م، ص23، الطاهر خالد: (التصوف الجزائري مصدر إشعاع وتواصل في نشر الدعوة والاصلاح بإفريقيا جنوب الصحراء - الطريقة القادرية أنموذجا -). ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، ج2، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019م، ص114.

² أحمد دركوش: المرجع السابق، ص44، حنان لطرش: المرجع السابق، ص47-48.

³ الطاهر بونابي: عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط...، ج4، المرجع السابق، ص648-649.

⁴ أمال لدرع: المرجع السابق، ص234.

⁵ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص52-53.

وتيميمون وأدرار، وقد كانت هذه الزوايا محطات مهمة لنشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء¹، ويذكرين بأن الطريقة القادرية سنة 1882م كان لها بالجزائر حوالي تسعة وعشرون زاوية ومائتين وثمانية وستون مقدم وأربعة عشر ألف وخمسمائة وأربعة وسبعون مريد²، وفي سنة 1897م قفز مريدو هذه الطريقة بالجزائر إلى حوالي خمسة وعشرون ألف وخمسمائة وثمانية وسبعون مريد وثلاثة وثلاثون زاوية وخمسمائة وثمانية وخمسون مقدم وأربعة شيوخ³.

وقد كانت الطريقة القادرية على وفاق مع السلطة الحاكمة في الجزائر ففي مدينة عنابة تبنت عائلة محمد ساسي البوني هذه الطريقة الصوفية، وقد كانت أسرة البوني العين الساهرة للأتراك بالشرق الجزائري إلى جانب أسرة الفكون بقسنطينة⁴، كما نالت القادرية رضا بايات الغرب بعدما ساهمت في تحرير مدينة وهران سنة 1792م من القبضة الإسبانية، وذلك من خلال شخذ الهمم والطلبة في مختلف الزوايا والرباطات التابعة لها. لكن مع حلول القرن التاسع عشر الميلادي تغيرت المعطيات حيث أبان القاديون عن عدائهم لبايات الغرب بداية بمساندة الثورة التيجانية بل وشجعوهم للقدوم إلى غريس ومعسكر مقر القادرية سنة 1820م، وبنهاية هذه الثورة وجه بايات الغرب أنظارهم لأتباع هذه الطريقة، وذلك من خلال التضييق عليهم بل وسجنهم مثلما حدث مع محي الدين وولده الأمير عبد القادر لما كانا متوجهين إلى الحجاز حيث بقيا في الإقامة الجبرية ما بين 1821-1825م، وقد كان ولاء هذه الطريقة للسلطان العلوي عبد الرحمن بن هشام بعدما هاجر العديد من أتباعها إلى مختلف الحواضر المغربية⁵.

2/- الطريقة الشاذلية:

وتنسب للشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي (ت1258م) الذي يعود نسبه الشريف لعلي بن أبي طالب⁶، ويلقب بالزرزواني نسبة لقبيلة بني زروال المجاورة لجبال غمارة التي ولد بها ثم انتقل لمدينة فاس، وهناك التقى بأبي مدين شعيب والشيخ عبد السلام بن مشيش⁷، ورغم أن أبي الحسن الشاذلي مغربي الأصل والمنشأ إلا أنه لم يترك به أثرا صوفيا عكس تونس التي اختارها موطنًا ومستقرًا له، ولم تصل أفكار الطريقة الشاذلية للمغرب الأقصى سوى في القرن الرابع عشر الميلادي عن طريق الشيخ

¹ يحي بوعزیز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 17.

² حنان لطرش: المرجع السابق، ص 47-48.

³ اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص 31-32، عبد العزيز شري: المرجع السابق، ص 104.

⁴ أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة إفريقية...، المصدر السابق، ص 36.

⁵ توفيق دحماني: المرجع السابق، ص 410-411.

⁶ الحسن بن محمد الفاسي: طبقات الشاذلية الكبرى...، المرجع السابق، ص 19-58.

⁷ زكية زوانات: (الطريقة الشاذلية بين نشأتين)، ضمن كتاب التواصل الصوفي بين مصر والمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

الرباط، المملكة المغربية، 2000م، ص 16.

محمد بن عباد الرندي (1397م)¹، ويمكن القول بأن الطريقة الشاذلية لعبت نفس الدور الذي لعبه المذهب المالكي من خلال توحيد التصوف المغربي حيث تمكنت من التغلغل في مختلف أقطار المغرب عبر فروعها المدنية والزروقية والمليانية والناصرية...²، وتقوم هذه الطريقة على خمسة أسس هي تقوى الله في السر والعلن، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والاعراض عن الخلق في السر، والعلانية في الاقبال والادبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء.³

ويرى الطاهر بونابي بأن الشاذلية وصلت للمغرب الأوسط خلال القرن الثالث عشر الميلادي وذلك من خلال أبو الحسن وأبو عبد الله الخياط من بجاية وعبد الله الشريف البوني من عنابة وكانوا تلاميذ عند القطب أبي الحسن الشاذلي (ت1258م) ورافقوه إلى مصر، وابراهيم بن ميمون الزواوي (ت1287م) الذي لازم الشاذلي وأخذ عنه الطريقة وعاد لمدينة بجاية⁴، وقد انتشرت الشاذلية في كل من البرواقية بالمدينة التي يمثلها الشيخ محمد الموسوم بن محمد بن رقية، وبمازونة كان يمثلها الشيخ عدة بن غلام الله، وقد كان للطريقة الشاذلية بالجزائر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ما يناهز إحدى عشر زاوية وتسعة وتسعون مقدا وأربعة عشر ألف ومائتين وستة مريد⁵، ومن أبرز بيوتات العلم القسنطينية التي كانت تتبع الطريقة الشاذلية الزروقية نجد عائلة الفكون وعلى رأسهم عبد الكريم صاحب منشور الهداية وعائلة الوزان، كما كان يتبعها أيضا يحي الأوراسي صاحب الثورة على الأتراك كما انتشرت في كل من بجاية وتلمسان⁶، وقد وصل عدد الطرق التي تفرعت عن الطريقة الشاذلية لحوالي تسعة عشر طريقة أبرزها الجزولية والزروقية والمليانية والناصرية⁷، ويمكن القول بأن الطريقة الشاذلية هي طريقة مغربية الأصل تونسية المنشأ جزائرية المبادئ.

3/- الطريقة الزروقية:

وتنسب هذه الطريقة للشيخ أبي العباس أحمد الزروق الفاسي (ت1494م)⁸ الذي رضع من مبادئ التصوف بمدينة بجاية على يد عبد الرحمن الثعالبي وأبي مدين شعيب الغوث، وعاد للمغرب الأقصى

¹ محمد فتحة: المرجع السابق، ص163.

² محمد القبلي وآخرون: المرجع السابق، ص339-340.

³ أمال لدرع: المرجع السابق، ص234-235.

⁴ الطاهر بونابي: عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط...، ج4، المرجع السابق، ص611.

⁵ عبد العزيز شهي: المرجع السابق، ص108-110.

⁶ أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون...، المرجع السابق، ص109-110، أمال لدرع: المرجع السابق، ص234-235.

⁷ عبد الله العلوي: المرجع السابق، ص37-38، حسن جلاب: المرجع السابق، ص89.

⁸ أحمد الزروق الفاسي: هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بالزروق لأن جده كان أزرق العينين ولد بمدينة فاس سنة 1442م أخذ عن علماء المغرب الأقصى قبل أن يحط رحاله بتلمسان وبجاية. وهناك أخذ عن خيرة أعلام المغرب الأوسط كالثعالبي وأبي مدين والسنوسي وابن زكري والتنسي، وتوفي بمنطقة زليت بليبيا سنة 1493م، ووصلت مؤلفاته لحوالي خمسة وخمسون مصنفا، أنظر: (محمد

وتمكن من نشر التصوف بالريف المغربي قبل أن يصبح الزروق مصدرا للطريقة والتصوف. حيث أخذ عنه كل من أحمد بن يوسف الملياني والشيخ محمد الصغير والد عبد الرحمن الأخضرى¹، وقد كان الأخضرى يرى في الزروقية الطريقة المثلى والأصل، وهاجم في المقابل بقية المتصوفة في منظومته القدسية قائلا:

من كان في نيل الأماني راجيا ... وعن شريعة الرسول نائيا
فانه ملتبس مفتون ... وعقله مختبل مجنون
ثم يشيد بالمتصوفة الحقيقيين قائلا:

واعلم بأن الولي الرباني ... لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الافك والاصواب ... يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الأمور كلها ... وشاهد لأصلها وفرعها
والشرع نور الحق منه قد بدا ... فانفجرت منه ينابيع الهدى²

ومن أبرز متصوفة الجزائر الذين أخذوا سند الزروقية ونشروها في الجزائر بصفة عامة ومنطقة زاوية بصفة خاصة الشيخ ابراهيم بن أحمد الزواوي (ت1553م)³، وانتشرت بالجزائر عديد الزوايا التي تمثل هذه الطريقة في كل من سيدي عيش بجاية وتابلط بالمدينة وسور الغزلان بالبويرة ومسكيانة بأم البواقي أما زاويتها المركزية فكانت بالبرواقية بالمدينة⁴، كما انتشرت بتلمسان وتبسة وقسنطينة، ووصلت الطريقة الزروقية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بالجزائر إلى ألفين وسبعمائة وأربعة وثلاثين مرید⁵.

4/- الطريقة الطيبية:

وتعرف أيضا بالوزانية نسبة لمؤسسها عبد الله بن ابراهيم بن موسى الشهير بالشريف الوزاني العلمي (ت1678م) الذي ولد في قبيلة برج عروس بجبل وزان، ودرس بتطوان وفاس أين تخرج من جامع القرويين⁶، وقد أسس زاويته الأم بمنطقة وزان وسميت في البداية بالطريقة الوزانية، وبعدها أخذت تسمية الطريقة الطيبية نسبة إلى حفيده محمد الطيب (ت1767م) الذي نظمها وقام بنشرها على نطاق واسع، وقد كانت

ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، 74-73، أحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ص71-72، أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص129-131).

¹ الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص281-282، أحمد ظريف: المرجع السابق، ص70-71.

² المهدي البوعديلي: (عبد الرحمن الأخضرى وأطوار السلفية في الجزائر)، مجلة الأصالة، ع53، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر، 1978م، ص26.

³ محمد الصغير الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص101.

⁴ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص35.

⁵ عبد العزيز شهي: المرجع السابق، ص113.

⁶ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر...، المرجع السابق، ص468، اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص37، محمد بن رمضان شاوش: المرجع

السابق، ج2، ص45، صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص150.

من أبرز الطرق المدعومة من طرف السلطة الحاكمة في المغرب الأقصى بل أن مولاي الرشيد وشقيقه سليمان كانا على هذه الطريقة¹، ومن مبادئ الطريقة الطيبية التقوى والاكثار من فعل الخير والحفاظ على القيام بالواجبات الدينية²، وقد وصلت الطريقة الطيبية للجزائر عبر الشيخ الهاشي بن علي بن بوشنتوف (ت بعد 1770م) الذي حط رحاله بوزان بالمغرب الأقصى، وأخذ التصوف على يد الشيخ أبي عبد الله محمد الطيب شيخ الطريقة الطيبية الذي أذن له بالعودة للجزائر ونشر هذه الطريقة³، فعاد لمدينة معسكر وأصبح شيخا لهذه الطريقة بالجزائر، وانتقلت لأولاده وأتباعه وكانت زاويته بالكروط بمعسكر هي الزاوية الأم⁴.

وقد وصل عدد زواياها بالجزائر إلى إحدى عشر زاوية بالغرب وثلاثة في الوسط وستة في الشرق حيث انتشرت في القطاع الوهراني خاصة بالمناطق الجبلية، وتمكنت من كسب ود قبائل الدواير والزمالة وتوسع نفوذها لغاية تلمسان والمناطق الجبلية بالونشريس والظهرة ووصلت لقسنطينة وورقلة التي كان لها زاوية باسم سيدي عبد الله بن أحمد التي تعود للقرن الثامن عشر الميلادي⁵، وقد حاول بعض بايات وهران التقرب منها من خلال الهدايا والمنح حيث قام الباي حسين بشراء دار وبساتين وجعلها وقفا على الزاوية الطيبية بتلمسان سنة 1760م إلا أن مقدم الطريقة كان يرد هذه الهدايا بلباقة رغم العلاقة الودية بينهما⁶، ومن خلال الاحصائيات الفرنسية فان الطريقة الطيبية خلال القرن التاسع عشر الميلادي كان لها حوالي عشرون زاوية وثلاثة مائة وواحد مقدم واثنين وعشرون ألف ومائة وثمانية وأربعون مريد⁷، ومن أبرز أتباع هذه الطريقة بالجزائر الشريف محمد بن عبد الله المعروف باسم بومعزة الذي قاد المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي بين (1844-1847م)⁸، كما أضحت الطريقة الطيبية بالجزائر بمثابة الزاوية الأم والتي تحظى بالزيارة من أتباعها المغاربة مثلما كان مع الزاوية التيجانية بفاس، فقد كان المغاربة خلال فترة الاستعمار الفرنسي يطلبون رخصة من السلطات الفرنسية لزيارة الزاوية الطيبية أو الوزانية بالجزائر⁹.

¹ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص 42.

² رضوان شافو: المرجع السابق، ص 186.

³ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص 279.

⁴ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص 42.

⁵ رضوان شافو: المرجع السابق، ص 186.

⁶ توفيق دحماني: المرجع السابق، ص 420-421، اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص 37.

⁷ كمال بن صحراوي: (المرابطون والشرفاء بباليك الغرب الجزائري بين خدمة الدين وادعاء الشرف)، ضمن أعمال بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ لعبيد عبد العزيز، مطبعة نواصري، الجزائر، 2017م، ص 366-367، عبد العزيز شري: المرجع السابق، ص 163.

⁸ أحمد دركوش: مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس 1830-1914م القادرية والتيجانية أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011م، ص 30.

⁹ محمد التيجاني: (محاولة فرنسا استغلال الزوايا بالجزائر التي توجد لها فروع بالمغرب لضرب الزوايا الأخرى التي تعارض مشروعها الاستعماري زاوية بولهول بأحمر نموذجاً)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج 2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م، ص 750.

5/- الطريقة الحنصالية:

وتنسب للشيخ أبي عثمان سعيد بن يوسف الحنصلي دفين دادس بالقرب من مراكش خلال القرن الثالث عشر الميلادي، وكان دورها الأول نشر اللغة العربية ومختلف العلوم الشرعية خلال القرن الثالث عشر الميلادي قبل أن تتحول لحركة دينية وثقافية وصوفية خلال القرن السابع عشر الميلادي في عهد حفيده سعيد بن يوسف الحنصالي (ت1702م)¹ الذي أخذ مبادئ التصوف بمراكش وفاس وسجل مائة على يد محمد بن ناصر شيخ الطريقة الناصرية قبل أن ينتقل للحج ويلتقي بالقطب الجنيدي الدمياطي بمصر، وعاد للمغرب الأقصى وأخذ عن محمد بن ناصر الدرعي (ت1674م) الطريقة الناصرية وعلي بن عبد الرحمن التجموعي الجزولي²، وكانت تعاليمها تقوم على ذكر الله بطريقة فردية من خلال عبارة الاستغفار والشهادة³.

وقد دخلت الحنصالية لأول مرة للجزائر على يد سعدون الفرجيوي الذي وفد على الشيخ الحنصالي وتلمذ على يديه قبل أن يعود سنة 1727م للجزائر، وتمكن من نشرها في منطقة تلاغمة بميلة أين توجد الزاوية الأم، ومنها انتشرت في مختلف ربوع الوطن حيث كان لها حوالي ثمانية عشر زاوية وشيخ واحد وثمانية وأربعون مقدا وحوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون مريد⁴، وقد وصلت الطريقة الحنصالية لمنطقة شطابة بقسنطينة عن طريق الشيخ أحمد الزواوي الحنصالي أحد أكبر المعارضين لسياسة صالح باي وكان أحد أسباب هلاكه، فقد تلمذ وأخذ الطريقة الحنصالية عن محمد التلاغي عن سعدون الفرجيوي، وتعتبر عائلة العطار من أشهر العائلات القسنطينية التي احتضنت الطريقة الحنصالية خاصة الشيخ والمفتي أحمد بن مبارك العطار (ت1870م) بل وترك عنها مصنفا سماه نصيحة الإخوان⁵.

6/- الطريقة العيساوية:

وتعتبر إحدى الطرق الصوفية التي كانت تتبع الشاذلية وتنسب لمؤسسها الشيخ أبو عبد الله محمد الهادي بن عيسى السفيناني الإدريسي (ت1533م) دفين مدينة مكناسة⁶، فبعدها ولد محمد سنة 1468م ونشأ ودرس في قبيلة سفينان العربية بمكناسة انتقل بعدها لمدينة فاس برفقة والده للدراسة أين حفظ القرآن الكريم وعلوم اللغة والدين، وبعدها أخذ مبادئ التصوف عن شيوخ الشاذلية عاد محمد بن عيسى

¹ حسن جلاب: المرجع السابق، ص88.

² عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص44.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج1، المرجع السابق، ص526.

⁴ منى سي فضيل: المرجع السابق، ص109، عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص44، أمينة عميروي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2002م، ص31.

⁵ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج1، المرجع السابق، ص526، عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر... المرجع السابق، ص70، 87.

⁶ حمزة بوقادوم: المرجع السابق، ص83، أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر... المرجع السابق، ص468، منى سي فضيل: المرجع السابق، ص106.

لمدينة مكناسة وهناك أسس الزاوية المركزية للطريقة العيساوية، وقد أطلق على مؤسسها بن عيسى عدة ألقاب وتسميات كأحمر العين وشايب الذراع وفحل الفحول...¹، وتشتهر هذه الطريقة باستعمالها للمدائح بصوت عال واستخدام الموسيقى في مسارات التنوير الروحاني²، وقد انحرف أغلب أتباعها بعد وفاة شيخها من خلال استعمال التنجيم والسحر والشعوذة، ولولا الانحطاط الثقافي والفكري الذي عرفه المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر الميلادي لما عرفت هذه الطريقة وجودا أو تأسيسا أصلا³.

أما طريقة وصولها للجزائر فقد كان على يد شيخها محمد بن عيسى أثناء رحلته الحجازية والتي كانت عبر الصحراء الجزائرية وهناك أسس عدة فروع لهذه الطريقة⁴. لكن أكبر من نشر هذه الطريقة بالجزائر كان الشيخ علال المكناسي الذي حط رحاله بالبرواقية بالمدينة وأسس زاوية بالمنطقة سنة 1788م، كما تأسست عدة فروع للطريقة العيساوية في كل من قسنطينة وعنابة وسوق أهراس وأقبو ووهران وولهاصة بعين تيموشنت ومستغانم وبشار والقل، وفي تلمسان كان بها حوالي ثلاثة زوايا تنشر مبادئ الطريقة العيساوية الأولى بقرية العباد والثانية بجوار مسجد سيدي اليدون والثالثة بالقرب من مسجد سيدي الجبار واثنين في كل من ندرومة والرمثي⁵، وقد وصل عدد زوايا الطريقة العيساوية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي إلى حوالي ثلاثة عشر زاوية وخمسة وأربعون مقدا وثلاثة آلاف وخمسمائة وتسعة وثمانون مریدا⁶.

7/- الطريقة الموساوية:

وتسمى أيضا بالطريقة الكرزازية وتنسب للشيخ أحمد بن موسى بن خليفة بن موسى المشيشي (ت1604م) والذي يعود نسبه للشيخ عبد السلام بن مشيش ولد أحمد بن موسى بقرية سيدي موسى بضواحي فاس سنة 1502م وهناك تلقى تعليمه بمدينة فاس على يد عبد القادر الفاسي والشيخ أحمد العروسي ومحمد بن أحمد بن غازي المكناسي ثم اتصل بالشيخ محمد بن عبد الرحمن السهلي الذي كان يقيم بزوايته بالقصر السهلي ناحية سجلماسة وأخذ عنه مبادئ التصوف⁷، وبعدها قرر أحمد تأسيس زاويته الخاصة بمنطقة كرزاز وهي إحدى واحات الساورة ببشار، وكان ذلك سنة 1562م وعن هذه المدينة أخذ

¹ صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص170، اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص37.

² خالد صقلي: المرجع السابق، ص668.

³ عبد القادر صحراوي: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830م، دار هومه، الجزائر، 2016م، ص104.

⁴ مرتاض عبد الحكيم: المرجع السابق، ص40.

⁵ محمد شاوش: المرجع السابق، ج2، ص45، بودواية بلحيا: المرجع السابق، ص36-37، اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص37.

⁶ منى سي فضيل: المرجع السابق، ص106.

⁷ Mahammed Hadj Sadok: Op. Cit, p.91.

لقب الكرزازي، وكانت هذه الزاوية متخصصة في تعليم القرآن واللغة والعلوم الشرعية¹، وقد كان الشيخ أحمد بن موسى يردد الأبيات التالية المحفزة للانضمام لزاويته:

الشقي ما يجينا ... والي جانا يسعد بنا
أحنا ما أندورو اعليه ... هو اللي يدور اعلينا

وقد كانت هذه الطريقة تتبع منهج الطريقة الشاذلية وأصبحت مشيخة الزاوية الكرزازية ببشار بيد أسرة ابن جراد، وقد توسع انتشار هذه الطريقة إلى كل من غرداية وتوات والنعامه وتلمسان ووهران، وكان لهذه الطريقة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حوالي عشرة زوايا وثمانية وسبعون مقدا وثلاثة آلاف مريد².

8/- الطريقة الزيانية:

تأسست هذه الطريقة على يد أبي عبد الله الحاج أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي زيان الإدريسي المراكشي (ت1732م) المعروف بمولاي بوزيان، وينتمي لإحدى الأسر الشريفة التي كانت تقطن بوادي درعة³ التي ارتحلت إلى منطقة الساورة ببشار وهناك ولد أحمد سنة 1650م، فحفظ القرآن الكريم ومختلف العلوم الشرعية واللغوية، وبعد وفاة والده وهو في سن صغيرة انتقل محمد من قريته نحو زاوية قصر أولاد بدلة بسجلماسة⁴، فأخذ بها الطريقة الشاذلية عن الشيخ أبوبكر بن عزة ومحمد بن ناصر الدرعي، وبعد وصول مرض الطاعون لمنطقة تافيلالت سنة 1677م أين أصاب شيخه الغري الذي توفي به بعدما غسله تلميذه محمد وصلى عليه ومنها ارتحل لفاس، والتي مكث بها ما يقارب ثمانية سنوات وسكن خلالها بالمدرسة المصباحية وتلقى العلم بجامع القرويين على يد أحمد الحبيب اللمطي والشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وعبد السلام جسوس وأحمد اليميني، وأخذ هناك الطريقة الناصرية قبل أن يحط رحاله بمدينة القنادسة ببشار التي لقب بها فيما بعد - القندوسي - سنة 1686م بطلب من قبيلة ذوي منيع إحدى القبائل العربية الهلالية بالإقليم ويؤسس بها زاويته وأعلن عن طريقته التي أخذت اسمه⁵.

¹ صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص358، محمد الكبير فقيحي: (تأسيس الطرق الصوفية في إقليم الساورة)، ضمن منشورات ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص18-19.

² عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص37، عبد العزيز شبي: المرجع السابق، ص118.

³ فاطمة الزهراء حوتية: (الطرق الصوفية في الجنوب الغربي الجزائري)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م، ص189.

⁴ بلهادي خلادي: (البعد الثقافي من خلال وصايا الشيخ سيدي محمد بن بوزيان)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م، ص122.

⁵ محمد الكبير فقيحي: تأسيس الطرق الصوفية في إقليم الساورة...، المرجع السابق، ص46، 49، خالد صقلي: المرجع السابق، ص659-660، اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص36.

وقد أصبحت هذه الزاوية محجا للطلبة وعابري السبيل خاصة التجار والحجاج المغاربة، وقد كان الشيخ بوزيان يردد دائما مقولة: (السبحة واللوح على خروج الروح)، وقد خلفه ابنه محمد الأعرج بعد وفاته على رأس الطريقة والزاوية¹ أين استمرت هذه الزاوية بالنشاط في كل من بشار وتوات وقورارة وندرومة والرمشي وتلمسان وسيدي بلعباس ومستغانم وتمهت لغاية وصول القوات الفرنسية للمنطقة².

9/- الطريقة الدرقاوية:

ويعود نسب الطريقة الدرقاوية لمولاي أبي حامد مولاي محمد العربي الشريف الادريسي الملقب بالدرقاوي نسبة لجده المعروف باسم أبي درقة، وهو شيخ ذا صلاح كانت له درقة يستعملها أثناء الحرب يحيي بها نفسه من السهام خلال العصر المريني، فأخذ لقب الدرقاوي هو وأولاده وأحفاده³، وقد ولد محمد العربي ببني زروال بمراكش وبالضبط بقرية بوبريج سنة 1737م، وينتمي نسبه إلى المولى أحمد بن ادريس الأزهر لكن المؤسس الحقيقي للطريقة الدرقاوية هو شيخه علي بن عبد الرحمن الجمل الذي أسس زاوية بمدينة فاس يدعوا فيها لطريقته الجديدة المتفرعة عن الطريقة الشاذلية وكان العربي الدرقاوي أنجب تلاميذه، فبعد وفاة شيخه تفرغ الدرقاوي للتدريس بمدينة فاس قبل أن يقرر العودة لقريته بوبريج ويشيد بها زاوية تحولت فيما بعد إلى طريقة تحمل اسمه⁴، وقد استمد محمد العربي طريقته هذه من ثلاث طرق وهي القادرية من حيث لبس الخرق والناصية من حيث ملازمة السنة والشاذلية من حيث الخلوة والأوراد⁵، ومن أبرز مبادئ الدرقاوية ذكر الله سبحانه وتعالى والامتناع عن الكذب، وتجنب أصحاب السلطان والحكم، والاكثار من التعب ليلًا ونهارًا وكبح الشهوات والصبر على الجوع، والابتعاد عن الأمور الدنيوية والتشدد في التقشف، ولبس الرث من الثياب فكان أتباعها يرتدون الثياب المرقعة وهو ما جعلهم يكتسبون لقب الدربالي⁶.

ويرجع محمد المنصور أسباب الانتشار الرهيب للطريقة الدرقاوية في المغرب والجزائر إلى طبيعة صاحبها محمد العربي الذي كان قروي المنشأ والتكوين، وبذلك فقد كان يحث أصحابه على الابتعاد عن المدن والحواضر الكبرى، والتركز على البوادي وموانسة الفقراء والبسطاء، وهو ما جعلها طريقة خاصة بالفقراء والبسطاء وما أكثرهم في منطقة المغرب في ظل تهميش الأنظمة الحاكمة في ذلك الوقت للعامة واعتمادها

¹ عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف بالجزائر.... المرجع السابق، ص321.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج 1، المرجع السابق، ص512-513.

³ حسن جلاب: المرجع السابق، ص132، محمد البشير الفاسي: قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، منشورات جمعية علوم الانسان، الرباط، المملكة المغربية، د.ت، ص83، محمد العربي الدرقاوي: المصدر السابق، ص31-32.

⁴ مختار بونقاب: (الطريقة الدرقاوية بالجزائر - الحضور والأثر -)، مجلة الحوار المتوسطي، ع11-12، جامعة سيدي بلعباس، 2016م، ص372، عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص52-53.

⁵ محمد بن الحسن النعالي: طيب الأنفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس، تحقيق عبد الحميد خيالي، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2011م، ص54-55.

⁶ مختار بونقاب: المرجع السابق، ص374.

على النخبة المخزنية في صناعة القرار أما أسباب انتقال هذه الطريقة للجزائر فيؤكد المنصور بأن ذلك يعود للحصار الشديد الذي لاقاه أتباعها من طرف السلطان سليمان العلوي خاصة بعد سجن بعض شيوخها واغلاق أبرز فروعها في تطوان، وقد زار مولاي العربي الدرقاوي سنة 1797م مدينة تلمسان من أجل اقناع مسلمة شقيق السلطان سليمان بالعودة للمغرب، وذلك بطلب من السلطان نفسه وفي المقابل إطلاق سراح ذراعه الأيمن أحمد بن عجيبة¹، وقد وصلت الطريقة الدرقاوية لأول مرة للجزائر وبالضبط لمنطقة عين الحوت بتلمسان عن طريق محمد علي الادريسي الذي فتح زاوية بعين الحوت لنشر هذه الطريقة سنة 1736م² أما أشهر شيوخها بالجزائر فهو الشيخ عبد القادر بن الشريف الكساني وينحدر من أولاد بليل بقبيلة بني يزناسن الذي تتلمذ على يد الدرقاوي في فاس قبل أن يعود لموطنه، ويشيد زاوية ينشر فيها مبادئ الطريقة الدرقاوية بنواحي تلمسان، وهو الذي قاد التمرد على باي الغرب سنة 1804م³.

ومن فروع الطريقة الدرقاوية التي تأسست بالجزائر نجد زوايا وهران ومستغانم والونشريس وتيارت وتلمسان ومازونة الذي كان يمثلها الشيخ عدة البوعبدلي (ت1866م)، فقد وصل عدد زواياها سنة 1882م حسب لويس رين إلى اثنين وثلاثون زاوية ومائتين واثنين وستون مقدا وأربعة عشر ألف وثمانمائة واثنين وأربعون مريد، وتفرعت عنها هي الأخرى ثلاثة طرق وهي الهبرية والكتانية والحراقية⁴، ومن بين الذين تأثروا بالطريقة الدرقاوية بالجزائر الشيخ محمد بوزيان بن أحمد العسكري الغريسي (ت1854م) الذي ترك عنها تأليفا سماه كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار⁵، ولم تكتفي الدرقاوية بتأكيد حضورها الصوفي المتميز بالجزائر فقط بل انتقلت من حركة صوفية إلى حركة سياسية من خلال إعلان الثورة ضد الحكم العثماني، وقد تجسدت هذه الحركات في ثورتي عبد القادر الدرقاوي وابن الأحرش.

وقد قاد الثورة الأولى الشيخ عبد القادر بن محمد الشريف، ومن خلال الأغا بن عودة المزابي فان عبد القادر كان رجلا صالحا عالما متفننا في سائر العلوم زاهدا ورعا معلما للقرآن يتميز بالصلاح، وقد تربى بزاوية محي الدين بن مصطفى بلمختار الحسني بمعسكر قبل أن يرتحل لمدينة فاس من أجل مواصلة تعليمه الشرعي واللغوي، وهناك التقى بالشيخ محمد العربي الدرقاوي الذي أقنعه باتباع طريقته، وعاد بعدها للجزائر واستقر بقبيلة حميان وادعى المهدوية، كما قدم الولاء للسلطان مولاي سليمان⁶، وبأمر من شيخه العربي الدرقاوي أعلن عبد القادر الثورة على الأتراك سنة 1805م ودامت لمدة عشر سنوات كاملة⁷، وقد

¹ محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين.... المرجع السابق، ص282-284.

² حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر.... المرجع السابق، ص31، 28، 35، 32.

³ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص52-53.

⁴ اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص35-36، توفيق دحماني: المرجع السابق، ص414، عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص154.

⁵ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج2، المرجع السابق، ص135.

⁶ الأغا بن عودة المزابي: المصدر السابق، ج1، ص303، أحمد العماري: خلفيات الحدود الجيوسياسية... المرجع السابق، ص175-176.

⁷ عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف بالجزائر.... المرجع السابق، ص205.

تمكن من هزيمة الجيش التركي أكثر من مرة في بايلك الغرب، وهو ما جعل باشا الجزائر يرسل السلطان مولاي سليمان العلوي ويحثه على التواصل مع الشيخ محمد العربي زعيم الطريقة بالمغرب الأقصى، والذي اعتبره برأس الثعبان حتى يقنع تابعه عبد القادر الدرقاوي ويحثه على توقيف التمرد¹، وقد ناشده قائلاً: (إن أسلافكم ملوك الدولة العلوية مع ملوك الدولة التركية كانوا يدا واحدة لا تشاجر بينهم غير أن هذا القائم علينا درقاوي الوسيلة وشيخه من إيالتكم ... وهو الذي يمد بطائفته فرأس الحية عندكم وذنبها عندنا)².

وقد تعامل مولاي سليمان مع هذه الرسالة بحذر شديد فمن جهة أراد ربح الأتراك في صفه ويحافظ على علاقاته الودية معهم، ومن جهة ثانية أراد تحطيم الطريقة الدرقاوية من خلال هذه الثورة بعد خشيانه من تأسيس إمارة درقاوية في غرب الجزائر تكون مؤشرا خطيرا على حرب كبيرة في المنطقة، فهو يعرف جيدا طموح محمد العربي الدرقاوي ومشروعه السياسي بإقامة كيانا مستقلا³، فاتصل مولاي سليمان بالشيخ العربي الدرقاوي وأقنعه بتشكيل وفدا نحو الجزائر وكان معه بالوفد الحاج الطاهر بادو المكناسي، وبعد وصول العربي الدرقاوي لوهرا ن انحاز لتلميذه عبد القادر بل وقال لهم قولا تحريزيا في الأتراك: (إن الترك أدبرت أيامهم فلن تقم لهم قائمة، وإن الله ملككم أرضهم وأموالهم)، وهو ما فهمه الباي المقلش الذي خلف الباي مصطفى بأن السلطان سليمان يقف وراء هذه الثورة ويدعمها ماديا ومعنويا، ودليل مسلم بن عبد القادر في هذا الموقف لما دخل عبد القادر الدرقاوي مدينة تلمسان وحاصر الحامية التركية في المشور شرع في مناداة الناس وطالهم بضرورة مبايعة السلطان سليمان العلوي ضد الأتراك⁴.

ومما زاد في خطر ثورة درقاوة على الحكم العثماني هو إعلان باي وهران محمد بن عثمان بوكابوس (1808-1813م) اتباعه للطريقة الدرقاوية سرا، وتلقيه دعما من طرف السلطان المغربي مولاي سليمان، كما تقدم بطلب دعم من اسبانيا وإنجلترا ضد الحكم العثماني مقابل امتيازات لهما في المستقبل⁵، وفي المقابل فان من أبرز الأسباب التي سرعت في نهاية الثورة الدرقاوية بالجزائر والمغرب ككل هو تورط أتباعها في الثورة ضد مولاي سليمان من خلال دعمهم للأمير إبراهيم بن يزيد سنة 1819م، وهذا ما جعل مولاي سليمان يحقد على هذه الطريقة ويحارب أتباعها ويهدم زواياها، ويسجن شيخها الأول مولاي العربي الدرقاوي لغاية

¹ حنان لطرش: المرجع السابق، ص 144-145.

² محمد بوشناق: موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية ...، المرجع السابق، ص 26.

³ محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين ...، المرجع السابق، ص 287.

⁴ مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 50-52.

⁵ حنيفة هلايلي: (الثورات الشعبية في الجزائر أواخر الحكم العثماني كرد فعل على سياسة التهميش)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية، ع 20، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2006م، ص 201.

وفاة السلطان سليمان سنة 1822م¹. لكن الاشكال المطروح من قبل الدراسات والأبحاث التاريخية هو نهاية الثورة بالجزائر وشيخها عبد القادر بالتحديد، فمحمد المنصور يذكر بأن الشيخ عبد القادر وبعد الانهزامات المتتالية أمام الجيش العثماني بالغرب الجزائري قرر سنة 1812م الفرار لمدينة مكناسة وطلب الحماية من مولاي سليمان العلوي، وأراد أن يعامله مثلما عامل قبله الشيخ أحمد التيجاني². أما عبد المنعم القاسمي الحسيني فيذكر بأن الشيخ عبد القادر زعيم الثورة انسحب لجبل بني يزناس بالمغرب الأقصى وهناك توفي، فعاد أولاده وعائلته للجزائر وتكفل معي الدين والد الأمير عبد القادر بحمايتهم وهو ما جعل الباي حسن يعفوا عنهم³، وفي المقابل فان مسلم بن عبد القادر الذي كان قريبا من الأحداث فيجزم بأن الشريف عبد القادر الدرقاوي قتل سنة 1809م⁴.

وقبل أن يتخلص الأتراك من ثورة درقاوة في الغرب الجزائري حتى اندلعت ثورة أخرى تتبع لنفس الطريقة بالشرق الجزائري قادها ابن الأحرش، واسمه الكامل محمد بن عبد الله الشريف يعود أصله لمدينة درعة بالمغرب الأقصى ويزعم أنه من شرفاء فاس⁵، ويؤكد شارل فيرو بأن ابن الأحرش واسمه الكامل الأمير أبو دالي الحاج محمد بن الأحرش وكان أميرا لركب الحج المغربي⁶، كما يذكر الأغا بن عودة المزابي بأن ابن الأحرش كان مالكي المذهب درقاوي الطريقة⁷، وفي طريق عودته من رحلته الحجازية شارك ابن الأحرش في الثورة المصرية ضد الغزو الفرنسي بقيادة نابليون بونابارت، وقد أبان هناك عن مهارة عالية وشجاعة كبيرة في قتال الفرنسيون إلى جانب الحجاج الجزائريون والمغاربة الذين كانوا برفقته وبذلك تمكن من كسب قلوبهم وعقولهم⁸، وانفرد أحمد الشريف الزهار عن بقية المصادر بربط ابن الأحرش وثورته بحمودة باشا حاكم تونس الذي استضاف ابن الأحرش أثناء مروره من مصر نحو الجزائر أين حرضه على حكامها بقوله: (إن رجلا شجاع مثلك يجب أن يذهب إلى ملك الترك وينزعه من أيديهم ونحن نمذك بما يخصك والعرب

¹ Michael Peyron: (*Equilibre des forces aux temps de Moulay Slimane*), *Actes du colloque le Maroc à l'époque du Sultan Moulay Slimane 1792-1822*, Publication de la faculte des lettres et des sciences humains, universite Sultan Moulay Slimane Beni Mellal, Maroc, 2008, p.8-9.

² محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين.... المرجع السابق، ص 287.

³ عبد المنعم القاسمي الحسيني: أعلام التصوف بالجزائر.... المرجع السابق، ص 205.

⁴ مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 55.

⁵ حنان لطرش: المرجع السابق، ص 140-142.

⁶ شارل فيرو: تاريخ جيغلي، ترجمة عبد الحميد سرحان، ط1، دارالخلدونية، الجزائر، 2010م، ص 147، 151، 167.

⁷ الأغا بن عودة المزابي: المصدر السابق، ج1، ص 300.

⁸ ناصر الدين سعيدوني: (ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية)، *مجلة الثقافة*، ع78، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

الجزائر، 1984م، ص 201-204.

يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك)، وذلك بسبب العلاقة السيئة التي كانت تربط حمودة باشا بدايات الجزائر الذي أزهقوا كاهله بالضرائب¹.

وبعد وصول ابن الأحرش إلى الجزائر نزل بزاوية سيدي الزيتوني بنواحي جيجل وقدم نفسه للعامه على أنه المهدي المنتظر والمخلص، فالتفتت حوله قبائل مسلم وأولاد عيودون وبني خطاب، وشرع يعلم القرآن الكريم للصبيان قبل أن يقرر تأسيس معهدا دينيا ببني فرقان لتدريس الفقه، وشرع في عمله المسلح من خلال محاربة السفن الفرنسية القادمة لصيد المرجان بجيجل والقل سنة 1803م، وعلى اثر ذلك تمكن من السيطرة على سفينة لصيد المرجان تابعة للشركة الفرنسية بالقالة، وأسر منها حوالي أربعة وثلاثون فرنسيا واتجه بهم لوادي الزهور أين أعدمهم هناك، وبضغط من فرنسا تحركت القوات التركية من مدينة الجزائر نحو جيجل للقبض على ابن الأحرش وتسليمه للفرنسيين، وهو ما جعل هذا الأخير يعلن الثورة بصفة رسمية على الأتراك سنة 1804م²، فشرع بعدها في تشييد مدينة خاصة تتمثل في محطة حربية قرب قرية جراح على ضفاف وادي الزهور، وقد زحف على مدينة قسنطينة سنة 1804م بعدما استغل خروج الباي عثمان في إحدى الحملات لجباية الضرائب بقبائل ريف بسطيف³.

وفي طريقه لقسنطينة استولى ابن الأحرش على ستة عشر قرية، وكان يوهم رجاله الذين كانوا بالآلاف بأنه يمتلك قدرات خارقة يستطيع من خلالها تجاوز جند الأتراك بسهولة، ووعدهم بأن بنادقهم سيخرج منها البارود بينما بنادق جند وأهالي قسنطينة سيخرج منها الماء، وهو ما جعل العديد من هؤلاء التابع يحملون عصي فقط معتقدون بأن بركة ابن الأحرش ستتغلب على أسلحة الأتراك المتطورة⁴، وما ساهم في زيادة نفوذه لما تحالف مع أحد المرابطين في أحواز ميله واسمه الزيوشي الذي نزع منه عثمان باي الضريبة التي كان معفى منها سلفا، وقد انتهت هذه المعركة بمقتل عثمان باي قسنطينة سنة 1804م وخلفه عبد الله باي، وهناك اختلافا كبيرا حول نهاية ثورة ابن الأحرش، فبينما يرى كل من فيرو وفايسات بأن ابن الأحرش قتل على يد جنود الحامية التركية وفرقة أولاد مقران بمجانة في منطقة الرابطة (برج بوغيريج حاليا) سنة 1807م يذكر مسلم بن عبد القادر بأنه فر نحو مدينة معسكر ببايلك الغرب، وشارك إلى جنب عبد القادر الشريف الدرقاوي ضد باي الغرب، وهناك قتل بالسم ويقال على يد الدرقاوي نفسه خوفا على شعبيته وزعامته للثورة، والسؤال المطروح هنا هل ابن الأحرش الذي يتكلم عنه مسلم بن عبد القادر هو نفسه الذي

¹ أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار... المصدر السابق، ص115.

² ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص201-204.

³ عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص302.

⁴ أحمد ابن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق عبد الله حمادي، منشورات نوميديا، الجزائر، 2012م، ص112، أبو العيد دودو: الجزائر في

مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ص45.

قاد الثورة في بايلك الشرق ؟ لأن البعض يرجح فرضية وجود قريب لابن الأحرش يحمل نفس الكنية وهو الشخص المعني في ثورة درقاوة بالغرب الجزائري¹.

10/- الطريقة الحبيبية:

وتنسب لمحمد بن الحبيب الأمغاري الإدريسي من مواليد قرية مدغرة ناحية فكيك، وبها نشأ وتعلم مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وقد كانت الزاوية الأم بمدينة مكناسة ومنها انتشرت لمختلف ربوع المغرب الأقصى، وانتقلت منها للجزائر حيث كان لها أتباع في كل من ورقلة وعنابة ومعسكر وقصر البخاري².

وفي خاتمة هذا العنصر يمكن تلخيص نشاط الطرق الصوفية التي وفدت من التراب المغربي للجزائر خلال العصر الحديث في الجدولين التاليين:

الطريقة	مؤسسها	تاريخ وفاته	مسقط رأسه	مناطق انتشارها بالجزائر
القادرية	عبد القادر الجيلاني	1166م	بغداد	الأوراس، معسكر، وهران، تلمسان،
الشاذلية	أبي الحسن الشاذلي	1258م	مراكش	تلمسان، وهران، بجاية...
الزروقية	أحمد الزروق	1494م	فاس	بجاية ومنطقة زاووة...
العيساوية	محمد الإدريسي	1533م	مكناسة	تلمسان، وهران، أم البواقي...
الموساوية	أحمد بن موسى	1604م	فاس	بشار، تلمسان، وهران، غرداية ...
الحبيبية	محمد الحبيب	القرن 17م	فكيك	ورقلة، عنابة، معسكر، المدية...
الحنصالية	سعيد الحنصلي	1702م	مراكش	تلاغمة، ميله، قسنطينة...
الزيانية	أحمد بن أبي زيان	1732م	وادي درعة	بشار، توات، تيارت، مستغانم ...
الطيبية	مولاي الطيب	1767م	وزان	تلمسان، معسكر، قسنطينة...
الدرقاوية	العربي الدرقاوي	1809م	مراكش	تلمسان، وهران، جيجل، قسنطينة

اسم الطريقة المغربية	عدد زواياها بالجزائر	عدد المقدمين	عدد المريدين	الترتيب
القادرية	33	558	24578	01
الطيبية	08	234	22148	02
الدرقاوية	32	268	14574	03
الشاذلية	11	99	14206	04
العيساوية	13	45	3589	05

¹ شارل فيرو: المصدر السابق، ص151، 147، 167، ناصر الدين سعيدوني: ورققات جزائرية...، المرجع السابق، ص276-277، حنان لطرش: المرجع السابق، ص140-142.

² اسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص37.

06	3530	48	18	الحنصالية
07	3000	78	10	الموساوية
08	2734	/	/	الزروقية
09	/	/	/	الزيانية
10	/	/	/	الحبيبية

ثالثا/- المؤثر الصوفي المغربي بالجزائر:

لم تقتصر عملية التنقل والترحال على المتصوفة والمرابطين المغاربة نحو المدن الجزائرية بل تعداها إلى انتقال بعض المصنفات والرسائل والإجازات.

1/- المصنفات والإجازات:

يعتبر كتاب محاسن المجالس لصاحبه أحمد بن العريف الفاسي (ت1141م) من أولى المصنفات الصوفية في منطقة المغرب، وقد جاء هذا الكتاب لشرح تصوف الغزالي¹، وأضحى فقد كان هذا المصنف المرجع الأساسي لمختلف الزوايا والطرق الصوفية المنتشرة في الجزائر خلال العصر الوسيط والحديث، وفي المقابل يعتبر مصنف التشوف إلى رجال التصوف لصاحبه ابن الزياد التادلي الذي ألفه سنة 1221م من أولى المصنفات المغربية الذي أعتمد بشكل كبير كمصدر لدى المتصوفة في منطقة المغرب ككل، كما وصل إلى الجزائر وانتشر على نطاق واسع، ومن جملة المصنفات الصوفية المغربية التي دخلت للحواضر الجزائرية خلال العهد العثماني نجد بداية الهداية، وتلقين المرید، وشرح المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وشرح الرسالة القشيرية لصاحبها أبي محمد صالح الماجري (ت1234م) وهو شيخ رباط مدينة أسفي، وقد تكفل بإدخالها للجزائر العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي²، كما وصل أيضا مصنف الصلاة المشيشية وهي مجموعة من الأوراد للشيخ أبي محمد بن عبد السلام بن مشيش³، ومن جملة علماء الجزائر الذين اهتموا بهذا المصنف وتركوا عنه شروحا ومختصرات وحواشي نذكر محمد

¹ علي بن شريف عبد الإله: مرجعيات مفردات الطرق الصوفية في منطقة تلمسان دراسة معجمية ودلالية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2004م، ص25.

² الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي...، المرجع السابق، ص15.

³ عبد السلام بن مشيش: هو أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر منصور بن علي الإدريسي الحسني ولد بجبل بني عروس شمال المغرب الأقصى قام برحلة حجازية، ومكث بمدينة بجاية مدة أين تتلمذ على يد أبي مدين شعيب، ولما عاد للمغرب الأقصى تفرغ لنشر العلم والطريقة، والتي أخذها عنه أبو الحسن الشاذلي زعيم الطريقة الشاذلية، وتوفي سنة 1228م وترك عديد المؤلفات أشهرها على الإطلاق إعانة الراغبين في الصلاة والسلام على أفضل المرسلين، وتعرف اختصارا بالصلاة المشيشية، أنظر: (عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص65، خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص9، أبو عمران الشيخ وآخرون: المرجع السابق، ص439-441).

الخروبي، وكذلك الشأن لعلامة تلمسان سعيد المقري الذي ألف كتابا سماه شرح صلاة القطب ابن مشيش¹.

كما شاع استعمال وتداول مصنفات الشيخ أحمد الزروق الفاسي بداية بكتاب النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، والذي شرحه العلامة محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن زكرياء التلمساني² وشرحها أيضا العلامة الطاهر بن عبد القادر المشرفي قاضي مدينة وهران خلال فترة حكم حسن أخربايات وهران³، ونفس الشيء بالنسبة لكتاب الوظيفة الزروقية في التصوف، والذي يعتبر من أبرز المصنفات التي كانت تدرس بعناية وبالضبط لدى أسرة ساسي البوني باعتبار أن هذه العائلة كانت تحمل لواء الشاذلية بعنابة وأحوازها، وعلى رأسهم الجد محمد ساسي وابنه قاسم وحفيده العلامة أحمد⁴ هذا الأخير الذي ترك عن الوظيفة الزروقية كتابا سماه الترياق الفاروق لقراء وظيفة الشيخ زروق، ويذكر عبد الرزاق بن حمادوش بأن هذا الشرح كان متداولاً في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي⁵.

كما نالت الرسالة الصوفية لأحمد الزروق الحظ الوافر من اهتمام طلبة وعلماء الجزائر العثمانية والمعروفة باسم أصول الطريقة الزروقية، فقد كانت تدرس بقسنطينة من طرف عبد الكريم الفكون وعنه أخذها أيضا عيسى الثعالبي⁶، وترك عنها محمد بن علي الخروبي شرحا مفصلا سماه الدرّة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة⁷، كما ترك عنها أيضا عبد القادر المشرفي نظما سماه عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسطى، وقام ابنه محمد الطاهر المشرفي بعده بشرح هذا النظم وحضي هذا الشرح الأخير بتقريظين الأول لقاضي مدينة الجزائر محمد بن مالك والثاني لأبي راس الناصري⁸، ومن مؤلفات ابراهيم التازي في التصوف بعدما استقر بمدينة وهران قصيدته المرادية والتي مطلعها:

مرادي من المولى وغاية آمالي ... دوام الرضى والعفو عن سوء أحوالي
وتنوير قلبي بانسلا سخيمة ... به أخلدتني عن ذوي الخلق العالي
واسقاط تدبير وحوالي وقوتي ... وصدقي في الأحوال والفعل والقال

¹ أحمد المقري: الرسائل...، المصدر السابق، ص348.

² أحمد الزروق الفاسي: المصدر السابق، ص20.

³ عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف بالجزائر...، المرجع السابق، ص177-178.

⁴ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص180.

⁵ أحمد البوني: الدرّة المصونة...، المصدر السابق، ص45، عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص130.

⁶ أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام...، المرجع السابق، ص91.

⁷ أحمد بن حسين الأنصاري: نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م، ص104، ناصر الدين محمد الشريف: المرجع السابق، ص160.

⁸ فوزية لزغم: المرجع السابق، ص246.

وقد قام محمد بن الصباغ القلعي بترك شرح عن هذه القصيدة سماه شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير بالمراد، وقد لقي انتشارا واسعا بتلمسان والغرب الجزائري خلال العهد العثماني¹، ووصل للجزائر كتاب فتح الباب الملتزم الجامع لبعض معاني كتاب الحكم لمحمد بن علي الشطبي وهو عبارة عن شرح لكتاب الحكم العطائية للحكم بن عطاء الله الإسكندري (ت1309م)، كما ترك الصوفي المغربي الكبير أحمد الصومعي التادلي (ت1604م) شرحا للحكم أيضا في أربعة مجلدات سماها مطالع الأنوار السنوية في بعض معاني الحكم العطائية وقد وصل هو الآخر للجزائر²، وبعدها قرر الفقيه والشيخ عبد الله بن عزوز السوسي المراكشي الاستقرار بمدينة تلمسان ترك بها عديد المصنفات المندرجة ضمن علم التصوف بداية بكتاب تنبيه التلميذ المحتاج، وقد جعله في سبعة فصول تطرق فيها للفرق بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، وترك أيضا مصنفا آخر بعنوان إظهار البدع وأرهاط المبتدعة أين نادى فيه بالتمسك بكتاب الله وسنته والابتعاد عن البدعة، والمصنف الثالث دمج فيه بين الطب والحكمة والتصوف سماه ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة، وكتاب رابع سماه نور الحياة فيما يجب للخالق على المخلوقات وفي كيفية النظر والتفكير في خلق الأرض والسموات، وقد نسب له كارل بروكلمان ثلاثة مؤلفات أخرى هي لباب الحكمة والأجوبة النورانية وأئمة البصائر في معرفة حكمة المظاهر وكلها في التصوف³.

وأثناء مرور الرحالة المغربي أبو سالم العياشي عبر مدينة تقرت قدم مؤلفه في التصوف تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية كهدية إلى مفتي تقرت الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم، وبذلك انتشر هذا المصنف في مختلف أرجاء المدينة⁴، كما شاع بمدينة تلمسان شرح كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين لصاحبه محمد بن سليمان الجزولي الذي عاش بتلمسان خلال القرن السابع عشر الميلادي وتعود أصوله إلى قبيلة جزولة بالمغرب الأقصى، والمصنف عبارة عن شرح لنظم شيخه موسى بن علي بن موسى الملالتي التلمساني⁵، ومن المصنفات الصوفية التي شاع استعمالها بالجزائر وتعود لمتصوفة المغرب الأقصى نجد كتاب أحمد السكيج الفاسي والموسوم بكشف الحجاب، وقد جمع فيه سيرة التيجاني ومختلف الرسائل التي كانت بين الشيخ وطلبته بالجزائر والمغرب الأقصى⁶، كما انتشرت أيضا رسائل مولاي محمد العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية، وهذا المصنف عبارة عن مائتي واثنين وسبعون رسالة بعث بها الدرقاوي لمريديه من أجل توعيتهم وتفقيهم في الدين، وقد وصلت هذه الرسائل

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج2، المرجع السابق، ص121.

² زهراء النظام: العلاقات المغربية الجزائرية ... المرجع السابق، ص427.

³ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص151-152.

⁴ عبد الله العياشي: المصدر السابق، ج1، ص76.

⁵ أبو القاسم سعد الله: كعبة الطائفين ...، ص61-61. أبحاث وآراء ...، ج3، المرجع السابق، ص223-224.

⁶ تلمساني بن يوسف: المرجع السابق، ص76.

بطبيعة الحال إلى الجزائر وبالضبط إلى مختلف الزوايا بالغرب الجزائري التي تسير على الطريقة الدرقاوية¹، كما ترك بمنطقة الساورة الفقيه الحاج علي بن عبد القادر التازي خلال القرن الثامن عشر الميلادي مصنفًا حول شيخه محمد بن أبي زيان شيخ الطريقة الزيانية سماه منهل الظمآن ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا الحاج محمد بن أبي زيان².

ومن المصنفات الصوفية المغربية التي لقت شهرة وانتشارًا بين أتباع الطريقة الدرقاوية بالجزائر كتاب الشيخ محمد بن أحمد البوزيدي المستغاني (ت1813م) والموسوم بالأدب المرضية لسالك طريق الصوفية حيث تطرق فيه لمختلف السلوكات والآداب التي يلتزم بها المرید اتجاه شيخه أثناء التلمذ عليه في اللباس والمأكل والمشرب والنوم والجوار والدراسة...، كما انتشر لنفس الشيخ ديوانه للشعر والابتهال الصوفي في الطريقة الدرقاوية³، وبالحواضر الصحراوية تم تداول كتاب القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم لصاحبه الفقيه والصوفي ابن أبي محلي السجلماسي الذي ألفه في مدينة فكيك سنة 1603م ووصل لمنطقة الساورة وبني عباس الذي تربى وعاش فيها لمدة عشرون سنة⁴، وفي مجال الإجازة فقد نال مختلف متصوفة الجزائر الذين حطوا رحالهم بالمغرب الأقصى وسبق وأن تطرقنا إليهم إجازات في مجال التصوف على يد شيوخ الزوايا والطرقية هناك، ولعل من أبرز هذه الإجازات تلك التي نالها أحمد التيجاني بمدينة فاس في رحلته الأولى سنة 1758م أين أخذ الطريقة الطيبية والشاذلية والجزولية من الشيخ الطيب بن محمد اليلمعي والذي أجازته في كل هذه الطرق ونفس الشيء ينطبق على محمد السنوسي⁵، ولما زار محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت1823م) مدينة قسنطينة أجاز شيخ المدينة وعالمها علي الونيسي في سند الطريقة الناصرية⁶.

2/- المكاتبات والمساجلات:

تعد المكاتبات السنوية من أبرز مظاهر التواصل الصوفي الذي تم بين علماء ومتصوفة الجزائر والمغرب الأقصى حيث يقوم رجال الصوفية والطرقية بتبادلها فيما بينهم، ويتنوع غرضهم من ذلك بين الثناء والشوق والمدح والنصح وطلب الدعاء، ولم يلتزموا بالنثر فقط وإنما أضافوا لها الشعر أيضا⁷، كتلك المراسلات التي

¹ للاطلاع على محتوى هذه الرسائل أنظر: (محمد العربي الدرقاوي: المصدر السابق، ص419-431).

² مصطفى علوي: المرجع السابق، ص151-152.

³ البوزيدي المستغاني محمد بن أحمد: الأدب المرضية لسالك طريق الصوفية... المصدر السابق، ص10-15، البوزيدي المستغاني محمد بن أحمد: الديوان، تعليق وضبط وتقديم ابراهيم عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص157-176.

⁴ عبد الله حمادي: كتابات ابن أبي محلي... المرجع السابق، ص67.

⁵ تلمساني بن يوسف: المرجع السابق، ص66-67.

⁶ محمد بن عبد السلام الناصري: المصدر السابق، ص254.

⁷ الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي... المرجع السابق، ص22.

كان يبعثها المريدين والمتصوفة بكل من مراكش وفاس وتازة إلى شيخهم وأستاذهم أحمد بن يوسف الملياني بمليانة، ولما عاد محمد بن علي الخروبي إلى الجزائر من زيارته الفاسية تلقى عديد الرسائل الصوفية من مريديه بالمغرب الأقصى، كأبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي¹، ومحمد بن يوسف الترغي المستاري، ومحمد بن عبد الرحمن الحضري الوزروالي، وأبو الحسن علي بن البقال الأغصاوي، وأحمد بن أبي القاسم الهروي التادلي، وأبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسني²، وأبو محمد عبد الله بن محمد الهبطي الطنجي، وكان الخروبي يرد على هذه المراسلات في وقتها³، وبعد لقاء أحمد بن ناصر الدرعي بمتصوفة الجزائر أثناء رحلته الحجازية عاد للمغرب الأقصى وبقي على تواصل مع متصوفة الجزائر حيث كتبهم بمجموعة من الوصايا سماها وصية لفقراء الجزائر، كما كان العربي الدرقاوي مؤسس الطريقة الدرقاوية بالمغرب الأقصى يكتب أتباعه بالجزائر بعدد النصائح الصوفية⁴.

وبالنسبة للمساجلات والمناظرات الصوفية فقد سجلنا البعض منها وبالخصوص تلك التي وقعت بين ابن أبي محلي السجلماسي وشيخه عبد القادر بن محمد المعروف بالشيخ بوسماحة، فقد اتهم ابن أبي محلي شيخه بالزندقة وألف في هجائه أربعة كتب هي السيف البارق مع السهم الراشق، ومنجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزندقة، وسم ساعة في تقطيع أمعاء مفارق الجماعة، ومهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس نفوس السفلة المنخدعة⁵، وهو ما جعل الشيخ عبد القادر يرد عليه بكتاب الياقوتة وهي عبارة عن قصيدة من مائة وثمانية وسبعون بيتا يقول فيها:

بدأت بحمد الله قصدا لنج ما ... أروم من استفتاح نظم القصيدة
وسميتها الياقوت رفعا لقدر ما ... تسلسل فيها من أسيخ عديدة
فإنني عبد القادر بن محمد ... سليل أبي الربيع نجل السماحة
ولا فخر غير أني عبد القادر ... وأحمد تاج المرسل أقوى وسيلتي
بلعن الإله باء من رمى نسبنا ... عنادنا إلى فعل نكروبدعة
كذلك الذي يرمي كريم جنابنا ... وينسب قدرنا لأقبح سيرة⁶

ومن أبرز المساجلات الصوفية التي وقعت بالحواضر الجزائرية بين متصوفة الجزائر والمغرب الأقصى لما زار الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي في عودته من الحج سنة 1710م مدينة القنادسة أين التقى بالشيخ محمد بن بوزيان القندوسي شيخ الطريقة الزيانية أو القندوسية، وقد تذاكر معه فحاول الدرعي

¹ محمد الشراط: المصدر السابق، ص172.

² محمد حسين القذافي: المرجع السابق، ص256-257.

³ أبي حامد الفاسي: المصدر السابق، ص81.

⁴ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ... ج1، المرجع السابق، ص501.

⁵ عبد الله حمادي: كتابات ابن أبي محلي ... المرجع السابق، ص87-89.

⁶ بودواية بلحيا: المرجع السابق، ص56-58.

نصحه واعتبره مكبلا بحبال الشيطان والعزة والغرور بالنفس رغم وضاعة زاده في التصوف إلا أنه رد النصيحة ولم يقبلها حسب قول الدرعي. إلا أن الدرعي لم يذكر ولم يحدد طبيعة هذا الخلاف ونوعه¹.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص722.

خاتمة



موسم الأمل
عبد القادر
موسم الأمل الإسلامية

تعتبر الصلات الحضارية بين الشعوب والدول علاجا ناجحا لتذويب مختلف الخلافات ودرء الحروب والنكبات، فأينما تيسرت هاته الصلات الحضارية بين قطرين أو عدة أقطار - وان اختلفت في اللغة والدين والعرق والعادات والتقاليد - فان تلك المنطقة سيسودها التطور والازدهار الاجتماعي والاقتصادي، فما بالك ببلدين يشتركان في كل شيء إلا الانسجام والوحدة، فقد كان الطموح والرغبة العلمية لدى علماء وطلبة الجزائر والمغرب الأقصى في التنقل والترحال والأخذ من شيوخ لطالما سمعوا بصيتهم العلمي وقرأوا مصنفاتهم يجعلهم يتخطون الحواجز السياسية التي لا يبقى لها أي اعتبار أمامهم، وإذا كانت نظرة السلطة السياسية بالبلدين للحدود تقتصر على المعطى الجغرافي بين مد وجزر، فان نظرة المجتمع بصفة عامة والعلماء بصفة خاصة كانت شمولية في مختلف جوانبها الدينية والثقافية والحضارية، فدار الاسلام هي بمثابة مجالا جغرافيا وفضاء حضاريا غير محدود يحق للمسلم أيا كان أن يتنقل أو يستوطن في مختلف جهاته، ويتعايش مع مختلف الكيانات الاثنية التي تشكلها على حساب دار الحرب التي اقتنع المسلم بضرورة أسلمتها واحقاق مبدأ العالمية للدعوة الاسلامية.

وبذلك وجب على الباحث والدراس للتاريخ المغاربي الحديث أن يميز بين العلاقات الرسمية والخلافات الناجمة عن ذلك، وبين الصلات والروابط الحضارية بين شعبين مشتركين في كل شيء حتى في الهواء والماء والتراب، وانطلاقا من هذا المعطى فان دراسة تاريخ وثقافة الجزائر العثمانية لا يمكن أن تكون بمعزل عن المؤثرات المغربية فيها، ولا يمكن أيضا دراسة حضارة وثقافة المغرب السعدي والعلوي من دون التطرق لمدى الاضافة التي منحها علماء الجزائر لها، ومن أبرز المميزات التي أبانتها الثقافة المغاربية عبر العصور هو مقاومتها لمختلف الثقافات الدخيلة بداية بالفينيقيون والرومان والبيزنط مرورا بالوندال والاسبان والبرتغاليون وصولا للأتراك والفرنسيون، والثقافة الوحيدة التي تغلغلت في المجتمع المغاربي ولقت ترحابا وقبولاً هي الثقافة العربية الاسلامية لما تتميز به من صفات التسامح والتوحيد، وبالرغم من التاريخ والمصير والهوية والدين والعادات والتقاليد المشتركة بين الجزائر والمغرب الأقصى إلا أن ممارسة هذه الثقافة وتوفير أسبابها ووسائلها وتشجيعها أو الحد من انتشارها وحمايتها، والدود عنها أو تشويهها ومقاومتها هي التي أدت إلى الاختلاف في مستوى ومظاهر الحياة الثقافية للبلدين خلال العهد العثماني والعلوي.

هذه الروابط الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث طرحت إشكالية كبيرة لدى الباحثين بين الارتقاء الكلي في أحضان إحدى الثقافتين أو التمسك بالثقافة الأصلية المحلية أو المزاوجة بينهما، وهذا ما شجع على بروز فتاوى ونوازل بين محرم للرحلة العلمية خارج البلد مادام أنه يحتوي على علماء أكفاء، وبين المجيز لها فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها، وقد تغلبت العلاقات الثقافية بين البلدين على المبادلات والعلاقات التجارية ذلك أن الانتاج الفلاحي والصناعي للبلدين يكاد يكون نفسه، وبذلك فقد كان البلدين في حاجة إلى تسويقه خارج منطقة المغرب عكس الثقافة والتي كانت شعوب المنطقة متعطشة لكل ما هو جديد يأتي من الخارج، فقد ازدهرت جل الحواضر والمدن المغربية خلال العهد العلوي واستفادت أيما

استفادة من خبرة وخبرة علماء الجزائر الذين نالوا الحظوة العليا لدى سلاطين المغرب، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة العلمية والثقافية والكفاءة العالية التي ميزت هؤلاء، والتي لم تجد العناية والاهتمام والتقدير في مدنهم الأصلية بالجزائر التي خسرت الكثير برحيل هؤلاء المصاييح مشرقا ومغربا.

هذه الحظوة والمرتبة التي وصل لها علماء الجزائر بالمغرب الأقصى لم تأتي من فراغ بل تعود إلى الذكاء والنباهة وقوة الذاكرة والحفظ والفهم الذي تميز به هؤلاء، وهو ما أهلهم لنيل وتولي أعلى المناصب العلمية، وبأرقى المراكز والمؤسسات في شاكلة الأندلس والقرويين، فتولى بعضهم التدريس والآخر الافتاء والقضاء والآخر الامامة والخطابة والبعض الآخر جمع بين هذه المناصب، بل ومن العائلات وبيوتات العلم الجزائرية من توارثت هذه المناصب كأسرة الونشريسي وابن الوقاد وابن جلال، ومن خلال تفقد أصول علماء الجزائر الذين حطوا رحالهم بالحواضر المغربية خلال العهد السعودي والعلوي فإننا نجد تنوع بين قسنطينة وتلمسان والجزائر وبجاية وعنابة وتوات وتنس ومليانة ومازونة ومعسكر والونشريس وبسكرة ...، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على درجة القصور والشلل الذي أصاب جل المدن الجزائرية التي كانت تفتقد لمركز ثقافي كبير يمكن أن يغري هؤلاء بالموث والاسقرار عكس الفترة التي سبقت الوجود العثماني أين كانت بجاية الحفصية وتلمسان الزيانية تلبى حاجة وشغف الطالب والعالم الجزائري.

وإذا كان حظ علماء الجزائر بذكرهم وتواجدهم بمختلف المدن والحواضر المغربية كبيرا نظرا للمصادر المتوفرة خاصة كتب الرحلة والتراجم بمختلف أنواعها، فإن حظ علماء وطلبة المغرب الأقصى بتواجدهم بمختلف المدن والحواضر الجزائرية كان قليل لنقص المصادر التراجمية والمناقبية التي حفظت لنا أسماء هؤلاء العلماء ومصنفاتهم التي حطت رحالها بالجزائر خلال العهد العثماني هذا من جهة، ولنقص المؤسسات العلمية والثقافية التي تستقطب وتغري هؤلاء العلماء والطلبة بتحمل عناء السفر والمشقة للهجرة نحوها والنهل من العلم الذي توفره هذه المؤسسات من جهة ثانية، وحتى أبرز شيوخ وعلماء الجزائر الذين كان لهم صيت لدى المغاربة في هذه الفترة كانوا بالمهجر بين المغرب والمشرق، ولذلك يمكننا القول بأن التواجد المغربي بالمدن الجزائرية كان في مجمله مقترن بزيارة الأقرباء والأصحاب ولممارسة التجارة، وكمحطة لرحلاتهم الحجازية بالإضافة إلى اللجوء السياسي بسبب الخلافات مع السلطة القائمة بالمغرب الأقصى، كما حدث مع شيوخ وعلماء وطلبة الزاوية الدلائية إثر تهديمها من طرف مولاي الرشيد أما التواجد من أجل العلم فيكاد يكون منعدما.

وإذا تعذرت عملية التواصل داخل منطقة المغرب فان ركب الحج المغربي ساهم بشكل كبير في ربط جسور الصلات الحضارية بين علماء وطلبة الجزائر والمغرب الأقصى في مختلف محطات الركب بداية من تونس وطرابلس مرورا بمصر وصولا للحجاز وحتى الشام سيما وأن ركبا الحج الجزائري والمغربي يقضيان وقتا طويلا معا بل أن المشاركة يعتبرون الحجاج القادمين من منطقة المغرب أنهم مغاربة فقط أما عملية الاحتكاك

والتلاقح الثقافي كتبادل المصنفات والرسائل ومنح الإجازات وإقامة مساجلات ومناظرات، فقد كانت تتم داخل مراكز ومؤسسات عريقة كالزيتونة في تونس، وضريح أحمد الزروق الفاسي بطرابلس الغرب، والأزهر الشريف بمصر، ومكة والمدينة المنورة بالحجاز، ولعل من أبرز النماذج المسجلة في عملية التواصل الثقافي بين أعلام البلدين تلك التي جمعت بين العلامة الجزائري عيسى الثعالبي والرحالة المغربي أبو سالم عبد الله العياشي بمكة المكرمة، والتي خلد العياشي حيثياتها في رحلته الشهيرة ماء الموائد.

إن التشبع الذي وصل له المغاربة في مجال التأليف والتصنيف مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي من رصيد فقهي وأدبي وعلمي كبير في مختلف المعارف جعل علماء وطلبة القرون الثلاثة المتلاحقة يعتاشون ويقتاتون على هذا الرصيد العلمي الكبير، فمالوا للتقليد والحواشي والمختصرات والذبول والطرر والشروح، ورغم ذلك فإن مظاهر الصلات الحضارية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث لم تقتصر على تنقلات وهجرة العلماء والطلبة فقط بل تعداها إلى حركة فكرية وثقافية نشيطة، وتعتبر المصنفات والكتب أحد أهم روافد ومظاهر هذا التواصل والتفاعل والتلاقح الحضاري بين أعلام البلدين، فقد تنوعت هذه المصنفات بين التوجهات العلمية والفقهية والأدبية والصوفية، وإلى جانب تنقل المصنفات عرفت المنطقة نشاطا كبيرا لتبادل الرسائل المتنوعة بين النقد العلمي والفتاوى الشرعية والأحوال الشخصية، كما اقترنت عملية تنقل العلماء والطلبة بين حواضر البلدين بمنح الإجازات، والتي تعتبر فرصة من قبل هؤلاء الطلبة في نيل تزكية من طرف شيوخ وعلماء لطالما قرأوا وسمعوا عنهم الكثير من دون أن يروهم، وقد رافقت هذه الحركية العلمية والثقافية في كثير من الأحيان قيام مساجلات ومناظرات أدبية وفقهية وعلمية بين هؤلاء الأعلام.

لقد عرف الواقع الصوفي لمنطقة المغرب خلال العصر الحديث اختلافا جوهريا بين التصوف الجزائري - التي اقتصر التصوف بها على حلقات الذكر والتلاوة والزهد داخل الأضرحة والزوايا، والاعتقاد في كرامة الأولياء وتضخيم مناقبهم كمحور مركزي لمنظومة صوفية بكل امتداداتها الروحية والذهنية الموروثة عن العصر الوسيط - والتصوف المغربي الذي عرف ظهور تنظيمات طرقية ذات طابع اجتماعي بل تعدتها بلعب أدوار سياسية من خلال حمل لواء الجهاد عند بعض الطرق وحمل لواء العلم والثقافة لدى البعض الآخر، كحتمية أمام التدخلات والتحرشات الخارجية من جهة، وانتشار الجهل والخرافات والبدع من جهة ثانية، وبذلك أصبح الخطاب والفعل الصوفي في بلاد المغرب مهيمنا على المستوى الفكري والعملية للمغاربة بسبب الظروف الاجتماعية المزرية التي كانت تطبع حياته اليومية، وبسبب الترهل السياسي للحكم العثماني والعلوي، وهو ما أهل المتصوفة للعب دور السلطة المرجعية والمناخ الذي يهرع ويلجأ إليه العامة، وذلك من خلال توفير كل ما يحتاجه هؤلاء من المبيت والاطعام والأمن والتعليم.

لقد كان لظهور الحركات الصوفية وتعدد طرقها ومراجعتها وزواياها على نطاق واسع من المدن والقرى بالجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث إلى ظهور حركة تنقل واسعة لمريدوا هذه الطرق في رحلات صوفية من أجل زيارة الأولياء والأقطاب سواء كانوا أحياء لنيل رضاهم أو كانوا أموات لنيل بركتهم، وهذا ما جعل الطرق الصوفية تلعب دورا كبيرا وفعالا في ترميم جسور الصلات الحضارية بين الجزائر والمغرب الأقصى الذي تعرض لهزات سياسية عديدة، وقد شكلت هذه الطرق رباطا روحيا جمع البلدين على مر الزمان، وبقدر ما ساهمت هذه الطرق الصوفية في ربط جسور المحبة والأخوة بين الشعبين بقدر ما ساهم البعض منها في تأجيج وتأزيم العلاقة السياسية بين البلدين، وذلك من خلال دعم أتباع الطريقة القادرية داخل التراب المغربي لأتراك الجزائر، وكذلك الشأن لأتباع الطريقتين الشاذلية والدرقاوية بالغرب الجزائري المساندين للأشراف السعديين ومن بعدهم العلويين.

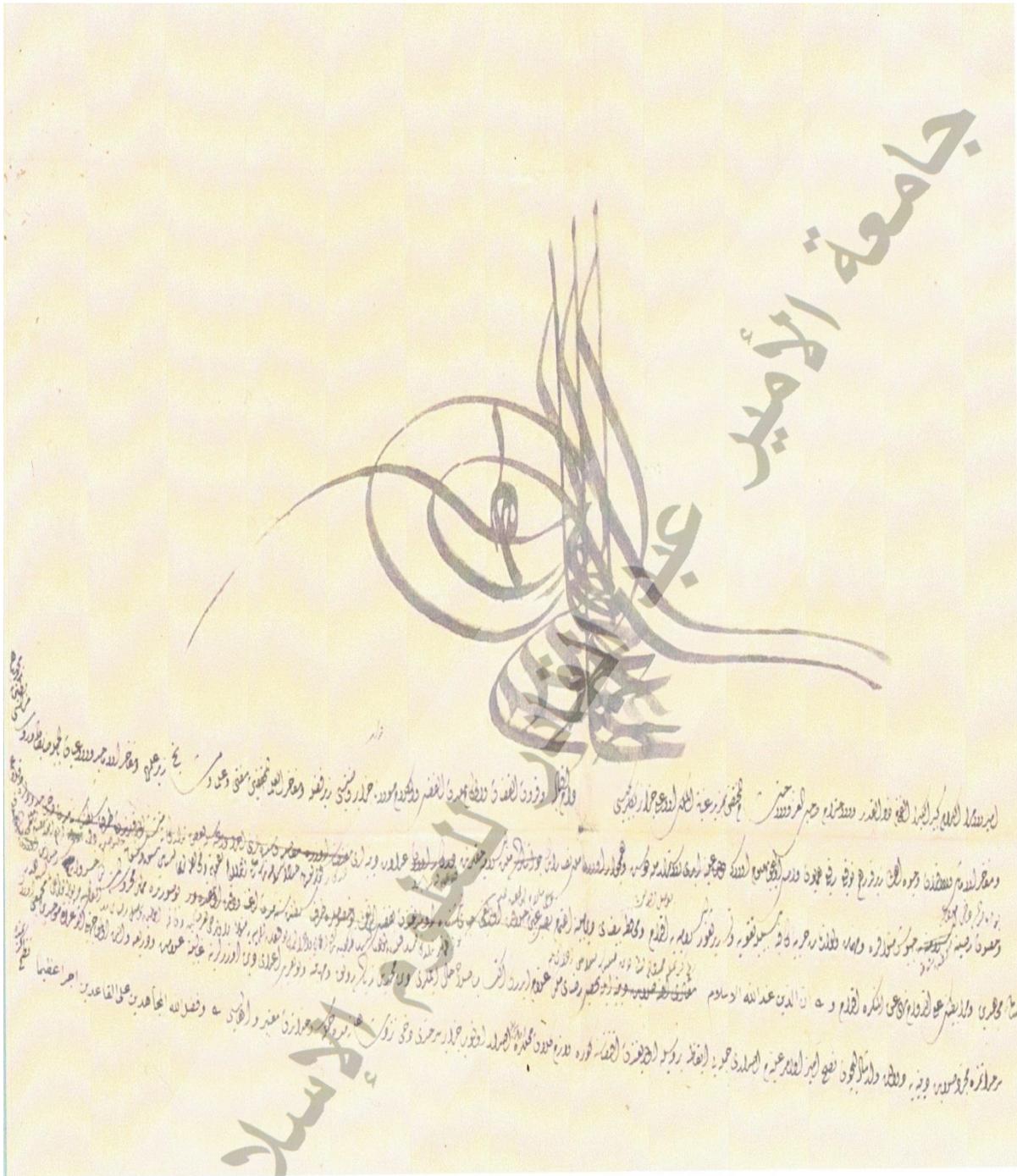
ورغم أن الطريقة التيجانية جزائرية الأصل إلا أن الجزائر لم تستغلها أحسن استغلال عكس السلطة المغربية التي اعتمدت على الطريقة التيجانية في التوغل بالقارة الأفريقية وما نتج عنه من رخاء اقتصادي، فعدد أتباع الطريقة التيجانية بالعالم يقدر حاليا في حدود 350 مليون مريد عبر القارات الخمسة وعدد كبير من هؤلاء يزور المغرب الأقصى سنويا للتبرك بضحريح أحمد التيجاني بمدينة فاس، والتي كان من الممكن المطالبة باستعادة جثمان التيجاني باعتباره جزائري الأصل والمولد والنشأة مثلما فعلت مع الأمير عبد القادر الذي نقل جثمانه من دمشق السورية إلى الجزائر باعتباره أحد رموز الدولة الجزائرية.

وفي خاتمة هذا العمل المتواضع يمكننا القول بأنه ورغم الجهود التي بذلناها في تتبع وإحصاء وجرد مختلف مظاهر الصلات الحضارية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث من تنقلات للعلماء والطلبة والمتصوفة، وتبادل للرسائل والاجازات، وإقامة المساجلات والمناظرات إلا أن هذا العمل يبقى ناقصا مالم تتوحد وتتظافر الجهود بين الباحثين من البلدين لوضع تصور شامل حول العلاقات الجزائرية المغربية عبر العصور، والتي يمكن لها أن تلعب دورا محوريا في إذابة جليد الخلافات السياسية الراهنة، والمرور لشراكة فعالة بين البلدين على جميع الأصعدة، وما عسانا إلا الرجاء من الله القبول والتوفيق وحسن السداد والحمد لله الذي بحمده يبلغ ذو القصد تمام قصده، ونقول مع القائلين:

جزى الله خيرا كل من كان ناظرا ... لمجموعتي هذه بستر القبائح
وأصلح ما فيها من العيب كله ... فهذا الذي أرجوه من كل ناصح

الملاحق





أمر هيمايوني صادر سنة 1787م من السلطان العثماني إلى محمد بن عثمان باشا بضرورة إقامة علاقة أخوية مع حكام المغرب الأقصى ومراعاة مسألة الروابط الدينية والوحدة الإسلامية¹

¹ يوسف صارياني وآخرون: الجزائر في الوثائق العثمانية، ترجمة فاضل بيات وآخران، سيستام أوفسات للنشر، تركيا، 2010م، ص 86

الملحق رقم 03:



خاتم أحمد التيجاني بمدينة فاس¹



صورة ملتقطة من طرف الباحث سنة 2012م لضريح أحمد التيجاني بمدينة فاس، والذي يعتبر من أبرز رموز التواصل الصوفي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني

¹ عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص 47، 51



إجازات علماء المغرب الأقصى - سليمان الروداني وأحمد بن محمد المغربي -
 للعلامة أحمد بن قاسم البوني¹

¹ أحمد بن قاسم البوني: الفتاوى والإجازات، مخطوط بخزانة الزاوية العثمانية، طولقة، بسكرة، ورقة 26-27

(... وأما أمر الباي معكم فاسمعوا مني نصيحة كاملة ببذلها الوالد لولده إذا كنتم تراعون نصيحتي، فسيروا إليه في بلده وأعطوه ما تقدرون عليه من المال، ولا تقاتلوه فإنه لا خير لكم في قتاله، وأخبركم أنه سبحانه قد قضى في حكمه على جميع خلقه من أهل الصحراء بثقل المغرم عقوبة لهم على معاصيهم، وعدم توبتهم من ذلك لكثرة اشتهاؤهم الظلم والفواحش في كل محل، فإياكم ثم إياكم أن تخالفوه أو تقاتلوه كل تدبير عندكم في القتال والخلاف فاتركوه ولا تدبروا إلا في الصلح بينكم وبين الباي ولا تعارضوا أمر الله، فإني قلت لكم ذلك القول مسبقا ثم ظهر لي من أمر الله ما لا دافع له، وإن خالفتم قولي فقد ألقيتم بأنفسكم إلى الهلاك، وهو واقع لا محالة إلا أن تصبروا وتعطوه ما يصلح الله بينكم وبينه ...)

رسالة الشيخ أحمد التيجاني من مقر سكناه بفاس إلى سكان عين ماضي الذين طلبوا منه تزويدهم بالبارود والسلاح لمواجهة الأتراك، ومن خلال رده هذا نستنتج بأن الشيخ التيجاني إما أنه ندم على معارضة الأتراك سابقا أو أن ذلك راجع لخط المهادنة الذي سلكه مولاي سليمان في علاقته بأتراك الجزائر¹

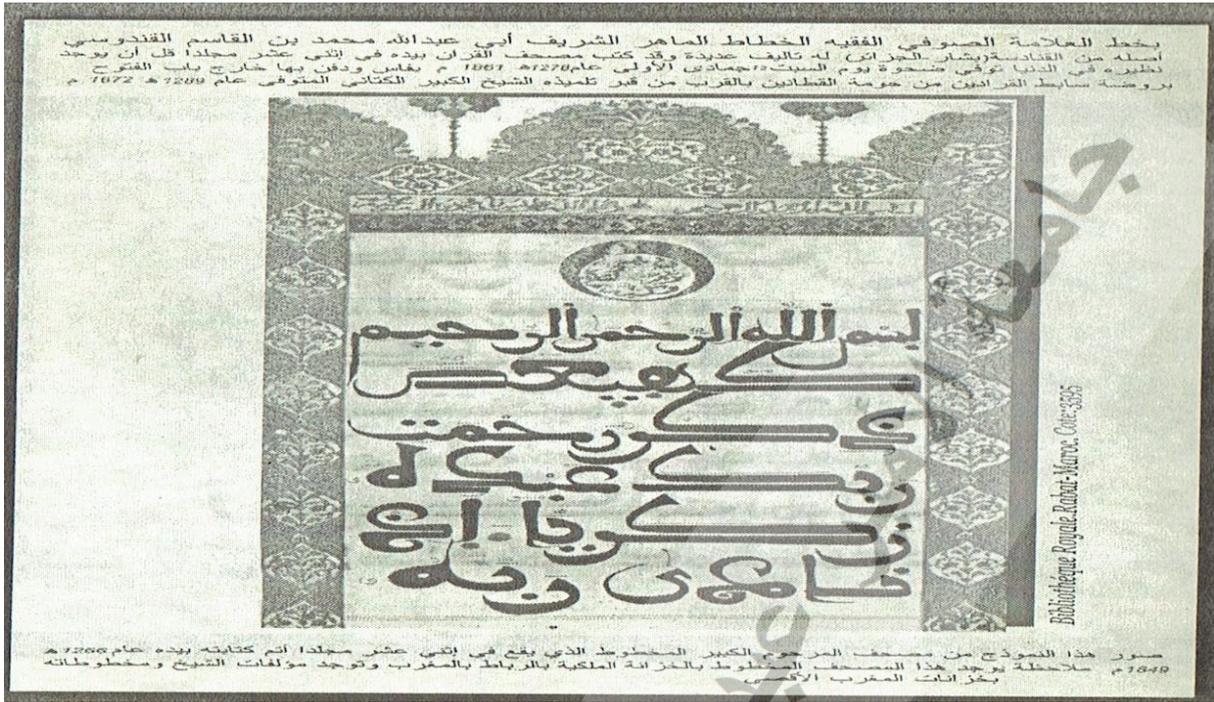
¹ نص الرسالة مقتطف من مصنف كشف الحجاب عن تلاقى مع التيجاني من الأصحاب لأحمد السكبرج نشرها توفيق دحماني في أطروحته للدكتوراه الموسومة بالضرائب في الجزائر 1792-1865م، ص419

(الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما محبنا الفقير الشريف مولاي العربي الدرقاوي
سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد وصل كتابك وعرفنا
ما فيه وبلغنا كتاب الشريف سيدي عبد القادر بن الشريف
وكتبنا له الجواب وما هو يصل فطالعه وتدبر أمره فان الذي
ظهر لنا من الرأي تأخير هذا الأمر إلى خروج فصل الشتاء،
ودخول فصل الربيع فهو أليق وأصلح إذ وقت الشتاء لا يتحرك
فيه أحد من كثرة الوحل وعمارة الأودية وقلّة المرافق، فإذا خرج
الشتاء نتوجه بحول الله وقوته بأنفسنا وعساكرنا المظفرة
ويكمل الفتح إن شاء الله، فأكد على سيدي عبد القادر إذا سمع
بوصولنا لوجدة أو تلمسان يقدم علينا إن شاء الله في متم
شعبان 1202هـ).

رسالة مولاي سليمان العلوي لمحمد العربي الدرقاوي حول ثورة درقاوة بالغرب الجزائري
سنة 1805م تؤكد صحة المعلومات التي تقرر بدعم مولاي سليمان لثورة درقاوة¹

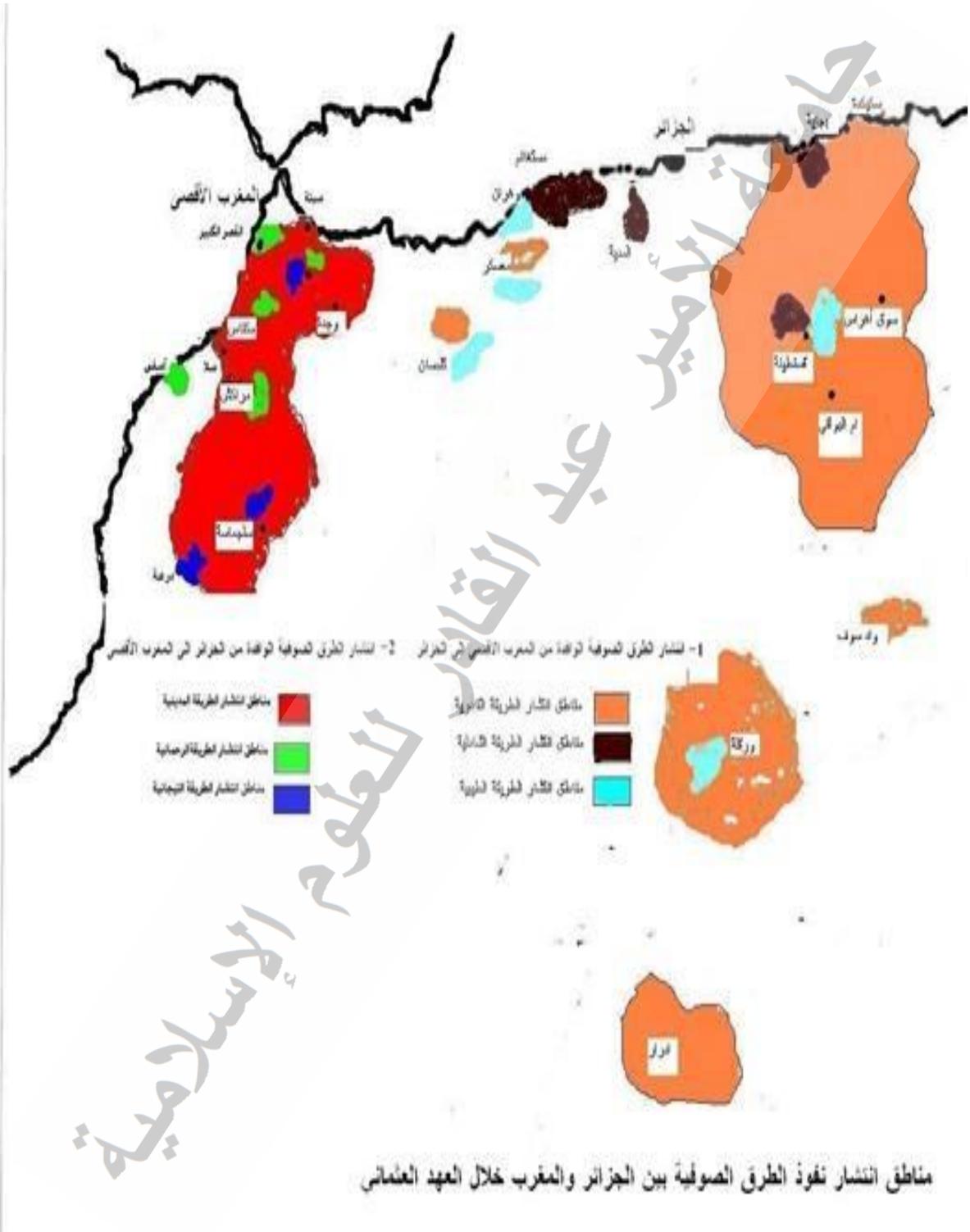
¹ محمد البشير الفاسي: المرجع السابق، ص44

الملحق رقم 07:



من تراث الخطاط الجزائري محمد بن أبي القاسم القندوسي (ت 1861م) بخزائن المغرب الأقصى¹

¹ تحريشي محمد: المرجع السابق، ص 21، 25



من إنجاز الطالب



ثبت
المصادر
والمراجع



- 1/- الأنصاري (أحمد بن حسين): نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا، 1994م.
- 2/- الإفرائي (محمد بن الحاج): صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2004م.
- 3/- الأخصري (عبد الرحمن): الديوان، دراسة عبد الرحمن بترماسين، ط1، منشورات أهل القلم، الجزائر، 2009م.
- 4/- الأغواطي (الحاج ابن الدين): رحلة الأغواطي في شمال افريقيا والسودان والدرعية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة، الجزائر، 2011م.
- 5/- البجائي (أحمد أبو عسيده): رسالة الغريب إلى الحبيب، ط1، تعريف وتلخيص وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م.
- 6/- البوزيدي المستغاني (محمد بن أحمد): الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية، تعليق وضبط وتقديم ابراهيم عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م.
- 7/- البوزيدي المستغاني (محمد بن أحمد): الديوان، تعليق وضبط وتقديم ابراهيم عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م.
- 8/- بوستو (غيرمو غوثالبيدس): الموريسكيون في المغرب، ترجمة مروة محمد إبراهيم، ط1، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2005م.
- 9/- البوني (أحمد بن قاسم): الاجازات، مخطوط بالزاوية العثمانية، بسكرة، الجزائر.
- 10/- البوني (أحمد بن قاسم): الدرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تحقيق محمد لخضر بوبكر وسعيد دحماني، دار الوسام العربي، الجزائر، 2011م.
- 11/- البوني (أحمد بن قاسم): التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تعليق سعيد دحماني، دار الهدى، الجزائر، 2001م.
- 12/- بك (محمد فريد): تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط12، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2012م.
- 13/- بناني (أحمد): الفهرسة، تحقيق عبد الرحمن سعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.
- 14/- بروفنصال (ليفي): مؤرخو الشرفاء، ترجمة عبد القادر الخلاصي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1977م.
- 15/- الجامعي (عبد الرحمن): فتح مدينة وهران، تحقيق مختار حساني، منشورات مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003م.

- 16-/- ابن جبير (محمد): الرحلة، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.
- 17-/- الجزائري (الحاج موسى علي بن أحمد): ربح التجارة ومغرم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة على ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 928.
- 18-/- الجزائري (علي): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ط3، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 2008م.
- 19-/- دي هنين (خورخي): وصف الممالك المغربية 1603-1613م، تحقيق توركواتو بيريس، ترجمة عبد الواحد أكيمير، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المملكة المغربية، 1997م.
- 20-/- دي طوريس (ديبقو): تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1988م.
- 21-/- الدرعي (أحمد بن ناصر): الرحلة الناصرية 1709-1710م، تحقيق عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2011م.
- 22-/- هابنسترايت (جون أولف): رحلتي إلى الجزائر وتونس وطرابلس سنة 1732م، ترجمة وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م.
- 23-/- هاينريش (مالتسان): ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ج1، ترجمة أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009م.
- 24-/- بن هطال (أحمد): رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785م، تحقيق محمد بن عبد الكريم، منشورات ارتياد الآفاق، 1968م.
- 25-/- الوزان (الحسن): وصف إفريقيا، ج1، ط2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.
- 26-/- الونشريسي (أحمد بن يحي): أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصراري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996م.
- 27-/- الونشريسي (أحمد بن يحي): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا، تحقيق محمد حجي وآخرون، ج11، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م.
- 28-/- الونشريسي (أحمد): كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث، لافوميك للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م.
- 29-/- الونشريسي (أحمد بن يحي): الوفيات، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، دار نوابغ الفكر، د.ت.
- 30-/- الورثيلاني (الحسين): نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق محمد بن أبي شنب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974م.

- 31/- الورثيلاي (الحسين): الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الخلدونية، الجزائر، 2012م.
- 32/- ابن الوقاد (محمد): مقيدات تارودانت فيما بين (1068-1073هـ/1658-1662م)، تحقيق نور الدين صادق، المملكة المغربية، 1998م.
- 33/- ابن زاكور (محمد): نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، دراسة مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
- 34/- الزياني (محمد بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
- 35/- الزياني (أبو القاسم): تحفة الحادي المطرب في أخبار رفع نسب شرفاء المغرب، تحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 2008م.
- 36/- الزياني (أبو القاسم): جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م.
- 37/- الزياني (أبو القاسم): الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 1991م.
- 38/- الزياني (أبو القاسم): البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديد، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.
- 39/- ابن زيدان (عبد الرحمن): الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937م.
- 40/- ابن زيدان (عبد الرحمن): إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج1، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008م.
- 41/- ابن زيدان (عبد الرحمن): العلائق السياسية للدولة العلوية، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1999م.
- 42/- الزروق الفاسي (أحمد): النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، ط1، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م.
- 43/- ابن زكري (أحمد): بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، تحقيق عبد الله بن يوسف الشيخ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1994م.
- 44/- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط2، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، المملكة المغربية، 1999م.

- 45/- ابن زرفة: الرحلة القمرية، تحقيق مختار حساني، منشورات مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003م.
- 46/- حجي (محمد): ألف سنة من الوفيات (جمع وتحقيق ثلاث كتب: شرف الطالب في أسنى المطالب، وفيات الونشريسي، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد)، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1976م.
- 47/- بن حمادوش (عبد الرزاق): لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال، دراسة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- 48/- الحضيكي (محمد): الطبقات، تحقيق أحمد بومزكو، ج1، ط1، مطبعة النجاح، المملكة المغربية، 2006م.
- 49/- الحضيكي (محمد): الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق عبد العالي مدبر، مركز الدراسات والأبحاث واهياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، 2011م.
- 50/- اليوسي (الحسن): حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي أو عمدة التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، تحقيق حميد حماني اليوسي، ط1، مطبعة دار الفرقان، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2008م.
- 51/- اليوسي (الحسن): نفائس الدرر في حواشي المختصر، تحقيق جمعة الفيتوري، منشورات جامعة المرقب، ليبيا، 2009م.
- 52/- اليوسي (الحسن): القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، تحقيق حميد حماني اليوسي، مطبعة شالة الرباط، المملكة المغربية، 1998م.
- 53/- اليوسي (الحسن): الرسائل، جمع وتحقيق فاطمة خليل القبلي، ج2، الشركة الجديدة دار الثقافة، المملكة المغربية، 1981م.
- 54/- الكانوني (محمد): علائق أسفي ومنطقها بملوك المغرب، تحقيق علال ركوك وأخران، مطبعة ريانيت، المملكة المغربية، 2004م.
- 55/- كاثكارت (هاملتون): مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- 56/- الكوهن (عبد القادر): إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.
- 57/- كرفخال (مارمول): افريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وأخران، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1984م.

- 58- /الكتاني (محمد بن جعفر): سلوة الأنفاس ومحاذئة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخران، ج3، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2004م.
- 59- /المازوني (يحيى بن موسى): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.
- 60- /المازوني (أبي عمران موسى): صلحاء وادي الشلف، دراسة وتحقيق غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، الجزائر، 2017م.
- 61- /المجاي (عبد الرحمن): رحلة المجاي، دراسة وتحقيق آل سيد الشيخ سعاد، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2008م.
- 62- /المجاوي (عبد القادر): إرشاد المتعلمين، تحقيق عادل بن الحاج همال، دار ابن حزم، لبنان، 2008م.
- 63- /المجاوي (عبد القادر): المرصاد في مسائل الاقتصاد، تقديم وتحقيق علي تابلت، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012م.
- 64- /مجهول: أخبار بلد قسنطينة وحكامها، دراسة وتحقيق رياض بولحبال، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010م.
- 65- /مجهول: تقرير دبلوماسي حول غزة الطوسكانيين لبونة سنة 1607م، تقديم وتعليق محمد لخضر بوبكر وسعيد دحماني، مؤسسة الرجاء، عنابة، 2013م.
- 66- /مجهول: سيرة المجاهد خيرالدير بربروس، تحقيق عبد الله حمادي، دار القصبية، الجزائر، 2009م.
- 67- /مجهول: زهرة البستان في دولة بني زيان، تحقيق بوزياني الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 68- /مجهول: دفتر أوقاف مدينة قسنطينة القرن 16-17م، دراسة وتحقيق عبد القادر دحدوح، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م.
- 69- /المدني (أحمد توفيق): مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهارنقيب أشرف الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- 70- /المزاري (الأغا بن عودة): طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، دراسة تحقيق يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- 71- /ابن المظماطية (محمود): سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة، مطبوع بقسنطينة، الجزائر، د.ت.

- 72/- بن ميمون (محمد): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- 73/- المكناسي (محمد بن عبد الوهاب): رحلة المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785م، ط1، تحقيق محمد بوكبوط، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 2003م.
- 74/- الملالي (محمد بن عمر): المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، تحقيق علال بوربيق، دار كراداة، الجزائر، 2011م.
- 75/- المنجور (أحمد): الحاشية الكبرى على شرح كبرى السنوسي، تحقيق نور الدين عجرود، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2012م.
- 76/- المنجور (أحمد): الفهرس، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1976م.
- 77/- المنصوري (أحمد): كبار العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، تحقيق محمد بن لحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الكرامة، الرباط، المملكة المغربية، 2004م.
- 78/- ابن منظور (محمد): لسان العرب المحيط، إعداد يوسف خياط، المجلد الأول، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت.
- 79/- ابن المفتي: التقييدات، جمعها واعتنى بها فارس كعوان، ط1، منشورات بيت الحكمة، الجزائر، 2009م.
- 80/- المصري (محمد): بغية الطالبين لما تضمنته أم البراهين، عرض وتقديم عميراوي أحميدة، دار الهدى، الجزائر، 2011م.
- 81/- مقديش (محمود): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج2، ط1، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.
- 82/- المقري (أحمد): روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المدار الثقافية، تلمسان، الجزائر، 2011م.
- 83/- المقري (أحمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج6، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الأبحاث، الجزائر، 2008م.
- 84/- المقري (أحمد): الرسائل، دراسة وتحقيق أسماء القاسمي الحسني، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

- 85/- المراكشي (عبد الواحد): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد عزب، دار الفرجاني للنشر، مصر، 1994م.
- 86/- ابن مرزوق التلمساني (محمد): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- 87/- ابن مرزوق الخطيب (محمد): المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية، المملكة المغربية، 2008م.
- 88/- ابن مريم (محمد): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، منشورات السهل، الجزائر، 2009م.
- 89/- المشرفي (العربي): أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، تحقيق حسن الفرقان، منشورات التوحيد، المملكة المغربية، 2014م.
- 90/- المشرفي (العربي): ياقوتة النسب الوهاجة والتعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، تحقيق بن عمر حمدادو والعربي بوعمامة، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2011م.
- 91/- المشرفي (العربي): تمهيد الجبال وما وراءها من الجبال وإصلاح حال السواحل والثغور، دراسة وتحقيق حدور بخته، القسم الأول، مذكرة ماستر، جامعة تيارت، 2014م.
- 92/- المشرفي (العربي): تمهيد الجبال وما وراءها من الجبال وإصلاح حال السواحل والثغور، دراسة وتحقيق بن فاطمة حليلة، القسم الثاني، مذكرة ماستر، جامعة تيارت، 2014م.
- 93/- المشرفي (محمد): الحلل الهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تحقيق إدريس بوهليلة، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2005م.
- 94/- المغيلي (محمد بن عبد الكريم): أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.
- 95/- المغراوي (أحمد بن أبي جمعة): جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلوي البدوي ورايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
- 96/- الناصري (محمد بن عبد السلام): الرحلة الناصرية الصغرى، دراسة وتحقيق محسن أخريف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2019م.
- 97/- النميري (إبراهيم ابن الحاج): فيض العباب و إفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- 98/- السبتي (محمد): اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1983م.

- 99/- السجلماسي (أحمد بن مبارك): رد التشديد في مسألة التقليد، تحقيق الحسين بن الحسن أليان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2010م.
- 100/- ابن سودة (عبد السلام): سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، تحقيق محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.
- 101/- ابن سودة (عبد السلام): إتحاق المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، دراسة وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.
- 102/- بن سودة (عبد السلام): دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1997م.
- 103/- السكيرج (عبد السلام): نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان ومن حكم فيه أو تقرير من الأعيان، تحقيق يوسف احنانة، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المملكة المغربية، 2005م.
- 104/- السلاوي (أحمد بن ناصر): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1955م.
- 105/- السراج (محمد بن أحمد): أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد حجي، وزارة الشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المملكة المغربية، 1968م.
- 106/- العبدري (محمد) الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007م.
- 107/- العدواني (محمد): تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005م.
- 108/- ابن العطار (أحمد): تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق عبد الله حمادي، منشورات نوميديا، الجزائر، 2012م.
- 109/- العياشي (عبد الله): الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسماة ماء الموائد، ج2، ط1، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م.
- 110/- العنتري (محمد الصالح): فريده منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومه، الجزائر، 2005م.
- 111/- فايسات (أوجين): تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي - 1873/1792م -، ترجمة صالح نور، منشورات قرطبة، الجزائر، 2010م.
- 112/- الفاسي (عبد الرحمان): ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم، تحقيق بن أحمد الصقلي، ط1، مطبعة أنفو- برانت، فاس، المملكة المغربية، 2007م.

- 113/- الفاسي (عبد القادر): إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والاسناد، تحقيق عبد الرحمن سعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.
- 114/- الفاسي (محمد بن أحمد): المورد الهني بأخبار الإمام مولاي عبد السلام الشريف القادري الحسيني، تحقيق عبد الرحمن سعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.
- 115- الفاسي (محمد): المنح البادية في الأسانيد العالية، ج1، ط1، تحقيق محمد الصغير الحسيني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2005م.
- 116/- الفاسي (محمد الطيب): رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار العراب، سوريا، 2014م.
- 117/- الفاسي (أبي المحاسن): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن، فاس، المملكة المغربية، دت.
- 118/- الفاسي (يوسف): رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت، تحقيق إبراهيم السامرائي وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م.
- 119/- الفكون (عبد الكريم): منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م.
- 120/- الفشتالي (عبد العزيز): مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق عبد الكريم كريم، ط2، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 2005م.
- 121/- صالديانيا (أنطونيو دي): أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، ترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وأخران، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 2011م.
- 122/- ابن الصعد (محمد): روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.
- 123/- بن عبد القادر (مسلم): أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
- 124/- القادري (محمد): الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، دراسة وتحقيق مارية داداي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 2009م.
- 125/- القادري (محمد): نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، ج3، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1977م.
- 126/- ابن القاضي (أحمد): جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، طبعة حجرية، المملكة المغربية، 1981م.
- 127/- القزويني (زكرياء): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.

- 128/- القلصادي (علي): الرحلة، تحقيق محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1978م.
- 129/- ابن قنفذ (أحمد): الوفيات، تحقيق عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983م.
- 130/- ابن قنفذ (أحمد): أنس الفقير وعز الحقير، نشر واعتناء محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1965م.
- 131/- ابن قنفذ (أحمد): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.
- 132/- قشي (فاطمة الزهراء): سجل صالح باي للأوقاف 1771-1792م، دراسة وتحقيق، دار بهاء الدين للنشر، الجزائر، 2009م.
- 133/- أبي راس الناصري (محمد): الدرّة الأنيقة في شرح العقيقة، تحقيق أحمد أمين دلالي، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2007م.
- 134/- أبي راس الناصري (محمد): عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، 2ج، تحقيق محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2008م.
- 135/- أبي راس الناصري (محمد): فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.
- 136/- أبي راس الناصري (محمد): الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق سليمة بنعمر، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، المملكة المغربية، 2002م.
- 137/- أبي راس الناصري (محمد): الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة، تحقيق أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010م.
- 138/- أبي راس الناصري (محمد): نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تقديم وتعليق محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، تونس، 2012م.
- 139/- أبي راس الناصري (محمد): لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق حمدادو بن عمر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.
- 140/- أبي راس الناصري (محمد): زهر الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق حمدادو بن عمر، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2011م.

- 141/- أبي راس الناصري (محمد): شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف، تحقيق محمد بوركبة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع89، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2015م.
- 142/- الراشدي (أحمد بن سحنون): الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة العليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م.
- 143/- الراشدي (محمد بن عبد الرحمن): القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط1، دراسة وتحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م.
- 144/- الرباطي (محمد الضعيف): تاريخ الضعيف الرباطي - تاريخ الدولة العلوية السعيدة -، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشبيخي، ج1، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، 2007م.
- 145/- الروداني (محمد): صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.
- 146/- الشويهد (عبد الله بن محمد): قانون أسواق مدينة الجزائر (1695-1705م)، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب، بيروت، لبنان، 2006م.
- 147/- شونبيرغ (أ.ف): الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009م.
- 148/- الشفشاوني (محمد بن عسكر): دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط3، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2003م.
- 149/- شقرون الوهراني (محمد): الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1992م.
- 150/- الشراط (محمد): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق زهراء النظام، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، 1997م.
- 151/- التواتي (عبد الرحمن): رحلتي إلى الحج عام 1774م، دراسة وتحقيق خير الدين شترة ودرار عبد الرحمن، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م.
- 152/- التواتي (عبد الرحمن): رحلتي إلى ثغر الجزائر عام 1816م، تحقيق خير الدين شترة، دار كردادة، قسنطينة، 2015م.
- 153/- التواتي (عمر بن عبد القادر): الفهرس، تحقيق عبد الكريم طموز، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010م.

- 154/- التوجيني (عبد الرحمن): عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005م.
- 155/- التلمساني (ابن الأحمر): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م.
- 156/- التمجروتي (علي): النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتعليق سليمان الصيد، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1988م.
- 157/- التميمي (محمد بن عبد الكريم): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المملكة المغربية، 2002م.
- 158/- التنبكتي (أحمد بابا): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج - في تراجم المالكية -، ط1، ضبط وتعليق أبويعي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2002م.
- 159/- التنبكتي (أحمد بابا): تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق سعيد سامي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.
- 160/- الثعالبي (محمد بن الحسن): طيب الأنفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس، تحقيق عبد الحميد خيالي، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2011م.
- 161/- الثعالبي (عبد الرحمن): غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تحقيق، محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2005م.
- 162/- الثعالبي (عبد الرحمن): الرحلة، تحقيق، محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2005م.
- 163/- خوجة (حمدان): إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.
- 164/- خوجة (حمدان): المرأة، ترجمة وتحقيق محمد العربي الزيري، ط2، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- 165/- ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، دراسة أحمد الزعبي، دار الهدى، الجزائر، 2009م.
- 166/- ابن أبي الضياف (أحمد): إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م.
- 167/- ابن غازي (أحمد): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، المملكة المغربية، 1952م.
- 168/- الغبريني (أحمد): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

- 169/- الغساني (محمد بن عبد الوهاب): رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق عبد الرحيم بنحادة، منشورات معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وإفريقيا، طوكيو، اليابان، 2005م.
- 170/- طاشكبري زاده (أحمد): رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، تحقيق حاييف النيمان، ط1، دارالظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت، 2012م.

ثانياً/- المراجع العربية والمغربية:

- 171/- أبو الأجنان محمد: الإمام أبو عبد الله محمد المقرئ التلمساني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م.
- 172/- أبو إدريس إدريس: دراسات في تاريخ مدينة مكناس وأهمية التاريخ الجهوي، مطبعة المتقي بريتز، المحمدية، المملكة المغربية، 1999م.
- 173/- أولمان سمية: دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه ارشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، الجزائر، 2013م.
- 174/- ابن الأحمر إسماعيل: ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم، دار المنصور للطباعة والوراقة، المملكة المغربية، 1972م.
- 175/- إكنينع العربي: دراسات في تاريخ المغرب، ط1، مطبعة أميمة، المملكة المغربية، 2008م.
- 176/- أتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 1989م.
- 177/- أميلي حسن: الجهاد البحري بمصعب أبي رقرق خلال القرن 17م، ط1، دار أبي رقرق، الرباط، المملكة المغربية، 2006م.
- 178/- أمين محمد: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبعة أنفو - برانت، فاس، المملكة المغربية، 2011م.
- 179/- أمطاط محمد: الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962م، ط1، دار أبي رقرق، الرباط، المملكة المغربية، 2008م.
- 180/- أنساعد سميرة: الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2009م.
- 181/- أسكان الحسين: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط بين القرنين (ق 07-15 م)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المملكة المغربية، 2004م.
- 182/- أفا عمر: التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنات والتحويلات 1830-1912م، دار الأمان، المملكة المغربية، 2006م.

- 183/- الأرقش دلندة وآخران: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003م.
- 184/- الأخضر محمد: الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية 1664-1894م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1977م.
- 185/- باموك شوكت: التاريخ المالي للدولة العثمانية، ترجمة عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005م.
- 186/- بوبكر محمد لخضر: الجواهر المكنونة في التعريف بمعالم ومتصوفة بونة، منشورات الرجاء، قسنطينة، الجزائر، 2018م.
- 187/- بوجندار محمد: مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2012م.
- 188/- بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية - أدوارها مواطنها وأعيانها -، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.
- 189/- بوزياني الدراجي: عبد الرحمن الأخضر العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، دار بلاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 190/- بوزيان عمر: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845م، منشورات عكاظ، الرباط، المملكة المغربية، 1988م.
- 191/- البوزيدي أحمد: التاريخ الاجتماعي لدرعة خلال القرنين 17-19م، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1994م.
- 192/- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.
- 193/- بلحيا بودواية: التصوف في بلاد المغرب العربي، دار القدس العربي، الجزائر، 2009م.
- 194/- بولطيف لخضر: الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005م.
- 195/- بومولة نبيل: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني، دار هومه، الجزائر، 2013م.
- 196/- بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين (6-7هـ/12-13م)، دار الهدى، الجزائر، 2004م.
- 197/- بونابي الطاهر: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017م.
- 198/- بونابي الطاهر: ملامح النشاط العلمي والروحي والسياسي بقسنطينة خلال القرنين 19-20م، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2017م.

- 199/- بونابي الطاهر: عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط، ج4، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017م.
- 200/- بوسلام محمد بن البشير: تاريخ قبيلة بني ملال 1854-1916م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1991م.
- 201/- البوعبدلي المهدي: الحياة الثقافية بالجزائر - ضمن الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
- 202/- البوعبدلي المهدي: تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
- 203/- بوعزيزي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- 204/- بوعزيزي: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009م.
- 205/- بوعزيزي: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- 206/- بوعزيزي: مع تاريخ الجزائر في المنتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
- 207/- بوعزيزي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومه، الجزائر، 2001م.
- 208/- بوعزيزي: مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
- 209/- بوركبة السعيد: دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1996م.
- 210/- بوتشيش إبراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين - المجتمع والذهنيات والأولياء -، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993م.
- 211/- بوغفالة ودان: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، ط1، مكتبة رشاد، الجزائر، 2009م.
- 212/- بحاز ابراهيم وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الراهن، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
- 213/- بحري أحمد: الجزائر في عهد الدايات دراسة في الحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج3، دار الكفاية، الجزائر، 2013م.
- 214/- بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- 215/- بلحميسي مولاي: البحر والعرب في التاريخ والأدب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005م.

- 216/- البلغيثي آسيا: المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1996م.
- 217/- بنين أحمد شوقي: تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المملكة المغربية، 2003م.
- 218/- بنوجيت يوسف: قلعة بني عباس ابان القرن السادس عشر للميلاد، ترجمة سامية سعيد عمار، دار دحلب، الجزائر، 2007م.
- 219/- بنحادة عبد الرحيم: العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة، ط1، منشورات اتصالات سبو، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2008م.
- 220/- بنحادة عبد الرحيم: المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1998م.
- 221/- بنموسى السعيد: تاريخ فن تفسير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب من عهد الموحدين إلى عهد الشرفاء العلويين، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 1996م.
- 222/- بنعبد الله عبد العزيز: فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج2، المطبعة الملكية، المملكة المغربية، الرباط، 2001م.
- 223/- بنعبد الله عبد العزيز: معطيات الحضارة المغربية، ج1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 2000م.
- 224/- بنعبد الله عبد العزيز: معلمة التصوف الإسلامي، ج2، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط، المملكة المغربية، 2001م.
- 225/- بنعلة مصطفى: تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 2007م.
- 226/- جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م.
- 227/- الجيدي عمر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1993م.
- 228/- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ المدن الثلاث - الجزائر والمدية ومليانة -، دار الأمة، الجزائر، 2007م.
- 229/- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م.

- 230/- جلاب حسن: مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي، المطبعة والوراقة الوطنية، المملكة المغربية، 1994م.
- 231/- جلاب حسن: الحركة الصوفية بمراكش - ظاهرة سبعة رجال -، ط1، المطبعة والوراقة المغربية، المملكة المغربية، 1994م.
- 232/- الجندي علي محمود: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، مصر، 2004م.
- 233/- جندي محمد: عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا، ج1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2008م.
- 234/- الجعفري أحمد بابا الصافي: الحركة الأدبية في أقاليم توات بين القرنين 07-13هـ، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.
- 235/- دان روس: المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، ترجمة أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 2006م.
- 236/- دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، دار الأمة، الجزائر، 2009م.
- 237/- دوفال ألبير: الرئيس حميدو، ترجمة محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1972م.
- 238/- دوتي إدموند: الصلحاء - مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر-، ترجمة محمد ناجي بن عمر، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014م.
- 239/- دحماني توفيق: دراسة في عهد الأمان، الدار العثمانية، الجزائر، 2009م.
- 240/- دراج محمد: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543م، ط1، دار الأصاله، الجزائر، 2012م.
- 241/- درور عبد الباسط: أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 2002م.
- 242/- دخان عبد العزيز الصغير: الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، دار كردادة للنشر، الجزائر، 2011م.
- 243/- هلال عمار: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية بين القرنين 9-20م، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.
- 244/- الهنتاتي نجم الدين: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 11م، دار تبر الزمان، تونس، 2004م.

- 245/- الورطاسي قدور: معالم من تاريخ وجدة، مطبعة الرسالة، الرباط، المملكة المغربية، د.ت.
- 246/- زبادية عبد القادر: دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.
- 247/- زبيب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 1995م.
- 248/- الزبيري محمد العربي: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م.
- 249/- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830م، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 250/- الزواوي أبو يعلى: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق بوراي اسماعيل، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008م.
- 251/- زوزو عبد الحميد: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية بين الحربين، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
- 252/- زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- 253/- زهوني الطاهر: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1993م.
- 254/- زروق محمد: دراسات في تاريخ المغرب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1991م.
- 255/- الزركلي خير الدين: الأعلام، ج5، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
- 256/- حاجيات عبد الحميد: أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- 257/- حامت إسماعيل: الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، ترجمة زكي مبارك ومحمد لخواجة، دار ثالة، الجزائر، 2011م.
- 258/- حارش محمد الهادي: التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992م.
- 259/- حجي محمد: جولات تاريخية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م.
- 260/- حجي محمد: نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1999م.

- 261/- حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1978م.
- 262/- حجي محمد: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1988م.
- 263/- حلي عبد الوهاب محمد: ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2009م.
- 264/- حمادي عبد الله: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1986م.
- 265/- حماس خليفة: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، منشورات كلية الآداب العلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2010م.
- 266/- حماس خليفة: حماس خليفة: وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب - المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط -، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م.
- 267/- حماس خليفة: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف التونسي، ج1، منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2016م.
- 268/- حماس خليفة: محاضرات في تاريخ النهضة الأوروبية، منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2014م.
- 269/- حماس خليفة: كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن، ج2، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2018م.
- 270/- حماس خليفة: وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني - مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج -، ج1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2016م.
- 271/- بن حموش مصطفى: فقه العمران الاسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-1830م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية، 2002م.
- 272/- بن حموش مصطفى: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
- 273/- بن حموش مصطفى: المدينة والسلطة في الاسلام - نموذج الجزائر في العهد العثماني -، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الامارات العربية المتحدة، 1999م.

- 274/- حساني مختار: التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.
- 275/- حساني مختار وقويدر بشار: فهرس مخطوطات ولاية أدرار، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، 1999م.
- 276/- الحسيني عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005م.
- 277/- حسن محمد عبد الغني: المقري صاحب نفع الطيب، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، د.ت.
- 278/- حركات إبراهيم: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1994م.
- 279/- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000م.
- 280/- طه أحمد جمال: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 2001م.
- 281/- الطيبي أمين توفيق: دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار القلم، تونس، 1989م.
- 282/- الطيبي محمد: الجزائر عشية الغزو الاحتلالي - دراسة في الذهنيات والبنىات والمآلات -، ط1، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 283/- الطمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- 284/- الطمار محمد: تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة وحضارة الجزائر)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 285/- ياغي إسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996م.
- 286/- اليزناسني قدور بن علي: بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1976م.
- 287/- يسري عبد الغني: معجم المؤرخين المسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م.
- 288/- كامب غابرييل: البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2010م.
- 289/- الكامون أحمد والسقلي هاشم: التأثير المورسكي في المغرب، ط1، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، المملكة المغربية، 2010م.

- 290/- كواندرو روجي: قراصنة سلا، ترجمة محمد حمود، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1991م.
- 291/- كور أوغست: دولة بني وطاس 1420-1554م، ترجمة محمد فتحة، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2010م.
- 292/- الكوخي محمد: سؤال الهوية في شمال إفريقيا، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014م.
- 293/- كحالة رضا: معجم المؤلفين، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1993م.
- 294/- كنون عبد الله: ذكريات مشاهير رجال المغرب - أبو القاسم الزياني -، مطبعة كريماديس، تطوان، المملكة المغربية، 1994م.
- 295/- كنون عبد الله: موسوعة مشاهير رجال المغرب - عبد الملك المعتصم -، ط2، دار الكتاب المصري، مصر، 1994م.
- 296/- الكنوني المفضل: محمد بن زاكور الفاسي دراسة في الشخصية والإنتاج، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ظهر المهرزافاس، المملكة المغربية، 1998م.
- 297/- كفاقي محمد عبد السلام: الحضارة العربية طابعها ومقوماتها العامة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1970م.
- 298/- كروم عبد الله: الرحلات باقليم توات، دار دحلب للنشر، الجزائر، 2007م.
- 299/- كريم عبد الكريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006م.
- 300/- بن عبد الكريم محمد: المقري وكتابه نفح الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.
- 301/- بن عبد الكريم محمد: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- 302/- الكتاني محمد بن عبد الحي: ماضي القرويين ومستقبلها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م.
- 303/- لوطورنوروجي: فاس قبل الحماية، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.
- 304/- لومبارد موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1998م.

- 305/- لحرر حرمد: الفهرس الوصفى لمخطوطات خزنة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2009م.
- 306/- ماكلمان محمد: الرحلات المغربية خلال القرنين 17-18م، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2014م.
- 307/- المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- 308/- المدني أحمد توفيق: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- 309/- المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
- 310/- المودن عبد الرحمن: البوادي المغربية قبل الاستعمار، منشورات كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، 1995م.
- 311/- موهوبي عبد القادر: مضام تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر، الجزائر، 2011م.
- 312/- المومني رشيد والإدرسي محسن: رحلة في المثلث التاريخي لمدينة فاس، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، 2011م.
- 313/- مزيان عبد المجيد: المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1986م.
- 314/- مزين محمد: فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، ج2، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1986م.
- 315/- محمد حمدي عبد المنعم: مدينة سلا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1993م.
- 316/- محمد الشريف ناصر الدين: الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيارق، عمان، الأردن، 1999م.
- 317/- محرز أمين: الجزائر في عهد الآغوات 1659-1671م، دار البصائر، الجزائر، 2011م.
- 318/- مبيج جون لوي وآخران: تطوان الحاضرة الأندلسية المغربية، ترجمة محمد غطيس، منشورات جمعية تطاون أسمير، المملكة المغربية، 2002م.
- 319/- بن ميرة عمر: الثقافة والفقه والمجتمع - نماذج من المغرب الوسيط -، ط1، وزارة الثقافة، المملكة المغربية، 2006م.

- 320/- ملين محمد نبيل: السلطان الشريف - الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب -، ترجمة عبد الحق الزموري، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 2013م.
- 321/- المنوني محمد: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2000م.
- 322/- المنوني محمد: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1977م.
- 323/- المنوني محمد: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، المملكة المغربية، 1953م.
- 324/- المنوني محمد: تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1991م.
- 325/- المنوني محمد: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1983م.
- 326/- المنوني محمد: قبس من عطاء المخطوط المغربي، ط1، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م.
- 327/- بن منصور عبد الوهاب: أعلام المغرب العربي، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1979م.
- 328/- بن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، المملكة المغربية، 1968م.
- 329/- المنصور محمد: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792-1822م، ترجمة محمد حبيدة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2006م.
- 330/- المساتي عادل: سوسيولوجية الدولة بالمغرب - إسهام جاك بيرك -، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، 2010م.
- 331/- معاشي جميلة: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 16 إلى القرن 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م.
- 332/- مصطفى بصير عبد المغيث: الفقيه عبد الواحد بن عاشر حياته وآثاره الفقهية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2007م.
- 333/- مريوش أحمد وآخرون: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- 334/- المريني عبد الحق: الجيش المغربي عبر التاريخ، ط5، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997م.
- 335/- مخلوف محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1931م.

- 336/- نایت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية وهبتها العالمية قبل 1830م، ج2، ط1، دار البعث، الجزائر، 1985م.
- 337/- الناصري محمد المكي: الأحياس الإسلامية في المملكة المغربية، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 1992م.
- 338/- نواب عواطف بنت محمد: كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2008م.
- 339/- نسيب محمد: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1988م.
- 340/- النظام زهراء: العلاقات المغربية الجزائرية - مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 16م -، ط1، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2015م.
- 341/- سبنسر وليم: الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، دار القصبية، الجزائر، 2007م.
- 342/- السوسي محمد مختار: إيلغ قديما وحديثا، ط4، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 2005م.
- 343/- سيد عبد الله مراد حسين: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين 1062-1269م، المطبعة الإسلامية الحديثة، مصر، 1994م.
- 344/- السيد سحر: مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1996م.
- 345/- سعد الله فوزي: الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج1، دار قرطبة، الجزائر، 2016م.
- 346/- سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- 347/- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م.
- 348/- سعد الله أبو القاسم: تجارب الأدب والرحلة، ط3، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
- 349/- سعد الله أبو القاسم: رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- 350/- سعد الله أبو القاسم: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
- 351/- السعود عبد العزيز: تطوان في القرن الثامن عشر، منشورات جمعية تطوان أسمر، تطوان، المملكة المغربية، 2007م.

- 352/- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م.
- 353/- سعيدوني ناصر الدين: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م.
- 354/- سعيدوني ناصر الدين والبوعبدلي المهدي: الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 355/- سعيدوني ناصر الدين: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م.
- 356/- العامري عبد الهادي: تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول، الشركة التونسية للنشر، تونس، 1974م.
- 357/- عاشور الهلالي: المنشور في رجال الشيخ عاشور، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1914م.
- 358/- عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومه، الجزائر، 2007م.
- 359/- العوامر ابراهيم محمد: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.
- 360/- عزي عبد الرحمن: التواصل القيمي في الرحلة الورثيانية، منشورات كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م.
- 361/- عيادي سعيد: موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والاسلامي، دار ابن مرابط، الجزائر، 2011م.
- 362/- العيدروس محمد حسن: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2009م.
- 363/- عيسى لطفي: مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1994م.
- 364/- عيسى لطفي: كتاب السير مقاربات ومدونات المناقب والتراجم والأخبار، ط1، دار المعرفة للنشر، تونس، 2007م.
- 365/- العلوي عبد الحميد: تاريخ وجدة وأنكاد في دوحه الأمجاد، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، 1985م.
- 366/- علوي حسن حافظي: سجل ماسة وإقليمها في القرن الرابع عشر ميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1997م.
- 367/- بن عبد العليم رزق: أعلام المالكية، ط1، دار مبرة الآل والأصحاب، الكويت، 2011م.
- 368/- عميرايي أحميده: فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، قسنطينة، 2002م.
- 369/- عميرايي أحميده: رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003م.

- 370/- عميراوي أحميده: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني - مذكرات تيدنا نموذجاً -، دار الهدى، الجزائر، 2003م.
- 371/- عميراوي أحميده: بحوث تاريخية، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2006م.
- 372/- عميراوي أحميده: من الملتقيات التاريخية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2001م.
- 373/- عميراوي أحميده: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2002م.
- 374/- عميراوي أحميده: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004م.
- 375/- عميراوي أحميده: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، 2005م.
- 376/- عميراوي أحميده: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004م.
- 377/- العقبي صالح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- 378/- عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
- 379/- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب من الغزو الأيبيري إلى التحرر، ط1، منشورات المركز الثقافي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1999م.
- 380/- عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج5، مطبعة المعارف الجديدة، المملكة المغربية، 1993م.
- 381/- الفاسي محمد البشير: قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، منشورات جمعية علوم الانسان، الرباط، المملكة المغربية، د.ت.
- 382/- الفاسي محمد العابد: فهرس مخطوطات خزانة القرويين، ج2، ط1، فاس، المملكة المغربية، 1989م.
- 383/- فهيم محمد حسين: أدب الرحلات، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.
- 384/- فيلاي كمال: تاريخ المغرب الحديث، ط3، دار ألكسندر ودار ألفا دوك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م.
- 385/- فيلاي عبد الكريم: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج9، شركة ناس للطباعة، القاهرة، مصر، 2006م.
- 386/- فيلاي مختار: رحلة الورثيلاي عرض ودراسة، دار الشهاب، الجزائر، 1998م.

- 387/- فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، 2ج، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.
- 388/- فيلالي عبد العزيز: مدينة ميله في العصر الوسيط، دار الهدى، الجزائر، 2017م.
- 389/- فيلالي عبد العزيز: تاريخ الغرب الإسلامي دراسة تحليلية لمصادره ومؤرخيه، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة قسنطينة، 2019م.
- 390/- فيرو شارل: تاريخ جيجل، ترجمة عبد الحميد سرحان، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2010م.
- 391/- فكاير عبد القادر: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية 1505-1792م، دار هومه، الجزائر، 2012م.
- 392/- فلنزي لوسات: المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790-1830م، ترجمة حمادي الساحلي، سراس للنشر، تونس، 1994م.
- 393/- فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي بين القرنين 12-15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1999م.
- 394/- صاريناي يوسف وآخرون: الجزائر في الوثائق العثمانية، ترجمة فاضل بيات وآخران، سيستم أوفسات للنشر، تركيا، 2010م.
- 395/- صحراوي عبد القادر: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830م، دار هومه، الجزائر، 2016م.
- 396/- عبد القادر نور الدين: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.
- 397/- القبلي محمد وآخرون: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، المملكة المغربية، 2011م.
- 398/- القبلي محمد: الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، المملكة المغربية، 1987م.
- 399/- قداش محفوظ: الجزائر في العهد العثماني، ترجمة أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2017م.
- 400/- قداش محفوظ: الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م.
- 401/- قدور عبد المجيد: مسيرة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014م.
- 402/- القدوري عبد المجيد: المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر - مسألة التجاوز، -، ط1، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، 2000م.

- 403/- بن قينة عمر: المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات والنتائج، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2000م.
- 404/- قنان جمال: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م.
- 405/- قنان جمال: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، دار هومه، الجزائر، 2010م.
- 406/- قنديل فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2002م.
- 407/- قسوم عبد الرزاق: عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.د.
- 408/- بن قربة صالح وأخران: تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- 409/- قشي فاطمة الزهراء: مقالات من تاريخ قسنطينة وتراثها، دار مداد يونيفارسيطي براس، قسنطينة، الجزائر، 2016م.
- 410/- قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة في عهد صالح باي البايات، دار مداد يونيفارسيطي براس، ط2، قسنطينة، الجزائر، 2013م.
- 411/- روزنبرجي برنار والتركي حميد: المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16-17م، ط2، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2010م.
- 412/- عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحيم: المغاربة في مصر خلال العهد العثماني 1517-1798م، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1982م.
- 413/- أبو رحاب محمد السيد: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ط1، دار القاهرة، 2008م.
- 414/- ركيبي عبد الله: الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 1999م.
- 415/- الرجراجي أحمد بن الحاج: الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة، المطبعة الوطنية، الرباط، 1935م.
- 416/- الشاهدي الحسن: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج2، ط2، مطابع عكاظ، الرباط، المملكة المغربية، 2002م.
- 417/- شاوش محمد بن رمضان: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م.
- 418/- الشاذلي عبد اللطيف: الحركة العياشية - حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م -، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1982م.

- 419/- شهري عبد العزيز: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- 420/- الشوايكة نوال عبد الرحمن: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م.
- 421/- شويتام أرزقي: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1519-1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م.
- 422/- شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م.
- 423/- شيميل أنا ماري: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، بغداد، العراق، 2006م.
- 424/- الشيخ أبو عمران وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، 2000م.
- 425/- ابن شقرون محمد: مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العهد المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1985م.
- 426/- ابن شقرون محمد: أرجوزة من زهرة الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1994م.
- 427/- شريط الأخضر: في الثقافة والمعامل الاستعماري، ط1، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012م.
- 428/- شغيب محمد: أم الحواضر في الماضي والحاضر - تاريخ مدينة قسنطينة -، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1980م.
- 429/- التازي عبد الهادي: جامع القرويين - المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري -، ج2، ط2، دار المعرفة، الرباط، المملكة المغربية، 2000م.
- 430/- التازي عبد الهادي: رحلة الرحلات - مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة -، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 2005م.
- 431/- التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج8، المملكة المغربية، 1988م.
- 432/- التازي عبد الهادي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، ج3، دار نشر المعرفة، الرباط، المملكة المغربية، 2001م.
- 433/- التجاني عبد الرحمن: الكتابات القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

- 434/- التميمي عبد الجليل: دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453-1918م، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1984م.
- 435/- التميمي عبد الجليل: وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، ط1، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1980م.
- 436/- التميمي عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871م)، ط2، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية والعهد العثماني، تونس، 1985م.
- 437/- الترغي عبد الله المرابط: أدب الرحلة في المغرب 1082-1139هـ دراسة في الاتجاهات والمكونات، دار سليكي أخوين للنشر والتوزيع، طنجة، المملكة المغربية، 2020م.
- 438/- الترغي عبد الله: فهرس علماء المغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المملكة المغربية، 1999م.
- 439/- تشايحي عبد الرحيم: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ليبيا، 1982م.
- 440/- بن خروف عمار: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، دار الأمل، الجزائر، 2008م.
- 441/- بن خروف عمار: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 16م، دار الأمل، الجزائر، 2008م.
- 442/- ضيف بشير: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ج3، منشورات ثالة، الجزائر، 2002م.
- 443/- ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات - الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان -، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995م.
- 444/- الضيقة حسن: الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، 1997م.
- 445/- ضريف محمد: مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، المملكة المغربية، 1992م.
- 446/- ظريف أحمد: قراءة في الرحلة سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني، رابطة أهل القلم، الجزائر، 2005م.
- 447/- الغاشي مصطفى: الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة في بناء الصورة، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2015م.

- 448/- غطاس عائشة وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.
- 449/- غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700/1830م)- مقارنة اجتماعية اقتصادية-، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م.
- 450/- غلاب عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005م.
- 451/- الغلبزوري توفيق: المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، ط1، دار ابن حزم، الرياض، المملكة السعودية، 2006م.
- 452/- الغنيمي عبد الفتاح: موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج6، مكتبة مدبولي للنشر، مصر، 1994م.

ثالثا/- الأعمال الجماعية (الملتقيات والكتب المشتركة):

- 453/- آجقو علي وبراركة شوقي: (محفوظات زوايا الجنوب الجزائري)، ضمن أعمال الملتقى الوطني للمخطوطات في الجزائر الواقع والرؤية المستقبلية، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012م
- 454/- أبو الأجنان محمد: (العلاقات بين فقهاء المغرب العربي خلال القرون الثامن والتاسع والعاشر هجري)، ضمن كتاب بناء المغرب العربي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1983م
- 455/- أهري محمد: (جوانب من الحياة العلمية والأدبية في عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المملكة المغربية، 2008م
- 456/- إسماعيلي عبد الحميد: (علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19م)، ضمن أعمال ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة، المملكة المغربية، 1995م
- 457/- أميلي حسن: (مقاربة في الموروث الثقافي بالمغرب)، ضمن كتاب متنوعات محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م
- 458/- بوهليلة إدريس: (إسهامات المهاجرين الجزائريين في الحقل الثقافي بالمغرب خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م

- 459/- بوزيان نصر الدين: (أثر الهجرات المغاربية الداخلية إبان الاحتلال على المنظومة التواصلية)،
ضمن أعمال ملتقى الهجرة المغاربية وأبعادها السوسيوثقافية، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث
الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، 2014م
- 460/- بوحالة طارق: (بونة حاضرة التسامح ومدينة التعدد والوسطية)، ضمن كتاب التصوف
والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م
- 461/- بوسوفي سعاد: (القواسم الحضارية بين المغربين الأوسط والأقصى عبر التاريخ إلى حدود
1956م)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج1، المندوبية السامية لقدماء
المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م
- 462/- بورقية رحمة: (رحلة التصوف سيدي أحمد البدوي من فاس إلى طنطا)، ضمن كتاب التواصل
الصوفي بين مصر والمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2000م
- 463/- بوشناني محمد: (موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد
العثماني)، ضمن كتاب معسكر المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة
معسكر، 2014م.
- 464/- بلاغ عبد الرحمن: (العلم والعلماء في رحلة عبد الكريم بن محمد البكري التمنيطي)، ضمن
أعمال ملتقى دور علماء الساوره في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،
الجزائر، 2010م.
- 465/- البلغيثي إدريس: (السلطان مولاي سليمان الخطيب المصلح)، ضمن أعمال الندوة التاريخية
حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية،
1992م.
- 466/- بنين أحمد شوقي: (الوضعية التاريخية لوجود المخطوطات في المغرب - وضعية مخطوطات
الخزانة الحسنية -)، ضمن أعمال الندوة العالمية للمخطوطات، القاهرة، مصر، 1996م.
- 467/- بنحادة عبد الرحيم: (الدخول التركي إلى مدينة فاس بين الوثائق الإسبانية والوثائق العثمانية
1576-1554م)، ضمن أعمال ندوة العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، ط1،
منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2005م.
- 468/- بنعيسى النية وقبوسي عياشي: (دور التصوف الروحي السني في الإصلاح الديني والإرشاد التعليمي
بالمغرب)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر،
2019م.
- 469/- بنشريفه محمد: (حول الطائفة الأندلسية في عهد السعديين)، ضمن أعمال ندوة الموريسكيون في
المغرب، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، شفشاون، المملكة المغربية، 2000م.

- 470/- بروفنصال ليفي: (تأسيس مراكش 1070-462 م)، ضمن أعمال ملتقى مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدى، ترجمة أحمد التوفيق، مطبعة فضالة، المحمدية، المملكة المغربية، 1989م.
- 471/- برحاب عكاشة: (مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر 1830-1907 م)، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج2، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1989م.
- 472/- جادة محمد: (الملاحه في اتفاقيات المغرب الدولية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر)، ضمن كتاب البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني بالمحمدية، المملكة المغربية، د.ت.
- 473/- دادي مارية: (كتب التراجم نشأتها وتطورها من القرن الثاني الى القرن الثاني عشر الهجريين)، ضمن كتاب متنوعات محمد حجي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.
- 474/- الدباغ محمد: (المقومات الثقافية والسلوكية في شخصية المولى سليمان)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.
- 475/- هلال عمار: (العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين)، ضمن كتاب فاس وافريقيا العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط / كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، المملكة المغربية، 1996م.
- 476/- وعزيز أمينة: (العلاقات بين المغرب والجزائر بين سنوات 1830-1847 م)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م.
- 477/- الزاوية رشيد: (مولاي سليمان بين الوهابية والتيجانية)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.
- 478/- زوانات زكية: (الطريقة الشاذلية بين نشأتين)، ضمن كتاب التواصل الصوفي بين مصر والمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2000م.
- 479/- زنبر محمد: (شذرات تاريخية عن مدينة سلا)، ضمن كتاب النهضة والتراكم، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1986م.
- 480/- الحاجي سعيد: (الجزائريون في شمال المغرب خلال القرن 19 م)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م.

- 481/- الحاجي سعيد: (الزوايا والطرق الصوفية بمدينة القصر الكبير شمال المغرب أنموذجا)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م.
- 482/- حجي محمد: (قضايا في سيرة ادريس الأزهر وتأسيس مدينة فاس)، ضمن كتاب متنوعات محمد حجي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.
- 483/- حجي محمد: (الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير)، ضمن أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، شفشاون، المملكة المغربية، 2000م.
- 484/- حجي محمد: (تجديد الدراسة بالقرويين أيام السعديين)، ضمن كتاب محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1996م.
- 485/- حجي محمد: (حملة المنصور وهاجس الخلافة)، ضمن أعمال ملتقى المغرب وافريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.
- 486/- حدادي أحمد: (تاريخ المغرب من خلال الرحلات في عصر الدولة العلوية)، ضمن أعمال ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة، المملكة المغربية، 1995م.
- 487/- حوتية فاطمة الزهراء: (الطرق الصوفية في الجنوب الغربي الجزائري)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م.
- 488/- حمادي عبد الله: (كتابات ابن أبي محلي نزيل الساورة من مصادر تاريخ هذه البلاد وتخومها المجاورة)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م.
- 489/- الحمزاوي رشاد: (وحدة المغرب العربي كما تظهر من الآثار الأدبية الكلاسيكية)، ضمن أعمال ملتقى بناء المغرب العربي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1985م.
- 490/- الحسنواي حبيب وداعة: (الصراع التركي السعدي 1549-1557م وسفارة الشيخ محمد الخروبي للمغرب عام 1552م بشأنه)، ضمن كتاب التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1995م.
- 491/- بن يونس مختار الهادي: (محمد بن علي بن مصطفى الخروبي إفادات عن سيرته ومؤلفاته)، ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1995م.

- 492/- كعوان فارس: (هجرة الأسرة المشرفية إلى المغرب الأقصى في عهد الاحتلال الفرنسي وإسهاماتها الثقافية)، ضمن أعمال ملتقى الهجرة والحراك والنفي وآثارهم على الصعيد الثقافي واللغوي، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، 2010م.
- 493/- كعوان فارس: (العلاقات الاقتصادية بين المغرب والجزائر في الفترة الحديثة وإسهامات ركب الحج المغربي في تفعيلها)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م.
- 494/- كظيبي عبد الرحمن: (من صور البر بالشيوخ وفاء المقري لشيخه الدلائي)، ضمن كتاب زهرة الآس في فضائل العباس، ج3، دار المناهل، المملكة المغربية، 1997م.
- 495/- لبصر سعاد: (دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1516-1830م)، ضمن أعمال الملتقى الأول سوسيلوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، 2008م.
- 496/- المودن عبد الرحمن: (الحوليات والأزمات السلطانية 1727-1757م)، أعمال ملتقى الإسطوغرافيا والأزمة - دراسات في الكتابة التاريخية والثقافة -، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1994م.
- 497/- المودن عبد الرحمن: (تساؤلات حول موقف العثمانيين من الغزو السعودي للسودان)، ضمن ندوة المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.
- 498/- المودن عبد الرحيم: (الرحلة الحجية مصدرا من مصادر التاريخ الاجتماعي المغربي)، ضمن كتاب في النهضة والتراكم، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1986م.
- 499/- مزيان عبد المجيد: (المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار)، ضمن أعمال ملتقى الحياة الثقافية بالجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1986م.
- 500/- مطهري فطيمة: (دور واستراتيجية الطريقة السنوسية في إصلاح وتوحيد وإعمار الأقاليم والمجتمعات المغاربية والإفريقية)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م.
- 501/- منفعة محمد: (التعليم بمدينة فاس في عهد السلطان سليمان)، ضمن أعمال ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة، المملكة المغربية، 1995م.

- 502/- المنصور محمد: (عهد السلطان سليمان استمرار أم قطيعة)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المملكة المغربية، 2008م.
- 503/- منصور بلقاسم: (الطريقة الرحمانية وأثرها في تشكيل الوعي الوطني)، ضمن أعمال ملتقى الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة، الجزائر، 2015م.
- 504/- المغاري أمينة: (العمارة الدينية في عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.
- 505/- المغراوي محمد: (تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي)، ضمن كتاب التاريخ والفقه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2002م.
- 506/- نكاع سعاد: (الحركة الصوفية بالجزائر حاضرة مستأ- غنم أنموذجا)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م.
- 507/- النفاع كمال: (أمير سعدي في جزائر النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي عبد الملك بن محمد الشيخ)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م.
- 508/- بن سالم الصالح: (الهجرة ودورها في تمتين الأواصر الثقافية بين الجزائر العثمانية والمغرب السعدي)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م.
- 509/- بن سالم الصالح: (نكبة عبد الواحد الونشريسي مع السلاطين السعديين)، ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، ج2، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019م.
- 510/- بن سالم الصالح: (الحواضر الصحراوية الجزائرية خلال القرن 17م من خلال الأستغرافية المغربية)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م.
- 511/- سيب خير الدين: (انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب)، ضمن أعمال ملتقى ملامح عن المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالتعاون مع دار الثقافة لولاية عين الدفلى، الجزائر، 2008م.

512/- سي يوسف محمد: (نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر)، ضمن كتاب الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م.

513/- السكيوي بوشقي: (اهتمام المولى إسماعيل بتحقيق نسب الشرفاء أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش)، ضمن كتاب زهرة الآس في فضائل العباس، ط1، ج2، دار المناهل، المملكة المغربية، 1997م.

514/- السعيدي عبد الرزاق: (الزوايا والتصوف في مغرب القرن 16م)، ضمن أعمال بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ لعמיד عبد العزيز، مطبعة نواصري، الجزائر، 2017م.

515/- العافية عبد القادر: (جوانب من النشاط العلمي على عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.

516/- عطية هاني محيي الدين: (ابن حمزة المغربي علي بن ولي)، ضمن موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج7، دار الجليل، بيروت، لبنان، 2005م.

517/- العيادي محمد: (دور جامع القرويين في تكوين الشخصية الثقافية المغربية التقليدية)، ضمن كتاب محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1996م.

518/- العلوي محمد: (جوانب من السياسة الدينية والثقافية للسلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال الندوة التاريخية حول مولاي سليمان العلوي، جامعة مولاي علي الشريف، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية، 1992م.

519/- علوي مصطفى: (قراءة في مخطوط منهل الظمان ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا الحاج محمد بن أبي زيان للفيقيه الحاج علي بن عبد القادر التازي)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م.

520/- بن علي بوبكر: (منطقة الساورة تفاعل ثقافي وتواصل تاريخي)، ضمن منشورات ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م.

521/- العمري مومن: (على طريق حلم وحدة المغرب العربي القواسم المشتركة لتحقيق وحدة شعوب المغرب العربي)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة، ج1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م.

522/- العراقي أحمد: (أحمد الغزال حياته وآثاره)، ضمن كتاب زهرة الآس في فضائل العباس، ج3، دار المناهل، المملكة المغربية، د.ت.

523/- العروصي محمد: (المولى سليمان والزوايا زاوية سيدي علي امهاوش نموذجاً)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بني ملال، المملكة المغربية، 2008م.

524/- بن عريب مصطفى: (أثر الفتح الإسلامي في الحراك والعصبية القبلية بالمغرب الأوسط)، ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، ج1، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019م.

525/- الفاسي عبد الإله: (تطور علاقات العدوتين الرباط - سلا بالبحر من القرن 17 إلى القرن 19 م)، ضمن كتاب البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني بالمحمدية، المملكة المغربية، د.ت.

526/- فيلالي كمال: (أشكال الهجرة السرية والهجرة القصرية في تاريخ المغرب الحديث - الهجرة بين الجزائر والمغرب الأقصى نموذجاً)، ضمن أعمال ملتقى الهجرة المغاربية وأبعادها السوسيوثقافية، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة قسنطينة، 2014م.

527/- فيلالي كمال: (الهجرة العلمية والطلابية إلى قسنطينة في عهد عبد الكريم الفكون علامة العصر 1580-1662م)، ضمن أعمال ندوة سوسيوولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008م.

528/- الفيتوري شاذلي: (المقومات الثقافية لوحدة المغرب حاضراً ومستقبلاً وما ينجم عنها في المجال التربوي)، ضمن أعمال ملتقى بناء المغرب العربي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1985م.

529/- فلوسي مسعود: (المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر)، ضمن أعمال الملتقى الوطني حول المذهب المالكي في الجزائر، الجزائر، 2004م.

530/- فقيحي محمد الكبير: (تأسيس الطرق الصوفية في إقليم الساورة)، ضمن منشورات ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م.

531/- بن صحراوي كمال: (المرابطون والشرفاء ببابلك الغرب الجزائري بين خدمة الدين وادعاء الشرف)، ضمن أعمال بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ لعמיד عبد العزيز، مطبعة نواصري، الجزائر، 2017م.

- 532/- صقلي خالد: (دور المتصوفة والزوايا في تحقيق التمازج الاجتماعي والثقافي والصوفي بين المغرب والجزائر تأكيد للهوية المشتركة)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م.
- 533/- بن الصغير رحيمة: (الشيخ عبد الرحمن الثعالبي والإشعاع العلمي في حاضرة الجزائر العاصمة)، ضمن كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2019م.
- 534/- القدوري عبد المجيد: (عودة إلى ظاهرة الزوايا في مغرب العصر الحديث)، ضمن كتاب وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2001م.
- 535/- القدوري عبد المجيد: (ابن أبي محلي نموذج الفقيه الثائر على الوضعية والمناهي بالوحدة)، ضمن كتاب في النهضة والتراكم، دار توبقال، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1986م.
- 536/- قويسم محمد: (علماء الرياضيات في مدينة قسنطينة خلال العصر الوسيط)، ضمن أعمال بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ لعميد عبد العزيز، مطبعة نواصري، الجزائر، 2017م.
- 537/- قشي فاطمة الزهراء: (الحياة الفكرية في قسنطينة خلال العهد العثماني مساهمة عائلة الفكون أو عرض كتاب النوازل)، ضمن أعمال ملتقى الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م.
- 538/- قشي فاطمة الزهراء: (الأرشيف المحلي لقسنطينة في العهد العثماني)، ضمن أعمال ندوة العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطة، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2005م.
- 539/- القذافي محمد حسين: (حياة أبي عبد الله الخروبي في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب)، ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1995م.
- 540/- رابطة محمد: (الموحدون وإختيار مراكش)، ضمن كتاب متنوعات محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.
- 541/- رزوق محمد: (جوانب من النشاط الفكري بدرعة خلال العهد السعودي الأول)، ضمن أعمال ندوة حوض وادي درعة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المملكة المغربية، 1996م.
- 542/- الشاذلي بهيجة: (مصباح الأرواح في أصول الفلاح لمحمد بن عبد الكريم المغيلي ملاحظات أولية)، ضمن كتاب محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1996م.

- 543/- التازي عبد الهادي: (العلاقات الدولية للمغرب على عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المملكة المغربية، 2008م.
- 544/- تحريشي محمد: (الخطاط محمد بن أبي القاسم القندوسي المتوفي عام 1861م)، ضمن منشورات ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م.
- 545/- التيجاني محمد: (محاولة فرنسا استغلال الزوايا بالجزائر التي توجد لها فروع بالمغرب لضرب الزوايا الأخرى التي تعارض مشروعها الاستعماري زاوية بولهول بأحمر نموذجاً)، ضمن كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الجزائرية، ج2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المملكة المغربية، 2017م.
- 546/- التميمي عبد الجليل: (تاريخ العلاقات الثقافية بين استانبول والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث)، ضمن أعمال ملتقى الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م.
- 547/- الترغي عبد الله: (الإمام الخروبي والمواجهات الفكرية في مغرب القرن العاشر للهجرة)، ضمن كتاب التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1995م.
- 548/- خالد الطاهر: (التصوف الجزائري مصدر إشعاع وتواصل في نشر الدعوة والاصلاح بإفريقيا جنوب الصحراء - الطريقة القادرية أنموذجاً -)، ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، ج2، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019م.
- 549/- الخداري محمد: (المولى سليمان بين الوهابية والتصوف)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، المملكة المغربية، 2008م.
- 550/- الخوني الصادق: (من ملامح شخصية المغرب العربي خلال العصور الوسطى)، ضمن كتاب بناء المغرب العربي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1983م.
- 551/- خلادي بلهادي: (البعد الثقافي من خلال وصايا الشيخ سيدي محمد بن بوزيان)، ضمن أعمال ملتقى دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م.

- 552/- الخليلي عبد العزيز: (زاوية تمجروت والمخزن 1642-1914م)، ضمن كتاب الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1997م.
- 553/- الضعيفي عبد العزيز: (العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والدولة العثمانية في عهد السلطان مولاي سليمان)، ضمن أعمال ندوة المغرب في عهد السلطان مولاي سليمان 1792-1822م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال، المملكة المغربية، 2008م.
- 554/- آيت غازي عبد القادر: (الرحلة الحجية المغربية بين الدين والعلم والسياسة)، أعمال ندوة ركب الحاج المغربي والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بني ملال، المملكة المغربية، 2013م.
- 555/- الغالي المهدي: (واقع المشرق العربي من خلال الرحلة الناصرية الكبرى)، أعمال ندوة ركب الحاج المغربي والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بني ملال، المملكة المغربية، 2013م.
- 556/- غطاس عائشة: (الوثائق المحلية وأهميتها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي - مثال مدينة الجزائر -)، ضمن أعمال ندوة العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطة، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2005م.
- رابعاً/- الرسائل الجامعية:
- 557/- أجزتي محمد: الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م.
- 558/- أحمد القيم مصطفى عيد: المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني 1240-1464م، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2000م.
- 559/- بكاي هوارية: العلاقات الزبانية المرينية سياسياً وثقافياً، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2008م.
- 560/- بوبكر محمد السعيد: العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية بين 1708-1792م، رسالة ماجستير، غرداية، 2011م.
- 561/- بوجلال قدور: مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2017م.
- 562/- بودريعة ياسين: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007م.
- 563/- بوحجرة عثمان: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م مقارنة اجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2015م.

- 564/- بولصباغ وهيبة: العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومديني تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين 17-18م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م.
- 565/- بونابي الطاهر: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 14-15م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009م.
- 566/- بوقادوم حمزة: الحراك الفكري لعلماء المغرب خلال القرن 16م - الشيخ أبي عبد الله محمد الخروبي الطرابلسي أنموذجا -، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م.
- 567/- بوترة شهرزاد: الحضور المغربي في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015م.
- 568/- بوتشيش أمينة: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين 06-07هـ، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2008م.
- 569/- بوخلوة حسين: عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وأثاره 1580-1663م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2009م.
- 570/- بوضرساية بوغزة: الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826-1846م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1991م.
- 571/- بوغدادة الأمير: المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008م.
- 572/- بكاري عبد القادر: منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1518-1830م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2016م.
- 573/- بلعمري فاتح: مدينة الجزائر في القرن 18م من خلال الرحالة العرب والأوروبيين دراسة مقارنة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009م.
- 574/- بلفرح عبد الرحمن: ابن قنفذ القسنطيني حياته وأثاره (1339-1407م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2007م.
- 575/- بلقاسم محمد: الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، ج1، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994م.
- 576/- بن بلة خيرة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008م.

- 577/- بلخوص الدراجي: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16-17م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012م.
- 578/- بلغيث عبد القادر: الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م.
- 579/- بقادي مسعود: هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 16م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، 2014م.
- 580/- بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987م.
- 581/- جودي اسماعيل: الصناعة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009م.
- 582/- الجندي علي محمود: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، مصر، 2004م.
- 583/- بن داود أحمد: المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم 1920-1954م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2017م.
- 584/- دواس أحسن: صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2008م.
- 585/- دحدي سعود: البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية 1842-1931م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م.
- 586/- دحمون منى: قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثرية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005م.
- 587/- دركوش أحمد: مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس 1830-1914م القادرية والتيجانية أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011م.
- 588/- درقاوي منصور: الموروث الثقافي العثماني ما بين القرنين 16-19م بين التأثير والتأثر، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2015م.
- 589/- دغموش كاميلية: قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية 1509-1792م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م.
- 590/- الواليش فتيحة: الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994م.
- 591/- زاير أبو الدهاج: العقيدة والدولة في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013م.

- 592/- حاج سعيد محمد: مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها ودورها وعمارتها، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2015م.
- 593/- حماش خليفة: العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، مصر، 1988م.
- 594/- حلوي فتيحة: فن فهرسة المخطوطات العربية الإسلامية خزانة كوسام بمنطقة أدرار نموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2016م.
- 595/- حناي محمد: الحياة الثقافية في زاوية تماسين التيجانية 1803-1954م، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، 2014م.
- 596/- حنفوق اسماعيل: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1931م، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2011م.
- 597/- بن حسان عبد الرحمن: أدب الإجازة في إقليم توات خلال القرنين 19-20م، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 2014م.
- 598/- حفيان رشيد: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 17-18م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م.
- 599/- بن يوسف تلمساني: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1782-1900م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1998م.
- 600/- كليل الصالح: سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2007م.
- 601/- كرطالي أمين: الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين 15-16م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م.
- 602/- بن لباد الغالي: الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية دراسة أنثروبولوجية، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2009م.
- 603/- لدرع أمال: الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006م.
- 604/- لوزري سعيدة: المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره بين القرنين 9-11م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م.

- 605/- لزغم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 1830-1520م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2014م.
- 606/- لطرش حنان: السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م.
- 607/- لعرج شيخ: موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2017م.
- 608/- لقوارة فهميم: ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني خلال القرنين 16-17م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012م.
- 609/- لغشيم مصطفى: هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية وثقافية خلال القرنين 13-15م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2013م.
- 610/- مدلل علي: المناظرات النحوية بين البصريين والكوفيين، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1999م.
- 611/- مزارى زينب: المناظرة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2000م.
- 612/- الميلىق عبد القادر: تأثير ثورات الموريسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الإسبانية 1492-1609م، رسالة ماجستير، جامعة غرداية، 2013م.
- 613/- مكي جلول: مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب بين 1234-1847م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993م.
- 614/- مكوي محمد: العلاقات السياسية والفكرية المغربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول 1236-1337م، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2008م.
- 615/- ملاح الهواري: الإفتاء والمفتون في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2016م.
- 616/- سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرن 10-08هـ، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2012م.
- 617/- سامعي اسماعيل: دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1995م.
- 618/- سبع قادة: المذهب المالكي بالمغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2004م.
- 619/- بن سهلة ثاني سيدي محمد: المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية الجزائرية تلمسان أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامع تلمسان، 2014م.

- 620/- سي فضيل منى: الزوايا والأولياء الصالحون في الجزائر دراسة سوسولوجية وصفية لسيدى نايل، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011م.
- 621/- سعداني محمد: الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط خلال القرنين 13-15م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2016م.
- 622/- العابد زكريا: الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2007م.
- 623/- عباسي غنية: مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012م.
- 624/- عبدلي الأخضر: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان 1236-1554م، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2005م.
- 625/- عمارة فاطمة الزهراء: المدارس العتيقة بتلمسان خلال القرنين 14-15م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2010م.
- 626/- عمراني معاذ: أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ميلاديين، دراسة سياسية اجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2003م.
- 627/- بن عمر علال: الحركة العلمية وبيوتات العلماء في قسنطينة خلال القرنين 13-16م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2011م.
- 628/- عقبة السعيد: الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن 7هـ/13م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009م.
- 629/- عشي علي: المغرب الأوسط في عهد الموحدين 1139-1235م، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2012م.
- 630/- فارس العيد: علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس 1848-1930م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2017م.
- 631/- فيلالى السايح: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800-1830م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة قسنطينة، 1983م.
- 632/- صابرة خطيف: فقهاء تلمسان والسلطة الزبانية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004م.
- 633/- صادق الحاج: الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن التاسع عشر ميلادي وأثرها على البيئة الحجازية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012م.

- 634/- صحراوي فتيحة: الجزائر في عهد الداوي حسين 1830-1818م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م.
- 635/- قاسم فيصل: الحركة التجارية بين موانئ بلدان المغرب خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م.
- 636/- قاصري محمد السعيد: المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى (1830-1930م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009م.
- 637/- قدوري عبد الرحمن: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 15-16م دراسة في الدوافع والنتائج، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2014م.
- 638/- قدور عبد المجيد: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط خلال القرنين 16-17م ونتائجها الحضارية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1994م.
- 639/- القيم مصطفى عيد أحمد: المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني 1240-1464م، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2000م.
- 640/- قريان عبد الجليل: السياسة التعليمية للدولة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004م.
- 641/- قريزة ربيعة: علماء جزائريين بمصر في الفترة العثمانية خلال القرنين 16-17م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011م.
- 642/- قشوان عبد الرزاق: السلطة المحلية في بايلك قسنطينة 1592-1837م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م.
- 643/- رهيوي رجاء: دايات الجزائر صور وأبعاد، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008م.
- 644/- رموم محفوظ: الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002م.
- 645/- رضوان نبيل عبد الحي: جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1987م.
- 646/- شافو رضوان: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844-1962م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2012م.
- 647/- بن شريف علي عبد الإله: مرجعيات مفردات الطرق الصوفية في منطقة تلمسان دراسة معجمية ودلالية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2004م.

648/- شرف موسى: العلاقات المغربية العثمانية 1757-1848م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2016م.

649/- خالد رشيد: دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 13-14م، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2011م.

650/- غانية البشير: الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين 1086-1238م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2016م.

651/- غويني ليلي: التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011م.

652/- غربي الحواس: السيادة السعدية بالبلاد السودانية 1591-1660م دراسة سياسية وعسكرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009م.

رابعاً- الدوريات العربية:

653/- أبار ميشال: (الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي)، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة الثقافة، س1، ع3، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1971م.

654/- أوقاسي عبد القادر: (فقهاء منطقة شلف خلال العهد العثماني عبد الرحمن المجاجي نموذجاً)، مجلة عصور، ع04-05، جامعة وهران، 2003-2004م.

655/- آل سيد الشيخ سعاد: (رحلة عبد الرحمن بن محمد المجاجي نموذج الرحلة الحجية النظامية خلال القرن 17م)، مجلة الواحات، ع20، جامعة غرداية، 2014م.

656/- أمير يوسف: (إسهام الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر 1671-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية، ع14، جامعة الجزائر، 2012م.

657/- الأمراني محمد: (مكانة تازة العلمية من خلال النصوص التاريخية والإنتاجات الأدبية)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع5، س32، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1991م.

658/- استيتو محمد: (ظاهرة العرافة والاحتفال في المغرب خلال القرنين 16-17م)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع6، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، 2006م.

659/- أخريف محمد: (تجليات معركة وادي المخازن في الصراع الدولي في القرن 16م)، مجلة الذاكرة الوطنية، ع14، دار أبي رقرق، الرباط، المملكة المغربية، 2010م.

660/- بوجندار محمد: (تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط)، مجلة قطر الندى، ع1، جمهورية إيرلندا، 2008م.

- 661/- بوردريعة ياسين: (زاوية الشرفة 1709-1848م نموذج للمؤسسات الاجتماعية بمدينة الجزائر إبان العهد العثماني)، مجلة الدراسات التاريخية، ع15-16، جامعة الجزائر، 2013م.
- 662/- بوزياني قدور: (البعد الحدودي في علاقات المغرب بالجزائر خلال القرنين 10-11هـ)، مجلة مكناسة، ع08، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مكناس، المملكة المغربية، 1994م.
- 663/- بوكريديمي نعيمة: (دوافع رحلة علماء تلمسان إلى فاس خلال القرن 14م)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، ع16، جامعة الشلف، الجزائر، 2016م.
- 664/- بونابي الطاهر: (طريقة أحمد بن يوسف الملياني الراشدي بين ثنائية التصوف العرفاني السني والطريقة الصوفية الإصلاحية ق15-16م)، مجلة المواقف، ع6، جامعة معسكر، مطبعة الرشاد، الجزائر، 2011م.
- 665/- بونابي الطاهر: (نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط)، مجلة حوليات التراث، ع2، منشورات جامعة مستغانم، الجزائر، 2004م.
- 666/- بونار رابح: (سعيد العقباني التلمساني)، مجلة الأصالة، س01، ع06، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972م.
- 667/- بونو سلفاتور: (العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي)، ترجمة أبو القاسم سعد الله، مجلة الأصالة، س1، ع6، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972م.
- 668/- بونقاب مختار: (الطريقة الدرقاوية بالجزائر - الحضور والأثر -)، مجلة الحوار المتوسطي، ع11-12، جامعة سيدي بلعباس، 2016م.
- 669/- بوسليم صالح وبن قايد عمر: (الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع21، جامعة غرداية، 2015م.
- 670/- البوعبدلي المهدي: (تراجم بعض مشاهير علماء زاوية القبائل الصغرى والكبرى -)، مجلة الأصالة، ع14-15، س03، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م.
- 671/- البوعبدلي المهدي: (الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وأثارها)، مجلة الأصالة، ع19، س04، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1974م.
- 672/- البوعبدلي المهدي: (عبد الرحمن الأخضرى وأطوار السلفية في الجزائر)، مجلة الأصالة، ع53، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر، 1978م.
- 673/- البوعبدلي المهدي: (اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات)، مجلة رسالة المسجد، ع8، س01، سطيف، الجزائر، 2004م.

- 674/- بوعزيز يحيى: (ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية)، مجلة الثقافة، ع52، س9، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979م.
- 675/- البوعناني مصطفى: (وثائق جديدة عن الحركة الفكرية في العهد السعودي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع02، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، 2000م.
- 676/- البوعناني مصطفى: (نص رحلي جديد من القرن 10هـ/16م محاولة في التركيب)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع6، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، 2006م.
- 677/- بوتدارة سالم: (الرحلات والمناظرات العلمية بالجزائر الحديثة - منطقة توات أنموذجا -)، مجلة الحوار المتوسطي، ع12-13، جامعة سيدي بلعباس، 2017م.
- 678/- بوشوشي الطاهر: (صفحات من تاريخ جامع كتشاوة)، مجلة الأصالة، ع14-15، س3، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م.
- 679/- بوشناني محمد: (هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني 1520-1830م)، مجلة المواقف، ع4، جامعة معسكر، الجزائر، 2009م.
- 680/- بوشناني محمد: (الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني)، مجلة المواقف، ع6، جامعة معسكر، الجزائر، 2011م.
- 681/- بحيري يامنة: (الموروث الحضاري الأندلسي في شرشال)، مجلة الدراسات التاريخية، ع14، جامعة الجزائر، 2012م.
- 682/- بيبوتوي: (الوطن المغربي)، مجلة دعوة الحق المغربية، تعريب محمد الدكالي، ع4، س3، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1960م.
- 683/- بلبروات بن عتو: (الداوي محمد بن عثمان باشا وسياسته)، مجلة عصور، ع6-7، جامعة وهران، 2005م.
- 684/- بلحميسي مولاي: (إرشاد الحيران في أمر الداوي شعبان)، مجلة الدراسات التاريخية، ع2، جامعة الجزائر، 1986م.
- 685/- بلحميسي مولاي: (مدينة ورقلة في رحلة العياشي)، مجلة الأصالة، ع41، س6، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م.
- 686/- بلحميسي مولاي: (الوزير الزياني في الجزائر العاصمة ووصفه للجامع الجديد)، مجلة الأصالة، ع24، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975م.
- 687/- بلحميسي مولاي: (الثورة على الأتراك في الجزائر شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر)، مجلة الثقافة، ع48، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1978م.

- 688/- بلعربي خالد: (الحياة الثقافية بتلمسان في عصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي)، مجلة عصور، ع17، جامعة وهران، 2011م.
- 689/- بنين أحمد شوقي: (العلاقات المغربية الإسبانية إثر اختطاف خزنة السعديين المراكشية)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع8، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية، 1992م.
- 690/- بنحادة عبد الرحيم: (سفارة مغربية إلى استانبول خلال القرن الثامن عشر 1783م)، مجلة المصباحية، ع1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1995م.
- 691/- بنيرد الحاج: (الحياة الفكرية والأدبية واللغوية بفاس خلال القرنين 11-12هـ - دراسة في عوامل ازدهارها ومظاهرها -)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع83، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2013م.
- 692/- بنعبد الله عبد العزيز: (القصر الكبير أول حاضرة في المغرب)، مجلة المناهل، ع1، س1، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المملكة المغربية، 1974م.
- 693/- بنعبد الله عبد العزيز: (الفهرسة والكناشة في نشاط المغرب الفكري)، مجلة التاريخ العربي، ع7، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 1998م.
- 694/- بنعبد الله عبد العزيز: (فاس عاصمة المملكة منذ اثني عشر قرنا)، مجلة الأكاديمية، ع25، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المملكة المغربية، 2008م.
- 695/- بنشريف محمد: (بين أحمد المنصور الذهبي وأحمد بابا التنبكتي)، مجلة الأكاديمية، ع27، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المملكة المغربية، 2010م.
- 696/- برادة رشيدة: (الحياة الاجتماعية والثقافية لطلاب مؤسسات التعليم العالي العتيق - جامعة القرويين وابن يوسف نموذجاً -)، مجلة البحث العلمي، ع50، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، 2008م.
- 697/- الجيلالي عبد الرحمن: (مسجد سيدي بومروان العتيق بعنابة)، مجلة الأصالة، ع34-35، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1976م.
- 698/- الجمالي فريد بن محمد: (منهج الاعتقاد عند المقري قراءة في إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة)، مجلة قطر الندى، ع02، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الرباط، المملكة المغربية، 2008م.
- 699/- داهش محمد علي: (العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث)، مجلة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، ع18، جامعة قطر، 1995م.

- 700/- بن داهة عدة: (النزعة الجهادية لطلبة العلم وحملة القرآن الكريم في منطقة معسكر خلال العهد العثماني)، مجلة المواقف، ع03، جامعة معسكر، 2008م.
- 701/- الدباغ محمد عبد العزيز: (جامع الأندلس بفاس)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع1، س6، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1962م.
- 702/- دحدوح عبد القادر: (معالم مدينة قسنطينة من خلال مخطوط دفتر الأحياس)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع12، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2011م.
- 703/- دي ايبالزا ميكال: (بعض الوثائق الاسبانية المتعلقة بتاريخ المغرب العربي في القرنين 18-19 م)، مجلة الأصالة، ع52، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر، 1977م.
- 704/- الهيلة محمد الحبيب: (مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن 11 إلى نهاية القرن 15 م)، مجلة دراسات أندلسية، ع9، تونس، 1993م.
- 705/- هلايلي حنيفي: (محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي)، مجلة الحوار المتوسطي، ع5، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2013م.
- 706/- هلايلي حنيفي: (الثورات الشعبية في الجزائر أواخر الحكم العثماني كرد فعل على سياسة التهميش)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع20، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2006م.
- 707/- هلايلي حنيفي: (عبد الرحمن الأخضرري رائد التصوف السلفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع07، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م.
- 708/- الوارتي لطيفة: (مساهمة المقامة المغربية في الحركة الإصلاحية على عهد الدولة العلوية)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع52، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2006م.
- 709/- الوارث أحمد: (موقف الحسن الوزان من الصوفية والأولياء - إرهابات لفكر مغربي متنور -)، مجلة الفكر الديمقراطي، ع11، الجزائر، 1990م.
- 710/- ولد مياي حماه الله: (كناشة محمد الطالب وأهميتها للتاريخ الثقافي المغربي)، مجلة آفاق الثقافة التراث، ع79، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، 2012م.
- 711/- زين العابدين رشيد: (الوجه الآخر لركب الحج في القرن 18م الوجه السياسي والقتالي)، مجلة المعارف، ع11، جامعة الوادي، 2017م.
- 712/- زمامة عبد القادر: (المقري الجد)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع2، س9، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1965م.

- 713/- زمامة عبد القادر: (أبو العباس ابن القاضي المؤرخ 1552-1616م)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع11، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، 1995م.
- 714/- زناتي أنور محمود: (فهارس علماء المغرب والأندلس - دراسة تحليلية -)، مجلة كان التاريخية، ع11، س4، دارناشري للنشر الالكتروني، الإمارات العربية المتحدة، 2011م.
- 715/- حاجيات عبد الحميد: (ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين)، مجلة الحوار المتوسطي، ع15-16، جامعة سيدي بلعباس، 2017م.
- 716/- حماش خليفة: (وثيقة جزائرية من العهد العثماني حول موكب الحجيج المغاربة في عام 1823م)، المجلة التاريخية المغربية، ع91-92، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1998م.
- 717/- حجي محمد: (العلاقات المغربية العثمانية في القرن السادس عشر)، المجلة التاريخية المغربية، ع29-30، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1983م.
- 718/- حجي محمد: (الدور السياسي للزاوية الدلائية)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع4، س8، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1965م.
- 719/- حنشي محمد سعيد: (تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهرسها)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع72، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2010م.
- 720/- بن الحسين محمد: (مسامرة العراقي)، مجلة قطر الندى، ع02، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الرباط، المملكة المغربية، 2008م.
- 721/- حركات إبراهيم: (نظم الحكم في عهد الوطاسيين)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع2، س8، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1964م.
- 722/- حركات إبراهيم: (شخصية ابن البناء خارج المغرب)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع8، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية، 1992م.
- 723/- طالب علي: (من أبطال البحرية الجزائرية الرايس حميدو 1770-1815م)، مجلة التراث، ع4، منشورات جمعية التأريخ والتراث الأثري، باتنة، الجزائر، 1989م.
- 724/- الطبايلي عبد الحفيظ: (مصدر عثماني حول تاريخ المغرب السعدي - البحر الزخار والعلم الطيار لمؤلفه مصطفى الجنابي -)، مجلة التاريخ العربي، ع12، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 1999م.
- 725/- الكحلوي محمد: (المدارس المغربية - دراسة أثرية معمارية -)، مجلة العصور، مج6، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1991م.

- 726/- كعوان فارس: (عالم على رأس أوجاق جزائر الغرب - قراءة تحليلية لولاية القاضي المولى علي أفندي سنة 1616م في ضوء المصادر المعاصرة -)، مجلة البحوث التاريخية، ع5، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2018م.
- 727/- كريم عبد الكريم: (معركة وادي المخازن من خلال الوثائق التاريخية)، مجلة التاريخ العربي، ع3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 1997م.
- 728/- كريم عبد الكريم: (المدخل التاريخي لقصبة رابط الفتح)، جمعية آفاق الثقافة والتراث، ع07، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 1994م.
- 729/- كراز فوزية: (التوزيع الجغرافي للبربر والعرب بالمغرب الأوسط خلال القرنين 11-12م)، مجلة عصور الجديدة، ع21-22، جامعة وهران، 2016م.
- 730/- بن عبد الله نور الدين: (العمارة التقليدية بإقليم توات - القصر أنموذجا -)، مجلة كان التاريخية، ع15، س5، دارناشري للنشر الإلكتروني، الإمارات العربية المتحدة، 2012م.
- 731/- مزين محمد: (بعض النوازل في كتاب الجواهر المختارة للزياتي)، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، عدد خاص، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1985م.
- 732/- المنوني محمد: (كراسي الأساتذة بجامعة القرويين)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع4، س9، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1966م.
- 733/- مسعود العيد: (العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني)، مجلة سيرتا، ع1، س1، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1979م.
- 734/- معكول علال: (التواصل الفكري والثقافي بين المشرق والمغرب من خلال الترجمان المغرب لأبي القاسم الزياني الوزير المؤرخ الأديب)، مجلة مكناسة، ع06، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مكناس، المملكة المغربية، 1992م.
- 735/- معاشي جميلة: (أهمية رحلة الحج في السياسة العثمانية)، مجلة الهجرة والرحلة، ع1، جامعة قسنطينة، 2005م.
- 736/- معاشي جميلة: (أسرة الفكون شيوخ الإسلام وشيوخ بلد قسنطينة من عز العثمانيين إلى ذل الفرنسيين)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع16، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014م.
- 737/- بن معمر محمد: (قضية العرائش بين المطامع السياسية وضغوط العلماء)، مجلة إنسانيات، ع19-20، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2004م.
- 738/- المقري بدر: (مساهمة بيليوغرافية في تكشف المحور العمراني والعسكري في أدب الرحلة المغربية المعاصرة)، مجلة كنانش، ع03، جامعة محمد الأول بوجدة، المملكة المغربية، 2001م.

- 739/- متفكر أحمد: (جامع الشرفاء بمراكش)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع8، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية، 1992م.
- 740/- نمير عقيل: (النظام العسكري للجزائر في العهد العثماني)، مجلة الدراسات التاريخية، ع103-104، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، سورية، 2008م.
- 741/- النظام زهراء: (العلاقات المغربية التركية وتطورها عبر التاريخ)، مجلة التاريخ العربي، ع48، جمعية المؤرخين المغاربة، المملكة المغربية، 2009م.
- 742/- الساحلي خليل: (تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552م)، المجلة التاريخية المغربية، ع02، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1974م.
- 743/- بن سالم الصالح: (علاقة الفقيه بالسياسة في الجزائر العثمانية من خلال الآداب السلطانية)، المجلة التاريخية الجزائرية، ع03، جامعة المسيلة، 2017م.
- 744/- بن سالم الصالح: (الحواضر العربية شاهدة على التواصل الثقافي بين أعلام الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرنين 16-17م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع15، جامعة أنواكشوط، موريتانيا، 2017م.
- 745/- بن سالم الصالح: (الأستغرافية الجزائرية بالحواضر المغربية خلال القرنين 16-17م)، مجلة المواقف، ع12، جامعة معسكر، الجزائر، 2017م.
- 746/- سامعي اسماعيل: (الحركة الاقتصادية والعلمية في بونة ابان العصر الاسلامي من خلال المصادر العربية)، مجلة الآداب والحضارة الاسلامية، ع13، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2012م.
- 747/- السويكت فهد بن محمد: (مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية)، مجلة جامعة الملك سعود، ع19، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2006م.
- 748/- سعد الله أبو القاسم: (أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة)، مجلة الثقافة، ع51، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- 749/- سعد الله أبو القاسم: (كعبة الطائفين مخطوط جزائري من القرن السابع عشر)، المجلة التاريخية المغربية، ع7-8، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1977م.
- 750/- سعد الله أبو القاسم: (مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830-1954م)، مجلة الثقافة، عدد خاص، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976م.
- 751/- سعد الله أبو بكر خالد: (ابن حمزة الجزائري مدرس الرياضيات بمكة المكرمة)، مجلة الدارة، ع03، س34، المملكة العربية السعودية، 2007م.

- 752/- السعد عبد العزيز: (حول التواجد العثماني بالمغرب)، المجلة التاريخية المغربية، ع63-64، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1991م.
- 753/- سعيدوني ناصر الدين: (الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي)، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ع31، الكويت، 2010م.
- 754/- سعيدوني ناصر الدين: (ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني)، مجلة الأصالة، ع41، س06، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م.
- 755/- سعيدوني ناصر الدين: (الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي)، مجلة الثقافة، ع92، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1986م.
- 756/- سعيدوني ناصر الدين: (ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية)، مجلة الثقافة، ع78، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984م.
- 757/- سعيدوني ناصر الدين: (رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح راييس 1555م)، المجلة التاريخية المغربية، ع83-84، س23، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1996م.
- 758/- سعيدوني العربي: (انتفاضات القبائل ضد مظالم البايات العثمانيين في منطقة غليزان)، مجلة الحوار المتوسطي، ع5، جامعة سيدي بلعباس، 2013م.
- 759/- عزوي محمد الطاهر: (عوامل وحدة المغرب العربي)، مجلة التراث، ع8، جمعية التاريخ والتراث الأثري، الجزائر، 1989م.
- 760/- بن عمار الزهرة: (الشيخ ابراهيم التازي ومآثره بوهران)، مجلة عصور، ع16-17، جامعة وهران، 2010م.
- 761/- العماري أحمد: (خلفيات الحدود الجيوسياسية للأتراك والفرنسيين تجاه وحدة المغرب الكبير)، مجلة كلية الآداب، عدد خاص، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1985م.
- 762/- العماري أحمد: (المؤثرات الحقيقية وراء موقف المؤرخين الأجانب من التدخل المغربي في تلمسان سنة 1830م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، ع2-3، فاس، المملكة المغربية، 1979-1980م.
- 763/- عمارة علاوة: (انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط - قراءة سوسولوجية -)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع56، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، 2007م.
- 764/- فارس العيد: (طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس 1830-1847م)، مجلة عصور الجديدة، ع19-20، جامعة وهران، 2015م.

- 765/- فيلالي كمال: (هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني)، مجلة المواقف، عدد خاص، جامعة معسكر، الجزائر، 2008م.
- 766/- فيلالي عبد العزيز: (التيارات الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع6، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 1999م.
- 767/- فكاير عبد القادر: (دور العلماء والرباطات في مواجهة العدوان الاسباني على الجزائر)، مجلة المواقف، عدد خاصة، جامعة معسكر، 2008م.
- 768/- صالح منى: (دور السنوسية في التقارب الجزائري العثماني في نهاية القرن التاسع عشر)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع16، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014م.
- 769/- الصحراوي عبد القادر: (البطل الشعبي محمد العياشي)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع12، س1، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1958م.
- 770/- صحراوي عبد القادر وعطية محمد: (مشروع توحيد الإيالات المغاربية في عهد الداوي شعبان 1688-1695م)، مجلة الحوار المتوسطي، ع15-16، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017م.
- 771/- صغيري نور الدين: (الحوار والمناظرة في منظور الشارع)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع36، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2002م.
- 772/- القاسمي عبد المنعم: (الزاوية الرحمانية وأثرها في الوحدة المغاربية)، مجلة الدراسات الإسلامية، ع9، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2006م.
- 773/- قاصري محمد السعيد: (مبايعة سكان الغرب الجزائري للسلطان المغربي عبد الرحمن 1830-1832م)، مجلة دراسات أدبية وإنسانية، ع3، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2005م.
- 774/- بن قومار جلول: (هاجس الأمن عند ركب الحجاج المغاربية من خلال الرحلات الحجية خلال القرنين 17-18م)، مجلة الحوار المتوسطي، مج12-13، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017م.
- 775/- قيداري قويدر: (الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر بين 1520-1830م)، مجلة المواقف، ع10، جامعة معسكر، 2015م.
- 776/- قشي فاطمة الزهراء: (معالم قسنطينة وأعلامها)، مجلة انسانيات، ع19-20، مركز الكراسك، وهران، 2003م.
- 777/- رزوق محمد: (الهجرة الأندلسية إلى المغرب)، مجلة دراسات أندلسية، ع16، تونس، 1996م.
- 778/- رزوق محمد: (التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي)، المجلة التاريخية المغربية، ع63-64، س18، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1991م.

- 779/- عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحيم: (النظم الإدارية العثمانية في البلدان العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية)، مجلة الدارة، ع01، س9، المملكة العربية السعودية، 1982م.
- 780/- عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحيم: (الاتصال الثقافي بين الزيتونة والأزهر وأثره على الحياة الثقافية في مصر وتونس)، المجلة التاريخية المغربية، ع23-24، مركز التميمي للبحث والمعلومات، تونس، 1981م.
- 781/- شاطو محمد: (السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية 1792-1830م)، مجلة المواقف، ع3، جامعة معسكر، 2008م.
- 782/- شبانه محمد كمال: (مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع52، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2006م.
- 883/- شبيرة سفيان: (دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي)، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، جامعة وهران، 2014م.
- 784/- شقور عبد السلام: (من بيوتات سبتة في القرن الثامن)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع5، س32، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1991م.
- 785/- التميمي عبد الجليل: (تاريخ العلاقات الثقافية بين استانبول والمغرب الأقصى)، المجلة التاريخية المغربية، ع43-44، س13، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1986م.
- 786/- التميمي عبد الجليل: (الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني على الايلات المغربية في القرن السادس عشر)، المجلة التاريخية المغربية، ع10-11، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1978م.
- 787/- الخطيب عبد اللطيف: (تاريخ حملة البرتغال على المغرب في المصادر البرتغالية)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع4، س7، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1964م.
- 788/- خليفي عبد القادر: (موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع12، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2002م.
- 789/- غويني ليلي: (التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع المغاربة في العصر الحديث)، مجلة الدراسات التاريخية، ع14، جامعة الجزائر، 2012م.
- 790/- غوردو عبد العزيز: (مسألة البدعة في تاريخ المغرب الحديث - نموذج شراكة من خلال الاستقصاء-)، مجلة كان التاريخية، ع3، س2، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الإمارات العربية المتحدة، 2009م.
- 791/- الغربي محمد أحمد: (العناصر الحقيقية لإقليمية المغرب العربي)، مجلة دعوة الحق المغربية، ع5، س2، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 1959م.

792/- **Archives marocaines publication de la mession scientifique du Maroc**, volum 04, Ernest Leroux éditeur, Paris, France, 1906.

793/- **Archives marocaines publication de la mession scientifique du Maroc**, volum 06, Ernest Leroux éditeur, Paris, France, 1907.

794/- Aramburu: **ORAN ET L'OUEST ALGERIEN AU 18^{ème} SIECLE**, présentation et traduction par Mohamed EL KORSO et Mikel DE EPAEZA , Bibliothèque Nationale, Alger, 1978.

795/- Benamara Khelifa: **Le Sage des Boubekria Ancetres des Ouled Sidi Cheikh - Histoire et Hagiographie du Sud Ouest Algerien -**, 2^{ème} Edition, Librairie Djoudi Messaoud, Oran, Alger, 2002.

796/- Bacha Mahmoud: **Prise de la Régence d'Alger**, Edition Al-Amal, Alger, 2005

797/- Belhamissi Moulay: **Marine et Marins d'Alger 1518-1830**, Tome I, 3^{ème} édition, Dar El Charb, Alger, 2003.

798/- Belhamissi Moulay: **Alger la ville aux mille canons**, éditions ANEP, Alger, 2009.

799/- Boubaker Sadok: (**La peste dans pays du Maghreb attitudes face au fléau et impacts sur les activités commerciales 16-18^e siècles**), Revue d'Histoire Maghrebine, n 78-80, publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 1995.

800/- Ben Hamouche Mustapha: (**Souqs et métiers d'Alger à l'époque Ottomane**), Actes des symposium d'études ottomanes international la marine et les routes commerciales

ottomanes, Publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 2000.

801/- Ben Hamouche Mustapha: **Dar Es-Sultan l'algérois à l'époque ottomane**, Dar El Bassair, Alger, 2009.

802/- Cour Auguste: **L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la Régence d'Alger 1509-1830**, éditions Bouchène, France, 2004.

803/- Courtinat Roland: **La piraterie barbaresque en Méditerranée 16^e-19^e siècle**, éditions à Jacques Gandini, Paris, France, 2003.

804/- Chaïla Houari: **Oran histoire d'une ville**, édition El Ijtihad, Alger, 2002.

805/- Chenntouf Tayeb: **Etudes d'histoire de l'Algérie 18-19^e siècles**, Office des publications universitaires, Alger, 2010.

806/- Chevallier Corinne: **Les trente premières années de l'Etat d'Alger 1510-1541**, Office des publications universitaires, Alger, 1986.

807/- Chaouch Sinan: **Fondation de la régence d'Alger**, éditions Grand Alger Livres, Alger, 2006.

808/- De Grammont: **Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830**, Ernest Leroux, éditeur 28, Paris, France, 1887.

809/- Devoux Albert: **Les archives du consulat général de France à Alger**, Bastide Libraire - éditeur, Alger, 1865.

810/- Djender Mahieddine: **Introduction à l'histoire de l'Algerie**, éditions ENAG, Alger, 2006.

811/- Esterhazy M. Walsin: **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Librairie de Charles Gosselin, Paris, France, 1840.

812/- Harrak Fatima: (**Ulama et société au Maroc du 18eme siècle**), Revue d'Histoire Maghrebine, n 61-62, Publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 1991.

813/- Hassen Bey Mustapha: **De Constantinople à El-Djazair l'héritage turc**, Chihab éditions, Alger, 2018.

814/- Haedo Fray Diego: **Topographie et Histoire générale d'Alger**, 3 édition, traduction Berbrugger et Monnereau, édition Grand Alger Livres, Alger, 2007.

815/- Hadjiat Abdelhamid: **Rôle du sufisme dans l'évolution des peuples du Maghreb**, Actes du deuxième congrès international d'étude des cultures de la méditerranée occidentale II, Societe nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1978.

816/- Hadj Sadok Mahammed: **Miliana**, Office des publications universitaires, Alger, 1964.

817/- Grey Jackson de James: **Relation de l'Empire de Maroc**, Traduction Jean-Francois Robinet, Institut des études africaines, Rabat, Maroc, 2005.

818/- Peyron Michael: (**Equilibre des forces aux temps de Moulay Slimane**), Actes du colloque le Maroc à l'époque du Sultan Moulay Slimane 1792-1822, Publication de la faculte des lettres et des sciences humains, universite Sultan Moulay Slimane Beni Mellal, Maroc, 2008.

819/- Provençal Levi: **Extraits des Historiens arabes du Maroc**, éditions Ernest Leroux, Paris, France, 1948.

820/- Provençal Levi: **Les manuscrits arabes de Rabat - Bibliothèque Générale du Protectorat Français au Maroc**, éditions Ernest Leroux, Paris, France, 1921.

821/- Mokhtari Kamel: **Bordj Bou Arreridj Sites et monuments**, Deuxième édition, Commissariat du festival culturel local pour les cultures et arts populaires de la wilaya de Bordj Bou Arreridj, Alger, 2009.

822/- Kahia Bechir: (**La production livresque dans l'Empire Ottoman du 16^e-18^e siècle**), Revue d'Histoire Maghrébine, n 141, Publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 2011.

823/- Khiari Farid: **Vivre et mourir en Alger - l'Algérie ottomane aux 16-17^e siècle un destin confisqué**, L' Harmattan, édition France, 2002.

824/- Laffitte Robert: **C'était l'Algérie**, éditions Confrérie Castille, France, 1994.

825/- Merouche Lemnouar: **Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane - Monnaies prix et revenus 1520-1830**, éditions Bouchène, Paris, France, 2002.

826/- Melia Jean: **La ville Blanche-Alger et son département**, Librairie Plon-nourrit et Cie et imprimeurs-éditeurs, Paris, France, 1921.

827/- Maziane Leila: (**Les marocains et la mer à travers l'exemple salétin**), Actes des symposium la mer dans l'histoire du Maroc, Publications l'association marocaine pour la recherche historique, Maroc.

828/- Sari Djilali: **Tlemcen la zyanide**, éditions Casbah, Alger, 2011.

829/- Saidouni Nacereddine: **L'Algérois Rural a La Fin de l'époque Ottomane 1791-1830**, 2^{ème} Edition, Dar Alam El Maarifa, Alger, 2010.

830/- Temimi Abdeljalil: (**Pour une histoire de la Grande Mosquée d'Alger**), Revue d'Histoire Maghrebine, n 19-20, publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 1980.

831/- Temimi Abdeljalil: (**Aux Origines de L'ottomanisation Administratiue des Province Maghrebines 1565/1591**), publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 2000.

832/- Temimi Abdeljalil: (**Pour une histoire des relations culturelles entre Istanbul et le Maroc à l'époque moderne**), Revue d'Histoire Maghrebine, n 43-44, publications de la Fondation Temimi pour la recherche scientifique l'information, Zagheuan, Tunis, 1980.

833/- Tsourikoff Zénaïde: **L'enseignement des filles en Afrique du Nord**, éditions à Péroné , Paris, France, 1935.

834/- Vayssettes Eugène: **Histoire des derniers deys de Constantine**, Grand Alger Livres éditions, Alger, 2005.



فهرس

المحتويات



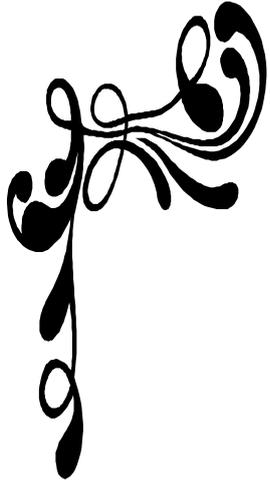
الموضوع	الصفحة
مقدمة	03
فصل تمهيدي: الأوضاع السياسية والثقافية بالجزائر العثمانية والمغرب العلوي	15
I- العلاقات السياسية بين البلدين وأثرها الثقافي	16
أولاً/- البيلبايات والسعديون بين التصعيد والتهدئة	16
ثانياً/- الأشراف العلويون والمنافسة على لقب الخلافة	24
ثالثاً/- مشكلتي الحدود والمجال ومحاولات الاختراق البينية	45
II- الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية	52
أولاً/- علاقة الحكام الأتراك بالعلم	55
ثانياً/- تشييد المؤسسات الثقافية والعلمية	59
ثالثاً/- علاقة الحكام الأتراك بالعلماء	69
III- الحياة الثقافية بالمغرب العلوي	84
أولاً/- الثقافة الشخصية لسلطين المغرب الأقصى	84
ثانياً/- تشييد المؤسسات الثقافية والعلمية	91
ثالثاً/- علاقة سلاطين المغرب بالعلماء	94
الفصل الأول: مؤثرات الصلات الحضارية بين البلدين	102
I- المؤثر الطبيعي والاقتصادي والاجتماعي	103
أولاً/- وحدوية الجغرافيا	103
ثانياً/- تماثل الإنتاج والتجارة البينية	107
ثالثاً/- حركية الأسر والقبائل بين البلدين	117

129	II- المؤثر البشري والتاريخي
129	أولاً/- وحدوية الأصل واللسان
131	ثانياً/- تماثل المذهب والعقيدة
138	ثالثاً/- الغزو الأيبيري والهجرة الأندلسية
146	III- ركب الحج المغربي ودوره الحضاري
146	أولاً/- المخلفات الحضارية للرحلات الحجازية المغربية
151	ثانياً/- الاحتكاك الحضاري بشمال إفريقيا
155	ثالثاً/- الاحتكاك الحضاري بالحجاز والشام
160	الفصل الثاني: مراكز الصلات الحضارية بين البلدين
161	I- انتقال العلماء بين الهجرة والتهجير
161	أولاً/- مدلول الرحلة والهجرة
163	ثانياً/- هجرة العلماء بين الاختيار والاجبار
168	ثالثاً/- موقف الحكام من هجرة علماء البلدين
183	II- علماء الجزائر بالحواضر المغربية
183	أولاً/- الحواضر الداخلية
214	ثانياً/- الحواضر الصحراوية
222	ثالثاً/- الحواضر الساحلية
231	III- علماء المغرب بالحواضر الجزائرية
131	أولاً/- الحواضر الساحلية
260	ثانياً/- الحواضر الداخلية

271	ثالثا/- الحواضر الصحراوية
289	الفصل الثالث: مظاهر الصلات الحضارية بين البلدين
290	I- انتقـال المصنفات العلمية
290	أولاً/- طبـيعة المصنفات المتداولة بين البلدين
307	ثانيا/- المصنفات الجزائرية بالحواضر المغربية
332	ثالثا/- المصنفات المغربية بالحواضر الجزائرية
345	II- الرسائل والإجازات مصدر لتبادل المعارف والثقافات
345	أولاً/- أهمية الرسائل والإجازات
346	ثانيا/- طبيعة الرسائل المتبادلة
355	ثالثا/- القيمة الثقافية والعلمية للإجازات
367	III- حركة الجدل والمناظرات العلمية
368	أولاً/- قيم التواصل من خلال المجالس العلمية
369	ثانيا/- المناظرات العلمية بالحواضر المغربية
373	ثالثا/- المناظرات العلمية بالحواضر الجزائرية
376	الفصل الرابع: حركة المريدين والطرقية بين البلدين
377	I- التصوف والطرقية بمنطقة المغرب
377	أولاً/- نمو الحركة الصوفية بالمغرب
380	ثانيا/- التصوف بالجزائر خلال العهد العثماني
395	ثالثا/- واقع التصوف بالمغرب الأقصى
404	II- الحضور الصوفي الجزائري بالمغرب

404	أولاً/- انتة ال المتصوفة
411	ثانيا/- انتة ال طرقة
421	ثالثا/- المـؤثر الصوفي الجزائري بالمغرب
426	III- الـ حضور الصوفي المغربي بالجزائر
427	أولاً/- انتة ال المتصوفة
435	ثانيا/- انتة ال طرقة
450	ثالثا/- المـؤثر الصوفي المغربي بالجزائر
456	خاتمة
461	الملاحق
470	ثبت المصادر والمراجع
534	فهرس المحتويات

جامعة الجزائر
مركز الدراسات والبحوث
العلوم الإسلامية



ملخص الدراسة

بالعربي

والفرنسي

والإنجليزي



الملخص العربي:

لقد كان للجزائر خلال العهد العثماني علاقات وروابط مع مختلف الأقطار العربية والإسلامية، وفي مختلف المجالات السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية، ولعل علاقتها مع المغرب الأقصى تشكل الاستثناء نظرا للروابط التاريخية التي تجمع البلدين خلال العصور القديمة والوسطى من جهة، وبسبب رفض سلاطين الدولة السعودية ومن بعدهم العلوية الانضواء تحت لواء الدولة العثمانية من جهة ثانية، وهو ما خلق نوعا من الخلاف والحساسية بين حكام البلدين والتي انعكست سلبا على علاقة الشعبين، فإذا كانت الروابط الاقتصادية والاجتماعية مرتبطة أساسا بالعلاقة السياسية، فإن التواصل الثقافي بين علماء وطلبة البلدين كان بعيدا في مجمله عن العلاقات الرسمية.

فالوصول للشيخ والقطب تجعل من الحدود السياسية والجغرافية في نظر طالب العلم والمريد مجرد شكليات لا يمكن لها أن تثني عزيمته في التنقل والترحال للوصول لمبتغاه، وبذلك شهد البلدين خلال العصر الحديث موجة كبيرة من تنقلات الطلبة والعلماء والمتصوفة لأغراض متباينة تنحصر مجملها في الرحلة العلمية والروحية والحجازية، ولم تكن هذه الرحلات والهجرات مجرد تنقلات أفراد فقط بل رافقتها حركية ثقافية كبيرة من خلال نقل المصنفات وتبادل الرسائل ومنح الإجازات وإقامة المناظرات والمساجلات العلمية والصوفية، وإذ كانت الحواضر المغربية هي الوجهة المفضلة للطلبة الجزائريين بسبب النهضة الثقافية والعلمية المتنامية والاغراء التي يجدها هؤلاء من طرف سلاطين المغرب الأقصى من مناصب ومكاسب ومودة واحترام، وفي المقابل فإن الوجهة الجزائرية كانت بالنسبة لطلبة وعلماء المغرب الأقصى في أغلبها مجرد محطة ضمن رحلاتهم الحجازية، وذلك لعدم اهتمام الحكام الأتراك الذين تعاقبوا على حكم الجزائر بين (1519-1830م) بالعلم وأصحابه، ولانعدام مؤسسات ثقافية وعلمية عريقة وشهيرة تستقطب هؤلاء الطلبة وتغريهم لقصدها والنهل من علمها.

Le résumé

À l'époque ottomane, l'Algérie entretenait des relations avec divers pays arabes et islamiques et dans divers domaines politiques, militaires, culturels et économiques, et peut-être que sa relation avec le Maghreb constitue une exception en raison des liens historiques qui unissent les deux pays à l'époque antique et médiévale, et du rejet des sultans de l'Etat de Saadiyya, puis des Alaouites, sous la bannière de l'empire Ottoman d'autre part, ce qui a créé une sorte de désaccord et de sensibilité entre les dirigeants des deux pays, ce qui a nui à la relation entre les deux peuples, si les liens économiques et sociaux sont principalement liés à la relation politique, bien culturel entre les chercheurs et les étudiants des deux pays était loin dans son intégralité pour les relations officielles.

Atteindre le Cheikh et le Qutb fait que les frontières politiques et géographiques aux yeux de l'étudiant et l'aspirant ne sont que des formalités qui ne peuvent décourager sa détermination en matière de mobilité et de déplacements pour atteindre son objectif et, de ce fait, les deux pays à l'époque moderne ont été témoins d'une grande vague de mouvements d'étudiants, de scientifiques et de mystiques à des fins diverses, tous limités au voyage scientifique, spirituel et hijazi, ces voyages et ces migrations ne sont pas simplement des mouvements de personnes, mais s'accompagnent d'un grand mouvement culturel: transferts d'œuvres, échanges de lettres, octroi de vacances, débats et débats scientifiques, Alors que les villes marocaines étaient la destination préférée des étudiants algériens en raison de la renaissance culturelle et scientifique croissante et des tentations qu'ils éprouvent de la part des sultans de l'Extrême-Maghreb en termes de position, de gains, d'affection et de respect, et en retour, la destination algérienne était pour les étudiants et les savants de l'Extrême-Maghreb, la plupart d'entre eux n'étant qu'un arrêt dans leurs voyages à Hijaz, en raison du manque d'intérêt des dirigeants turcs qui ont successivement gouverné l'Algérie entre (1519-1830 après JC) dans la science et ses compagnons d'une part, et l'absence d'institutions culturelles et scientifiques anciennes et célèbres qui attirent ces étudiants et les inciter à son but et à la connaissance.

The summary

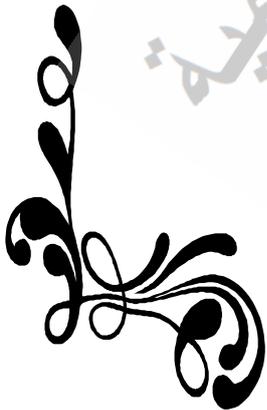
During the Ottoman era, Algeria had relations with various Arab and Islamic countries, and in various political, military, cultural and economic fields. Perhaps its relationship with the Maghreb constitutes the exception due to the historical ties that bind the two countries during the ancient and medieval times, on the one hand, and because of the rejection of the Sultans of the Saadian state and after them Alawites. Under the banner of the Ottoman Empire on the other hand, which created a kind of disagreement and sensitivity between the rulers of the two countries, which reflected negatively on the relationship of the two people, thus, if the economic and social ties are mainly linked to the political relationship, Cultural asset among scholars and students of the two countries was far away in its entirety for official relations.

Reaching the sheikh and the pole makes the political and geographic boundaries in the eyes of the student of science and murid merely formalities that can not discourage his determination in mobility and travel to reach his destination, and thus the two countries during the modern era witnessed a large wave of movement of students, scientists and mystics for different purposes, all limited to the scientific journey, spiritual and Hijazi. These trips and migrations were not merely the movements of individuals, but were accompanied by a great cultural movement through the transfer of works, the exchange of letters and the granting of holidays and the holding of debates and scientific debates, as Moroccan cities were the preferred destination for the Algerian flag student because The growing cultural and scientific renaissance and the temptations they find on the part of the sultans of the Maghreb in terms of positions, gains, affection and respect. In contrast, the Algerian destination for the students and scholars of the Maghreb was mostly just a stop in their Hijazi trips, due to the lack of interest of the Turkish rulers who succeeded the rule of Algeria between (1519-1830 m) science and its companions on the one hand, and the lack of ancient and famous cultural and scientific institutions that attract these students and entice them for their purpose and to draw from their knowledge.



ولست مدعي الاحصاء
ولو قصدت فيه الاستقصاء
إذ ليس ينبغي اتصاف الكمال
إلا لدى الكبير المتعال
وفوق كل من ذوي العلم عليم
ومنتهى العلم إلى الله العليم

أبي عبد الله الخراز





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
نَسْرَةٌ
بِحَمْدِ اللَّهِ

موسم الامتداد
عبد القادر اللطيف
موسم الامتداد

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research



Prince Abdulkader University for Islamic Sciences

Faculty of Arts and Islamic Civilization

Constantine

Department of History

Serial Number:

Registration Number:

Civilizational links between Algeria and Morocco
- Cultural Approach -

From the mid- AH 11th century / CE 17th century to the AH mid-13th / CE 19th
century

Thesis submitted in candidacy for the degree of doctorate es-sciences in History

Option: Economic and cultural relations of Algeria and the Maghreb countries

Presented by:

Salah Bensalem

The supervisor:

Dr.Fares Kauoan

Board of Examiners

Name and Surname	Scientific degree	The original university	Rank
Khalifa Hammache	Professor of higher education	Prince Abdulkader University	President
Fares Kauoan	Professor lecturer A	University of Setif 02	Supervisor
Hmida Amiraoui	Professor of higher education	Prince Abdulkader University	Member of the jury
Ali Ajgou	Professor of higher education	University of Batna	Member of the jury
Mohamed Said Kasri	Professor of higher education	Messila University	Member of the jury
Mohammed Aujrni	Professor lecturer A	Prince Abdulkader University	Member of the jury

1441-1442 AH / 2020-2021 CE